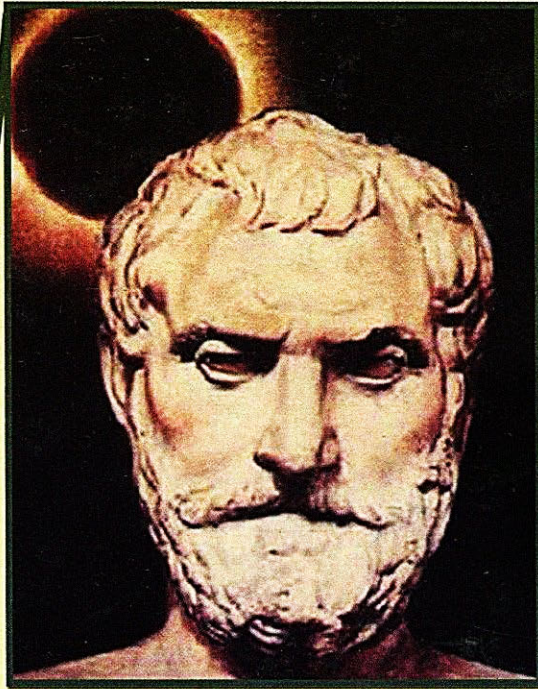




بلوتارك «فلوטר خوس»



# تاريخ أباطرة وفلاسفة الاغريق



المجلد الأول

الدار العربية للموسوعات



# تاريخ أباطرة وفلاسفة الأغرقي



# تاريخ أباطرة وفلاسفة الاغريق

پلوتارک «فلوטרخوس»

ترجمة  
جرجیس فتح الله

المجلد الأول

الدار العربية للموسوعات

جميع الحقوق محفوظة  
الطبعة الأولى  
٢٠١٠م - ١٤٣٠هـ

الدار العربية للموسوعات 

الحازمية - مفرق جسر الباشا - ستر عكاوي - ط1 - بيروت - لبنان  
ص.ب: 511 الحازمية - هاتف: 00961 5 952594 - فاكس: 00961 5 459982  
هاتف نقال: 00961 3 388363 - 00961 3 525066 - بيروت - لبنان  
الموقع الإلكتروني: [www.arabenchouse.com](http://www.arabenchouse.com) البريد الإلكتروني: [info@arabenchouse.com](mailto:info@arabenchouse.com)

---

مؤسسها ومديرتها العام: خالد الحاني

## فهرس محتويات المجلدات الثلاثة

549	ايميلوس پاولوس
587	پلوپيداس
619	مارچلوس

### المجلد الثاني

661	أريستدس
693	ماركوس كاتو
729	فيلپويمين
749	فلامينينوس
777	پيروس
815	گايوس ماريوس
859	ليساندر
887	سيللا
933	كيمون
955	لوكولوس

### المجلد الأول

7	توطئة
29	ثيسوس
65	روملوس
109	ليكورغوس
149	نوماپمپليوس
207	صولون
243	پوپليسكولا
271	تيميستوكلس
307	كاميلوس
349	پيريكليس
395	فايوس ماكسيموس
429	الكبيادس
469	كريولانوس
511	تيموليون

1479 ..... كليومينس  
1509 ..... طيريوس گراخوس  
1529 ..... كايوس گراخوس  
1551 ..... ديموستينس  
1577 ..... شيشرون  
1621 ..... ديميتريوس  
1663 ..... مارك انطوني  
1737 ..... ديون  
1777 ..... ماركوس بروتوس  
1825 ..... اراتوس  
1863 ..... ارتحششتا  
1889 ..... گالبا  
1913 ..... اوتو

1005 ..... نيكياس  
1039 ..... كراسوس  
1081 ..... سرتوريوس  
1107 ..... يومينيوس  
1129 ..... آغيلوس  
1167 ..... پومپوي

### المجلد الثالث

1253 ..... الاسكندر  
1323 ..... يوليوس قيصر  
1375 ..... فوكيون  
1407 ..... كاتو الاصغر  
1461 ..... آغيس



## توطئة

إن المجموعة الشهيرة جداً باسم «سير پلوتارخ»، ليست كما تركها لنا المؤلف لا من حيث الشكل ولا من حيث الترتيب. ففي المؤلف الأصلي دونت السير في سلسلة من الكتب، وكل كتاب يتضمن سيرة يونانية واحدة تقابلها سير رومانية، وتلحق بهما دراسة مقارنة. وقد أضيف الى هذا تراجم سير اشخاص مختلفة لم توضع موضع مقارنة. ولعل «اوتو Otho وگالبا Galba» ينتميان الى سلسلة من الأباطرة الرومان تبتديء «باغسطس Augustus» وتختتم «بقيتيلليوس Vitellius». وأمّا سيرتا «ارتخششتا Artaxerxes» و«اراتوس Ara-tus» السياسيين، فكلتاهما سيرة منفصلة، كسير الآخرين الذين قيل لنا أنهم وجدوا وعاشوا، مثل [هرقل Hercules وارسطومينيس Aristomenes، وهسيود Hesiod، وپندار Pindar، ودايفانتس Daiphantus، وقراطس Crates، الهجاء، واراتواس Aratus الشاعر].

وفي السير المتعاصرة نفسها، ثغرات، فثم كتاب يشمل سيرتي «إيامنداس Epaminon-das وسكيبو Scipio» الأصغر فقط. اذ لا يوجد مقارنات كثيرة، وهي إمّا مفقودة، او لم تكتب. وسيلحظ القاريء ان التنويهات التي يذكرها المؤلف هنا وهناك عن السير التي ستتلو أو تلت تدلّ بأن ترتيبها في الأساس يختلف عن الترتيب الحاضر. مثال ذلك انك تجد حين تفتح الصفحة الأولى من هذا الكتاب، ذكراً لحياة «ليكورغوس ونوما» في سيرة «ثيسوس» على اساس كونهما مدونتين سابقاً.

وفي امكاننا ان نعرض وقائع حياة (پلوتارخ) البسيطة بفذلكة مختصرة جداً. ويرجع انه ولد في عهد «كلوديوس Claudius» في حدود العام ٤٥ أو ٥٠ ميلادية. ومسقط رأسه مدينة [خيرونيا Chaeronea] في بويوتيا Boeotia حيث استقرت اسرته قبل زمن طويل، ونالت مكانة طيبة وسمعة حميدة. درس في اثينا متتلماً على الفيلسوف امونيوس Am-monius وزار مصر وقضى في روما ردهاً من الزمن مبعوثاً في «مهمة رسمية» لعلها كانت

بعثة دبلوماسية من خيرونيا في حدود العام ٩٠ م. وبقي فيها مدة طويلة اتسعت لالقاء دروس اثار اهتماماً عاماً. ولسنا ندري هل زار ايطاليا مرة واحدة فقط أم عدة مرات.

ووصل جبل الودّ بـ«سوسيوس سينشيو Sosins Senecio وهو كما تؤمى كل الدلائل «سوسيوس» الذي تقلد منصب القنصل اربع مرات. ولعل علاقتهما هذه نشأت في روما حينما كان [سوسيوس] أصغر سناً منه بكثير<sup>(١)</sup>. ولعله تعرف به اول الامر اثناء القائه دروسه أو لعلهما تعارفا في اليونان. وعاد الى خيرونيا واليونان، ويبدو انه قضى البقية الباقية في حياته في تلك المدينة الصغيرة التي كان يكره «تقليص حجمها بنزوح ولو ساكن واحد من سكانها عنها». وساهم في شؤون المدينة وضواحيها ونُصب «ارخوناً»<sup>(٢)</sup> على المدينة وقام بأعباء الكهانة لاپوللو في دلفي عدة سنين كما يبدو.

وكان متزوجاً وأباً لما لا يقل عن خمسة أولاد، منهم اثنان على أقل تقدير بلغا مبلغ الرجولة. وأعظم ما كتب هو مجموعة سيره هذه، يليها عدد من الكتب ألفها في الفترة الأخيرة من حياته على عهد (تراجان)، ومن المشكوك فيه انه ادرك (هادريان)، وان نحن اتخذنا العام ٤٥ م تاريخاً محتملاً لميلاده، فإن العام ١٢٠ م الموافق للسنة الرابعة من حكم هادريان يكون أقرب تاريخ محتمل لوفاته على سبيل الافتراض، وما هو أكيد عندنا انه عاش عمراً مديداً، وانه وصف نفسه في احدى محاوراته الخيالية بالشاب اليافع يناقش في الفلسفة مع [آمونيوس] ايام زيارة نيرون بلاد اليونان العام ٦٦-٦٧ م. وانه كان حياً ناشط القلم والفكر على وجه التحقيق في الشتاء الذي عبر به تراجان الى (داقيا) بعد ان بنى جسراً على نهر الدانوب. وهو يقول في رسالته [عن مبدأ البرد] «لقد انبأنا اولئك الذين يشتون الآن مع الامبراطور على الدانوب ان انجماد الماء سيؤدي الى تحطم السفن تحطيماً».

\*\*\*

ويمكن إضافة بعض الأسماء والوقائع مستمدة من كتاباته، زيادة على ما ذكرناه. وليس لنا في هذا المجال ألا الإعتماد الكلي على تلك الوقائع المقتضبة نفسها. فلدينا حكايات واستطرادات في السير، وفي تأليفه ومقالاته ومحاوراته واحاديث مائده وغيرها من تصانيفه، وهي تزود القرحة بمادة متنوعة لمختلف الاستنتاجات الطريفة والغريبة.

(١) إلا اذا أخذت عبارة المؤلف «اولادي زملاؤك» مأخذ التندر والتفكحة.  
(٢) Archon: واحد في الحكام التسعة الكبار في اثينا القديمة. وفي الايام الأخيرة اصبح يطلق على رئيس بلدية اي مدينة يونانية. او حاكمها. او قاضيها.

ذكر (نيكارخوس Nicarchus) جدَّ أبيه عرضاً في سيرة «انطوني» إذ قال: «كان والد حدِّي يقص كيف سُخِّرَ أهل خيرونيا في حرب انطوني الأخيرة لنقل القمح الى ساحل خليج (كورنشا) وكان قد خصص لكل منهم حملَ معين الوزن، والجنود يحتاطونهم ويحتشونهم بالسياط...» وبعد أن كملت اول نقلة، واكتيلت النقلة الثانية لهم، وصلت ابنا هزيمة (اكتيوم Actium)<sup>(٣)</sup>. وورد ذكر جدة (لامپرياس Lamprias) أيضاً في السيرة نفسها. بصدد سماعه قصة من [فيلوطاس Philotas] الطبيب، عن حياة البذخ والإسراف التي كان «انطوني» يعيشها في مصر. وتحدث عن والده أكثر من مرة في آثاره الأخرى الصغرى دون ذكر اسمه. ويظهر اسم «امونيوس» استاذَه ومثقفه الأثيني، عدة مرات في آثاره الصغرى. ونوه به مرة واحدة في هذه السير، تنوياً خاصاً عندما ذكر ان سلباً لتيستوكلس تتلمذ معه على أمونيوس. ونجد ذكرًا لتسنم هذا الفيلسوف منصب الاستراتيجيةوس Strategus<sup>(٤)</sup> في اثينا ثلاث دفعات<sup>(٥)</sup> وهو منصب هام جداً في مجرى التاريخ العالمي، واشبه بمنصب «البيوطارخيين في بويتيا» ظلَّ يسند الى المواطنين المحلبين طوال عهد الامبراطورية، ويستنتج من الرسالة الصغيرة الموسومة «في مبادئ السياسة» ان احد المناصب العليا المرتبطة بالوالي الروماني. ويحدثنا بلوتارخ «مرة، لحظ معلمنا امونيوس اثناء درس ما بعد الظهر أن بعض مستمعيه كانوا قد افرتوا كثيراً في تناول طعام الفطور فأمرَ بحض. منا أن ينزل عقابُ بابنه لأن الشاب كما قال، أبى أن يتناول فطوره الا مع خمرة مَرَّة. واخذ في الوقت نفسه ينظر شزراً الى أفراد الصف المدنيين».

والحكاية التالية كأنها تعود الى فترة متأخرة بعض الشيء عن فترة دراسته في اثينا قال: «اذكر عندما كنت انا نفسي شاباً، أني أوفدت مع شخص آخر في مهمة عامة الى الپروكنصل Proconsul<sup>(٦)</sup> واتفق ان وقع لزميلي ما اعاقه عن اكمال الرحلة فخلفته ورائي ومضيت

(٣) لا يوجد على اية حال سبب اكيد يدفعنا للقول بان بلوتارخ. يتذكر مشاهدته والد جده وسماعه منه هذه الحكاية.

(٤) في اثينا القديمة يعتبر المنصب بمعادلة قائد الجيش، أو يكون صاحبه واحداً من أعضاء مجلس العشرة الأعلى المنتخب سنوياً فيها.

(٥) وهذا ما يثير بغض الشك حول الرواية اثبتها المؤرخ البيزنطي [يونابايوس] التي قد لا تتناقض معها تناقضاً تاماً. وهي «ان امونيوس معلم بلوتارخ الالهي، كان مصرياً...» ومن المؤكد أن بلوتارخ كان على معرفة تامة بالحكمة اليونانية المصرية، انظر رسالته الى السيدة المثقفة [كليا Clea] عن «ايزيس وازويرس»، ولعله مكث مدة طويلة في الاسكندرية ودرس هناك كثيراً.

(٦) في النظام الروماني هو حاكم ولاية رومانية. وفي عهد الامبراطورية هو حاكم اقليم سناتوري (أي تابع لمجلس الشيوخ).

لأنجاز المهمة وحدي ثم عدتُ وفيما كنت أقدم حساباً عنها واسلمَ مأمورتي إلى المجلس، نهض ابي وأسرَّ إليَّ بأن أحاذر كلمة «ذهبتُ» و«قلتُ» واتكلم بصيغة المثني، وأحافظ على سهم زميلي من المهمة في سائر تقريرتي».

ولا نعرف شيئاً عن زيارته ايطاليا واقامته فيها، أكثر من روايته في سيرة [ديموستينس]. وان مهام الوظيفة التي كان يتقلدها، والزوار الذين يقصدونه للجدال الفلسفي كان يستنفد كثيراً من وقته فلم يتسن له آنذاك ان يلم الماماً كافياً باللغة اللاتينية. ولا نشك في انه رحل كثيراً فقد قال انه شاهد تمثال ماريوس او تمثاله النصفى في (راثنا)، اثناء ايراده سيرة (ماريوس). ويحدثنا في مقولته «عن الحب الأخوي» انه كلف اثناء وجوده في روما بمهمة التحكيم في نزاع نشأ بين أخوين يُعد احدهما من عشاق الفيلسوف «إلا أنه لم يكن يستأهل صفة الفيلسوف ولا صفة الأخ قلت له اني لأتوقع منه مسلك فيلسوف تجاه من هو قبل كل شيء عادي، لا يفخر بالعلم بالفلسفة، وهو بالدرجة الثانية أخ له، أجابني قائلاً: اما عن النقطة الأولى فلا اراك فيها إلا مصيباً. إلا اني لا أعلق أهمية كبيرة على ولادة شخصي نتيجة اتصال زوج من الاجسام. ويستنكر بليوتارخ طبعاً هذا القول الكافر الشنيع ويؤنب صاحبه. وثم حكاية أطرف من هذه، اوردها في رسالته عن «حب الاستطلاع»... فمن الوصايا الأخرى لاجتناب الخطأ، أو البرء منه «علينا ان نعود انفسنا عندما يؤتى لنا بالرسائل ألا نبادر الى فتحها بعجلة، وألا نقطع خيوطها باسناننا، كما يفصل الكثيرون عندما يعجزون عن حلها بأيديهم وألا نخف الى السعادة مسرعين، اذا رأيناهم مقبلين، والألا نقفز عندما يقول صديق أن لديه نبأ طريفاً، أو خصوصاً ان كان عنده نصيحة مفيدة يقدمها لنا. ومرة عندما كنتُ ألقى درساً في (رومه) كان من بين مستمعي [روسيستكوس Rusticus] الذي بطش به [دوميتيان Domitian] فيما بعد غيراً من شهرته وحسداً لسمعته. كنت مستمراً في الكلام عندما دخل جندي يحمل اليه رسالة من الامبراطور فسكن الجميع، وتوقفتُ لأدع له مجالاً\* لقراءة الرسالة فلم يفعل، وانما القاها بعيداً عنه حتى فرغت من درسي، وانصرف المستمعون. هذا مثل على السلوك الرزين الجدير باثارة منتهى الإعجاب».

كان [ل. يونيوس ارولينوس روسيستكوس L. Junius Aralenus Rusticus] صديق [بلييني Pliny وتاكييتوس Tacitus] الخالد المجد بين شهداء الرواقيين الذين دونت اسماؤهم في معرض سيرة «اغريكولا Agricola»، كان في مطلع شبابه تلميذاً شديد التشيع [لثراسيا بايتوس Thrasea Paetus]. وعندما فرض نيرون حكم الموت على [بايتوس] هذا، وكان مجلس الشيوخ يوشك على ابرام الحكم بالادانة، اندفع روستيكوس بغضب دفاق من عاطفته،

مستعملاً حق الاعتراض (الثيتو) وهو حق ما زال آنذاك مرتبطاً شكلاً بمنصب التربيون Trib-une<sup>(٧)</sup> الذي كان يتقلده وقتذاك. ولم يفلح معلمه في منعه من التظاهر بما كان سيؤدي به قبل ان يحين أجله - الى اضافة اسمه الى القائمة الضحايا الاماجد. كتب هذا سيرة لحياة (ثراسيا) بعد ممارسته مهام منصب الپريتور<sup>(٨)</sup> في أثناء الحروب الاهلية التي عقبّت موت نيرون، مثلما كتب [سينشيو Senecio] سيرة [هلقيديوس Helvidius] ودون [تاكيتوس] تاريخاً لحياة [اغريكولا] على ارجح الروايات. وكانت لغة [روسييتكوس] صريحة جريئة بحيث سببت موته. ومن المعلمين الذين تلقى الشاب ماركوس اوريليوس Marcus Aurilius علومه عليهم نقرأ اسم «اورلينوس روسييتكوس» الذي قد يكون حفيداً لروسييتكوس السالف ذكره، ومعه نجد اسم [سكستوس Sixtus] الخيروني ابن أخ بلوتارخ الذي يقول الامبراطور الألمي الفيلسوف عنه «لقد علمني بمثال نفسه، الاخلاق الحميدة والحكمة العادلة التي كان ما يفتأ يوصي بها» وظل الامبراطور يختلف الى منزله متلمذاً عليه برغبة لم تضعف قط.

ولايستنتج طبعاً من العبارة التي صيغت بها الرواية انها وقعت ايام «دوميتيان» وان بلوتارخ يشير الى رسالة دوميتيان فيها. على ان وجوده في روما ايام حكم هذا الامبراطور أو بعده يبدو مرجحاً بسبب اللهجة التي يتكلم بها عن العظمة السخيفة لقصور دوميتيان وغيرها من المباني الامبراطورية.

وكثيراً ما ينوه بلوتارخ باسم أخويه «تيمون Timon» ولامپرياس Lamprias» في مقولاته ومحاوراته، ويبدو انهما كانا تلميذين لامونيوس أيضاً وانك لتجد العبارة التالية في رسالته «الحب بين الأخوة»، يقول بلوتارخ «واما عن نفسي أنا، فمن النعم التي اشكر حظي الحسن عليها هي محبة تيمون أخي لي، في الماضي والحاضر، لنها لمحبة عظيمة بحيث يمكن ان تعدل وحدها سائر النعم الأخرى. ولايد ان يكون كل من خالطنا وعاشرنا مطلعاً عليها. وأصدقائنا خير العارفين بها طبعاً».

وزوجه هي [تيموكزينا Timoxena] بنت (الكسيونا). ووقائع حياته البيتية تجد خير تصوير وادقه في رسالته الموجهة الى زوجه حول ثكلهما بنتهما الوحيدة التي ولدت لهما وهما في سن متقدمة بعد ولادة اخوتها بفترة طويلة على ما يبدو:

---

(٧) واحد من الضباط (في اول الاول اثنان، ثم عشرة) يختارهم الشعب بالاقتراع ووظيفة المحافظة على حقوقه ازاء مجلس الشيوخ والقناصل ومراقبة الحريات العامة من الاعتداء.

(٨) قنصل روماني يناط به قيادة جيش، وقد تطور هذا المنصب فيما بعد فغداً حاكماً ينتخب بالاقتراع العام ويقوم بوظيفة ما من وظائف القنصل.

## « من بلوتارخ الى زوجه - تحية »

يبدو ان السعاة الذين ارسلتهم لينعوا لي طفلتنا، قد ضلوا السبيل الى اثينا، فأبلغت به عند وصولي (تناغرا) وأعتقد ان كل ما يتعلق بتشجيع الجثمان قد تم. واؤمل أن تكون مراسيم الجنازة قد أشاعت في نفسك أعظم السلوان. وان تخلف اي شيء رغبت فيه واحجمت عنه انتظاراً لموافقتي - وكان فيه عزاءً لك فنقدية، إلا ما يشوبه افراط او شعبة وانك لأزهد الناس في هذا. حسبي يازوجي العزيزة الأمل في ان تبقي نفسك وتبقيني في حدود من الاحزان معقولة ولست بغافل قط عن مبلغ خسارتنا وجسامة فجيعتنا. وما انا «بجذع من خشب او قطعة من حجر». وأنت تشهدين على ذلك يا شريكتي في الحذب على أطفالنا العديدين الذين تولينا تربيتهم بأنفسنا في منزلنا واحداً بعد واحد. وهذه الطفلة، الإنة ولدت لك استجابة لرغبة خاصة خالجت نفسك بعد اربعة ابناء، فأتاحت ولادتها الفرصة لي لإدامة اسمك. وهي كما اعرف جيداً موضع حب خاص عندك.

ومضى يذكر ان طبع الطفلة المحبب وطرقها الجميلة عملت في زيادة آلام الشكل زيادة عظيمة، وبعدها قال «ومع هذا فلا مبرر لنا اذ نسينا النصائح التي نتقدم بها الآخرين، ولا عذر اذ انظرنا الى فاجعتنا الحاضرة وكأنها غمت على سعادتنا السالفة وكدرت صفوها» ومن كان حاضراً ساعة الجناز تحدثوا بأعجاب عن هدونها وبساطة سلوكها. والجنازة نفسها كانت عاطلة عن اي مظهر من مظاهر المبالغة في النواح والندب. ولم يكن هذا مصدر عجب له فهو يدري كم كانت عيشتها البسيطة المتواصفة وثار دهشة اصدقائه الحكماء وزائريه.

وهو الذي خبر ايضاً مبلغ صبرها وجلدها عند فقدها بكر اولادها... يقول بعد هذا... «عندما تركتنا جميلتنا [شارون Sharon] اذكر ان بعض معارفي من الأجانب كانوا مقبلين علي من البحر لما وصلني نعي الطفلة، فسبقوا الى البيت مع بعض الاصدقاء. إلا ان النظام التام والهدوء المستتبب الذي وجدوه هناك، جعلهم يعتقدون (ذكر لي ذلك فيما بعد) ان الخبر عار عن الصحة. ويختتم «رسالة العزاء» [وهو عنوانها] بعبارات تتم عن ايمانه بخلود الروح البشرية. ذاكراً أن الأبوين تحصنهما وتقوي عزائمهما تقاليد اسلافها والوحي الرباني الذي ينكشف لهما، ويبلغهما بممارسة الطرق الصوفية الديونيسية.

هنالك فقرة في الرسالة يستنتج منها ان بلوتارخ [تيموكزينا]، كانا جدّين وقت ان حلت بهما المصيبة. وان زواج ابنهما أوتوبولس كان مناسبة لإحدى المآدب التي فصلت وقائعها في رسالته «المسائل السببومية» (اي احاديث ما بعد طعام العشاء). في احدى هذه المحاورات

نجد تنويهاً بعيداً بابين [أوتوبولس Autobolus] لقد كتب بولوتارخ الرسالة الصغيرة في شرح [طيماوؤس Timmoeus] لابنيه اوتوبولس وپولوتارخ. ولا بد انهما كانا وقتذاك مكتملي الرجولة ليطرقا موضوعاً صعباً كطيماوؤس. وفي بحثه «عن السبيل الذي يجب أن يسلكه الشباب لقراءة قصائد الشعراء» يقول مخاطباً «ماركوس سيداتوس Sedatus» ليس من السهل ان نمنع منعاً باتاً كلاً من عزيزي سوكلاروس Soclarus وعزيزك كلياندر Cleander عن قراءة الشعر. ولكن ليس هناك ما يشير هل ان سكوكلاروس ابن له، أو حفيد، أو قريب من أقرباء الأسرة، أو تلميذ وهو من الاحتمالات أيضاً. واما [يوريديس Eurydice] المتزوجة حديثاً بيولييانوس Pollianus. فتبدو انها من أهل داره حدساً وتخميناً من رسالة «في الوصايا الزوجية» كتبها لها ولزوجها على انه لا يمكن القول انها بنت له وليس من المحتمل قط أن يكون موضع [تيموكزينيا] الصغيرة المتوفاة قد مليء<sup>(٩)</sup> بأخرى.

قد تكون وظيفة الأرخون التي أشغلها بولوتارخ في مدينته وظيفه سنوية ومن المحتمل جداً انه أشغلها أكثر من مرة ويبدو انه كان يهتم بأصغر أمور المدينة وأقلها شأنًا. بل كان يتعمد مباشرة أحقر الأشغال، فبعد ان روى قصة [ابامننداس] أنشأ يمدح ويرفع من شأن وظيفه رئيس الكناسين بقوله: «وأنا أيضاً للسبب نفسه أجدني هدفاً لتندر جيراني، كما يشاهدونني - وما أكثر ذلك- في الاماكن العامة اتولى شؤوناً مشابهة لواجبات تلك الوظيفة. إلا أن القصة التي رويت عن [انتستينس Antisthenes] تأتي هنا لنجدتي.

فعندما أبدى أحدهم دهشته لرؤية هذا الرجل يحمل الى بيته سمكة بالتوايل اشتراها من السوق، أجابه قائلاً «إنها لنفسي وقياساً على هذا فإن عاب عليّ أحدهم وقوفي في محل عام ومراقبة قياس ابعاد الجر، ونقل الجص والحجر، أوجب بقولي «انه ليس لنفسي بل لبلدتي».

وفي المقالة المختصرة الموسومة «هل ينبغي للرجل الهرم أن يستمر في معالجة الشؤون العامة؟» كتب يوحنا [يوفانس Euphanes] وهو عضو قديم بارز في كل من [أريوباغس Areopagus] اثينا، والمجلس الامفكتيوني Amphictyon<sup>(١٠)</sup> على البقاء في منصبه قائلاً «فلنبق على زمالتنا الطويلة ولا نقطعها، وليمتنع كلانا عن اعتزال هذه الحياة التي اخترناها»

(٩) أمّا عن بلوغ ابنيه له مبلغ الرجولة على أقل تقدير. فيبدو من عبارة قصد بهما ابنيه الصغيرين الآخرين بقوله انهما اطالا الجلوس في اللعب متأخراً عن العشاء.

(١٠) اريوباغوس هو بالاصل تل من تلال اثينا. جرت العادة ان تلتئم فيه المحكمة العليا، أو مجلس الحكم الأعلى. واما المجلس الامفكتيوني فيتألف من مندوبين من جميع الدول اليونانية يجتمعون للنظر في الشؤون المتعلقة باتحادهم.

وفي موضع آخر يقول مشيراً الى واجبات وظيفته الكهنوتية لاپوللو دلفي «وتعلم اني خدمت هذا الربّ [البيثي] عدّة بيثيادات<sup>(١١)</sup> خلون، ومع هذا بانك لن تستطيع ان تقول لي: انك اسهمت كثيراً في تقديم الاضاحي والرقص الديني، والفرائض الأخرى، وقد آن الأوان يا بلوتارخ ان تنزع قلادتك الكهنوتية وتتقاعد عن العرافة مقرأً بعجزك بعد ان بلغت من العمر عتياً»

\*\*\*

حتى في هذه العبارات والروايات القليلة، والقريبة من الحقيقة والواقع، يوجد ما يكفي من المواد لتأليف صورة من الحياة البيثية السعيدة نصف الأكاديمية، نصف العملية تنصم بين اقرباء محبين واصدقاء معروفين، وتميل كثيراً الى الدراسات العلمية والاخلاقية، وتتصل مع هذا، بواجبات المواطن العادي واعبائه. وبانتقالنا الى أبعد من هذا، يتعذر علينا طبعاً التسليم بحقيقة مشاهد المحاورات الخيالية واعتبارها وقائع تاريخية. ومع هذا ففيها الكثير مما يمكن أن يؤخذ مأخذ الصدق في التصوير إن جاز لنا هذا القول. وربما وجد الكثير مما يمكن أن يؤخذ مأخذ الحقيقة بالحرف، فما يدعى [سيمپوزياك أو مسائل ما بعد العشاء] المجموعة في تسعة كتب مهداة الى «سوسيوس سينشيو» قيل لنا أن كثيراً منها جرى بحثها بحضور [سوسيوس] ومشاركته في روما وفي بلاد اليونان كأن يكون هذا مدعواً الى حفلات زفاف [اوتوبولس]. ويظهر [لامپرياس] واخوه [تيمون] كثيري النشاط والحيوية في المناقشات، لكلّ منهما شخصيته واراؤه المستقلة. ترى المشهد الآن في دلفي، ثم تراه في اثينا وأحياناً يكون روما وهو نادر ويكون أناً بمناسبة إحياء الالعب. وكان بلوتارخ بسبب وظيفته الكهنوتية بقيم الولايم على شرف الشاعر الفائز في الالعب [البيثية]. وهناك وليمة عشاء بمناسبة الالعب [الاستمية] في كورنث، وهناك حفلة أولمبية أخرى في [ايليس Elis]... كان بلوتارخ مواطناً اثينياً بالموالاة للقبيلة الليوننتية - ولذلك تراه موجوداً في مناسبة تكريم صديقه الشاعر الفيلسوف [سيراپيون Serapion] لفوزه. إن الاشخاص الذين شاركوا في احاديث مختلف المحاورات الصغيرة، يؤلفون زمرةً واحدة مترابطة فهم أكثر من ثمانين بين فلاسفة ونحويين وبلغاء، واطباء، منهم [يوتيدموس Euthydmus] زميله في الكهنوت و[الكيسون] حموه، وأربعة أو خمسة من اقربائه بحكم المصاهرة و«فافورينوس Favorinus» فيلسوف [آرليس Arles] في [پروفنس Provence] الذي لقي حظوة عند [هادريان] في ما

---

(١١) وهي فترات متعددة لأربع سنوات. كل مرة تنقضي بين احياء الالعب البيثية كالالعب الاولمبية.



بعد، والى هذا الامبراطور اهدى واحدةً من رسائله، فأجابه بمقالة اسمها «پلوتارخوس» وهي تدور حول الفلسفة الاكاديمية. تجذ سيرابيون يستضيف هذه النخبة في بستانٍ على ضفاف نهر چيفيسوسوس Cephisus ثم تراهم يتناولون عشاءهم مع طبيب صديق على مرتفعات [هيامبوليس Hyampolis] ويتقابلون في حفلة بحمامات [ايدپسوس Aedepsus] وفي هذه المجالس كانت تبحث شتى المسائل، تجدها أحياناً جديّة أخلاقية نحوية تاريخية.

وفي احيان كثيرة تجدها مرحلة فكاهية: ماذا يقصد افلاطون في قوله ان الآلهة تستخدم الهندسة؟ لماذا يكون سمعنا أحد في الليل منه في النهار؟ لماذا تكون الأحلام أقل انطباقاً على الواقع في موسم الخريف؟ ايهما وجد قبل الآخر: الأبيضة أم الدجاجة؟ أي يد من يدي ثينوس جرحها ديوميديس Diomedes؟ وهكذا. وينبري [لامپرياس] الجدّ ليعتب على ابنه والد پلوتارخ دعوته عدداً كبيراً من الضيفان للحفلات التي «اقمناها عند عودتنا الى الوطن من الاسكندرية». ويقيم [امونيوس] ستراتيجوس (جنرال) اثينا، مأدبة عشاء للفتيان الذين برزوا في مسابقة المهارة في النحو والمنطق والهندسة والشعر، وتروى حكايات في هذه المناسبة حول الأبيات الشعرية التي أسيء اقتباسها في المناسبات أو لم يُسأ.

ومن الآثار الثانوية الأخرى التي تركها المؤلف. ما يبدو بعضه وكأنه دروس ألقيت في روما. ثم نشر بعدئذ بمقدمة صغيرة للأشخاص المعنيين، وعندنا مقولة في «الفوائد التي يمكن ان نجنيها من أعدائنا» موجهة الى كورنيليوس پولكر Corniluis Polker ومقالة عن «القَدْر» مهداة الي [بيزو Piso] وعن «الحب الأخوي» مهداة الى [نيغرينوس Nigrinius] وكوينتوس Quintus، وكثير منها محاورات ومناقشات فيها قدر كبير من المشاهد المتماثلة المتنوعة والاحاديث الضاحكة التي تتخلل مناقشات المائدة.

في حديث مع امونيوس وأصدقاء آخرين «منذ عهد بعيد، عندما كان [نيرون] في بلاد اليونان»، جرى النقاش في معنى الكتابة الغربية المنقوشة على معبد دلفي. نحت فيه حرفا E و A. وجرى بحث في طبيعة العرافة بمناسبة قيام بعض اصدقاء پلوتارخ براءة المباني المقدسة في دلفي لأحد الزائرين - أثناء الفترات التي تخللت الشروح المملّة نوعاًم التي كان الادلاء المحترفون يسردونها أثناء طوافهم بالمواقع المقدسة «حصل ذلك قبيل بدء الألعاب البيتيّة في عهد [كاليستراطوس Callistratus] فهنا في دلفي التقينا برحالتين قدما من أقصى ارجاء المعمورة وهما [ديمتريوس] النحوي، القادم في بريطانيا في طريقه الى موطنه [طرسوس] وكليومبروتوس Cleombrotus الليقديموني الذي عاد لتوه من رحلة ترفيهية ثقافية - الى مصر العليا، بلغ بها نهاية البحر الارتيري». وتبدو ملامح للموضوع، ثم يتبعها محاوراة في

مسألة «انقطاع النبوءات» ويتضمن فقرة فيها القصة المشهورة عن الصوت الذي انبأ بموت (Pan) العظيم. وتجد [اوتوبولس] يكلم [سكولاروس] زميل ابنه في مديح كانا قد سمعاه، لرياضة القنص. معلقين على ذلك بقولهما أن خير مزية تذكر لهذه الرياضة هي انها تنحرف بعيداً بالعاطفة التي تجد منطلقاً لها في مشاهدة قتال المصارعين، وتأخذها الى سبيل أقلّ بشاعة وهمجية. ثم يبرز في النقاش حالاً زمرة كبيرة من الفتیان المغرمين بصيد السمك وقنص وحوش البرية، ويقوم متكلمان ليطحرا على بساط البحث موضوع: ايهما أوفر حكمة وعقلاً، أحيوانات البحر أم حيوانات البر. وتروى في الجلسة حكايات عن الفيلة. ويقص ارسطوطيموس Aristotimus المدافع عن تفوق حيوان البر مستشهداً «بكلب يُقلد تأثير مسرى السم في الجسم» في مشهد تمثيلي رآه بأَم عينه في روما. كان التمثيل متقناً بحيث هزّ مشاعر الحاضرين ومنهم الامبراطور الشيخ (فسيسبان) في ملعب (مارچللس Marcellus) وإنك لتكاد تحسّ من لهجة العبارة كأن بلوتارخ لا ارسطوطيموس هو الذي شاهد المنظر<sup>(١٢)</sup>.

ويظهر (اوتوبولس) مرة أخرى في محاوراة عنوانها «عن الحب». كتبت تحقيقاً لرجاء صديقه فلافيانوس Flavianus وهو حديث طويل تتخلله حكايات غريبة، شارك فيه والده وهو في جبل هيليكون Helicon «منذ زمن بعيد قبل ان نولد، وعندما جاء بأمننا لتقدم قرباناً (للحب) في عيد اقيم [بنسبايي]، بعد نزاع نشأ بين أبويهما».

إن هذا الخصام لم يكن تخريفاً بل حقيقة واقعة. وعلى وجه العموم فإن هذه الإطارات الموضوعية التي تؤلف هيكل حركة المحاورات الخيالية منها وشبه الخيالية، فيها عناصر من الواقع قد ترقى الى الحد الذي يمكن اعتبارها من قبيل الاحداث التاريخية المسلم بها حصلت للمؤلف كما أوردها الكتاب المتأخرون، وإن لم يكن يقصد بها في الواقع أن تؤخذ بشكلها الحرفي، وان يعتبر نصّها حقيقة. بأن «سويداس Suidas» الموسوعي إنما يسرح في خيالٍ بحث عندما يقص علينا كيف خلع «تراجان» عليه منصب القنصل، وأصدر اوامره الى جميع حكام «ايليريا»؛ بالآ يقدموا على عملٍ قبل استشارته! وكان «سينكللوس Syncellus» المؤرخ البيزنطي يبالغ مثله بل أكثر منه في ذكره تحت فصل وقائع سنة من سنوات حكم (هادريان)

(١٢) وينوه هنا بعض تنويه بطباع فسيسبان المتميزة بالقسوة والوحشية. في قصة عنه أوردها في محاورته عن «الحب الأخوي» عن [سابينوس] الثائر [الغالي] وزوجه ايبونينا Eponina. وقد ذكرها تاكيتوس أيضاً في تاريخه. كان قد ولد لهما في مخابهما تحت الأرض ولدان - فقد اختفيا وعاشا تحت اطباق الأرض عدة سنين حتى أفتضح امره وقتل)، يقول بلوتارخ: «احد هذين الولدين كان معنا هنا في دلفي قبل فترة قصيرة». ثم يزيد معلقاً: «ان انقراض نسل فسيسبان يعود الى غضب الارباب لعمله هذا المجرد من الشعور والرحمة».

الأولى، ان بلوتارخ الفيلسوف الخيروني، اقامه الامبراطور في اواخر عمره حاكماً على بلاد اليونان. ومع ان عهد [تراجان وانطونينوس Antonines] كان بمثابة العصر الذهبي للفلاسفة فقد بدا وكأن فترة اضهادهم القصيرة وعهد (دوميتيان) أكسبتهم مدة من الزمن مكانة روحية سامية شبيهة بما نالوا بعد حكم [ديوقلتيان]. على ان هذه المنزلة انتزعت منهم بمجهود كهنة الدين الجديد.

هنالك رسالة وردت بين مؤلفات بلوتارخ المطبوعة تتضمن مجموعة من «اقوال الملوك والقادة» مهداة الى (تراجان) ومع وجود شك كبير حولها، فليس بمستبعد ابدأ أن تكون من تأليف بلوتارخ نفسه. وهي ليست مما يستوقف النظر، وأكثر ما يلاحظ فيها، اختلاقتها الشديد في الاسلوب عن رسالة أخرى لايشك في انها منحلّة - نشرها باللاتينية جون السالسبوروي Johan Salisbury وهي موعظة حافلة بالوصايا الى «التلميذ تراجان بقلم معلمه السابق المزعوم بلوتارخ ولدينا قائمة بمؤلفات بلوتارخ، كثير من الاسماء التي تتضمنها لا وجود له الآن. يقول [سويداس] كاتبها، انه نقلها عن الامبرياس ابن بلوتارخ. كذلك يوجد رسالة قصيرة وضعت في مقدمة تلك القائمة. وجهها بلوتارخ الى صديق تعرف به في آسيا، وكان قد كتب اليه من موطنه يطلب معلومات معينة. قد تكون القائمة صحيحة إلا ان اسم «لامبرياس» لا يظهر قط في كل مؤلفات بلوتارخ بوصفه ابناً من ابناؤه. ولايسعنا إلا ان نشك بأن اسم الأسرة هذا، قد انتحله بعضهم، وان هذه الرسالة الى الصديق المجهول الآسيوي الفها احد النحويين في عصور تالية، قاصداً رفع قائمة عادية لأسماء آثار المؤلف العديدة.

اذا قرأ المرء بلوتارخ فعليه ان يتذكر النقاط التالية: إنه أخلاقي أكثر منه مؤرخاً واهتمامه بالطبائع والشخصيات والأعمال الفردية والدوافع الخاصة الى تلك الأعمال أكثر بكثير من اهتمامه بشؤون السياسة وبتغيير الامبراطوريات. فعنده ان الواجب يؤدي فيكافأ عليه مؤديه. والكبرياء تنال جزاءها، وسرعة الغضب سيئة يجب تقويمها. والنزعة الانسانية والانصاف والسماحة تنتصر في الحياة الدنيا. او تعوض في الحياة الأخرى وانك لترى فكر بلوتارخ في سيره - يتجه دائماً الى الآراء الارسطية في الاخلاق، ونظريات افلاطون السامية التي كانت مذهب الطبقة المثقفة في عصره.

هذا العصر هو نقطة ثانية يجب ان يتذكرها القاري،، انه عصر [نيرون وتراجان وهادريان]، انه مفتتح خير العصور واسعدها من عمر الامبراطورية الرومانية العظمى، بنظامها الاجتماعي الذي ساد سواحل البحر الأبيض المتوسط كافة (وكانت ايطاليا واليونان مركزاه، والشرق وأقصى ما عُرف من بلاد في الغرب طرفاه) فقد وصل أعلى درجة من التقدم والكمال وسادت

قوانين روما وفلسفة اليونان رقعة من الأرض تمتد من نهر دجلة حتى الجزر البريطانية انه آخر العصور العظيمة للحضارة الرومانية - اليونانية، ولقد كان [إبيكتيتوس Epictetus] يعلم باليونانية الحكمة التي امتاز بها [ماركوس أوريليوس] عندما غدا امبراطوراً. وأعاد [ديو خريستوسم أريان Dio Chrysostom Arrian] للأذهان ذكر بلغاء [آتيكا] المشاهير الأعلام، ومؤرخيها العظام. وفيما تجدد پلوتارخ يكتب من [خيرونيا]، كان [تاكسيستوس وپليتي الأصغر، ومارشبال، وجوفينال] يكتبون في روما. قد يقال أيضاً - وربما لا يخلو القول من صحة - أن كتاب اللاتين في العاصمة لم يكونوا في نقل الروحية والطابع العام اللذين يميزان ذلك العصر - بمستوى صدق قلم هذا البويوتي الريفى الساذج الذي كان يكتب بلغة أوسع انتشاراً، غير متقيد باي ذكريات قوية محلية لمجلس الشيوخ العتيق وللجمهورية. وربما وجدت تاكيستوس وجوفينال «أكثر أصالة رومانية» من احد مواطني امبراطورية البحر المتوسط العظيمة لأن شروق حكومة الامبراطورية كما يشعرون بها في العاصمة، صورت في الشعر والنثر الرومانيين تصويراً أدق وأقوى مما يناسب الهيئة العامة للدولة، كما تراها عيون سكان عالم الامبراطورية حتى في عهد حكم (دوميتيان) نفسه.

وهذه الأخيرة، على أية حال الناحية الأكثر هيبة؛ وان أفضل العهدين واحسنهما هو ذلك الذي تعكسه حياة بلوتارخ وكتاباتة، فأسلوبه أسلوب ذلك الرجل السعيد بذاته الراضى بما قسم له واحاط به.

إن الذكريات القوية الغالبة لأحداث السنين الماضية التي مرت تحت ظل الإرهاب المباشر، الناجم عن شروق الحكم الامبراطوري لم تنتقص من طبيعة بلوتارخ المستبشرة الضاحكة ولم تجرده من بساطته المرحية ولم تشب سعادته بظل من الأسى. ومع أنه كان يتذكر (نيرون)، وكان رجلاً عندما اعتلى [دوميتيان] عرش الامبراطورية، فكلما يسعنا قوله انه كان يكشف عما يجوز لنا وصفه بالسعادة الهادئة، لمن خرج من شر عظيم ليعيش في ازمان طيبة. وان قوة تلك السعادة التي يبديها، لدليل على ان جذورها كانت قد تأصلت في ظروف غير موآتية، ولا طيبة.

قيل الكثير عن عدم دقة پلوتارخ، ولا ينكر أنه كان قليل الاحتفال بالأرقام يناقض أقواله بنفسه أحياناً، وأعظم منقصة تؤخذ عليه هي تعلقه الشديد: بالحكايات، اذ لم يكن يعبر عن ايراد القصص التي كان هو اول المدركين زيفها. ومن شأنها ان تخلف انطباعاً غير منصف عن راويها. وهو بهذا الطريق لم ينصف كلاً من [ديموستينس، وپريكليس] اذ ورث عن افلاطون تحامله على ثانيهما، وهو التحامل الذي طبع به جميع الفلاسفة المتأخرين ومنهم بلوتارخ.

صحيح ايضاً أن معالجته اللاتاريخية لمواضيع سيره تجعله يبدو أحياناً غير دقيق، بل موضع انتقاد في الصور التي يرسمها. وما هو طبيعي أن الجانب الكبير من حياة رجال الدولة العامة يمكن أن يجد تفسير في وضعهم السياسي. إلا أن بليوتارخ قليلاً ما فكر في هذا، أو عرف. فيقدر ما نبحث أبحاث المؤرخين المعاصرين في اكتشاف أمورٍ عن مثل هذه العلاقات، كانت هذه السير نحتاج إلى تصحيح. ولكن يكون من المناسب، بل من المفيد العودة إلى الصورة التي رسمت قبل أن تسود الأفكار الجديدة والنظرات الحديثة عالمنا الحالي حول الغموض الذي يعتبر ولا شك الدراسات الحديثة أن لم نرجع إلى أحكام قابلة للأخذ والردّ كهذه. وإنما بمجرد القياس على المبادئ الواسعة لقانون الأخلاق القديم في التفريق بين الخطأ والصواب.

وبغضنا بعض الطرّف عن الأمور التي اتينا إلى ذكر طائفة منها. وبصبرنا قليلاً على قصة حب فيها شيء من المبالغة، ويتجاوزنا عن عداءٍ شبه ديني للقادة الديموقراطيين الذين سخط عليهم افلاطون وإذا ما وضعنا في حسابنا أيضاً، أن الحكايات من أمثال ما أورده عن [تيسوس] يصعب جداً فصل الجانب الاسطوري منها عن الجانب الحقيقي كما أقرّ هو نفسه. امكننا القول أن القراء على مختلف أعمارهم سيجدون في تاريخ بليوتارخ سيراً أميناً، مثقفة لحياة عظماء الرومان واليونان. وإذا كان من العيب حقاً أن نفكر بصدور سيرٍ أمين في عصر بليوتارخ، فلدينا هنا على أية حال سجل أمين للوقائع التاريخية كما أرادها عصره. وهو ما أحبّ اليونان والرومان أن يعتقدوه عن محاربيهم وساستهم الغابرين. أما كصورةٍ فهي تعتبر خير نسخة لوجهات النظر الخلقية الرومانية واليونانية، ولآرائهم في مبادئ الأخلاق. أما وانها تمثل حصيلة الفكر الأدبي الروماني - اليوناني، كتبت لا تحت ضغط نكبة وإنما في جوّ اعتيادي مطمئن هو جوّ الحياة الهادئة البسيطة الواقعية لسكان الريف وهم يزاولون شؤون عيشتهم اليومية - هي بلا جدال ذات قيمة عظيمة. ويمكن القول أن الطبع الذي أظهره كاتبها ينطوي على سماحة وبشرٍ ووداد ذي سحرٍ طبيعي غير مجلوب بتطرية، ولا يمكن أن يرقى إليه أي كاتب من الكتاب الكلاسيين الذين وصلتنا آثارهم.

وهذه الترجمة الانكليزية هي نسخة منقحة للترجمة المطبوعة في أواخر القرن السابع عشر من تاريخ حياة بليوتارخ بقلم [درايدن Dryden] الذي أريد أن يُضفي اسمه الداوي أهمية ويلقى نوراً ساطعاً على أولئك الكادحين الخاملين الذكر الذي انجزوا القسط الأوفى من نقل هذا الأثر حسناً كان نقلهم أم سيئاً. وبطبيعة الحال يوجد تفاوت كبير في مجهوداتهم غير أن الترجمة التي عملها [لانگهورن Langhorne] في أواسط القرن الماضي هي والحق يقال اضعف كثيراً من الترجمة الأولى وأقل منها حيوية بمقدار كبير. انها لترجمة مملة ثقيلة الوقع

على النفس تعوزها الطلاوة، لذلك ولعدم وجود ترجمة جديدة أصيلة - فيؤمل ان يكون أحياء الترجمة الأولى الذي نحاوله الآن ذا فائدة. وما كانت الحاجة لتدعو الى ذلك لو أن مستر لونغ... لم يقصر تعليقاته النفيسة جداً التي علقها هناك، على السير الخاصة بالحروب الأهلية الرومانية في السلسلة التي طبعها بمنشورات مكتبة [نايت شيللنغ].

والحياة التي صنفها درايدن لبلوتارخ هي مثل كثير من كتابات هذا الأديب، سريعة التأليف، لكنها جيدة السبك. تفتقر الى الدقة لكنها شيقة طليّة. أما السيرة التي كتبها (داسيه) وطبعها في آخر مجلد من الترجمة الفرنسية التي عملها للسير، فهي جيدة جداً من نواح شتى. أما المواد التي أعتمدها الاثنان فقد استمدها من معين واحد، وهي المراجع التي توفر الى حجمها [روالدوس] عند كتابته سيرة بلوتارخ، التي تعب فيها كثيراً، ونشرها ملحقاً من نشرة باريس الوثائقية القديمة للعام ١٦٢٤. على أن كل ما هو ذو قيمة في التراجم المذكورة إنما استمدت من المواضيع المتوفرة «في المكتبة اليونانية لغابريشوس Bibliotheca Graeca (Fabricius) وفي الموسوعة الألمانية لپاول، مع آخر الإضافات. وواضح أيضاً أن الكثير مما هو مفيد، موجود في الحوليات الرومانية Fasti Romana بقلم كلنتون Clinton وقد اقتبسنا منها الجدول التالي.

ملاحظة: الكتاب الذين وضع في نهاية اسمائهم نجمة هم يونانيون.

\*\*\*

التاريخ (ميلادي)	الواقعة التاريخية	اسماء كُتّاب الفترة
٤١	اعتلاء كلودبوس	سينيكا
٥٤	اعتلاء نيرون، نيرون يزور اليونان،	
٦٦	تنويه بذلك في محاورة بلوتارخ عن حرفي E وا في دلفي).	لوكان
٦٧	نيرون يحتفل بالالعاب الاستمية (تنويه بذلك في سيرة بلوتارخ عن فلاقيوس)	بيرسيوس
٦٨	«غالبا» أمباطوراً. الحروب الأهلية.	
٦٩	فيتيلليوس. اوتو. فسپسيان.	
٧٠	الاستيلاء على أورشليم	

اسماء كُتَاب الفترة	الواقعة التاريخية	التاريخ (ميلادي)
	الفلاسفة يُنفون من روما .	٧٤
	مقتل «سابينوس» الغالي. موت فسبسيان.	٧٩
	واعتلاء تيطس. موت بليني الأكبر. ثورة بركان فيزوف. تنويه بلوتارخ بهذه الظاهرة الطبيعية باعتبارها حدثاً قريباً لعهدده في محاوراته « عن السبب في ان الوحي لم يعد ينزل شعراً » ؟	
كونتيليان*	اعتلاء «دوميتيان»	٨١
ستاتيوس	الفلاسفة ينفون ثانيةً من روما بعد مقتل	٩٠
سيلبيوس	«روستيوكوس»	
إيتاليكوس مارتياي	اعتلاء «نرفا»	٩٦
ديوخريسوستم*	اعتلاء تراجان	٩٨
[ولد في حدود ٦٠م]	تقريب بليني	١٠٠
بلوتارخ	إبيكتيتوس يعلم في نيقوبوليس. أريان احد الذين يحضرون دروسه.	١٠٣
إبيكتيتوس	بليني في «بشينا»	١٠٤
أريان		
بليني الأصغر [ولد في ٦١م]	تراجان يشتهي في الدانوب	١٠٦
جوفينال [ولد في ٥٩م]	(بلوتارخ يشير إليها في مقالته - مبدأ البرودة)	
فأورينوس*	إقامة عمود تراجان	١١٣
سيوتونيوس	انتصارات تراجان على الفرثيين (كان بلوتارخ قد كتب سيرته عن انطوني قبيل هذه الاحداث)	١١٤
[ولد في حدود ٧٠م]	اعتلاء هادريان العرش (في السنة الثالثة لحكم هادريان كان بلوتارخ حياً على ما زعمه يوسينوس)	١١٧

التاريخ (ميلادي)	الواقعة التاريخية	اسماء كُتّاب الفترة
١٣٨	اعتلاء « انطونينوس »	بظليموس. أبيان*.
١٦١	اعتلاء ماركوس اوريليوس	پاوسانياس*.
١٨١	اعتلاء كومودوس	چاليتون. لوشيان*. اثناؤوس*. ديون كاسيوس*

إن الخطأ الذي وقع فيه كل كتاب سيرة بلوتارخ ابتداءً من [روالدوس] فنازلاً، هو افتراضهم الواهم أن بلوتارخ قضى سنوات عديدة من حياته في روما قد تبلغ حوالي الأربعين. وبسبب هذا الوهم حورت حياته برمتها تحويراً جوهرياً. ولذلك ليس ثم جدوى في إيرادنا هنا سيرته التي كتبها [درايدن] وضمها الى هذه الترجمة التي نقحناها وأجرينا عليها، تعديلات قلت أم كثرت هنا وهناك. ويكفي أن نورد هنا مقتبساً أو اثنين من تلك السيرة. أولهما قد يلقي بعض الضوء على موضوع غامض بعض الشيء للقاريء العصري: كان (درايدن) مخطئاً في تعليل أو تعليلين لا أهمية كبيرة لهما. إلا أن وجهة نظره العامة في عقيدة الأرواح الشريرة Daemonic التي تظهر في كتابات بلوتارخ، قد تفي الى حد ما بالغرض. قال درايدن: «بامكاننا ان نتأثر خطي باقي ارائه، من فلسفته التي قلنا انها افلاطونية على العموم، وان لم يكن هناك مجال للانكار أيضاً وجود صبغة من العقيدة الايلكتية<sup>(١٢)</sup> فيها تلك العقيدة التي بدأت بداعيتها [پوتامون Potamon] في عهد امبراطورية أغسطس. والتي اختارت من كل العقائد الأخرى ما هو في رأيهم أكثر مناسبة وعقلاً غير مقيمين على عقيدة معينة واحدة. غير رافضين كل شيء ما عداها. واني سأتصدى هنا لعقيدة الأرواح فقط. ففي رسالتي بلوتارخ: «عن اسباب انقطاع النبوءات» و«عن عدم نزول الوحي شعراً، كما كان ينزل في السابق» يبدو أنه من مؤيدي المذهب الفيثاغوري في انتقال الأرواح من حال الى حال. لقد بينا آنفاً أنه يؤمن بوحدة رئيس الأرباب الذي يسمى بعدة أسماء حسب صفاته. فهو جوبيتر من سلطانه اللامتناهي وهو اپوللو من حكمته وهكذا دواليك. إلا أن بلوتارخ يضع في الدرجة التي تلي جوبيتر، تلك المخلوقات التي يطلق عليها اسم ديمون أو الجن. وهي كائنات ذات طبيعة متوسطة بين الإله والانسان، لأنه كان لا يتصور وجود ثغرة بين الطرفين القصيين: المخلوقات الخالدة والمخلوقات المائتة. وانه لا يمكن أن تبقى الطبيعة مثل هذه الشجرة

(١٢) ويقصد بها [الكلكتية] وهو الأسم الذي تعرف به الآن Eclectic.



الواسعة مفتوحة دون ان تملأها بنوع وسط من الحياة يمت الى كل الطرفين القصيين. اذن فالاتصال بين النفس والجسد انما يتم فحسب عند الارواح الحيوانية كما نجد ذلك الاتصال بين العالم الالهي والعالم الانساني يتم بهذا النوع المتوسط بينهما الذي سميناه [ديمون]. فهؤلاء «الجن» كانوا في مبدأ أمرهم بشراً، اتبعوا طريق الخير والصلاح وتساموا في الفضائل حتى انسلخوا عن اجسامهم البشرية وتخلصوا من اوضاع وجودهم الأرضي وارتقوا الى مرتبة «الجن» هذه. وهنا اعترضهم أحد أمرين، إمّا أن يستمروا في التسامي والارتقاء في سلم الحياة الأثيرية ببقائهم محافظين على طهرهم وصلاتهم، أو ان يسقطوا مرة أخرى ليعودوا الى الجسم البشري الميت ويتقمصوا اللحم والعظم بفقدهم تلك الظهارة التي هي اساس كينونتهم الأثيرية. هذا النوع من الجن هو الذي انيط به أمر انزال الوحي والعرافة بحسب رأي پلوتارخ. إن الارواح التي تحلّف فيها الكثير من عناصرها الأرضية، تكون عرضة للتأثر العاطفي، وتلعب بها الالهواء البشرية. وهي في العادة تأثيرات خيرة طيبة. وقد تكون أحياناً شريرة ضارة بالناس. وتتفاوت بين هذين المقياسين على قدر ما تكون فضائل تلك الارواح سامية، أو بقدر ما تتزايد سقطاتها وهفواتها لتتحدّر بالتدرّج الى حالة البشر وتكون عرضةً للموت والفناء وهو يعزو انقطاع الوحي أو بالأحرى تناقصه (لأن بعض تلك الارواح كان موجوداً حتى ايام پلوتارخ) إمّا الى فناء هؤلاء الجن كما يبدو ذلك من رواية [ثاموس Thamos] المصري الذي أوحى اليه أن يعلن موت الرب العظيم (پان). وإمّا الى مغادرتهم الموضوع التي كانوا قد اختاروها للوحي حين طردتهم منها طائفة من الجن أكثر قوةً منهم وفتهم على إثر تلك الثورات التي استمرت تحدث منذ عصور سحيقة. ومن امثال تلك الثورات الحرب التي نشبت بين الجبابرة والأرباب. وطرده (ساترن: زحل) بأمر جويتر. ونفي اپوللو من السماء، وسقوط قولكان... وغير ذلك كثير. وكلها في رأي المؤلف معارك تجري بين هؤلاء الجن (الديمون). ولكن لنفترض (ونرجح ان پلوتارخ فعل مثلنا) ان هؤلاء الجن تولوا أمور البشر تحت رقابة الكائن الأعلى. فعاونوا الاخيار، واقتصوا من الاشرار. وأحياناً حلّوا في أسمى البشر نفوساً، كما كان جن سقراط يُنذره دائماً بمكان من الخطر ويعلمه كيفية اجتنابها. ولا يسعني إلا أن أعجب من كل كاتب لحياة پلوتار، ابتداءً من روالدوس بصورة خاصة وهو أوسعهم اطلاعاً بها، كيف أكدوا عن ثقة أن الوحي إنّما يتأتى من الأرواح الشريرة، ان تفكيرنا كمسيحيين ينصرف الى هذا الاستنتاج طبعاً. أما ان يكون هذا رأي پلوتارخ، فهو خطأ فاضح لا وجه للاعتذار عنه. ويكفي لإقناع رجل سوي العقل أن نذكر بأن مؤلفنا في اواخر عمره كرس نفسه للقيام بالفرائض الدينية في دلفي وأن نعلمه أيضاً انه مات وهو كاهن لأپوللو. ولنا أن نحكم

مطمئنين انه لم يصب بشيء من الخرف في عمره المتقدمة جداً من محتوى الرسالة التي كتبها بعنوان «ان الرجال المتقدمين في السن يجب ألا يحجموا عن تولي الأعمال العامة». والآن يجب علينا أن ننبذ فكرة انه كان يرى في الرب الذي يخدمه: كأكوديون أو شيطاناً كما نسميه نحن. فلا شيء أبعد عن رأي وممارسة هذا الفيلسوف الجليل من هذا الإثم والفسوق. وإن قصة «بثياس» أو كاهنة أبوللو وهي القصة التي اختتم بها رسالته عن انقطاع الوحي، تدعم تأكيدي هذا أكثر من ان تدحضه. فقد راحت الى المعبد... «دَخَلْتُ بتردد عظيم الى الموضوع المقدس لتتلقى الوحي ثم خرجت مزيدة الفم جاحظة العينين في صدرها زحير وصوتها حاد النبرات لا يفهم منه شيء. حتى لكأن زلزالاً يزلزل في جوفها. تجاهد لالتقاط انفاسها وتلهث. وبمختصر القول فقد كان الرب يشغل على نفسها ويضاحمها ولم تكن قادرة على احتماله حتى ماتت عذاباً وهي بليدة الحواس، بعد ايام قليلة». كان بولتارخ قد ذكر مثل هذه الحادثة ان الكاهنة يجب أن لا تكون مضطربة الفكر نجسة العاطفة، ساعة نزول النبوءة عليها. فاذا كانت حالتها هذه، فإنها لا تصلح قط لتلقي الوحي. مثل آلة الطرب التي لم تحرق اوتارها حزناً صحيحاً فانها لا تخرج النغمات الصحيحة المتناسقة. وقد ذكر في نهاية هذه القصة ما تركنا نشك في «ان هذه الكاهنة لم تعش عيشة طهر وعفة مدة من الزمن قبل اوان الوحي. لذلك بدأ موتها عتاباً فرضه عليها سلطان أعلى لعيشة الفجور التي عاشتها، أكثر منه عملاً شريراً لروح تستمتع بالشر للشر فحسب». هنالك ملاحظة أخرى أقرب الى الفرض في الواقع. وسأنحرف عن موضوعي لأرويها لأنها تتعلق ببعض الشيء ببلاد بريطانيا. يقول بولتارخ: «هناك عدد كبير من الجزر الصغيرة منتشرة حول بريطانيا مثل انتشار جزر [سبورادس Sporades] حول بلادنا. كانت خالية من البشر وبعضها يسمى بجزر الجبابرة أو الجان. أرسل الامبراطور شخصاً يدعى (ديميتريوس) لاستكشافها (لا بد أن يكون الامبراطور كاليگولا أو كلوديوس<sup>(١٣)</sup> بحساب الزمن) فبلغ الرحالة احدى الجزر المجاورة لمجموعة الجزر المجهولة. وكانت مأهولة بقليل من البريطون (كان سائر بين قومهم يرهبونهم وينزلونهم منزلة القداسة) وما ان احتوته الجزيرة حتى اظلم الجو واضطرب وظهرت اشباح غريبة فيه. وأثارت الريح عاصفة هو جاء وظهرت سحب بلون ناري ودوامات ريح ترقص متجهة نحو اليابسة. وبعد ان زالت هذه المظاهر العجيبة اعلمه سكان الجزيرة بان أحد الكائنات الأثيرية التي هي اسمى من بني جلدتنا البشر، قد توقفت عن الحياة وتلاشت. فهؤلاء الجبابرة كالشمعة، في حياتها تعطي ضياءً جميلاً نافعا أثناء اتقادها. ولكن يشور ثاثرها وتضج وتقلب شراً ووبالاً

(١٣) في زمن متأخر عن هذا بكثير دون شك.

عندما تدنو من النهاية ويخبو ضياؤها. في حياتهم يضيئون لنا وينعمون علينا بالخير والبركة. ولكن ما ان تدركهم ساعة الفناء حتى يقلبوا الدنيا عاليها سافلها ويشيروا العواصف ويفسدوا الجو بالأيخرة القتالة. ما من شك في أن المؤلف يقصد بهؤلاء المخلوقات ما عرف عندنا با (درويد Driud) الذين هم أقرب الى الفيثاغوريين من اي طائفة أخرى. وقد يكون فكرة الجن هذه، واحدة من عقائدهم على أنه ليس من الأكيد ان كلّ «الجن» اشراراً على هذا القياس. والاشرار منهم هم أولئك الذين قضى عليهم ان يتقمصوا الأجسام البشرية بسبب سوء تصرفاتهم وهم في حالتهم الاثيرة... ولكن حان الوقت لتخلف موضوعاً حافلاً بالخيال والخرافة خالياً من المعقول. واني لأهم بان اتصور الأبخرة الطبيعية والغازات المتصاعدة من الكهف حيث كان المعبد قد بني. ربّما هي المؤثرة على نفوس كل من يدخله. كما اثرت على الراعي (كوريتاس Coretas) الذي كان اول من أكتشفها بمحض الصدفة وعزاها الى حماسة النبوءة، ورعشات وحيتها. حتى انه لما تضاءلت قوة هذه الأبخرة وكانت عادة تتجمع في الكهوف: ككهف مويوس، وتروفينيوس، ودلفوس) صار الوحي يتناقض بالقياس نفسه وصادف ان كانت أقوى من العادة عندما قتلت كاهنة بيثياس التي شعرت بحقيقة الأمر فامتعت عن الدخول. أما وان الوحي لم يعد ينزل بصيغة شعرية فلأن الشعراء عافوا مهنة الكهانة. وان جني سقراط (وقد اقر سقراط أنه لم يره قط بل كان يسمعه من جوفه ولا يحس به الآخرون) فهو ليس إلا مظهراً لقوة خياله، أو هو «ملاكه الحارس» اذا استخدمنا التعبير المسيحي الافلاطوني. إن الفقرة الأخيرة من سيرة حياة المؤلف قد تصلح خاتمة لهذه المقدمة قال درايدن: «والآن والكبرياء والتعظيم الذي تعودته كتاب المقدمات الهولنديون، يمكننا ان نقلد مؤلفنا آيات المديح والثناء. ذلك لأن الكتاب القدماء منهم والمحدثين، ذكروه بالتجلة والتكريم. لكن ملء الصحائف بهذا النوع من البضاعة من شأنه أن يشيع عدم الثقة في نفس القاريء فيتوهم أن پلوتارخ هو بحاجة الى هذا، إن روالدوس على أية حال جمع الوافر من هذه الأقوال ومن جمع لهم سأذكر فحسب اسماء جيليبوس ويوسيفوس وهيميريوس السوفسطائي ويونايبوس وكيريللوس الاسكندراني وثيودوريت [جوهانس ساربرنسس Sohannes Sarieberiensis] وپترارك الشهير وپطرس فكتوريبوس وجوستوس لپسيوس.

إلا ان [ثيودوروس غازا]، وهو رحل واسع الاطلاع في اللاتينية ومن أعظم النقلة الأغريق الذين عاشوا قبل أكثر من قرنين، يستأهل منا أن نشبت له هنا تقریظاً الحرفي، فالآخرون اجزلوا الشناء على پلوتارخ دون الآخرين، في حين ان هذا الباحث رفعه على الجميع واليك ما كتب:

« قيل ان أحد أصدقائه طرح عليه هذا السؤال المغرق في الخيال والمبالغه: اذا تعرض التراث الفكري كله الى خطر الغرق، فأعطي له حق خيار واحد باستنقاذ آثار مؤلف واحد، فمن سيقع عليه أختياره؟ فأجاب: اختار بلوتارخ. ولعله معذور في قوله هذا. اذا بانقاذ آثار هذا المؤلف يكون قد حفظ خير مجموعة منها...»

إن مديح [اغاثياس Agathias] هو الآخر يستحق تنويهاً، لقد نبغ هذا الكاتب في حدود المائة الخامسة للميلاد على عهد الامبراطور جُستينيان والابيات المذكورة في «الشذرات الأدبية Amthologia» وترجمتنا لها هنا أختم على كاتبنا. ولا يفوتني التنبيه بأنها نظمت لتنقش على تمثال يقيمه له الرومان احياً لذاكره.

يا بلوتارخ الخيروني، ان تمثال الشكر هذا، اقامته روما ذات المجد العسكري العظيم تكريماً لذكراك الخالدة. فهي وبلاد اليونان شاركتا في شهرتك معاً. (فلقد كتبت سير اباطلها وقارنت فيما بينهما).

لكنك لم تستطع انت ان تكتب سيرتك، ان لسيرهم اقراناً اما سيرتك فما لها قرين.

ثبت بالترجمات

النص الأصلي: الطبعة الأولى (طبعة فلورنسا. آب ١٥١٧) الطبعات التالية. [شيفر Shafer] ١٨١٢-١٨١٨ و ١٨٢٥-١٨٣٠، [سنتينس Sintenes] ١٨٣٩-١٩٤٦ و ١٨٨٤-١٨٨٨. [دوينر Doehner] ١٨٤٦-١٨٥٥. [بكر Bekker] ١٨٥٥-١٨٥٧.

الترجمات: سر توماس نورث Sir Thomas North، من النص الفرنسي المترجم بقلم [جيمس أميو James Amyot] في ١٥٧٥ و ١٥٧٩ و ١٥٩٥. (مع سير اضافية): طبعات تالية، وطبعة ١٦٧٦ هي آخر ترجمة كاملة، نشرت بمقدمة لجورج وندهام G. Wind-ham. ثم ترجمة ثيودر في ١٨٩٥؛ بقلم و. ه. د. روس W. H. D. Rouse «معبد بلوتارخ» عشرة مجلدات في ١٨٩٨ و ١٨٩٩؛ منتخبات لشرح مسرحيات شكسبير مع تعليقات وفهرست ابجدي الخ... بقلم و. و. سكيت W. W. Skeat سنة ١٨٧٥ وترجمة لجماعة من الكتاب مع مقدمة لدرايدين في سيرة حياة بلوتارخ (الترجمة تسمى عادة باسم درايدين) ١٦٨٣-١٦٨٦ وهناك طبعات عديدة تالية اهمها تلك التي عملها ونقحها كثيراً [ارثر هيو كلو Arthur Hugh Clough] ١٨٦٤-١٨٧٦. وترجمة [و. لانكهورن W. Langhorne] ١٧٧٠. طبعات تالية: [ف. رانكهام F. W. Rang] ١٧٧٠.

[ham] ١٨٤٦ ، [بوهن Bohn] ١٨٥٣ ، دار كاندوس كلاسيك Chandos Classics  
١٨٨٤ ، دار كاميلوت كلاسيك Camelot Classic (مختارات) ١٨٨٦ ، لوبوك من  
الكتب المائة. رقم ٣٩. ترجمة بقلم [أ. ستيوارت A. Stuart] و[غ. لونگ G.  
Long] ، مع سيرة بلوتارخ. طبعة مكتبة ستاندارد - بوهن ١٨٨٠-١٨٨٢.

الترجمة الانكليزية التي نقلنا عنها ترجمتنا العربية هي طبعة جديدة، لـ[كلو] كما نشرت  
في ١٨٦٤ ، وتتضمن مقدمته الاصلية مع اضافات من عندي نتيجة مراجعات ترجمات أخرى.  
واستطرادات منقولة عن مقدمات أخرى لتراجم انكليزية وفرنسية. أخصّ منها بالذكر  
اصدارات دار نشر پنڀگون بأربعة اجزاء فهذه التي قام ايان سكوت كلڤرت -lan Scott Kil  
vert تناولت جزءً عنوانه «قيام وسقوط آثينا» وتضمّ سير تيسيوس وصولون وتيموستوكلس  
وارستيدس وكيمون وپركليس ونيفياس والكيپاديس ولساندر. وجزءٌ آخر أعطي عنوان (بناة  
روما) تناول فيه سير كلّ من كريلانوس وفاببيوس ماكسيموس ومارچلوس وكاتو الاكبر  
وطيبيريوس كراسوس، وگايوس گراسون وسرتوريوس، وپروتوس ومارك انطوني. وكذلك ظهر  
لعين المترجم مجلد آخر بعنوان (عصر الاسكندر) وضم سير اسخيلوس، وپيلوييداس، وديون  
وديموستينس وفوكيون والكساندر (الأسكندر المقدوني) وديمترئوس وپيروس. أمّا الجزء الرابع  
وعنوانه (سقوط الجمهورية الرومانية) فهو من ترجمة (ريكس وارنر Rex Warner) وتناول  
سير ماريوس وسوللا وكراسوس، ويومپي ويوليوس قيصر وشيشيرون. ويبلغ عدد السير في  
هذا المجلدات الاربعة ٣٣ سيرة من أصل ٥٠ سيرة التي تكمل بها سير المؤلف. وقد ترجمناها  
جميعاً مع التعليقات.



لوحة رومانية تعود الى ٢٠٠ ق.م

تیسوس

THESEUS



ثيزيوس يقتل المينوتور - إناة أتيكى



أي [سوشيوس! سينشيو Socius Senecio] (١)

تعلم اني في كتابي هذا قد فعلت كما يفعل الجغرافيون (٢) حين يجمعون في حواف خرائطهم اجزاء من العالم لا يعرفون عنها شيئاً. فيضيفون حشوداً في الهامش مع هذا التفسير: ان وراء هذا الحد لا يوجد إلا الصحارى الرملية التي تعج بالضواري، وليس غير المستنقعات التي يتعذر اقتحامها، وأراضي الصيبيين [الصقالبة Scythians] المنجدة، والبحر الثلجي» والآن فيتدويني كتاب السير المقارنة، قد أخذت في دباير تلك العهود التي قد يفلح العقل المستنير في بلوغها او اي التاريخ الصحيح موطي، قدم فيها. وبامكاني القول مطمئناً عن تلك الشخصيات البعيدة جداً غداً «وراء هذا لا يوجد غير الأساطير والخرافات، وسكان تلك العهود لا يزيدون عن شعراء ومبدعي أساطير ووراء ذلك لا يوجد شيء حقيقي ثابت». لكنني فكرت بعد كتابتي سيرتي [ليكورغوس] المشتزع، و[نوما] الملك، إن في وسعي الصعود حتى [رومولوس] بعد ان بلغت بتاريخي مرحلة قريبة جداً من عصره - وكان يحدوني الى هذا العمل اسباب وجيهة. ثم سألت نفسي كما تساءل [أسخيلوس]: «بهذا المقاتل البطل من يجرؤ على النزال؟ ومن أضع بمواجهته ومن يكون نداً له؟» (٣)

ولم أجد له صنواً غير ذلك الذي عمر مدينة آثينا الجميلة الطائرة الصيت وملأها بالناس، لأضعه مقابل أب مدينة روما الشهيرة المنيعة. ولنأمل أن تخضع الأسطورة في حديثنا الى

---

(١) احد الذين صادقهم بلوتارخ اثناء اقامته في روما، وأعظمهم نفوذاً. فقد تولى منصب القنصلية اربع مرات ما بين اعوام ٩٨-١٠٧. واعتاد بلوتارخ توجيه كثير من رسائله في الأخلاق اليه. وعلينا ان لانخلط بينه وبين سينشيو الذي قتله [دوميتيان] لأنه دون سيرة [هلفيديوس پريسكوس]، والى الشخص عليه وجه بلوتارخ أيضاً سيرتي ديموستينس وديون.

(٢) الجغرافيون أو المؤرخون كما ورد في الأصل. دليلاً وليلاحظ ان الجغرافيين الأوائل لم يكونوا يقنعون بآثبات المواقع والمسافات، بل يبحثون في الأحداث والعادات والأخلاق وانظمة الحكم ومن أمثال هؤلاء [سترابون] و[پاوسنياس] وحول تيسيوس وتاريخه فالمؤرخون على خلاف. فلوح أكسفورد مثلاً يعني اتحاد المقاطعات الاتيكية وتأسيس الالعب الاستمية في ١٢٥٩ ق.م وبلير Blair يحدد تاريخ هذين الحدثين في ١٢٢٤ ق.م اي بعد حملته على كريت بسبع عشر سنة.

(٣) «سبعة ضد ثيبة» الص ٤٣٥، ٣٩٥.

عملية غرلة عقلية بحيث تأخذ شكل التاريخ الصحيح، وعلى أية حال فحيثما يوجد من الأساطير ما يستعصي على المنطق السليم، ويأبى أن يتحول الى اي شيء قريب من الحوادث المحتملة، ليس لنا إلا أن نرجو العثور على قراء كرماء يتقبلون أساطير القدماء برحابة صدر وإغضاء. ويبدو [ثيسوس] شبيها [برومولوس] من نواح كثيرة. فكلاهما لم يكن ثمره زواج شرعي، وكلاهما مطعون في نسبه، وكلاهما اشتهر بانحداره من عترة الآلهة و...

« كلاهما محاربٌ ولا احد ينكر ذلك<sup>(٤)</sup> »

كلاهما امتاز بقوة في الجسم ومضاء في العقل متساو. أحدهما بنى روما وثنانيهما ملاً آتينا بالسكان، وروما وآتينا أشهر مدينتين في العالم طراً، واتهم كلاهما باختطاف النساء ولم يخلصا في وطنيهما من النواتب العائلية ولا من الكيد. وتعرضا معاً لسخط بني قومهما قبل ان ينتهي بهما العمر؛ هذا اذا اتخذنا من الحكايات الشعرية الخيالية دليلاً الى الحقيقة.

ترتفع شجرة نسل [ثيسوس] من جهة الأب حتى تصل الى [إرخثيوس Erechtheus]<sup>(٥)</sup> والى أقدم من سكن [اتيكا Sttica] أما من جهة امه فهو سليل [پيلوپس Pelops]<sup>(٦)</sup> وكان هذا، أقوى كل ملوك الپلويونيسوس Peloponnesus لا بما يملك من مال، بل بكثرة ما لديه من اولاد. لأنه تزوج بنات عدد كبير من الزعماء، وولى عدداً كبيراً من اولاده حكم البلدان التي تجاور مملكته. ومن بين اولاده [پيتيوس Pittheus] جد [ثيسوس]، كان مؤسس المدينة صغيرة يسكنها قوم [الطرويزينيين Troezenian]<sup>(٧)</sup>. وعرف بإحاطته بكل الحكمة والمعرفة التي وصل اليها عصره. ويبدو أنها تتألف من مبادئ الأخلاق أساساً. ومنها نال [هسيود] الشاعر شهرته في كتابه «الأعمال والأيام» وبين ما يتضمنه في الواقع بيت يُعزى الى [پتيسوس] وهو «ان المكافأة التي يوعد بها صديق عزيز يجب ان تكون أكيدة

(٤) الايابة ٧:٢٨١. عن تيلامون وهكتور.

(٥) فهو الجيل السادس المنحدر من صلب ارخيتوس. وقيل انه ابن فولكان ومينرفا أو كراناى Cranæة حفيده كرانأوس ثاني ملك في أثينا. لذلك كان پلوتارخ محقاً في قوله انه من صلب [أوتو خوونس]. أو ان سكان أتيكا الأوائل سمعوا بهذا لأنهم يدعون بولادتهم من تربة البلاد. [هيروdotus وتوكيديدس].

(٦) ابن تانتالوس Tantalus من أصل فريجي هاجر الى اتيكا حاملاً ثروة كبيرة جمعها من تنقيبه في مناجم بالقرب من سپيلوس. ويفضل ثروته هذه ضمن لابنائه حكم اضخم المدن وأكبرها وكانوا أحد عشر. كما انه زوج بنته لأميرين فكانت (اليسيديسي) زوجاً (الكتريون) أو نسطور ابن پرسيسوس ملك تيرنثس. وكانت (أستيدياميا) زوجاً ل(ستيلوس) ملك (ميسين).

(٧) ترويزينه: مدينة صغيرة ارغوليسية تقع على ساحل خليج سارون قبالة أثينا في الپلويونيس (پاوسنياس) يتفق تقريباً مع الرواية نفسها ويقول انه علم الفصاحة في ترويزينه واضاف «لقد قرأت كتاباً من تأليفه، اعطانيه رجل في ابيدروس» [ج ٢ ص ٣٠ و٣١].

وكبيرة<sup>(٨)</sup> أو كما جاء في ارسطو<sup>(٩)</sup> وكذلك [يوربيدس] عن رأي الناس فيه، عندما يصف [هيپوليتوس Hippolytus] بأنه «تلميذ پتيوس الآلهي!»<sup>(١٠)</sup>.

كان [ايجيوس] ملك أثينا يصبو الى عقب، فاستخار في ذلك الكاهنة البيثية وجاءته النبوءة الشهيرة وكانت غامضة جداً، فلم يكن على ثقة بأنه ممنوع من الجماع بصورة باتة، فقصده [طراويزين] والقي على اسماع [بتيوس] صيغة النبوءة وهي كالآتي:

لا تحلّ عنق زقِ الخمر البارز يا زعيم الرجال العظيم حتى تعود الى آثينا مرة أخرى<sup>(١١)</sup>

الظاهر ان پثيوس فهم معنى النبوءة. فإما أقنعه أو اغراه بمضاجعة [إيثرا Aethra] بنته، وعلم [ايجيوس] فيما بعد أن من ضاجعها هي بنت [پيتيوس] ولشكه في انها علقت منه، ترك سيفاً وزوج نعال في محل خفاء تحت صخرة عظيمة فيها تجويف بمقدارها تماماً. ثم ودعها بعد ان أطلعها على السرّ وحدها. واوصاها في حالة وضعها طفلاً ذكراً، إن تخبره بحقيقة نسبه عندما يبلغ مبلغ الرجال ويكون قادراً على زحزخة الصخرة واستخراج ما أخفاه، وان تبعث به مع هذه التذكارات اليه وان تكتم الأمر عن كل احد وتوصيه أن يخفي أمر رحلته هذه قدر الامكان لخوفه عليه من الپاللاتيين [الدائمي الثورة عليه. فهؤلاء كانوا يزورونه لأنه بدون عقب، وكانوا هم أنفسهم خمسين أخاً كلهم من صلب بالاس Pallas<sup>(١٢)</sup> أبيهم وأخيراً بعد توصيته هذه ترك ايشرا. ووضعت [ايشرا]<sup>(١٣)</sup> ذكراً. وقال بعض الكتاب إنه سمي [ثيسيسوس] في الحال تيمناً بالتذكار<sup>(١٤)</sup> الذي تركه أبوه تحت الصخرة. وزعم آخرون ان هذا الاسم لحق به في اثينا بعد أن أقرّ ايجيوس بينوته. ومهما يكن من أمر فإن الابن نشأ في

(٨) عاش [هسيود] في حدود خمسة قرون بعد [بتيوس] وهذا المقطع هو رقم ٣٧١.

(٩) المقطع رقم ٥٥٦.

(١٠) هيپوليتوس ١١.

(١١) المرجع السالف يوربيدس: ميديا ٦٧٤ و٦٧٦.

(١٢) باللاس هو أخ لايجيوس. ولما كان قد حكم على ايجيوس بالآ ينسل فقد اعتبر الپالانتيدي مملكة اثينا ميراثهم الذي لانزاع فيه.

(١٣) يقول پاوسانياس انه ولد في موضع دعى آنذاك وبعده لزم طويل [جنتلُون] وهو قريب من ترويزينه. واليه ارسل بتيوس ابنته لتعزو الطفل الى [بنتون].

(١٤) اليونان كالآراميين والعبرانيين وغيرهم من الشعوب القديمة، يسمون الاشخاص والاشياء بصفات الاحداث والوقائع والظروف التي يتفق وقوعها مع الطهور او الولادة. والكلمة اليونانية [بتيوس] تعني (وضع) وحملة [ببتاونوك] معناها [تبني ولد] وقد فعل ايجيوس الشيثين وكانت مراسيم التبني ضرورية لاعانة تيسيسوس على وراثة العرش. فهو ابن غير شرعي.

رعاية جده [پتوس] حتى وعين له [كونيداس Connidas] مريباً وحارساً. والآثيون حتى يومنا هذا يقدمون له كبشاً في اليوم<sup>(١٥)</sup> السابق للعيد المخصص لـ [تيسوس] ويكرمونه أكثر من [سيلانيون Silanion] وپاراسيوس [Parrhasius]<sup>(١٦)</sup> اللذين عملاً لـ [تيسوس] تماثيل وصوراً منحوتة. وهم في ذلك محقون.

كان العرف السائد في بلاد اليونان يومئذ أن يقصد الشاب [دلفي] عندما يبلغ الحلم، ويقرب للرب أول ثمار شعره النامي. وكذا فعل [تيسوس]. (هناك موضع ما زال يحمل اسمه يقال أنه سمي كذلك خصيصاً).

وجز ناصيته فحسب، مثلما عمل [الأبانتيون Abantes]<sup>(١٧)</sup> على ما يقول [هوميروس]<sup>(١٨)</sup>. وأطلق على هذه الطريقة في قص شعر الرأس اسمه أيضاً. على أن [الأبانتين] كانوا قد اتخذوه زياً لهم لا تقليداً للعرب كما يتصور بعضهم، ولا للميسين Mzians منا زعم بعضهم وإنما لكونهم قوماً محاربين تعودا القتال وجهاً لوجه وامتازوا عن سائر الاقوام بانهم يشتبكون بالأيدي من أعدائهم كما شهد لهم أرخيلوخوس - Archilo-chus<sup>(١٩)</sup> بأبياته التالية:

« لا مجال ثم لدوران المقالع في الهواء. ولا فسحة لشد القوس عندما يقدم آرس المخيف يخطر ليشارك في مشار النقع هناك في السهل فهذا قتال التلاحم بالأيدي وهؤلاء الرجال هم منه اساتذته. سادة أوبويا الرماحة الذين طبق ذكهم الآفاق»  
وأسلوبهم هذا في القتال أوجب عليهم ان يجزوا نواصيهم حتى لا يمكّنوا اعداءهم منها.

---

(١٥) ومن هنا كان المثل اليوناني «لا يمكن الوفاء بدين المعلم إلا بتقديم أعظم التكريم له».  
(١٦) كان ثم صورة لتيسوس في الكايتول من عمل پاراسيوس تمثل معركته مع المونيتاور بقيت حتى زمن پليني: [تاريخ الطبيعة ١٠:٢٥] هذا الرسام الشهير عاش في حدود القرن الرابع ق.م. وأما [سيلانيون] فهو مثال برونز معروف كان معاصراً للاسكندر المقدوني تقريباً.

(١٧) الأبانتيون: سكان أوبويا إلا أن أصلهم من أباي وهي مدينة في تركيا من هذه العبارة يبدو ان پلوتارخ انما يشير الى العادة التي تعود الى زمن ابعد بكثير من زمن تيسوس. إلا أن [يوستاتيس] يزعم ان تيسوس هو الذي استحدث العادة ويقول ان التقدم لم تكن في دلفي بل في ديلوس. وانها قاصرة على الترويزينيين وبعد عهد تيسوس بدا واضحاً من لوشيان ان العادة فرضت تكريماً لهيبوليتس على الجنسين بوصفها اجراءً ضرورياً لإتمام الزواج. في طور الرجولة يجز الشعر الذي يبقى ذلك الحين مرسلأ في الهيكل ويوضع في وعاء فضي أو ذهبي يحفر عليه اسم صاحبه ويكون من اوقاف (ابولو).  
(١٨) الايلاذة ٥٤٢:٢، ٥٤١.

(١٩) شاعر أغريقي عاش في حدود منتصف القرن الثامن (ق.م.) وكان هوميروس قد تكلم بعين هذا عن الابانتين قبله بثلاثمائة سنة. (راجع الحاشية السابقة) حيث يقول ان الابانتين خرقوا دروع اعدائهم برماح طويلة اعني انهم التحموا معهم بالأيدي.

والمؤرخون يذكرون أيضاً أن هذا السبب هو الذي حدا بالاسكندر المقدوني أن يأمر رؤوساء جيشه بحلق لحى المقدونيين كافة، لأنها نقطة ضعف فيهم، قد يستفيد منها العدو...

ظَلَّت [ايثرا] تكتم حقيقة نسب [ثيسيوس] طوال طفولته وأعلن جدّه [پتيوس] للناس ان الوليد هو لقع نطفة الرب بوسيدون [نبتون].

لنبتون عند الطراوزينيين مكانة خاصة لاتعدلها مكانة ربّ آخر فهو الآله المعلم المرشد لهم. واليه يقدمون اولى ثمارهم، وهم ينقشون على نقودهم صورة رمح ذي ثلاث شعب تكريماً له. وأظهر ثيسيوس قوة جسم خارقة وبأساً ومراساً وخفة وعقلاً وفهماً مساوياً لتلك القوة. وأخذته أمه الى الصخرة وهناك افضت اليه باسم أبيه وأمرته ان يزحزح الصخرة ويستخرج من جوفها تذكارى ابيه [ايجيوس]. فأقبل على الصخرة دون تردد ولم يلق صعوبة تذكر في رفعها<sup>(٢٠)</sup>، لكنه رفض أن يقوم برحلته بحراً وإن كانت أسلم وسيلة للسفر - ورغم رجاء أمه وجده ففي ذلك الزمن كان الطريق البري الى اثينا محفوفاً بالأخطار والمكاره الجسام ليس فيه جزء - خلا من قتلة وقطاع طرق. في ذلك العصر، نجم صنف من الرجال تميزوا بقوة الساعد وخفة القدم وشدة العضل تفوقوا في هذه المظاهر الجسمانية على البشر العادي فلم يعرفوا للتعب معنى وأبو استخدام هذه الطاقات العظيمة من نعم الطبيعة في غايات سامية تمت الى الخير وتعمل لمنفعة البشر وانما اتخذوا الاعتداء والارهاب ديئنا، وجعلوهما مصدر استمتاع وتبجح. واعانتهم قواهم الخارقة على ممارسة أعمال القسوة والانسانية وصرفوا تلك الطاقات في النهب والسلب والغصب وارتكاب كل المحرمات بحق كل من يقع في ايديهم. وفي رأيهم أن احترام الآخرين، والتمسك باهداب العدل، والمساواة والانسانية، وهو موضع اجلال الناس العاديين، انما يعود الى افتقار اولئك الى عنصر الاقدام والقدرة على الأذية، أو الى خوفهم من التعرض الأذى. وهي مما لا شأن به لأولئك الذين بلغت قوتهم حداً تشيع به مطامعهم وترضى غرائزهم. وكان (هرقل) قد قضى على طائفة من هؤلاء، فيطش بهم اثناء مروره في تلك البقاع، وأغفل بعضهم فهربوا وأخفوا أنفسهم عنه، فتغاضى عنهم أحتراراً لخضوعهم الذليل. ثم ركبت هرقل المصائب فأنشغل بها. وبعد ان قتل [ايفيتوس Iphitus] عاد الى [ليديا] وظلّ فيها عبداً رقيقاً [لأومفاله Omphale]<sup>(٢١)</sup> بمثابة عقوبة فرضها هو على نفسه

(٢٠) منذ ذلك الحين باتت تدعى بـ(صخرة ثيسيوس) وكانت تعرف قبلاً باسم «مذبح چوپتر ستينيوس».

(٢١) القتلّة يختارون النفي لأنفسهم عادةً ويفرضون على أنفسهم نوعاً من العقوبة يمارسونها حتى تحصل لديهم القناعة بأنهم استوفوا حظهم. لقد قذف (هرقل) [ايفيتوس] ظلماً من فوق اسوار [تيرنثوس] لأن اباه [يوريتوس] نقض العهد معه اذ وعده بابنته [ايولي] زوجاً بشروط معينة نكث بعهده فاستجار (هرقل) بـ(نيلوس) أولاً فلم يجرد. ثم نجح في مسعاه مع [ديوفوبوس]. لكنه بقي يعاني مرضاً عضالاً. فاستخار =

لارتكابه جريمة القتل تلك. وفي هذه الفترة التي قضاها هناك تمتعت بلاد ليديا بعهد من الأمن والطمأنينة لا مثيل لهما. على أن الحياة دب دبيبها في أولئك الأوغاد وانتشروا ثانية في بلاد اليونان والانحاء المجاورة، وانطلقوا يعيشون فيها فساداً ولم يكن هناك رادع يردعهم، ولا أحد ينزل بهم العقاب. ولذلك كانت الرحلة البرية بين اثينا وبيلوبونيسوس محفوفة بأعظم المخاطر. وحاول الجند [ثيسيوس] عن عزمه السفر برا بشرحه اعمال كل واحد من الاشرار وقطاع الطرق وبيان قوتهم وافانين قسوتهم التي يمارسونها ضد المسافرين، علّه يقنع بالسفر بحراً. لكن يظهر ان ثيسيوس كان متأثراً منذ زمن بعيد بمآثر هرقل واعماله المجيدة وكان ينزله منزلة من الاكابر لا مزيد عليها. ولم يكن يسره شيء أكثر من اصغائه الى كل من يروي طرفاً من وقائعه، وخصوصاً أولئك الذين رأوا بأمر العين أو كانوا شاهدي عيان عمل قام به أو سامعي أي قول قاله، وتملك ثيسيوس الشعور الذي انتاب [تيموستوكلس] (٢٢) وبعده باحقاب، عندما قال أن النوم يعزّ عليه إلا بعد أن يحوز شكة سلاح ملتياداس Miltiades وبلغ أعجابه بخصال هرقل مبلغاً عظيماً حتى ان احلام ليله كانت تدور كلها حول اعمال ذلك البطل. وفي اثناء النهار كانت رغبته المستقرة في تقليد تلك الأعمال، تدفعه دفعاً الى القيام بمثيلاتها.

زد على هذا فقد ذكر ان هذين البطلين يمتان أحدهما الى الآخر بصلة رحم. لأن [ابثرا] هي بنت [پتيوس] و[الكميننا Alcmena] هي بنت [لسيديسي Lycidice] وپتيوس أخ للأخيرة، وكلاهما ولدا [هيبوداميا وپيلوپس]. لذلك لم يحتمل [ثيسيوس] أن يصول هرقل ويجول في طول البلاد وعرضها يظهر البر والبحر من الأشرار بينما يتهرب هو من مثل هذه المغامرات التي جاءته منقاداً من تلقاء نفسها، ولم ير هذا مما يشرفه وانما يلحق العار بسمعة ابيه الشهير، بفراره المخزي عن طريق البحر فلا يستطيع ان يقدم بمآثره وجلالته برهاناً لأبيه الحقيقي، على عظمة ميلاده، بدلاً من برهان السيف والنعلين.

فانطلق تحدوه هذه الغاية وتملاً نفسه تلك الأفكار. عازماً على أن لا يلحق بأحد سوءً، بل ان يقاتل كل من يعترض سبيله متحدياً، وان ينتصف لنفسه ممن ينوي به شراً. وكان اول من بطش به [پرفيتس Periphetes] في معركة فردية جرت بالقرب من ابيداوروس Epidaur-us (٢٣) وكان خصمه يستخدم الهراوة سلاحاً. ومن يومها لصق بثيسيوس لقب [كورينتس

= (دلفي) فنبّه بانّ عليه أن يبقى رهن العبودية ثلاث سنوات ليتحقق له الشفاء. ولذلك قام (عطارد) ببيعه ل(أفعاله) ملكة ليديا.

(٢٢) انظر سيرة تموستكليس.

(٢٣) منطقة في الپلوبيونيسس.

[Corynetes] أي حامل الهراوة وكان القتل قد أعترض سبيله وحال بينه وبين السير. لقد راقته له تلك الهراوة فجعلها سلاحه واستخدمها كما استخدم هرقل جلد الأسد بالقائه على منكبيه ليظهر مبلغ ضخامة الوحش الذي بطش به. فحمل ثيسسيوس الهراوة لهذا السبب واصبحت أقوى سلاح في يده، وانه كان قد قهرها وهي في يد صاحبها.

ومضى في رحلته حتى برزخ [پيلويونيسوس] وهناك فتك بالمدعو [سنييس Sinnis] المعروف بلقب. «لواء جذوع اشجار الصنوبر»<sup>(٢٤)</sup> (مأخوذاً من طريقته في القضاء على ضحاياه الكثيرين) فقتله بالطريقة نفسها، دون أن يسبق له ممارسة ذلك من قبل. وفي هذا برهان على ان القوى الطبيعية هي فوق كل فن وخبرة. وكان (السنييس) هذا بنت — الطول في غاية الجمال تدعى [پيريغونه Perigune] عندما سقط ابوها قتيلاً هربت لاتلوي فلحق بها [ثيسسيوس] باحثاً عنها في كل مكان. وبلغ بها المطاف موضعاً تنمو فيه الشجيرات، والطرفاء والشوك، فراحت الهاربة تتضرع الى النباتات ببراءة الطفولة لكي تخفيها عن مطاردها - كأن للنبات عقلاً يدرك! - ونذرت إن نجت، الا تقطعها ولا تحرقها إلا ان ثيسسيوس ناداها ووعداها أن يعاملها باحترام ولا يلحق بها اذية. فخرجت اليه من الدغل. وبعد اكتمال ايامها وضعت له ابناً عرف باسم [ميلانيپوس Melanippus] على انها تزوجت فيما بعد [ديونيوس Deioneus] ابن [يوريتوس Eurytus] الأوخالياني، وثيسسيوس هو الذي زوجه اياها. إن [ايوركسوس Iorxus] ابن [ميلانيپوس] ولد ثيسسيوس رافق اورنتوس Ornytus مع من رافقه من المستعمرين الى كاريا Caria وقد اعتادت أسرة الايوكسيديس Ioxids المنحدرة من صلبه ألا يحرق نساؤهم أو رجالهم شوكة أو طرفاء اجلالاً وتكريماً لهذا النبات وايفاء بنذر أمهم.

كانت الخنزيرة المسماة<sup>(٢٥)</sup> [فيا Phaea] وحشاً ضارياً هائل الجثة، وخصماً لا يستهان بأمره قط وقد عاثت فساداً في كرميون لكن ثيسسيوس انحرف عن سبيله قصداً ليلقاها ويقاتلها ويفتك بها<sup>(٢٦)</sup>. حتى يبرهن انه لا يقوم بكل مغامراته بدافع الحاجة. ومن رأيه ان

---

(٢٤) لقب بذلك كان ثني رأسي شجرتي صنوبر وشد المسافرين اليهما فاذا أطلقا ليعودا الى وضعهما تمزق مربوط بها الى اشلاء. ان باوسانياس فضلاً عن اوقيد ٧:٤٠، يسميانه (سينس) ويقول ان واحدة من هاتين الشجرتين بقيت حتى عهد الامبراطور الروماني [هادريان].

(٢٥) باليونانية تعني: ذات اللون الغامق. ويقول سترابو ان هذه الخنزيرة ولدت الخنزير الكاليدوني الذي فتك به ملياجر. وكروميون تقع على الحدود التي تفصل كورنث عن ميغارا.

(٢٦) في هذه الحادثة يبدو أن بطلنا حاد عن مبدئه الذي انطلق من أجل تحقيقه وهو ان لا يكون الجانب المعتدي في نزال. كانت الخنزيرة الوحشية على اية حال اكثر احتراماً من إحناء شجرتي الصنوبر.

معاقبة الأشرار والمعتدين الذين يعترضون سبيله، انما هو جزءٌ من واجب الرجل المقدم، وان عليه فضلاً عن ذلك البحث عن الضواري والوحوش المفترسة الهائلة والبطش بها، ان بعض الكتاب يزعمون ان (فيا) كانت قاطعة طريق تعيش في [كريميون] شديدة القسوة كثيرة الطبع، ولقتت بالخزيرة لقدارة عيشتها وانحطاط خلقها وقد قتلها ثيسوس فيما بعد.

كذلك قتل [سكيرون] على حدود [ميغارا] أو قذف به الى الهاوية من فوق الصخور، وكان هذا كما زعم معظم الكتاب لصاً سيء الصيت يتعرض لكل المسافرين، وروى بعضهم انه كان يمدّ قدميه طالباً من عابري السبيل ان يغسلوهما، وفيما هم يفعلون ذلك يركلهم فيقذف بهم من الصخور الى البحر، شراً منه وشراسة، على ان كتاب (ميغارا) «يتحدون كل الأخبار القديمة» في نقض هذه الرواية ويقولون ومنهم سيمونيدس Simonides ان (سكيرون) لم يكن قاطع طريق ولا رجل شرّ وعنف بل خصماً وعدواً لهؤلاء الاشرار وصديقاً للناس الأخيار ويقولون اثباتاً لذلك إنّ (أياكوس Aeacus) كان رجلاً عظيم القداسة، وهو موضع احترام جميع اليونانيين، كما أن (صخريوس Cychreus) السلاميسي، يجله الآثينيون ويعبدونه عبادة الأرباب، وان فضائل (پيلوس Peleus) وتيلامون Telamon] ليست بالمجهولة من أحد، و[سكيرون] هذا، هو زوج بنت [سخيروس] وحمو [اياكوس] وجدّ [پيلوس] و[تيلامون] وكلاهما ابنا [اندياس Endeis] بنت سكيرون<sup>(٢٧)</sup> وخاريكلو Cha-riclo وليس من المحتمل اذن، أن يصاهر خير الرجال شرهم ويتحدوا بهم برابطة القرابة والنسب. يأخذون منه ويعطونه ما هو أغلى قيمة واعزّ شيء في الحياة. وبحسب ما روى اولئك الكتاب ان ثيسوس لم يبطش [بسكيرون] في رحلته الأولى الى اثينا. وانما عندما استولى على [اليوسس] المدينة التي يقطنها الميغاريون بعد أن هزم حاكمها الأكبر [ديوكلس Diogles].

تلك هي المتناقضات التي تجدها في الحكاية، وفي تلك المدينة ايضاً قتل [كركسيون Cer-cyon] الاركادي في نزال فردي فاراده في الحال<sup>(٢٨)</sup> وسار حتى بلغ [ارينوس Erineus] وفيها قتل داماستيس الملقّب بروكروستوس بإرغامه على جعل قبره بقدر جسمه كما اعتاد

---

(٢٧) ابلودورس يجعلها ابنة (خيرون) الا ان زعم پلوتارخ هو الأصدق والأصح اذ انه يدلي بحجة منطقية لهذه الرابطة ويتفق مع پاوسنياس في ذلك.

(٢٨) ظلت البقعة تسمى (سيكرون بالسترا) الى زمن پاوسنياس. كان سيكيرون أوّل من أستخدم الاصول الفنية في المصارعة لكن (مينرثا) ساعدت (تيسوس) على الغلبة بفضل تدريبها له.



ذاك ان يفعل بكلّ ضحاياه. وبهذا سار على نهج [هرقل] الذي كان دائماً يذيق المعتدين عليه ما كانوا يقصدون ان يذيقوه لو ظفروا به. وذبح [بوسيريس] وقدمه قرباناً، وقتل [آنيستوس] في مصارعة فردية. وفتك بـ [كيكنوس Cycnus<sup>(٢٩)</sup>] في معركة واحدة حاسمة. وقضى على [يترميروس] بتكسير جمجمته قطعاً ومنها جاء المثل السائر «بليّة تيرميروس»<sup>(٣٠)</sup>، فالظاهر ان يترميروس كان يقتل المسافرين بأن يفتحهم برأسه نطحاً.

هكذا مضى ثيسبيوس قدماً في الاقتصاص من الأشرار. فأذاقهم ما كانوا قد أذاقوه للآخرين وجزاهم جزاءً وفاقاً عن كل المظالم التي اقترفوها.

وبوصوله نهر [كفيسوس] لقيته زمرة من قوم [ثيتالدي]<sup>(٣١)</sup> وقرأوه التحية ولبوا طلبه في التطهر كما قضت عادات تلك الأيام، وقاموا بالمراسيم المعتادة طبق المرام. وبعد ان قرب قربان الرضا للأرباب استضافوه وأدبوا له في بيتهم. فكان كرمياً وعطفاً منهم لم يلق مثله منذ بدء رحلته حتى وصوله اليهم.

وبلغ آثينا في الثامن من شهر (كرونوس Cronius) الذي يسمى الآن هيكاتومبيون Hec-atombeon فوجد الأحوال العامة في غاية الاضطراب والمدينة منقسمة الى حزبين وشيعتين، ولم يخلص ايجيوس واسرته من هذه الفوضى والقلق. اذ كانت [ميديا Medea] تعايش [ايجيوس] بعد فرارها من [كورنث] وقد وعدته انها ستجعله قادراً على انجاب اولاد بقوة سحرها. وهذه المرأة هي اول من وقفت على سِرِّ [ثيسبيوس] الذي بقي أمره مجهولاً من ايجيوس حتى ذلك الزمن، وبما انه بلغ من العمر عتياً وركبته الهواجس وتناهيه الشك والغيرة وملاً الخوف جوانب نفسه من كل صغيرة وكبيرة بسبب وجود الحزب المناويء له في المدينة، فقد سهل على هذه المرأة إقناعه بقتل [ثيسبيوس] بالسُم اثناء مأدبة كان سيحضرها بوصفه

(٢٩) في النص الأصلي [هرميونه] والارجح انه بولتارخ مخطئ؛ هنا ان لا يعرف ثم موضع بهذا الاسم أو ما يقرب منه. والمؤرخون بعد [فيلوخورس] يطلقون عليه اسم (ترميونه). (في ترجمتي B. P. وبرايدن، أثبتت كما اوردها هنا في ترجمتنا العربية).

(٣٠) كتابٌ آخرون يعزون لهذا المثل أصولاً أخرى، فد(كويداس) يشتقه من موقع مستحکم في (كاريا) بين (ميلوس) و(هلكارناسوس)، يدعى (ترميروم) استخدمه الطغاة بمثابة مطبق للمسجونين. اما ابوستوليوس فيعزوه الى آخر أيام الحياة ويسمى ترمياً.

(٣١) هؤلاء هم نسل فيتالوس الذي افضت اليه سيريس الرّبة، بسرّ زراعة شجرة التين والاشراف على أسرارها مكافأة له على حسن ضيافته لها في منزله لم يجد (ثيسبيوس) نفسه مهيناً لأقتبال تلك الأسرار قبل التطهر ذلك لأن يديه كانتا مغموستين بالدم وان كان دم اللصوص وقطاع الطرق. تطرّف الاقدمون في فكرة التطهر الى أقصى حدّ. حتى ان ابوللو نفسه أرغم على القيام بمراسيم التطهر بعد قتله الأفعى (بيثون) التي الحققت الدمار باليونان. وقد جرى تطهير (ثيسبيوس) في مذبح چوپتر قرب نهر (كينسوس) (انظر باوسيناس ١: ٣٧).

من الغرباء عن المدينة. وصل الى موضع المأدبة وهو يميل الى التريث في كشف أمره، حتى يتيح لأبيه فرصة اكتشافه أولاً. وجيء باللحم ووضع فوق المائدة فانتضى ثيسيوس السيف كأنما يريد اقتطاع فلذة من اللحم. فتعرف ايجيوس على التذكار حالاً ورمى بقدر السم. وبعد أن القى بضعة أسئلة على ابنه عانقه، وجمع كل مواطني المدينة واعترف علناً بابوته له. فرحبوا هم به أيضاً لأن شهرته سبقته اليهم، وقيل انه لما سقط قدح السم اندلق ما فيه فوق بقعة هي الآن موضع مسور في [دلفينيوم]<sup>(٣٢)</sup>. وهي الأرض التي كان يقوم عليها منزل ايجيوس. اما تمثال [مارس] الذي هو في الجهة الشرقية من المعبد فيسمى [تمثال مارس في باب ايجيوس].

كان ابنا [باللاس] قبل ظهور [ثيسيوس] قد أخذوا الى السكينة انتصاراً لموت ايجيوس لاستعادة الملك بدون عنف لانه لم يخلف نسلأ. فلما تقرر ان يخلفه ثيسيوس في الحكم ثار حنقهم واجتاحتهم الثورة: فهذا ايجيوس أولاً لا يعدو أن يكون ابنا متبنئاً لپانديون Pandi-on<sup>(٣٣)</sup> ولا يمت بصلة قرابة لأسرة [ارختيوس]، يضبط الملك عنوةً واقتداراً، وذاك [ثيسيوس] الزائر الاجنبي الغريب عن الديار قدر له ان يخلفه في الملك!... لم يصبروا وأعلنوها حرباً، وقسموا جموعهم الى قسمين: الأول زحف علناً على المدينة من [سفيتوس Sphettus] بقيادة ابيهم والثاني نصب كميناً في قرية (غارغتس Gargettus) قاصداً الايقاع بالعدو من الجانبين. وكان مع هؤلاء منادي مدينة آغنوص المدعو [ليوس Leos] فأقبل على ثيسيوس وكشف له خطة الپالانتيد فما عتم أن فأجأ اولئك الكامنين وأبادهم عن بكرة ابيهم. ولما وصل نبأهم باللاس وزمرته هربوا وتفرقوا.

ومن هذا نشأت عادة عند أهالي مدينة [پاللين Pallene] على شائع القول وهي أن لا يرتبطوا باي تحالف أو مصاهرة مع سكان قرية (اغنوص) وأن لا يدعوا المنادين بلفظون في اعلاناتهم الكلمات الشائعة في كل أنحاء البلاد وهي « اكويتي ليويء » اي « أيها الناس أسمعوا » كارهين سماع كلمة (ليو) بسبب خيانة هذا الرجل.

كان ثيسيوس مشوقاً الى العمل، راغباً في ذبوع صيته. فترك آئينا ليقاتل ثور [ماراثون] الذي اوقع اضراً ليس بالقليلة بسكان مدن [تتراپوليس Tetrapolis]<sup>(٣٤)</sup>. وبعد أن تغلب

(٣٢) دلفينيوم: ان موقع هذا المحراب المخصص لاپوللو دلفي ما يزال موضع تساؤل، وحدث. ويقع على العموم شرق الاولييوم.

(٣٣) في الواقع ان (ايجيوس) ليس ابن (پانديون) بل ابن (سكيرياس).

(٣٤) من مناطق اتিকা، سميت بهذا الاسم لاحتوائها على أربع مدن وهي [زينوميي، مراثون، پروبالنتس، ترايكورنتوس] بناها (كسوشس) ختن أرخيثيوس.

عليه قاده حياً ودخل به دخول الظافرين الى المدينة ثم نحره قرباناً (لاپوللو دلفي) (٣٥) وتبدو حكاية (هيكاله Hecale) وكرامها ثيسوس واستضافته في حملته هذه، وكأنها لاتخلو من الحقيقة. فقد جرت عادة أهالي المدن المجاورة ان يجتمعوا في يوم معين لتقديم قربان [لجوبيتر هيكاليوس] يطلقون عليه اسم «هيكاليسيا»، تكريماً لهيكاله ايضاً. (يطلقون عليها اسم التصغير هيكالين - والسبب في هذا يعود الى انها كانت تخاطب ثيسوس وهو شاب عندما استضافته. بمثل كلمات التحبيب هذه كما يفعل كبار السن لصغارهم، وكذلك لأنها نذرت لأجله قرباناً لجوبيتر اذا عاد سالماً من القتال، لكنها ماتت قبل اوبته، فجوزيت بهذا الاكرام رداً لجميلها، وذلك بأمر من ثيسوس على ما يحدثنا [ميلوخورس] (٣٦). ولم يمر زمن طويل حتى أقبل على المدينة محصولو الجزية من كريت لأخذ القسط الثالث. وكان الاثينيون يدفعونها للسبب التالي: قُتل اندروغيوس Androgeus (٣٧) قتلةً غادرة على حدود [اتيكيا] فلم يكتف [مينوس] أبوه بجرّ المصائب الشداد على الاثينيين بحروبه المتتالية، بل انضم اليه الأرياب وأحدثوا الخراب في البلاد وجعلوها بلقعاً يباباً، فنزل بهم القحط وفتك بهم الوباء وجفت انهارهم، ونزلت عليهم نبوءة مفادها ان غضب الآلهة لن ينفشيء إلا اذا استرضوا [مينوس Minos] وصالحوه، واذ ذاك سينزل عنهم يؤسهم ويحسّر عن كواهلهم الشتاء فأرسلوا اليه رسلاً وبعد كثيرٍ من الالتماس والرجاء صالحوه أخيراً على شروطٍ وهي أن يدفعوا لكريت كل تسع سنوات جزيةً تتألف من سبعة فتيان وسبع عذارى. وهذا ما أتفق على ايراده معظم الباحثين والحكاية الأخرى التي تحفل بالشعر والخيال تضيف الى ما تقدم أن غول [مينوتاور Minotaur] (٣٨) التيه كان يفترسهم، او انهم يهيمون على أوجههم في التيه لا يجدون فيه منفذاً للخروج فتنتهي حياتهم هناك اشنع نهاية وان هذا الغول كان على ما يصفه يوربيدس: شكلان ممتزجان، يتألفان من خلقتين مهولتين ذات طبيعتين متنافرتين: ثور ورجل مجتمعين! (٣٩)

(٢٥) ديودورس (٥٩:٤) يعزو هذا القربان ل(ايجيوس).

(٢٦) فيلوخورس مؤرخ أثيني (٤٢٠٠ ق.م) كتب مقولات ثمينة عديدة اورد (سويداس) قائمة بها لكن لم يصلنا شيء منها خلا بعض المقتطفات التي اقتبسها منه بعض الكتاب.

(٢٧) قال بعضهم ان (ايجيوس) أمر بقتله لأنه كان على اتفاق مع الپالانتيدي ويقول بعضهم ان الثور المراثوني هو قاتله.

(٢٨) اختلقها الشعراء فقالوا انه ابن (پاسيفاي) من نطفة ثور. وپاسنای هي زوج مينوس التي ابتلاها نبتون بهذا الميل الشنيع انتقاماً من مينوس لأنه رفض ان يقدم له ثوراً جميلاً كان يتوقع ان يكون قرباناً له. ان حل هذه العقدة التي تكتنف القصة من قبل [پاليفاتوس] ليس قوي الاحتمال.

(٢٩) مأساة الأغرقيق مقطع ٢. ص ٦٨٠.

لكن [فيلوخورس] يقول أن أهالي كريت ينفون هذه المزاعم نفيًا قاطعاً ويقولون أن التيه المزعوم ما هو إلا سجن عادي ليس فيه من صفات السوء إلا صفة واحدة وهي انه منيع يصعب على نزلائه الفرار منه. وان [مينوس] الذي أنشأ العباباً تكريماً لذكري [اندروغيوس] كان يهب هؤلاء الشبان والعداري جائزة للفائزين. وكان هؤلاء الأسرى يودعون سجن التيه خلال تلك الفترة. وأول من فاز في تلك الألعاب كان رجلاً يتمتع بقوة عظيمة ومكانة رفيعة، يدعى [طوروس Taurus] وهو شخص قاسٍ لا تعرف الرقة والرحمة الى قلبه سبيلاً كان يعامل الاثنيين الذين اعطوا له جائزة شراً معاملة وأغلظها. وكان رأي [ارسطو] الصريح الذي أدلى به في معرض بحث كتبه عن دستور شكل الحكم عند [البوتيان Botiaens] <sup>(٤٠)</sup> ان مينوس لم يكن يقتل هؤلاء الفتيان، وانما كانوا يقضون بقية حياتهم عبيداً في كريت. وان الكريتين ايفاءً بنذرٍ قديمٍ قطعوه على أنفسهم منذ زمن طويل قد اعتادوا ارسال قرايين الى [دلفي] من اول ثمار رجالهم وان بعض الذين انحدروا من سلالة هؤلاء الاثنيين العبيد كانوا يخلطون مع التقدّمات ويرسلون، ويعجزهم عن العيش هناك رحلوا اولاً الى ايطاليا، وأستقروا حول [اياپيجيا Iapygia] ثم انتقلوا منها الى [تراقيا] وأطلق عليهم اسم [البويريتين] وهذا ما جعل فتياتهم في اثناء تقرب قرايين معينة ينشدن أغنية تبدأ بعبارة «الى اثينا فلنذهب»، هذا ما يكشف لنا الخطر الذي ينطوي عليه عداة مدينة هي سيدة البلاغة وأميرة الغناء. كان [مينوس] دائماً ينعت بأسوء النعوت، ويمثل دائماً بالرجل الشرير على المسرح الأثيني، ولم يفلح [هسيود] <sup>(٤١)</sup> في انقاذ سمعته حين وصفه بـ«مينوس، الذي لايدانيه في ملوكيته أحد»، ولم يفده هوميروس <sup>(٤٢)</sup> الذي وصفه «صديق چوپيتر الخدين» وكلمته. وظلّ القول الفصل في هذا لكتاب التراجيديا الذي كانوا يمحطونه بوابل من الهجاء والنقد من ارض مسارح تمثيلياتهم ويمثلونه برجل العنف والقسوة <sup>(٤٣)</sup>. في حين كانت الأسانيد تدل انه ملك سوي، وواضع قوانين. وان المدعو [رادامانثوس Rhadamanthus] كان قاضياً مستقيماً يطبق قوانينه له.

لما حان أجل القسط الثالث من الجزية. ووجب على كل اب له ولدٌ شاب يصلح للإرسال أن

(٤٠) لا وجود له. انه مفقود كغيره من المباحث التي عزيت اليه من هذا القبيل.

(٤١) افلاطون: مينوس ص ٣٢٠. هسيود ٧٤.

(٤٢) الاودييسه ١٩:١٧٩.

(٤٣) هذا الخطأ الذي وقع فيه پلوتارخ، وقع فيه عدد من الكتاب بينهم افلاطون فهناك اثنان باسم [مينوس] احدهما ابن (چوپيتر: زفس) و(اوروپه) وهو أمير عادل سامي الخلق. والثاني وهو حفيده ابن (ليكاستس) الذي يقصده پلوتارخ هنا بوضعه اباً لـ(اندروغوس) وكان من الطغاة.

يشارك في عملية الاقتراع العامة لاختيار العدد، ثارت الخواطر على [ايجيوس] وبدأت اتهامات جديدة تنصب من الناس الذين امتلاؤا حزناً وسخطاً، فراحوا يقولون: انه وهو سبب كل ما أصابهم من شقاء، الشخص الوحيد السالم من هذه البلوى، وقالوا أيضاً أنه أورت مملكته ابن سفاح اجنبي ولم يعد يهتم بمصيرهم ولا بخسارتهم في اثباتهم الشرعيين لأبناء السفاح، وقعت هذه الاقوال وقعاً شديداً في نفس ثيسيوس، واحتلت كل تفكيره وملكت عليه مذهبها ورأى أن الواجب يقضي عليه المشاركة في آلام مواطنيه فعرض نفسه ليكون واحداً من الشباب المرسلين الى كريت، دون حاجة الى اجراء قرعة بالنسبة له. فهزّ الناس نبهه هزاً وامتلاؤا أعجاباً وحباً بطبيعة عمله هذا. ووجد [ايجيوس] ابنه هذا مصراً على قراره ولم تفد معه توسلاته الكثيرة، فأستسلم وبوشر باختيار الباقيين بالقرعة، على ان [هولانيكوس -Holanicus] يخبرنا ان الآثينيين لم يكونوا يستخدمون القرعة لاختيار الشباب والعداري، وانما كان [مينوس] يأتي بنفسه ويختار من يشاء فكان ثيسيوس اول من اختاره. وتنصّ الشروط أيضاً على أن السفينة التي تقلّ الأسرى تكون من الآثينيين، وان الشبان البحريين لا يحملون اسلحة حرب، وانه تمّ القضاء على [المينوتاور] تلغى الجزية.

في القسطين الاول والثاني ارسل الآثينيون السفينة بقلوع سوداء اذ لم يكن لديهم اي امل في سلامة اولادهم أو عودتهم، وكانوا واثقين انهم ذاهبون الى قضاء محتوم لا يُدفع. أما الآن وبعد ان شجع ثيسيوس اياه وتكلم كلام الواثق من نفسه، بقتل [المينوتاور] فقد سلم [ايجيوس] ربان السفينة شراعاً آخر ابيض اللون وأمره ان يرفعه على صاري سفينة عند العودة اذا كان ثيسيوس حياً سالماً، واما اذا هلك فليرفع الشراع الأسود دليلاً على وقوع المصيبة. ويقول [سيمونيدس] ان الشراع الذي تسلمه ربان السفينة من [ايجيوس] لم يكن أبيض اللون بل... «قرمزياً منقوعاً في عصير زهرة شجرة بلوط زاهية جداً»<sup>(٤٤)</sup>

كذلك يكون علامة فرارهم ونجاتهم، ويذكر [سيمونيدس] أيضاً ان ربان السفينة هو [فيريكولوس Phereclus] ابن [امارسياس Amarsyas]، ويقول ان [سيروس] ارسله الى ثيسيوس من سلاميس وان [ناوسثاؤس Nausitthous] كان ملاح الدفة، و[فاياكس Phaeax] رقيب مقدمة السفينة. اذ كان الآثينيون في ذلك الزمان قليلي الخبرة بالملاحة<sup>(٤٥)</sup>

(٤٤) ليست زهرة بل هي ثمرة الشجرة المعروفة عند النباتيين باسم Quercus ilex وهي شجرة بلوط قمينة دائمة الخضرة يغزوها دودة صغيرة يسميها العرب «قرمز» تخرج منها صبغة قرمزية وثيوفراستس يتكلم عن هذه الثمرة في كتاب نباته فضلاً عن بلييني. وهي مصدر مادة الصبغة القرمزية منذ أقدم الزمن.

(٤٥) بحسب رواية هوميروس ارسل الآثينيون خمسين سفينة الى طروادة. على انها كانت سفن نقل لا سفن حرب ويؤكد (ثوكديدس) انهم لم يقوموا بأي نشاط بحري حتى بعد عشر سنوات أو اثنتي عشرة عقب =

لم يمارسوا مهنة البحر. ولم يفعل [سيروس] هذا إلا لأن [مينيتس] أحد الشبان هو ابن بنته. ويثبت هذه الواقعة بناء [ثيسيوس] هيكله [فاياكس<sup>(٤٦)</sup>] و[ناوستاؤس] بالقرب من معبد [سيروس]، زد على هذا أن العيد المعروف بـ[كيبيرنيسيا Cybernesia]<sup>(٤٧)</sup> اقيم تكريماً لهما.

يحدثنا معظم المؤرخين القدماء ناهيك بالشعراء، أن [أريادنا Ariadne] التي وقعت في غرامه، أعطته كرة من الخيوط حال وصوله كريت وعلمته كيف يستخدمها لتقوده خلال منعطفات التيه ومنعرجاته. وبهذه الوسيلة خرج منه سليماً وقتل الغول [المينوتاور]<sup>(٤٨)</sup> وإبحر عائداً ومعه [أريادنه] والأسرى الأثينيين. ويضيف [فركيدس Pherecydes]<sup>(٤٩)</sup> انه احدث ثقباً في قيعان سفن كريت، ليحول دون مطاردتها له. ويكتب [ديمون Demon] ما مفاده ان [طوروس] كبير قواد مينوس قتل بيد [ثيسيوس] في فم الميناء اثناء معركة بحرية جرت قبيل ابحاره الى اثينا. لكن [فيلوخوروس] يروي الواقعة كما يأتي: عندما أنشأ الملك مينوس الألعاب السنوية كان متوقفاً ان يفوز [طوروس] بجائزتها، كما فعل قبلاً. وكان موضع حسد عظيم لذلك. فأخلاقه ومعاملته للناس جعلت سلطانه مكروهاً، وهو أيضاً متهم بعلاقة مع [پاسيفي Pasiphae] ولهذا وافق مينوس في الحال عندما طلب ثيسيوس نزاله. وجرت العادة في كريت ان يسمح للنساء بمشاهدة الالعاب فكانت [أريادنه] بين المتفرجين، فداخلها اعجاب شديد بجمال رجولة ثيسيوس واقدامه وقوته التي ابداهها في النزال مما جعله يقهر كل من يتصدى له او يتحداه. ولم يكن مينوس بأقل سروراً، سيما وانه تغلب على

---

= معركة ماراثون. اي بعد حصار طروادة بسبعمائة عام تقريباً لذلك كان من قبيل المعجزات ان يحقق الأثينيون في المجال البحري هذا التقدم الخارق الذي بدأ بعهد تيسيوس بارسالهم الى طروادة هذا العدد من السفن في غضون فترة قصيرة. على كل فقد كان الفضل الأول بهذا التقدم يعود الى (تموستوكليس). (٤٦) هو بهو حكومي يجتمع في رحابه الحكام الشيوخ ويطلق عليهم اسم پرايتانس ويعيش فيه أيضاً على نفقة الدولة أولئك الذين اعتبروا بانهم يستحقون من بلادهم خير جزاء» كما يستقبل فيه السفراء الاجانب وتقام في الحفلات العامة والاستقبالات.

(٤٧) الى هذه القصة تعزى على الأغلب صورة مونتيكوكون لفينوس وهي فوق الأمواج مستلقية على عنزة ويدها ممسكة بشعر ذقنها وبرفتها كيوبيدات راكبين ظهور حيتان الخ...

(٤٨) في واحدة من أجمل الصور التي تم العثور عليها في هرولانيوم (وهي المدينة التي غطتها حجم بركان فيزوف العام ٧٩ فأنزحت وتم الكشف عنها). وقد ظهر فيها تيسيوس وهو يطي المينوتاور (وهو حيوان خرافي برأس ثور (جسم انسان) في حين تجمع الصبيان عليه يقبلون يديه ويحتضنون ركبته.

(٤٩) من الأقدمين اشتهر شخصان بهذا الاسم، الأكبر منهما هو معلم فيثاغورس وطاليس ومن مدينة سكيروس ويلقب بالفقيه أو اللاهوتي. لأنه أول من علم حول خلود الروح في بلاد اليونان. إما الثاني وهو الذي يغلب الاحتمال بانه المقصود عند پلوتارخ فهو مؤرخ من جزيرة ليروس التي تقع في بحر ايجه وقد سبق عصر هيروdotس بقليل.

[طوروس] واخزاه. فلم يتردد في ان يدفع له بالأسرى الأثينيين، وأعاد الجزية الى أهلها. وبيروى لنا [قليديموس Clidemus] (٥٠) رواية يستغرب صدورها منه فيها حواش وشجون وذبول موغلة في القدم، يقول عقدت معاهدة بين جميع الأغرقيق تم الاتفاق فيها على أن لايسمح لأية سفينة تحمل أكثر من خمسة أشخاص بالابحار من اي مكان. واستثنى من المنع [چاسون Jason] الذي نُصب قبطاناً للسفينة العظيمة [ارگو Argo] وسمح له الابحار وجوب المحيطات معقباً القراصنة، لكن عندما هرب [ديدالوس Daedalus] من كريت وركب البحر الى اثينا، شرع مينوس بمطاردته بسفنه الحربية مخالفاً الاتفاق، فأجبرته العاصفة على الرسو في (صقلية) وهناك قضى نحبه (٥١). وبعد وفاته استبدت الرغبة بآبنة [ديوكاليون Deucalion] للتحرش بالاثينيين، فبعث يطلب منهم تسليم [ديدالوس] اليه مهدداً بقتل جميع الاثينيين الذين تسلمهم ابوه من المدينة كجزء من الجزية، ان هم رفضوا طلبه. فبعث ثيسوس بردٍ مهذب الحاشية على هذه الرسالة الغاضبة، معتذراً عن تسليم [ديدالوس] الذي كاد يكون من اقربائه. فهو ابن خالة لان امه [ميروپه Merope] هي بنت [ارختيوس]. إلا أنه أخذ يبني عمارة بحرية في السرى جعل قسماً منها في بلاده قرب قرية [ثيموتادي Thy-moetae] وهو موضع بعيد عن كل الطرق العامة. والقسم الثاني اودعه عند جدّه [بيثيوس] في طروزين، مستهدفاً تنفيذ خطته بأعظم السرية. وما كمل اعداد اسطوله هذا حتى أقلع به يرافقه [ديدالوس] وغيره ممن أرتهن في كريت ليكونوا ادلا. ولم يدر احد من الكريتيين بقدومه وحسبوه صديقاً وحسبوا اسطوله اسطولهم. وسرعان ما سيطر على الميناء وأسرع بالنزول وبلغ [غنوصوس Gnosos] قبل ان يلاحظ أحد زحفه وفي معركة جرت عند مزاعل التيه، أباد [ديكاليون] وكل حرسه بحد السيف فانتقل الحكم الى [اريدانه] وعقد معها حلفاً واستعاد الأسرى منها، وأتفق على عهد صداقة دائمة بين الأثينيين والكريتيين. واقسم الطرفان على الأيبدأ حرباً.

هناك روايات تاريخية أخرى حول هذه المسألة، وهناك أمثالها حول [ارديانه] وكلها متناقض ومتنازع عليه. ترى بعضهم يقول انها شنقت نفسها بعد ان هجرها [ثيسوس] وبعضهم يقول ان بحارته اخذوها الى جزيرة [نخسوس Naxos] فتزوجت [اوناروس Oenar-us] كاهن [باخوس] (٥٢). وان ثيسوس هجرها لوقوعه في حبّ أخرى.

(٥٠) (فيوسيوس) في تاريخه يذكر مؤرخاً بهذا الإسم، كتب بحثاً عن (اتيكا) وعن العودة غير المتوقعة لأولئك الذين غابوا زمناً طويلاً. ومن الممكن ان توضع الحكاية في أي من الباحثين.  
(٥١) هيرودوتس ٧: ١٧٠، ديدورس ٤: ٧٩.  
(٥٢) ومن هنا جاءت ولا شك الخرافة المتداولة بانها تزوجت باخوس نفسه.

« كان حَبَّه (ايگله Aegle) بنت پانويپوس يحرق صدره<sup>(٥٣)</sup> وهو بيت شعر يقول عنه هرياس [Hereas] انه كان في السابق موجوداً ضمن منظومات [هسيود]<sup>(٥٤)</sup> إلا أن [پستراتوس Pisstratus]<sup>(٥٤)</sup> شطبه، واطاف البيت التالي الى منظومة هوميروس « جهنم الأموات » ارضاءً للآثينيين: « ثيسيوس، وپيرثاوس، ابنا الآلهة الجباران »<sup>(٥٥)</sup>. وتقول فثة أخرى ان [ارديانه] انجبت لثيسيوس ولدين وهما [اوينويون Oenopion] و[سطاقيلوس Staphylus] ومن القائلين بهذا [آيون Ion]<sup>(٥٦)</sup> الشاعر الخيوسي، حين نكتب عن مدينته: « التي بناها في ذات يوم - أونويون ابن ثيسيوس ».

لكن أشهر الروايات الاسطورية التي جرت على كل لسان هي الآتية: لدى [پايون آلاماتوسي] قصة تختلف من الباقي اذ يكتب قائلاً ان النوء دفع بسفينة ثيسيريس الى جزيرة [قبرص] وفيها [ارديانه] وهي حامل، وفي حالة يرثى لها من المرض بسبب دوار البحر. فأنزلها الى الساحل وتركها وحيدة وعاد لمعاونة من السفينة. وفجأة دفعت بها ربح شديدة الى عرض البحر. وأبدى نساء الجزيرة عطفاً على [ارديانه] وعناية كبيرة بها وعملن ما وسعهن للتسرية عنها وتخفيف وحشتها. حتى انهن زورن رسائل ودفعنها اليها كأنما وردت من ثيسيوس. ولما ادركها المخاض بالغن في بذل كل ما تحتاجه من رعاية إلا انها توفيت قبل ان تضع وليدها ودفنت دفنة لاثقة. ثم ما لبث ثيسيوس ان عاد وركبه هم شديد لفقداه وترك قبل مغادرته الجزيرة عند أهلها مبلغاً من المال ينفقونه على شراء قرابين لها. وأمر بصنع تمثالين صغيرين أوقفهما عليها واحد من الفضة وآخر من النحاس. والمراسيم التالية يقوم بها أهل الجزيرة ضمن مراسيم تقديم قرابينهم في اليوم الثاني من شهر [گورپيوس Gorpiaeus] المخصص لارديانه. ان يستلقي شاب منهم على ظهره ليقلد بصوته وحركاته آلام المرأة اذ يدركها المخاض و[الآلاماتوسيون] يطلقون على البستان الذي ضم رفاتها، اسم « بستان فينوس ارديانه ».

وذكر بعض كتاب [نخسوس] رواية تختلف عن هذه، وزعموا وجود رجلين باسم مينوس، وامرأتين باسم ارديانه احدهما تزوجت كاهن باخوس في جزيرة نخسوس، وأنجبت له [ستاقيلوس] واخاه الآخر. إلا ان ارديانه الثانية التي عاشت في زمان متأخر، وهي التي

(٥٣) أنظر (أثيناوس) ص ٥٥٧.

(٥٤) طاغية أثينا كان كما صورة پلوتارخ في سيرة صولون محباً للكتابة وممارساً للأدب.

(٥٥) الاوذيسي ٦٣١:١١.

(٥٦) كاتب مأساوي عاصر (پيركلس) فقدت مسرحياته كلها لكن (أثيناوس) حفظ لنا مقطوعات من مناجاته.



حملها ثيسسيوس معه، وهجرها فيما بعد، نزحت الى [نخسوس] مع مرضعها [كوركيينا Cor-cyna] التي ما زال قبرها قائماً. وان [ارديانه] هذه توفيت أيضاً هناك وعبدها أهل الجزيرة لكن بشكل يختلف عن عبادة الأولى. فأحياء عيد هذه يتم بالافراح العامة والقصف واللهو، في حين أن عيد الثانية ينقضي بالحداد والكآبة<sup>(٥٧)</sup>.

توقف ثيسسيوس في جزيرة [ديلوس Delos]<sup>(٥٨)</sup> بطريق عودته من كريت. وقرب لرب الجزيرة، وقدم للمعبد تمثالاً لثينوس كانت [ارديانه] قد أعطته له<sup>(٥٩)</sup>، ورقص مع الشبان الآثينيين رقصة ما زالت شائعة عندهم الى يومنا هذا احياءً لذكراه وهي تتألف من حركات تقدم وتأخر موزونة محدودة، تقليداً وتمثيلاً لمنعطفات التيه والتواءاته. ويقول [ديكوارخوس Dicoearchus]<sup>(٦٠)</sup> ان الديلوسيين يسمون هذه الرقصة [كرانه Crane]<sup>(٦١)</sup> وقام ثيسسيوس برقصته هذه حول المذبح [الكيراتوني]<sup>(٦٢)</sup> واسمه هذا جاء لانه بني من القرون التي تؤخذ من الاصداغ اليسرى لرأس كل ذبيحة. ويقال انه انشأ العباباً في [ديلوس]. وكان اول من بدأ تقليد اهداء سعف نخل للفاثرين.

لما أقتربوا من ساحل اتيكيا اطار الفرع صوابهم لتكامل رحلتهم بالنجاح حتى ان ثيسسيوس والقبطان نسيا رفع البشارة ودليل السلامة لاجيوس، فما كان منه إلا كذف بنفسه بأساً من الصخرة الى البحر فهلك. وما ان نزل ثيسسيوس في ميناء [فاليرم Phalerum] حتى قدم القرايين التي كان قد نذرها للأرباب عندما ركب البحر. ثم انه ارسل الى المدينة بشيراً يحمل

---

(٥٧) احياء أعياد (اريدانه) زوج (باخوس) يتم احيائها باللهو والقصف والافراح للاعراب عن صيرورثها (ربة). في حين ان القرايين المقدمة ل(اريدانه) الثانية تشير الى سقوطها واعتبارها انساناً عادياً.

(٥٨) من هذا جاءت عادة قيام اثينا سنوياً برسالة وفد الى (ديلوس) لتقديم قربان (اپوللو).

(٥٩) كان هذا تمثالاً خشبياً صغيراً نحتته (ديدالوس) بقاعدة مربعة تقوم مقام القدمين وهو اول من ابتدع القاعدة للتماثيل وقد بدت في آثاره الأخيرة. ربما كانت (اريدانه) قد تسلمت التمثال من النحات وحملته معها وان تيسسيوس قدمه لاپوللو على زعم أهل (ديلوس) اذ لم يشأ ابقائه عنده لانه يذكره بحبييته. (پاوسانياس ٩: ٤٠).

(٦٠) هو أحد تلاميذ ارسطو الف كتباً عدة. أشهرها تاريخ سپارطا. كانت فصوله تتلى سنوياً على شبانها بامر من الايغوري. وقد اثنى عليها شيشيرون كثيراً.

(٦١) يحدثنا كالليماخوس بانها رقصة حلقيّة. وسميت (كرينه) ربما نسبة الى طائر الكرين (الكروان) الذي يطير بشكل حلقي، يقول [يوستاثيوس] كان الناس قبل تيسسيوس يرقصون على شكل مجموعتين منفصلتين واحدة للذكور وواحدة للاناث فجاء هذا ووحد بين الجنسين عند انقائه رفاقه الشبان من التيه. ما زال هذا النوع من الرقص حياً في اليونان بعد مرور زهاء ثلاثة آلاف سنة ويعدى (كانديوت Candiot). [انظر م. جي تاريخ الأدب اليوناني ص ١٣].

(٦٢) الكلمة مشتقة مباشرة من (قرن) ويعزى صنعه الى اپوللو. والقرون هي من ذكر غزلان (كينثوس) قتلته أخته الصيادة وقد بني كما تقول الاساطير من دون ملاط أو صمغ أو أية مادة غرائية أو لاصقة.

نبأ سلامة العودة. ولما دخل هذا، وجد معظم الأهالي في حزنٍ وكآبةٍ لفقدهم ملكهم، بينما أستولى الفرخ على آخرين لأنباء البشير السارة (وهو ما لا سبيل لنكرانه) وأظهروا شوقاً في الترحيب به وضمفروا قلائد الزهر على رأسه، فتقبل ذلك بطبيعة الحال إلا أنه رفعها عن رأسه وقلدها العكاز الذي يحمله المنادي عادةً، ورجع الى الشاطيء بهذا الشكل، فوصل قبل ان يفرغ ثيسسيوس من تقدمه الخمر للأرباب، فوقف عن كذب ولم يأت بحركة لئلا ينقض صلاته ودعاه وما أن انتهى ثيسسيوس حتى تقدم منه وأعلن له موت الملك. فهرع الجميع الى المدينة في ضجة واضطراب وندب وعويل. إن عادة عدم تتويج المنادي بل تتويج عكازه في عيد [تسخوفوريا Oschophoria] (٦٣) نشأت عن حادث ذلك اليوم واستمرت حتى يومنا هذا. كذلك نشأت منه عادة هتاف الحاضرين وقت سكب قربان الخمر «ايليليو، آيبوو آيوو Eleleu loü loü» (٦٤) واولى هذه الكلمات تخرج عادة من افواه المستعجلين. أو تستخدم هتافاً للنصر، أما الكلمتان الاخرتان فهما لازمة من لوازم اللسان يلفظها الناس عندما يكونون في حالة غمٍ أو اضطرابٍ بال.

ويعد ان شيع ثيسسيوس جنازة أبيه، قام بإيفاء نذوره لاپوللو في السابع من شهر [پايانيسيون] ففي ذلك اليوم دخل الى مدينة كل الشبان الذين عادوا معه من كريت سالمين. وقيل ايضاً ان عادة سلق الحمص في هذا العيد بدأت منذ ذلك اليوم، لأن كل الشبان الذين نجوا، جمعوا ما فضل من زادهم في قدر واحدٍ وسخنوه وأكلوا منه جميعاً، كذلك نشأت عادة حمل غصن الزيتون الذي يشد عليه شيء من الصوف في المواكب [بعد ذلك استعمل في الصلوات والأدعية] وأطلقوا عليه اسم [آيرسيون Eiresione] وكان يتوج مختلف الثمار اشارة الى زوال القحط والمحل، منشدين الاغنية التالية:

«ايرسيون يأتي بأفضل التين، ايرسيون يأتي بأرغفة خبز من أفضل دقيق القمح الابيض ويأتي بالعتسل في الجرار. والزيت نضمخ به اجسامنا، وبدنان من الخمر القوية ليؤوب الكل الى فراشه نشواناً».

(٦٣) عيد للخمر يبدء بموكب من اثينا نحو فاليرم. ويختار عدد معين في شبان أشرف الأسر على أن يكون الابوان حيين. ويحملون اغصاناً مثقلة بالعنب ويعدون منطلقين من معبد(ياخوس) نحو هيكل (مينرثا) القريب من الباب الغاليري والسباق للوصول يشرب كأساً من الخمر ممزوجة بالعتسل ويأكل جبناً وخبزاً وزيتاً ويتبع الراكضين جوق بقيادة شابين يرتديان ثياب النساء وهم يغنون ويحيط بالشابين عدد من النسوة على رؤوسهن سلال ويتم اختيارهن من أغنى الأسر في المدينة ويقود الموكب كله منادٍ يحمل قضيباً تحيط به اغصان.

(٦٤) الكلمة الأولى تدل على الشعور بالفرح والغبطة التي كان تيسسيوس يحس بها وهو قاصدٌ (اثينا) والكلمة الثانية المرددة تنبئ عن حزنه على وفاة ابيه.

ومع أن بعضهم يرى أن انشاء هذا العيد كان لذكرى الهيراقليدي<sup>(٦٥)</sup> الذين رباهم الآثينيون وأستضافوهم بالشكل الذي فصلناه إلا أن رأي الغالبية هو ما ذكرناه أولاً.

كانت السفينة التي أقلت ثيسوس وصحبه الشبان الآثينيين، ذات ثلاثين مجذافاً وعادت سالمة فأبقى عليها الآثينيون حتى ايام [ديميتريوس فاليروم]<sup>(٦٦)</sup> وعندها خلعوا عنها الألواح الخشبية النخرة، ووضعوا محلها الواحاً جديدة أقوى من سالفاتها. وأضت السفينة بسبب هذا التغيير مثلاً يضرب بين الفلاسفة حول المسألة المنطقية عن الأشياء المتحولة<sup>(٦٧)</sup>، ففريق منهم يتمسك بقوله ان السفينة بقيت كما هي، والفريق الآخر يقول انها لم تعد السفينة عينها.

إن العيد المسمى (اسخوفوريا) أو عيد الأغصان كان ثيسوس أول من أحتفل به وما زال الآثينيون يحفظونه حتى يومنا هذا. ويعود السبب في انشائه ان ثيسوس لم يأخذ معه العدد الكامل لمطلوب من العذارى اللاتي وقعت عليهن القرعة بل أختار شابين يثق بهما من ذوي القوة والبأس والمظهر الأنثوي والقسمات المليحة، غير من مظهرهما بالاستحمام الكثير واجتناب الحرارة وأشعة الشمس المحرقة، ودوام استعمال انواع الأدهان والعطور والغسل ووسائل الزينة لتجميل الرأس، أو نعومة البشرة، وتحسين لونها، حتى حقق التغيير المطلوب فيهما، ثم علمهما كيف يقلدان اصوات النساء، ومشية العذارى وتخطرهن بحيث ما عاد يفرق احدُ بينهما وبين النساء. ثم وضعهما بين الفتيات الآثينيات المرسلات الى كريت. فلما عاد سالماً، قام هو وهذان الشبان على رأس موكب ديني مهيب وهما في شكلهما النسوي، ويعين الزي الذي يتخذه الآن اولئك الذين يحملون اغصان العنب في الموكب. وهم يحملونها تكريماً لباخوس واريادنه، بسبب الحادثة التي اوردناها. أو ربما يعود ذلك الى أن اوبتهم الى الوطن وافقت موسم الخريف وهو أوان جني الأعناب. هذا وان النسوة اللاتي يطلق عليهن

---

(٦٥) بعد ان طرد يوريسثيوس الطاغية نسل الهيراقليدي من البلوبونيسس وبقيه بلاد الأغرقيك التجأوا الى اهل اثينا لحمايتهم فاجاروهم وجرياً على العادة المتبعة فقد دخلوا المدينة وبايديهم الاغصان، وقد عالج موضوع هؤلاء (يوربيدس) في مسرحيته (هيراقليدي).

(٦٦) اعني حوالي الف سنة. لأن (ثيسوس) عاد من كريت في حدود ١٢٣٥ ق.م. وكالليماخوس الذي عاصر (ديمتريرس) وقد اخبرنا ان الآثينيين ظلوا يبعثون هذه السفينة المقدسة الخالدة الى ديوس في زمانه (٢٨٠ ق.م) و(ديميتريوس) الفاليري هو الوصي المندوب عن (كساندر المقدوني) في اثينا [٣٠٧-٢١٧ ق.م] قيل انه نصب لنفسه ثلاثمائة وستين تمثالاً خلال هذه المدة وقد حطمت كلها في يوم واحد اذ دمرها دعاة ابادة التماثيل Iconoclasts بعد سقوطه. وكانت وفاته في ٢٨٤ ق.م. [راجع افلاطون: فيادر].

(٦٧) في رسالته حول «بطء الانتقام الالهي» يعزو پلوتارخ استنباط هذا النوع من المعرفة الى [ايبخارمس] من القرن الخامس قبل الميلاد وخلصتها أن التغير الذي يطرق على اجزاء الجسم في الفترات المتعاقبة للنمو الجسدي ابتداء من الطفولة ثم الشباب فالرجولة والشيخوخة، من شأنه بالمقابل إحداث تبدلات كاملة في الهوية الانسانية وتنتهي المناظرة في هذا الموضوع الى وجوب ابراء المدين من واجب الوفاء بدينه السابق.

[دايپنوفيسري Deipnopherae] أو حاملات طعام العشاء، يندمجن في هذه المواكب ويساعدن في تقديم القرابين أحياءً وتقليداً لأمهات الفتيات والعذارى الأسرى. فقد كُن في هذا الموقف المؤلم يتراكم هنا وهناك، يأتين بالخبز واللحم لاولادهن، ويروين لهم حكايات واقاصيص مسلية ليصرفن خواطرهم عن الخطر الذي ينتظرهم. ولهذا استمرت عادة رواية الخرافات والاساطير القديمة في هذا العيد. ونحن مدينون لتاريخ [ديمون] بهذه التفاصيل الدقيقة. اختيرت رقعة أرض، واقيم عليها معبد لثيسوس. وجمع من الأسر التي أخذ منها الشبان الرهائن ضريبة للمعبد يتفق منها على القرابين. وعُين آل [فيتالدي] مشرفين على تلك القرابين. وأضفى ثيسوس عليهم هذا الشرف تعويضاً واعترافاً بفضلهم السابق عليه.

بعد وفاة [ايجيوس] أخذ [ثيسوس] يُنمي في ذهنه فكرة عجيبة، وتصميماً عظيماً، ولما أختمر الأمر في ذهنه جمع كل مواطني اتيكاً في مدينة واحدة، وجعلهم شعباً واحداً لمدينة واحدة. وكانوا قبلها يعيشون في فرقة وتباعداً، يصعب جمع كلمتهم في أي شأن من الشؤون المتعلقة بالمصلحة العامة المشتركة، بل كانت الخصومات والحروب كثيراً ما تنشأ فيما بينهم، تمكن من ازالة ذلك بوسائل الاقتناع وتنقله من بلدة الى أخرى ومن عشيرة الى عشيرة. وسارع اولئك الذين ينتمون الى الطبقة الفقيرة، أو ذوو الدخول الصغيرة المحدودة الى اعتناق افكاره الرائعة تلك، في حين وعد اولئك الذين يملكون السلطان والمال، بجمهورية لا يرأسها ملك وبحكم ديمقراطي أو حكم شعبي لا يكون هو فيه ملكاً بل مجرد قائد عسكري، وحام لقوانينهم، وفي الأمور الأخرى يكون الجميع على مستوى واحد دون تمييز أحد على الآخر. وبهذه الطريقة أفلح في اجتذاب قسم من هؤلاء الأخيرين الى صفه اختياراً. اما الباقي فتظاهروا بالاقتناع لحفهم من سلطانه الذي كان مرهوباً جداً، ولمعرفتهم بشدة عزمه وبأسه، وعندئذ بدء بحل كل مجالس الحكم المحليّة، وبيوت الدولة العليا، وعزل الحكام، واقام مجلس عموم واحد وقاعة شورى في الموضوع الذي يقوم اليوم القسم الأعلى من المدينة (الاكربوليس) وأطلق على المدينة اسم «اثينا»<sup>(٦٨)</sup> وقرر بالمناسبة عيداً عاماً يقرب منه قربان اجماعي سمّاه [پان اثينا: أو قربان كل الاتحاد الاثيني]<sup>(٦٩)</sup> [أتيكاً] واستحدث ايضاً قرباناً آخر يدعى

(٦٨) كانت قبلاً تطلق على البلدة القديمة فحسب. وقد لاحظ المؤرخون والباحثون الثقة انه كثيراً ما أطلقت على اثينا الصفة العامة أو اسم الجنس اي (المدينة) فحسب [مثلاً كان الرومان يشيرون الى روما باسم (أربس Urbs أي المدينة) بسبب زيوع صيتها. ان اول ملك لها وهو (مكيكروبس) بنى القلعة على مرتفع وأطلق عليها اسمه ومعناه [المدينة القلعة].

(٦٩) باناثينا Panathaea. كان له وجود قبل تيسوس ويقام تكريماً (لينزفا) ولم يكن يمت لاثينا بصلة. لكن تيسوس عظم من شأنه وجعله عيداً عاماً لكل سكان اتيكاً ولهذا سمي (باناثينا)، وهناك العيد الكبير والعيد الصغير ويقع هذا في العشرين من شهر ثارجيليون كل سنة. والاول يعيدونه كل خمس سنوات =

[ميتوشيا Metocia] او عيد الهجرة<sup>(٧٠)</sup>، ويقع في السادس عشر من شهر [هيكاتوميون] وتنازل عن عرشه وسلطانه الملكية كما وعد، ومضى قدماً في تقنين دستور الجمهورية الشعبية بعد استشارة الأرباب والاستعانة بهم. اذ ارسل يستخير عرافة دلفي بخصوص مستقبل حكومته الجديدة ومدينته، ونزلت عليه النبوءة كالآتي:

أي تيسسيوس سليل خط الملكي بنت بيتوس. لقد أعطى ابي مدينتك، مقادير وأمر دول عديدة. فلاتقلق ولا تخش شيئاً ولكن استشر فقط بثقةٍ وبعزم الطحلب لن يكف عن العوم فوق الامواج التي تخف به.

ويقال أن آخر أبيات هذه النبوءة، كررته الكاهنة سيليل Silyl للأثينيين بعد زمن طويل، بالصيغة التالية:

«قد يغطس الطحلب، لكنه لن يغرق وهذا ما تقرّر له<sup>(٧١)</sup>».

بعد هذا انصرف الى توسيع رقعة مدينته، ودعا كل الأجانب للقدوم اليها، والتمتع بامتيازات مواطنة متساوية مع أهاليها، وقيل ان العبارة الشائعة «تعالى الينا أيتها الشعوب كافة» هي العبارة التي نطق بها تيسسيوس عندما أقام صرح الجمهورية على شكل ائتلاف أممي على أنه لم يدع نظام حكمه الجديد ينقلب الى فوضى يتدفق جموع الأقسام الى المدينة فينبت حبل النظام وينفرط عقد الأمن والاستقرار، وكان اول من قسم سكان الجمهورية الى ثلاث طبقات متميزة: النبلاء، المزارعين، الصناع. وأسند للطبقة الأولى رعاية الشؤون الدينية وحق اختيار القضاة، والتصرف في شؤون التعليم والاشراف على تنفيذ القوانين، وتفسير كُُلّ الأمور المتعلقة بالعقائد المقدسة، وعلى هذا الأساس سادت مساواة دقيقة في المدينة، فالنبلاء يتقدمون الباقي في الشرف والمكانة والمزارعون يتقدمون الجميع في الفائدة والمال. والصناع يتفوقون على الجميع بقوة العدد. يقول [ارسطو] مظهرأ ميله الى الحكم الجمهوري ان تيسسيوس كان أول ملك تنازل عن حكمه المطلق طوعاً، ويبدو ان [هوميروس] شهد له بذلك

---

= في الثالث والعشرين من شهر هيكاتوميون وفيه يسير موكب حاملاً حجاب (مينرفا) أو ما يدعى (بيبلون) وقد نقش عليه صورة انتصار الآلهة على الجبابرة. الى جانب مناظر لأعظم مآثرة ابطالهم. (٧٠) احياءً لذكرى تركهم الدساكر واجتماعهم في مدينة واحدة. ويسميه ثوكيديدس ١٥:٢ [سيوشيا] إلا أن السبب واحد. وبهذه المناسبة انشأ تيسسيوس أو حافظ على الالعب الاستمعية إكراماً ل(نبتون) وقد رمي من ذلك الى اجتذاب الغرباء وتشجيعهم على سكنى اثينا منحهم حقوق المواطنة كاملة.

(٧١) عندما استولى [سيللا] على أثينا لم يبق نوع من أنواع القسوة الا ارتكبه وهناك قصد بعض الأثينيين معبد (دلفي) للاستشارة في هل ان ساعة مدينتهم الأخيرة قد حانت؟ فأجابت الكاهنة على حد قول [پاوسيناوس ١:٢٠٠] «ما يتعلق بالطحالب له نهايته». منوهة كما يبدو بالنبوءة القديمة التي صدرت هناك.

أيضاً عندما اقتصر على ذكر كلمة «شعب اثينا» في قائمة السنن<sup>(٧٢)</sup> التي ذكرها، دون ان يخصّ غيرهم بهذه.

وضرب ايضاً نقوداً ونقش عليها صورة ثور، إما احياً لذكر ثور [ماراثون] أو تذكرة بانتصاره على [طوروس] قائد مينوس أو ربّما ليذكر شعبه بوجوب الانصراف الى الزراعة. ومن هذه السكّة جاء التعبير الشائع جداً عند الأغريق حين يوتي الى تقويم شي، من الأشياء «انه يسوى عشرة ثيران، أو يسوى مائة». وبعد ذلك ضمّ [ميغارا] الى آتيكا واقام على الخليج<sup>(٧٣)</sup> ذلك الأسطون الشهير الذي نقش عليه كتابة تتألف من سطرين يشيران الى حدود الدولتين لأنهما تلتقيان في تلك النقطة. فعلى الجانب الشرقي تقرأ هذه العبارة:

«پيلوبونيستوس ليست هنا بل آيونيا».

وعلى الجانب الغربي تقرأ: «پيلوبونيسوس هنا، لا آيونيا!».

وأنشأ كذلك ألعاباً مضاهياً بها ألعاب هرقل بدافع من طموح فيه إذ كان الأغريق برغبة من هرقل يحتفلون بالالعاب الاولمبية<sup>(٧٤)</sup> تكريماً لجوبيتر، فلم لا يحتفلون بالالعاب [الإستمية]<sup>(٧٥)</sup> تكريماً لبنتون، وبرغبة منه؛ لقد كانت تلك الألعاب قبل ذلك مخصصة [لمليكرتا Melicerta] يتم احيائها ليلاً باحتفال خاص، وهي في الواقع مراسيم دينية أكثر من كونها عيداً عاماً أو احتفالاً شعبياً. وهناك من يزعم ان الأصل في الالعاب [الاستمية] انها كانت لذكرى [سكيرون] اقامها ثيسوس على أثر موته تخليداً لاسمه لأنه أدنى اقربانه اليه. فهو ابن [كانيتوس] و[هنيوخا Heniocha] بنت پتيوس. على ان بعضهم يقول أن ابن هذين الأبوين هو [سنيس] وليس [سكيرون]، وان (ثيسوس) اقامها للأول منهما. وإبرم

---

(٧٢) اليازة ٥٤٧:٢ ه. في تلك العبارة وصف الأخائيون بـ«شعب ارخيثوس العظيم» وهي ما تشير الى مفهوم لايتفق واستنتاج پلوتارخ لكن ربما أعتبر العبارة قاصرة على أولئك الذين كانوا قد أمروا عليهم «ارخيثوس» يوماً ما؟

(٧٣) هذا الأسطون اقيم بموافقة الأيونيين والپلوبونسيين. لوضع حدّ نهائي للنزاع حول الحدود وقد بقي قائماً حتى عهد قدروس ثم نقض الهيراقليدي هذا الصرح عندما ملكوا (ميغارا) التي انتقلت بموجب ذلك من يد الأيونيين الى يد الدوريين [انظر سترابو] وقام [هادريان] فيما بعد بتقليد هذه الكتابة فقد نقش على النصب الذي أقامه بين أثينا الجديدة وأثينا القديمة كتابتين، فمن جانب تقرأ عبارة: «هذه أثينا مدينة تيسوس العتيقة: ومن الجانب الآخر تقرأ هذه العبارة «هذه مدينة هادريان وليست مدينة تيسوس».

(٧٤) لابد وان يكون نشوء هذه الالعاب قبل التاريخ الذي اثبت لزمان هرقل بوقت طويل. فقد اثبت (سترابو) بانها لم تكن معروفة ايام (هوميروس) وربما وجدت قبله ولكن عفى عنها وطواها النسيان حتى احيائها (ايفيثوس) وهو التاريخ الذي اثبت لتأسيسها.

(٧٥) سميت كذلك نسبة الى برزخ (اسموث) پيلوبونيسس حيث تجرى ثمة.

(سيوس) في الوقت نفسه معاهدة مع أهالي كورنث، ليسمحوا للقادمين من آتينا برؤية الألعاب الاستمعية، بموضع شرف يتصدر النظارة. وقدرت مساحة هذا الموضع بقدر ما يغطي من الأرض شراع السفينة<sup>(٧٦)</sup> التي أقلت المتفرجين مبسوطاً بكامل ابعاده. وهذا ما اثبتته كل من [هيللانيكوس، وأندرو Andro هاليكارناسوس].

واما عن رحلته الى البحر الأسود Euxine، فقد كتب فيلوخورس وآخرون انه قام بها مع هرقل عارضاً عليه خدماته في الحرب ضد الامازونات<sup>(٧٧)</sup> وكافأه بـ[انتويوس Antio-pea]<sup>(٧٨)</sup> على شجاعته. إلا ان القسم الأكبر ومنهم [فيريكيدس Pherecydes] وهيللانيكوس وهيرودوروس، يقولون انه قام بالرحلة بعد هرقل بسنين عديدة وهو يقود عمارة بحرية خاصة به، وانه أخذ الامازونة [انتويوس] أسيرة، وهي القصة الاقرب احتمالاً. على اننا لانجد اي شخص آخر غيره ممن رافقه في هذه الحملة، يقول انه أسر أي امازونة. ويضيف [بيون Bion] قوله، ان تيسيوس لجأ الى الخديعة لأسرها وبعدها ألق عن الساحل في الحال. فالامازونات على حدّ قوله شبقات جداً محبات للرجال بطبعهن، فلم يصبرن على وجود تيسيوس عند ارسائه على سواحلهن. بل بادرن الى ارسال الهدايا السنية، فدعا [انتويوس] التي حملت الهدايا الى صعود السفينة، وما أن فعلت ذلك حتى أطلق سفينته للريح. ويضيف كاتب من بثينيا هو [مينيقراطس Menecrates] صاحب تاريخ نيقية، أن تيسيوس بعد اصعاده انتويوس وإطلاق سفينته للريح، تجول مدة من الزمن بمحاذاة السواحل، وكان يوجد في السفينة اخوة ثلاثة من شبان اثينا رافقوه في رحلته وهم [يونيسوس Euneos و ثاؤوس Thaos و صوليؤوس Soloüs]، والاخير منهم وقع في حبّ [انتويوس] وبغفلة عن البقية كشف عن سرّه الى صديق عزيز وطلب منه ان يتوسط بمصارحة انتويوس بما يعتمل في نفسه من عاطفة. ففعل إلا أنها لم تشأ مبادلته العاطفة ورفضت حبه رفضاً باتاً، وعالجت الموضوع معالجة هادئة حكيمة ولم تنه الأمر الى تيسيوس ولم تذكر له شيئاً. لكنّ اليأس الذي ركب [صوليؤوس]

---

(٧٦) كانت ترسل هذه السفينة سنوياً الى ديلوس وفاءً لنذر تيسيوس وهي مزدانة باغصان الزيتون المقدس ومملوءة بالقرايين المخصصة لا بوللو. ومنذ فترة تزيينها حتى عودتها، تدخل المدينة في فترة تطهر ويوقف تنفيذ احكام الموت الرسمية. ولذا نذكر القاريء هنا بفترة الايام الثلاثين التي مرت ما بين الحكم على سقراط واستشهاده. والى فترة التحريم هذه ندين بالمنظرات الرائعة التي نقلها لنا تلاميذه والوقائع التي تخللت تلك الفترة بينه وبين مستمعيه.

(٧٧) ليس هناك خرافات ورجم بالغيب بقدر ما يتعلق بموضوع [الامازونات] ويقول [سترابو] أن أكثر مؤرخي الاسكندر المقدوني أهلاً للثقة لم يتطرقوا حتى لذكرهن. ولو كنّ حقاً جزءاً من الشعب الصيبي فكيف اتفق أن حملن اسماء يونانية؟

(٧٨) يقول [يوستين] ان هرقلأ أعطى تيسيوس (هيپوليتو) وأحتفظ لنفسه بـ(انتويوس).

جعله يلقي بنفسه في نهر قريب من الساحل. ولما علم ثيسيوس بموته وجبه العاثر الذي اوردته المنية، ادركه حزن شديد، وفي تصاعد كآبته تلك تذكر نبوءة كانت قد نزلت له في دلفي. اذ أنهت اليه كاهنة [اپوللو پيتوس] بأن عليه ان يبني مدينة وقتما ينتابه اعظم الحزن. واينما كان موجوداً، وعليه ان يترك بعض اتباعه حكاماً لها. فبنى مدينة [بثيوبولس] مشتقاً اسمها من صفة [اپوللو] واحياءً لذكرى الفتى المنكود الخائب في جبه، أطلق اسمه [صوليوس So-lois] على النهر الذي يجري بمحاذاتها. وعهد لأخوى الغريق بادارة المدينة وتنفيذ قوانينها وضم اليهما [هرموس Hermus] احد أفضل نبلاء اثينا. ومن اسم هذا الأخير عرف اسم حي من احياء المدينة [بمنزل هرموس] وبخطأ في نطق الاسم<sup>(٧٩)</sup> اظن المقصود به [بيت هرميس] اي الاله مارس وهكذا انتقل الى الرب ذلك التكريم الذي اريد به [هرميس - عطارد].

هذا هو سبب واساس الغزو الأمازوني لآتيكا. ذلك الغزو الذي لا يمكن ان يبدو قط عملاً انشوباً صغير الشأن. ويكاد يكون من المتعذر أنهن عسكرن في المدينة نفسها ودخلن المعركة قرب [پنيكس Pnyx]<sup>(٨٠)</sup> عند التل المسمى [ميوزيوم Museum]<sup>(٨١)</sup>. إلا اذا كن قد استولين على كل البلاد المجاورة للمدينة ووجدت الجراءة والسلامة الكافيتين للزحف عليها. ويصعب الوثوق بما زعمه [هيللانيكوس] عن قيامهن بهذه الرحلة الطويلة برأ، ومرورهن بالبوسفور الكيمري<sup>(٨٢)</sup> عندما كان منجمداً. أما أنهن عسكرن في مكان أخو غير المدينة فهذا مؤكد، ويمكن اثباته بما يكفي من الاسماء التي ما زالت تطلق على المواقع في تلك الانحاء، ويقام القبور والاضرحة والأنصاب للاتي سقط منهن في سوح القتال.

لما غدا الجيشان على قيد النظر أحدهما من الآخر، سادت فترة هدوء وشك في ايهما سيبدأ الهجوم؟ وأخيراً قرب ثيسيوس قربانا لرب (الخوف)<sup>(٨٣)</sup> اطاعة لأمر نبوءة نزلت عليه، ثم بدأ القتال. وكان ذلك في شهر [بيويدرميون Boedromion] وفيه يحتفل الآثينيون الى يومنا هذا بعيد [بيودروميا]. ويريد [قليديموس] ان يكون أكثر تفصيلاً واسهاباً فيكتب قائلاً ان

(٧٩) حرفياً giving it the cicumflex accent.

(٨٠) كان موضعاً قرب القلعة اعتاد أهل اثينا الاجتماع لسماع الخطباء يبحثون في الأمور العامة. وسمي كذلك للمحلات المزدحمة في ذلك الحي، وقال آخرون انه من اجتماع Conflex الجمعيات العامة فيه.

(٨١) يقوم (الميوزيوم) فوق اكمة صغيرة مقابل الحصن وفي أعلى جزء من الاكمة. وربما اسمه من وجود هيكل الميوزات هناك أو ربما من اسم الشاعر ميوزيوس الذي كان ينشد فيه اشعاره وقد دفن هناك ايضاً (انظر پاوسنياس ١: ٢٥).

(٨٢) البرزخ الذي هو بين بحر پالوس موتس وبين البحر الأسود.

(٨٣) يدخل الوثنيون في عداد آلهتهم فضلاً عن العواطف، الاحساسات المزعجة، والظواهر الطبيعية المخيفة ويعبدونها اتقاء شرها.



ميسرة الامازونات حركت نحو موضع ما زال يعرف باسم [أمازونيوم] وتقدمت ميمنتهن نحو [پنيكس] قرب [خريسا] والتحم الآثينيون الذين خرجوا من خلف تل [ميوزيوم] بهذا الجناح. وان قبور تانك اللاتي صُرعن، تُرى شاخصة في الشارع المؤدي الى مدخل [پيرياكا Piriaca] قرب هيكل البطل [خلقدون Chalcaedon] وان الآثينيين حاقت بهم الهزيمة في هذا الموضع، وهربوا من وجه النساء حتى معبد [فيوريس Furies] (٨٤) لكن امدادات جديدة وصلت ميسرتهم من [الپلاديوم ومن اللقيوم ومن ارديتوس Palladium, Ardetlus, Lycium] (٨٥) فكروا علي جناحهن الأيمن ودحروهن حتى ألقوا بهن إلى مخيماتهن. وسقط في هذه المعركة عدد كبير من الأمازونات وغدت الحرب سجلاً، ثم وبعد أربعة أشهر عقدت الهدنة بين الطرفين، وأبرم الصلح بوساطة من هيبوليتا (يطلق المؤرخون هذا الاسم على الامازونة التي تزوجها ثيسوس، ولايسمونها انتيوبه)، على أن بعضهم كتبوا أن [مولپاديا Molpadia] قتلتها بطعنة رمح اثناء ما كانت تقاتل الى جانب ثيسوس. وان النصب القائم جوار هيكل «الارض الالمپية» (٨٦) إنما اقيم فوق قبرها تخليداً وعلينا ان لانعجب اذا وجدنا التاريخ يخطب خطب عشواء في حوادث موغلة في القدم كهذه، فقد قيل لنا أن الأمازونات اللاتي جرحن في المعركة، أرسلتهن انتيوبه سراً الى (خلقيس) فشفى كثير منهن بفضل سهرها وعنايتها. لكن بعضهن توفي وقبر في موضع يطلق عليه الى يومنا هذا [امازونيوم]. واما ان الحرب انتهت صلحاً فهذا واضح أكيد من اسم الموضع الملاصق لمعبد ثيسوس فهو معروف بـ[هوركوموزيوم Horcomsium] (٨٧) من العهد الموثق الذي ابرم هناك. وكذلك من الأضحية الغابرة جداً التي جرت العادة على تقديمها للامازونات في اليوم السابق لعيد ثيسوس. كذلك يريك [الميفاريون] بقعة في مدينتهم على الطريق الممتدة من السوق الى موضع يدعى [روس Rhus] (٨٨) تضم رفات بعضهن، حيث يقوم «البناء المعيني Rhomboid» وشيبه بهذا ما

(٨٤) في الواقع لم يكن هذا المعبد موجوداً آنذاك، اذ انه بني على أثر محاكمة اورستس [پاوسنياس ٧:٢٥]. على ان الموضع الذي قصده پلوتارخ لك يكن بالامكان تحديده بغير ذلك.  
(٨٥) كان الپلاديوم المكان المخصص لمحاكمة المتهمين بجرائم القتل. (ارديتوس) نسبة الى البطل الاثيني الذي فض نزاعاً قائماً بين مواطنيه المختصين فيما بينهم واقتعهم بربط انفسهم بقسم جماعي متبادل على الاتحاد والتعاون.

(٨٦) بهذا يقصد (القمر) وقد سمي بهذا لأنها كما يزعم پلوتارخ نفسه في رسالته عن «انقطاع النبوءات» - تشبه الجن أو الشياطين وليست لها كمال الآلهة ولا نقصان فيها كالبشر لكن، لما كان بعض الفلاسفة الفيثاغوريين قد توصلوا فيما بعد ان نتائج فلكية كافية للاستنتاج بان الشمس هي مركز المجموعة فيعترض انه تراعى للمفكرين الاوائل بانه «جسم ارضي». ولذلك سمي القمر أحياناً بالنجم الأرضي.

(٨٧) من الأقسام التي اديت توثيقاً للعهد المقطوع.  
(٨٨) «مجرى» لأن المياه المنحدرة من الجبال المشرفة على المدينة كانت قد اتخذت مجراها مرة (پاوسنياس =

قبيل ان بعضهن قتل قرب [خيرونا] ودفن على ضفة نهر كان يعرف سابقاً باسم [ثرمودون Thermodon] والآن يدعى [هيمون Haemon] ذكرنا شيئاً عنه في سيرة [ديموستينس]. ويبدو أن مرور الامازونات عبر [تسالي] لم يخلُ من مقاومة. اذ يوجد ثم عددٌ من قبورهن قرب [سكوتوزا Scotussa و كينوسفاليا Cynoscephalae].

هذا غاية القصد في الامازونات. وهناك رواية عن اوردها ناظم ملحمة [ثسياد Theseid] هي محض خيال مختلف. يقول ان انتيويه على سبيل الانتقام من ثيسوس لأنه هجرها وتزوج [فيدرا Phaedra] انحدرت الى المدينة بمجموع من امازوناتها، فقضى عليهن هرقل!

الحق يقال ان ثيسوس تزوج [فيدرا] إلا أنه فعل ذلك بعد موت انتيويه التي انجبت له ولداً دعاه [هيسبوليتوس] أو [ديموفون] على حدّ زعم [پندار] (٨٩). أمّا النكبات التي حلت [بفيدرا] وابنه فلا سبيل لنا إلا الافتراض بأنه وقعت كما اتفق على روايتها جميعهم. لأنه لم يتم احد من المؤرخين بالاعتراض على الشعراء التراجيدين الذين كتبوا عنها.

هناك روايات أخرى أيضاً عن زيجات ثيسوس لا تشرفه مناسباتها ولا تُسعده في وقائعها، لم تتطرق اليها التمثيليات الاغريقية. فلقد قيل انه خطف (اناكسو) الطروزينية، وقتل كلاً من [سينيس Sinnis، وسركيون] ليغتصب ابنتيهما. وتزوج [بيرويا] أم [أجاس Ajax]، ثم [فيرويا Pheriboea] ثم [آيوه Iope] بنت [إيفكليس Iphicles] فضلاً عن اتهامه بهجر (اريدانه) مخالفاً مبادئ الشرف والاخلاق كما أوردنا - عندما وقع في حبّ [ايكله] بنت [پانوپيوس Panopeus] بدون وجه حق، أو اعتبار لكرامة. وأخيراً قيامه بخطف [هيلين]، وهو العمل الذي قلب اتيكا كلها الى ساحة حربٍ تمور بالدماء، وكان بالأخير سبباً لنفيه وموته وهذا ما سنروي وقائعه الآن.

يرى [هيرودوروس] انه وان كان يوجد ثم الكثير من الحملات العسكرية الشهيرة التي قام بها أشجع رجال عصر ثيسوس، فانه هو نفسه لم يقدر إلا واحدة، وهي معركة الابيثيين مع

= ٢:٤١:١). وربما كان الرومويدي تلاً ترابياً غير منظم.

(٨٩) يخطيء [پندار] في قوله ان [ديموفون] هو أحد ولديه اللذين انجبهما من [فيدرا]. [الثاني هو أكاماس]. عند زواج ثيسوس من فيدرا أرسل هيبوليتوس لأمه إيثرا ملكة طروزين لتتولى لتربيته. وبعد زمن عاد لحضور الالعب الآثينية فوقعت (فيدرا) في حبّه وراودته عن نفسها عبثاً. وفي نوبة من انفعالها ويأسها شكته لثيسوس زاعمة انه حاول النيل من شرفها وتقول الأسطورة ان (ثيسوس) دعا [نبتون] ليذيقه ميتة عنيفة عقاباً له فاستجيب دعاؤه. ان فيما كان هيبوليت يقود عربته على ساحل البحر ارسل نبتون عجلي بحر اربع الخيل فانقلبت العربة به وتمزق جسده، ويذكر الشعراء ان الملكة شنقت نفسها حزناً وان [ديانا] التي هرّتها عفة هيبوليت، وألتهها نهايته المفجعة، أقنعت (ايكولايوس) باعادته الى الحياة وجعلته مرافقاً لها في سائر نزهاتها.

(السنطورس) إلا أن بعضهم يقول انه رافق [جاسون] الى [خُلقيس] (٩٠) و [ملياغر- Meleag-er] لقتل الخنزير الوحشي الكليدوني. ومن هنا جاء المثل السائر «لا شيء بدون ثيسسيوس»، وثابت ايضاً انه حقق بنفسه دون معونة من أحد مآثر مجيدة لا تحصى، من هذا جاء القول المأثور «هرقل آخر، او هرقل ثان» ولقد شارك ايضاً [أدراستوس Adrastus] في استعادة جثث أولئك الذين صرعوا امام قادفيا قلعة (ثيبة) لكن ليس بالشكل الذي صوره [يوربيدس] في مأساته (٩١)، اي ليس عنوة واقتداراً بل بالتفاهم والإقناع والاتفاق، وهو ما أستقر عليه معظم المؤرخين. ويضيف [فيلوخورس] ان هذا الاتفاق هو الأول من نوعه في التاريخ، (لكن يظهر في تاريخ هرقل، انه اول من سمح لاعدائه ينقل جثث قتلاهم) وان المقابر التي تضم رفات معظمهم مازالت ظاهرة في قرية [اليوثيري Wleutherae] (٩٢) اما قبور القادة فتشوي في [اليوسيس] حيث خصص لهم ثيسسيوس رقعة من الأرض اكراماً لخاطر [دراستوس]. ورواية [يوربيدس] التي اوردها في مسرحية «المتضرعين» يدحضها [اسخيلوس] في مأساته المسماة [الايلوسينون Eleusiniand] (٩٣) حيث يقوم ثيسسيوس برواية الوقائع كما اثبتناها هنا (٩٤).

والصدقة الشهيرة التي ربطت بين [ثيسسيوس وبيرتاووس] قيل انها بدأت على النحو الآتي: ذاع صيت ثيسسيوس، وعلم الناس بقوته وبأسه في أقصى بلاد اليونان، ورغب [بيرتاووس] ان يختبر الأمر بنفسه، فقام تحدوه هذه الغاية بضبط قطع من الشيران يعود لثيسسيوس، وبينما كان يستاقه من ماراثون، أبلغ بأن ثيسسيوس يقصّ أثره وهو بكامل سلاحه فلم يسرع في فراره، بل انقلب عائداً لملاقاته. ولما تفرّس احدهما في الآخر امتلاً هيباً واحتراماً متبادلاً، ونسيا كل نية في القتال. وسبق [بيرتاووس] فمدّ يده لثيسسيوس وطلب منه ان يكون حكماً في النزاع. ووعد ان يخضع لأي عقوبة يفرضها بملء الرغبة فلم يكتف ثيسسيوس بالصفع عنه، بل عرض عليه صداقته واخوته في السلاح. وأشهدا على صداقتهما وعززأها بالأيمان المغلظة. وبعد زمن، تزوج بيرتاووس [ديداميا Diedamia] (٩٥) ودعا ثيسسيوس الى

(٩٠) ربما بحثا عن جزّة الصوف الذهبية.

(٩١) وهذا ايضاً ما يزكيه ايزوقراطس في مقاله حول (هيلين) وان كان يرى في موضع آخر ان (تيسسيوس) أرسل سفراء الى ايتوكليس. إلا ان هذا التناقض الواضح ازاله معاصره (ليسياس) بذكره ان (تيسسيوس) يعد مفاوضة غير ناجحة حصل بالقوة على نتيجة أفضل. مأساة [المتضرعون: ص ٦٥٣ وما بعدها].

(٩٢) مدينة في اتيكا على حدود بويوسيا [پاوسنياس ١: ٢٨].

(٩٣) الابيات ١٢١٣ وما بعدها.

(٩٤) مفقودة.

(٩٥) كل الكتاب الآخرين يسمونها (هيوداميا) ما عدا [پربيتيوس] الذي يسميها [ايسخوماخه] ٢: ٩٠.

حفلة العرس، ولمشاهدة بلاده بهذه المناسبة والتعرف بقومه اللابيثيين<sup>(٩٦)</sup> كما دعا في الوقت نفسه قوم [السنطوروس]. وفي الحفلة لعبت الخمر برؤوس هؤلاء، وأظهروا شراسة وسوء أدب، وطفقوا يتحرشون بالنساء ويهينونهن. فأسرع اللابيثيون يثأرون منهم وبطشوا بعدد كبير منهم في اثناء الوليمة. ثم نشبت معركة فيما بينهم فهزموهم وطردهم من أرضهم جميعاً وكان ثيسسيوس يقاتل الى جانب الابيثيين إلا ان لهيرودوروس قصة أخرى عن هذه الأحداث. فهو يقول أن (ثيسسيوس) لم يسرع الى معاونة اللابيثيين إلا بعد نشوب الحرب. وان اول مشاهدته لهرقل كان في طريق ذهابه اليهم. اذ كان قصده أن يجده في [تراخيسن]<sup>(٩٧)</sup> التي أختارها هرقل موطناً بعد كل مغامراته واسفاره وان هذه المقابلة تمت بشكل مشرف لهما، وباحترام وود لا مزيد عليهما. ولكن القول الاكثر احتمالاً واعتماداً هو ما زعمته طائفة أخرى من المؤرخين بان لقاءات أخرى كثيرة كانت قد جرت بينما، انه بسعي من ثيسسيوس مُنح هرقل في [إيليوسيس] حق المواطنة وقبل اجراء المراسيم اسرار كسيريس Ceres قام بالتطهر بسبب النجاسات التي حفلت بها حياته الماضية<sup>(٩٨)</sup>.

يقول [هيللانيكوس]: اختطف ثيسسيوس هيلين عندما كان في الخمسين من عمره. وهي وقتذاك طفلة ليست في سن زواج. ويقول بعض الكتاب - يقصدون جباً تهمة تتضمن واحدة من اكبر الجرائم - انه لم يسرق هيلين بشخصه، وان الفاعلين هما [ايداس Idas] و[لينكيوس Lynceus] خطفاها وجاء بها اليه ووضعها أمانة عنده. ولهذا رفض اعادتها الى اخويها [كاستور Cadtor] و[پولوكس Pollox] عندما طلباها منه. أو يقولون ان أباهما [تنداريوس Tandarus] كان قد بعث بها اليه ليحافظ عليها من [انياروفوروس Enarophorus] ابن [هيبيكيون Hippocöon] وكان يحاول اختطافها وحملها بالقوة وهي طفلة. لكن أقرب

= وهي بنت [داراستوس].

(٩٦) يطلق هوميروس على «اللابيثي» صفة الأبطال. واثر عن السناطير بانهم انصاف بشر وانصاف خيل ويصورون عموماً راكبين خيلاً أما بسبب وحشيتهم أو لصقتهم الحيوانية ان لم يعز اليهم استعمال الخيل وسياستها.

(٩٧) موضع صغير يقع بالقرب من جبل اوتيا.

(٩٨) قبل التكريس للأسرار الكبرى في اليوسيس لأبد من اجراء مراسيم التطهير في الأسرار الصغرى على المرشح (وتقام في أغرا بالقرب اليوسيس) وبعد ان يُعد المرشح نفسه بالصيام والتأمل يجب عليه ان يضطجع على جلد خنزيرة حامل سبق أن ضحيت لـ(چوپتر). ثم عليه أن يغتسل بماء البحر الذي يمازحه الملح والغار والشعير وبعدها يمر عبر النار ثم يكلل بالزهر. ويقضى المقبول في الأسرار السنة التالية يدرس المراسيم للبعث الجديد وبعد هذا كله (باستثناء مراسيم وخاصة جداً قاصرة على رتبة الكهنوت) يتم تكريسه نهائياً بارتداء الثوب الذي كُرس فيه لايُنزعه عنه حتى يهتريه ويغدو خرقاً فيوقفه على [سيريس] أو [پروسيرين] أو يحفظه لاولاده.

الروايات احتمالاً وأغناها بالشهود، هي الآتية: ذهب ثيسوس وبيرتاوس الى سبارتا، وبعد ان خطفا الصغيرة اثناء ما كانت ترقص في معبد [ديانا أورثيا] (٩٩)، هربا بها فخرج رجالٌ مسلحون لتعقيبهم، إلا أنهم لم يمضوا في مطاردتهم أبعد من [تيجيا Tegea] ولما أمن الخاطفان المطاردة وفي اثناء مرورهما ببلاد الپيلويونيسوس وصلا الى اتفاق فيما بينهما، وهو ان يقترعا على هيلين، فمن خرجت له اتخذها زوجاً، والظافر بها يجب ان يساعد الخاسر في الحصول على أخرى. وسحبت القرعة وفاز ثيسوس فأخذ هيلين الى مدينة [افيدني Aphid-nae] (١٠٠) ولم تكن تصلح للزواج - وادعها لدى واحد من حلفائه المدعو [افيدنوس]، ثم بعث بأمه [ايشرا] لتعني بها هناك وطلب من حليفه هذا ان يكتم سرهما لئلا يعرف احد موضعهما. بعد أن فرغ من هذا عاد الى صديقه للوفاء بالوعد ورافقه الى [ايبروس Epirus] ليخطفا بنت ملك المولوسيين [Molossians] المدعو [ايدونيوس Aidonius] أو [پلوتو] وكان هذا الملك قد جمع زوجة [پروسپرينا Prosprina] (١٠١) وابنته [كوراي Corae] وكلباً هائلاً عنده يدعى [سيربيروس] وطلبت من كل خاطب لابنته ان ينزل هذا الكلب فاذا تغلب عليه فاز بها ولكن لما ابلغ ان قصد پيرتاوس ورفيقه، هو اختطافها (١٠٢) لا خطبتها أمر بالقاء القبض عليهما وطرح پيرتاوس الى كلبه فمزقه تمزيقاً وألقى ثيسوس في السجن وأبقاه.

في هذا الزمن نبغ [مينيسثيوس Menestheus] ابن پيتيوس وحفيد [اوريندس]، وابن حفيد [ارختيوس] وهو اول خطيب جماهيري في التاريخ، ممن اشتهر بالمقدرة على خطب ودّ الجماهير واثارتهم وتزعم جموعهم. هذا الرجل اثار حفاظ وموجدات كبار القوم في المدينة، ومنهم عدد كبير ممن كان يضرر لثيسوس حقداً دفيناً لأنه جردهم من اقطاعياتهم وسلطانهم وحشرهم جميعاً في مدينة واحدة، واستخدمهم كالرعية أو العبيد، ومن ناحية ثانية دفع هذا المشاغب أحط الناس واوزاعهم الى الهياج والفتنة، قائلاً لهم انهم خدعوا بمجرد حُلم بالحرية.

---

(٩٩) اعتاد السبارطيون جلد اولادهم فوق مذبح معبد ديانا أورثيا هذا - جلدأ مبرحاً باشد واقسى ما يتصوره العقل لتعويدهم على الاحتمال. كانت هيلين التي عرفت بانها بنت [چوپتر] من [ليدا] زوج [ننداروس] في العاشرة من العمر عندما اختطفها ثيسوس وپيرتاوس.

(١٠٠) مدينة تقع بالقرب من أثينا.

(١٠١) پروسپونيا أو [كوراي] اسمان لشخص واحد هو ابنة [ايدونيوس] بلع [سيرس] وپلوتارخ يحدثنا في كتاب (الاخلاق) قائلاً ان المقصود بـ[پروسپرين] هو القمر الذي يقوم [پلوتو] اله الظلام بخطفه أحياناً. والواقع ان كوراي لاتعني إلا «فتاة أو بنت» فيقال «بنت ايبروس» كما يقال بنت لبنان أو بنت الصين الخ... (١٠٢) رغب افلاطون (الجمهورية ٣٠) أن يستر حلة ابناء الآلهة هؤلاء ويبرئهم من تلك التهم التي تفترق الى اثبات فنقى الحكاية من اساسها.

في حين انهم في الحقيقة جردوا من تلك الحرية ومن بيوتهم الحسنة، وعقائدهم الدينية، وبدلاً من ملوكهم الطيبين الصالحين، استسلموا وخضعوا لاستبداد شخص اجنبي طفيلي. وفيما هو ماض في إفساد عقول المواطنين زودته الحرب التي شنها [كاستور وپوللوکس] بفرصة ثمينة ليزيد من حجته قوة وأثراً. وزعم بعضهم ان تحريضه واثارته كان السبب الأساس لهجومهما على أثينا. على أنهما لم يقترفا شيئاً في اول زحفهما ولم يبدُ منهما اعتداء، وانما طلبا [هيلين] أختهما بصورة ودية مسالمة فنفى الآثينيون وجودها في المدينة واکدوا جهلهم بموضع اخفائها، فتأهبا للهجوم. وهنا خف [اکاديموس] لنجدتها اذ عرف بوسيلة ما مخبأ المخطوفة، فدلها عليها ولهذا السبب اغدق عليه [كاستور وپوللوکس] النعم والعطايا ما أغناه طول حياته وكان اللقيديميونيون اثناء اجتياحهم المتكرر لآتيكا والبلاد المجاورة وابقاعهم الخراب بها، لايمسون [الاکاديمي] (١٠٣) بأذى لأجل ذكرى [اکاديموس] إلا ان [ديكيارخوس Di-caearchus] يقول بوجود شخصين أركاديين في جيش [كاستور وپوللوکس] أحدهما يدعى [اخيديموس Echedemus] والثاني يُدعى [ماراتوس Marathus] ومن اسم الأول اشتق ما يعرف الآن بالأكاديميا، التي سميت فيما بعد (اخيديميا) ومن اسم الثاني استمدت (ماراثون) القرية اسمها. فقد عرض هذا الرجل نفسه ضحيةً للآلهة قبل المعركة، تحقياً لنبوءة ما.

وبلغ [كاستور وپوللوکس] مدينة [أفيدنيا] وتغلبا عليها في معركة فاصلة واستوليا على المدينة. وفيها قتل (اليگوس) ابن [سيرون] وهو من جماعة الديوسكوري (اي كاستور وپوللوکس)، على ما قيل. ويوجد في (ميغارا) موضع دُفن فيه ما يزال يدعى [اليكوس] ويكتب [هيرياس] ان ثيسسيوس هو الذي قتله، ويستشهد على ذلك بالبيتين الآتين عن اليكوس:

«وقتل اليكوس في سهل افدنيا.

قتله ثيسسيوس، في سبيل هيلين الشقراء»

على انه لا يوجد ما يؤيد وجود ثيسسيوس هناك عندما استولي على المدينة واسرت أمه. ومهما يكن من أمر، فقد بسط كاستور وپوللوکس سلطانهما على [افيدنيا]. واستبد القلق بمدينة أثينا. وافلج [مينيسيتوس] في اقناع الأهالي بفتح ابوابها واستقبالهما بكل مظاهر الصداقة قائلاً: إن عدوهما الوحيد هو ثيسسيوس الذي كان الباديء بالشر. وانهما سينقذان الأهالي. وكان سلوك الفاتحين مصداقاً لهذا فبعد أن استتب لهما الأمر في المدينة لم يطلبوا (١٠٣) موضع تحفّ به الأشجار بالقرب من نهر كفسوس يبعد بحوالي ميل واحد شمال غرب اثينا، وهنا كان افلاطون وتلاميذه يجلسون للدرس (انظر سيرة كيمون).

أكثر من منحهما حتى القبول في الأسرار، لان صلة قرابتهما بها لا تقل عن صلة هرقل<sup>(١٠٤)</sup>. وكان قد نال التكريم نفسه من قبل. فحقق لهما مطلبهما وتبناهما [أفيدنوس Aphidnus] مثلما تبني [پيليوس Pylus] <sup>(١٠٥)</sup> هرقل. واحتفى بهما كما يحتفى بالالهة. وسما بالاسم الجديد [اناكسيس] وهو اما مأخوذ من الهدنة Anoché التي تلاها أو من تدابير الرعاية التي اتخذها كيبلاً يلحق بأحد مكروهه، بوجود جيش كبير داخل المدينة. ذلك لأن جملة «أناكوس واخين êkhein, Anakös» تطلق على أولئك الشديدي الاهتمام بكل شيء، ولهذا تجد ملوكاً يلقبون «أناكتس». ويقول بعضهم أن تسميته هذه من اناكيس Anakes مظهر في الفلك. ففي اللهجة الاتيكية يقترب هذا الاسم اقتراباً شديداً من الكلمات التي تعني «فوق» او عالٍ فالاثينيون يستعملون كلمتي انيكاس Anekas وانيكاثن Anekathen بدلاً من آنو Anò وانوثين Anóthen.

وقيل ان [اثيرا] والدة ثيسسيوس أسرت هناك. وحملت الى لقيديميون، ومن هناك ذهبت الى طروادة مع هيلين. ويستندون في زعمهم هذا الى بيت للشاعر هوميروس حين يذكر من رافقها: «اثيرا وكليمينه الحوراء الجميلة اللين وكِدتا لپيثيوس»<sup>(١٠٦)</sup>. لإثبات انها كانت ترعى شؤون [هيلين]. ويسقط آخرون هذا البيت ولا يعدونه من شعر هوميروس<sup>(١٠٧)</sup>، كما يبنذون كأسطورة [مونيخوس] الذي كان كما تقول الحكاية - إينا [لديموفون Demophon] ولاديكه [Laodice] انجباه سراً، وقامت [اثيرا] على تربيته في طروادة لكن [ايستر Ister] يتحفا برواية أخرى عن [اثيرا] في الكتاب الثالث عشر من تاريخه عن آتيكا، وهي تختلف عن الباقيات. يقول ان [آخيل، وپاتروكليلس] تغلباً على [الكساندر: باريس Paris] في تسالي قرب نهر [سپيرخوس Sperchius] لكن [هتكور] استولى على مدينة طروزين ونهبها وأسر [اثيرا] هناك... والظاهر أن هذه القصة لا أساس لها من الصحة.

في اثناء مرور هرقل [بالمولوسيين]، حلّ ضيفاً على [ايدونيوس] الملك فنوّه هذا عرضاً برحلة ثيسسيوس [وپيرتاؤوس] الى بلاده، وقصّ عليه ما كان يريدانه وما حلّ بهما نتيجة

(١٠٤) ذلك لأنهما ابنان لجوپتر ايضاً وهو الآله الذي يدعى الاثينيون بانهم جاؤوا من صلبه. لذلك كان من الضروري أن يمنحنا حقوق المواطنة قبل قبولهما في الأسرار. وعلى هذا الأساس تم منحهما الجنسية عن طريق التبني.

(١٠٥) ملك ثسبي Thespie في بويوسيا.

(١٠٦) الايلاذة ٣: ١٤٤.

(١٠٧) يبدو ذلك بعيد الاحتمال. فمن غير المنطق أن تكون حماة هيلين وصيفتها أو أن تكون وصيفة هيلين ملكة؛ ومع هذا فإن حكاية أسر (اثيرا) تطابق كثيراً الصورة التي كانت تشاهد في دلفي. اذ بدت (اثيرا) ورأسها يحلق كالعبيد وحفيدها يشاهد وهو يتوسط في الافراج عنها (پاوسنياس ١٠: ٢٥).

ذلك. فاغتم هرقل غمماً عظيماً للموت المخزي الذي لاقاه أولهما والوضع المرزي الذي آل اليه ثانيهما ولما كان من العبث أن يبحث في موضوع الأول لموته، فقد توسط في أمر الثاني فنال بغيته ولبى الملك طلبه. وأسرع ثيسيوس الى اثينا بعد اطلاق سراحه، وكان في انصاره ومؤيديه بقية.

وهناك اوقف على هرقل كل الاماكن المقدسة التي كرستها له. وغير اسماءها من [يُفسيا] الى [هرقليا] (١٠٨) اعترافاً بفضلها، إلا أنه استثنى اربعة فقط كما حدثنا [فيلوخورس]. وبدافع من رغبته في البقاء محتلاً المكان الأول في الجمهورية، وتصريف شؤون حكمها كالسابق، ما لبث ان وجد نفسه مشتتاً مع الاحزاب في صراع، والمتاعب تحفّ به من كل جانب فأولئك الذين طالما ابغضوه، أضافوا الى بغضائهم احتقاراً، وبلغ فساد خواطر الشعب مبلغاً من التفسخ بحيث ما عادوا يطيعون الاوامر بصمت، وانما صاروا يُدفعون الى اداء واجباتهم بالملق والمداهنة. ومال به الفكر الى استعمال القوة لإخضاعهم، ولكن الاحزاب ومثيري الشعب من الديمقراطيين كانوا أقوى نفوذاً. وأخيراً ادركه اليأس من التوصل الى اي نجاح مجد في اثينا، فبعث باولاده سرّاً الى [يوبوا] ووضعهم في رعاية (اليفينور - Elephen-or) ابن خلقدون، ثم لعن شعب آثينا في قرية [گارگيتس] حيث مازال يوجد فيها موضع يدعى [اراطيريون Araterion] أو موضع اللعان أو الدعاء، أبحر الى [سكيروس - Or Scyros] وفيها أراض خلفها له أبوه، وصدقات توهم وجودها بين الأهالي، وكان [ليقوميدس Lycomedes] ملكاً على الجزيرة يومذاك، فقصده ثيسيوس وأنهى اليه رغبته في تمكينه من اراضيه لأنه قرر السكن والاستقرار في الجزيرة. وهنا يختلف الكتاب فبعضهم يقول انه اتصل به طالباً منه العون على الاثينيين، وان [ليقوميدس] أما حسداً لمجد رجل عظيم، او أرضاً [لمينيسيتوس] (١١٠)، قاده الى أعلى جرف في الجزيرة، بدعوى مشاهدته الأراضي من موقفه ذاك. وقذف به من حائق، فقتل، ويقول آخرون: لا بل سقط قضاءً وقدرًا حينما زلت قدمه أثناء سيره هناك كعادته يومياً بعد العشاء. ولم يلحظ أحد موته، يومذاك ولم يهتم به أحد، وتمكن [فيستيوس] من بسط سلطانه على مملكة اثينا بهدوء، ونشأ اولاد

(١٠٨) أظهر يوربيدس ثيسيوس في مسرحية [هرقل في تجواله] وهو يعد منقذه بالقيام بهذا العمل على السبيل الوفاء.

(١٠٩) تقع هذه الجزيرة مقابل يوبويا. اصبح الاثينيون الناكرو الجميل يشعرون بمرور الزمان بآثار هذه اللعنة. حتى انهم قرروا تهديئة لطيفة لزاثر ان يقدموا له قرابين عامة وان يحيوا ذكراه بتكريم كتركيم الآلهة.

(١١٠) أو كما قال بعضهم: بعد ان تبين له ان يريد افساد رعيته عليه واغواء زوجه.



ثيسوس نشأة خصاصة وفقر، وصحبوا [اليفينور] في حروب طروادة لكنهم عادوا الى آثينا بعد موت [مينستيسوس] في تلك الحملة، واستعادوا الملك. وفي العصور التالية نجحت عدة ظروف حملت الآثينيين على تكريم ثيسوس وانزاله منزلة نصف إله. ومن تلك الظروف ما حصل في المعركة التي خاضها الآثينيون في [ماراثون] ضد الميديين. فلقد اعتقد كثير من الجنود انهم شاهدوا شبح [ثيسوس] وهو بدروعه وسلاحه يتقدمهم في الهجوم على البرابرة<sup>(١١١)</sup>.

وبعد الحرب الميديه عندما كان [فيدو Phaedo] آرخوناً لآثينا<sup>(١١٢)</sup>، استخار الآثينيين عرافة دلفي، فأمرها بجمع عظام ثيسوس ودفنها في موضع لائق بمقامه، وأعتبرها من ذخائر المدينة المقدسة. إلا أن جمع بقاياها، كان في غاية الصعوبة، واصعب منها التوصل الى موضعها فقد ضاع الموقع عن الأذهان بعد سكنى البرابرة المتوحشين الغلاظ في الجزيرة<sup>(١١٣)</sup>. ومرت الأيام ثم أستولى [كيمون Cimon] على الجزيرة (كما اوردنا ذلك في سيرته) وكان شديد الرغبة والحماسه في العثور على الموقع الذي يضم جسد ثيسوس وتشاء الصدفة، أن يلمح نسرأ جاثماً على نشز من الأرض ينقر التراب بمنقاره وينبشه بمخالبه. وفجأة قدحت فكرة في رأسه بما يشبه الوحي الرباني. بأن يحفر هناك ويبحث عن عظام ثيسوس، ففعل ووجد في ذلك الموقع تابوت رجل جسمه اكبر من المعتاد، ووجد سنان رمح نحاسي، وسيفاً مسجى معه، فرفع الجميع وحمله الى سفينة وقدم الى آثينا، فاستبد الفرخ بالآثينيين وخرجوا للمقاء الذخائر الكريمة واستقبالها بما يليق من المواكب الفخمة والقرايين، حتى لكان ثيسوس يعود الى

(١١١) پاونسياس (٤:١٥:١).

(١١٢) هو الملك السابع عشر لآثينا معاصر الملك الاسرائيلي شاؤول. ضحى نفسه في سبيل بلاده اثناء القتال مع الدوريين والهيراقليديين العام ١٠٧٠ ق.م اذ علم ان النبوءة وعدت بالنصر لاي طرف يسقط قائده قتيلاً وبسبب ذلك عظمه مواطنوه تعظيماً يفوق الوصف حتى اعتبروا ان ليس بعده من يستحق ان ينصب ملكاً فألغوا المنصب ووضعوا السلطة بيد مجلس من الحكام باسم الأراخنة (ج: ارخون) يتم اختيار اعضائه بالاقتراع كما أختار لرئاسة المجلس (ميدون) أكبر ابناء الملك الصريع. وكان الارخون يحكم طول الحياة في مبدء الأمر وقد تعاقب ثلاثة عشر منهم في ظرف ٣١٦ سنة، وبعد موت (الكيمون) اخرهم جعلت الفترة محدودة بعشر سنين وبقيت منحصرة في اسرة الملك قدروس حتى موت (ارخياس أو ثيسياس) على قول بعضهم وهو السابع في الطبقة الثانية من الحكام الأعلى. وبه ختم حكم اسرة (قدروس) وعندها استن الآثينيون مبدأ حكم الأرخون السنوي وصاروا يختارون تسعة بدلاً من واحد سنوياً (سنعود الى شرح ذلك بتفصيل اكثر في حياة صولون). حكم فيدون ما بين ٤٧٦ و٤٧٥ ق.م.

(١١٣) لا يمكن القبول بهذه الروايات عن (سكيروس) ولا سيما من أولئك الذين يتذكرون بأن (أخيل) كان قد ارسل قبل عصر (كيمون) بسبعة قرون الى بلاط (ليقوميديس) وأن سكيروس لقربها من يوبويا يجب ان تكون ذات علاقات مع بلاد الأغريق.

المدينة بلحمه ودمه، حياً. انه اليوم يرقد في وسط المدينة قرب (الجمنازيوم) الحالي<sup>(١١٤)</sup>. وقبره ملجأ وملاذ للعبيد والفقراء والملهوفين الهارين من اضطهاد ذوي السلطان. جعل كذلك اعترافاً بسجايا ثيسوس وغيرته في معاونة المظلومين، ووقايتهم من السوء، وعدم تقاعسه مرة واحدة عن اجارة مستجير او اغائة مضطهد يلوذ بحماه. ان أعظم واجل قربان يقدمه له الآثينيون، هو في الثامن من شهر [پيانپسيون Pyanepsion] وهو اليوم الموافق لعودته من كريت مع الشبان الآثينيين. وهم ايضاً يضحون له في اليوم الثامن من كل شهر على مدار السنة، إما لانه كان قد عاد من [طروزين] في الثامن من شهر [هيكاتومبيون] كما ذكر [ديودوروس Diodorus] الجغرافي، وإما لانهم يعتبرون عدد (٨) هو العدد الملائم له، اذ قيل انه ولد (لبنتون) وانهم ليقربون الى نبتون في اليوم الثامن من كل شهر. ورقم ثمانية الذي هو أول مربع لعدد زوجي، ومضاعف أول مربع<sup>(١١٥)</sup> يبدو وكأنه شعار قوة جبارة ثابتة لهذا الرب الذي لقب منذ ذلك الحين [اسفاليوس Asphalius وگيوخوس Gaeiochus] اي مؤسس الأرض ومثبتها.

(١١٤) يقصد جمنازيوم بطليموس [پاوسنياس ١:١٧:٢].  
(١١٥) لبءه الاعداد المستمد من المصريين القدماء عن طريق فيثاغوراس منزلة عالية جداً عند پلوتارخ.

# رومولوس

ROMULUS

رومولوس



روملوس

عمن اخذت (روما) <sup>(١)</sup> اسمها وفي اي ظروف عُرف هذا الاسم المؤثر الشهير على افواه البشر؟ ان الكتاب يختلفون في هذا فبعضهم يرى ان [الپلاسجي Pelasgi] <sup>(٢)</sup> في اثناء تجوالهم خلال كل العالم المعمور واخضاعهم شعوباً لا تحصى، آثروا الاستقرار هنا، وسميت مدينتهم (روما) <sup>(٣)</sup> لبأسهم العظيم وقوتهم الحربية. ويزعم آخرون أن زمرة من أهالي (طروادة) تمكنوا من النجاة بعد الاستيلاء على مدينتهم ويسرت الاقدار لهم سفناً ابحروا بها، فدفعت بهم الريح حتى سواحل (توسكانيا) وأرسوا على مقربة من مصب نهر التيبير Tiber. وهناك عقدت نساؤهم المنهوكات المريضات بنوء البحر - عزمهن على احراق السفن <sup>(٤)</sup> بناءً على اقتراح تقدمت به واحدة منهن اسمها (روما) وهي ذات نسب رفيع وفكر راجح. ففعلن ذلك وثار غضب الرجال اول الأمر، لكنهم اضطروا الى البقاء قرب [پالاتيوم Palatium] وانصلحت امورهم بعد زمن قصير بشكل فاق آمالهم. اذ وجدا الأرض خصبة جداً والمواطنين

(١) من أجل استنادنا الى أقرب تاريخ لظهور صاحب السيرة، علينا أن نفترض العام ٧٥٢ ق.م تاريخاً لتأسيس روما وان نفترض العام ٧١٦ ق.م تاريخاً لوفاة رومولوس. وهما حدثان لا يبعدان زمنياً بكثير عن عام الميلاد فأنهما والحالة هذه يحيط بهما الغموض والجهالة، ويراهما بعض من قبيل الرجم بالغيب أو التقدير الفلكي. ويحدد آخرون غموض تاريخ روما بفترة حكم ملوكها السبعة الذين حكموا طوال ٢٢٤ عاماً. وتسلم طبقة ثالثة من المحققين بالقليل المؤكد مما ورد عن اية وقعة خلال القرون الخمسة التي تلت تأسيس روما. وكتاب الاغريق وهم على الأغلب شعراء ومدونو اساطير لم يهتموا بما كان يحصل في ايطاليا. كما ان [نوما] لم يترك لنا شيئاً غير ما يتعلق بالدين أو الفلسفة. ولم يبرز مؤرخو الرومان الى عالم الوجود الا بعد الحرب الفينيقية.

هذا هو الغموض الذي يحف بأصول روما في عهد الاباطرة وشأنها في ذلك شأن معظم المدن والشعوب القديمة الا ان الغموض هنا أكثر وأظهر لأن أول من سكنها لاجئون وخارجون على القانون ينتمون الى شعوب أخرى ولا ينتظر منهم ان يتركوا لنا تاريخاً، الا ان [ليفي] وغيره من مؤرخي اللاتين يتفقون بان رومولوس هو باني روما وان المدينة وأهلها اتخذوا لهما اسمه. في حين نرى كبرياء كتاب الاغريق وخيلاهم تدفعانهم الى ان ينسوا لأنفسهم كل شيء بما في ذلك روما نفسها.

(٢) هؤلاء - واصلهم من اركاديا - هم اول سكان بلاد الاغريق. ومن هناك طردوا فسكنوا (بساليا) وازيجوا الى (ايبيروس) ثم الى مقدونيا وايطاليا وكريت وآسيا.

(٣) الكلمة تدل على القوة.

(٤) انظر الاينياد [٦٩٩:٦٠٤:٥].

بالغي الطيبة، فزادوا في اكرام السيدة (روما) باطلاق اسمها على المدينة التي كانت هي سبباً في وجودها. ومن هنا جاءت -على ما قيل- العادة الشائعة في روما، وهي ان تحي النساء الرومانيات ذوي قرباهن وازواجهن بالعناق والقبل، لأن النسوة بعد احراقهن السفن استخدمن هذا الاسلوب من التدليل والتحبب لتهدئة خواطر ازواجهن.

ويقول بعض الكتاب ان [روما] التي أخذت المدينة اسمها منها هي بنت [إيطالوس Ital-us] و[ليوكاريا Leucaria] أو كما يزعم آخرون انها ابنة [تيلاقوس Telaphus] ابن هرقل، وقد تزوجت [اينياس Aeneas] أو [اسكانيوس Ascanius] ابن اينياس على حد زعم آخرين. ويحدثنا بعضهم ان [رومانوس Romanus] ابن [أوليسسوس Ulysses] و[چيرچه Circe]، هو الذي بناها. ويقول آخرون ان بانيها هو [روموس Romus] ابن [إيماتيون Emathion] الذي ارسله [ديوميد] من طروادة. ويقول آخرون بل هو [روموس] ملك اللاتين، بناها بعد ان طرد [الترينيين Tyrihenians]<sup>(٥)</sup> الذين قدموا الى ليديا من تسالي ثم انحدروا الى ايطاليا.

أما الكتاب الذين يجعلون اسم [رومولوس] مصدر اسم المدينة، فهم يختلفون فيما بينهم حول ظروف ولادته. فبعضهم يقول انه ابن اينياس و[دكزيتيا Dexithea] بنت [فورباس Phorbas] وانه وأخوه ريموس حُملا الى ايطاليا في حداثتهما. وكانا على صفحة النهر عندما فاضت مياهه وطغت فأغرقت كل المراكب الطافية الا السفينة التي تقلهما، فقد رست بهما برفق على الضفة وكتبت لهما نجاة غير متوقعة. ومن اسميهما جاء اسم الموضع (رومه) ويقول بعضهم ان [روما] هي بنت السيدة الطروادية صاحبة الاقتراح بحرق السفن، تزوجت [لاتينوس] ابن [تيلماخوس Telemachus] وأنجبت [رومولوس] ويقول آخرون ان [اميليا Aemilia] بنت [اينياس] و[لافينيا Lavinia] زوجته، ولدته للرب [مارس]. ويتحفك آخرون بأساطير مماثلة عن اصل الرجل، فعند [طارخيتيوس Tarchetius] ان ملك [ألبا Alba] الذي كان شر الناس وأقساهم ظهر في بيته شبح غريب خرج من موقد النار على هيئة رجل، وبقي هناك عدة ايام وكان ثم عرافة لـ[تيثيس Tethys] في توسكابا<sup>(٦)</sup>، استخارها طارخيتيوس في شأنه فكانت النبوءة هي ان تهب عذراء من العذارى نفسها للشبح، وستنجب منه ولداً يكون شأنه عظيماً وبأسه شديداً، ويسمو به جدّه ويرتفع سعوده. فأسر طارخيتيوس

(٥) هو اسم آخر لشعب التوسكان. وهؤلاء هم غير البلاسجي الذين ورد ذكرهم ولم يكونوا مستوطنين اقبلوا من [ليديا] كما يزعم [ديون] بسبب اختلاف لغتهم وعاداتهم ودينهم وقوانينهم.

(٦) ليس ثم نبوءة بخصوص [تيقس] على ان هناك نبوءة حول [ثيمس]. وكان مع كارمنتا المنوه بها فيما بعد.

بالنبوءة لأحدى بناته وأشار اليها أن تسلم نفسها للشيخ فاستنكرت الأمر وابت وارسلت خادمتها بدلاً عنها، ولما سمع طارخيتيوس بما فعلت استنشاط غضباً وامر فألقي بالبنت والخدام في السجن وكان ينوي قتلها، إلا أن الربة (نستا) منعتة، إذ ظهرت له في الحلم، ففرض عليهما عقوبة: أن يحيكا نسيجاً وهما مكبلتان بالاغلال، فاذا اكملتا أجبرتا على الزواج بمن يختاره لهما، ولكنه كان يأمر اتباعه ان ينقضوا في الليل ما نسجته في النهار.

وفي غضون ذلك وضعت الحامل وليدين، فسلمهما طارخيتيوس لشخص يدعى [تيراتيوس Teratius] وأمره باهلاكهما، فحملهما ووضعهما قريباً من ضفة النهر. وأقبلت ذئبة وراحت ترضعهما، في حين قدمت طيور مختلفة جاملة بمناقرها قطعاً صغيرة من الطعام لتضعها في فيهما. الى أن لمحمها راعي بقر، فانتابته الدهشة، لكنه تجرأ على الاقتراب منهما ورفعهما الى حضنه، وهكذا كتبت لها النجاة، ولما بلغا اشد هما هاجماً طارخيتيوس وتغلباً عليه هذه الاسطورة يوردها [پروميثيون Promethion] في تاريخ ايطاليا.

إلا أن القصة الأقرب الى التصديق، وهي التي يقرّ بصحتها أكبر عددٍ من الثقات، كان ديوكليس [الپيپاريتوس Peparuthus] أول من اذاعها بين الأغرقي بوقائعها الرئيسية، وجاراه في معظم تفاصيلها [فابيوس پكتور Fabius Pictor] (٧) ايضاً، لكن الروائتين لاتخلوان من اختلاف. إما الشكل العام لهما فهو كما يأتي:

« كان ملوك [إلبا] (٨) يتوارثون الحكم على طريقة التسلسل العمودي، اعتباراً من جدهم الاعلى [اينياس] الى أن رست الخلافة أخيراً على الأخوين [نوميستور Numitor] و[امبوليوس Amulius] (٩)، فاقترح ثانيهما تقسيم الميراث الى قسمين متعادلين (١٠)، وجعلت المملكة معادلة للذهب والكنوز التي جيء بها من طروادة. وأختار [نوميستور] المملكة.

---

(٧) پيپاريتوس هي مجموعة من الجزء في بحر ايجيه. اشتهرت بخمرها. ولا يعرف عن [ديوكليس] شيء، اما [فابيوس پكتور] الذي ينعتة [ليفي] «بأقدم الكتاب الرومان» فهو أحد أعضاء الوفد الذي ارسل الى دلفي بعد معركة (كاناي) السيئة الصيت. للسؤال عن الوسائل التي يمكن بها استجلاب رضا الالهة. وقد اتهمه [پوليبيوس] في حوارياته بأنه اساء معاملة القرطاجين.

(٨) بين اينياس حتى نوميستور داميلوس ثلاثة عشر ملكاً من السلالة ذاتها إلا أننا نكاد لا نعرف شيئاً عنهم أكثر من اسمائهم وسني حكمهم. وآخرهم (اميلوس) الذي فاق اخاه شجاعة وعقلاً طرده من العرش. وقتل ايجستوس ابن نوميستور الوحيد وكرس ابنته (ريا سلفيا) لعبادة قستا ليؤمن بقاءه في السلطة.

(٩) ليفي ٣: ١.

(١٠) لم يذكر [ديون] ٧: ١ عن هذه القسمة شيئاً. ولكنه يذكر فحسب انه اميلوس انتزع العرش بالقوة وطرد اخاه ظلماً وعدواناً وهو أحق بالعرش. وايد هذا فقرة اوردها ليفي (٦: ١) اذ قال «لما كان ريموس ورومولوس توأمين فليس ثم وسيلة لترجيح احدهما في الحكم على الآخر بمقتضى قانون الأقدمية.

وبحيازة اموليوس المال والذهب غداً قادراً على أن يفعل كل ما يقصر عنه [نوميتور] وآل به الامر الى انتزاع مملكة اخيه بسهولة. ولخوفه ان تنجب ابنته اولاداً جعلها (قستاله) (\*) وبهذا رسم لها ان تعيش عذراء الى الأبد ولا تتزوج. وبعض الكتاب يسمى هذه المرأة [السيدة ايليا Illia] وبعضهم يسميها [ريا Rhea] وآخرون [سلثيا Silvia] وعلى كل حال، فانه لم يمرّ طويل زمن حتى أكتشف انها حامل خلافاً لقوانين القستال الصارمة<sup>(١١)</sup>. ووجب ان يحل بها افطع عقاب. إلا أن [أنثو Antho] بنت الملك تدخلت وتوسطت لها عند ابيها. فأودعت سجناً منفرداً ومنعت من اي رفقةٍ لثلاث توضع وليدها دون علم من الملك. وفي الوقت المحدد لها وضعت وليدين يزيد حجمهما عن حجم الوليد الاعتيادي ويفوقانه جمالاً فزاد هذا في غضب الملك [أموليوس] وأمر خادماً أن يحملهما ويُغرقهما، هذا الرجل يسميه بعض الكتاب [فاوستولوس] وبعضهم يقول لا بل أن [فاوستولوس] هو الرجل الذي قام على تربيتهما. ووضع الخادم الولدين في صندوق صغير وقصد النهر عازماً على القائهما في مائه. لكنه خشي التقدم منه والقى بهما على الضفة وقفل راجعاً. وكان ماء النهر الفائض بتعالى، حتى بلغ الصندوق. وحملته الامراج وعومته برفق ولين، حتى انزلته في ارض سهلة متطامنة يطلقون عليها اليوم اسم [جرمانوس Cermanus]، وكان اسمها قبلاً «جرمانوس» ولعلها من كلمة [جرماني Germani] اي الأخوة.

والى جوار هذه الأرض كان يوجد شجرة تين بريّ اطلقوا عليها اسم [روميناليس Ruminant-] [is] إمّا من [رومولوس] (وهو تليلب ضعيف) وإمّا من [روميناتينغ Ruminating] لأن

(\*) عندما اوجد رومولوس شعلة النار الخالدة اوقفت على العناية بها عذارى يسهرن على ابقائها مشتتة في كل مجتمع روماني وتحول هؤلاء النسوة الى كاهنات لهن حقوق خاصة وعليهن واجبات صارمة وأطلق عليهن اسم عذارى [قستا] نسبة الى ربة النار. وكان في العادة يخترن من بنات اعرق اسر روما وان تتراوح سن الواحدة بين السابعة والثامنة وان تضطلع بتأدية رسالتها ثلاثين عاماً تلتزم خلالها بالصفة. وبحكم سهرهن على النار التي تعتبر اهم رمز للبلاد كن يحيطين من الشعب وحكامه بمركز يقرب من التقديس ويخلع عليهن اعظم الامتيازات وتحجز لهن في الملاعب العامة مقاعد الشرف ويتقدم مواكبهن ضباط الحرس. واذا صادفن مجرمًا يساق للموت فبامكانهن اطلاق سراحه حالاً. وبمقابل ذلك يخضعن الى قوانين صارمة فاذا اهلن النار وانطفأت جلدن بلا رحمة واذا فرطن في عفافهن يرجمن بالحجارة في عهد [نوما]، ثم وجد هذا العقاب غير كاف فصرن يجلدن اولاً ثم يدفن أحياء بعد ان يترك في قبورهن مقدار من الطعام ويسجل التاريخ ان ثمانية عشر منهن لقين حتفهن على هذه الشاكلة. وبسبب ذلك لم يسمح الاباء لبناتهن بالانخراط في هذا السلك وبعد ان كان الاختيار قاصراً على أعرق الاسر سمح لبنات الطبقة المتوسطة والعبيد المعتوقين وأبطل هذا كله الامبراطور ثيوسوسيوس المسيحي بعد تغلبه على خصمه اوجينيوس الوثني في العام ٢٩٤م وأصدر أمراً بالغاء كل المعابد وبضمنها معبد قستا. واطفاء النار فيه. (١١) ليثي ١: ٤ و ١-٥.



الماشية تستظل بفيئتها عادة وتقصدها تخلصاً من حرارة النهار لاجترار طعامها، والتعليل الأقرب من هذا انها جاءت من عملية ارضاع الطفلين هناك، لأن القدماء يطلقون كلمة [روما] على التقام الثدي، او الإرضاع، وهناك ربةٌ مختصة برعاية الاطفال وتربيتهم ما زالوا يسمونها [روميليا] (١٢) وهم لا يستخدمون خمراً في التقريب اليها (١٣)، وانما يستعيضون عنه بالحليب. والتاريخ يحدثنا ان ذئبة ارضعتهما (١٤) طوال وجودهما هناك، وان طير نقار الخشب كان يزودهما بالطعام بصورة مستمرة ويتولى حراستهما، ومنزلة الذئبة والطير مقدسة عند الرب [مارس]، واللاتين مازالوا يعبدون هذا الطائر ويكرمونه اكراماً خاصاً دون باقي الطيور. وهذه دلائل تقف في مقدمة الأسباب التي تدعم ما قائلته والدة الطفلين، ان اباهما هو الرب [مارس] نفسه وان قال بعضهم انه وهم اوقعها فيه [اميلوس] الذي أتاها هو بنفسه ليلاً مرتدياً دروعه وسلاحه. ويظن آخرون ان أول ظهور لهذه الأسطورة جاء من اسم مريض الطفلين ويتضمن معنى مزدوجاً فاللاتين لا يقتصرن على تسمية الذئب بـ(لوبي lupae) وانما يطلقون الكلمة نفسها على العاهرات. وكانت زوج فاوستلوس (أكا لارنتيا - Acca La- rentia) التي ربتهما، امرأةً قليلة التمسك بالعقّة. ويقدم لها الرومان عدة قرايين. ويقوم كاهن الرب مارس بارساله القرايين هناك في شهر نيسان بمناسبة العيد اللارنتي.

كذلك يكرمون [لارنتيا] (١٥) أخرى للسبب التالي: لم يدر حارس معبد هرقل كيف يقضي وقت فراغه الكثير، فأقترح علي ربّ معبده لعبة نرد على رهان: إن غلب الحارس اخذ شيئاً ثميناً من الرب وإنه غلب الرب، يتعهد الحارس أن يبسط له مائدة حافلة بانفس الطعام ويؤمن له رفقة امرأة جميلة. ثم القى بالنرد نيابة عن الرب، ثم القاه لنفسه فكان الرب هو الراجح. ولاعتقاده انه مرتبط بعهد يجب الوفاء به، أدب للرب عشاءً فخماً ودفع مالاً [للارنتيا] وكانت في عزّ جمالها وان لم تشتهر بعد (١٦) - وجاء بها الى المأدبة في المعبد وبسط فراشاً وبعد ختام العشاء خرج وأغلق الباب عليها، كان الرب سيطأها حقاً. وقيل انه جاءها فعلاً

(١٢) ليفي: «الرومان لا يسمون تلك الربة [روميليا] وانما [رومينيا]» على ان كتاباً آخرين يرفضون اشتقاقاً كهذا كما يرفضون اسطورة الذئبة ويرونها من قبيل التفيق والتصنيع. ويرون أن احتمال الأغلب هو أن المدينة أخذت اسمها من (رومون) وهم أسم نهر التّيبير الأول.

(١٣) لأنها كانت ضارة في تلك الفترة من عمر الطفل.

(١٤) ليفي ج ٤:١ و ٦-٧.

(١٥) هذه المرأة حسب قول [م. ريكارد] يجب ان تدعى [إكّا] رونيئا نسبة الى معاشرها. والمفروض ان يكون شأنها شأن [فلور] التي اوقفت ثروتها التي جمعتها من حياة الفسق والفجور على الشعب الروماني. فكرمت مقابل ذلك باحياء العاب سميت باسمها وهي العاب يشوبها التحلل والاباحية.

(١٦) في كتابه عن [الاخلاق] يقول پلوتارخ انها كانت تعرف (بالعاهرة الشعبية).

وامرأها ان تنزل الى السوق صباح اليوم التالي وتسير الهوينا وتحمي أول رجل تلاقه وتتخذة خليلاً. ففعلت ولقيت رجلاً يدعى [تاروتوس Tarrutius] وكان متقدماً في السن طائل الغنى أعزب بلا عقب، فضمّ [لارنتيا] اليه وعلق بحبها وترك لها عند وفاته كل ثروته وجعلها وارثته الوحيدة في كل ممتلكاته الواسعة فكتبت وصية موثقة أوقفت بموجبها معظم الثروة على النفع العام. وذكر انها أختفت فجأة بالقرب من الموضع الذي يضم بقايا [لارنتيا] الأولى، ذلك لأنها اشتهرت وذاع صيتها لكونها محظية الرب. والبقعة تسمى [فيلابروم Velabrum] الى يومنا هذا لأن النهر كثيراً ما يفيض ماؤه فيضطر الناس القادمون الى [الفورم Forum] من المحلات المجاورة، الى ركوب الزوارق والأطواف. والكلمة اللاتينية لفعل التنقل بالطوف هي [فيلاتورا Velatura] <sup>(١٧)</sup>. ويشتق آخرون الاسم من [فيلوم Ve-lum] اي شراع، لان متعهدي حفلات الملاعب العامة اعتادوا ان يعلقوا شرعة على طول الشارع المؤدي الى الملعب الاكبر [سركس ماكسيموس Circus Maximus] ابتداءً من الفورم حتى هذه البقعة. ولهذه الأسباب تكرم [لارنتيا] الثانية في روما.

قام [فاوستولوس] راعي خنازير اموليوس بتربية الاخوين سراً: ويقول آخرون <sup>(١٨)</sup> علم بتلك من الاول وكان يدخلنهم ويساعدهم دون ان يدري به احد. وقيل ايضاً انها ارسلت الى [غابي Gabii] <sup>(١٩)</sup> للدراسة وبرزاً في الاداب وغيرها من فنون الثقافة مما يليق بارومتها. وانهما سميا [رومولوس وريموس] من [روما Roma أي الرضع] لأنهما وجدوا وهما يرضعان من أئداء الذئبة على ما تقدم بيانه. وكانت ضخامة جسديهما وجمالهما منذ الحداثة مناسبتين لتفوقهما الطبيعي، ولما بلغا أشدهما اثبت مدى شجاعتهما ورجولتهما بمعاناتهما أخطر المغامرات والمهالك. وكان يبدو ان [رومولوس] كثير التروي لا يقدم على شيء قبل التفكير فيه، وان له حكمة رجال السياسة والحكم، وكان يبدو وكأنه خلق ليلقي بالأوامر لا ليلتلقاها في كل علاقاته مع المجاورين سواء مايتعلق منها برعي الحيوانات أو الصيد ولذلك تعلق

(١٧) ايد هذا الأصل اللغوي (فارو de L. L. Varro = 4-7) الذي يشتق كلمة Velabrum من Velo بوصفها مختصر Vehelabrum أو الاستنتاج الثاني يرى انه مشتق من Velum فهو خطأ لاشك فيه. فالعادة المشار اليها [نشر خيمة في الحفلات العامة] بدأت قبل تاريخ وجود اسم [فيلابروم] وقت قيام [كاتولوس] بتكريس الكابيتول [بليبي: التاريخ الطبيعي ١: ١٩].

(١٨) ربما أحيا هذا أمل نوميتور في العودة الى الحكم. على ان معرفته بالموضع الذي كان الطفلان فيه يتلقيان علومهما، وامدادها باسباب العيش يتناقض تماماً والطريقة التي ادت الى اكتشافهما عندما بلغا اشدهما وهذا اهم جزء من الرواية.

(١٩) احدى اقدم المستعمرات الالمانية تبعد باثني عشر ميلاً الى جنوب شرقي روما ويقول [ديون الهالكارتاسوسي] ١٩: ١ انها درسا هناك الاداب اليونانية وفن الخطابة والتدرب على استخدام السلاح.

بجبهما رفاقهما واتباعهما. وكانا يحتقران ويزدربان خدم الملك ووكلاءه وحجابه، ولا يجدان اي ميزة يمتازون بها عليهما، ولا يهتمان قلامة ظفر باوامرهم وتهديدهم. وكانا يقضيان أوقاتهما في المفيد من الأعمال والدرس الكثير، ولم يجدا في الكسل والتعطل فائدة او فضيلة، وانصرفا الى مختلف الرياضات كالعدو والقنص ومطاردة قطاع الطرق، والقبض على اللصوص، وانقاذ المضطهدين والمظلومين من الأذى وبسبب مآثرهما هذه اشتهر أمرهما.

نشأ خصام بين رعاة ابقار [نوميكتور واموليوس] ولم يحتمل الأخوان رعاة الأخير وضبط مواشيهم باعتداء رعاة الاول منهما فحملوا عليهم واجبروهم على الهزيمة واستعادوا القسم الاكبر من الغنيمة، فغضب [نوميكتور] غضباً شديداً، فلم يبالوا به وكانت الخطوة الاولى التي أقدم عليها بهذه المناسبة ضمها الى زمرتها عدداً من العبيد الأبقين والفقراء المدقعين - وهو عمل يعادل المرحلة الأولى للعصيان والثورة. واتفق أن [رومولوس] الشديد التمسك بفرائضه الدينية كان يقدم قرباناً، عندما التقى رعاة [نوميكتور] بأخيه (ريموس) وهو مع قلة من أصحابه يقومون برحلة، فهاجموه ودار قتال بينهم واخذوه أسيراً وجاؤا به الى [نوميكتور] وكالوا له التهم جزافاً، لكن [نوميكتور] لم يشأ معاقبته بنفسه خشية ان يثير غضب أخيه اموليوس المعروف بقسوته الشديدة، واتصل به وطلب منه ان يأخذ بيده أمر تطبيق العدالة بوصفه أخاً اهانه رعايا خدمه. على ان اهل [أليا] كانوا ناقمين على عمل خدم اموليوس، كما كانوا يعتقدون ان [نوميكتور] قد عومل معاملة غير طيبة. وهكذا اضطر أميليوس الى إبقاء [ريموس] بيد نوميكتور ليعمل به ما يحلو له، فجاء به هذا الى دياره وتزايد إعجاب به بشخصية الفتى وجمال أعضائه وقوة جسمه التي لا مثيل لها بين الرجال. وتبين من وجهه آيات الشجاعة ومضاء العقل. وهي سجايا بقيت شامخة غير متصاغرة رغم الظرف العصيب الذي يعانیه صاحبها. ثم بلغته انباء كل المغامرات والمآثر التي اقدم عليها، وكلها دلائل على ما توسمه فيه. ولاسيما القوة الألهيية التي تقود اولى الخطى إلى اعظم المصائر. وتمكن [نوميكتور] من وضع يده على الحقيقة باطاعته فكرة عابرة خطرت بباله عرضاً فدفعته الى سؤاله بلهجة رفيقة عمن يكون؟ ومن اين جاء؟ فتشجع [ريموس] واجاب قائلاً «لن أخفي عنك شيئاً، اذ يظهر لي ان طبعك اقرب الى طبع الملوك من اموليوس، لانك سمحت بالتحقيق في امري وفحص قضيتي قبل ان تفرض عقاباً علي<sup>(٢٠)</sup>، في حين ان اخاك يعاقب قبل أن

(٢٠) البيتان التاليان للشاعر الروماني فرجيل [١٩-٧٠ ق.م: الاينياز الكتاب السادس: ٥٦٦] وفيهما يصف محكمة قاضي جهنم فيقول: «يعاقب أولاً، ثم يسمع الدفاع. وبالأخير يرغب المتهم على الاعتراف. ويفسر القانون ويحوه بالشكل الذي يحلو له». - Gmosius hoe shadanthus habet durissima regna Casti-gatque, auditqne dolos, subigi it que fateri

يعرف كنه المسألة. كُنَّا في السابق نعتقد نحن التوامين، بأننا ابنان [لفاوستولوس] و[الارنتيا] خادمي الملك، ولكن منذ ان الصقت بنا التهم واكتفتنا النواب وحاقت الأخطار بحياتنا هنا امامك - ونحن نسمع اشياء كثيرة عن انفسنا، ومما يشهد بهذه الحقيقة الخطر الحالي المحقق بنا الآن<sup>(٢١)</sup>. قيل ان مولدنا يكتنفه الغموض والسِّر، واغرب منه تربيتنا منذ الحداثة، فالطيور والوحوش التي القينا بينها هي التي اطعمتنا فاغتنينا بحليب الذئبة وبلقيمات طائر نقار الخشب، ونحن مُضجعون في صندوق صغير ملقى على ضفة النهر ان الصندوق مازال موجوداً كما خلفناه وهو مصفح برقائق من نحاس عليها كتابة كادت حروفها تمحي. وهذه كلها تذكارات حقيقية لأبونا بعد أن نموت ونفادر الدنيا». وبعد ان تأمل [نوميتور] بهذه الأقوال، وبحسابه التواريخ ومقارنتها بمظهر سنّ الشاب، لم يضعف الأمل الذي راوده، بل أخذ يفكر كيف يتصل بابنته سراً ويحادثها عن هذه الأمور، لأنها مازالت رهن السجن.

ولما سمع [فاوستولوس] بنبأ القبض على [ريموس] وتسليمه الى [نوميتور] استنجد برومولوس لانقاذه. وصارحه في تلك الساعة بتفاصيل سرّ ولادتهما وان كان قبل هذا قد ابدى له تلميحات عنها وكشف ما يكفي الذكي السريع الخاطر للاستنتاج الكثير، ودفعه الخوف والقلق من تأخره في العودة الى ان يحمل الصندوق ويسرع به الى [نوميتور] في الحال. إلا ان بعض حراس الملك شكوا في أمره ونظروا اليه بعين الريبة. واريكته اسئلتهم، فلم يسعه إلا ان يكشف عن الصندوق المخبأ تحت عباءته، واتفق ان كان بين الحراس شخص من الاشخاص الذين شاهدوا القاء الطفلين<sup>(٢٢)</sup>، فعرف الصندوق من شكله ونقشه الكتابي. وادرك الغرض حالاً فأسرع الى الملك وأخبره بالحقيقة فأدخل فاوستولوس لانتزاع الحقيقة منه، ولم يكن ليحتاج الى جلدٍ، ولم يكن بالرجل الذي يصمد أم التهديد كما لم يلق عنقاً أو اكرهاً فاعترف بان الطفلين هما في قيد الحياة يعيشان في مكان يبعد كثيراً عن البا، ويمتهنان الرعي. وانه قصد اخذ الصندوق الى [ايليا] التي طالما اشتاقت الى رؤيته ولمسه بيدها، ليتأيد لها ان

---

(٢١) لا بد وانهما سمعا حكاية غامضة عن كيفية بقائهما العجيب في قدر الحياة زمان الطفولة. ولهذا استنتج [ريموس] بطبيعة الحال ان الارباب الذين رعايها هكذا، سينقذونه من الخطر الحالي في حالة ما كانت قصة طفولتهما حقيقية.

(٢٢) يبدو هذا مناقضاً لما ذكره بليوتارخ في الاول اذ أفاد انه يكن ثم غير خادم واحد هو [فاوستولوس] الذي استخدم في هذه المهمة الغريبة على ان [ديون الهاليكارناسوسي] يصرح بغير لبس بان عدداً من الخدم قد شاركوا في العمل.

طفلها على قيد الحياة. وفي تلك الاثناء انتاب [اموليوس] ما ينتاب المضطربين عقلياً فيعلمون إما بدافع من خوف وإما بدافع من ثورة عاطفية، فأسرع يرسل الى [نوميكتور] رسولاً تربطه به صداقة متينة وزوده بأوامر تقضي أن يعلم من أخيه عن وصول ما يؤيد وجود الطفلين على قيد الحياة<sup>(٢٣)</sup>. فجاء الرسول وشاهد بأمر عينه كم كان [ريموس] قليل الرغبة في ان يحضنه [نوميكتور] ويضمه الى كنفه. وهذا ما جعله أكثر ثقة في نجاح مهمته ومسعاها فنصحهما بمباشرة العمل وعرض عليهما معاونته. ولم يكن الوقت ليسمح لهما بالتردد لو شاءا اذ ان رومولوس كان قد اقترب كثيراً بقوة عظيمة، وراح المواطنون ينضون تحت لوائه سراعاً بدافع الكره والخوف من [اموليوس] وقسم [رومولوس] قواته الى سرايا، الواحدة منها تعد مائة رجل. وكان كل أمر سرية يحمل قطباً خشبياً شديداً فوقه حزمة من العشب الصغير واللاتين يطلقون على هذه الحزم [مانيبولي Manipuli] ومن هذا جاءت تسميتهم [مانيبولارس Manipulares] لقادة جيوشهم واخذ [ريموس] يثير الناس ويحرضهم على الثورة من الداخل، وشرع يهاجم من الخارج ولم يدر الطاغية ماذا يصنع واي حيلة يحتال لسلامته حتى قبض عليه وهو في حيرته وقتل.

إن معظم تفاصيل هذه الرواية التي اوردها [فابيوس، وديوكليس الپيپاريثوسي] وهما على ما يبدو أول من أرخا تأسيس روما، مشكوك فيها بسبب ما يحيط بها من خيال ومبالغة، لكن ينبغي الا ننبذها بكاملها. لو تذكر الناس الى اي حد من الخيال يسمو اليه الشاعر احياناً واذا ما فكر بأن العظمة الرومانية ما كان يتسنى لها أن تبلغ هذه الذروة دون ان يكون للمشيئة الالهية ارادة فيها. ولو لم تساعدها ظروف عجيبة فائقة للعادة.

بعد ان هلك [اموليوس] وعادت الأمور الى الاستقرار والهدوء، لم يشأ الاخوان البقاء في (البا) دون ان يكونا حاكيمها، ولا أن يستوليا على الحكم وجدهما في قيد الحياة. فسلما مقاليد الأمور اليه، واكرما والدتهما الإكرام اللائق، وقررا الذهاب والعيش وحدهما وبناء مدينة في الموضع الذي تركابه وعاشا وهما طفلان. وكان هذا أشرف سبب لرحيلهما، وهو يبدو ضرورة لا سبيل لها الى دفعها بسبب التفاف جموع غفيرة من العبيد واللاجئين حولهما فوجدا ان أمامها سبيلين لا ثالث لهما، إما أن يفرقا الجموع الملتفة ويعودا كما كانا قبلاً، وإما أن يأخذوها للعيش معاً في بقاع أخرى، إن أهالي [البا] لم يرغبوا في ضم هؤلاء اليهم والاختلاط بهم، وبدت نيتهم هذه في قضية خطف النساء وهو عمل لم يأت به هؤلاء بدافع

(٢٣) ما يعزو بلوتارخ الى (اميليوس) من موقف، لا يمكن ان يقبله العقل والمنطق لاسيما اذا قارناه بالحكاية التي اوردها [ديون: المرجع السالف] بهذا الشأن.

الشهوة، بل بحكم الضرورة والحاجة، إذ لم يكن في مقدورهم الحصول على زوجات طوعاً. وهذا ما أثبتته الوقائع، فقد أظهروا للنسوة اللاتي خطفوهن اشدّ الرعاية وأعمق الاحترام والتجلة.

لم يمرّ طويل زمنٍ على انشاء المدينة حتى اقاموا ملجأ يلوذ اليه اللاجئون واسموه معبد الرب [آسيلاؤوس Asylaesus]<sup>(٢٤)</sup> وكانوا يبسطون حمايتهم على كل قادم ولا يردون مستجيراً قط، لا خادماً الى سيده ولا مديناً الى دائنه ولا قاتلاً الى قاضيه متعللين بقولهم ان هذه البقعة اصطفتها الالهة، ولذلك يمكنهم المحافظة على اللاجئي بقوة النبوءة. وغدت المدينة مكتظة بالسكان<sup>(٢٥)</sup>، ولم تكن تحوي في مبدأ امرها غير الف بيت على ما قيل... إلا ان هذا سيكون موضوع حديث تالٍ. وانصرفوا الى البناء انصرافاً كلياً، وما لبث أن ظهر شيء من الخلاف حول اختيار المواقع. تخيّر رومولوس ما يسمى الآن [روما كوادراتا] اي روما الربعة وأصر ان يكون موضع اقامة المدينة وحدد [ريموس] مساحة من الأرض على جبل [أفتنتين Aventine] حصّته الطبيعية خير تحصين وأطلق عليه [ريمونيوم Remoniam] تميئاً باسمه إلا ان اسمه الحالي [ريجناريوم Rignarium]<sup>(٢٦)</sup> واستقرّ الرأي أخيراً ان يحسما خلافهما باستخارة الطير وهي سائحة وبارحة<sup>(٢٧)</sup>، فوقفا في موضعين متباعدين. وقيل ان [ريموس] شاهد ستّة من النسور وان رومولوس شاهد ضعف هذا العدد، وقال آخرون ان ريموس كان صادقاً في عدده، لكن [رومولوس] كذب في عدد ما شاهد منها، إلا ان العدد اصبح اثني عشر عندما وصل ريموس اليه. ومن هنا جاءت عادة الرومان في مراقبتهم النسور أكثر من سواها عند استخارة الطير.

وروي [هيرودورس پونتيكوس] ان هرقل كان يستبشر كثيراً عندما يسبح له الطائر وهو يهتم بعمل ما. لأن النسور هو أقل الحيوانات اذى لا يقرب الزرع النبات، ولا ثمار الشجر ولا

(٢٤) لا يعرف على وجه التحديد من يكون ربّ اللاجئيين هذا، فبعض الشراح ومنهم [داسييه] يقول انه [ابوللو] امّا [ديون] فيخبرنا بأن الموضع الذي كان يقوم عليه الملجأ في زمانه، قد كرس (لجوبيتر). في مبدء الأمر لم يقبل رومولوس) بدخول اللتجئيين والخارجين على القانون. إلا انه اعطاهم مرتفع (ساتورينيوس) الذي سمي فيما بعد كاپيتولينيوس ليتخذوه مسكناً. [ليفي ج ٨:١ و ٥].

(٢٥) معظم الطرواديين (ولم يكونوا يزيدون عن خمسين أسرة زمن أغسطس) اختاروا أن يربطوا مصائرهم بمصائر الأخوين كما حذا حذوهم سكان پلانتيوم وساتورينا وهما قصبستان جوار [ألبا].

(٢٦) لا نجد ذكراً للاسمين اللذين وردا هنا عند اي مؤرخ أو كاتب ويذكر (فستوس) ان قمة جبل [أفتنتين] كانت تدعى [ريموريا] منذ ان عزم [ريموس] على بناء المدينة هناك. إلا ان [ديون] يتكلم عن جبل [أفتنتين] وعن [ريموريا] أنهما محلان مختلفان. ويزعم [ستانس] ان [ريموريا] هي بلدة قريبة من روما.

(٢٧) ليفي: ج ١، ٧: ١٢.

الماشية وهو يقتات ابدأ على الجيف والرحم. ولايفترس ولايؤذي كائناً حياً، واما عن بني جنسه الطير، فهو لايمسّ أحداً منها ولو كانت ميّته، وكأنا هي من فصيلته<sup>(٢٨)</sup>، في حين ترى العُقبان والبومة والصقور تأكل وتقتل بعضها بعضاً او كما يقول اسخيلوس<sup>(٢٩)</sup>: «أي من الطير يكون طاهراً اذا ما افترس من بني جنسه؟».

زد على هذا ان سائر اجناس الطير الأخرى كثيرة الملازمة لنا لا تغيب عن انظارنا ولكن النّسور قليلاً ما تعرض نفسها للرؤية. ويندر ان تجد رجلاً رأى صغار هذا الطائر، وندرتهما وقلة ظهورها ادّى ببعضهم الى القول أنها تأتي من عالم ثانٍ مجهول، مثلما يعزو الدجالون اصلاً لكلّ الاشياء التي تكون الطبيعة ولا هم مصدرها.

عندما انكشف الغش لريموس استنشاط غيظاً<sup>(٣٠)</sup>. وبينما كان رومولوس يروم الخندق المقرر ان يكون فوقه اساس سور المدينة، تعتمد احداث خلل في جانب من العمل وعوق آخرين، وأخيراً بينما كان ينطّ فوقه مستهتراً مستخفاً، قيل ان رومولوس فتك به<sup>(٣١)</sup>، وقيل لا بل سيلير Celer أحد اصحابه هو الفتاك، فخرّ صريعاً وحدث اشتباك قتل فيه [فاوستولوس] و[پلستينوس Plistinus] الذي عاون على تربية [رومولوس] وهو أخُ لفاوستولوس كما ورد في الحكاية. وعلى أثر ذلك هرب [سيلير] الى توسكانيا، والرومان يطلقون اسمه [سيليرس] على أسرع العدائين. وقد لقب [كوينتوس ميتلوس Quintus Metellus] «سيلير» لأنه هياً بمناسبة تشييع جثمان ابيه عرضاً عاماً للمصارعين - في غضون ايام قليلة، فكانت سرعته مصدر عجب.

بعد ان دفن رومولوس اخاه مع ابيه بالتبني في جبل [ريمونيا Remonia] باشر في بناء

---

(٢٨) لا نعتقد ان دارسي طبائع هذا الحيوان يوافقون پلوتارخ على رأيه هذا. فمع ان الجبن والخوف يدفعان النّسور على تفضيل الجيف الا أنّ طباع الضواري فيها تدفعها أحياناً الى مطاردة الأحياء من الحيوان. هذا الى أن ندرة هذه الطيور الجارحة هو برهان آخر يعزّز افتقار هذه القصة الى الصحة.

(٢٩) «المتضرعون» ٢٢٦.

(٣٠) ليقي ج ١، ٧:٢.

(٣١) أختلف الشقيقان حول موضع المدينة الجديدة. فأحالا الأمر الى جدّهما فنصح بأن يستخيرا. فكانت النتيجة لصالح [رومولوس] وقرر أن تكون هضبة (پالاتينا) موقعاً للبناء. وانقسم البنائون الى فريقين مختلفي الرأي عندها قفز [ريموس] من فوق الى الخندق وهو يقول ساخراً: «هكذا سيقفز العدو من فوق» وهنا اصابه (چيلير) بضربة قاتلة وهو يقول «وهكذا سيصد ابناء مدينتنا صولة العدو». وتقول المصادر ان (رومولوس) حزن حزناً شديداً على شقيقه وكاد يبجع نفسه لو لم تحل [لارنسيا] نون ذلك. ويقول [ديون] ان الرومان قفزوا من فوق الجدار عندما تمّ بناؤه في حين ان ذلك يشير بالتاكيد الى الخطّ الدائري الذي احترفوا ليس الا نجد پلوتارخ هنا يخلط بين قصتي موت (ريموس) اللتين اوردهما (ليقي) بشكل منفصل وان ذكر ان قصة موته بيد (رومولوس) اثناء نشوب القتال هي الارجح والاكثر شيوعاً.

المدينة وبعث يطلب من توسكانيبا<sup>(٣٢)</sup> رجلاً يرشدونه على اسس من الطقوس المقدسة والشرائع المدونة، الى المراسم التي ينبغي مراعاتها، والأحكام الدينية التي يجب اتباعها. فقاموا أولاً بحفر خندق مستدير حول ما هو الآن [الكوميسيوم]<sup>(٣٣)</sup> وساحة الاجتماع وفيها القوا باحتفال مهيب اول ثمار كل الاشياء التي هي إما جيدة بحكم العادة، او ضرورية بحكم الطبيعة وأخيراً تناول كل رجل قطعة صغيرة من تربة ارضه والقيت دفعة واحدة<sup>(٣٤)</sup> وأطلقوا على هذا الغور اثناء قيامهم بذلك اسم (موندس Mondus) اي السماء وبعد أن جعلوه مركزاً؛ خططوا حدود المدينة دائرةً حوله ثم ركب المؤسس شفرة نحاسية في رأس محراث وربط في نير واحد ثوراً وبقرة<sup>(٣٥)</sup> وساقهما بنفسه وشقَّ خطأ عميقاً حول تلك الحدود، وكان واجب الذين يتبعونه ملاحظة كل التراب الذي ينقلب الى الجانب الخارجي وردّه الى الداخل نحو المدينة وعدم ترك اي قطعة منه خارجها. وبهذا الخط رسموا مكان السور، وسموه اختصاراً [پوموريوم]<sup>(٣٦)</sup>: أعني پوستموروم Postmorum أي ما بعد السور، أو ما يليه. وفي المواضع التي تقرر احداث ابواب المدينة رفعوا الشفرة النحاسية من رأس المحراث وساقوا الفدان بدونها تاركين فسحة غير مشقوقة. اذ لو اعتبروها مقدسة أيضاً، لما تمكنوا من السماح بدخول وخروج ضروريات الحياة منها واليها بحرية، وبعض هذه الضروريات غير طاهرة بذاتها. والآن ستطوا في الخطيئة.

واما عن اليوم الذي بوشر فيه ببناء المدينة فهناك إجماع بين الكتاب، وهو اليوم الحادي والعشرين من نيسان الذي يقده السورانيون في كل سنة ويطلقون عليه اسم «يوم ميلاد

---

(٣٢) يخبرنا [فستوس] ان للتروسكانيين تقليداً حول ما يجب اتباعه في مراسم عند بناء المدن والهيكل والاسوار والابواب. وهم يطلبون ارشادهم الى نوع الطقوس التي يجب مباشرتها من نبوءة (تاكيس) الذي قيل ان (عطارد) كان معلمه.

(٣٣) هي ساحة مجاورة للفورم. فيها تعقد الاجتماعات العامة. والموندوس اي مركز العرافة في المدينة هو مما يلي بالاتينا - انظر ما بعده.

(٣٤) (اوقيد) لا يقول انها حفنة تراب جاء بها كل من بلده، بل حفنة تراب جاء بها كل واحد من عند جاره. وهي اشارة الى ان روما لن تلبث أن تخضع لحكمها الشعوب المجاورة لها. الا ان [ايسيدورس ٢٥: ٢٥] يرى ان القاعهم أولى الثمار مع حفنة تراب في الخندق إنما يقصد منها تذكير رؤوساء المستوطنات بان اول واجب هؤلاء هو توفير كل اطيب الحياة لابناء وطنهم والمحافظة على الاتحاد والسلام بين اقوام يتقاطرون من مختلف ارجاء العالم ليصيروا كتلة واحدة وعصبة لا تنقسم عراها.

(٣٥) اشارة الى الخصوبة. واما ردّ التراب الى الداخل المدينة فيعني ان المدينة ستبقى خالدة ولن يحلّ بها الخراب.

(٣٦) أو پوميريوم أو موروم، وتعني استناداً الى ليفي. فسحة غير مسكونة بين السور وبين اقرب البيوت في الداخل. عرضها مساوٍ لتلك الفسحة التي تترك خارج السور. ويحرم زراعتها بحكم القانون.



الوطن»، وقيل انهم لم يكونوا في مبدأ الأمر يضحون في هذا اليوم بالذباح، اذ وجدوا هذا اليوم الذي ولد منه وطنهم جديراً بالبقاء طاهراً لا تشينه قطرة دم واحدة، غير انه كان يوجد قبل انشاء المدينة عيد للرعاة وأصحاب المواشي يحتفل به في مثل هذا اليوم ويدعى (باليليا Palilia)<sup>(٣٧)</sup> ان الأشهر اليونانية والرومانية تكاد لا تتفق فيما بينها قط. والمقول الشائع ان اليوم الذي شرع فيه رومولوس بالبناء هو الثالث عشر من الشهر بالتأكيد وقد صادف فيه كسوف شمسي<sup>(٣٨)</sup>. وذكروا ان [انتيماخوس Antimachus] الشاعر التياني Teian شاهده وكان ذلك في السنة الثالثة من الولىبياد السادس<sup>(٣٩)</sup>. كان للفيلسوف [فارو Varro] المطلع اطلاعاً عميقاً على التاريخ الروماني صديق اسمه [طاروطيوس Tarrutius]<sup>(٤٠)</sup> الذي كان الى جانب معرفته بالفلسفة والرياضيات قد درس طرق استخراج الطوالع والأزياج الفلكية لمجرد حبّ الاطلاع واشتهر بتبحره في هذه الصناعة مما جعل صديقه [فارو] يطلب منه استخراج طالع [رومولوس] الى حد أول يوم وأول ساعة، وان يعمل حسابه على ضوء وقائع حياته العديدة التي هو على بينة منها. وان يقوم بهذا مثلما يحلُّ مشكلاً هندسياً فعلى حدّ قوله أن كلاً من الكشف عن مستقبل امرءٍ بمعرفة يوم ميلاده، ومن استخراج يوم ميلاده بما يعلم من وقائع حياته هما مما يمتان الى علم واحد، فقبل (تاريتوس) المهمة وتأمل أولاً في أعمال الرجل والأخطار التي حلت به وزمن حياته وكيفية موته ثم قارن كل هذه المعلومات بعضها ببعض واعلن بكل ثقة واطمئنان ان رومولوس حبلت به امه في السنة الأولى من الولىبياد الثاني<sup>(٤١)</sup> في الساعة الثالثة بعد مغرب شمس اليوم الثالث والعشرين في الشهر المصري المسمى [خويك Choeac] وفي ساعة الحبل به كان هناك كسوف كُلي<sup>(٤٢)</sup> واما

(٣٧) الباليليا أو عيد باليس ربّة القطعان. ويسمى احياناً پاريليا من اللفظة اللاتينية [باريري] اي التقدمة. لان الصلوات كانت ان ذاك تتلى من أجل إخصاب الأغنام. ويقول (اوقيد) ان الرعاة يحيون بهذه المناسبة مهرجاناً ليلياً عظيماً يختمونه برقصات حول النار التي يشعلونها في الحقول من أكوام القش.  
(٣٨) هو كسوف ٧٥٣ ق.م. الثابت فلكياً.

(٣٩) حصل في العام ٧٥٤ ق.م.  
(٤٠) كان هذا النجم البارع وثيق الصلة بـ (شيشرون) لكن لما لم يحصل كسوف في اليوم الذي عينه فليس في امكاننا ان نقرّ له باية براعة. ان الأشهر المصرية التي لا تتفق بداياتها تماماً مع أشهرنا استخدمت فيما يلي اعتباراً لبلادها التي اتخذ نظامها الفلكي قاعدةً.

(٤١) اي في العام ٧٧٢ ق.م.  
(٤٢) لم يكن ثم كسوف كلي في السنة الأولى من الولىبياد الثاني، بل حصل في السنة الثانية منه فان كان الحبل بـ(رومولوس) قد وقع في السنة التي ذكرناها فانه يتفق والراي المجمع عليه بأنه كان ابن ثمانى عشرة سنة عندما باشر ببناء روما. وهذا هو رأي (كاتو) يسانده في ذلك كل من [ديون] و[سولينوس] و[يوسيبوس] وعدد كبير من المؤرخين المتأخرين والمعاصرين. في حين نجد كلاً من [فارو] و[شيشرون] يثبتون الحدث في السنة التي سبقت.

ميلاده فكان في الحادي والعشرين من [توث Toth] = ايلول في حوالي شروق الشمس، وكان أول صخرة وضعها في بنيان روما - اليوم التاسع من شهر [فارموثي Pharmuthi] = نيسان : بين الساعة الثانية والثالثة منه. هؤلاء المنجمون يرون ان لطالع المدن اوقاتها الثابتة المعينة كما كان الشأن في طوابع الناس، ويكون بالامكان جمعها والتنبؤ بها من مواضع النجوم وارصادها ومعرفة ما يتعلق بها منذ زمن بنائها... لكن هذا البحث واشباهه قد لاتلذ القاريء طرفتها وغرابتها قدر ما تضرجه بخيالها ومبالغاتها.

بعد ان بنيت المدينة قام رومولوس باحصاء كل القادرين على حمل السلاح وتنظيمهم في كتائب عسكرية كل كتيبة تضم ثلاثة آلاف راجل وثلاثمائة فارس<sup>(٤٣)</sup>، وأطلق على الكتيبة [ليجيون Legion] لأنها كانت تتألف من الصفوة المنتخبة من أشد المحاربين. وسمى باقي الشعب [بالعامة]. وانتخب مائة من ابرزهم ليكونوا مستشارين وسماهم [پاتريشيان: (آباء) Patricians]<sup>(٤٤)</sup> وأطلق على مجلسهم [سنات (مجلس الشيوخ) Senate]. وقال بعضهم ان الپاتريشيان سموا هكذا لكونهم آباء لابناء شرعيين. وقال آخرون لا بل لكونهم قدموا الدلائل القوية على ان آباءهم ليسوا من الخليط المجهول، والصعاليك الذين تدفقوا الى المدينة<sup>(٤٥)</sup> في اول أمرها، ولم يكن بإمكانهم اثبات بنوتهم وأنسابهم. وزعم آخرون ان الصفة جاءت من [الحماية] وهي اللفظة التي يطلقونها على «عمل حماية الضعيف»، ويردون أصلها الى [پاترون Patron] وهو اسم احد أولئك الذين جاؤوا مع [ايثاندر Evander] اعظم محام ومدافع عن الضعفاء والمضطهدين. ولعل اقرب التعاليل احتمالاً هو الآتي: لما رأى رومولوس ان الواجب الأساسي لأغنى الناس هو الرعاية الأبوية والاهتمام بشؤون افقرهم، وان من واجب العامة ألا يكرهوا أو يترددوا في تكريم سادتهم بل لن يحبوهم ويحترمهم وان يعتبروهم آباء لهم وينادوهم بهذا اللقب، فقد إرتأى ان يطلق عليهم اسم [پاتريشيان]. بينما كانت الاقطار

(٤٣) وبمقابل هذا يعلمنا [ديون] بان المستوطنة كلها كانت تضم (٣٢٠٠) رجل وان [رومولوس] قسمهم الى ثلاثة اقسام متساوية وأطلق على كل قسم اسم (قبيلة) أو (ثت) يقوم على رأس كل قائد Prefect أو تريبيون Tribune. وقسمت القبيلة الواحدة الى عشر أفخاذ (كيوراثي Curiae) ان عدد البيوت أو الاكواخ الذي لم يكن يتعدى الألف الواحدة يقوم دليلاً على زعم (ديونسيوس) هذا. إلا ان الصعاليك الذين دخلوا لاجئين واستؤمنوا والذين قد يكونون كثيري العدد على ما يحتمل - لم يحسبوا مع المستوطنين الاصليين وان منحوا فيما بعد حق المواطنة.

(٤٤) الملك لا يختار هؤلاء الرجال المائة. بل تقوم كل قبيلة باختيار ثلاثة شيوخ، ويقوم كل كيورثي من الثلاثين باختيار عدد مماثل فيكون المجموع (٩٩) ولم يعين (رومولوس) إلا الشيخ المائة وهو رئيس او أمير مجلس الشيوخ والحاكم الأعلى للمدينة عند غياب الملك في حملة عسكرية.

(٤٥) انظر رأياً مختلفاً لديون الهيكارناسوسي. (٤:٢) وانظر ليقلي أيضاً.

الأخرى تلقب بشيوخها بالقاب الأسياد العظام. وهكذا تجد الرومان قد اتخذوا لقباً أكثر شرفاً وأقل ابهة وهو « پاترس كونسكربتيتي [Patres Conscripti] »<sup>(٤٦)</sup> وكان في مبدأ الأمر [پاتروس] فحسب ثم اضافوا اليه اللقب الثاني في زمن تال، وبهذا اللقب الأكثر جلالاً تميز الشيوخ عن العامة، وانفصل النبلاء عن سواد الشعب بطريقة أخرى اي بتسمية الأولين [پاترون] <sup>(٤٧)</sup> وتسمية الآخرين الاتباع او الموالي، وبهذه الوسيلة اوجد علاقة حب وصدقة ما بين الفئتين أثمرت قدراً كبيراً من العدل في التعامل فيما بينهم، فالپاترون هو مستشار مواليه في القضايا القانونية ومحاميهم في سوح القضاء والمحاكم، ومجمل القول. شاورهم ومعاونهم في كل المسائل. والموالي بدورهم يخدمون الپاترون لا بتقديم الاحترام والتكريم، بل بمساعدتهم المادية في حالة افتقاره، كصهر بناتهم بالمهر أو دفع الديون عنهم<sup>(٤٨)</sup>، وليس من قانون أو قاض يجبر الپاترون على الشهادة ضد تابعه، ولا التابع ضد پاترونه، وبعد مرور حين من الزمن وُجد أن أخذ المال من الموالي مما لايشرف قط طبقة الپاترون فأبطلت العادة مع بقاء الواجبات الأخرى سارية... وفي هذا القدر الكافي...

في الشهر الرابع لبناء المدينة، وقعت حادثة خطف النساء واغتصابهن<sup>(٤٩)</sup> وهذا ما يزعمه [فابيوس]. واما آخرون فيقولون ان رومولوس نفسه وهو محارب عسكري ارادها ان تكون علة لشن الحرب، ربما تحذوه في هذا نبوءة جعلته يؤمن ان رفعة شأن روما وعظمتها تتوقفان على الإفادة من الحرب ولهذا تحرش اولاً [بالسابين Sabine]، ولم ينهب منهم غير ثلاثين عذراء وهو عدد قليل قد يصلح ذريعة للحرب، من كونه رغبة النساء فحسب. على ان هذا

---

(٤٦) أعني الآباء المسجلين. والمنحدرون من هاتين الطبقتين ميزوا فيما تلا من الزمان باسمي الآباء الكبار Patre Majorum والسادة الأدنى Minorus Ganlium.

(٤٧) هذه الأبوة توازي بقوتها رابطة الدم والتحالف. وقد كان اثرها عجبياً في استمرار الوحدة والرابطة الوثقى بين الرومان طوال (٦٢٠) عاماً لم يقع خلالها نزاع أو خصام أو تنازع بين الآباء والأتباع حتى في الأيام الجمهورية حيث كثيراً ما كانت طبقة العامة تتمرد على اصحاب السلطة العليا في المدينة. بالآخر اخل بهذا الانسجام تلك الفتنة الكبرى التي اثارها [كايوس كراخوس] (انظر السيرة). وكان التابع الذي لا يؤدي واجبه ازاء (پاترونه) يعد خائناً خارجاً على القانون ويستهدف الي أن ينفذ به اي شخص عقوبة الموت (ديون) ومما يجدر ذكره هنا هو أن اختيار ال(پاترون) لم يكن قاصراً على أفراد العامة. بل تعداهم الى المدن والدول التي أخذت تضع نفسها تحت هذا النوع من الحماية بمرور الزمن.

(٤٨) ويضيف ديون قوله (٤:٢) انهم يدفعون عنهم مصاريف الدعاوى التي يخسرونها ويدفعون عنهم كذلك اجور محاميهم وغير ذلك.

(٤٩) ينقل (ديون) عن (كيلليوس) ان ذلك وقع في السنة الرابعة ويؤكد (فاستي كاپيتوليني) ذلك باثباته تاريخ الحروب مع الكيانيسيين التي وقعت بعد هذه الحادثة مباشرة. ويذكر (ليفي) ايضاً (٩:١) ان الرومان صاروا يملكون من القوة ما أهلهم لمقارعة جيرانهم.

القول ليس الأرجح. والذي يبدو، أن رومولوس وجد مدينته تكتظ بالوافدين من الأجناب والأخلاق وقليل منهم من كان ذا زوج وان هذا المجتمع الذي يتألف معظمه من فقراء، منقطعين، سيدب فيه الانحلال حتماً ويسوده الإنقسام والتناحر ولن يبقى على تلاحمه طويلاً كما أمل أيضاً أن تهدأ خواطر النساء المخطوفات بعد حين، ليجعل من الاعتداء تعلقةً للتحالف والتبادل التجاري مع [السابين] وعلى هذا الاساس قام بالمغامرة هكذا:

أولاً أعلن انه اكتشف هيكل أحد الارياب مدفوناً تحت أطباق الأرض<sup>(٥٠)</sup> ويسمى [كونسوس Consus] وهو إماً آله الشورى (لأنهم مازالوا يستعملون للشورى كلمة [كونسيليوم Consilium] ويسمون كبار حكاهم [كونسول Consule اي مستشار] وإماً أن يكون [نبتون الفارس]، ذلك لأن الهيكل أبقى مستوراً في الملعب الأكبر<sup>(٥١)</sup> لايكشف للجمهور إلا بمناسبة سباقات الخيل. ولا يزيد آخرون على القول ان هذا الرب شاء ان يجعل معبده مدفوناً تحت الأرض لأن من طبع المشورة ان تكون سرية مكتومة. عند اكتشاف الهيكل أعلن رومولوس انه قرر أحياء يوم حافل لتقديم قرابين، مشفوعة بالعباد وتمثليات للعموم، من قبيل الترفيه والتسرية، فتقاطرت جموع غفيرة الى المدينة وجلس رومولوس في صدر الملعب يحف به عظماء قومه ونبلاؤهم متشجاً بالأرجوان، وكانت اشارة الانطلاق هي نهوضه وجمع اطراف رداءه والقائه على كتفيه. ووقف رجاله على اهبة الاستعداد شاكي السلاح واعينهم شاخصة اليه وانظارهم مركزة به ولما أعطى الاشارة صاحوا صيحة هائلة وامتشقوا سيوفهم ووقعوا على بنات [السابين] يخطفوهن، وكى السابين الأديار بدون مقاومة. وقيل ان ما سبي لايزيد عن الثلاثين<sup>(٥٢)</sup>، وسميت اسماء [اركيبوري Curiee] الثلاثين بهن إلا ان [فاليريوس أنتياس Valerius Antias] يرفع عدد المخطوفات الى خمسمائة وسبع وعشرين، وي زيد [يولا Julia]<sup>(٥٣)</sup> العدد الى ستمائة وثلاثة وثمانين، وخير عذر يمكن ان يتمسك به رومولوس في عمله هذا هو ان المخطوفات كلهن كن عذباوات. اي ان اتباعه لم يتعرضوا للمتزوجات باستثناء واحدة وهي [هيرسيليا Hersilia] وهذه خطفت بمحض خطأ ولم يعرف حقيقة أمرها، هذا يدل على انهم سيوهم لا بدافع الشهوة، بل لايجاد تحالف ورابطة جوار

---

(٥٠) ابقى المذبح مدفوناً اشارة الى عمل الطبيعة الخفي في انتاج القمح والخضار لان (كونسون) هو الرب الايطالي القديم للزراعة.

(٥١) أعني في القصر. حيث بنى (اتكوس مارجيوس) فيما بعد الملعب الكبير لسباق الخيل والعجلات.  
(٥٢) رواية ليقي: ٣:١، تورد هذا العدد أيضاً. إلا انه كان يأخذ برأي [فاليريوس انتياس] في أماكن أخرى.  
(٥٣) هو ابن (جوبا) ملك الموريتانيين جيء به الى روما وهو صبي وقد وقع في الأسر، فدرس العلوم الاغريقية واليونانية واصبح مؤرخاً شهيراً. ويذكر ليقي أن أغسطس اعاد اليه جزءاً من أملاك ابيه وزوجه (كليوباترا) بنت مارك انطوني. ويتفق (ديون) مع ليقي في هذا.

باضمن الوسائل وامتنها. وقال بعضهم ان [هوستيليوس Hostilius] تزوج هرسيليا هذه، وهو من ابرز رجال الرومان، وزعم غيره ان رومولوس هو الذي تزوجها وانجبت له بنتاً سميت [پريما Prima] أي الأولى لأنها بكره، وابنا سُمي [أفيلْيوس Avillius] بسبب تعلق المواطنين الشديد به في ذلك الحين. ثم تغير اسمه بعد احقاب الى [بيلليوس] هذا ما يرويهِ [زينودوتوس Zenodotus] الطروزيني وكثيرون لا يتفقون معه في ما ذهب.

قيل انه كان يوجد كثير من الأراذل والدهماء بين الذين ساهموا في خطف العذارى، وشوهت طائفة تحمل أنسة فاقت الأخران جمالاً وجاذبية ورشاقة، فأعرضتهم زمرة من سراتهم وحاولت انتزاعها فاحتجوا قائلين انهم يحملونها الى [تالاسيوس Talasius] وهو والحق يقال شابٌ فتيٌ لكنه غير معروف بصفات الشجاعة واللباقة. ولما سمعوا منهم ذلك ايدوهم واستحسنوا ما يفعلون بهتافات عالية، وانضم بعض الزمرة الى هؤلاء الدهماء طرباً ولعباً وراحوا يهتفون باسم [تالاسيوس]. من هذه الحادثة نشأت عادة عند الرومان ما زالت متبعة الى يومنا هذا فهم في حفلات اعراسهم، يتنادون بلفظة [تالاسيوس] بوصفها الكلمة التي تقوم مقام [العرس]. مثلما هي [هيمينايوس Hymenas] لدى الأغريق. لكنهم يقولون أن تالاسيوس هذا كان سعيداً للغاية في زواجه إلا أن [سكتوس سيلا Sextius Sylla] القرطاجني وهو رجل لا تعوزه سعة الاطلاع ولانفاذ البصيرة قال لي ان رومولوس نطق بهذه الكلمة كإشارة لبدء عملية الاختطاف، ولذلك هتف بها كل من ظفر بفتاه لنفسه ومن هنا جاءت العادة في الأعراس. لكن معظم الكتاب (ولاسيما يوبا) يرى ان الكلمة كانت تستخدم للمتزوجات حديثاً كوسيلة لحثهن على القيام باعمال البيت على خير الوجوه، وتطلق كلمة [تالاسيا Talasia] على الغزل كما نلفظها نحن باليونانية<sup>(٥٤)</sup>، لأن الالفاظ اليونانية كانت شائعة وقتذاك ودونها شيوعاً الالفاظ الايطالية، واذا كان الأمر كذلك، واذا كان الرومان في ذلك الزمن يستعملون كلمة [تالاسيا] بالمعنى الذي تدل عليه عندنا، فعلى المرء اذن ان يبحث عن سبب آخر لهذه العادة. اذ عندما صولح السابين بعد الحرب التي نشبت بينهم وبين الرومان، اتفق على شروط بخصوص معاملة نساتهم؛ وهي ان لايجبرن على اداء اعمال منزلية شاقة فيها صفة العبودية ما عدا الغزل. لذلك جرت العادة ان يردد كلمة تالاسيوس اولئك الذين يقدمون يد العروس أو يصحبونها أو يكونون حاضرين وقت الزفاف - للتذكير بان العروس لن تقوم من الآن فصاعداً بعمل إلا الغزل واستمر تطبيق العادة التالية الى هذا اليوم

---

(٥٤) من لفظه (تالروس) الاغريقية. والملاحظ ان كل سيدات روما يحكن ثياب ازواجهن وأولادهن حتى أغسطس نفسه كان يشهر مرتدياً الثياب التي تصنعها زوجه وآل بيته.

وهي ان العروس لا تتخطى عتبة باب زوجها، وانما تُرفع فوقها رفعاً دون ان تطأها، وهي تذكرة بأن عذارى السابين كن قد حملن الى بيت الزوجية قسراً ولم يدخلن بمحض اختيارهن. ويقول بعضهم ايضاً أن عادة فرق شعر رأس العروس من الوسط بسنان رُمح، تذكرة بأن مبدأ زواج الرومانيات كان بالحرب والقتال، وهو ما اشتهدتُ في شرحه في كتابي «المسائل»<sup>(٥٥)</sup>.

وقعت عملية الاختطاف هذه في الثامن عشر من شهر [سكستيليس Sextilis] الذي يدعى الآن [اغسطس: آب] وفيه تقام احتفالات [الكونسواليا Consualia]<sup>(\*)</sup>.

كان السابين قوماً محاربين اشداد كثيري العدد. عاشوا في قرى غير محصنة وهو على ما يظنون يناسب مستعمرة ليقديمونية<sup>(٥٦)</sup> جريئة لانهاب أحداً ولما وجدوا انفسهم مكتوفي اليد بتلك الرهائن النسائية التي تضمن سكوتهم وحسن سلوكهم، ولشدة تعلقهم ببناتهم آثروا ارسال سفراء الى رومولوس يحملون طلبات عادلة منصفة وهي ان يعيد اليهم بناتهم وينهى اثر هذا الاعتداء، ثم يسعى بالاقناع والوسائل الشرعية الى انشاء علاقة صداقة بين الشعبين. لكنه ابى النزول عن البنات وأقترح عليهم الدخول في حلف. وهنا أخذ بعضهم يتردد وانثوا يتداولون فيما بينهم ولم يقطعوا برأي، إلا ان [اكرون] ملك [سيوننسيا Coeninen-sia]<sup>(٥٧)</sup> وهو رجل جريء ومحارب مقدم، مدفوعاً بما يكفه من حسدٍ طويل الأمد لرومولوس لماآثره العظيمة، ولاسيماً لما وجد خصمه هذا قد علا شأنه وعظم خطره بمغامرة خطف النساء، وان الاقتصاص منه أمر واجب، فأعلنها حرباً على رومولوس وزحف بجيش جرار فاستعد رومولوس له<sup>(\*\*)</sup>، ولما تقابل الجيشان وقفاً وهما شاكيا السلاح لا يلتحمان وانما فضلاً مبارزة فردية. فنذر رومولوس اذا تغلب على خصمه، ان يحمل بنفسه سلاح المغلوب ويقربه الى [جويترا] زيادة في التعظيم. ونزل حومة الوغى وقهر عدوه ثم تلت ذلك معركة هزم بها جيش الخصم المقهور واستولى على مدينته، لكنه لم يلحق اي اذى بسكانها وانما امرهم بتقويض بيوتهم. وان يتبعوه الى روما فيمنحهم كل حقوق المواطنة<sup>(٥٨)</sup>. الحق يقال ان عظمة روما

(٥٥) في الفقرة المشار اليها حذف بولتارخ واحدة من اهم الملل الطبيعية المعزوة الى (فستوس) وهو ان الرمح بوصفه شعار السلطان قد يفرض على المرأة واجب الخضوع لبعلمها (الاخلاق: السؤال رقم ٨٧).

(\*) عيد الحصاد (من كونسوس Consus).

(٥٦) ومن هؤلاء عدد كبير من اللقيديمين هربوا تخلصاً من قوانين ليكورغوس الجائرة فتركوا سيارطه واستقروا في ايطاليا وأخذ عنهم المواطنون الاصلاء عاداتهم. [هذا كما يبدو عند ديون ١١:٢].

(٥٧) سكان لاتيوم Latium القديمة.

(\*\*) ليقي ١٠:١.

(٥٨) يختلف بولتارخ مع المؤرخين اختلافات كثيرة وبعضها جوهرية، حول تفاصيل الحملة. وليس في الامكان ايراد هذه الاختلافات وتمحيصها ومضاهاتها في حاشية تعريف مقتضبة. فلترجع عند ليقي وديون.

وسؤدها لم يكن مديناً لشيء، قدر ما هو مدين الى مزجها وتوحيدها كل ما تفتحه من البلدان. ولأجل ان يبرّ رومولوس بنذوره [الجوييترا] بأحسن ما يمكن ولأجل أن يجعلها مصدر استمتاع لأهل المدينة عمد الى قطع بلوطة باسقة وجدها نامية في المعسكر فهندمها على شكل تمثال، ثم كساها دروع [اكرون Acron] كما يكتسبها المحارب ولم أطراف ثيابه على جسده وحمل التمثال وشعره يتماوج خلف اذنيه في النسيم بلطف أسرٍ واسنده على كتفه الايمن بصورة عمودية ثم ساربه وهو ينشد اناشيد النصر يتبعه كل جيشه فاستقبله الأهالي بهتاف الاعجاب والفرح. وكان موكب ذلك اليوم المثل المحتذى لكل مواكب النصر الرومانية التالية.

هذه الخشبة المنحوتة أوجدت نوعاً جديداً من القربان [الجوييترا فيريرتيروس] [جاءت من فيريري Ferire<sup>(٥٩)</sup> وتعني باللاتينية: الضرب] لأن رومولوس رجا الاله ان يضرب عدوه ويهزمه. وسميت الغنائم [اوپيما Opima]<sup>(٦٠)</sup> أو الأسلاب الملكية، على زعم [فارو] لأنها كانت قيمةً جداً، كما تدل عليه كلمة [اوپيس Opes] وإن يذهب الظن بالمرء الى انها مشتقة من [اوپوس: Opus] أي «عمل»، ودرجت العادة أن لا يخلع شرف اعطاء «الغنائم الملكية» إلا على قائد الجيش الذي يقتل بيده قائد جيش العدو<sup>(٦١)</sup>. ولم ينل مثل هذا الشرف غير ثلاثة من قادة الرومان اولهما رومولوس لقتله (اكرون) السنينيسي، وثانيهما [كرينليوس كوسوس Cornelius Cossus] لقتله [طولنيوس Tolumnius] التوسكاني<sup>(٦٢)</sup>، وثالثهما [كلوديوس مارچللس Claudius Marcellus] لبطشه بـ[فيريدومارنوس Viridomar-

(٥٩) هذه الكلمة لم تكن مستعملة في ذلك الحين والارجح انها مشتقة من لفظة Ferire وهو الحَمْلُ. لأن رومولوس حَمَلَ بنفسه الدروع الى هيكل چوپتر. أو لعلها على أغلب الاحتمال مشتقة من الكلمة الاغريقية فيرترن التي يفسرها ليفي (١٠:١) باللاتينية Ferculum ومعناها غنيمة حرب.

(٦٠) فستوس يشتق أوپيما من كلمة Ops وتعني «الأرض وثرواتها» و Opima spolia بحسب رأي الكاتب تترجم به الأسلاب الثمينة». ولم تكن كلمة opus كثيرة الاستعمال في ذلك الحين مثل كلمة Ferire على أغلب الاحتمالات.

(٦١) هذا ما اثبته ليفي حول الموضوع كذلك. إلا ان [فارو] الذي ينقل فستوس عنه، يخبرنا انه ربما كان للروماني الحق في «الأسلاب الثمينة» حتى ولو كان جندياً بسيطاً miles manipularis شريطة ان يقتل قائد جيش العدو ويستولي على شكة سلاحه. ولهذا نجد (كورنيليوس كوسوس) يغتنمها عند قتله [تولميوس] ملك التوسكان ولم يكن أكثر من (تربيون) تحت أمرة (اميليوس). وعلى أغلب الاحتمال لم يدخل (كوسوس) روما راكباً عربية النصر وانما تبع قائده وهو يحمل «الأسلاب» على عاتقه. ولا يقطع ليفي برأي حول رتبة (كوسوس) وقت ان حقق نصره. رغم تأكيد (اغسطس) له بأنه وجده يسمى بالقتل في السجلات. وانه ما فعل هذا إلا احتراماً لسيدته الامبراطور. ولأن شهادة [فارو] يجب ان تدحض اسطورة مشكوكاً فيها وان وجدت حقاً فمن الممكن جداً ان اللقب قد استعير من واقع رفع كوسوس الى مرتبة القنصل.

(٦٢) كان هذا العام ٤٣٦ ق.م، حسبما اورده ليفي ٩:٤، ١-٥.

[nus] (٦٣) ملك الغاليين والثاني والثالث دخلا المدينة في موكب النصر وهما راكبان عجلة حاملان اسلبيهما بنفسهما. وقد اخطأ [ديونيسيوس] (٦٤) في التأكيد بأن رومولوس استخدم عجلة في هذه المناسبة (٦٥). وينبئنا التاريخ ان [تارقينيوس Tarquinnius] ابن [داماراتوس Damaratus] كان أول من بلغ بمواكب النصر الى هذه الدرجة من الروعة والجلال. ويقول آخرون ان [پوبلييكولا Publicola] هو اول من استخدم العجلة في مواكب النصر هذا وان تماثيل رومولوس التي تمثله في موكب النصر، لا يوجد منها ما تظهره راكباً في كل ما هو موجود منها في روما.

بعد ان تغلب رومولوس على السينسينين، أخذ السابين الآخرون يتربصون الفرص ويستعدون الزمن، ثم وحد اهل [فدينيا Fedena] و[كروستوميوم Crustomerium] و[انتنا An-temna] قواهم ضد الرومان (٦٦) لكنهم منوا بهزيمة نكراء، ونزلوا عن مدنهم لرومولوس فاستولى عليها وضبط اراضيهم وتخوفهم فوزعها واستاقهم جميعاً الى روما. إن الاراضي التي استولى عليها رومولوس، قسمها بين الرومانيين، إلا انه استثنى اراضي اباء الفتيات المخطوفات وابقاها لهم. وثار غضب سائر السابين لهذا العمل وأمرؤا عليهم [طاطيوس Ta-tius] قائداً وزحفوا الى روما. وكانت المدينة منيعة يكاد يتعذر اقتحامها، فمن تحكيماها ما يعرف اليوم بالكاڤيتول، وهو حصن وضع فيه كتيبة قوية من الحرس على رأسها [تارڤيوس] لا [تارڤيا Tarpia] العذراء على ما زعمه بعضهم ليظهروا رومولوس بمظهر الأحق. لكن [تارڤيا] التي هي بنت قائد الحصن كانت مغرمة بالأساور الذهبية والحلي التي يتحلّى بها العدو، ولذلك عرضت تسليم الحصن الى السابين إن كوفت على خيانتها بكل الحلي التي تحلى اذرعتهم اليسرى. فوافق [طاطيوس] وفتحت لهم احد الابواب ليلاً وادخلتهم. لم يكن [انتيجونوس Antigonus] وحيداً في قوله انه أحب الخونة، لكنه كره الذين كانوا ولا القيصر الذي قال محدثاً [ريميتاقليس] التراقي انه ليحب الخيانة ولكنه يكره الخائن، هذا هو الشعور العام لمن اتفق له وحظي بخدمات الخونة وشرار الناس، وهو نفس ما يرى الناس في

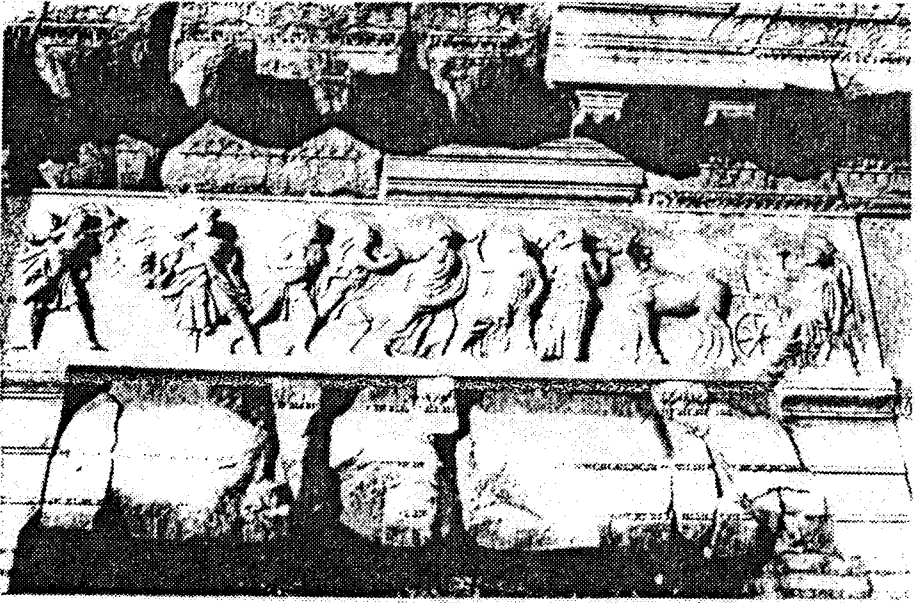
(٦٣) وفي نسخ أخرى يكتب «بريتومارتس Britomartus» وقد كان هذا في العام ٢٢٢ ق.م. (انظر سيرة مارجلوس في الكتاب).

(٦٤) روما القديمة ١١: ٣٤.

(٦٥) المرجع نفسه: پوبلييكولا ٩: ٥٠.

(٦٦) [ليفي] المرجع السالف ١: ١١. أو بحسب اقوال غيره من المؤرخين فقد كان كل منهم يحارب على انفراد كلما اكمل استعدادة. وبالشعار نفسه Dum singuli pugnant in versi vincuntur (توكيديس: جرمانيا) ولك يكن لأهل [فدينيا] علاقة بهذا التحالف فهم توسكان تابعون لـ(قبيبي) ولانزاع ثم بينهم وبين الرومان طبعاً حتى وفاة (طاطيوس).





اغتصاب نساء السابین



سمّ الحيوانات، فهم راضون عنها ما دامت ذات نفع لهم، لكنهم يمتقنون شرها وخبثها حين ينفضون أيديهم منها. وهذا هو المسلك الذي سلكه [طاطيوس] مع [تاريبيا] بعد تسليمها الحصن. فقد أمر السابين بايفاء الشرط وبألاّ يضمنوا عليها باي جزءٍ من حلي أذرعتهم اليُسرى، وكان هو أول من خلع اساوره والقهاها عليها واتبعها بدرع صدره<sup>(٦٧)</sup> وحذا الباقون حذوه وارتفع المقدوف من الحلي فوقها حتى دفنت تحت أكداس الذهب والدروع ففاضت روحها تحت الثقل والضغط. وحاكم رومولوس، القائد تاريبوس وادانه بالخيانة. على حدّ قول (يوبا) الذي نقله لنا [سولبيشيوس غالبا Sulpicius Galba] واما من كتب بخلاف ذلك عن تاريبيا زاعماً انها كانت بنت [طاطيوس] وان رومولوس احتجزها بالاكراه، وانها فعلت ما فعلت وجازاها ابوها على نحو ما قدمناه، هؤلاء انما يخبطون خبط عشواء. ومنهم [انتيغونوس]<sup>(٦٨)</sup>. امّا [سميلوس] الشاعر الذي يرى ان تاريبيا لم تسلم الكاپيتول للسابين سبل للغال لوقوعها في حب ملكهم، فهو اكثر تخريفاً من أولئك، حين يقول:

كانت (تاريبيا) التي تسكن قريباً من الكاپيتولي

هي التي فتحت ابواب روما للعدو.

هي التي سلمت الكاپيتول، حصن المدينة الأمتع

لأنها وقعت في حبّ المهاجم الغالي!

فغدرت بمنازل ابائها

وبعدها بقليل يتكلم عن موتها فيقول:

إن الجموع الغفيرة من الأعداء الغاليين والبوي Boü

لم يرضوا أن تبقى حية تعيش على ضفاف البو Po

فالقوا بتروسهم فوق الفتاة.

وبهداياهم الثمينة قتلوها ودفنوها في الحال.

دفنت (تاريبيا) هناك. وأطلق اسمها على التل المعروف [بتاريبوس] وظلّ يعرف به حتى

(٦٧) يذكر (بيو) ومؤرخون آخرون أن طاطيوس عاملها بهذا الشكل لأنها قامت بدور مزدوج فعملت على خيانة

السابين من أجل رومولوس في حين جاهرت بخيانة الرومان من أجل السابين. (ديون ٢: ١٠٠) وبرهاناً على

هذا التكريم الذي نالته من الرومان بعد وفاتها ولفي (١١: ١) يسجل ذلك ولا يعارض فيه.

(٦٨) كتب (انتيغونوس كاريسيوس) تاريخاً لايطاليا. وجمع جملة من «الحكايات العجيبة» في عهد [بطليموس

فلادلفوس] وأمّا (سميلوس) فقد نظم تاريخاً شعرياً لايطاليا.

عهد الملك (تاركوين Tarquine) الذي أوقف الموضع على جويتر فنقل رفاتها وضاع اسمها، إلا في ذلك الجزء من الكابيتول الذي مازالوا يسمونه «الصخرة التاريخية»، وهي الصخرة التي اعتادوا القاء المجرمين منها الى الهاوية.

بعد ان سيطر السابين<sup>(٦٩)</sup> على المرتفع، ثار ثائر رومولوس واشتبك معهم في معركة، وكان [طاطيوس] واثقاً من نفسه فلم يتحاش الاشتباك، مدركاً انه لن يخسر شيئاً في حالة هزيمته فخلفه مواقع حماية منيعة وكان السهل في الوسط وهو ميدان القتال، تحيط به آكام عديدة صغيرة يبدو وكأنها ستلمي على الفريقين قتالاً مريراً عنيفاً بسبب وعورتها. وعدم وجود منافذ كثيرة فيها وصعوبة الكر والفر. وأتفق أيضاً ان النهر الفائض كان قد غمر ساحة المعركة قبل مدة ليست بعيدة. ولما انحسر عنها ترك خلفه (حيث يقوم الفورم اليوم) موحلة عميقة عمياء خادعة لا تعرف حدودها ولا يظهر مدى خطورتها للعين المجردة. ويصعب اجتبابها، وصادف السابين حسن حظ نادر، بينما هم يهمون بدخولها دون حذرٍ او ارتياب. اذ كان [كورتيسوس Curtius] وهو رجل مقدم متشوق الى كسب الشرف في القتال، ذكي سريع الخاطر، يخبّ بجواده امام الآخرين<sup>(٧٠)</sup>، اذ باقدام حصانه تعوض في الطين، فحاول اخراجه بالسوط والمهراز والصياح، وبعد فترة ادركه العجز فتركه وانقذ نفسه. ومنذ ذلك اليوم وهذه البقعة تعرف ببخيرة [كورتيسوس]. وبعد أن نجا السابين من هذا الخطر راحوا يقاتلون احسن قتال ويبلون خير بلاء، وظلت نتيجة معركة ذلك اليوم غامضة، في حين سقط كثير من القتلى، ذكر بينهم [هوستيليسوس] زوج [هرسيليا]، وجدّ [هوستيليسوس] الذي حكم بعد [نوما]. ثم حصلت اشتباكات قصيرة عديدة إلا ان أعظمها وعلى الأرجح، أوقعها في النفس وابعدها أثراً هو الاشتباك الأخير، فيه اصيب رأس رومولوس حَجرة من حجرة شجته، فكاد يسقط صريعاً ويعجز عن متابعة الحرب... وتخاذل الرومان وبدت عليهم علامة الهزيمة وراحوا

(٦٩) ليفي: المرجع السالف ١:١٢.

(٧٠) ليفي [١٣:١] وديون [١٠:١١] يثبتان خلاف ذلك. اذ يذكران (كورتيسوس) صدّ هجمة الرومان أولاً إلا انه غلب على أمره بكرة من رومولوس وبمحاولته الانتسحاب المنظم فقد سقط سقطه لا نجاة منها في البحيرة التي سميت باسمه منذ ذلك الحين: Lacus Curtius حتى عندما جفت وكادت تكون وسط الفورم. ويقول [بروجيليسوس] ان الأرض قد تشققت. وصرح الارسيبيجي بانه من الضروري أن تحشد قوى المدينة لمنفعة المدينة فتقدم هذا الشاب المدعو كورتيسوس (ليفي ٦:٧) الذي عرف بالبسالة والصبر على القتال وهو على صهوة حصانه وتحتة اثنان السرج وقذف بنفسه في البركة بكامل دروعه فالتحمت شقوقها في الحال. وكانت هذه البركة قبل فتح قنوات المجاري اشبه بالبالوعة تصب فيها كل مياه روما القذرة. ويرى بعض الكتاب انها أخذت اسمها من القنصل [كورتيسوس] زميل ماركوس جينوشيسوس في الحكم لأنه أمر بتسويرها بناء على نصح الارسيبيجي بعد ان ضربتها صاعقة.

يفرون باتجاه [الپالاتيوم]، وفي تلك الاثناء استجمع رومولوس بعض قواه واستدار لتجديد سُعار المعركة وواجه قومه المنهزمين مشجعاً بصوت جمهوري حاثاً اياهم على الصمود والقتال هذا والعدو يتكاثرون عليه عددياً وجنوده يحجمون عن الثبات ومواجهة الخصم. فبسط يديه نحو السماء متضرعاً الى [جوبيتر] لايقاف فرار الجيش ورعاية حق روما والعناية بأمرها في أعظم خطر تجابهه. وما أن أنهى صلاته حتى صدَّ الخجل منه والاحترام له كثيراً من المنهزمين عن الفرار، وأنقلب خوفهم الى ثقة. إن أول المواضع التي ثبتوا فيها كان المحل الذي يقوم عليه الآن معبد [جوبيتر ستاترا] (قد يمكن ترجمته بجوبيتر اللأبث) وفيه انتظمت صفوفهم ثانية، وكروا على السابيين ودفَعوا بهم الى موضع يعرف الآن بـ(ريجيا)<sup>(٧١)</sup> ثم الى معبد (قستا).

تأهب الفريقان لخوض معركة ثانية فحال بينهم وبين ذلك مشهد عجيب يقصر عنه الوصف. فقد أسرع بنات السابيين المخطوفات، مهرولات في اضطراب عظيم، بعضهن من هذه الجهة وبعضهن من تلك كأن بهنّ مسأ من الجنّ. حتى صرن في وسط الجيش بين جثث القتلى. وبلغن مواقع ازواجهن وابائهن، بعضهن يحملن اطفالهن، وبعضهن محلولات الشعر والريح تعبث به، بناديين السابيين مرةً، والرومان مرةً بأرق الكلمات وأكثرها حناناً. وهنا غلبت العاطفة نفوس الفريقين فانكفاؤا الى الوراء ليفسحوا لهن سبيلاً بين الجيشين.

أحدث منظر النسوة حزناً وألماً عميقاً في قلوب الجميع، لكن عباراتهم التي بدأتها باللوم والتعنيف، وانهينها بالضراعة والعتاب، كان لها التأثير الأقوى. وهذا ما قلن لهم:

«اي أذى نالكم منا لنستحق منكم هذا العنت والعذاب في الماضي والحاضر؟ لقد جرى خطفنا بظلم وعدوان، وبالقوة والاكراه، خطفنا أولئك الذين نرتبط بهم الآن برابطة الزوجية. وبعد ان تمّ ذلك أهمل آباؤنا وأخوتنا وبنو قومنا أمرنا زمناً طويلاً، والآن ونحن مرتبطات بأوثق رباط مع أولئك الذين كُنّا نكرهم كراهة الموت في الماضي، لا فملك أنفسنا من الرجفة للخطر، والبكاء لموت أولئك الرجال الذين أعتدوا علينا، انكم لم تنتصفوا لشرفنا من المعتدين عندما كُنّا عذارى. ولكنكم جثتم اليوم لتنتزعوا بالقوة الغاشمة، نساءً من أزواجهن، وأمهات من أطفالهن، وهي جريمة أعظم خطراً بنواياها الوضيعة من أهمالكم السابق لهنّ وغدركم بهن. فأيهما أشنع؟ أمضاجعة هؤلاء لنا، أم اشفاقكم علينا؟ إن كنتم اردتم حرياً لأب سبب آخر من الأسباب فالواجب يقضى عليكم لأجلنا أن ترفعوا ايديكم عن أولئك الذين جعلوكم اجداداً لاولادهم، وأحماء لهم. وان كانت حريكم هذه لأجلنا، فها

(٧١) هو منزل الكاهن الأعظم في الازمنة التاريخية الأولى.

نحن اولاء، خذونا وخذوا معنا أختانكم وأحفادكم، اعيدونا الى ابائنا وبني قومنا  
ولا تحرمونا أزواجنا وأولادنا. نتوسل اليكم ألا تجعلونا مسببات مرتين».

تكلمت [هرسيليا] بكثير من هذا، وراحت الأخباريات يتوسلن بكل حرارة. ولم يعد ثم سبيل  
إلا الى الهدنة، واجتمع الزعماء الكبار للمداولة. وجاءت النسوة بانبائهن وأزواجهن الى ابائهم  
وأشقاهن، وجلبن اللحم والشراب لمن يحتاج، ونقلن الجرحى الى منازلهن لتمريضهم، وهنا  
أظهرن لذويهن مبلغ سيطرتهن على منازلهن. وكن يحترمن أزواجهن، ويبدون لهن ضروب  
التجلة والاحترام ويحيطونهن بكل ما يتصور من العطف والود. وأتفق الجانبان على الشروط  
التالية: للنساء الراضيات بحالهن ان يبقين حيث هن على أن يعفين - كما ذكرنا - من كل  
الأعمال الذليلة المتعبة، باستثناء الغزل وان يسكن السابين والرومان المدينة معاً. وأن تسمى  
المدينة روما من [رومولوس، وتسمى [كويريتيس Quirites] (٧٢) من مواطن [طاطيوس]،  
وان يحكم هذان الزعيمان معاً ويمارسان القيادة بالتساوي، وكان محل المعاهدة يدعى  
[كوميتيوم Comitium] (٧٣) من [كويري Coire] اي اللقاء أو الاجتماع.

وهكذا تضاعف عن عدد سكان المدينة. وأنتخب مائة من السابين (٧٤) (شيوخاً) وزيد ملاك  
الكتائب العسكرية الى ستة آلاف راجل، وستمائهم فارس (٧٥)، ثم قسم الشعب الى ثلاث

---

(٧٢) لكلمة كويريس في لغة السابين معنيان. فهي «رمح»، وهي أيضاً «آله محارب يحمل رمحاً» وليس بالإمكان  
التحقق من ايهما أعطى اسمه للأخر. ومهما يكن فالرب كويريس أو كورينوس هو إما (مارس) أو هو آله  
حرب آخر كان يعبد في روما حتى وفاة رومولوس الذي كرمته ذكره بلعل لقب كويريتوس عليه. ويقول  
[ديون] ان الشخص كان يدعى (رومانوس) والشعب كان يطلق عليه (كويريتيس). إلا ان القسم الأول من  
دعواه تلك ستخالف الصيغة القديمة لإعلان الدفن Ollus Quiris letho datus est.

(٧٣) يقع الكوليسيوم عند قدمه تل بالاتينا مقابل الكابيتول. غير بعيد عن الموضع الذي بنى فيه الملكان هيكل  
(قولكان). حيث كانا يجتمعان عادة مع مجلس الشيوخ لأخذ رايه في المسائل العامة. هذا الاسم فرض  
نفسه بعد عهد رومولوس وبقي زمناً طويلاً.

(٧٤) يناقض بلوتارخ نفسه هنا عندما يذكر في سيرة (نوما) بأن عدد اعضاء مجلس الشيوخ كان مائة  
وخمسين. أو لعل رومولوس بسبب استبداده في آخر ايامه لم يهتم بملء المقاعد الشاغرة في ذلك المجلس!  
(٧٥) أكتشف المؤرخ روالد Ruald في تعليقاته على بلوتارخ، خطئين كبيرين هنا. أولهما قوله ان رومولوس ضم  
٦٠٠ فارس الى الفرقة العسكرية في حين لم يضم مثل هذا العدد الكبير الى الفرقة في اي رقت من  
الاقوات. فقد كان ملاكها مائتين أولاً ثم ارتفع الى ثلاثمائة ثم بلغ أخيراً الاربعمائة وبقي كذلك. وأما  
الخطأ الثاني فقولوه ان رومولوس جعل فرقة الرجالة في حين لم تتعد في زمانه نصف هذا العدد. وقال  
بعضهم ان (ماريوس) كان أول من رفع ملاك الفرقة الى ستة آلاف. لكن (ليفي) يخبرنا، ان ذلك حصل  
قبل عهد (ماريوس) بزمان بعيد، وقد احدثه سكيبيو افريقانوس. وبعد طرد الملوك جعل ملاك الفرقة ما بين  
٢٠٠٠ و٤٠٠٠ ثم ارتفع الى ٥٠٠٠ حتى جعلها (سكيبيو) ٦٠٠٠ ولم يلجأ الى هذا الأفي الحالات  
الخاصة وعند الضرورة القصوى فملاك الفرقة الرسمي هو أربعة آلاف راجل ومائتا فارس. إلا ان [م.  
ريكارد] يتفق مع بلوتارخ بايراده هذا العدد الذي اثبتته النص وباعتباره فرقة رومانية - سابينية =

قبائل: سميت الأولى [رامنينسيس Ramnenses<sup>(٧٦)</sup>] من رومولوس، والثانية [طاطينسيس Tatinses] من طاطيوس، والثالثة [لوجيرنسيس Lucerenses] من لوكوس، اي البستان، حيث يقوم الملجأ الذي شيد ليلوذ به كل هارب أو لاجيء فيلقى الأمان المنشود، ويقبل مواطناً في المدينة. ومما يدل ان القبائل كانت ثلاثة ما يظهر من الصفة «تريبه Tribe» و«تريبون Tribune». وكل قبيلة تتألف من عشرة [كيوريات Curiae] أو أفخاذ، والاسم مأخوذ من اسم المرأة السابينية على ما يقوله البعض. لكن لا أساس لهذا التعليل فكثير من النساء يسمين باسماء امكنة مختلفة. وان كانوا والحق يقال كثيرى الاكرام نسانهم لظالما احيوا ذكراهن بوسائل مثل هذه. كانوا يفسحون لهن طريق المرور كلما التقوا بهن. ولا ينطقون بكلمة نابية في محضرهن، ولا يظهرن عراة امامهن وإذا قتلن شخصاً لا يحاكن امام القضاة العاديين<sup>(٧٧)</sup>. وان يتحلّى اطفالهن بحلية تسمى لوللاً<sup>(٧٨)</sup> (لأنها شبيهة بقفاعة الماء) يحطن بها أعناقهم. ويلبسنهم البرتكتستا Praetexta وهو رداء ذو حواش ارجوانية.

لم يجتمع الزعيمان للمشاورة في الحال. وإنما اجتمع كل منهما بشيوخه المائة على حدة أولاً، ثم اجتمعوا سويةً. وسكن [طاطيوس] حيث يقوم اليوم معبد [مونيتا Moneta] رسكن رومولوس بالقرب من درجات «الساحل الجميل»<sup>(٧٩)</sup> وهو الموقع القريب من منحدر جبل [پالاتين Palatine] المتجه نحو الملعب الأكبر. ويقال ان شجرة توت مقدسة نمت هناك، و ذكر

= مختلطة اي فرقتين في الواقع.

(٧٦) اختلف الباحثون في أصل هذا الاسم. وثم عدة افتراضات [فليقي ٣:١] يقر باستحالة التحقق من اصله. في حين يستقّه [فستوس] من لفظة ليجروس Lucerus وهو ملك اربيا Ardea ويشتقه فارو من لفظة لوكومو Lucumo وهي اسم زعيم إتروري شهير رومولوس في حروبه. وأما (الرائيسسي) فأغلبهم من (ألبا) سكنوا تلي پالاتينا وجيليا. وأما التاتينسي) فهم سابين خصص لهم تلاً كابتولين وكورينال. وأما القبيلة الباقية فتشمل اللاجئين من اتروريا ولاسيوم وقد سكنت الفسحة الواقعة بين القبيلتين المشار اليهما آنفاً.

(٧٧) وإنما امام مندوبين يعينهم مجلس الشيوخ من بين اعطائه.

(٧٨) عندما يرتدي الشبان «الرداء الرجولي Toga Virilis» فانهم يخلعون (البولاً) وهي خلية ذهبية على شكل كرة جوفاء ويقدمونها لآلهة البيت Dü Lares. فاذا توفي الشاب قبل بلوغه السادسة عشرة، فان الطية توضع في الوعاء الذي يحوى رماد الميت. ويقول ساتورنينوس ٦:١ ان هذه الطية لا يقتصر التحلي بها على الاحداث بل أنها تزين أولئك الذين يكرمون بموكب نصر ان تقوم بتقليد واحدة كبيرة منها كبيرة الكاهنات القستالات كعلامة من علامات التكريم. كما ان النسوة يرضنها الى ما يتزين به الطى. وأما بخصوص الجلباب ذي الحاشية الارجوانية فان الفتيات العازبات يرتدينه حتى يتزوجن. كما يرتديه الشبان حتى يبلغوا السابعة عشرة. إلا ان ما كان اشارة تكريم لأولاد نساء السابين في عهد رومولوس اصبح شائعاً بين الجميع حتى شمل اولاد العبيد العتقاء.

(٧٩) ربما كان النص اليوناني [خاخون] محرفاً، ولا شك ان المقصود هنا «Scalae Caci»: درجات كاكى».

(٨٠) أو لأجل تحديد فسحة للعرافة على حدّ زعم (سرفيوس).

عن كيفية نموها ان رومولوس اراد مرة أن يجرب قوته<sup>(٨٠)</sup> فقفذ من جبل أفنتين برمح قناته مصنوعة من خشب تلك الشجرة فطار بعيداً ثم انغرز عميقاً في الأرض ولم يفلح أحد في انتزاعه رغم تعاون الكثرة وبقي في موضعه وكانت التربة خصبة فامتدت الخشبة بالغذاء فنمت وافرعت وازهرت واستوت جذعاً كبير الحجم. وتولى السلف الشجرة بالعناية وأكرموها وعبدوها وعدوها من أقدس الذخائر واحاطوها بجدار. فاذا بدت لأي ناظر قليلة الاخضرار والازدهار ماثلة الى الذبول والاصفرار فزع حالاً الى اي مستطرق يلقاه لتهيئة الماء فتقوم ضجة حتى لكان بيتاً يحترق ويهرع الناس من كل صوب بأوعية الماء ليسقوا الشجرة... وعندما كان (كايوس قيصر Caius Caesar) يرمم الدرجات المحيطة بها، اتلف بعض العمال جذورها عندما كانوا يحفرون بالقرب منها فيبيست.

واتخذ السابين الأشهر الرومانية؛ وقد ذكرنا في سيرة [نوما] كل ما هو مهم في هذا الباب. واتخذ رومولوس تروسهم الطويلة ونبذ دروعه ودروع الرومان كافة واتخذ دروعهم، فقد كان الرومان يثبتون فوق صدورهم درقات مستديرة على الطراز [الاركيفي Argive] وكانت اعيادهم وقربانهم مشتركة، ولم يبلغ عيد من أعياد الشعبين. واستحدثوا أعياداً جديدة منها عيد [ماتروناليا Matronalia]<sup>(٨١)</sup> الذي انشيء تكريماً للنساء وأعتراضاً بمجهودهن في أطفاء نار الحرب، وأحدثوا أيضاً عيد [كارمنتاليا Carmentalia]<sup>(٨٢)</sup>، ويخيل لبعضهم ان [كارمنتا Carmenta] هذه هي ربة تشرف على ولادة البشر، لذلك تكرمها الامهات كثيراً. ويظن بعضهم انها زوج [ايفاندا] الأركادي. وهي كاهنة عرافة ترسل نبواتها شعراً، وقد أسميت [كارمنتا] من (كارمن: اي شعر). واسمها الحقيقي [نيقوستراتا]، ويرى بعضهم أن أقرب الاحتمالات في اسم الكاهنة هو اشتقاقه من لفظ [كارنس - منتى] ومعناه مختل العقل<sup>(\*)</sup>، اشارة الى الحركات الجنونية والتشنجات التي تعترها اثناء نزول الوحي عليها.

(٨١) في اثناء هذا العيد يتوجب على كل الرومانيات المتزوجات القيام بخدمة عبيدهن على المائدة. وان يقبلن الهدايا من أزواجهن مثلما يقدم الأزواج لهن من هدايا في عيد [ساتورناليا]. ولم يكن عيد [ماتروناليا] قاصراً على تكريم النساء السابينيات بل هو مخصص لـ (مارس) ولـ(جونو لوكانيا) الى حد ما. ويقع في الاول من شهر آذار على خلاف ما ذكره بعض المعلقين الآخرين.

(٨٢) وهو عيد كبير يقع في ١١ من كانون الثاني وتقام مراسيمه في اسفل الكابيتول بالقرب من باب كارمنتال. ويرفع الدعاء والصلاة للربة (كارمنتا) من أجل احصاب نساء روما ولساعة ولادة سهلة (اوفيد ١: ٦١٧) وپلوتارخ أيضاً في (أسئلة رومانية) فانه يجعل (كارمنتا) أمّاً لـ(ايفاندر) ان قصة هذه السيدة وقصة لوپركاليا التي تتلوا في المتن هي من نسج الخيال المحض.  
(\*) Caurc «مختل او مسلوب» و Mens «عقل».

أما عيد [باليليا] فقد سبق لنا الكلام عنه. والذي يبدو ان عيد [لوپركاليا -Lapercal- ia] (٨٣) هو عيد التطهر، لأنه مأخوذ من الزمن الذي يقام فيه وهو غير ايام السفاد Nefasti من شهر شباط واسم (شباط February) نفسه يعني التطهر. والعيد نفسه كان يدعي في قديم الزمان [فبرواتا Februata] إلا أن اسمه مرادف للاسم اليوناني (لكيا -Ly- caea) ويبدو انه موغل في القدم جاء به الاركاديون الذين صحبوا [ايقاندر] (٨٤). على ان كل هذا رجم بالغيب وتخمين، اذ قد يأتي أيضاً من «الذئبة» التي ارضعت رومولوس، وأنا لنشاهد الكهّان [اللويبركي Luperci] (٨٥) يبدأون طوافهم من الموضع الذي قيل ان رومولوس ترك فيه. لكن المراسم التي تتم فيه تجعل من أصعب الأمور التوصل الى الحقيقة. فثم ماعزٌ ينحر، ومن ثم يؤتى نبيلين صبيين ويقوم بعضهم بوسم جبهتهما بالسكين الدامية، ثم يقوم آخرون بمسح ما خلفته السكين من دماء بقطع من الصوف مغموسة بالحليب، وعلى الصبيين أن يضحكا بعد مسح جبهتهما وبعد هذا تقطع جلود الماعز سيوراً يمسك بها الصبيان ويهرولان وهما عاريان إلا مما يستر عورتيهما، يضربان بها كل من يصادفهما، ولا تتجنب الزوجات الصغيرات تلك الضربات لأنها تساعدن على الحمل كما يشاع بينهن. أو ثم شيء آخر غريب في هذا العيد، وهو ان [اللويبركي] يضحون بكلب. هذا وان شاعراً من الشعراء كتب تفاسير خرافية للعادات الرومانية على شكل قصائد تقرّض فيقول في هذا الصدد، انه رومولوس وريموس بعد ان حققا النصر على اموليوس، ركضاً فرحين الى الموضع الذي ارضعتهما فيه الذئبة. وأحياناً لهذه الحادثة انشيء هذا العيد، ولذلك يركض الصبيان النبيلان...

«وهما يضربان كل من يصادفهما. حين أقبل التوأمان الشهير ان من مدينة [ألبا] مسرعين والسيف في يد كل منهما».

أما إمرار السكين الدامية على جبهتيهما، فهي اشارة الى الأخطار التي حفل بها ذلك اليوم، وما جرى فيه من سفك دماء. وأما مسحهما بالحليب فهو ذكر اطعامهما وتغذيتهما. ويكتب [كابوس اچيلوس Caus Acilius] (٨٦) ما مفاده أن قطيع ابقار لريموس ورومولوس شُتتت في الفلاة، قبل ان تبنى روما، صلياً لرب [فونوس Faunus] ثم خرجا للبحث عنها

(٨٣) يحتفل بهذا العيد في الحادي عشر من شباط تكريماً للرب (پان) وبسبب عداةٍ يكنه للذئاب فقد سمي [لوپركوس]: من ذئب Lupa.

(٨٤) ليقي ١: ٥ و ١-٢.

(٨٥) اي كهانة الرب (فاونس) الذي هو (پان) عند الرومان مثلما ذكر.

(٨٦) هو مفوض الشعب (Tribune) كتب بالاغريقية في بعض الحوليات. ويخبرنا ليقي ان (كلوديوس) ترجمها الى اللاتينية وأقتبس منه شيشرون.



وهما عاريات لئلا يعرقلهما العرق الناضح منهما. وهو الذي جعل [اللويبريكي] يتراكمون عراة. أما إذا كان القربان للتطهر فحسب فتضحية الكلب أمرٌ واجبٌ لأن اليونانيين كانوا يضحون بالجراء كما يشاهد ذلك في نقوشهم ومنحوتاتهم. وهم كثيراً ما يزاولون هذه المراسيم التي يسمونها [پريسكلاسيزموس Periscylacismus] <sup>(٨٧)</sup> أما إذا كان القربان لشكر الذئبة التي أطعمت رومولوس وحفظت حياته. فثم سبب وجيه للتضحية بـكلب لأنه عدو الذئب. إلا إذا كان سبب قتله عقاباً له على عرقلته اللويبريكي اثناء ركضهم. وقيل أيضاً أن رومولوس هو أول من استحدث فريضة النار المقدسة. وعين عذارى مقدسات للبقاء عليها مشتعلة <sup>(٨٨)</sup>، سمين فستالات. ويقول آخرون أن [نوما بومپيليوس] هو موجد هذه الفريضة. وهم يتفقون على كل حال أن رومولوس كان تقياً شديد التدين، ماهراً في إقامة الفرائض ولهذا كان يحمل عصاً معقوفة [ليتوس Littuus] مما يستخدمه السحرة لرسم اركان السماء عندما يجلسون لمراقبة الطير، ظلت عصا [رومولوس] محفوظة في الهالاتيوم، وضاعت عندما استولى الغاليون على روما، ثم عشر عليها بعد طرد هؤلاء البرابرة في الأطلال والخرائب مدفونة تحت كومة عظيمة من الرماد <sup>(٨٩)</sup>، ولم تمسها النار بضرٍ في حين أتت على ما كان حولها. واستن رومولوس قوانين، تميز أحدها بالصرامة وهو يقضي بالآ تهجر المرأة زوجها، ويحول الزوج حق طلاقها في حالة تسميمها أولادها أو تزيف مفاتيح الزوج، أو إذا زنت <sup>(٩٠)</sup>. وإذا

(٨٧) أو [بيرسكو لاييزموي Perisku Lakismo]، ويتم ذلك بأن يدور كلب أو جروه حول الشخص المراد تطهير وبعد انتهاء الطواف يقتل الحيوان. وهذه المراسيم شائعة جداً عند الأغريق.

(٨٨) ما زال معبد فستا الرئيس قائماً في روما. وهو على شكل دائرة يتألف محيطها من عشرين اسطوانة - رخامية يعلوها افريز ذو نقوش بديعة ويتألف سقف من قرص مدبب أعلى في وسطه مثل قبعة الصينين وإطاره يرتكز على تيجان الاعمدة العشرين بني ليكون محراباً لشعلة النار المقدسة، التي كان الرومان يعتقدون انها ترمز الى قوة روما وعظمتها والتي كانت ترعاها الربة فستا في عرفهم. وتتناوب عذارى فستا السهر على الشعلة الدائمة ليل نهار، كما كان من واجباتهن رفع الصلاة للربة لتكفل رفاهية الشعب والدولة ونصر جيوش روما في الحروب وكان يعهد اليهن أيضاً ببعض محفوظات الدولة ووصايا الأباطرة والوثائق الهامة التي يتوقف على سريتها كيان البلاد. ولذلك كن يعتبرن حاميات روما وحارسات مجدها [م. ت].

ولا بد وان بلوتارخ يقصد بان (رومولوس) الأول هو أول من استحدث النار المقدسة في روما. وأما عن وجود العذارى الفستالات قبله في ضاحية (ألبا) فهذا مؤكد لأن أمه كانت واحدة منهن. أما النار المقدسة الخالدة فلم تكن مقصورة على روما بل هي شائعة في مصر وبلاد الفرس وما بين النهرين واليونان ولدى كل الشعوب تقريباً. أخذها الاغريق عن الشرق وهي النتيجة الطبيعية لعبادة الشمس أو النار كما في الدين الجوسي.

(٨٩) يذكر شيشرون في رسالة النبوءات. انها اكتشفت في معبد كهنة ساليا في اعلى قمة تل بالاتينا.  
(٩٠) مع هذا، فان الامتياز الذي اعتبره بلوتارخ تعسفاً بحق المرأة، كان موسى النبي قد اباحه للرجال بدرجة واسعة. على ان حرية النساء عند الرومان كانت تبلغ حد اعطائهن الحق في تطبيق ازواجهن كما يظهر =

سرحها زوجها لسبب اخر غير هذه الأسباب الثلاثة، يصادر منه ملكه، ويعطي نصفه للمطلقة ويوقف النصف الآخر على الربة [چيريس Ceres] (٩١) وعلى كل من طلق امرأته كفارة، وهي ان يضحي لآلهة الأموات. ولوحظ في رومولوس أنه انفرد عن غيره بعدم وضعه عقوبة ما لجرمة قتل الأب أو الأم الحقيقي (٩٢)، ولكنه ادمج الجريمة مع غيرها من القتل وفرض حكماً عاماً معتقداً أن القتل عامة اعمال شنعاء وأن هذا القتل مستحيل لا يقدم عليه أحد وثبت أنه كان مصيباً في حكمه هذا، فقد مرت ستمائة سنة متواصلة ولم يرتكب مثل هذه الجريمة في روما. وذكر ان [لوشيسوس هوكتيوس Lucius Hoctius] كان أول قاتل لأبيه وقد وقع ذلك بعد حروب [هانيبال]. وفي ما ذكرنا الكفاية.

في السنة الخامسة لحكم [طاطيوس] كان بعض اصدقائه وبني قومه قد صادفوا سفراء موفدين من [لورنتوم] (٩٣) الى روما فحاولوا سلبهم اموالهم ولما قاومهم هؤلاء بطشوا بهم جميعاً، وكان غدراً فظيماً حمل رومولوس على الاستعجال في انزال العقاب بالمجرمين، إلا ان [طاطيوس] حال دون ذلك. وكان هذا مبدءاً الخصام العلني الذي نشأ بينهما. ولم يظهر شيئاً منه في اثناء تصريفهما الشؤون العامة وكانا شديدي الحذر من الاصطدام وظهر بمظهر المودة والتفاهم. أما ذوو القتلى فبعد ان حيل بينهم وبين الانتصاف الشرعي لقتلهم بسبب تدخل طاطيوس. تربصوا به اثناء ما كان يقدم قرباناً برفقة رومولوس في [لافينيوم]، ووثبوا عليه وذبحوه (٩٤)، إلا أنهم لم يتعرضوا [لرومولوس] بل رافقوه الى بيته باحترام وهم يثنون عليه لما ابداه من عدالة، وذقن رومولوس جثمان [طاطيوس] دفنة فخمة جداً في جبل أففتين، قرب

---

= من جوثينال ومارچيال (٤١:١٠) وفي الوقت نفسه يجب ان يلاحظ انه لم يعرف عن طلاق واحد وقع في روما خلال خمسمائة وعشرين عاماً وهو دليل على فضائل الرومان ومثانة أخلاقهم ولذلك يخص بالذكر [كارفيليس كيبوريوس] بوصفه اول من طلق زوجه من الرومان.

(٩١) وهذا هو النص القانوني اللاتيني:

Familiam ad aedem Clreis; ispe sacer esto.

(٩٢) في هذا غرابة كبيرة. كما يلاحظ المؤرخ داسييه أن تعبير «القتل الابوي» كان موجوداً قبل ان يرد نكر لارتكاب مثل هذا الجرم.

(٩٣) ليقي ١: ١٤ و ٣-١. ويقول [ديون] انهم كانوا سفراء قدموا من [لافينيوم] في السنة السادسة لحكم [طاطيوس]، لرفع الشكوى من الاعتداءات التي ارتكبها اصدقاء له في موطنهم. وانهم وقعوا اثناء عودتهم في كمين نصبه لهم السابيين في الطريق فسلبوهم وقتلوا بعضهم. وكلتا المدينتين متجاورتان ومن اعمال [لاسيوم].

(٩٤) ربما كانت هذه ذبيحة للرب الآسيومي المسمى (اريديدكس) وروما تشارك فيه أيضاً لأن المهاجرين الطرواديين استقروا في ذلك الموضع. على ان [لوچينيوس] يقول ان [طاطيوس] لم يذهب الى هناك برفقه رومولوس. بل لم يذهب من أجل تقديم الذبيحة وانما خرج وحده محاولاً اقناع الأهالي بالعفو عن القتلة.

موضع يدعي [ارميلوستريوم Armilustrium] (٩٥) ولم يحاول الاقتصاص لمقتله. وذكر بعض الكتاب ان مدينة لورنتوم خافت العواقب فأسرعت بتسليم قتلة [طاطيوس] إلا ان رومولوس أطلقهم قائلاً: لقد جَبَّ القتلُ القتلَ. وبهذا أحدث اسباباً للتقولات والتخرصات وثرثرة السنة الحساد اذ راحت تذيع انه ارتاح من ازاحة زميله وشريكه في الحكم، على ان مثل هذا الكلام لم يؤثر في السابيين ولم يثرضغينة فيهم واستمروا يعيشون بسلام. وبقي اعجابهم واحترامهم له، إما حبٌ حقيقي يكنه له بعضهم، وإما خوفاً من بطشه، وأما لاعتباره في منزلة الأرباب، وأظهرت الأمم الأخرى اجلالها لرومولوس ايضاً وارسل اللاتين عدة سفراء اليه ودخلوا في حلف اتحادي معه. وأستولى على [فديني Fidenae] (٩٦) وهي مدينة مجاورة لروما بكونكبة من الفرسان فقط سبقوه على ما قيل، مزودين بأوامر تقضي بكسر رتاجات ابوابها. وبعدها هجم بنفسه على غير انتظار. وقال آخرون ان سكان المدينة بدأوا العدوان وراحوا ينهبون الريف ويدمرون ما فيه فكمّن لهم رومولوس، وبعد أن قتل عدداً كبيراً منهم أقتحم مدينتهم إلا انه لم يهدمها أو يقوضها بل جعلها مستعمرة رومانية وارسل اليها في الثالث عشر من نيسان الفين وخمسائة مستعمر روماني.

ويُعيد هذا انتشار وباء الطاعون، وأخذ يهلك الناس دون سبق مرض، فأمحل الزرع وجفّ الصرع وامطرت السماء دماً على المدينة (٩٧)، فأضيف الى البؤس الذي يعانونه، الخوف من غضب الآلهة. وعندما حلت المصائب نفسها [بلارنتوم] حكم الجميع أن النقمة السماوية حلت بالمدينتين لأنهما لم تسلكا سبيل العدل في مقتل طاطيوس والسفراء. فما أن سلّم القتلة وعوقبوا حتى خفت وطأة الوباء بصورة ملحوظة. وطهر رومولوس المدينتين بفرائض الغسول المقدسة، وقد بقيت تمارس على ما يقال في غابة تدعى [فرنيتنا Ferentina]. وقبل ان تزول آثار الطاعون غزا الرومان قوم [الكامرتين Camertine] واجتاحوا البلاد متوهمين ان النوائب أعجزت اعداءهم عن المقاومة. إلا ان رومولوس مالبت أن عاجلهم القتال واستظهر عليهم بفتكه بستة آلاف فيهم والاستيلاء على مدينتهم وسوق ما وجده فيها من الأهالي الى روما.

(٩٥) سمي بهذا بسبب الاحتفال المعروف بهذا الاسم. ويقام في ١٩ من تشرين الأول كل سنة وفيه تستعرض الوحدات العسكرية صفوفاً ويجرى تطهيرها بتقدمة القرابين.

(٩٦) في هذا يتفق بلوتارخ مع ليقبي (١٤:١) إلا ان [ديون ١٣:٢] يقول: عندما ارسل أهالي (كريستوميريوم) ارضاقاً لأغاثة الرومان الذين أضرت بهم المجاعة أو... الوباء، كمن أهالي (فديني) للقافلة وسلبوها.

(٩٧) هذه الرّخات المنذرة الحافلة بالوعيد، يعزوها م. ريكارد الى الحشرات والابخرة القرمزية ويقول انها لم تكن نادرة في الأيام المتأخرة واننا لنقرأ عن أمثال هذه الخوارق فيما غير من الازمان. ولدينا ما يشبهها في ايامنا الحالية كسقوط حجارة برشقات.

ونقل الى [كاميريوم Camerium<sup>(٩٨)</sup>] من الرومان ضعف العدد الباقي فيها، وكان ذلك في اليوم الأول من شهر آب.

إن عدد من عفا عنهم من الناس خلال السنوات الست عشر الأولى من بنائه روما كان كبيراً جداً. ومن بين الغنائم التي استولى عليها من [كاميريوم] عجلة نحاسية تجرها أربع خيول وضعها في معبد [قولكان] ونصب فوقها تمثالاً له مفتوحاً بصورة إله النصر.

هكذا صارت قوة روما تتنامى يوماً بعد يوم، وضعف أمر جيرانها وخمل شأنهم وقنعوا أن يُتركوا بما لديهم. إلا أن الأقوام الأقوى منهم، بدافع من الحسد أو إباءً عن الخضوع الى رومولوس، والسكوت على تعاطم سلطانه، قرروا الوقوف في وجه طموحه، وأول تلك الأقوام الـ[فينيتس Veinets]<sup>(٩٩)</sup> وهم شعب من توسكانيا كثير المال والرزق يسكن مدينة عامرة. فأختلقوا سبباً للحرب خلاصته ان [فيديني] تعود لهم وهو ادعاء فضلاً عن كونه غير معقول، فهو سخيف، فهم الذين تركوا أهلها لشأنهم في أشدّ المواقف حرجاً ولم يمدّوا اليهم يدالعون فهلك كثير منهم، وهم الآن يدعون بملكية اراضيهم ومساكنهم عندما آلت الى أيدي الآخرين.

كان جواب رومولوس على طلبهم هذا، حازماً هازئاً. فقسّموا قواتهم الى قسمين وهاجموا بالأوّل منهما حامية [فيديني] وزحف الثاني لقتال رومولوس، ونال الأوّل نصراً وقتل الفين من الرومان. أما القوات الثانية فقد هزمها رومولوس وقتل منها ثمانية آلاف. ثم جرت معركة أخرى قرب [فيديني] وهنا يتفق جميع الكتاب ان الفضل الرئيس في نصر ذلك اليوم يعود الى مجهود رومولوس فقد أبدى مهارةً فائقةً وشجاعةً لاتبارى. وبدت القوة والسرعة اللتين اظهرهما وكأنهما ليستا من طبع البشر. أما قول بعضهم ان أكثر من نصف الأربعة عشر ألفاً الذين قتلوا في ذلك اليوم كان هلاكهم بيد رومولوس فهو حديث خرافة وهم لا يقبله العقل ابداً، فحتى [الماسينيين] بالغوا كثيراً في ادعائهم ان [ارسطومينيس Aristo-menes] قدم ثلاثة قرابين متوالية لقتله مائة فقط من أعدائه اللقديميين<sup>(١٠٠)</sup>.

بعد أن هزم رومولوس جيش عدوه، وترك فلوله تنجو يحلدها وجه قواته نحو المدينة وكان

(٩٨) تلك المدينة في (لاسيوم) كان رومولوس قد أستولى عليها من قبل. وقد انتهز أهاليها الاصليون هذه الفرصة للعصيان فانقضوا وذبوا الحامية الرومانية.

(٩٩) فيي Veii هي عاصمة بلاد التوسكان وتقع على صخر جبلي وتبعد عن روما زهاء مائة فرسخ. ويضاهيها (ديون) باثينا من جهة غناها وحجمها.

(١٠٠) يؤيد [ياوسنياس ١٩:٤٣] هذه الرواية وينوه بالزمان والمكان فضلاً عن ذكره الهيكتومب المقدم لـ(جويتر اتيوماتس). هذه الحروب بين المسينيين والسپارطيين كانت قد جرت على عهد (توللوس هوستيلوس).

العدو قدمني بخسائر جسيمة فلم يفكر في ابداء مقاومةٍ وأنا أعلن استسلامه و أبرم معاهدة حلفٍ وصداقةٍ أمدها مائة عام، وتنازل ايضاً عن مساحة كبيرة من الأرض تدعى [سپتيمياجيوم Septempagium] <sup>(١٠١)</sup> اي المنطقة ذات المدن السبع، كذلك نزلوا له عن مملحتهم التي تقع على ضفاف النهر، ودفعوا اليه بخمسين رهينة من نبلاهم، ضماناً لتطبيقهم شروط الصلح، ودخل المدينة في موكب نصر - في الخامس عشر من تشرين الأول <sup>(١٠٢)</sup>، ومن بين الأسرى الذين ساروا فيه قائد جيش الفينيتس وهو رجل طاعن السن، لم يعمل على ما يبدو بما تمله حكمة السن. وتصرف ينزق ومن هذا جاءت عادة ظلت تطبق في كل مناسبة تقريب لقرابين النصر، وهي ان يقاد رجل كبير السن خلال السوق حتى الكاپيتول، متشحاً برداء الأرجوان ومتقلداً لعبة الاطفال (بوللاً) والمنادي ينادي قائلاً «السارديون سيتم بيعهم الآن!» <sup>(١٠٣)</sup> اذ يقال ان توسكانيا هي إحدى مستعمرات السارديين، وان [فينيتيس] هي مدينة توسكانية.

كانت هذه المعركة آخر ما خاضه رومولوس من معارك. وبعدها أقدم على ما يقدم عليه معظم الرجال لا بل كل الرجال الذين ارتفعوا الى ذروة المجد والسؤدد بفضل ظروف معجزة فائقة العادة. (باستثناء القليل جداً) نقول أقدم على ما أقدم معتمداً على رصيده من جلال الأعمال والمآثر.

... ازداد تيهياً بنفسه وغروراً، واستبدل بسلوكه الشعبي المتواضع، الكبرياء الملكية الكريهة من الشعب، وتزيا بزياً بغيض جداً الى قلوب العامة، فلبس القرمز وفوقه رداء مطرز الحاشية بالارجوان <sup>(١٠٤)</sup>. وكان يقابل الناس وهو جالس على عرش يحيط به دوماً زمرة من الشبان عرفوا باسم [چيليرس] <sup>(١٠٥)</sup> اي العدائين لسرعتهم في قضاء المهام. وكان يسير امامه آخرون سيوراً من الجلد لتقييده من يأمر بتقييده حالاً. وللاتين يستعملون كلمة (الليكارى Alligre)

(١٠١) تمتد من مدينة فيي حتى ضفاف نهر اليتبر.

(١٠٢) للمرة الثالثة كما يزعم (ديون) وبشكل افخم من السابق بكثير.

(١٠٣) الفينيتس والاتوريون الآخرون هم مستوطنون قدموا من ليديا. وكانت مدينة (سارديس) مسقط رأسهم. ويؤرخ [فستوس] نقلاً عن [سينيجيوس كاپيتو] هذه العادة من وقت فتح جزيرة سردينيا من قبل زطيبيريوس سمپيتوس كراخوس] عند جلبه هذا العدد من أسرى تلك الجزيرة. حتى لم يبق من يشاهد في سوق النخلة من بضاعة غير العبيد السارديين.

(١٠٤) يطلق عليه Sagum أو «الزي العسكري» وفوقه يبسط ال[الپالودامتوم] أو معطف الجنرال ويشد فوق الكتف على ان ما جعله مكروهاً بالدرجة الأولى هو قسوته المتناهية في عقاب المجرمين. ومن ذلك اتهم عدد من الشبان الاشراف بقيامهم باعتداءات غير مسموح بها على اراضٍ مجاورة فحكم عليهم بالموت بالقائم من أعلى الصخرة التاربية (ديون: ١٤:١١).

(١٠٥) ليقي ١:١٥: ٨. أمر رومولوس الافخاذ (كيوراي) الثلاثين بأن يختاروا له حرساً يتألف من ثلاثمائة رجل اي عشرة من كل فخذ وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم پلوتارخ «چيليرسي».

الحالية، ومنها جاء لقب [ليكتورس Lictors] لهؤلاء الحرس. وكلمة [باكويولا Bacula] اي صولجان للعصي التي يحملونها (فاجي Fasces)، لأن القضبان كانت شائعة آنذاك. ولعلمهم كانوا يستعملون اول الأمر لفظة [ليطورس] اليونانية، ثم زيدت حرف C فصارت (لكيتورس) أو (ليطورغي لائيتوس Liturgi Leitos) باليونانية «خدام للشعب» لأن كلمة «لائيتوس» اليونانية تعنى «العامّة» و«لاوس Laös» تستخدم للجمهور عموماً.

إلا أنه عندما توفي جده [نوميستور] في [ألبا] وآل العرش اليه، وضع الحكم في ايدي العامة لأجل ان يخطب ودّهم، وعين حاكماً على أهالي [ألبا] (١٠٦) يستبدل سنوياً. وهذا ما لقّن رجال روما العظام درساً في ان يفضلوا دولة حرةً على الملكية، حيث يكون الكلّ رعية وحكاماً في الوقت نفسه. اذ حال بين الپاتريشيان وبين الاسهام في سياسة الدولة، ولم يبق لديهم غير الاسم واللقب. تراهم يجتمعون بحكم العادة وحفظاً للمظاهر أكثر من ابداء المشورة، ولا يفضلون عن العامة إلا بأنهم اسبق الى معرفة ما يجري، ولم تكن هذه المسائل ذات بالٍ أو قيمة، ولكن عندما عمد رومولوس الى توزيع الأراضي التي غنمها على الجنود من تلقاء نفسه، وعندما اعاد الى مدينة فينتيس رهانها، أعتصب مجلس الشيوخ ولم يوافق ولم يقره على ذلك - وكان قبلاً يجتمع ليستمع صامتاً الى أوامر الملك ثم يتفرق. الظاهر انهم عدوها اهانةً عظيمة لهم. وغدا المجلس موضع شكٍ وريبة عندما أختفى رومولوس اختفاءه الغريب المفاجيء بعد زمن قصير من هذا. غاب في السابع من تموز [يولي الذي كان يسمى آنذاك كونتيلس Quintilis] غير تارك شيئاً مادياً يروى عن موته، إلا يوم اختفائه. وفيه ما تزال تقام عدة احتفالات تمثل ما وقع (١٠٧) وعلينا ألا نعتبر هذا الغموض مما يستغرب له اذا تذكرنا كيفية موت [سكيبيو افريقانوس] (١٠٨) فقد قضى نحبه في داره بعد العشاء ولم يكن في موته ما ينفي سبباً أو يشته، فبعضهم يقول انه موته كان طبيعياً لعلّة مزمنة كان يشكو منها. وبعضهم قال أنه تجرع السم، وذكر آخرون أن أعداءه فاجأوه ليلاً وخنقوه. مع هذا كله فان جثته عرضت للملأ وراح الجميع يستنتجون ويخمنون، في حين لم يترك رومولوس أثراً عند غيبته، ولو جزءً صغيراً من جسمه أو خرقة من ثيابه. لذلك مال الظنّ الى أن الشيوخ

(١٠٦) أو السابقين. هناك بعض المؤرخين ممن يفضل اطلاق اسم ألبان عليهم.

(١٠٧) امثال ما يدعى: Monae Carpolimae أو Popeal ipagima أو Festum Amcillarum.

(١٠٨) هو سكيبيو افريقانوس ابن پاولس ايجيلبيوس - تبناه سكيبيو الاكبر وبما انه كان دائم المعارضة لمشاريع الشقيقين (كراخوس) فقد ظن أن زوجه سمپورينا وهي اختها - قد دست له سمّاً وقتلته. وبحسب زعم [فاليريوس ماكسيموس] لم يفتح تحقيق قضائي لمعرفة اسباب موته. ويحدثنا (فكتور: ٥٨) ان الجثة حملت وقد قنع الوجه بقماش من الكتان لئلا يظهر الوجه وقد اسود.

فتكوا به في معبد [فولكان] وقطعوا جثته اجزاء صغيرة أخفى كل واحد منهم جزءاً في طيات ثيابه وتخلصوا منها. وفي رأي آخرين أن غيبته هذه لم تكن لا في معبد فولكان ولا بفعل مجلس الشيوخ، وان حقيقة ما حدث هو انه كان يخطب في الناس خارج المدينة قرب موضع يدعى [مستنقع الماعز]<sup>(١٠٩)</sup> فاكفهر الجو فجأة وحصلت ظواهر عجيبة في السماء وأظلم وجه الشمس<sup>(١١٠)</sup> وانقلب النهار ليلاً مضطرباً حفل بالرعود والصواعق المهولة والرياح الهوج تهب من كل صوب. فتفرق الناس وهربوا لايلوون. إلا أن الشيوخ بقوا في موضعهم كتلة واحدة. ولما سكنت العاصفة وانكشف الظلام واجتمع الناس ثانية افتقدوا ملكهم ولم يجدوه وسألوا عنه فقال الشيوخ لهم لا تبحثوا عنه ولا تشغلوا انفسكم بأمره. وامرهم أن يكرموه ويعبدوه لأنه ارتفع الى مصاف الالهة. وانه مزعم ان يكون لهم رباً كريماً رحيماً بعد ان كان لهم ملكاً صالحاً باراً فأمن الناس بما سمعوا ورجعوا فرحين في آمالهم بنوال خير الأمور منه. إلا انه وجد بينهم من أخذ يكلل القضية بسؤ نية وأخذ يتهم الباتريشيان ويغتابهم، ويقول انهم خدعوا الناس واغروهم بحكايات سخيفة، لتغطية الحقيقة وهم الذين قتلوا الملك في الواقع.

قالوا: ولما أخذت الأمور تنحدر من سيء الى أسوء وملات الاشاعات الجو، قام [يوليوس پروكولوس Julius Proculus]<sup>(١١١)</sup> أحد الشيوخ الباتريشين عرف بالخلق الحميد وبصداقته الحميمة لرومولوس<sup>(١١٢)</sup>، ويكونه ممن جاء معه من البان كما كان ينحدر من اسرة نبيلة، ووقف متكلماً في الفوروم. أقسم باغلظ الايمان وامام الناس جميعاً انه رأى رومولوس قادماً نحوه وهو مسافر في طريق، وكان يبدو اطول قامته وأبهى منظراً ويرتدي دروعاً براقّة تشع ناراً. فادركته الرهبة من الشبح فابتدره قائلاً: أيها الملك ما الذي دعاك الى تركنا؟ ولماذا جعلتنا نتخبط في ظنون سيئة زائفة. والمدينة كلها في حزن وترح لا نهاية له؟ «فأجاب يقول: «كانت مشيئة الارباب، اي پرکولوس - ان نبقي نحن الذين انحدرنا من صلبهم. بين البشر هذه المدة من الزمن. وبعد ان بنينا أعظم مدن العالم بمجدها وجبروتها أن لنا ان نعود الى السماء،

(١٠٩) انظر ليقي المرجع السالف ١٦ و ٤٠١.

(١١٠) نوه [شيشرون] بهذه الظاهرة العجيبة ايضاً في «الجمهورية: الكتاب السادس» ويبدو من تدقيق الازياج الفلكية، انه كان ثم كسوف كلي طويل، في عام وفاة رومولوس ويقع في ٢٦ من آذار فان قارنا ذلك بالتقويم الروماني المستخدم وقتذاك فانه يوافق شهر تموز. او لعل الرومان هم أكثر اطمئناناً من زمن موته من وقت ميلاده.

(١١١) ليقي: المرجع السالف ١٦:١، ٥-٨. وهو سليل أبولوس أو أسكانيوس.

(١١٢) من هنا جاء الاحتمال الغالب بان الشيوخ اختاروه ليحمل للناس ابناء الرؤيا المختلقة وهو ما كان مسموحاً به باعتباره فناً قريباً مزيداً في اختلاق المعجزات تعظيماً للأقدمين؛

فتكوا به في معبد [قولكان] وقطعوا جثته اجزاء صغيرة أخفى كل واحد منهم جزءاً في طيات ثيابه وتخلصوا منها. وفي رأي آخرين أن غيبته هذه لم تكن لا في معبد فولكان ولا بفعل مجلس الشيوخ، وان حقيقة ما حدث هو انه كان يخطب في الناس خارج المدينة قرب موضع يدعى [مستنقع الماعز]<sup>(١٠٩)</sup> فاكفهر الجو فجأة وحصلت ظواهر عجيبة في السماء وأظلم وجه الشمس<sup>(١١٠)</sup> وانقلب النهار ليلاً مضطرباً حفل بالرعود والصواعق المهولة والرياح الهوج تهب من كل صوب. فتفرق الناس وهربوا لايلون. إلا أن الشيوخ بقوا في موضعهم كتلة واحدة. ولما سكنت العاصفة وانكشف الظلام واجتمع الناس ثانية افتقدوا ملكهم ولم يجدوه وسألوا عنه فقال الشيوخ لهم لا تبحثوا عنه ولا تشغلوا انفسكم بأمره. وامرهم أن يكرموه ويعبدوه لأنه ارتفع الى مصاف الالهة. وانه مزعم ان يكون لهم رباً كريماً رحيماً بعد ان كان لهم ملكاً صالحاً باراً فأمن الناس بما سمعوا ورجعوا فرحين في آمالهم بنوال خير الأمور منه. إلا انه وجد بينهم من أخذ بكلل القضية بسؤ نية وأخذ يتهم الباتريشيان ويغتابهم، ويقول انهم خدعوا الناس واغروهم بحكايات سخيفة، لتغطية الحقيقة وهم الذين قتلوا الملك في الواقع.

قالوا: ولما أخذت الأمور تنحدر من سيء الى أسوء وملات الاشاعات الجو، قام [يوليوس بروكولوس Juluis Proculus]<sup>(١١١)</sup> أحد الشيوخ الباتريشين عرف بالخلق الحميد وبصداقته الحميمة لرومولوس<sup>(١١٢)</sup>، وبكونه ممن جاء معه من البا كما كان ينحدر من اسرة نبيلة، ووقف متكلماً في الفوروم. أقسم باغلظ الايمان وامام الناس جميعاً انه رأى رومولوس قادماً نحوه وهو مسافر في طريق، وكان يبدو اطول قامته وأبهى منظراً ويرتدي دروعاً براقّة تشع ناراً. فادركته الرهبة من الشبح فابتدره قائلاً: أيها الملك ما الذي دعاك الى تركنا؟ ولماذا جعلتنا نتخبط في ظنون سيئة زائفة. والمدينة كلها في حزن وترح لا نهاية له؟ «فأجاب يقول: «كانت مشيئة الارباب، اي بركولوس - ان نبقي نحن الذين انحدرنا من صلبهم. بين البشر هذه المدة من الزمن. وبعد ان بنينا أعظم مدن العالم بمجدها وجبروتها آن لنا ان نعود الى السماء،

(١٠٩) انظر ليفي المرجع السالف ١٦ و ٤٠١.

(١١٠) نوه [شيشرون] بهذه الظاهرة العجيبة ايضاً في «الجمهورية: الكتاب السادس» ويبدو من تدقيق الازياج الفلكية، انه كان ثم كسوف كلي طويل، في عام وفاة رومولوس ويقع في ٢٦ من آذار فإن قارنا ذلك بالتقويم الروماني المستخدم وقتذاك فانه يوافق شهر تموز. او لعل الرومان هم أكثر اطمئناناً من زمن موته من وقت ميلاده.

(١١١) ليفي: المرجع السالف ١٦:١، ٥-٨. وهو سليل أيولوس أو أسكانيوس.

(١١٢) من هنا جاء الاحتمال الغالب بان الشيوخ اختاروه ليحمل للناس ابناء الرؤيا المختلقة وهو ما كان مسموحاً به باعتباره فناً قريباً مزيداً في اختلاق المعجزات تعظيماً للأقدمين؛



فوداعاً وقل عني للرومان، انهم لن يبلغوا أعلى مراحل السلطان البشري بغير الوحدة  
والتمسك بحميد الخصال. وسنكون نحن لهم الآله الشفيح [كويرنيوس Quirinaus].

ومال الرومان الى تصديق هذا القول لما عرف عن المتحدث من امانة واخلاص، ولمسحة من  
الحقيقة والحماسة كانت تشوبه لهجته كأنها نفحة آلهية نزلت عليه أو كان آلهاً تقمصه، ولم  
يعارض قصته أحدٌ ونبذوا كل دعوى واعتراض، ورفعوا أكفّ الدعاء لكويرنيوس وأقراؤه تحية  
الرب. ما اشبه هذه الحكاية ببعض الخرافات اليونانية التي رويت عن كل من [ارستياس  
Arestas] البروكونيزي Proconnesian<sup>(١١٣)</sup> وكليوميديس Cleomedes الاستپالي -Asty-  
[palaeam]<sup>(١١٤)</sup> إذ رووا أن [ارستياس] توفي في دكان دباغة، ولما جاءه اصداؤه لم يجدوا  
جثته. وبعد فترة من الزمن قدم بعض معارفه من الخارج وزعموا أنهم شاهدوه سائراً في  
الطريق المؤدي الى [كروتون Croton] وروي عن [كليوميديس] الذي كان جباراً هائل الخلقه ذا  
قوة فائقة، يخالط عقله جنون، وطباعه وحشية، ارتكب كثيراً من أعمال العنف كان آخرها أنه  
وجه بقبضة يده لكمة الى عمود في مدرسة كان يدعم سقفها، فكسره من منتصفه فخر السقف  
على من بداخل المدرسة من اطفال فقتلوا جميعاً<sup>(١١٥)</sup>، فطورد، فهرب واختبأ في صندوق كبير  
وأغلق عليه الغطاء وامسكه من الداخل فحاول عدد كبير من الرجال فتحه فلم يوفقوا فلجأوا  
الى كسره قطعاً قطعاً ولكنهم لم يجدوا كليوميديس داخله، ودفعهم العجب والحيرة الى  
استخارة عرافة دلفي منزل الوحي فأجابتهم بالجواب التالي: «كان كليوميديس الاستپالي آخر  
الجبابرة». وقيل أيضاً أن جثمان [ألکميني] تلاشى اثناء ما كانوا يحملونه الى القبر ولم  
يجدوا في التابوت غير قطعة من حجر. ويقصّ كتاب الخرافات كثيراً من هذه الحكايات غير  
المعقولة، متحدين مبدأ موت البشر الطبيعي. فمع ان تجريد الفضيلة البشرية من اي صفات  
ربانية تجريداً تاماً هو كفر وضعة، فكذلك يكون من السخف والهذيان مزج السماء بالأرض،  
ولنؤمن [پندار] القائل:

اجسام البشر كلها تخضع لحكم الموت. والروح تبقى خالدة مدى الدهر.

فهي وحدها من صلب الأرباب منهم جاءت واليهم تعود، وحدها لامع الجسم، وذلك بعد  
انفصالها عنه وفك ارتباطها به. عندما تكون طاهرة نظيفة تماماً خالية من اوضار اللحم. وفي

(١١٣) للاستزادة راجع [هيروودتس ٤: ١٣-١٥].

(١١٤) انظر [پاوسنياس ٩: ٦] وما بعدها.

(١١٥) يقول [پاوسنياس] ٤: ٩٠ وقعت هذه الفاجعة لأنه لم يعط الجائزة بعد فوزه في نزال مصارعة على  
(ايكوس) الايباري. وصار يعبد كآله للمائرة البطولية التي حققها. واستپاليا هي جزيرة من جزر  
الكيكلادس بالقرب من (كريت).

عرف [هيراقلطس] ان الروح الطاهرة، هي السامية الى ما لا نهاية تندفع من الجسم، كما يخرج البرق من السحابة. إلا ان الروح التي تبقى اسيرة الشهوات والغارقة في الأحاسيس فهي تشبه البخور الفاسد الثقيل يصعب ايقاده وتصعيده ابخرة».

فيتبقى علينا والحالة هذه ألا نسارع الى ارسال اجسام الناس الصالحين الى السماء خلافاً لمباذيء الطبيعة واحكامها! بل يجب أن نؤمن بأن فضائلهم وارواحهم تنتقل من الحالة البشرية الى حالة الجبابة بحسب طبائعهم الالهية ويمقتضى سنة الأرباب تم ينتقلون من حالة الجبروت هذه الى أنصاف ارباب وبعد ان يمروا في مرحلة القداسة والتطهر الأخير، كما في السنن المعروفة. ويحررون انفسهم من كل ما يربطهم بالبشر والشعور البشري، يرتفعون الى مصاف الآلهة لا بحسب نظام بشري مقنن وانما بحسب حكم العقل السليم<sup>(١١٦)</sup>. وهناك يتمتعون بالكمال الأعظم وما فيه من قداسة وبركة.

يقول بعضهم ان لقب [كوريثيوس] الذي عرف به رومولوس، مرادف لـ(مارس)، ويقول غيرهم بل أطلق عليه لأن المواطنين الرومان عرفوا بهذا الاسم Quiritus، وزعمت طائفة أخرى أن الأقدمين سموا الرمح أو قناة الرمح (كوريثيس Quiris). فيكون اسم تمثال يونو Juno. المستقر على رمح، [كوريثيس] والرمح المحفوظ في الريجيا، بمثابة [مارس]. ومن يبرز في القتال من المحاربين يهدى اليه الرمح في العدة. ولأن رومولوس آله حرب، أو آله الرماح فقد سمي [كوريثيوس] ولابد أن معبداً ما، بني تكريماً له على جبل [كويريناليس Quirinalis] وهو مأخوذ منه:

أما اليوم الذي غاب فيه رومولوس فقد أطلق عليه «يوم فرار الناس»، أو «سابوعاء الماعز» لأن الناس يخرجون فيه الى ظاهر المدينة ويقدمون القرابين في «مستنقع الماعز» وينادي أحدهم الآخر وهم خارجون من المدينة، باسماء رومانية كقولهم [مركوس، لوستيوس! كايوس!] مقلدين ما جرى اثناء هروب الناس في ذلك اليوم، وكيف كانوا ينادي أحدهم الآخر في ذعرهم وعجلتهم. ولكن بعضهم بنفي ان يكون هذا تقليداً لما جرى، ويزعم انه تمثيل الهجوم مباغت سريع يُعزى الى الحادثة التالية: بعد ان طرد [كاميلوس Camillus] الغالين من روما، والمدينة تقاسي الامرين مما حل بها وتحامل على نفسها لتستعيد قواها انتهزت

---

(١١٦) كان هسيود أول من فرق بين الطبائع الأربع: الإنسان، الجبار، الجنّي، الآله. ويظهر انه رأى امكان التحول الدائم والتقدم الى حالة الخلود. وعندما يقول لنا عبيدة الاوثان ان الكائن الحي قبل وصوله الى الطبيعة الأخيرة (طبيعة الآله) يمكن ان يقذف به ثانية الى الظلام البدائي الأول، لا يسعنا الا التصور بأن الاوائل سمعوا بدون شك شيئاً عن الملائكة المغضوب عليهم المطرودين من الجنة!

جموع اللاتين هذه الفرصة وزحفت عليها بقيادة [ليفيوس پوستيميوس Livius Postimius] وعسكرت قواتهم في موضع غير بعيد عنها وأرسل القائد منادياً للمدينة يعلم السكان ان اللاتين يجذبون تجديد حلفهم القديم واتحادهم (بعد ان ادركه الانحلال وكادت تنبت عراه) وان هذا لا يتم الا بعقد روابط مصاهرة جديدة بين الشعبين. فان ارسل الرومان عدداً مناسباً من عذاراهم واراملهم فيسكون ثم سلم وصدافة بين الشعبين، وهو ما ناله السابين من قبل بشروط مشابهة. واصغى الرومان الى هذا وكانوا من جهة يخشون الاشتباك في حرب ومن جهة أخرى فإن النزول من نسائهم هكذا، يعني الرضا بحالة تكاد لا تختلف عن الاسترقاق. وفيما هم يقبلون الأمر من شتى وجوهه قامت خادمة بيت تدعى فيلوتيس Philotis (بعضها يسميها توتولا Totola) وأشارت عليهم ان يتربثوا في الاقدام على أحد الأمرين، وان يلجأوا الى الحيلة لاجتنابهما وكانت خطتها ان يبعثوا بها مع عددٍ من الخادמות الجميلات بعد ان يرتدين ثياب العذارى الحركات. وأن تقوم هي عندما يجن الليل، يقاد نار كاشارة الرومان فيخرجون على اثرها ويباغتون العدو النائم. وانظلت الحيلة على اللاتين. وأوقدت [فيلوتيس] مشعلاً في شجرة تين برية وسترتها من جهة العدو بسترارٍ واغطية وكشفتها للرومان فخرجوا حالاً وكانوا في عجلتهم ينادي أحدهم الآخر، وهكذا باغتوا العدو على حين غرة وانتصروا عليه. ولهذا اقاموا عيد النصر وسموه «تاسوعاء الماعز» لأن شجرة التين تُسمى عند الرومان [كاپرينكوس: أو تين الماعز] وهم يكرمون النساء به، باحتفالات تقام خارج المدينة وفي خمائل مصنوعة من اغصان التين. وتجتمع الخادמות معاً ويتراكن ويتلاعبن جذلات ويمثلن معركة زائفة فيما بينهن ويتقاذفن الحجارة دليلاً على أنهن عاون رجال الرومان في حربهم تلك. إن هذه الرواية لا يؤيدها الا قلة من الكتاب، لأن التنادي بالاسماء نهراً والخروج الى مستنقع الماعز لتقديم القرابين يبدو انه يستقيم مع الرواية الأولى أكثر من الثانية إلا اذا افترضنا وقوع الحدثين في يوم واحدٍ من عامين مختلفين.

في العام الخامس والاربعين من عمر رومولوس وفي العام الثامن والثلاثين لحكمه غادر<sup>(١١٧)</sup> هذه الدنيا على ما قيل لنا.

---

(١١٧) [ديون] وبلوتارخ نفسه يذكر في اول سيرة [نوما] ان رومولوس ودع الحياة في العام السابع والثلاثين لبناء روما. ولعلهما لا يجانبان الحقيقة ولا يتناقضان. لأن أولهما يقول ان عمر رومولوس كان عند موته (٥٥) سنة وثانيهما يذكر (٥٤).

## أوجه المقارنة بين رومولوس و ثيسسيوس

هذا ما وصل الى علمي من اخبار عن كلّ من رومولوس و ثيسسيوس، مما يستحق التدوين. والظاهر مبدئياً أن ثيسسيوس كان يبحث عن المغامرات وجلائل الأعمال بحثاً بمحض اختياره في حين كان بوسعه ان يحكم آمناً مطمئناً في [طروزين] بلاداً واسعة. أما رومولوس فلأجل التخلص من عبودية كان يرزح تحتها، ودفعاً لما كان يتهدده، أصبح شجاعاً من فرط الخوف (على قول افلاطون)، ولخشيته من النواب الكبار اقدم على أجلّ الأعمال، تدفعه الحاجة ليس إلا، هذا وان اعظم مآثرة له هي قتله ملك البيا، أما ثيسسيوس فبوسعه ان يسمّى [سكيريون، وسينيس، وبروكرونوس، وكورينتيس] وكلها وقائع على الهامش ومقدمات لأعمال اضخم وأجلّ، فبقتله هؤلاء خلص بلاد اليونان من شر الطغاة قبل ان يدري هؤلاء المساكين من هو مخلصهم وفضلاً عن هذا فقد كان اسهل عليه السفر الى اثينا بحراً. فاشرار البرّ ولصوصه لم يأتوا عملاً ضده، في حين لم يكن رومولوس آمناً مادام اموليوس حياً. زد على هذا أن ثيسسيوس كان يتعرض للأوغاد لا لأذى الحقوه به، بل في سبيل الآخرين. اما ريموس ورومولوس فلم يعترضوا اعمال الطاغية ماداما في نجوة منه. واذا كانت الاصابة بجرح في معركة السابين، وقتل الملك اكرون والاستظهار على كثير من الأعداء. مآثر جلييلة فلنا ان نضاهي بها معركة ثيسسيوس ضد السنطورس، وضروب البطولة ضد الامازونات، لكن المرء يعجز حقاً عن وصف عمل ثيسسيوس، بانضمامه طوعاً الى الشبان والعداري المرسلين الى كريت إما ليقع فريسة في براثن الغول، واما ان يضحي به على قبر [اندرغيوس] وإما كأهون الشرين أن يعيش عيشة الاراذل المحتقرين في عبودية أشدّ الرجال قسوة وغلظة، أيوصف بالشجاعة؟ ام بسمو النفس؟ أم بحبّ انصاف الناس، أم التعلق بالشرف أم بالاقدام أو البأس؟ ولذلك أرى ان الفلاسفة قد اجادوا في تعريف الحبّ بأنه علاج الآلهة تزود به الصغار لتحميمهم وترعاهم<sup>(١)</sup>. فحبّ [اربادنه] يبدو أساساً من عمل آله شاءت ارادته

(١) انظر ليقى ٢ : ١٢.

المحافظة على حياة ثيسسيوس. وليس لنا والحق يقال ان نلومها على حبّه بل ان نقر بكونها جديرة<sup>(٢)</sup>، لأن الرجال والنساء لن يكونوا سواسية في شكل عاطفتهم تجاهه، وإذا كانت اريادنه الوحيدة في هذا، فيقينا أنها تستحق حبّ آله، هذه التي كانت قد احبت الفضيلة والصلاح واشجع الرجال طرا.

ومع ان كلاً من تيسسيوس ورومولوس كانا رجلي دولة بطبعهما إلاّ انهما لم يحافظا حتى الأخير على اخلاق الملك فقد انحرف كلاهما عنها، وتغيّرا. فأولهما مال الى الديمقراطية. وثانيها انحدر الى مهالك الطغيان وانتهى بهما السبيل الى غلظة واحدة وان اتبعنا طريقين مختلفين. ذلك ان الحاكم يجب ان يحافظ قبل كل شيء على كيان البلاد وهذا يتم بالإمتناع عن الاتيان بما لا يليق بقدر ما يتم بالتمسك بما هو لائق. إلاّ ان ذلك الذي يحدّ من سلطانه أو يوسّعه عمداً فهو لا يصلح كملك ولا كحاكم بل هو أماً غوغائي وأماً طاغية وكلاهما انما يشيعان الكره والاحتقار في قلوب الرعية ومهما يكن فان خطأ الأول فهما يبدو نابعاً من الحنان والمشاعر الانسانية النبيلة. أمّا الثاني فمصدره الانانية والفظاظة.

وان لم يكن من الجائز أن تعزى مصائب الناس الى سوء الطالع، بل بالأحرى الى اختلاف الطبائع، فمن يبزيء ثيسسيوس من غضبه الجائح الذي خرق حدود المعقولات - على ابنه، ومن يبزيء رومولوس من جريرة قتله أخاه؟ لو نظرنا الى الحوافز لسهل علينا الصلح من غضبٍ مأتاه سببٌ أقوى من سبب ثيسسيوس، كالغضب الذي تشيره ضربة شديدة مفاجئة. ولما كان رومولوس قد اختلف مع أخيه عمداً وتقصداً في امور عامة فمن الحق أن يصل هذا الخلاف فجأة الى مرتبة الثورة العارمة القتالة. إلاّ أن الحبّ والغيرة واتهام<sup>(٣)</sup> الزوج وهي مما لا يستطيع الخلاص من تأثيره غير قلة من الرجال - هي التي دفعت بثيسسيوس الى ارتكاب ذلك الجرم بحق ابنه. زد على هذا أن رومولوس ارتكب في فورة غضبه عملاً ذا أثر فاجع في حين انتهى غضب ثيسسيوس عند حدود الكلام، اي عبارة آئمة، ولعنة اب طاعن في السن... وأمّا مصائب الشاب الباقية فيبدو أن سببها كان سوء طالعها. والى هذا الحدّ لا يسع المرء إلاّ ان ينحاز الى جانب ثيسسيوس.

---

(٢) هنا يتفق بولتارخ مع سقراط. الذي يُعلّم بان حبّ الفضيلة التسامي هما وحدهما القادران على تحقيق اتحادنا بالكائن الأسمي. لكن مع أن هذا المبدء هو من أحسن المبادئ لكنه غير ممكن التطبيق هلى [ارديانه] فاين الفضيلة من هذه الأميرة التي وقعت في حب اجنبي من أول نظرة وسارعت الى تحقيق لبانتها بدمار اقربائها وبلادها.

(٣) لا ينوه بولتارخ في سيرة تيسسيوس بشيء عن هذه التهم. مع انها يجب ان تكون بدرجة من الخطورة بحيث ادت به الى تلك المناسة المفجعة.

إلا ان لرومولوس ارجحية ممتازة على قرينه، وهي أن أعماله الكبار نبطت من براعم وبدايات صغيرة جداً. فكلا الأخوين عُرفاً بكونهما ابنين لراعي خنازير، وخادمين، وقيل أن يعتقا منحا الحرية لجميع اللاتين تقريباً ونالا فجأة كل القاب التعظيم والتكريم، فسميا بالقاهرين اعداء بلادهما، والحادين على اصدقائهما وابناء قومهما، وزعيمى الشعب، وبناة المدن لامهدميهما كثيسوس، الذي بنى بيتاً واحداً فقط من بين البيوت العديدة التي قوضها وهدم عدة مدن تحمل اسماء الملوك والابطال الاقدمين. ألحق يقال ان رومولوس حذا حذوه في ايامه الأخيرة، وارغم اعداءه على تقويض وتهديم منازلهم ومسكنة قاهريهم. إلا انه لم يحز لنفسه اراضي وبلاداً ومملكة وزوجات واطفالاً واقرباء بازالة مدينة من الوجود أو بتوسيع مدينة، بل نالها كلها باستحداث مدينة جديدة عظيمة. ولم يقتل أحداً في عمله هذا وأما نفع أولئك الذين كانوا في حاجة الى المأوى والمسكن، ورغبة في تكوين مجتمع ترعى لهم حق المواطنة فيه. ولم يبطش باللصوص والمجرمين بل اخضع امما وقهر مدناً. وأنتصر على الملوك والقادة.

أما عن قضية ريموس فليس من يدري باي يد قتل. وعلى الارجح يُعزى قتله الى آخرين وليس ثم من شبهة في انه انقذ أمه من موت محتوم ونصب ملكاً على عرش [اينياس] القديم، ورفع من شأنه بعد خمول وضعة وانحطاط الى منزلة التابع الخانع. وقدم له خدمات جليلة. ولم يلحق به أذى ولو بصورة غير مباشرة. لكن نسيان ثيسوس أوامر والده برفع الشراع الأبيض لا يبرئه من عقاب جريمة قتل الأب لا في رأيي ولا في رأي أي قاض مهما بلغت سماحته. وأدرك أحد الكتاب [الآتيكيين] صعوبة الاعتذار لهذا العمل، فزعم كذباً ان ايجيوس أسرع يعدو عند اقتراب السفينة متجهاً نحو الاكروبوليس ليستطلع الأنباء فزلقت به قدمه وسقط... وكانني به قد سار وحيداً ليس معه خادم أو حارس يمشي في ركابه!

والحق يقال ان خطيئات خطف النساء التي ارتكبتها ثيسوس، لاتسمح له بأي عذر مقبول، أولاً لتكراره الجريمة عدة مرات فقد خطف [اريادنه] ثم [انتيوب] ثم [اناكسو] الطروزينية، وأخيراً سرق [هيلين] وهي طفلة لم تبلغ سن الزواج الشرعي وثانياً من ناحية السبب، فان عذارى الطروزينين واللقيديمونيين والامازون فضلاً عن كونهن غير مخطوبات له، فلسن أكثر جدارة بانجاب اولادله من الاثينيات اللاتي ينحدرن نسلأ من [ارخيتيوس] و[كيكرويس Cecrops] إلا أن دافعه الى هذا كان الشهوة لا الحاجة. اما [رومولوس] فعندما خطف زهاء ثمانمائة امرأة لم يتخير لنفسه كما قالوا إلا امرأة واحدة هي [هرسيليا] وفرق الباقيات على رؤوساء المدينة. وأثبت بضروب الاحترام والتجلة ومظاهر العطف والعدل التي عامل بها هاته النسوة، ان هذا الاعتداء لم يكن إلا عملية سياسية حسنة القصد غايتها تكوين مجتمع،

وتوحيد شعبين، وجعلها ينبوعاً يفيض بالصدقة والاستقرار العام. وكدليل على ما حدثه هذا الرباط الزوجي من حب واحترام وتلاحم، لم يحصل خلال مائتين وثلاثين سنة تالية أن طلق رجل امرأته، أو هجرت<sup>(٤)</sup> امرأة تزوجها والزمن شاهد. ولكن كما أن أول قضية قتل يرتكبها أحد بأمه أو أبيه، هي من الأمور الغريبة النادرة عند الأغريق، كذلك يدري الرومان جيداً أن [سپوريوس كارفيلْيوس Spurius Carvilius] كان أول من طلق زوجته متهماً إياها بالعقم<sup>(٥)</sup>. والنتائج المباشرة كانت متشابهة فعلى أساس هذه الزيجات تقاسم الزعيمان [رومولوس وطاطيوس] الحكم فيما بينهما، وخضع الشعبان لحكومة واحدة. ولكن لم ينجم عن زيجات تيسسيوس صداقة أو تحالف أو تبادل تجاري، بل نشأت عنها عداوات وحروب وسببت قتل المواطنين وآلت أخيراً إلى خسارة مدينة [أفيديني] التي لم ينقذ أهلها من مصير طروادة إلا سلوك أهلها تجاه العدو<sup>(٦)</sup>. ومقابلته بالضراعة والتوسل، ولم تتعرض أم تيسوس للخطر وحده، بل عانت كذلك ما عانتها [هيكوبا] من هجر الأبن وإهماله. إلا إذا كانت حكاية أسرها مختلفة كما هو بودي أن يكون ذلك مع مسائل أخرى، ولقد قيل أن ظروف تدخل الآلهة التي سبقت أو وافقت ولادة رومولوس وتيسسيوس كانت مختلفة فأولهما عاش بنعمة خاصة من الأرباب. ولكن النبوءة نزلت لايجيوس محظرة عليه مضاجعة النساء، أوضحت كما يبدو أن ولادة تيسسيوس لم تكن محل رضى الأرباب أو ارادتهم.

(٤) يخبرنا [ديون ٢: ٨] بدقة أكثر أن ذلك حصل في العام ٥٢٠ ق.م أيام كان [بومپونيوس ماثو وپاپيريوس ماسو] قنصلين.

(٥) اقسام [كارفيلْيوس] يميناً أمام الجنسورين، بأنه يكن لزوجه اعظم احترام وانه لا يطلقها إلا لأن انجاب الاولاد كان من ضمن الاتفاق المقدس عند زواجهما. إلا أن ذلك يجنبه الاستنكار والكره من الجميع الذين وجدوا ان يختط مسلماً قبيحاً بعمله هذا [Aul G. ١١: ٢١ و ٢٣].

(٦) كاستور وپولوكس.

# ليكورغوس

LUKOUGUS

---

دُونْ بِلوتارخ حياة ليكورغوس قبل تدوينه سيرة تيسيوس. كما ذكر هو نفسه عند سرده حياة الأخيرة. والظاهر انه كان شديد الكلف بالسيارطين عظيم التقدير لهم ولعاداتهم. فقد ترك لنا الى جانب هذه السيرة وسيرة غيره من عظماء السيارطين - رسالة حول قوانين اللقيديمين وتعاليدهم وأخرى حول الحكم الليقية. لقد جعل من ليكورغوس بطلاً مثالياً وعلل سلوكه ليقدمه كدليل على ان الحكيم الذي اتى الفلاسفة الى اعطاء اوصاف له كثيراً، ليس مجرد شخصية مثالية لا يمكن ان ترتفع اليها الطبيعة البشرية.





في الروايات التي تركها لنا المؤرخون عن ليكورغوس واضع قوانين سبارتا Sparta كثير من الخبط والتخمينات والرجم بالغيب، وقل أن ذكر أحد شيئاً لم ينقضه الباكون أو يشككوا فيه. وتختلف وجهات نظرهم حتى حول شؤون الأسرة التي نبغ منها. أو الرحلة التي قام بها، أو موضع وفاته وكيفية موته، ويأتي أعظم الخلاف حين يبحثون عن القوانين التي استحدثها، والجمهورية التي أنشأها. ويتعذر اتفاقهم تماماً حول العصر الذي عاش فيه، إذ يقول بعضهم انه عاش في أيام [إيفيتوس Iphitus]<sup>(١)</sup> وأنهما تعاوناً معاً على سنّ شريعة إيقاف الحروب<sup>(٢)</sup> أثناء احياء الالعاب الاولمبية، ومن هؤلاء ارسطو. وتثبيتاً لقوله زعم وجود كتابة على قرص من الأقراص النحاسية التي تستخدم في تلك الالعاب نقش عليها اسم ليكورغوس وأن هذه الكتابة كانت مقرؤة في ايامه. إلا أن [راتوستينس Eratosthenes] و[بولودورس Apollodorus]<sup>(٣)</sup> وغيرهما من المؤرخين يحاولون بحساب الوقت على أساس تعاقب الملوك السبارطين - ان يثبتوا انه عاش في زمن أبعد كثيراً من تاريخ منشأ الالعاب الاولمبية<sup>(٤)</sup>،

(١) ملك (إيليس) الذي قيل أنه أنشأ أو بالأحرى أحيأ الالعاب الاولمبية قبل مائة وثمانين سنوات من قيام أول أولمبياد معروف في العام ٧٧٦ ق.م وعرف بنسبته الى كوربوس. كما جرت عادة الاولمبيادات التالية بنسبتها للفائزين الآخرين.

بدء [إيفيتوس] بتقديم ذبيحة لهرقل الذي كان الاليائيون يعتقدون انه ساخط عليهم لسبب ما. وبعدها أمر بالالعاب الاولمبية لتعلن في سائر بلاد اليونان. ووعد بالحرية والامان لكل الواردين لمشاهدة الالعاب وحدد موعداً لها - وكانت قد انقطعت بسبب تفشى الوباء على ما قيل. كذلك نصب نفسه رئيساً لها وحكماً. وهذا امتياز كان اهل (بيزا) كثيراً ما يتنازعون عليه مع خلفائه الذين انحصر فيهم طوال ما كانوا ملوكاً. وبعد انقراض الأسرة عين الاهلون رئيسين حكيمين ثم ارتفع العدد الى عشرة ثم الى اثني عشر بمرور الزمن.

(٢) في اثناء احياء الالعاب الاولمبية (فضلاً عن الالعاب البيثية والإسثمية والنيمية) تفرض دائماً وكبده عام، هدنة في سائر بلاد اليونان يصدر بها بيان رسمي وتتم اذاعته (پاوسنياس ٢٠:٥) فاذا دخلت وحدة عسكرية [إيليس] بعد هذا البيان، فتفرض غرامة قدرها ميناean على كل جندي [توكديس ٤٩:٥].

(٣) لقب [ايراستينوس] بافلاطون الثاني لسعة مداركه وأطلاعه وهو مؤرخ شهير وشاعر وفيلسوف نبغ وتمتع برعاية [بطليموس فيلوطر] إذ كان والده [بطليموس سورگيتيس] قد دعاه من اثينا ونصبه أميناً مشرفاً على مكتبة الاسكندرية الشهيرة. ومعاصره [ابوللو دوروس] كتب كتاباً عن الميتولوجيا، ما زال موجوداً، ويحتوي على مختصر لتاريخ الالهة والابطال الاقدمين. الى جانب آثار أخرى له مفقودة.

(٤) الاولمبياد الأول كان في ٧٧٣-٧٧٦ ق.م.

ويظن [طيماؤوس]، أنه يوجد شخصان بهذا الاسم عاشا في زمنين مختلفين، ولأن أحدهما كان أشهر من الثاني فقد اسند اليه الناس مجد الإثنين وعلى تظنيّه، أن أسبقهما عاش في زمن يداني عصر [هوميروس]. وأسهب بعضهم وافرطوا في التفاصيل الى الحدّ الذي زعموا فيه أنه التقى بالشاعر. أمّا وأنه عاش في عصر بعيد فهذا ما يمكن استخلاصه من فقرة وردت في كزينفون Xenaphon اذ جعله معاصراً للهيراقليدي Heraclidae والحقيقة هي أن آخر ملوك سبارطا<sup>(٥)</sup> هم هيراقليديون نسباً. لكن كزينفون يبدو في هذه الفقرة وهو يتكلم عن خلفاء هرقل المباشرين الأوائل.

وان ضربنا صفحاً عن هذا الاضطراب والغموض، فبإمكاننا محاولة تأليف تاريخ لحياته معتمدين على أقلّ النصوص تناقضاً وميالين الى اولئك الكتاب الأجدر بالثقة من غيرهم. وعند الشاعر [سيمونيذس] أن ليكورغوس هو ابن پريتانيس [Prytanis] لا ابن [يونوموس]، على انه كان أوحد رايه في هذا، لأن الباقيين كافة يرتبون سلالة نسبهما على الشكل التالي:

اريسطوذيموس Aristodemus

پاتروكلس Patrocles

سوئيس Soüs

يورپون Eurypon

[ليكورغوس] من زوجه الثانية ديوناماسا Dionassa وپولينكتس من زوجه الأولى] ويقول [داخيداس Dieuchidas] أنه النسل السادس من پاتروكلس والحادي عشر من الهراقليدي<sup>(٦)</sup>.

(٥) يقول (سترابو) لن ليكورغوس عاش بالتاكيد في الجيل الخامس بعد [الثيمينس] الذي قاد حملة استيطان الى (كريت) والشيمينيس هذا هو ابن (كيسوس) الذي بني مدينة (اركوس) في الوقت الذي قام (پاتروكليس) جد ليكورغوس الخامس بوضع أسس سبارطا وعلى هذا يكون ليكورغوس قد عاش بعد (صولون) بوقت قصير وفي حدود العام ٩٠٠ ق.م. وان ظن بعض المؤرخين المتأخرين انه عاش في عصر الهيراقليدي.

ان هذه الفقرة اقتبسها پلوتارخ من رسالة (كزينفون) الممتازة عن «جمهورية سبارطا». كما اقتبس من تلك الرسالة اهم ما اورده عن سيرة ليكورغوس.

(٦) من [ارسطو نيموس] خرج التوامان يورستينس وپروكلس ومنهما نبغ الخطان الملكيان الأكبر والأصغر في سبارطا. وهما الخطّ الأغيذي والأفريتوتيدي. و[ارسطو نيموس] هذا هو ابن (هيلوس) ابن (هرقل) [انظر پاونسياس ١٠:٣-١٠] و[هيرودوتس ٧:٢٠٤ و ٨:١٣١].

واياً كان الأمر فان [سويوس] كان بالتأكيد أشهر اسلافه، فيقيادته اخضع السپارطيون الهيلوت Helot<sup>(٧)</sup>، واطافوا الى بلادهم بقوة الفتح جزء كبيراً من أركاديا، وهناك قصة تروي عن [سويوس] وهي ان الكيتورين<sup>(٨)</sup> ضربوا حصاراً حول جيشه وهو في موضع صخري قاحل ليس فيه قطرة ماء وأضطر الى ان يتفق مع اعدائه على ان يعيد اليهم كل ما استولى عليه من املاكهم إن شرب الماء هو وكل جنوده من أقرب ينبوع. وبعد حلف اليمين على الاتفاق، جمع جنوده وعرض مملكته كلها على أي واحد منهم هدية منه، إن تمكن من ضبط نفسه ولم يشرب ماءً. ولما لم يصبر واحد منهم على العيش، أو بعبارة أخرى لما شرب جميعهم وارتوا، تقدّم هو الى الينبوع في اعقابهم ومد رأسه وأصاب وجهه برشاش من مائه دون ام يدخل فمه قطرة واحدة ثم سار عنه مبتعداً امام اعين اعدائه، رافضاً ان تنازل عن فتوحاته، لأن الاتفاق نصّ على أن يشرب من مائهم (هو) وكل رجاله.

ومع ذبوع اسمه واستطارة شهرته لهذا العمل البطولي، إلا ان أسرته لم تتخذ اسمه لقباً. وانما لقيت باسم ابنه [يوريبون] (عرفوا باسم الاقريبونتيذ Eurypontids)<sup>(٩)</sup>. ويعزى هذا الى أن [يوريبون] أرخى من قبضته على المحكومين متطوعاً الى خطب ودّهم ورضاهم.

فكثرت مطالبهم بعد هذه الخطوة الأولى. وكره العامة الملوك المتعاقبين بعده وسخطوا عليهم بعض الشيء لأنهم حاولوا استخدام القوة، أو لاعطائهم تنازلات أخرى وإظهارهم الضعف اما لخور في نفوسهم او لنيل المزيد من حبّ الناس. وسادت الفوضى سپارطا زمناً طويلاً ومما سببته، موت والد ليكورغوس. اذ بينما كان يحاول تهدئه شغب، طعن بسكين جزار فقضى نحيبه وخلف الملك لابنه الاكبر پولندكتس Polydectes.

(٧) سكان (هيلوس) وهي مدينة بحرية من مدن لاقونيا فتحها اللقيديميون واستعبدوا أهاليها وأطلقوا اسم الهيلوت لا عليهم وحدهم بل على كل عبيدهم الآخر. وعلى اية حال فمن المؤكد ان نسل الهيلوت الاصلاء وان كانوا قد لقوا اسوء ما يتصور من العاملة (بعضهم اغتيل) فانهم مكثوا في لاقونيا عصوراً.  
(٨) الكيتوري Clitori شعب من اركاديا، اسمهم جاء من مدينتهم التي استمدت اسمها من اسم ملوكهم. يوجد بالقرب من هذه المدينة نبع ماء يثير الشرب منه اشمزازاً وصدوداً في النفس عظيماً عن الخمر. [أرسطو: ميتافزيقا ١٥: ٢٢٢].

(٩) من المفيد هنا تقديم للقارئ فذلكلة عن نظام الحكم الملكي اللاقوني على عهد الأسرة الهيراقليدية. هذه الأسرة طردت [تيسامينيس] ابن [اورستس]. وحلّ يورستينس وپروكلس ولداً [أرسطو زيموس] محلّه. واتخذ حكمهما منحىً جديداً فكان ثم ملكان بدلاً من واحد سلطتهما متساوية ولم يقسم الأخوان الملكة بينهما ولم يتفقا على المناوبة في الحكم بل حكماً معاً وفي أن واحد ومما يدعو الى العجب انه يصرف النظر على المحاسبة والمنازعة. فان هذه الملكية الثنوية لم تنته بنهاية هذين الأخوين بل استمرت في تعاقب ثلاثين ملكاً من فرع يورستينس، وسبعة وعشرين ملكاً من صلب پروكلس. [يورستينس] خلف [أغيس] وبه سمي نسل هذا الفرع (أغيدي) في حين اتخذ الفرع الثاني اسم (أقريتيونيدي) نسبة الى (أقريتيون) حفيد [پروكلس]. [انظر پاوسنياس، سترابو، هيرودوتس وغيرهم].

وتوفي هذا بعد فترة قصيرة، فأل حق العرش (كما خيل للجميع) الى ليكورغوس، ومَلَكَ فعلاً، حتى تبين ان زوج أخيه المتوفى حاملٌ، فسارع ليعلن ان الملك يعود لعقب أخيه ان ولد ذكراً. وانه سيمارس تبعات الحكم وصلاحياته بالوصاية فحسب. والاسم السبارطي للوصاية هو پروذيكوس Prodicus بعد ذلك عرضت عليه الملكة الحامل ان تسقط جنينها بصورة من الصور شريطة ان يتزوجها عندما يعتلي العرش. ماستنكر شرّ المرأة ومحيتة نفسه إلا انه لم يرفض اقتراحها صراحةً وانما تظاهر بقبوله وأرسل رسولاً لابلاغها شكره وفرحه ولكنه أصرّ مشدداً بالآ تلجأ الى اسقاط جنينها لما ينطوي عليه ذلك من الأذى، هذا إن لم يتضمن خطراً على حياتها قاتلاً انه سيقوم هو نفسه بالتخلص من الوليد حال وضعه. وبامثال هذه الوسائل والحيل أمكنه أن يحوز ثقة المرأة ويبلغ بها نهاية أيام حملها. ولما سمع انها في المخاض ارسل اشخاصاً ليكونوا قريبين منها وليلاحظوا كل ما يجرى. وزودهم باوامر تقضي ان يتركوا الوليد لأمه إن كان بنتاً وان يأتوا به اليه حالاً أينما وجد ومهما كان يفعل، إن وُلد ذكراً، وأتفق انه كان يتناول عشاءه مع كبار القضاة عندما وضعت الملكة ابناً. فجيء به اليه وهو جالس الى المائدة فتناولوه بيديه وقال لمن حوله: «يا رجال سبارطا هوذا ملكٌ ولد لكم» ثم وضعه على سرير الملك وسمّاه [خاريلوس Charilaus] أي «فرحة الشعب» لأن الجميع تملكم الاعجاب والغبطة لما راؤوا من روح ليكورغوس النبيلة العادلة.

لم يطل به الحكم غير ثمانية أشهر، إلا أن الشعب أكبره وأحبّه لأسباب أخرى غير الملك. واطاعه العديد لفضائله السامية لا لأنه وصي على العرش بيده الحلّ والعقد. إلا ان بعضهم حاول غمز نفوذه المتعظم وقت شبابه. لاسيما اصدقاء الملكة الأم واقرباؤها فقد زعموا أنه لم يعدل في معاملتهم وكثيراً ما الحق به الأذى. وفي نقاش حاد جرى بين [ليكورغوس] وبين [ليونيداس Leonidas] أخ الملكة لم يتورع ان يشتمه بقوله: انه لعلّ يقين تام بأنه لم يمرّ زمن طويل حتى يراه ملكاً! يريد من قوله هذا أن يزرع الشك في النفوس، ويهيء الاذهان الاتهام [ليكورغوس] باهلاك الطفل في حالة موته ولو بصورة طبيعية. ونشرت الملكة الأم واتباعها امثال هذه الحكايات من عمد، وتصميم فأنتابه قلق شديد، وأصبح وهو في خوف مما سيحيى به المستقبل. ووجد خير سبيل لأجتنب الشر هو النفي الاختياري والانتقال من بلاد الى أخرى حتى يبلغ ابن أخيه سن الزواج، ويضمن ولي عهد له.

فركب البحر إذن يحدوه هذا العزم وبلغ (كرت) أولاً، وفيها درس مختلف أجهزة حكمهم وتعرف بأعلامهم، وأستحسن بعض قوانينهم<sup>(١٠)</sup> ورأى ان يفيد منها في بلاده، وأهمل طائفة

(١٠) يرى اقدم الكتاب (امثال ايفورس، كاللتيس، ارسطو افلاطون) ان ليكورغوس اقتبس كثيراً من شريع =

كبيرة منها إذ لم ير فيها جدوى وصلاً وكان [طاليس Thales] <sup>(١١١)</sup> من أشهر الرجال الذين عرفوا بالحكمة، والعلم، والوقوف على شؤون السياسة والحكم، فاقنعه [ليكورغوس] بحكم صداقته وبالجاحة الشديد، ان يسافر معه الى [القيديمون] ومع أن مظهر طاليس الخارجي ومهنته الخاصة لا ترفعه الى أكثر من درجة شاعر غنائي، إلا أنه قام والحق يقال بمهمة مشترع من أقدر واكفأ المشتريين في العالم. فاناشيده التي تدفع وتحث النفوس على الطاعة والتعاضد، وقوافيه واوزانه التي تحمل في طياتها فكرة النظام والهدوء، كان لها تأثير عظيم على عقول المستمعين تلين طباعهم وتهذب نفوسهم فلا يشعرون، إلا وقد نبذوا الحزازات والأحقاد واتحدوا معاً في اعجابهم وحبهم بالفضيلة. ان [طاليس] مهد السبيل للنظام الذي ابتدعه [ليكورغوس].

وأنتقل من كريت الى آسيا عازماً - كما قيل - على تأمل أوجه الخلاف بين قواعد وأساليب حياة أهل كريت الجدية الرزينة جداً، وبين عادات الآيونيين <sup>(١١٢)</sup>، الرقيقة المرفهة. ليبنى له من ذلك رأياً - كما يقارن الاطباء بين المرضى والاصحاء. ووقع نظره هنا ربما <sup>(١١٣)</sup> لأول مرة على ملاحم هوميروس وقد حفظتها أيدي أسلاف [كريوفيلوس Creophus] بلا شك. ولما وجد أن الدروس السياسية الرضية والمبادئ الخلقية والحكم تشيع في تلك الاشعار حتى تكاد تعفو على التعابير المتبذلة والأمثال السيئة التي توجد فيها <sup>(١١٤)</sup>، شرع حالاً في نقلها وتنسيقها

= جزيرة كريت الآ ان يوليبيوس (٦) يصّر على تخطنتهم جميعاً ويقول «في سبارطا، الأراضي كلها موزعة على المواطنين، ولا وجود للثروة، والحكم وراثي في حين ان الامر خلاف ذلك في كريت» على ان هذا لا يدل بان ليكورغوس لم يأخذ بطائفة من الاحكام الجيدة والاعراف السائدة في كريت، وغافل ما لا يصلح. على انه ثم تشابها عظيماً بين شرائع ليكورغوس وشرائع (مينوس) ملك كريت بحيث وجب علينا ان نشايح سترابو [١٦] في ايمانه بان الواحدة كانت أساساً للأخرى. أيهما؟! (١١)

كان طاليس شاعراً وموسيقياً ويجب الأ يخلط بينه وبين (طاليس الميسسي) الذي عد من حكماء اليونان السبعة. وقد عاش الشاعر قبل الفيلسوف بمائتين وخمسين عاماً تقريباً.

(١٢) ارسل الايونيون من اتিকা مستعمرين الى جزء من آسيا الصغرى يقع بين ليديا وكاريا في حدود العام ١٠٥٠ ق.م اي قبل عصر ليكورغوس بقرن واحد ونصف قرن ومع انهم يقطعوا اواصرهم مع الوطن خلال هذه الفترة القصيرة. إلا ان مشترعنا استطاع الحكم على التأثير المناخي والانتاجي لآسيا، حتى ان هؤلاء المستعمرين اصبحوا مضرب المثل في الخنوة والميوعة.

(١٣) ويضيف كلمة «ربما» لأن بعض الكتاب الاغريق أكدوا ان ليكورغوس التقى ب(هوميروس) بالذات وكان انذاك يعيش في (خيدس). على ان بولتارخ هو صاحب الرأي المعتمد هنا، فقد مات هوميروس قبل ميلاد ليكورغوس ولم تكن اليونان قبل عهد ليكورغوس تعرف شيئاً عن هوميروس خلا مقطوعات متفرقة عرفت بعناوين موضوعاتها مثل «بطولة ديوميدي» أو «قدية هكتور» وغير ذلك.

(١٤) ان حكم افلاطون في هذا الموضوع يختلف تماماً عن رأي ليكورغوس فحين استبعد الشعراء من «جمهوريته» لم يستثن حتى هوميروس نفسه الذي وجده اديباً مفسداً للشباب لأنه لم يقدم صورة لائقة للآلهة كما يراها افلاطون. في عدائه هذا لهوميروس يقف افلاطون وحيداً لاناصر له.

بنظام لطيف لما رأى فيها من فائدة لبلده. كانت هذه الملاحم في الحقيقة قد حظيت ببعض شهرة بين الأغريق، ووصلت شذرات واجزاء مقتضبة منها قبله الى أيدي بعض الأفراد بحكم الصدفة إلا أن ليكورغوس هو أول من نشرها واذاعها.

يقول المصريون أنه رحل الى مصر ومكث فيها، وأعجب كثيراً بأسلوب تمييز الطبقة العسكرية عن بقية السكان<sup>(١٥)</sup>، فنقل هذا النظام الى سبارطا. لأن إبعاد هذه الطبقة عن الذين يمتنون الأعمال الجسدية يكسب الدولة روعة ومهابة عظيمنتين. ولقد دون ذلك أيضاً بعض الكتاب الاغريق. وأما عن رحلاته في اسبانيا وافريقيا والهند، ومناقشاته مع [الجنموسوفسيين Cymnosophist]<sup>(١٦)</sup>، فمصدر كل الروايات الوحيد عنها كما وجدت - هو ارستوقراطس Aristocrates السبارطي ابن هيپارخوس Hipparchus.

واشتاق أهل سبارطا الى ليكورغوس كثيراً. والحوا عليه بالعودة مراراً قائلين. «حقاً ان لدينا ملوكاً، يرتدون شارات الملك ويتخذون ألقاب الجلال والسلطان، أما عن مداركهم وسعة عقولهم فليس فيها ما يميزها عن عقول أفراد رعيتهم.» وزادوا قائلين ان فيه وحده تظهر أرومة السيادة الحققة، والطبع الذي خلق ليحكم، والإرادة التي وجدت لتطاع. ولم يكن الملكان نفسهما بالكارهين عودته، لأنهما كانا يعتبران وجوده سداً واقياً لهما من غائلة شعبهما.

وطالعت هذه الحقيقة عند عودته، فانصرف حالاً دون، أن يضيع وقتاً - الى الاصلاح الشامل، عزم أن يغير وجه الجمهورية بأسره اذ ما فائدة قوانين قليلة وتغييرات جزئية؟ كان عليه أن يعمل كالطبيب الواسع العقل عندما يجابه مريضاً تكالبت عليه الاسقام وأختلطت فيه، فبقوة الأدوية ينهكه ويضعفه، ويغير من كل مزاجه ثم يخضعه بعد ذلك الى نظام حمية

---

(١٥) المصريون لم يميزوا العسكريين والكهنة (وهما غالباً من الأشراف) عن بقية طبقات الشعب لكنهم ميزوا ذوي المهن الأخرى كالرعاة، ومربي البقر، والتجار، والبحارة والمترجمين وهم ينحدرون من قبائل وطبقات مخصوصة يأخذ فيها الابن عن الأب حرفته. ويرى هيروودوتس (١٨٦:٢) ان النظام المذكور استمده ليكورغوس من مصدر أقرب الى موطنه من مصر، فقد كان سارياً عند التراقيين، والصيبيين وغيرهم.

(١٦) فلاسفة الهنود القدماء هي طائفة منصرفه الى التأمل والصمت، يكاد أهلها لا يرتدون شيئاً من الثياب يعيشون في الغابات. والبرهميون فصيلة من الطائفة نفسها وهم يكرهون البطالة كراهة تحريم. ويحدثنا اپوليوس انهم اوجبوا على تلاميذهم تقديم حساب يومي عن عمل طيب قاموا به أو بالتأمل بعمل أقدموا عليه قبل السماح لهم بالجلوس لتناول العشاء. وهم يؤمنون بالتناسخ وبحياة أخرى أفضل وأطيب حتى انهم ما كانوا ليرتدوا قذف أنفسهم الى النار عندما يشبعون من الحياة. أو تصيبيهم مصيبة. ونخشى ان يكون الخيلاء والاعتداء بالنفس، الدافع الذي دفع أحدهم الى احراق نفسه امام اسكندر الكبير، وآخر الذي قضى حرقاً امام اغسطس قيصر. وما يزال الخلاف قائماً حول صحة زيارة ليكورغوس الهند من عدمه - بين مترجمي پلوتارخ الفرنسيين امثال (داسييه وريكارد).

دقيق جديد تماماً. وبعد ان صورّ لنفسه مشاريعه المقبلة، قصد دلفي لاستخارة ابوللو<sup>(١٧)</sup> هناك وبعد أن نال بغيته، وقدم قربانه عاد بالنبوءة الشهيرة التي سُمّي فيها «حبيب الله» و«الاقرب الى الآله منه الى البشر» وان صلاته استجيبت وان قوانينه ستكون خير ما وجد، وأن الجمهورية التي ستسير عليها وستكون اشهر جمهورية في الدنيا. كل هذا شجعه على كسب وجهاء سبارطا الى جانبه وأقنعهم بمد يد العون له في مشاريعه العظيمة، وأسرّ بالمسألة اولاً لأقرب اصدقائه وكسبوا هم أنصاراً آخرين بالتدريج، والهيب حماسة الجميع لتنفيذ مآربه، ولما حانت ساعة العمل، أمر ثلاثين من سراة سبارطا، أن ينزلوا سوق المدينة بسلاحهم فجر اليوم التالي، ليبتّ الرعب في نفوس الحزب المناوئ. وذكر [هرميپوس Hermippus] اسماء اشهر وابرز عشرين منهم. إلا أن [ارثميادس Arthmiades] كان أسم ابرز الجماعة كافةً، وأقربهم الى ثقة ليكورغوس وسره، وأكثرهم نفعاً له في سنّ قوانينه ووضعها موضع التطبيق. اضطربت الحواطر، وساد الهياج وتوهم الملك [خاريلوس] أن مؤامرة تحاك ضده، فاسرع يحتمى بمعبد البيت النحاسي<sup>(١٨)</sup>، ولكن بعد أن تبين انه واهم، واخذه العهود والمواثيق منهم بأنهم لا ينوون به شراً، ترك ملجأه وانضم هو نفسه اليهم. كان [خاريلوس] إنساناً من ارقّ والطف الناس وأكثرهم سماحة. حتى ان [ارخيلوس Archelaus] أخاه في الملك يقول فيه عندما كانت طبيبته تمدح أمامه: «من يستطيع القول عنه أنه طيب؟ وهو لا يعرف الصرامة حتى مع الأشرار».

من التغييرات الكثيرة والاصلاحات التي عملها ليكورغوس، اولكها وأعظمها أهمية انشاء مجلس للشيوخ. سلطاته مساوية لسلطات الملك في الأمور الهامة جداً، ليحدّ من سلطات الملك، ويعدّل ويلطف من اندفاعاتها النارية<sup>(١٩)</sup>، وبذلك يشيع الثبات والاطمئنان في بناء

(١٧) اقنع (مينوس) أهل كريت بان قوانينه نزلت عليه وحيأ من (چوپتر) وقلده في ذلك ليكورغوس تحدوه الرغبة في اقناع أهل سبارطا بأن فعل ما فعل بتوجيه وأمر من (ابوللو). هناك مشترعون آخرون وجدوا من الأفضل كثيراً ان يضخموها هذه الفكرة القائلة بأن شرائعهم ونظمهم انما جاءتهم من الأرباب. لأن حبّ النفس في الطبائع البشرية الذي لا يتسامح ولا يتحمل تفوقاً عبقرياً تمثّل في مشترع لم يعاونه أحد في عمله، يجد راحة وسهولة في تطبيق احكام ذلك المشترع عندما يقال له انها أوجبت اليه في السماء ولهذا نجد واضعي الشرائع القديمة يعزونها الى الارادة الالهية دائماً لأن في ذلك تعزيزاً لشأنها ورفعاً من قدرهم كما يضمن لهم فضلاً عن ذلك قيام الأهالي بالدفاع عنها ومعاونته ضميرياً في تطبيقها والتقييد باحكامها.

(١٨) اي خاليوكس وهو ميكل الربة اثينا، وكان شاخصاً في ايام (پاوسنياس) المعاصر لماركوس انطونيوس. (١٩) الفقرة التي يشير اليها المؤلف هي في كتاب افلاطون الثالث حول الشرائع حيث نجده يبحث في أسباب سقوط الدول ويضع الكلام التالي على لسان اثيني قائلاً يخاطب اللقيديمين: «في اعتقادي إن ألهأ من الالهة مدفوعاً بغيرته على دولتكم ولمعرفته بما سيأتي به المستقبل أعطاكم ملكين من أسرة واحدة =



الجمهورية» على ما يقول [افلاطون]. لأن الدولة قبل ذلك لم تكن تستند على قاعدة ثابتة فمرة تميل الى الملكية المطلقة لفترة من الزمن، عندما يستظهر الملوك، ومرة تميل الى الديمقراطية الصرفة عندما ترجح كفة الشعب وتكون لارادته الكلمة العليا. فكان مجلس الشيوخ هذا بمثابة قطب الرحى. كالمثقلة في السفينة فانها تحفظها دائماً في توازن تام، ينحاز اعضاؤه الثمانية والعشرون دائماً الى جانب الملوك لمقاومة التيار الديمقراطي، ويساندون الشعب من الجهة الثانية ضد اي محاولة لقيام ملكية مطلقة. واما بخصوص تحديد العدد بثمانية وعشرين فيقول [أرسطو] عزى سببه الى ان اثنين من المؤقرين الثلاثين الأصليين عدلاً عن المساهمة في الخطة لجبن اعتراهما ولكن [سفيروس Sphaerus] يؤكد لنا ان العدد المؤقرين كان ثمانية وعشرين بالأصل، ولعل هناك سراً في العدد الذي يتضمّن سبعة مضروبة في أربعة والسبعة هو أول عدد تام بعد الستة ولذلك كان متساوياً في كل اجزائه (٢٠). وأما رأيي الخاص فهو ان ليكورغوس حدّد العدد بثمانية وعشرين على أن يُعدّ الملكان بين الاعضاء فيكمل العدد ثلاثين.

ولقد كان شديد الاهتمام بإنشاء هذا المجلس حتى أنه راح ينشد نبوءة عنه من دلفي. فأنزل عليه ما سمي بمرسوم [الريترا Rhetra] وهو كالاتي: «بعد أن تقوم ببناء معبد [جويتر هيليانيسوس Helianus] و [مينرفا هللانيا M. Hellania] أن تقوم بتنظيم الشعب في «فيليس Phyles» وترصهم في «أوبس Obes» عليك أن تؤسس مجلس شوري من ثلاثين شيخاً بضمنهم الزعيمان، وعليك أن تجمع الشعب بين فترة وأخرى في ايبيللازين Apellaze-

= ليحكما بعدالة أكثر عند ممارستهما الحكم وبذلك تتمتع سبارطة باعظم الاستقرار. وبعد هذا عندما تنزع الملكية الى الاستبداد والحكم المطلق تقوم روح الالهية متقصة جسداً بشرياً (هو ليكورغوس) بوضع اسباب الحكم ضمن حدود العدل والمساواة عن طريق سلطة مجلس الشيوخ الحكيمة المساوية لسلطة الملكين». ويقوم ارسطو [السياسة ٧:٢] بتخطئة هذه الفكرة من ناحية بقاء الشيوخ في مناصبهم طوال العمر فيقول: «من السخف إن تودع مصائر المواطنين ايدي رجال قد يحول تقدمهم في السن دون دقة التمييز. فالعقل يهرم مع هرم الجسد. كذلك ليس معقولاً أن يكون هؤلاء معصومين لا يمكن محاسبتهم على اجراءاتهم واحكامهم». لكن يبدو ان حلاً مجدياً تم الوصول اليه للمشكلة الأخيرة بابتداع نظام الايفوري فيما بعد. وقد استحدث بصورة رئيسة للدفاع عن حقوق الشعب ولذا يضيف افلاطون قوله: «والنعمة الثانية التي حظيت بها سبارطة هو ذلك الأمير الذي رأى ان السلطان الشيوخ وسلطان الملكين مفرطان في التحكم والاستبداد ويستحيل وضع رقابة عليهما. فابتدعت سلطة الايفوري كبح جماحهما..» ان اعجب ما في النظام هو وجود ملكين لكن وبعد ان فقدت أجهزة حكم ليكورغوس نفوذها الأول حطمت الاحزاب التي خرجت في هذه المنازعات، كيان سبارطة. ومع هذا فإرسطو في [السياسة ١١:٥] يعزو دوام تلك الدولة الى توزيع السلطات!

(٢٠) على أغلب الاحتمال لم يكن ليكورغوس على علم بقانون الاعداد. كما كان ابعد من ان يضع قوانينه على أساس التفكه واللعب الفكري.

in ، ما بين [بابيكا Babyca] و [كناسيون Cnacion] (٢١). وهناك يقترعون وتؤخذ اصواتهم، ان للشعب الكلمة الأخيرة والقرار النهائي». ويقصد بكلمتي Obes & Phyles طبقتا الشعب، وبالزعيمين يقصد الملكان، وبأپيللازين يشير الى اڤوللو البيثي، ويقصد بها الاجتماع، وبابيكا وكناسيون هما الآن [اونوس Oenus] على ان ارسطو يقول أن [كناسيون] هو نهر، و [بابيكا] جسر، وبين هذا النهر والجسر كان يتمّ الاجتماع اذ لم يكن لديهم بيت شوري، ولا بناية يجتمعون تحت سقفها. وكان ليكورغوس يرى أن البهجة والزخرفة في مجالس الاجتماعات لا تفيدهم في شيء، وانما قد تغدو عائقاً لانه يصرف المجتمعين عن الشؤون التي اجتمعوا لها الى التماثيل والتهاويل والسقوف المزخرفة المنقوشة، وغيرها من التوشية الفنية التي تحفل امثال هذه البنائيات عند الاغريق الآخرين في هذه الاجتماعات العامة تعقد في الهواء الطلق لا يسمح لاي فرد أن يعطي رأيه بل يحق له إما أن يصادق أو ان يرفض ما يعرضه عليهم الملك أو مجلس الشيوخ. ولكن عندما أخذت العامة تشوّه وتحرف مدلولات المبادئ عن معانيها الاصلية باضافة كلمات معينة أو حذفها، أدخل الملكان [پوليدوروس Polydorus و ثيوبومپوس Theopompus] الفقرة التالية الى [الرتيرا العظمى] أو الميثاق الاعظم: « يحق مجلس الشيوخ والزعماء أن ينقضوا اي قرار أخطل اتخذه العامة». أي أن يرفضوا ابرامه ولهم أن يحلّوا جمعية الشعب بحجة أنها أخطأت وحادت عن جادة الصواب في مشورتها.

وتمكنوا بالخداع والحيلة أن يلقوا في روع الجمهور بأنها مساوية لبقية الرتيرا في درجة صحتها كما يبدو ذلك من أبيات الشاعر [رتيوس Tyrtaeus] التالية (٢٢):

هذي النبوءات الصحيحة التي سمعوها من [اڤوللو]  
وجاؤوا بأقوالها الصادقة من معبد [پيتو Pytho]:  
« الملوك الذين عينتهم السماء، واحبّوا الأرض،  
يكونون اوائل في مجلس شوري البلاد.  
ويأتي الشيوخ في المحل الثاني، ويأتي العامة أخيراً.  
ألا فلتُسد شريعة ريترا صحيحة بين الجميع!

ومع ان ليكورغوس اتخذ كلّ الاحتياطات الممكنة لتلطيف جهاز حكمه الجمهوري فان اولئك

(٢١) لعلها اسماء روافد صغيرة لنهر افروتاس.

(٢٢) شاعر غنائي اربله الاثينيون بعد منحه رتبة جنرال - على رأس قوة لنجده السپارطين. نصرأ على المسينيين. عندما حمّسهم واستنهض همهم بقصيدة انشدها وهو على رأس قواته العسكرية.

الذين عقبوه وجدوا ان التيار الاوليفارشي (\*) «مرغياً ومزبداً ولأجل أن يكبح مزاجه الحاد وصولته الجائحة، «وضعت لُقمة في فمه» على حَدِّ قول افلاطون<sup>(٢٣)</sup>، هذه اللقمة هي إحداه سلطة الايفوري Ephorie<sup>(٢٤)</sup> التي أنشئت بعد موت ليكورغوس بمائة وثلاثين سنة. وكان [ايلاتوس Elatus] وزملاؤه أول من أسندت اليهم هذه الوظيفة في زمن حكم الملك [ثيومبيوس]، الذي اجاب زوجه الملكة عندما عيرته يوماً ما، بأنه سيخلف سلطة الملك لأولاده وهي أقل مما تسلمها من أسلافه؛ قال «كلاً بل أكثر، لأنها ستدوم وقتاً أطول». ذلك لأن الملوك السبارطيين بعد أن رسمت لسلطاتهم حدود معقولة، تحرروا تماماً في الأخطار، والموآمرات ولم يعانوا قط المصائب التي انصبت على جيرانهم في مسيني Messene وأرغوس Argos، أولئك الذين حرصوا على سلطاتهم، وابوا التنازل للشعب عن قليل منها، فخسروها كلها.

(\*) Oligarchy: هو حكم الأقلية أو الصفوة المنتخبة [م. ت].

(٢٣) افلاطون: القوانين ٦٩٢.

(٢٤) هيرودوتس (٦٥:١) و[كزينفون: جمهورية لقيديمية ٨] يقولان ان ليكورغوس هو الذي عين الايفوري شخصياً. إلا أن التفاصيل التي يبسطها المؤلف مقتبساً من ارسطو (السياسة ٧) وغيره، باعتبار انها لم تستحدث الأبعده بزمن طويل، يبدو اقرب الى المعقول. اذ لا يحتمل مطلقاً ان ليكورغوس الذي ساند الارستقراطية بكل قواه ولم يترك للشعب شيئاً إلا حق القبول أو الرفض - انه يعين نوعاً من مفوضين شعبيين ويجعلهم سادة مساوين للملك ولجلس الشيوخ. بعض المؤرخين يرون ان الايفوري كانوا في مبداء الأمر خلصاء للملك ينتدبهم لممارسة سلطته عندما يذهب للحرب. لكن المعروف الاكيد ان الشعب كان يختارهم عن طريق الانتخاب من مجموع الدهماء وأحياناً من بين ادنى طبقة من الدهماء حيث ان اجراً المواطنين وأصلبهم يكون أكثر حظاً للفوز بمثل هذه الوظيفة - كاننا ما كانت صفته. فهي وظيفة القصد منها الحد من سلطة الملكين وسلطة الشيوخ. وعدد الايفوري خمسة. في جمهورية قرطاجة ويجرى انتخابهم كل سنة. وقد رسم ان تكون قراراتهم بالاجماع لتغدو سلطاتهم ذات تأثير. كانت سلطاتهم محددة بشكل جيد. إلا انها تحررت بمرور الزمن من كل قيد. فصاروا يرأسون الاجتماعات العمومية ويقومون باحصاء الاصوات في الاقتراع. ويعلنون الحرب ويعقدون معاهدات السلم ويتفاوضون مع الدول، ويقررون عذب القوات المجنّدة، مع تحديد مصروفاتها ويوزعون المكافآت ويفرضون العقوبات باسم الدولة. ويعقدون مجالس قضاء ويحققون في سلوك الحكام والقضاء ويشرفون على تعليم الشباب وتوجيه سلوكهم. كما زدوا بسلطة خاصة على الهيلوت، ويمختصر القول انهم حصروا كل السلطات الادارية والتنفيذية بايديهم شيئاً فشيئاً ومضوا الى الحد الذي قاموا بتنفيذ حكم الموت بالملك [آغيس] بزعم انهم ينفذون حكم العدالة. أخيراً قتلهم [كليومنيس] صبراً.

يرى (بارتلمي) في كتابه (رحلات اناخارسيس) ان صلاحيات الايفوري كانت حتى عهد ليكورغوس قاصرة على الحكم الداخلي حين أثار والشعب وحرصوه على مقاومة الشرائع الجديدة. وكان لأهالي كريت الذين أقتبس عنهم - ضباط يقارنهم ارسطو بالايفوري، يعرفون باسم (كوزمي). على ان معظم الكتاب لا يذكر ان الايفوري بوصفهم بدعة من بدع النظام أوجدها [ثيومبيوس] بل اعتبرهم جهازاً من شأنه الحد من سلطة الملك وكبح جماحه. فالاحتمال ان هو ان ليكورغوس ابقى لهم بعض الامتيازات. وان ثيومبيوس زددهم بسلطات أخرى مما جعل النظام يبدو نوعاً من الاوليفارشي.

والحق يقال ان كل من يتأمل في الفتن والثورات وسوء الادارة التي حلت في هاتين الدولتين الجارتين اللتين تتصلان بالدم فضلاً عن صلة الجوار لا يسعه إلا أن يجد خير سببٍ للاعجاب بحكمة ليكورغوس وبعد نظره. فهذه الدول الثلاث من أول نشأتها كانت متساوية، أو اذا كان هناك اي امتياز فقد اختصت به دولتا [مسين وارغوس] اللتين اعتبرتتا أسعد خطأ من الثالثة (سپارطا)<sup>(٢٥)</sup> في أول القسمة. وكانتا يمتلكان اراضي أفضل<sup>(٢٦)</sup> ومع هذه لم تطل سعادة البلدين طويلاً، بسبب طغيان ملوكهم من جهة، وبسبب صعوبة حكم الشعبين من جهة، وسرعان ما سادتهما الفوضى، وانهارت صروح اجهزة الحكم والمجتمع فيهما، مما أظهر بكل وضوح مبلغ الخطوة التي نالها السپارطيون من لدن الآلهة بانعامها عليهم بوضع قوانينهم الحكيم الذي منح حكومتهم استقراراً وتوازناً سعيداً.

بعد تعيين الشيوخ الثلاثين، كانت مهمته التالية التي باشرها هي أخطر المهام طراً. أعني القيام بتوزيع جديد للأراضي الزراعية. حيث كان يوجد تفاوت عظيم في هذا بين الناس، والدولة تزرع تحت عبء الشكوى والسخط العام الذي يثيره الفقراء والمحتاجون في حين كانت الثروة كلها مركزة في أيدي قلة ضئيلة، فلأجل أن يزيل من مجتمع الدولة التحاسد والتباغض، والاجرام والترف، وتلك الأمراض المتأصلة المزمنة، الفقر، والغني الفاحش، حملهم على التنازل عن ملكياتهم جميعاً، والرضى بتقسيم جديد للأرض، وأقنعهم بأن يعيشوا معاً على قدم المساواة، وان تكون الجدارة والأهلية هي السبيل الوحيدة الى التقدم والشهرة؛ وتقبيح الشر، وحسن الجزاء للأعمال الطيبة يكونان معيار الخلاف الوحيد بين انسان وانسان.

بعد موافقتهم على مقترحاته هذه، باشر في الحال بوضعها موضع التطبيق فقسم بلاد [لاقونيا] مبدئياً الى ثلاثين ألف سهم متساوٍ وقسم الجزء المرتبط بمدينة سپارطا الى تسعة آلاف سهم وزعها على السپارطيين، كما وزع السهام الأولى على باقي المواطنين الريفيين. ويقول بعضهم أنه خصص للمواطنين السپارطيين ستة آلاف سهم فقط وان الملك [پوليدوروس] أضاف إليها ثلاثة آلاف أخرى. وقال: آخرون ان [پوليدوروس] اضاف مثل عدد السهام التي حدها ليكورغوس بأربعة آلاف وخمسمائة فصارت تسعة آلاف وكانت قطعة الأرض الواحدة تنتج سنوياً (بأخذ معدل سنتين متتاليتين). حوالي سبعين بوشلاً<sup>(\*)</sup> من القمح

(٢٥) هذه الدول الثلاث تدعي انحدارها من دولة واحدة هي دولة الهيراقليدي (ارغوس ومسيني) تردان اصولها الى (تمينيس) (وكرسفونتس وسپارطا) تُردان الى افريستينس وپروكلس ابني اريسطو نيموس.  
(٢٦) تغطي الجبال ارض سپارطا لتجعلها غير صالحة للزراعة تقريباً في حين نجد (سترابو) يصف سهول ارغوس ومسيني بالخصوبة وكثرة المياه ويجعلهما اخصب جزء من بلاد الاغريق.  
(\*) ميكال للقمح تعادل سعته ثمانية غالونات [م.ت].

لرب الأسرة، وأثنى عشر بوشلاً لامرأته. مع مقدار مناسب من الزيت والخمر، وهو ما يكفي في اعتقاده لبناء الأجسام قوية صحيحة، أما الفائض عن الحاجة فلا خير فيه لهم. ورُوي أنه كان عائداً من رحلة له، بعد تقسيمه الأراضي بزمن وجيز، وصادف أن كان وقت الحصاد والأرض قد حصدت لتوها. فأبتسم إذ شاهد اكوام القمح قائمة وكلها متساوية وقال لمن حوله «أرى لاقونيا كلها تبدو مثل مزرعة أسرة واحدة، قسمت بين عددٍ من الأخوة».

ولم يقنع بهذا، وقرّر أن يجرى توزيعاً في اموالهم المنقولة أيضاً. حتى لا يبقى أي فرق أو تفاوت كبير بينهم. ووجد أن تطبيق ذلك بصورة صريحة، ينطوي على أعظم المخاطر، فسلك سبيل الحيلة<sup>(٢٧)</sup> وتغلب على حرصهم بالخطة التالية: أمر أن يُغيا لتعامل بالنقد الذهبي والفضي الغاء تاماً. وان لا يسمح إلا بنوع من النقود الحديد وهي ذات حجوم كبيرة وثقل عظيم، وقيمة تافهة جداً. فلأجل حفظ ما قيمته مئائين<sup>(\*)</sup> يتطلب خزانة واسعة جداً. ولأجل نقل هذه الكمية يحتاج الى ما لا يقل عن زوج من الثيران. وتداول هذه النقود أختفى في الحال عدد من الرذائل وزالت من لقيديمونيا. إذ من يخطر بباله أن يسرق مثل هذه النقود؟ ومن يسك شيئاً بدون لا تكون قيمة له، ولا فائدة فيه حتى لو قطع اجزاءً. إذ انهم كانوا يغطون السكّة وهي محمرة في الخلل وبهذه الوسيلة بتلف معدنها ولا تعود صالحة لشيء.

ثم انه أصدر أمراً بعدم قانونية مزاولة كل الفنون غير المفيدة، المترفة، وما كان الأجدر به هنا أن لا يصدر مثل هذا الأمر، فهذه الفنون ماتت من تلقاء نفسها ولحقت بالذهب والفضة، لأن النقود الجديدة لم تعد ثمناً صالحاً ومناسباً للتحف الفنية. لكونها من الحديد ولا يمكن تداولها بين سائر الأغريق الذين سيهزأون بها - هذا إن أمكن تصديرها ونقلها. وهكذا لم يعد ثمّ وسائل لشراء بضائع أجنبية وكماليات صغيرة، ولم يعد التجار يرسلون سفنهم المحملة بالبضائع الى المواني (اللاقونية) أما أساتذة البلاغة، وقارئو الخط المشعبدون، وتجار البغايا، ونقاشو الفضة، وصاغة الذهب، والجواهريون، فلم يعودوا يرون جدوى في زيارة بلاد ليس فيها

---

(٢٧) ظلّ السبارطيون بعد ليكورغوس رداً طويلاً من الزمن ينفرون نفرة شديدة من زيادة الحرص وحب الاقتناء الى حد أن شاباً أشتري ضيعة بغائدة عظيمة فاستدعي ليؤدي حساباً على ذلك وفرضت عليه غرامة. فقد وأرا انه عظيم الجشع الى جانب جرية في شراء حاجة باقل من قيمتها لانه استخدم عقله من اجل الربح وهو في العمر الذي يجب ان يفكر الناس في الاتفاق. لكن عندما لم يعد السبارطيون قانعين بحدود بلادهم واردوا التوسع خلافاً لما كان ليكورغوس ينهاهم عنه، فقد اشتبكوا في حروب خارجية. ولم تقبل نقودهم في البلاد الأخرى. ووجدوا انفسهم مرغمين على التوجه نحو الفرس الذين بهرتهم فضتهم وذهبيهم. وازداد جشعهم الى حدّ شنيع حتى ضرب بهم المثل الذي ذكره افلاطون وهذا هو «يرى المرء قدراً كبيراً من النقود يدخل الى لقيديمون، لكنه لا يرى منها شيئاً يخرج».

(\*) حوالي ٤٠ باوناً استرلينياً.

نقود وهكذا أخذ الترف يزول ويتلاشى وهو يتجرد شيئاً فشيئاً مما يقويه وينعشه، حتى قضى عليه تماماً ومات. لم يعد للاغنياء هنا افضلية على الفقراء لأن غناهم وثراءهم الواسع فقد سبيله الوحيد الخارجي، فظل حبيساً في الداخل لا يفعل شيئاً. وبهذا السبيل نبغ من الناس صناع مهرة وفنانون في عمل الأشياء المفيدة الضرورية للعموم، كالكراسي، والأسرة، والموائد، ومختلف ادوات الاسطبل في حدود حياة الأسرة. وكانت تلك الحاجات موضع اعجاب من يراها لدقتها. وتذكر بصورة خاصة طاس الشراب السمي كوثون Cothon<sup>(٢٨)</sup> فقد شاع أمره وتسابق الناس على اقتنائه. ولاسيما الجنود، على قول [كريتياس Critias]. فلونه يحول دون ملاحظة الشارب للماء العكر أو المشوب الذي قد يضطر المرء الى شربه بدافع الحاجة والضرورة. فقد جعلت هيئته بحيث يعلق الطين بجوانبه فلا يبلغ فم الشاب إلا الماء النقي. ولهذا أيضاً عليهم ان يشكروا واضع قوانينهم الذي أطلق منهم كوامن مهاراتهم وابداعاتهم في اضافة صفة الجمال على الأدوات الضرورية ذات الاستعمال اليومي، بإراحة الصناع الفنانين من متاعب صنع الأشياء غير المفيدة. أما الضريرة الثالثة، الأشد وقعاً والأمضى حداً التي انزلها واضع القوانين العظيم هذا بالترف والشهوة الى الغنى فهو المرسوم الذي قضى بأن يأكل الجميع من مائدة عامة<sup>(٢٩)</sup>. فيتناولون الخبز واللحم وكلّ الوان الطعام المقررة دون تفضيل، وأن لا يقضوا حياتهم في البيوت، مستقلين على الأرائك الوثيرة جالسين الى الموائد الحافلة باطياب الطعام، مستسلمين الى ايادي طهاتهم وحشمهم ليُسْمَنُوهم في الزوايا مثل الحيوانات النهمة، وليتلفوا لا عقولهم وحدها، بل أجسامهم التي سيدركها بلا شك الخمول للانراط في الملذات، فتظل في حاجة مستمرة الى النوم الطويل والحمام الساخن، والراحة والابتعاد عن الجهد، وبعبارة أخرى ستكون بحاجة الى العناية والرعاية قدر ما يحتاج دوو الأسقام والزمنى إنه في الواقع لمعجزة خارقة ان يتم الوصول الى هذه النتائج.

(٢٨) اقرأ وصفاً لهذا الكأس الفخاري في الفقرة التي كتبها «كريتياس» وهي في الأثينيوس ١١: ١٠.  
(٢٩) تعمق كزينفون في تحليل اسباب ذلك فراح ابعده مما ذهب اليه بليتارخ وغيره اي انها ترمي الى قمع الرغبة بالترف. فقال ان المائدة الجماعية تقوم مقام مدرسة أو هي بمثابة معهد علمي يقوم فيه الكبار على تهذيب الصغار بان يقصوا عليهم قصص الأحداث العظمى التي علقت بذاكراتهم وبهذا يثيرون في نفوس الجيل الجديد حبّ المعالي والشوق للاتباع بأشرف العمل. لكن وجد ان هذا لا يمكن اني يتحقق فعلاً بالنسبة لجميع المواطنين عندما زاد عددهم على عدد قطع الأراضي المقرر توزيعها لذلك انتقد المؤرخون ليكورغوس وقالوا: كان عليه ان يجعل هذه الموائد الجماعية على حساب الدولة مثلما جرى ذلك في (كريت) وبعد ان اقتبس معظم شرائعها منها (ارسطو: السياسة ٢: ٨). لكن علينا ان نتذكر بانهم كانوا قد أحتاطوا لتلك الزيادة في السكان بارسال مستوطنين الى الخارج لذلك لم ينقل الفقراء عبء ليقيديمون الى أن اصيبت الحكومة بالانحلال.

على أن «أعظم ما يمكن أن يُسلب من الغنى ليس مجرد الشهوة الى التملك، وإنما طبيعة الغنى نفسها» على ما لاحظته [تيوفراستوس Theophrastus]، فبارغام الاغنياء على مجالسة الفقراء لتناول الطعام من مائدة واحدة، لا يسعهم ان يفيدوا من ثرائهم ولا أن يستمتعوا به ولا ان يرضوا كبرياءهم بالنظر اليه أو عرضه على الأنظار. ولذلك لا توجد بقعة في الدنيا يصدق فيها المثل السائر بالحرف الواحد «بلوتوس Plutus آله الغنى، أعمى» مثلما يصدق في سبارطا. وهو هنا ليس أعمى فحسب، بل مثل صورة لا حياة فيها ولا حركة.

ولا يسمح لأحد أن يتناول طعاماً في بيته أولاً ثم يحضر الموائد العامة فكل امرء هناك يراقب اولئك الذين لا يأكلون ولا يشربون كالباقين ويعيرونهم بالتخث والرقّة.

هذا القانون الأخير اغاظ الاغنياء واستنفذ صبرهم بنوع خاص فاجتمعوا كتلة واحدة نائرة على ليكورغوس، وانتقلوا من الكلمات الجارحة الى رجمه بالحجارة. حتى اضطر الى ترك السوق هارباً واتجه الى ملاذ مقدس لاتقاذ حياته وشاء حسن حظّه ان يسبقهم جميعاً إلا شاب يدعى [ألكاندر Alcander] لم يكن فظاً بطبعه، وأن عرف عنه التسرع والصف، فقد لحق به وحاذاه ولما التفت ليكورغوس نحوه ليرى من المطارذ عاجله بضربة عصا على وجهه. ففقأه عينا. فتوقف ليكورغوس دون أن تؤثر هذه الحادثة فيه أو تغلّب من غراب عزمه. وكشف عن وجهه المشوّه وعينه الجاحظة لانظار بني قومه فأدركهم الأسف والحجل، ودفعوا بالضارب اليه ليقتصّ منه وصحبوه الى بيته وهم في غمّ شديد لاعتدائهم عليه وبعد ان شكرهم ليكورغوس على اهتمامهم بأمره صرفهم جميعاً واستبقى [الكاندر] وأدخله بيته ولم يوجه اليه كلمة غاضبة، أو عملاً عنيفاً. ولكنه صرف أولئك الذين يجالسونه على المائدة، وطلب من [الكاندر] أن يقوم على خدمته. وكان الفتى طيباً بطبعه فقام بما طُلب منه دون تدمر أو شكوى، وسمح له أن يشاطره العيش فاتيحت له الفرصة ليتبين فيه رقتّه المأثورة، وهدؤ طبعه فضلاً عن راحة عقله الفائقة وجلده على العمل الذي لا يعرف وهناً وما الى ذلك. فأنقلب من عدو له، الى أشدّ المعجبين به تحمساً ومشايعة. وأخير اصداقاه وأقرباه ان ليكورغوس ليس بذلك الشخص الجهم السيء الطبع الذي توهمه الكثيرون من قبل بل يمتاز بالطف وأرق طباع في الدنيا. وهكذا جعل ليكورغوس من شاب أهوج مندفع، واحداً من أكثر المواطنين السبارطيين اتزاناً ورجاحة، بدل أن يعمد الى عقابه عن خطاه.

واحياءً لذكرى هذه الحادثة أقام معبداً لمينرفا، سمّاه [اوپيتليتيس Optiletis]. إن كلمة [أوبتيلوس Optilus] هي اللفظة الاغريقية الدارجة في تلك الأنحاء ومعناها «عين» [اوفتالموس Ophthalmus] ويقول بعض الكتاب الذين كتبوا رسالة عن جمهورية سبارطا،

ومنهم [ديسكوريدس Dioscorides] أنه جرح حقاً، ولكنه لم يفقد عينه نتيجة الضربة. وأنه بنى المعبد اعترافاً بفضل شفائه. ومهما يكن من أمرٍ ومهما بلغت هذه الروايات من الحقيقة، فبعد هذا الاعتداء، استنّ اللقيديميون لأنفسهم مبدأ حمل ما لا يزيد عن عكازٍ في اجتماعاتهم العمومية.

ولنعد الآن الى وجبات الطعام العامة؛ إن لها عدة أسماء باليونانية فأهالي كريت يسمونها [أندريا Andria] لأنها للرجال فقط. والليقديميون يسمونها [فيديتيا Phiditia] بقلب «اللام» الى «دال» في كلمة [فيليتيا Philitia] ومعناها «الحب في المآدب» لأن الطعام والشراب المشترك يعقد حبال الود. أو لعلها جاءت من [فيدو Phido]، أي الشح والتقيتر، لأنها بمثابة مدارس عديدة للاعتدال وربما كان الحرف الأول زيادة في الكلمة التي هي بالأصل [ايديتيا Editia] أي الأكل من [Edode]. وهم يجتمعون زمراً من خمسة عشر أو نحوها. وعلى كل فردٍ منهم أن يساهم في اداء بوشل واحدٍ من الخبز، وثمانية غالونات من الخمر، وخمسة پاوندات من الجبن وپاوندين ونصف پاوند من التين ومبلغ طفيف جداً من المال لابتياح سمك أو لحم شهرياً للمائدة العامة. والى جانب هذا إذا قدم أي واحدٍ منهم قرباناً للأرباب فهم يرسلون على الدوام صدقة الى القاعة العامة. كذلك عندما يصطاد احدهم قنيسة «فانه يرسل الى الجهة نفسها، شيئاً من قنيسته. وفي هاتين المناسبتين فقط يسمح للمرء أن يتناول طعامه في بيته. وقد بقيت عادة الطعام الجماعي سارية المفعول بكلّ دقةٍ زمنياً طويلاً بعد ليكورغوس. حتى أن [آغيس Agis] الملك نفسه بعد أن هزم الاثينين أرسل عند عودته الى بلاده يطلب الحصة المعينة من المائدة العامة معتذراً بأنه يرغب في تناول طعامه مع الملكة في خلوة<sup>(٣٠)</sup> فرفضها [الپوليمارخوس<sup>(\*)</sup>]. وهو الرفض الذي أحق الملك واحفظه حتى انه الغى مراسم صباح اليوم الثاني الخاصة بتقدم القرايين الواجبة لكلّ حرب طيبة الختام، فما كان فهم الأ وحكموه بتأدية غرامة.

وكانوا يرسلون صغارهم الى هذه الموائد كأنما يرسلونهم الى مدارس تهذيب وتشقيف. فيلقنون فيها شؤون الحكم وادارة والدولة باصغائهم الى رجال السياسة المجربين. وفيها يتعلمون كيف يطرزون احاديثهم بالنوادر وأن يتبادلوا المزاح والتندر دون حدّ الإيلام وأن يتقبلوها برحابة صدرٍ وفي هذه النقطة من حسن التربية فاق اللقيديميون غيرهم بصورة خاصة.

(٣٠) كان الملوك اسبارطا حق دائم في تناول وجبتين من الطعام. ليس للسماح لهم باظهار مزيد من الشهوة. بل لتتاح لهم فرصة مشاركة حصتهم من الغذاء مع رجل مشهود له بالشجاعة يختار لينال هذا الشرف. (\* ) الپوليمارخوس السبارطيون هم الذين يقودون الجيش تحت امرة الملوك. انهم كبار رجال الدولة وهم دائماً يوزعون الطعام على المائدة.



ولكن ما أن يُبدي المرء ضجراً منها حتى يكف الجميع عن توجيه القول له بعد إشارة خفيفة جداً. وجرت العادة أيضاً أن يقول أكبر الزمرة سنّاً لكلّ منهم مشيراً الى الباب عند دخولهم: «لا تخرج كلمة واحدة من هذا الباب». وإذا رغب أحد في الانضواء الى احدى هذه الزمر الصغيرة فعليه ان يفوز في الاختبار التالي: يأخذ كل عضو من أعضاء الندوة كرة صغيرة من العجين. ويلقونها كلُّ بدوره في أنية عميقة يطوف بها عليهم نُذُل وهي فوق رأسه فمن يرغب في انضمام المرشح الى ندوتهم يلقى كرتة في الأنية دون أن يغير من هيئتها ومن لا يريده يضغطها بين أصبعيه ويجعلها مسطحة وهذا ما يعادل التصويت بالرفض. وإن وجدت عجينة مدحاة واحدة فقط لا يقبل المرشح، إذ يشترط الإجماع عليه، ليكون كُُلُّ أعضاء الزمرة متفاهمين بعضهم مع بعض، ويطلق على الأنية [كاديخوس Caddichus] ومنه اشتق اسم المرشح المرفوض (\*). وأشتهر لون من الطعام عندهم هو العصيدة السوداء وهي ذات قيمة غذائية كبيرة بحيث كانت طعام كبار السن الوحيد، فهؤلاء كانوا يتحسّونها ويتركون اللحم لمن دونهم سنّاً. ويقال أن ملكاً من ملوك<sup>(٣١)</sup> [البنطوس Pantus] سمع الكشير عن عصيدتهم السوداء تلك فبعث يستقدم طاهياً ليقدّمونياً ليعمل له شيئاً منها. ولما ذاقها استقبلها ولم تعجبه قطّ وكان الطاهي يرقبه فقال له «لأجل أن تجعل هذه العصيدة شهية عليك يا مولاي أن تغتسل في نهر ايروتاس Eurotas!».

وينصرف كل رجل الى داره بعد أن يشرب خمراً باعتدال ولا يستخدم نوراً لأن استخدام النور ممنوع مهما كانت احلك الظروف، والسبب في هذا هو أن يعودوا أنفسهم على السير بجراة في الظلام<sup>(٣٢)</sup>، تلك هي القواعد العامة المتبعة في وجبات طعامهم.

لم يضع ليكورغوس قوانينه في مدونات، ومع أنه لا يوجد في أي [ريترا] ما يمنعه صراحةً. لأعتقاده بأن أكثر النقاط فائدة، ومعظم ما هو أكثر تعلقاً بالمصلحة العامة، انما ينطبع في قلوب الشباب بالضبط والربط الجيدان. ويبقى بالتأكيد، ويجد مكاناً أحفظ له واطمن من أي شكل من أشكال الإرغام، هذا هو التثقيف، أي مبدأ العمل الذي وضعه أعظم المشترعين وأفضلهم. وإمّا عن المسائل الأقل أهمية، كالعقود المالية والتجارية وأمثالها التي تتغير أشكالها وصيغها بتغيير الظروف والأحوال فقد رأى من الأوفق الأ يضع لها قاعدة ثابتة، أو

(\*) ولعل كلمة Candidate التي تطلق على كل مرشح لاية انتخابات مأخوذة من هذه.

(٣١) سرد بلوتارخ الحكاية في موضع آخر وعزاها الى (ديونيسيوس) طاغية صقلية ويؤكد شيشرون أيضاً بأنه الشخص المقصود. واقرتاس هو نهر سبارطا.

(٣٢) يقصر كزنيفون هذا المنع على الشبان. ويقول ان الغرض منه هو بقاؤهم بحيث لا يخطئون طريقهم الى منازلهم!

صيغة معينة، متوقفاً أن أشكالها ونصوحها خاضعة لتقلبات الأزمان وإرادات الناس ذوي الأحكام الصائبة، وفي عرفه أن الثقافة هي غاية كل قانون وهدف كل نظام.

لذلك كان من مبادئه أن لا تدون تلکم القوانين. وشرع قانوناً موجهاً بصورة خاصة ضدّ الترف والبذخ، فقد رسم به أن لا تهنّدم سقوف البيوت بأكثر من الفأس، وأن لا تسوّى ابواب المنازل بغير المنشار، ويمكن القول أن ليكورغوس كان يهجس بصحة قوله [إيامننداس] عن مائدته «الخيانة، وعشاء كهذا لا يمكن أن يجتمعا معاً»<sup>(٣٣)</sup>. الترف وبيت كهذا لا يمكن أن يكونا صاحبين. إذ لا بدّ أن يكون المرء مأفوناً أحق ليفرش منزلاً بسيطاً وكهذا وغرفاً عادية ارائك ذات ارجل مفضضة وبسط عليها أغطية ارجوانية، ويروقها بصفائح الذهب والفضة. لاشكّ ان لديهم الادراك ما يجعلون أسرتهم مناسبة لبيوتهم وأغطيّتهم مناسبة لأسرتهم وباقي ادواتهم المنزلية وأثاثهم مناسبة للأغذية. ويروى أن الملك [ليوتخيدس Leotychises] الأول. كان يجهل تقريباً وجود اشياء غير هذه الأثاث البسيطة، ولما دعي الى كورنث، وأدخل غرفة فخمة أدركته الدهشة الشديدة لرؤيته خشب الاعمدة والسقف منحوتاً نحتاً بديعاً ومكفناً فسأل مضيغه أتنمو الأشجار في بلاده مربعة هكذا؟<sup>(٣٤)</sup> وكان المبدأ الثالث (الريترا الثالثة) أن لا يشنوا الحرب كثيراً وان لا يجعلوا الحرب الطويلة مع العدو الواحد. لثلا يفيد منها تدريباً، ويتعلم فنونها باضطراره الى الدفاع المستمر عن نفسه. وهذا ما كان مصدر لوم كثير لأغيسلاوس Agislaus بعدها بزمان طويل إذ وُجد أن هجمات المستمرة على (بيوسيا)<sup>(٣٥)</sup> جعل الليثيين اقرباً أكفاء لليقديميين ولذلك معندما رآه [انتالكيداس Antalcides] جريحاً يوماً ما، قال له: لقد أجزل لك العطاء عن الجهود التي بذلتها في جعل الليثيين جنوداً أكفاء، شأوا أم أبوا». هذه القوانين سميت (ريترا) للدلالة على انها نبؤات أو قوانين إلهية مقدسة تقف في منزلة الوحي<sup>(٣٦)</sup>.

ولأجل أن يشقف شبابهم ثقافة حسنة (وهو في رأي ليكورغوس أهم وأنبل عمل للمشترع كما قلتُ آنفاً)، فقد ذهب تفكيره ابعده مذهب حتى بلغ به الى الاهتمام بهم من وقت الحمل بهم وولادتهم، مبتدئاً بتنظيم الزواج. لقد كان [ارسطو] مخطئاً في قوله ان ليكورغوس بعد

(٣٣) جوقينال ٢٦:١٠ Nulla aconita libuntin Fictilibus.

(٣٤) يجب ان لا يعتبر ملقي هذا السؤال غيبياً أو جاهلاً بالتجارة الى هذا الحد. فهو في الحقيقة نوع من السخرية بينايات كورنث الفخمة.

(٣٥) كما ظهر ذلك واضحا في معركة (ليوكترا) إذ هزم (إيامننداس) اللقيديمين فحسروا ملكهم كليوبرتس وزهرة مقاتلي جيشهم.

(٣٦) أو ربما لأنها لم تكن مكتوبة، تنتقل من فم الى أذن الى فم.

تجربته كل الطرق لردّ النساء الى الرزانة والدمائة، اضطر أخيراً الى تركهن على ما هن فيه. ذلك لأن زوجات الرجال الذين يقضون معظم ايام حياتهم في الحروب يكونون مضطرين الى تركهن اثناء غيابهم سيدات البيت المطلقات فينهين ويأمرن ويتصرفن على هواهن، ويعاملن باحترام فيه كثير من الافراط ويطلق عليهن لقب السيدات والأميرات. هذا ما يقوله ارسطو والحقيقة أنه بذل في مسألتهن أكثر ما امكنه من الجهود. فأمر أن تمارس الفتيات رياضات المصارعة والعدو ورمي القرص وقذف الرمح حتى تنمو ثمرات أحشائهن في أجسام قوية صحيحة وتتخذ جذوراً لأثبت وتجد وسطاً للنمو أفضل، وتكون النتيجة أنهن يكنّ أقدر على تحمل متاعب الحمل والأمه بهذه القوة التي اجتمعت لهن. ولأجل أن يزيل منهن رقتهم المفرطة، وخوفهن من التعرض لتقلبات الجو وكُلّ ما هو من طبيعة الأنثى أمر بأن تخرج الفتيات في المواكب العامة عاريات الشبان وان يرقصن أيضاً بهذا الوضع في بعض الأعياد الدينية وينشدن أناشيد معينة. في حين يفكك الشباب حوالينهم يسمعونهم ويشاهدونهم. وفي هذه المناسبات يعرضن بأسلوب المزاح تعريضات مناسبة بأولئك الذين لم يبلوا بلاءً حسناً في القتال كما ينشدن أناشيد الثناء والإشاعة بأولئك الذين أظهروا البطولة وبهذه الوسيلة يرفعن من معنويات الشباب للمنافسة في حلبة المجد والفخار، وينصرف المدوحون وقد أمتلاوا اعتزازاً ورضىً بالمكانة التي كسبوها عند الفتيات. أما أولئك الذين عرضن بهم فإن التأثير الذي يحدثه فيهم لا يقل وقعاً عن التوبيخ الرسمي والأنتكى من هذا كله أن ذلك يتم بسمع ومرأى من الملوك والشيوخ وكلّ سكان المدينة.

وليس في تعريّ الفتيات على هذه الشاكلة ما يخجل أو يجلب العار. فالعفة تحوطين، وكلّ عوامل الشهوة والفجور لا محلّ لها. ان ذلك يعلمهن البساطة والاهتمام بالصحة ويكسبهن ذوقاً خاصاً للمشاعر والأحاسيس السامية، لأنه يفسح لهن السبيل الى ميدان الأعمال النبيلة والمجد. ولذلك كان من الطبيعي أن يفكرن، ويتكلمن مثل [گورگو Gorgo] امرأة (ليونيداس). فقد قيل أن سيدة أجنبية قالت لها على ما يظهر أن النساء الليقديونيات، هن الوحيدات في الدنيا اللآتي يحكمن الرجال، فأجابتها: «ولسبب وجيه، لأننا النساء الوحيدات اللآتي يلدن رجالاً».

ان هذه المواكب والمسيرات النسائية العامة وظهور الأناث عاريات في اثناء رياضاتهن ورقصهن، لهن من محرّضات الزواج، «لأنها تعمل في نفوس الشبان بشدة الحب وصدقه، إن لم يكن بدقة الرياضيات وصدقها» - كما يقول افلاطون(\*) . ثم زاد على هذا بعدد من

(\*) في الجمهورية.

الاجراءات فجرد اولئك الذين آثروا حياة العزوبة<sup>(٣٧)</sup> الى درجة ما من حقوق المواطنة بحكم القانون، فقد استثنوا من مشاهدة المواكب العامة حيث الشبان والشابات يرقصون عراة. وفي ايام الشتاء يرغمهم الضباط على السير وهم عراة حول ساحة السوق ينشدون نشيداً فيه هجاء وتحقير لأنفسهم يتضمن ما معناه أنهم يستحقون هذه العقوبة لتمردهم على القوانين. زد على هذا أنهم محرومون من مظاهر التجلة والاحترام التي يقابل بها الفتيان كبار قومهم وشيوخهم. فمثلاً لم يجب أحد ما قيل لدركيليداس Dercyllidas وهو قائد شهير بارز، عندما دنا يوماً من شاب، فلم يقم هذا احتراماً له بل بقي جالساً وقال «لن يفسح ولدك مكاناً لي».

وفي الزواج يحمل الزوج عروسه بما يشبه القوة والإكراه، لا لأن العرائس صغيرات السن ضعيفات الجسم، بل يكن عادة في شرح شبابهن وتام نضوجهن وبعد ذلك تأتي المرأة المشرفة على مراسيم الزفاف وتقص شعر العروس جمعاً حول رأسها وتلبسها ثياب الرجال وتتركها فوق مطرح في الظلام فيأتي العريس وهو مرتدي ثيابه الاعتيادية زريناً هادئاً، بعد أن يكون قد تناول عشاءه على المائدة العامة ويدخل غرفة العروس وحده ويحل رباط منقطة عذرتها ويفتضحها وبعد ان يبقى فترة من الوقت معها يعود بهدوء الى مسكنه لينام كالعادة مع الشبان الآخرين، ويستمر على هذا المنوال: يقضي ايامه بل لياليه مع اصحابه، يزور عروسه بين الفينة والفينة زورات الوجل الخجل مستعيناً بالكتمان، إذ ينبغي أن لا يشاهده أحد وعلى المرأة نفسها أن تستخدم ذكاءها وحيلتها لايجاد فرص حسنة للقائهما عندما تكون زمرة الشاب منشغلة عنهما. ويعيشان على هذه الشاكلة زمناً طويلاً وقد يرزق الازواج باولاد قبل أن يشاهدوا وجوه زوجاتهم في ضوء النهار. إن اجتماعاتهما النادرة العسيرة تفيد لا لتمرير أنفسهما عن ضبط الإرادة، وأخذ النفس بالحزم فقط، بل لتجمعهما معاً بجسدين قوين صحيحين وبعاطفة متجددة حيّة نشيطة لم يخمدها ويذبلها الافراط في الشهوة والجماع المستمر ويكون افتراقهما مبكراً على الدوام بحيث يترك في نفس كل منهما بقية نارٍ مشتعلة من الشوق واللذة المتبادلة. وبعد احاطة الزواج بمثل هذه الحشمة والتحفظ، أهتم بازالة الغيرة النسوية الفارغة اهتماماً مساوياً. فحرم كل انواع الفجور، ولكنه اعتبر مما يشرف الرجال أن يسمحو لأولئك الذين يتوسمون فيهم النجاسة والخير - بمضاجعة نسوانهم لأجل

(٣٧) يحدد الوقت للزواج. وان لم يتزوج الرجل في سن البلوغ فانه يتعرض للعقاب كما يعاقب كل من يتزوج من كان عمره ازيد أو أقل. ومن كان اباً لثلاثة اولاد فانه يتمتع بامتيازات كثيرة. ومن كان ابا لأربعة أعفى من الضرائب. والعذارى الباكرات يتزوجن من غير بائنة لأن الحاجة لا تمنع الزواج ولا الغنى يحث عليه. ويضيف (كليارخوس) تلميذ ارسطو ان هناك عيداً في سبارطة يسمح فيه النساء بجلد العزاب حول المذبح ليرغموا بشعور من الخجل والألم على الزواج!

الإنجاب<sup>(٣٨)</sup>، مستخفين بأولئك الناس الذين يرون ان هذا النوع من المُلْك مما لا نصح المشاركة فيه، محتقرين سفك الدماء واثارة الحروب في سبيله. وسمح ليكورغوس للطاغين في السن ان يختاروا شاباً معروفاً بحسن الخلق والسيره لمضاجعة نسوانهم الصغيرات السن حتى يكون لهم ابناء من هذا الوصال، يرثون سجايا الوالد الطيبة، واذا وقع رجلٌ مستقيم السيره في حبّ امرأة متزوجة، بسبب حشمتها، وحسن تربيتها لأولادها فله أن يطلب من زوجها وصالها بكلّ بساطة، حتى يُنبت له من قطعة الأرض الطيبة هذه أولاداً صالحين، كان ليكورغوس يعتقد أن أولادهم ملك للدولة قبل ان يكونوا لأبويهم، ولذلك لم يكن يريد أن يولد المواطنون من نطفة أول مواصلٍ للمرأة، بل باختيار أفضل الرجال. لقد بدت له قوانين البلاد الأخرى سحيقة عقيمة لاتلائم العصر، فالناس هناك شديداً الحرص على أنسال كلابهم وخيولهم بيدون اهتماماً كبيراً بها ويبدلون مالاً كثيراً ليحصلوا على نسلٍ محسنٍ منها، في حين يستأثرون وحدهم بزوجاتهم ويحبسونهن لأنفسهم فقط ويستولدونهن، وقد يكونون ضعفاء العقل مرضى، سقيمي الاجسام. كأنما لا يدرون أنهم أول من سيعاني مغيبةً إستيلاد أطفالٍ عليين لأنهم سيضطرون الى تربيتهم والعناية بهم. والأمر خلاف ذلك لو كان الأطفال حسني الصفات. هذه القواعد التي اقيمت على أسس طبيعية واجتماعية، لا صلة لها قطّ بالحرية الفاجرة التي اتهمت نساؤهم بها فيما بعد، ذلك لأن الزنا كلمة لا معنى لها قطّ عندهم. وقد روي مثلاً عن [جيراداس Geradas]<sup>(٣٩)</sup> وهو من السبارطيين الأقدمين، أن أحد الأعراب سأله:

- ما هي العقوبة التي فرضتها قوانينهم على الزناة؟ فأجاب:

- لا يوجد في بلادنا زناة.

فقال الغريب:

- ولكن هب أنهم وجدوا.

فأجاب:

- عند ذلك يجب على المدعى عليه أن يقدم على سبيل الغرامة، ثوراً يبلغ عنقه من الطول ما

يجعله قادراً على شرب الماء من نهر افروتاس تحتته وهو واقف في رأس تايفتوس Tay-

getus<sup>(٤٠)</sup>، فتعجب الرجل من هذا وقال:

(٣٨) وستى الملوك من ذلك. ان لا يسمح لهم باعارة نسانهم.

(٣٩) في كتابه «الاخلاق» يشبه: جيراداتوس.

(٤٠) أعلى جبل في سبارطا. ومنه يمكن البلوبوتيس كلها.

- محال أن يوجد ثور كهذا.

فأجاب [غيراذاس] باسمًا:

- يمكن بقدر ما هو ممكن العثور على زان في سبارطة.

وفي هذا الكلام عن الزواج الكفاية.

ليس في مقدور الأب أو سلطته أن يربي ابنه كما يشاء. وعليه أن يعرضه على خبراء مختصين في موضع يدعى [ليسكه Lesche] وهؤلاء هم شيوخ القبيلة التي ينتمي إليها الطفل ومهمتهم أن يفحصوا الطفل فحصاً دقيقاً فإن وجدوه قوياً حسن التركيب اصدروا قرارهم بتنشئته وبتربيته ويمنح سهماً من سهام الأرض التسعة آلاف التي أسلفنا ذكرها: لأجل الانفاق عليه منها. وإذا وجدوه سقيماً ضئيلاً سيء التركيب أمروا بأخذه إلى ما مُسمّي [أپوثيتي Apothetae] وهو يشبه غوراً من الأرض يقع تحت [تايجيتوس]. فهم لا يرون من مصلحة الطفل ولا من مصلحة المجتمع أن يبقى في الحياة إن لم يظهر من فجر حياته ما يدل على أنه سيكون متين البيان صحيح الجسم. ولهذا السبب نفسه لا تغسل النساء الوليد بالماء، كما جرت العادة في البلاد الأخرى، بل يغسلنه بالخمير ليعجمن عود الأجسام وقابليتها. إذ انهن يعتقدن بأن الأطفال الذين يولدون بداء الصرع، أو بكيان سقيم، سيموتون بحمام الخمر هذه، بخلاف ما لو كانوا اقوياء اصحاء فأنها تقوي وجودهم وتشد من عضلهم وتجعلها كالحديد المسقي. وتستخدم المرضعات فنوناً وضروباً من العناية بهم، فلا يشدونهم بالاقمطة والأربطة فتنشأ أجسامهم حرّة ولا تنضغط اعضاءهم وتشوه، ولا يكونون منتطحين في اختيار طعامهم. ولا يخشون الظلام أو يخافون البقاء وحدهم، بدون تهيّب أو قلق أو بكاء<sup>(٤١)</sup>. ولهذا تتسابق البلاد إلى استقدام واستئجار المرضعات السبارطيات وذكر أن مرضع [الكبياديس Alcibiades] سبارطية. وإذا كان محظوظاً في مرضعته، فإنه لم يكن كذلك في معلّمه، إذ يخبرنا افلاطون ان وصيّه [پريكليس Pericles] اختار لهذه الوظيفة خادماً اسمه [زوپيروس Zopyrus] لا يفضل اي عبد عادي في شيء.

كان رأي ليكورغوس مختلفاً، فلم يسمح أن يؤتى بالمعلمين لصبيان السبارطين عن طريق شرائهم من السوق. ولا يعطي لهم أجراً على اتعابهم ولم يجز شرعاً أن يقوم الآباء على تربية أولادهم كما يحلو لهم. ولكن ما أن يبلغوا السابعة من العمر حتى يُضمّوا إلى فصائل وصفوف مدرسيّة في ظلّ نظام وضبط واحد يؤدون تمارينهم ويلعبون معاً. ومن يبرز منهم في

(٤١) يجيز ارسطو البكاء للاطفال (السياسة ١٧:٧) بوصفه نوعاً من انواع الرياضة فيه فائدة للصحة والنمو!

الجسارة ويظهر احسن السلوك بعين رئيساً لهم: فيتابعونه بانظارهم ويطيعون أوامره ويتحملون بصبر اي عقاب يفرضه عليهم. وهكذا يكون كل مناهج ثقافتهم وتربيتهم تمرناً مستمراً للطاعة التامة السريعة. ويكون كبار السن في موضع الرقباء على ما يعملون. وكثيراً ما يثيرون بين الصغار خصاماً وشجاراً حتى تسنح لهم منها فرصة لمراقبة طباعهم المختلفة، ولتبتينوا الجسور من الجبان عندما يبلغون مرحلة التعرض الى المخاطر الجسام. ولا يلقنونهم من القراءة والكتابة الا بقدر ما يحتاجون اليه في حياتهم المدرسية، والاهتمام الرئيس منصباً على جعلهم مواطنين صالحين، وتعليمهم كيفية احتمال الألم، والنصر في المعركة، تمرّبهم الأعوام وهم يزدادون ضبطاً وخضوعاً للنظام. وتراهم برؤوسهم الخليقة، يسيرون حفاة بدون نعال، ويلعبون أغلب لعبهم وهو عراة.

ولما يبلغون الثانية عشرة، لايسمح لهم بارتداء ثياب داخلية وكساؤهم الوحيد هو عباءة واحدة تكفيهم سنة كاملة. وأجسامهم جافة صلبة لاتعرف الحمامات ولا الأدهان، فهذا الترف البشري لا يسمح لهم به إلا في ايام قليلة معينة من السنة ويسكنون معاً في زمرة صغيرة، وينامون على فراش من بنات القش الذي ينمو على ضفاف نهر [يوروتاس]. وهم يكسرونه ويسوونه بأيديهم بدون سكاكين، وإذا كان الزمن شتاء خلطوا به شيئاً من الحسك اذ يعتقدون ان في هذا النبات صفة اشاعه الدفء.

وفي الوقت الذي يبلغون هذه السن لا تجد أحداً من الصبيان المبرزين فيهم إلا ولديه محباً يصاحبه ويعاشره. ويهتم الرجال الكبار بهم أيضاً وكثيراً ما يأتون الى ميدان الالعاب ليسمعوهم ويشاهدوهم يتبارون بعضهم مع بعض إما بالحديث أو بقوة العضل. ويرقبون الأمر بجدّ واهتمام عظيمين كما لو كانوا اباؤهم او مدرسيهم، أو محكميهم. ويندر ان تجد ملعباً خالياً من شيخ واحد على الأقل في اي وقت أو مكان، لينبهم الى واجبه أو ليعاقبهم أن وجد اهمالاً فيهم.

والى جانب هذا، يعينون شخصاً من أكثر رجال المدينة صلاحاً واستقامة للإشراف عليهم وادارة شؤونهم. فيقوم بتنظيمهم في عدة فصائل ويُعين رئيساً لكل فصيلة، يختاره منهم متميزاً بالجراءة وحسن الخلق ويسمى [ايرين Iren] ويكون عمر الايرين عشرين عاماً، أي يزيد عن أعمار رؤسياه سنتين عادةً أما أكبر الفتيان عمراً فهم [مئل - ايرين Mell - Iren] أو كما لو قلت، «شرف للرجولة». اذن يكون هذا الشاب رئيسهم، عندما يقاتلون، سيداً لهم في زمن السلم يستخدمهم في شؤون بيته، ويبعث بأكبرهم سنأ للاحتطاب. ويرسل أضعفهم وأقلهم قابلية لجمع الأعشاب والخضروات. فبما عادوا خالي الوفاض، وإمّا عمدوا الى

سرقته، ويتم ذلك بأن يدخلوا البساتين زحفاً، أو يتسللوا بخفة وسعة حيلة الى غرف الطعام. فإذا قبض عليهم متلبسين جلدوا بلا رحمة. لقيامهم بالسرقة على هذا النحو الفاضل الخالي من المهارة. ويسرقون أيضاً ما تقع عليه ايديهم من اللحم وهم متربصون متحينون كل فرصة عندما ينام الناس أو يغفلون على غير عاداتهم. فإن قبض عليهم لا يكتفى بجلدهم بل تجويعهم، باقائهم على حصتهم الاعتيادية من الطعام وهي لاتسد رمقاً. ويكون ذلك التجويع عن قصد لتضطرهم الحاجة الى وضع نشاطهم وحيويتهم موضع التطبيق<sup>(٤٢)</sup>. وهذا هو الغرض الأساس المتوخى من اعطائهم وجبات غير كافية يضاف اليها غرض آخر لا يقل اهمية وهو أن تطول قاماتهم. لأن حيوية الروح ترتفع بخفة الجسم الطبيعية، في حين انها تنوء تحت ثقل الكميات الفائقة الحد من الغذاء الذي لايجد له منصرفاً إلا في البدانة والسمنة، والجسم يزداد طولاً وينمو وترعرع اذا كان لدنا<sup>(٤٣)</sup>. والجسم الجاف العود، اللدن هو خيرها تعرضاً لعناصر الطبيعة، أما الاجسام الضخمة المفرطة في التغذية فتكون ثقيلة وأقل صلاحاً للتعرض للطبيعة. وخير مثال نجده في النساء الحاملات اللاتي يتعاطين الحمية في غضون أشهر الحمل، فهن يضعن أطفالاً ارق جسماً واصغر حجماً، ولكنهم يكونون احمل وجهاً وابدع تكويناً. لأن المادة التي صيغوا منها الين وأسهل تكويناً. اما السبب في كل هذا، فأترك تقديره لغيري.

ولنعد الآن الى موضوعنا الذي بترناه - يهتم أطفال الليقديمين بشؤون السرقة اهتماماً جدياً، حتى أن شاباً سرق ثعلباً واخفاه تحت عباءته فراح هذا الحيوان يمزق احشاه تمزيقاً والشاب صابر على ما تعمل فيه مخالبه واسنانه ومات لساعته ولم يكشف المسروق. وما يجرى تطبيقه اليوم في [ليقديمون] يكفي للبرهان على صدق هذه الحكاية. فقد شاهدت انا نفسي عدداً من الفتيان يجلدون حتى الموت تحت درجات مذبح [ديانا] الملقبه [اورتيا]<sup>(٤٤)</sup>.

و[الاييرين] أو مساعد الرئيس، يمكث وقتاً قليلاً مع الشبان بعد العشاء ويطلب من أحدهم أن يغني أغنية، ومن آخر ان يطرح سؤالاً يقتضى جواباً دقيقاً وإعمال فكر. مثلاً: من هو خير

(٤٢) من هذا يتضح ان القصد ليس تشجيعهم على السرقة أو تعويدهم عليها بخفة ومهارة. بل القصد الحقيقي هو تعويدهم السرعة والحذر في اوقات الحرب والأزمات.

(٤٣) لعل المقصود هنا [دياناتوريكا] التي جلب اورستوس تماثلها الى لقيديمون على ما قيل، ومان البشر قرايينها، يزعمون ان ليكورغوس ابطل هذا النوع من القرايين واستبدلها بجلد الشبان حتى يلطخ المذبح بدمائهم على الأقل.

(٤٤) اعل المقصود هنا [دياناتوريكا] التي جلب اورستوس تماثلها الى لقيديمون على ما قيل. وكان البشر قرايينها، يزعمون ان ليكورغوس ابطل هذا النوع من القرايين واستبدلها بجلد الشبان حتى يلطخ المذبح بدمائهم على الأقل.



الرجال في المدينة؟ ما هو رأيه في العمل الفلاني الذي قام به الشخص الفلاني؟ وهكذا يدرّبونهم في هذه السن المبكرة ليصدروا أحكاماً صائبة على الأشخاص والاعمال وليكونوا على علم ومعرفةٍ بقابليات ومواطن ضعف ابناء قومهم ومن لا يملك جواباً أنياً عن سؤال من هو المواطن الصالح ومن هو المواطن الطالح، ينظر اليه وكأنه مخلوق غيبي قليل الاهتمام. لا يملك شعوراً بالشرف والفضيلة، أو قلّ ما يملك منه، وفضلاً عن هذا يجب أن يعللوا اجوبتهم بالأسباب الوجيهة المعقولة وبعبارات مقتضبة خالية من الاطناب، كثيرة المعنى. ومن يفشل في هذا، أو لا يكون جوابه موفياً بالغرض، يعضّ الرئيس إبهام يده! وينفذ الايرين هذه العقوبة أحياناً في محضر من الشيوخ والمحكمين حتى يتبينوا هل يعدل في تنفيذ العقوبة حسبما يستحق صاحبها. فاذا أخطأ في ذلك لا يعنّفوه امام الفتيان ولكنه يستدعى بعد انصرافهم ليقدم حساباً على خطأه وليودّب أفاسياً كان في تطبيق العقوبة، أم رحيماً.

ولعشاقهم، ولمصطفاهم سهم أيضاً في تكريم الفتيان أو تعزيرهم وهناك قصة تروى أن حكماً غرم أحدهم لأن الفتى الذي يحبه، بكى كالانثى أثناء ما كان يقاتل. وهذا النوع من الحب لا غبار عليه فيما بينهم بحيث ان معظم الأمهات الفاضلات لا يتحرجن في الكلام عنه امام الفتيات الصغيرات، والمنافسة فيه لا وجود لها. وإذا اصطدمت رغبات عدة رجال في شخص واحد يتفق الجميع معاً على ارضاء رغباتهم بخير ما يمكن الاتفاق عليه.

ويعلمونهم أيضاً أن يتحدثوا بأسلوب طبيعيّ طليّ ساخر. وأن يضمنوا اكثر المعاني بأقل ما يمكن من الألفاظ. فليكورغوس الذي توخى كما رأينا، أن يفرض أزهدي قيمة لأكبر قطعة من النقود، عكس الآية في الكلام ولم يسمح إلا بالأحاديث التي تصاغ بأقصر العبارات وأقلّ الالفاظ وتحوى أكثر ما يمكن من المعاني والطفها. ولاعتياد أطفال سبارطة الصمت الطويل والزهد في الكلام، تمت فيهم قابلية اعطاء أجوبة محكمة بليغة، وكالأفاقين المتشردين الذين لا يعيشون حياةً مستقرة نادراً ما كانوا كثيري الأولاد، كذلك الثرثارون، كثيرو الكلام فنادرأ ما تخرج من افواههم كلمات رصينة بليغة. عندما سخر اثينيّ بـسيوف السبارطيين القصار قائلاً أن الحواة على المسرح يبتلعونها بكل سهولة اجابه الملك [أغيس] بقوله: «نحن نراها من الطول بحيث تكفي للوصول الى قلوب اعدائنا». ويبدو لي أن شيئاً ما في اسلوب كلامهم الموجز فهو يبلغ حالاً الهدف المقصود، ويخلف تأثيره العميق في عقل السامع معاً.

ويظهر ان ليكورغوس نفسه كان يبالغ العبارة سريع البديهة، إن صدقنا ما روي عنه. هذا ما يدل عليه جوابه لذلك الذي كان متحمساً لإقامة نظام ديمقراطيّ في لقيديمون قال له: «إبدأ أيها الصديق فأقمها في اسرتك». وسأله آخر لماذا يسمح بتقريب هذه القرابين الزهيدة التافهة

للآلهة. فأجابه «حتى يكون بالامكان أن نقدم شيئاً لها بصورة مستديمة». وسُئل أي شكل من التمارين العسكرية أو المعارك يُفضل فأجاب «كل الأشكال، إلا تلك التمارين التي تقتضي منك مدّ يديك الى الأعلى<sup>(٤٥)</sup>» وعزيت اليه أجوبة أخرى وجهها الى بني قومه خطيباً. فقد سئل عن أفضل وسيلة لمقاومة غزو العدو، فأجاب «بالاستمرار في بقائكم فقراء، وبأن لا يطمع الرجل في ان يكون أعظم شأننا من زميله». كذلك استشير في هلاً كان ضرورياً احاطة المدينة بسور؟ فبعث بالجواب التالي: «المدينة الجديدة التحصين هي التي تملك سوراً من الرجال لا من الآجر». ولكن يصعب القول بأن هذه الرسائل حقيقية وليست منحولة.

وأما عن كرههم الثرثرة فإن اجويتهم اللاذعة شاهد: انفرد شخص بالملك [ليونيداس] يحدثه في مسألة مفيدة، ولكن ليس في الزمان والمكان المناسبين. فقال الملك «ما أكثر الفائدة يا سيدي، ولكن في غير هذا المكان». وسئل الملك [خاريلوس] ابن أخ ليكورغوس لماذا استنّ عمّه هذا المقدار الصغير من القوانين فأجاب «قليلو الكلام لا يقتضي لهم غير قوانين قليلة». ومرة دعي المدعو [هيكاتيوس Hecatarus] السوفسطائي الى واحدة من تلك الموائد العامة، فلم ينطق بحرف واحد طوال العشاء، ولهذا جاب [أرخيداميداس Archidamidas] ببرر مسلكه ويزكيه: «ذلك الذي يعرف كيف يتكلم، يعرف ايضاً متى يتكلم».

أما الأجوبة المسكنة اللاذعة والحادة التي نوهت بها، فدونك طائفة منها: وجه أحد الرجال الكثيري اللجاجة الى [ذاماراتوس] سؤالاً بأسلوب استفزازي مزعج: «من هو خير رجال ليقديونيا فردّ عليه أخيراً «أقلهم شهاً بك». وراح بعض الناس الذين كان بصحبة [أغيس] يشنون على الايليين Eleans لأشرفهم الدقيق وتنظيمهم العادل الشريف للألعاب الاولمبية. فأجاب [أغيس]: «بلا شك، ينبغي أن يُمدحوا كثيراً لأنهم تمكنوا من أن يعدلوا يوماً واحداً في غضون خمس سنوات<sup>(٤٦)</sup>». وأجاب [ثيومسيوس] أجيباً تمادى في اظهار حبه للقيديمونيين قائلاً أنه بني قومه لقبوه [فيلولاقون: أي محب اللاقونيين]:

- كان يشرفك كثيراً لو لقبوك [فيلوپوليتس: أي محب بني قومه].

ولما قال احد الخطباء الآثينيين أن الليقديمونييين لا ثقافة لديهم، اجابه [پلستواناكس Plis-toanax] ابن [پاوسانياس Pausanias] «اصبت يا سيدي فنحن من دون سائر الأغرقي لم

(٤٥) هذا هو الشكل الذي يطلب فيه التسليم اثناء المعركة.

(٤٦) ان «موزعي الجوائز: هيلانوديك» على الفائزين في الالعاب الاولمبية يجهدون انفسهم الى أقصى حدّ خلال الأشهر العشرة السابقة على الالعاب (پارسنياس ٢٤:٦) ليكونوا أهلاً للوظيفة، بدراستهم الدقيقة لكلّ البيانات واللوائح المتعلقة بالمراسيم ليكونوا أهلاً للقيام بمهمتهم خير قيام.

نثقف بأي شيء من سوء طباعكم». وسأل أحدهم [ارخيداميداس] كم يعد السبارطيون يا تُرى؟ فأجاب «ما يكفي لردّ غائلة الأشرار يا سيدي».

ونتبين أيضاً طباعهم من نكاتهم ومزاحهم، لأنهم لا يرسلونه جزافاً واعتباطاً، بل أن عنصر الفكاهة فيه يستبطن ويستند الى شيء يدعو الى التفكير والتأمل فمثلاً سئل شخص لماذا لا يذهب ويشاهد رجلاً يقلد صوت العندليب تقليداً متقناً، فأجاب «سيدي! إنني سمعت العندليب نفسه»<sup>(٤٧)</sup>. وآخر قرأ الكتابة التالية على أحد القبور:

راموا أن يطفئوا نار الطغيان القاسي

في [سيلنيوس] فخروا ضحايا آله الحرب مارس

فقال معقّباً «يستأهلون الموت، اذ بدلاً من محاولتهم إطفاء الطغيان كان الاجدر بهم أن يتركوه يحترق». وعرض على صبيّ ديك قتال لا ينكص حتى يموت في مكانه فقال: وما شأنني بالديكة التي تموت. أريد ديكٌ يعيش ويقتل الآخرين!» وآخر شاهد فريقاً من الناس يريحون أنفسهم على مقاعد فقال: «معاذ الله ان أجلس في مكان لا أستطيع القيام منه لتحية كبار قومي». ويمختصر القول ان اجوبتهم بلغت حداً كبيراً من البلاغة والنكتة الحادة. وصدّق من قال أن الاتجاه الذهني في الطبع السبارطي أكثر ظهوراً منه التمرين الرياضي، والحق يقال.

ولا تقلّ عنايتهم بالثقافة الموسيقية والشعر عن اهتمامهم الكلام وطهارته واتقانهم فن الحديث. وتمتاز اغانيهم بالحيوية والنشاط بحيث تثير نار الحماسة والثورة في نفوس رجال وتشيع روح الاقدام فيهم. واوزنها بسيطة خالية من الصنعة الفنية. ومواضيعها أخلاقية جدية دائماً وأغلبها عادة يدور حول تمجيد الرجال الذي قتلوا دفاعاً عن بلادهم، أو هجاء أولئك الذين أظهروا جنباً، ترفع اولهم الى أعلى درجات التمجيد، والسعادة في حين تصف ثانيهم بالضعة والحقارة. وثم أيضاً أناشيد أفتخار بما سيقدر لهم من أعمال، وتعظيم لما فعلوه، وتختلف الأناشيد باختلاف السنّ فمثلاً كان لديهم ثلاثة اجواق في حفلاتهم الدينية. الأول يتألف من كبار السنّ والثاني من الشبان والثالث من الأحداث، فيبدأ الجوق الأول بالمصراع التالي:

كنا ذات يوم صغاراً، شجعاناً، اقوياء».

فيرد عليهم جوق الشباب منشداً:

(٤٧) هذه الحكاية عزاها بولتارخ الى اغيسيلوس في سيرة حياته. فلتراجع.

«ونحن الآن كذلك، فتعالوا وجربوا»

ويأتي جوق الاحداث بالأخير فيقول:

«لكننا سنكون أقوى من كليكما عما قريب»<sup>(٤٨)</sup>.

وإذا نحن تعنينا التأمل في أصولها وتأليفها. وبعضها ما زال شائعاً حتى يومنا هذا، وفكرنا في الالحان التي تنفخ في الناي (وعلى ايقاعها يتقدمون الى ميدان القتال) فسنجد أن [تيرياندر Terpander]<sup>(٤٩)</sup> ويندار سبباً وجيهاً للقول بأن الأناشيد الدينية والحماسية صنوان وحليفان. ويقول أولهما عن بلاد ليقديمونيا:

«الرمح وأغاني الميوزات الرائعة فيها يلتقيان.

والعدل الصارم يسير متجولاً في شارعها».

ويقول [پندار] هنا تجد مجالس الشيوخ الحكماء

ورماح الشبان التي عقدت عليها ألوية النصر

وتشاهد الرقص والغناء والطرب.

وكلاهما يصفان السپارطيين بأن تعلقهم بالموسيقي لا يقل عن تعلقهم بالحرب، بكلمات واحد من شعرائهم:

مع الحديد الصلب المرفف

يأتي العزف على القيثارة!

فقبل أن يشتبك السپارطيون في القتال، يقوم الملك أولاً بالتقريب الى الميوزات Mus-es<sup>(\*)</sup>، تذكرة لهم بما نشأوا عليه ودرّبوا، وتنويهاً بالحكم الذي سيصدر على ما يقومون به من عمل، ولدفعهم الى البطولات وانجاز جلائل الأعمال التي تستحق التدوين.

(٤٨) هذه الردة من الأبيات انما هي جزء من نشيد ربما كان ناظمه ترتيوس.

(٤٩) شاعر وموسيقي (كل شعراء ذلك الزمن كانوا موسيقيين تقريباً). عزي اليه اضافة ثلاثة اوتار الى المعزف Harp وكان ذا اربعة. عاش بعد عصر هوميروس بمائة وعشرين سنة في (لسبوس) ثم استدعي الى سپارطا بحكم نبوءة - لتهدئة فتنة. قيل انه نظم شرائع ليكورغوس شعراً.

(\*) الميوزات [مفردها ميوز Muse]. ربأت تسعة هن بنات جوبتر (زفس) وزوجه [منيموسين Mnemosyne] ويعتبرن في الميثولوجيا اليونانية موحيات بالفنون التسعة المعروفة: [كاليوپ Calliope] لشعر الملاحم، و[كليو Clio] للتاريخ و[يراتو Erato] للشعر الغنائي، و[ايتيرپه Euterpe] لشعر الغزل و[مليومين Mel-pomen] للتراجيديا، و[پوليهمينا Polyhymnia] للأغاني الدينية، و[ترپسيخوري Terpsichore] للرقص، و[ثاليا Thalia] للكوميديا واورانيا Urania] للتاريخ.

في تلك المناسبات يخفف الليقديميون قليلاً من صرامة عاداتهم وانظمتهم، ويسمحون للشباب ان يطيلوا شعر رؤوسهم ويشذبوه. وأن يقتنوا الأسلحة الثمينة والثياب الفاخرة. وكان السرور والغبطة يتملكان السبارطيين وهم يشاهدون شبانهم يخطرون مندفعين الى الحلبة كالجياذ العتاق تصهل وتحمم. فما أن يبلغ الفتى أشده ويصلب عوده حتى ينصرف الى العناية شديدة بشعر رأسه فيهبه ويشذبه ويفرقه ويصنفه، ولاسيما يوم المعركة تطبيقاً لوصية واضح قوانينهم المدونة « إن لمة كثيفة من الشعر فوق الرأس تزيد في الوجه الجميل جمالاً. وتضفي على الوجه المنفرّ رهبة وتشيع في النفس رعباً ».

وعند وصولهم ميدان القتال، تخفّ تمارينهم الرياضية كثيراً ويطراً تحسّن على ارزاقهم، وترتخي قبضة الضباط الصارمة عنهم. ولذلك كانوا الشعب الوحيد الذي يجد راحته في الحرب. ولما ينتظر صفوف جيشهم للقتال امام العدو القريب، يضخّى الملك بمعزاة<sup>(٥٠)</sup>. ويأمر الجنود أن يحيطوا رؤوسهم بقلائدهم، ويشير على النافخين بالسرناي ان ينفخوا نشيد<sup>(٥١)</sup> [كاستور] العسكري ويبدأ هو نفسه بانشاء [پايان Paean]\*<sup>(\*)</sup> التقدم الى الأمام. ويلوح للنظر فجأة منظر مهيب رهيب، كتلة قراصة تزحف الى الأمام على انغام السّرنايات، لا يختلّ لها نظام، ولا يعتور اذهان اعضائها تردد أو تهيب، ولا يطرأ أيّ تغيير على ملامح وجوههم وهم يتقدمون بنفوس هادئة مطمئنة منشرحة الى القتال الدمويّ على انغام الموسيقى. رجال في مثل هذا التكوين قليلاً ما عرفوا معنى الخوف أو التهيب من الشدة. وانما يملأهم الإقدام والبأس الذي يدفعه الأمل والثقة. كأن ربّاً من الارباب يرعاهم ويقود خطاهم. ويلازم جانب الملك دائماً شخص توجّ بالغار في الألعاب الاولمبية. وعلى هذا الأساس قيل أن لاقونياً رفض هدية كبيرة جداً شريطة أن يخرج من قائمة اللاعبين المتسابقين وعندما تمكن من خصمه في السباق وغلبه بكل سهولة صاح به المتفرجون «والآن ما الفائدة التي جنيتها من انتصارك أيها السيد الليقديميوني؟» فأجابهم باسماً «سأقاتل مع الملك جنباً لجنب».

وبعد ان يلحقوا الهزيمة بالعدوّ. يطاردونه حتى يثبت لهم النصر تماماً، ثم يصدر أمر التقهقر. لأنهم يرون من الضعة والحقارة لشعب أغريقي أن يفتك ويذبح رجالاً استسلموا وانتهت كل مقاومتهم. وهذا الاسلوب في معاملة اعدائهم يفصح عن كرم نفس عالٍ فضلاً عن

(٥٠) يقول (كزينفون) ان الملك الذي يقود الجيش كان عليه ان يضخّي لكلّ من چوپتر ومينرثا عند حدود مملكته. وربما خُمت (الميوّزات) الى مينرثا بوصفها حامية للعلوم والفنون.

(٥١) كذا كان يدعى. وربما نظمه البطل نفسه او لعله يتضمن تفاصيل عن ماتره.

(\*) بالاغريقية Paian وهو نشيد لاپوللو الپاياني، وقد يكون موجّهاً الى الربّة [ارطيميس] أخذه الرومان عن الاغريق. وأصبح مرادفاً لاي نشيد أو شكرٍ على نجاة.

كونه سياسة حكيمة فعندما يعلم العدو انهم لا يقتلون إلا من يبدي مقاومة، ويؤمنون الباقي على أرواحهم، يجد عادةً في الفرار خير طريق للنجاة.

ويزعم [هيببوس Hippius] السوفسطائي أن ليكورغوس نفسه كان جندياً عظيماً وقائداً محنكاً. ويعزو اليه [فيلوستيفانوس Philostephanus] أول تقسيم للخيلة الى كوكبات تتألف من خمسين وتسير على شكل مربعات. إلا أن [ديميتريوس] الفاليرياني يخالفه تماماً بقوله أن كل القوانين التي وضعها كانت لإغراض السلم والحق يقال إن الهدنة الاليمبية المقدسة. أو إيقاف القتال التي وجدت بمساعيه ومجهوداته، تميل بي الى الاعتقاد بأنه رجل عطوف رقيق القلب، يحب السلام والاستقرار، بصرف النظر عن كل ما يرويه لنا [هرميپوس Hermippus] عنه بخصوص الهدنة. وزعمه أنه لا فضل له فيها، إن [إيفيتوس] وحده هو الذي أوجدها، وإن ليكورغوس كان أحد الحاضرين عند عقدها وبمحض الصدفة ليس إلا. فقد كان هناك وسمع صوت رجل من خلفه يلومه ويعجب منه لأنه لم يشجع بني قومه على المشاركة في الاجتماع. فالتفت ولم ير أحداً، فاستنتج أنه صوت السماء ولذلك أسرع حالاً الى [إينيتوس] وياشر في مساعدته على إقامة احتفالات ذلك العيد الذي كان بمساعيه ومجهوداته أثبت بناءً، وأعظم شهرة من السابق.

ولنعد الى الليقديميونيين، بقى النظام سارياً عليهم حتى بعد بلوغهم مبلغ الرجال لا يسمح لأي منهم أن يعيش على هواه، وكانت المدينة أشبه شيء بمعسكر فيه لكل شخص سهمه من الرزق وأسباب المعيشة والعمل مجدد ومقنن والمواطن لا ينظر الى نفسه كفرد ولد ليعيش لذاته وفائدته الخاصة، بقدر ما يعيش لبلاده ولأجلها. لذلك إن لم يؤمروا بعمل شيء ما، تراهم يذهبون لرؤية الصبيان وهم يقومون بتمارينهم كي يعلموهم شيئاً مفيداً أو ليتعلموا ممن هم أخبر به منهم والحق يقال أن من أعظم وأرفع النعم التي حباهم بها ليكورغوس هو كثرة ساعات الفراغ التي نجمت عن منعه ممارسة أي حرفة أو تجارة رخيصة وضيعة. فأما عن مهنة جمع المال وهي تعتمد على كثرة الحركة المتعبة والمزعجة ومقابلة الناس وعقد الصفقات فلم يكونوا بحاجة اليها في دولة لا يلقى الغني فيها أي احترام أو تجلّة وكان قوم (الهيلوت) يستنتجون الأرض لهم ويدفعون لهم سنوياً الكمية المتفق عليها عيناً، دون أي متاعب. وفي هذا الصدد تروى حكاية عن لقيديموني اتفق وجوده في اثينا اثناء انعقاد المحكمة وأخبروه عن حكم أحد المواطنين باداء غرامة لأنه كان يعيش عاطلاً لا يعمل شيئاً وأن أصدقاه رافقوه الى منزله للتسرية عنه وهو في أشد حالات الألم والتعاسة، فأدرك الليقديموني العجب من هذا ورغب من صديقه أن يريه ذلك الشخص الذين أدين لكونه يعيش عيشة المواطن الحر. كانوا

يعدون الاحترام التافه للوقت، والاهتمام بالفنون اليدوية، وجمع النقود، أعمالاً أقلّ قدرأ منهم بكثير. ولسنا بحاجة للقول أن خطر التعامل بالذهب والفضة أدى الى زوال الدعاوى القضائية حالاً، اذ لم يعد يوجد في مجتمعهم فقرٌ ولا حرص، بل ساد العدل؛ وراح كل فرد ينال ما هو في حاجة اليه، وعلى وجه الإستقلال لأن تلك الحاجات محدودة قليلة وكانوا ينفقون كلّ أوقاتهم - ما عدا ساعات تمارين الميدان والحرب - في اجواق الرقص، والمواكب والصيد والقنص، أو مشاهدة التمارين الرياضية في ساحات اللعب. وأولئك الذين تقلّ اسنانهم عن الثلاثين<sup>(٥٢)</sup> لا يذهبون الى السوق أبداً وإنما يقضى حاجتهم من المئّن والارزاق أقربائهم وأصدقائهم وليس مما يشرف كبار السنّ أن يروا متسكعين هناك باستمرار بدلاً من قضاء القسم الأكبر من النهار في ساحة التمارين التي يطلق عليها [لسخاي Leschai] اذ لو انهم اجتمعوا هنا لقضوا وقتاً مستمراً، واحدهم مع الآخر.

لا بخصوص كسب المال، أو السؤال عن أسعار السوق بل في الحكم على عملٍ من الأعمال يستأهل تبادل الرأي فيه على الأغلب. مكبرين في الأخيار مآثرهم عائبين على الاشرار مثالبهم بأسلوب يمتاز الفكاهة، ويخلو من القسوة، وتتخلل احاديثهم التي لا تحمل الكثير من الطابع الجدي - دروساً في النصيحة، والارشاد الى طريق التقدم. ولم يكن ليكورغوس بذلك الرجل المتشدّد الصارم الفائق عن الحدّ، فهو الذي اقام تمثال [الضحك] الصغير على ما يذكر [سوسيبوس Sosibius]، الذي يقول أيضاً، إن المرح المقبول يشيع بينهم في أوقات العشاء، وفي محلات الولائم العامة، فيكون بمثابة حلوى ومقبلات يلطف من حياتهم الخشنة الصارمة. والإجمال نرى أن ليكورغوس صاغ السبارطين بشكلٍ ما عادوا يستطيعون أو يقبلون العيش كل لنفسه على وجه الانفراد. لقد انقلبوا فهم كياناً واحداً موقوف على النفع العام، تراهم يتجمعون حول قائدهم مثل دُبر النحل. وقد أنسلخوا انسلاخاً تاماً عن «أنيستهم» بدافع الحماسة وروح الجماعة التي سادتهم، فتفانوا في خدمة بلادهم وتسابقوا اليها. وأقوالهم هي خير ما يظهر به أحاسيسهم ومشاعرهم في هذا المأل.

لم يُقبل دخول [بيديراتوس Paederatus] في قائمة الثلاثمائة فعاد الى بلده ضاحك السنّ مسروراً لأن في سارطة ثلاثمائة من الرجال كلهم خير منه<sup>(٥٣)</sup>. وكان بوليقراتيدياس

(٥٢) يقولون انه سنّ البدء بالخدمة العسكرية. لكن لما كان القانون يقضي ببقائهم في الخدمة حتى سن الاربعين فالمعقول هو ان سنّ الخدمة العسكرية لم يكن ثابتاً.

(٥٣) يقول كزنيفون ان الايفوري اعتادوا تعيين ثلاثة ضباط. وكل ضابط ينتقي مائة من أفضل ما يجده والشخص المنتقى يعتبر اختياره شرفاً عظيماً.

Polycratidas من ضمن وفدٍ ارسل في سفارة لنواب ملك الفرس. فسألوه هل كان قدومه بصفته الشخصية. ام بصفة رسمية عامة؟

فأجاب: « بصفة عامة أن نجحت سفارتنا، وبصفة شخصية إن فشلنا وسألت [ارغيليونيس Argileonis] بعض القادمين من [امفيبوليس Amphipolis]. هل مات ابنها [براسيداس Brasidas] (٥٤) ميتة الشجاع كما هو جدير بالسپارطي؟ ولما بدأوا يثنون عليه أعظم الثناء قائلين «لم يبق له نظير في سپارطا» ردّت عليهم قائلة «دعكم من هذا القول، كان [براسيداس] رجلاً شجاعاً طيباً، ولكن هناك الكثير ممن يفوقه في سپارطا».

قلت سابقاً أن مجلس الشيوخ تألف من أعوان ليكورغوس ومساعديه الأصيلين في خطه واصلاحاته. أما الشواغر فقد أمر ان تُملأ بخير الرجال وأكثرهم استحقاقاً ممن جاوز الستين من عمره وليس ثم مدعاة للعجب أن كانت العضوية فيه مصدر تنافس عظيم. فأى تنافس بين الرجال أسمى من التنافس لا على من هو أسرع عدواً من أسرع العدائين، أو أقوى جسماً من الأقوياء، بل على من هو أوفر حكمة بين كثير من الحكماء ومن هو الأصلاح من الصلحاء، والانسب ليعهد اليه بالسلطة العليا في الجمهورية وبالسلطان على حياة، وحقوق ومصالح بني قومه العليا كمكافأة على سجاياه وقابلياته؟ أمّا الطريقة التي يجرى بها انتخابهم فهي كما يلي يدعى الشعب لاجتماع عام، ويختار منهم عدد، ويؤخذون الى غرفة قريبة من مكان الانتخاب ويغلق عليهم بابها فلا يرون أحداً ولا يراهم أحد (٥٥)، ولكن يسمعون أصوات الاجتماع في الخارج لأنهم يقررون الأمر من هتافات الجمهور، كما يقررون معظم شؤون الساعة الخطيرة. وبعد ان يتم ذلك، لا يؤتى بالمرشحين المتنافسين ويقدمون للجمهور معاً بل يتقدم واحد بعد آخر بموجب قرعة، فيشخص المرشح أمام الجمهور بدون أن ينطق بحرف. ويزود الأشخاص في الغرفة، بمناضد للكتابة، ليدونوا كل هتاف، ويقدروا قوته ويسجلوها دون أن يدروا لمصلحة من كان ذلك الهتاف. بل مجرد كتابتهم انه الهتاف الفلاني بالشدة وبمقدار كذا هو للأول أو للثاني أو الثالث وهكذا. فمن يكون قد حاز أكثر وأعلى الهتافات والتشجيع

---

(٥٤) انتصر هذا الجنرال اللقيديمي على الآثينيين في معركة بالقرب من امفيبولس المقدونية الواقعة على ضفاف نهر ستريمون. لكنه خرّ صريعاً في المعركة (توكديدس ١٠:٥).

(٥٥) كانت هذه الطريقة مشوشة غير مؤكدة للتوصل الى من فاز بأغلبية الاصوات فكثيراً ما كانوا يضطرون الى فصل الناس وعدّ الاصوات والدليل على هذه الصعوبة ما حصل في احدى المناسبات للانيورس المدعو سثينلايداس [توكديدس ٨٧:١]. يظن ارسطو أن على الناس عدم ترشيح انفسهم في مثل هذه الأحوال ولا ان يطلبوا المنصب أو العمل بل يجب ان يطلب منهم بدعوة، بسبب كفاءاتهم أو اهليتهم (السياسة ٧:٢).



ينصب شيخاً في الحال. وعندئذ يوضع أكليل غار على رأسه. ويسير في موكب حافل ليزور كل المعابد ويقدم شكره للأرباب. يتبعه عدد عظيم من الفتيان وهم يهتفون له، والنساء وهن ينشدن الشعر تكريماً وتعظيماً لفضائله، متمنيات السعادة له في الحياة. وبسيره على هذا الشكل خلال المدينة. يسط كل صديق أو قريب له، مائدة طعام ويقول: «المدينة تكرمك بهذه المأدبة». اما هو فبدلاً من قبولها - ينصرف عنها الى المائدة العامة التي أعتاد انه يتناول عليها طعامه سابقاً، وتعطى له وجبته بأضافة شيء اليها فيتسلمها ويضعها أمامه. وبعد ختام العشاء تتجمع قريباته النسوة عند الباب. فيختار من بينهن، أعظمن مكانة عنده، ويقدم لها الوجبة الاضافية التي نحأها. وهو يقول انها كانت دليل تكريم له، وهي الآن دليل تكريم لها. وبهذا تنال منزلة كبيرة في البيت ويقوم سائر النسوة على خدمتها.

وبصدد دفن الموتى استحدث ليكورغوس نظاماً ينطوي على حكمة كبيرة، فلأجل القضاء أولاً على جميع الخرافات سمح لهم ان يدفنوا موتاهم داخل المدينة بل سمح ان تقام انصابهم حتى حول المعابد وقصده من هذا أن يتعود الفتيان هذه المناظر. وان لا يخافوا رؤية الجثة<sup>(٥٦)</sup>. وان يتصوروا أن لمس جثة أو وطء قبر يصيبهم بالنجاسة. وأمر ثانياً - أن لا يدفن شيء مع الجثث إلا بعض اوراق من الزيتون إن شاؤا مع الكفن الأحمر الذي يلفون الجثة به<sup>(٥٧)</sup> ولم يسمح بنقش اسماء الموتى على الاضرحه إلا لأولئك الذين سقطوا في الحرب صرعى. أو للنسوة اللاتي يقمن بالواجبات الدينية. وحدد وقتاً جذاً قصيراً للحداد، لا يزيد عن أحد عشر يوماً، وفي اليوم الثاني عشر يقربون للرب [كيريس Ceres] وينتهي كل شيء وهكذا نرى في الوقت الذي وضع حداً لكل التوافه من الأمور بدت الأمور الهامة الضرورية وليس فيها صغير أو زهيد إلا ويعبر عن إكبار للفضيلة، وشجب للرديلة. لقد ملأ بلاد لقيديمونيا كلها بدلائل وأمثلة عن أحسن السلوك. تلازمه فكرة واحدة وهي أن افراد الشعب منذ عهد الشباب فصاعداً لا يمكن أن يقفوا حيث هم في مجال الفضيلة والصلاح وانما يتقدمون بالتدرج المطرد.

ولهذا السبب منعهم في السفر الى الخارج، والانتقال في البلاد الأخرى للتعرف بأجهزة الحكم الاجنبية، والاخلاق السائدة فيها، واكتساب عادات الناس السيئ التهذيب، وذوي

(٥٦) جرت العادة في عموم بلاد اليونان والرومان ان يدفن الموتى على جانبي الطرق الخارجية. والسبب في ذلك هو المحافظة على الصحة العامة. ومهما يكن السبب الخرافي الذي قرن بهذا. فاننا نجد ليكورغوس يرفض كل ما يتعلق بالدوى. وقد جاء من هنا عادة حرق جثث الموتى ووضع الرماد المتخلف في أوعية. ولم يقم ليكورغوس بالغائها.

(٥٧) يخبرنا ايليان (٦:٦) ان الاكفان الاحمرء واوراق الزيتون انما هي للموتى من المواطنين البارزين في مجال الخدمة العامة ولاسيما في الحرب وليست مباحة للجميع بدون تفريق.

الآراء المختلفة في أسلوب الحكم. وكذلك نفى كل الأجانب الذين لا يتمكنون من عرض سبب وجيه مقنع لمجبتهم، لا لحوفه من مدارستهم شكل حكومته وتقليدها كما يزعم [ثوسكيديدس]، أو أن يتعلموا شيئاً ينفعهم، بل لئلا ينشروا أموراً مضادة للأداب العامة. فوجود غرباء، يجب التسامح في الكلمات الغربية، وتلك البدع تنتج بدعاً فكرية، ويستتبع ذلك آراء ومشاعر تتلف صفاتها الشاذة قوام الدولة المتناسق. كان مهتماً بانقاذ مدينته من العدوى بالأخلاق السيئة الأجنبية، قدر ما يهتم الناس عادة بدفع الطاعون عنهم.

والى هنا لا أجد أنا شخصياً أي شيء ينم عن ظلم وعدم مساواة في قوانين ليكورغوس. مع أن بعض الذين يقرون أنها صالحة للغاية لتربية خير الجنود، يرونها معيبة من ناحية العدالة. وربما كانت شريعة «الكريتيا Cryptia»<sup>(٥٨)</sup> (هذا إذا كانت قانوناً من قوانين ليكورغوس كما يقول ارسطو)، تجعل ارسطو وافلاطون على السواء يريان هذا الرأي في ليكورغوس ونظام حكمه. فبمقتضى هذا القانون يرسل الحكام بصورة سرية عدداً من أقدر الشبان الى انحاء البلاد بين الفينة والفينة وليس معهم من سلاح غير خناجرهم، ولا من القوات الا الضروري القليل. فيخفون أنفسهم ليلاً في مواضع بعيدة أعين الرقباء وبيقون هكذا حتى يجن الليل فيخرجون من مكائهم وينبشون في الطرق العامة ليقتلوا اي هيلوتي يصادفونه واحيان يشبون عليهم نهاراً وهم في اعمال الحقل منشغلون ويذبحونهم، وعلى ما روى لنا [ثوكسيدوس] في تاريخه عن حرب الپيلوبونيس، إن عدداً كبيراً من هؤلاء بعد أن اتم

---

(٥٨) كل المؤلفين كتبوا مستنكرين قسوة اللقيديمين على الهيلوت. وان حاول بولاترخ المعجب الكبير بالسبارطيين التخفيف من وطأة ذلك جهد ما امكنه. ان هؤلاء المساكين البائسين ميزوا بالعبودية في شتى مظاهر حياتهم اليومية حتى في ثيابهم وحركاتهم. فقد رسم لهم ان يغطوا رؤوسهم بجلود الكلاب ويرتدوا صدراً من جلود الغنم. ويحظر عليهم تعلم اي فن من الفنون الحرة. او الاقدام على اي هو من لياقة اسيادهم ويضربون مرة في اليوم بالسياط لئلا ينسوا بانهم عبيد. فضلاً عن هذا منهم معرضون (الكريتيا) وتلك عقوبة لاينجو منها مطلقاً كل من يتكلم أو ينظر أو يمشي أو يتحرك مثل الانسان الحر! يحاول بولاترخ ان يثبت لأعمال القسوة والوحشية تاريخاً ابعد بكثير من عهد ليكورغوس فيزعم، انها ما طبقت الأ بسبب انضمام الهيلوت الى المسيينيين بعد الزلزال المدمر الذي وقع في ٤٦٧ ق.م. فهدم جزء كبيراً من لقيديمون، وفنك باكثر من عشرين الف سبارطي. لكن ايليان يذكر بكل وضوح ان الرأي السائد في بلاد الاغريق هو ان هذه الهزة الارضية المدمرة كانت حكماً سماوياً عوقب به السبارطيون لمعاملتهم اللانسانية للهيلوت.

ويقول م. بارثلمي في [رحلات اناخارسيس] ان الكريتيا كما فرضها ليكورغوس لم تكن الأنواعاً من التمهيدي للعمليات الحربية، حيث يقوم الشبان بنصب كمانن وشن هجوم ليلي خارج المدينة. غير قاصدين ان يكون ذلك ضد الهيلوت. وان اعمال القتل فيهم ربما بدء في زمن كتابة رسالة افلاطون في الشرايع. بسبب مقاومة الهيلوت لتلك الغارات الليلية. فاذا بالتمارين تغزو قاصرة على مطاردة هؤلاء العبيد المساكين وتنوسي الغرض الأصلي منها.

السيارطيون اختيبارهم لسيالتهم، توجوا بأكاليل الغار ومنحوا امتياز المواطنة وحقوقها وطيف بهم كل المعابد تكريماً لهم وتعظيماً. ما لبثوا أن اختفوا جميعاً بصورة فجائية. وكان عددهم يقارب الألفين. ولم يستطع أن يتوصل أحد لا في حينه ولا بعده، الى كيفية موتهم. ويضيف ارسطو الى ذلك قوله أن «الايفوري» ما أن تسلموا مقاليد الحكم حتى أعلنوا الحرب عليهم واتقوا بأن ذبحهم حلال لا يحرمه الدين. ويجمع الكتاب قاطبة « أن السيارطيين عاملوهم بأشد القسوة، إذ كان من الأمور الاعتيادية ارغامهم على أن يتناولوا قدرأ كبيراً من الخمر حتى يشملوا فيقردونهم وهم في هذا الوضع الى قاعاتهم العامة حتى يشاهد الأحداث ماذا يفعل السكر في الانسان ويجبرونهم على أداء رقصات خليعة وضيعة وغناء مقطوعات مضحكة قبيحة ويمنعونهم من انشاء أناشيد جيدة منعاً صريحاً حتى انه لما غزا الثيبيون لاقونيا<sup>(٥٩)</sup> وأسروا عدداً كبيراً من الهيلوت حاولوا عبثاً أن يحملوهم على انشاد قصائد من [ترياندر<sup>(٦٠)</sup>] أو [الكمان Alcman] أو [سپندون Spondon]. وكانوا يجيبون قائلين: «لا، ان سادتنا لا يريدون!» وصدق من قال: «في سيارطه. الحرّ يملك أعظم الحرية، والعبد فيسها أتعمس العبيد في العالم». وفي رأبي ان هذه المظالم والاضطهادات بدأت تمارس في سيارطة في زمن متأخر جداً لاسيما بعد حصول الزلزال العظيم<sup>(٦١)</sup> وقيام الهيلوت بانتفاضة عامة، فقد ضموا قواتهم الى المسينيين واجتاحوا البلاد وخربوها والحقوا الخطر الجسيم بالمدينة. لأنني لا أستطيع اقناع نفسي الى إسناد سلوك بربري شرير كهذا لليكورغوس، لما عُرف به في اللطف والدمائة وحب للعدل في كل المناسبات الأخرى، وهو ما تشهد به النبوءة أيضاً.

عندما تأكد أن تنظيماته الاكثر أهمية قد رسخت جذورها في عقول بني قومه وان العادة جعلتها سهلة المتناول محبوبة، وان جمهوريته باتت ثابتة رصينة لا نحتاج الى معين، ويمكنها أن تمضي في سبيل التقدم وحدها «عندئذ شعر بالسعادة كما شعر خالق الأرض بالارتياح وهو يراها كائنة متحركة» على حدّ قول افلاطون. اجل شعر ليكورغوس بالفرح وهو يتطلع الى عظمة بنائه السياسي وجماله وهو يعمل ويتحرك. وتملكته فكرة وهي أن يجعل نظامه هذا باقياً ما بقي الجنس البشري ينقله الخلف عن السلف. وعقد اجماعاً عاماً استثنائياً حضره

(٥٩) في عهد ايبامنداس. بعد معركة ليوكترا في ٣٧١ ق.م.

(٦٠) شاعر غنائي شهير ولد في حدود الاوليبياد السابع والعشرين في (سارديس) من اعمال (ليديا) لكن جيء به وهو صغير الى ليقيديون وأستغلّ عبداً إلا أن عبقرته الشعرية أمنت له العتق والحرية.

(٦١) وقع هذا الزلزال في عهد [ارخيداموس] في حدود المائة الخامسة ق.م فدمر المدينة وابتلع عشرين الف سيارطي ورجّ جبل (تايفتوس) رجاً عنيفاً. ويعزو پلوتارخ هذه النكبة في موضع آخر الى سلك السيارطيين ازاء بنات [السبوس] يخلاف ما يراه ايليان من ان ما حلّ بهم كان بسبب معاملتهم السيئة للهيلوت.

الشعب جميعاً، وقال لهم. إنه يرى الأمور قد استقرت بشكل مناسب معقول لأجل سعادة الدولة وصلاحها. على ان شيئاً في غاية من الأهمية كان يراه ناقصاً ولم يشأ التصريح به حتى تنزل عليه نبوءة فيه. وانه يرغب منهم في الوقت عينه أن يطيعوا القوانين ويطبقوها دون أي تغيير حتى عودته وعندئذ سيفعل ما تأمر به الآلهة. فأسرع الجميع للموافقة ورجوه أن يعجل في رحلته. وقبل أن يفارقهم جعل الملكين واعضاء مجلس الشيوخ والعامه جميعاً يقسمون ميثناً بالابقاء على أسلوب الحكم الراهن حتى عودته. ولما تم ذلك انطلق الى [دلفي]، وقرباً لاپوللو ثم سأله هل أن القوانين التي وضعها جيدة، كافية لسعادة الشعب وصلاحه؟ فجاءت النبوءة بأن القوانين ممتازة جداً وان الشعب بالخضوع لها سيبلغ أعلى مراقي التقدم والرخاء فقام ليكورغوس بكتابة النبوءة وبعث بها الى سپارطا ثم قرب لاپوللو ثانية. وأستأذن من أصدقائه وأبنه وغادروهم وهو على يقين بأن السبارطيين لن يحنثوا بالقسم الذي أدوه، وانه لذلك يجب أن يختتم حياته العامة بالشكل الذي يجده مناسباً وهو لا يزال في السن التي تكون فيه<sup>(٦٢)</sup> الحياة عبثاً والموت مرغوباً فيه وفي حين كان كل ما حوله في حالة طيبة راضية، فأنهى حياته بالامتناع عن تناول الطعام معتقداً انه واجب السياسي ان يجعل في موته. إن أمكن - خدمة للدولة. وان يقدم حتى في ختام حياته مثلاً من أمثلة الفضيلة، ويحقق غرضاً مفيداً. انه من ناحية يتوج ويختتم سعادته الخاصة بموت جدير بمثل هذه الحياة الكريمة ومن ناحية أخرى يضمن لبني قومه التمتع بالمنافع التي انفق حياته كلها في سبيل كسبها لهم بعد أن اقسماوا الايمان المغلظة على البقاء اماناً مخلصين لتنظيماته حتى عودته. ولم يكن مخطئاً في أماله. لأن مدينة ليقديمون بقيت المدينة الرئيسة في كل بلاد الاغريق زهاء خمسمائه عام. وظلت تحافظ محافظة دقيقة على قوانين ليكورغوس. وخلال هذه المدة كلها لم يحصل فيها شيء من التغيير اثناء حكم اربعة عشر ملكاً ختموا (بأغيس) ابن [ارخيداموس Archidamus] فان استحداث منصب «الايغوري» وان كان قد ظن أنه لمصلحة الشعب، إلا أنه زاد من ملامح الحكم الارستوقراطية<sup>(٦٣)</sup> وبرزها الى اقصى حد بدلاً من أن يخفف من غلوائها.

وفي اثناء حكم [أغيس]، بدأ الذهب والفضة لأول مرة يتدفقان الى سپارطا، ومعها جاء كلّ الودائل والشرو التي تصاحب الرغبة المفرطة في الشراء. وزاد [ليساندر] من هذه الفوضى

(٦٢) ومع هذا يقول لوسيان ان ليكورغوس كان في الخامسة والثمانين عندما قبض.  
(٦٣) ينكر ارسطو ذلك [السياسة ١٧:٢] والواقع أنه غير ممكن وليس معقولاً ان يقوم الضباط المزودون بمثل هذه السلطة العظيمة بابطال الجزء الديمقراطي من الدستور الذي كان له الفضل في توليهم تلك السلطة.

بحلبه الاسلاب والغنائم الحربية الثمينة فملاً بلاده بمظاهر البذخ والتزف وان كان هو نفسه رجلاً مستقيماً<sup>(٦٤)</sup>، وأبطل قوانين ليكورغوس ومراسيمه. اذ ما دامت تلك القوانين نافذة المفعول في سبارطا فقد كانت تبدو أقرب الى حياة رجل حكيم ذي خلق حميد منها الى حكومة سياسية لشعب من الشعوب. وكأسطورة الشعراء التي ألفوها عن هرقل، وهي تجواله في البلاد معاقباً الطفاة القساة، والأشرار المجرمين بجلد اسده وهرأوته، كذلك ما قيل عن اللقيديمونيين بأنهم تمكنوا من كسب خضوع كل الاغريق الطواعي الودود، بعكاز بسيط وبرداء خشن واستمروا طوال الوقت يحاربون الطغيان والفساد والعدوان، ويتدخلون كوسطاء لفض الحروب، وانهاء النزاعات المدينة. ولم يكلفهم هذا في أغلب الأحيان تحريك جندي او درع واحد بل بمجرد إرسال مندوب واحد، يخضع الجميع لتوصياته دونما اعتراض. ذلك هو الرصيد من النظام والمساواة الذي وجد في دولتهم وكان يفيض على الآخرين بالكثير من النعم والخيرات.

ولذلك لا يسعني إلا أن أعجب من أولئك الذي يقولون ان السبارطيين خير الرعايا، واسوء الحكام، وبرهاناً على هذا، ينسب قول الى الملك [ثيوبوميوس]. عندما قال أحدهم أمامه: « أن سؤدد سبارطا ما بقي هذه المدة الطويلة إلا لأن ملوكها كانوا من القادة المحنكين. » اجابه قائلاً: « كلاً بل لأن الشعب يعرف جيداً كيف يطيع ». ذلك لأن الشعب لا يطيع حكامه إلا اذا أتقنوا فن القيادة والحكم. والطاعة هي درس يلقنه القادة. والزعيم الحقيقي يخلق بنفسه طاعة اتباعه، وكما أن الغاية الأخيرة لفن ركوب الخيل هي تذليلها وكسر شكيמתها، كذلك هو فن الحكم، فانه يهدف الى اشاعة وايحاء الرغبة في الطاعة بين الناس، واللقيديمونيون لم يكتفوا بالايحاء بهذه الرغبة، بل تعدّوها الى كسب رغبتهم المطلقة ليكونوا رعايا خاضعين لهم. ولم يكن هؤلاء يطلبون من السبارطيين ارسال سفن ومال ونجذات عسكرية لهم. بل كانوا يطلبون قائداً سبارطياً واحداً فحسب. وهم ينزلون هذا القائد ارفع منزلة من التجلة والاحترام. وهو ما كان موقف الصقليين في [غليلپوس Gulippus] وموقف [الخلقيديين Chalcidians] من [پراسيداس] وموقف كل اغريق آسيا<sup>(٦٥)</sup> من [ليساندر وأغيسلاوس وكالليكرائيداس Cal-

(٦٤) يذكر [سيسستوس] نقلاً عن [ديودورس ١٨: ١٠٦] أنه جلب الى سبارطا الفأ وخمسائة تالنت من الذهب فضلاً من غيره من النفائس ويخبرنا كزنيغون ايضاً انه عند استيلائه على اثينا بعث الى سبارطا بالكثير من الغنائم الثمينة ومن بيتها (٤٧٠) تالنت من الفضة.

(٦٥) ارسل السبارطيون [غليلپوس] للدفاع عن [سيراقوز] عندما غزاها الاثينيون بقيادة [الكيببidas]. واما الخلقيدون الذين صرّع [براسيداس] اثناء ما كان في خدمتهم فلم يكونوا من [خلقيس] [يوبويا] بل من جوار [امفيپوليس]. وياغريق اسيا يعني كل سكان اسيا الصغرى وايونيا والجزر المجاورة. و[كالليكرائيداس] هو أمير بحر لقيديموني في نهاية حروب الپلويونيسييس.

المقتصين». وكانت انظارهم دوماً شاخصة الى مدينة سبارطا نفسها بوصفها اكمل نموذج للسجايا العالية والحكم الصالح في حين أعتبر باقي الاغريق مجرد علماء واساتذة وقد أشار الى هذا [ستراتونيكوس Stratonicus] بنوع من الفكاهة، عندما اقترح مازحاً أن يُسنَّ قانونٌ يدير الآثينيون بموجبه شؤون المواكب الدينية والطقوس المقدسة الخفية، ويشرف الاليانيون على الالعباب الاولمبية، وإذا هفا واحدٌ منهما أو اخطأ فيجب أن يُعاقب اللقيديميون بالضرب<sup>(٦٦)</sup>. وقال أنتسيتنس بلهجة جدية (وهو أحد متعلمي سقراط) عن [اليثيين] عندما استخفهم الطرب بانتصارهم في [ليوكترا Leuctra]<sup>(\*)</sup>، أنهم أشبه بصبيان المدرسة الذين ضربوا معلمهم.

ومهما يكن من أمر، فإن ليكورغوس لم يرد لمدينته أن تحكم عدداً كبيراً من المدن الأخرى. بل كان يرى أن سعادة الدولة كسعادة الفرد من البشر، هي في ممارسة الفضائل أساساً، وفي وحدة السكان. لذلك كان هدفه في كل تنظيماته أن يجعل قومه أحراراً بالفكر، مستقلين بالنفس، أقوياء الارادة. لذلك، فإن كل أولئك الذين أجادوا الكتابة في السياسة امثال افلاطون ودوجينيس Diogenes وزينو Zeno، أتخذوا ليكورغوس نموذجاً لهم. لقد ترك هؤلاء وراءهم كلمات وأفكاراً فحسب في حين أن ليكورغوس كان منشئ نظام حكم لا كتابة بل حقيقة واقعة، حكومة قصر الآخرون عن تقليدها واستنساخها<sup>(٦٧)</sup>. وفي الوقت الذي اعتبر الناس الطبيعة الفلسفية الفردية شيئاً لا يمكن بلوغه، نجده بالمثل الذي ضربه من دولة ذات فلسفة كاملة، قد ارتفع وسما فوق كل واضعي القوانين في بلاد الأغرريق. ولهذا قال ارسطو أن الإكرام الذي اكرموا في لقيديمونيا بعد وفاته كان أقل مما يستحق. مع أن لديه هناك معبداً يقدمون فيه القرابين اليه سنوياً كأنه اله.

---

(٦٦) لأن المعلمين يحاسبون على اخطاء تلاميذهم ان أصل النكته ولبابها هو هذا: أعتاد اللقيديميون انزال العقاب بالوالدين أو المتبئين ولداً اذا ارتكب ابنتهما خطأ أو ضللا سواء السبيل. ولما بات اللقيديميون الآن معلمين للشعوب الأخرى فقد وجب عليهم تحمل القصاص الواقع عليهم جراء اخطاء تلاميذهم!

وستراتونيكوس هو موسيقار أثيني، مدحه (أشينيوس، ٨:٨) لجمال تأليفه، وقابليته على التنكيت. الآ ان تعلق ابناء وطنه بالخرافات والاهام أضفى مسحة غلابة على سحره.

(\*) في السنة ٢٧١ ق.م بقيادة ابيامننداس.

(٦٧) يختلف افلاطون وارسطو عن پلوتارخ في هذا حتى پوليبوس نفسه الذي كان شديد الاعجاب بنظام الحكم السبارطي، نجده يقول ان السبارطي وان كان صاحب انصاف وفضيلة لكن الجماعة قليلو الاهتمام بنشر العدل لا يكثرثون بمكارم الأخلاق.

وذكروا ان صاعقة سقطت على الضريح الذي ضم رفاته بعد نقلها الى سپارطا ودفنها، وهي حادثة لم تحصل لرجل عظيم سواه، باستثناء [أفريديس] الذي دفن في مدينة [أريشوسا - Are- thusa] بمقدونيا<sup>(٦٨)</sup>. وقد تكون هذه الظاهرة للمعجبين بالشاعر، برهاناً ودليلاً على انه حظي بعين ما حظي به ذلك الرجل القديس مصطفى الآلهة، يقول بعضهم ان ليكورغوس توفي في [كيررا Cirra]<sup>(٦٩)</sup>، ويزعم [ابوللوثيميس Apollothemis] انه توفي بعد مجيئه الى [إيليس Elis]، ويقول [طيساؤوس] و[أرسطوكزينس Arstoxenus] ان حياته انتهت في كريت، ويضيف ثانيهما أن قبره عند الكريتين قائم في منطقة [برغاموس] بالقرب من «درب الغرباء». وترك ابناً واحداً هو [انتيوروس Antiorus] الذي مات بلا عقب فأنقرضت الأسرة، إلا أن أصدقائه وأقرباءه ظلوا يقيمون له حفل ذكرى سنوياً لوقت طويل، وسميت ايام الاجتماع [ليكورغوس] ويقول [أرسطوقراطس] ابن [هيسبارخوس]<sup>(٧٠)</sup> انه توفي في (كريت) وان اصدقائه الكريتيين بناء على طلب منه أحرقوا جثته وذرّوا رماءها في البحر، خوفاً من أن تنقل عظامه الى لقديمون، وعندئذ يتخذونها حجة وتعلّة ليحلوا انفسهم من القسم، ويقوموا باجراء تجديد، في أصول الحكم.

وفي هذا الكفاية عن حياة وأعمال ليكورغوس.

(٦٨) هذا اذا كان عاد الى بلاط [أرخيلاوس] على أن ثم ضريحاً له في أثينا.

(٦٩) بلدة بالقرب من دلفي.

(٧٠) مؤلف كتاب في تاريخ لقديمون. أقتبس فيه أثينيوس ٧:٣.

نوما پمپولیس

**NUMA POMPOLIUS**

715-672 ق.م





مع أن شجرة الأسرة النبيلة تصل بشكل متسلسل دقيق حتى [نوما پوميوليوس] باتفاق المؤرخين جميعاً، فهناك تناقض كبير بين المؤرخين بخصوص زمن حكمه، فشم كاتب يدعى [كلوديوس Clodius] يذكر في كتاب له بعنوان [تعليقات على التاريخ] أن سجلات روما القديمة فقدت عندما نهبها الغاليون<sup>(١)</sup>، وإن كل ما هو موجود منها الآن هو مزيف، قصد بتزييفه ارضاء ومجاملة بعض الناس الذين يرغبون في ان يتوهموا أنفسهم بأنهم من نسل عريق نبيل في حين أنهم ليسوا كذلك. ومع أن الشائع المعروف أن [نوما] كان من تلاميذ [فيشاغوراس]<sup>(٢)</sup> الحميين، إلا أن آخرين ينفون ذلك ويؤكدون أنه لم يكن واقفاً على اللغة اليونانية ولا علومها. وأنه كان رجلاً ألمعيّ الذهن بفطرته، وهب قابليات طبيعية بلغت به مراقي الفضائل العليا، أو انه عشر على معلم من البرابرة يفوق فيشاغوراس علماً ويؤكد بعضهم كذلك، ان فيشاغورس لم يكن معاصراً لنوما. وانما عاش بعده بخمسة أجيال على الأقل<sup>(٣)</sup>. وان هناك فيشاغوراس آخر وهو مواطن سبارطي، نال جائزة في سباق أولمبي، في الاولمبياد السادس عشر<sup>(٤)</sup>، الموافق للسنة الثالثة من اختيار [نوما] ملكاً. ربما تعرف به في رحلته الى ايطاليا وعاونه على انشاء مملكته ومن هنا كان السبب في ظهور عدة عادات وقوانين [لاقونية] بين الأنظمة الرومانية. وعلى أية حال كان [نوما] من نسل سابيني<sup>(٥)</sup>.

(١) ٣٩٠ ق.م.

(٢) لم يزر فيشاغوراس الفيلسوف ايطاليا حتى الاولمبياد الحادي والخمسين اي بعد اربعة أجيال مرت على عصر (نوما) ويضيف (ديون ١٥:٢) الى هذا بأنه لم يهتم بالدراسات الفلسفية في كروتونا وقت انتخابه فان تلك المدينة لم تبنى إلا في السنة الرابعة من تاريخ اعتلائه العرش.

(٣) ليقي (١٨:١) يجعله في عهد سرقليوس ثليوس. وشيشرون في الخطب (٢٧:٢) يجعله في وقت متأخر مؤكداً انه قدم ايطاليا على عهد تاركوينوس سوپربوس.

(٤) ٦٥٤-٦٥٧ ق.م.

(٥) أكتشف [ديون ١١:٢] في تاريخ السابين أنه بينما كان ليكورغوس وصياً على ابن أخيه اثومس (خاريلاس بلا شك) هرب بعض اللقيديمين الذين لم يستطيعوا احتمال صرامة قوانينه واتجهوا الى ايطاليا فاستقروا أولاً في (بوميتيا) ثم انتقل عدد منهم الى ارض السابين وامتزجوا بهم ولقنوهم عاداتهم لاسيما تلك التي تعلق بالحرب. ودرّبوهم على الجلد والصبر وشطف العيش. وعلى هذا الأساس تكون هذه الدفعة من اللاجئين قد استقرت في ايطاليا قبل ميلاد [نوما] بمائة وعشرين عاماً.

وذكروا أنهم مستعمرة لقبديمونية. والتاريخ على العموم غامض، ولاسيما عندما يحقق على ضوء قوائم الفائزين في الألعاب الاولمبية التي نشرها في زمن متأخر [هيبياس Hippias] الإليائي، وهي لا تستند الى مرجع ثقة. وابتدائنا من نقطة مناسبة سنباشر في عرض أهم الوقائع المدونة عن حياة [نوما] وأجدرها بالملاحظة.

كانت السنة السابعة والثلاثين (محسوبةً من يوم بناء روما) عندما قام رومولوس الحاكم آنذاك - بتقديم قربان عام في «مستقع المعز» في الخامس من شهر تموز - المسمى [كابروتين نونس Caprotine Nones] بحضور الشيوخ وأهالي روما. فأظلمت السماء فجأة وخيمت على الأرض سحب كثيفة سحبها كثير من العواصف والمطر. وفرّ العامة هارين وقد تملكهم الذعر وتفرقوا أيدي سباً. وفي هذه العاصفة أختنا رومولوس ولم يعثر على جسمه حياً أو ميتاً. وثار شك خبيث في أن غيبته من عمل الباتريسيان وانتشرت اشاعات بين الناس بأنهم تأمروا عليه وازالوه من الوجود بعد ان ضاقوا ذرعاً بالحكم الملكي، ونفذ صبرهم في الآونة الأخيرة من المسلك الاستبدادي التحكيمي الذي اتخذه ازاءهم. وانهم ارادوا أن يستحوذوا على السلطة وإدارة دفة الحكم بأنفسهم. وقد حاولوا تبديد هذه الشكوك وازالتها من الاذهان بالافراط في تكريم رومولوس وجعله في مصاف الآلهة فقالوا لم يمت بل عرج الى السماء وانتقل الى حالة اسمى من حالة البشر وأقسم [بروكلوس] وهو رجل محترم الكلمة بارز الشخصية - بانه رأى رومولوس يصعد الى السماء لابساً ثيابه الملكية ويكامل شكة سلاحه وسمعه يقول وهو يصعد، بأن على الرومان من الآن فصاعداً أن يطلقوا عليه اسم [كويرينيوس].

بعد أن هدأت الخواطر وخدمت الفتنة، ظهرت مشكلة أخرى حول انتخاب الملك الجديد، لأن عقول الرومان الأصلاء والسكان الجدد لم تبلغ بعد ذلك المبلغ من وحدة الاتجاه، بل كان ثمّ أحزاب تختلف وجهات نظرها اختلافاً بينا - وكان ثمّ تنافر وتباغض ما بين الشيوخ أنفسهم. ومع أنهم اتفقوا جميعاً على ضرورة اختيار ملك، إلا أنهم اختلفوا فيما بينهم على شخصه. فأولئك الذين بنوا المدينة مع رومولوس، وسبق لهم أن نزلوا عن جانب من أراضيهم ومساكنهم [للسابين]، كانوا يستنكرون أي اقتراح يقضي بخضوعهم لحكم من كان موضع احسانهم ورعايتهم. والسابين يزعمون من الجهة الثانية أنهم خضعوا لحكم رومولوس وحده، بعد وفاة ملكهم [طاطيوس] دون شكوى أو تدمير، وقد حان دورهم الآن ليكون الملك من بني جنسهم. ولم يكونوا يعتبرون أنفسهم أدنى منزلةً من الرومان، ولا يعدون مساهمتهم في توسيع روما أقل من مساهمة الرومان. فلولا جموعهم الكبيرة ولولا مساعدتهم لكان من العسير أن

تستحق اسم المدينة. وظل الحزبان يتنازعا ويتجادلان على هذه الصورة. وخشية أن يسبب الاختلاف فوضى عامة - بغياب أي شكل من أشكال الحكم والقيادة اتفق على أن يقوم أعضاء مجلس الشيوخ المائة والخمسون دورياً<sup>(٦)</sup> - بوظيفة الحاكم الأعلى ويكون لكل واحد منهم عندما يحين دوره حق استعمال شارات الملك وتقديم القرايين الدينية الرسمية وتصريف شؤون الحكم لمدة قدرها ست ساعات نهاراً وست ساعات ليلاً، وهذا الانتقال السريع في السلطة والتوزيع العادل لها، سيزيل كل آثار المنافسة بين الشيوخ والتحاسد بين الشعب لما يرون شخصاً يرتفع إلى مرتبة الملك، لينخفض إلى مستوى فردٍ عادي خلال يوم واحد. وسمي هذا الشكل من الحكم عند الرومان بالملكية الدورية [Interregnum].

على أن هذا الشكل البسيط الساذج من الحكم ما كان يمنع شكوك العامة وتنديدهم، كأنما وجدوا فيه تغييراً في شكل الحكومة ومفضياً إلى حكم الأقلية [أوليغارشي] وأن الشيوخ ينتهون إبقاء السلطة العليا في أيديهم عن طريق نوع من الوصاية. دون أن يباشروا في اختيار الملك. أخيراً اتفق الحزبان على أن يختار السابين ملكاً من بين الرومان. ووجد أن هذا هو خير حلٍّ لأنها روح التحزب والتكتل. وإن الأمير الذي سينتخب سيكون موضع رضى وتعلق أولئك الذين انتخبوه وأولئك الذين انتخب منهم على حدٍ سواء. وترك السابين حق الاختيار للرومان الأولين. وهؤلاء بدورهم كانوا أكثر ميلاً إلى قبول ملك سابيني ينتخبونه هم، في أن يروا ملكاً رومانياً يختاره السابين ويشايعونه، فعقدت مجالس مشاورة ورشح [نوما بومبوليوس] من شعب السابين<sup>(٧)</sup>. وهو شخص بلغت أخلاقه السامية من الشهرة حداً عظيماً، فما أن ذكر اسمه حتى وافق عليه السابين بحماسة تفوق حماسة الذين انتخبوه. وكان يسكن خارج روما. وبعد أن أعلن الانتخاب للجمهور عين عدد من كبار ووجهاء الحزبين لزيارة المرشح وعرض الحكم عليه. وكان [نوما] يسكن في مدينة سابينية مشهورة تدعى [كيوريس Cures] ومنها أطلق السابين والرومان على أنفسهم الاسم المشترك [كيورتيس]. وكان أبوه [بومبونوس Pomponius] رجلاً فاضلاً، ونوما أصغر بنيه الأربعة وُلد (كما

(٦) بحسب دعوى المؤلف كان عدد الأعضاء في عهد روملوس مائتين. على أن [ديون] يقول إن الكتاب يختلفون في هذه النقطة. فبعضهم يؤكد إضافة مائة عضو على اتحاد السابين والرومان. وبعضهم يؤكد إضافة خمسين. وأما حول شكل حكم النواب الملكيين فـ[ليفي] يزودنا بإقرب التفاصيل احتمالاً إذ يقول إن الشيوخ انقسموا إلى مجموعات عشرية واقترحوا على من يحكم أولاً وثانياً الخ... بحسب ترتيب الاقتراع على أن يكون لشخص واحد فحسب من كل عشرة حاكمة، امتياز حمل شعار السلطة.

(٧) في ذلك الوقت دعا نواب الملك الأمالي ووجهوا اليهم الكلام التالي «أيها الرومان. انتخبوا لأنفسكم ملكاً. إن مجلس الشيوخ موافق. وإن انتم اخترتم ملكاً خليفاً بخلافه (رومولوس) فإن المجلس سيصادق على انتخابكم». وقد سر الشعب جداً بتنازل الشيوخ وعدم استخدامهم صلاحياتهم.

شاعت العناية الرّبّانية) في الحادي والعشرين من نيسان وهو يوم بناء [روما]، وقد وهب نفساً نادراً ما هذبت الطبيعة مثلها، تعلقّت بالفضيلة والصلاح، وأخضعها بالنظام واخذها بالثقيف والحياة الصارمة ودراسة الفلسفة وهي وسائل من شأنها أن تطرد النزغات الحقيرة والعواطف الوضيعة فضلاً عن قمعها حدة الطبع، وعنّف المزاج. وهي صفات لها مكانة عالية بين البرابرة. وكان رأيه أن الشجاعة الحقيقية تكمن في اخضاعنا عراطفنا للعقل.

كان قد جرد منزله من كل مظاهر الترف والنعومة. وفي حين كان المواطنون والأجانب على حدّ سواء يجدون فيه قاضياً نزيهاً ومستشاراً لا يرقى الى مشورته شك، فانه انصرف في حياته الخاصة الى عبادة الأرباب الخالدين لا الى اللهو والفسوق. وعكف على التأمل العقلي في قوى الطبيعة، والمقدرة الالهية. وبلغ من شهرته أن [طاطيوس] زميل رومولوس في الحكم زوّجه ابنته الوحيدة وجعله ختنه، لكن هذا لم يُغرّ كبيراًه بالرغبة في العيش مع حميه في رومه. وفضل الحياة مع السابين، والعناية بأبيه في آخر عمره. وفضلت (طاطيا) أيضاً عيشة زوجها البسيطة الخاصة على حياة الفخفة والترف التي كانت تتمتع بها وهي مع والدها. وقيل انها توفيت بعد حياة زوجية دامت ثلاث عشرة سنة.

وعندئذ ترك [نوما] ضوضاء المدينة ونزع الى حياة الريف. يتجول في البساتين والحقول، ويؤدي فرائضه الدينية، ويقضي جل أوقاته في الاماكن الخلوية وحده وهذه الوحدة كانت سبباً في حكاية اتصاله بالرّبة. خلاصتها أن نوما لم يعتزل المجتمع بسبب حالة من السوّداء اعترته، أو لإضطراب عقلي انتابه، وانما لأنه ذاق مسرات وصال أسمى كثيراً من الوصال البشري، وسمح له بالزواج من الآلهة لما احبته الرّبة [ايجيريا Egeria] <sup>(٨)</sup> وأختصته لنفسها وبذلك نال البركة والحكمة الألهية.

هذه الحكاية تشبه الاساطير الموغلة في القدم كما هو واضح. تلك الأساطير التي انحدرت الى الفريجيين وما زالت تروى عن [أتيس Attis] <sup>(٩)</sup> وما انحدر للبيثيين عن [هيروودوتس]،

(٨) ان ميل [نوما] الى العزلة. واعتياده الانزواء في أمكنة غير معروفة من غابة [أريشيا] كان سبباً في شائعات مختلفة راجت بين الناس. وظن بعضهم أن الحورية (ايجيريا) هي التي أملت عليه الشرائع الدينية والمدنية التي قام بسنّها. وأكد ذلك هو نفسه كي يؤمن المصادقة الرّبانية عليها ولكن لما لم يكن ثم من يخلو من سوء الظن والنزغات فقد ظن بعضهم ان ما يجتذبه الى الغابات والكهوف شيء لا يمت الى العفة بصلة. وهذا ما حدا بجوقينال الى السخرية عند ذكره بستان [ايجيريا] ليقول (١٥:٣) *Hic, ubi nocturnae Numa Constituebat amieae* ويعقب أوقيد بقوله: ان ديانا من أجل ان تنسى حزنها على فقدان [نوما] حولتها الى نيب ما زال يدعى باسمها (١٥ المسوخ) وهو بولوتارخ الذي تبنى الرأي نفسه هما الوحيدان اللذان ذكرا انها كانت زوجة (انظر ايضاً ديون ١٥:٢).

(٩) قيل ان [أتيس] كان موضع حبّ الرّبة (كيبيله) وان (ديانا) عشقت انديميون. وأمّا هيروودوتس هذا =

وللاركاديين عن انديميون Endymion، ولا نذكر عدداً آخر ممن ظن أن الآلهة اصطفتهم واسبغت عليهم حبها. وليس يبدو غريباً أن لا تنزل آلهة شاءت ان تحب رجلاً، لا طيراً ولا حصاناً وتعيش مع نفس فاضلة وتتبادل الحديث مع حكيم ذي خلقٍ رفيع. وان كان يصعب حقاً الاعتقاد بأن للآلهة والجن قابلية على الحب الحسي والجسماني والتوكله في جمال انسي أو جسم بشري. على أن حكماء المصريين لا يقرون حقاً بهذه التفرقة، وهي: من الممكن لروح إله ان تتقمص طبيعة انثى من البشر، لتحمل في أحشائها نطفة أولية لجيل بشري، في حين يرون من الوجهة الثانية أنه يستحيل على جنس الذكر من البشر أن يتصل جنسياً، أو يمتزج جسمانياً بربة من الربات، غير معتبرين على ما يبدو أن ما هو قابل الحصول في شق، يفترض وجوب حصوله في الشق الثاني، والمنطق يفرض ان التزواج ذو طبيعة تبادلية. وليس يصح إلا الإفتراض بان الآلهة تتجاوب لحب البشر، أو انها تحبهم على شكل الرعاية والاهتمام بهم ويفضائلهم. ولم يخطئ أولئك الذين زعموا أن (أبوللو) عشق [فورياس]، و(هياسينثوس Hyacinthus) و[ادمتوس Admetus] (١٠٠)، أو أن (هيبوليتوس السيكيوني Sicyoiuon) كان ذا حظوة عندهم، مشمولاً برعايتهم. فطالما كان يبحر من [سيكيون] إلى [سيريا]، كانت العرافة البيثية ننشد هذا البيت الملحمي المعبر عن اهتمام الرب وحبه:

الآن رجع هيبوليتوس مرة أخرى يخاطر بحياته العزيزة في غمار البحر

وذكروا أيضاً أن [بان] وقع في عشق [پندار] وأشعاره (١١١). وأن القوى الالهية كرمت [هسيود، وارخيلوخوس] (١٢٢) بعد وفاتهما، لأجل [الميزوات]. وثم رواية أخرى هي أن

= [يسميه داسييه: رودوتس] فلم يذكر في اي موضع آخر على ما نعتقد.

(١٠) كان (فورياس) ابن (تريوپاس) ملك أرغوس قد انقذ الروديين مما لا يحصى من الافاعي التي عاثت في جزيرتهم ومن تنين هائل على الأخص، كان قد ازرد عدداً كبيراً من الناس. ولذلك اعتبر مقرباً من [أبوللو] الذي قتل (البيثون). وقد وضع مع البيثون في السماء بعد موته في برج الثعبان. كذلك هياسنتوس ابن اميكلاس باني مدينة اميلكي القريبة من سبارطا فقد كان محبوباً من أبوللو و[زفيروس] فقتله الأخير في نوبة من الغيرة. وعندها تحول إلى زهرة الهياسنتا التي سميت باسمه. [پاوسنياس - لقيديمون ١٩:٢، أوفيد المسوخ ١٠:١٠٥]. اما (ادمتوس) فهو ابن (فيرييس) ملك تيتاليا. تقول الاساطير ان أبوللو حفظ له غنمه.

(١١) كان ل(بان) منزلة عبادية خاصة عند پندار. ولذلك نجده يسكن بالقرب من هيكل (ريا) و(بان). ونظم تلك الأشعار التي غنتها عذارى ثيبه في عيد تلك الربة. وقيل ان سعاد بسماع صوت الاله نفسه وهو يتلو إحدى مقطوعاته الشعرية.

(١٢) قتل (ارخيلوخوس) بيد الجندي كالكوندس أو أرخياس النخسوسي. أرغمته كاهنة الأولى على تأدية فريضة الكفارة لقتله رجلاً مكرساً للميزوات. ولعن نبوءه دلفي «الرجل الذي فتك به» لأنه «قتل خادم الميزوات». وأما عن (هسيود) فقد كان ضحية شك ظلم والقي في نهر [دافئس] فحملة التيار إلى البحر ونقلته الدلافين إلى ريوم وهو لسان من خليج كورنث. فأمر الأرخومينيون وهم من سكان بويوتيا الذي =

[ايسكولابوس Aeaculapius] لازم [سوفوكليس] طوال حياته وتبرك بالحديث معه وما زالته توجد عدة براهين على ذلك، منها أنه لما توفي، قامت آلهة أخرى بمراسيم جنازته<sup>(١٣)</sup>. وإن نحن أقمنا أي وزن لهذه الوقائع، فلماذا نعد من قبيل السخف والتخريف - القول بأن روحاً مماثلة من ارواح الآلهة كانت تعمد الى ملازمة [زالوكوس Zaleucus] و[مينوس]، و[زرادشت Zoroaster]<sup>(١٤)</sup>، و[ليكورغوس]، و[نوما]، أولئك الذين وضعوا دساتير الممالك، واشترعوا انظمة الجمهوريات؟ بل ومن المعقول أن نعتقد أن الآلهة بدافع من أغراض سامية، تمديد المساعدة لهؤلاء الرجال، فتوحي اليهم بالرأي الصواب في اثناء التشاور وتبادل الآراء بالأمر الهامة، كما تزور الشعراء والموسيقين، ان لم يكن دائماً ففي أوقات ابداعهم... وأختلاف الآراء في هذا الموضوع كبير و«الطريق فيه لاجبة» كما يقول [باخيدس Baechy- lides]<sup>(١٥)</sup>، وليس ثم أي سخف في التعليل الذي روي أيضاً عن [ليكورغوس ونوما] وغيرهم من مشاهير المشترعين وعظمائهم فقد زعموا هم أنفسهم أنهم مزودون بسلطان من الآلهة، لأن مهمتهم كانت ازالة الشر وسياسة الجماهير الصعبة القيادة، وفرض انظمة وقوانين جديدة على مجتمعاتهم... حتى لو كان ادعاؤهم هذا كاذباً، فهو بالتأكيد مفيدٌ لصالح أولئك الذين فرضت الاصلاحات عليهم فرضاً. ولأجل ان تكمل الحكاية:

كان نوما في حدود الأربعين عندما أقبل الوفد يعرض المُلْك عليه. وكان المتكلمان [بروكولوس] و[فيلسوس Velevs] (وهما أول من رُشح للمُلْك. فنشب الخلاف حول من يكون منهما وكان الرومان الأصائل يميلون الى [بروكولوس]، والسابين الى [فيلسوس]). فالتقيا كلمة قصيرة جداً نيابة عن الوفد لاعتقاد ان عرض الملك لا يستلزم الكثير من القول لاقناع المرشح ولكنهما وجدا - خلافاً لما حسباه - بأن عليهما أن يتوسلا بمختلف وسائل

---

= فتك بهم الطاعون فتكاً ذريعاً، أمروا بنبوة ان يرفعوا رفاته وينقلوها الى بلادهم وقد جاء في النبوة «العلاج الوحيد هو اعادة عظام هسيود من أرض ناوپاكتس الى أرض أرخومينس» وبعد ان نفذوا ما جاء في النبوة، انقشعت غيمة الوباء عنهم.

(١٣) توفي سوفوكلس في اثينا اثناء ما كان ليساندر يشد الحصار عليها. وقيل ان [باخوس] أو [ديونيسوس] أمر القائد السيارطي في حلم «بان يسمح للتعار الطائر الاثيني الجديد بان يدفن في [دليكييا] مقبرة اسلافه وبعد تكرار هذا الأمر لم ير ليساندر مندوحة من الرضوخ له [پاوسنياس ١: ٢٦] [بليني التاريخ الطبيعي ٧: ٢٩].

(١٤) استن زالكوس شرانعه للوكريين في بلاد الاغريق الكبرى زاعماً ان (مينرثا) هي التي أوحى له بها. واما زرادشت فهو النبي المجوسي (تذكره المآثر اليونانية بانه ملك باختياريا) الذي استن الشريعة التي عرفت باسمه. ومينوس الملك هو مستن الشرائع الكريتية.

(١٥) اشاد هذا الشاعر بفوز هيرو كينذار في الالعاب الاغريقية وانه بر منافسه العظيم أحياناً. وكان الامبراطور يولييان من أشد المعجبين به وكثيراً ما تمثل باشعاره.

الإقناع والمنطق مع شخص عاش في هدؤ ودعة - ليقبل بحكم مدينة بنيت وتأسست وتوسعت بالحرب، فأجاب [نوما] بحضور ابيه وقريبه [مارشيوس Marcius] بما يلي: «كل تبدل في حياة المرء، خطر عليه، وان الجنون وحده يستطيع أن يحمل شخصاً لايحتاج الى شيء، قانع بكل ما هو حوله، على ترك الحياة التي اعتقادها، فمهما كانت نقائص تلك الحياة فلها على أية حال افضلية الحقيقة الواقعة ومزياتها على حياة مجهولة، يحف بها الشك. وان كانت مصاعب هذا الحكم في الواقع لا يمكن ان تنعت بالمجهولية. فرومولوس الذي كان أول الحكام لم ينج من الشكوك، والتخرصات في أنه تأمر على حياة شريكه [طاطيوس] ولم يخلص مجلس الشيوخ من مثل هذه التهمة في أنه قتل رومولوس غدرًا. على أن رومولوس امتاز بالفكرة العامة السائدة عنه وهو أنه ولد من الآلهة، وعاش بمعجزة. في حين ان ولادتي كانت طبيعية وقد رباني وانساني أناس معروفون لديكم. وإن الصفات الموجودة في طبعي وشخصيتي هي أفضل دلالة على عدم صلاحتي للملك. - حب الوحدة، والدراسات التي لا علاقة لها بشؤون الحياة المادية، ميل في الى السلام والهدؤ تمكّن في فلا اطيع التخلي عنه، انشغالي في اعمال لا تمت الى الحرب والعنف؛ اندماجي باناس لا يلتقون إلا في العبادة وفي صلوات رقيقة متعاطفة، قضا حياتهم كلها في حقولهم ومزارعهم وأظنني سأكون مبعث سخرية عامة إذا طغتُ حائاً على عبادة الآلهة، مبشراً وخطيباً في التمسك بالعدالة، وكره العنف والحرب في مدينة هي أحوج الى قائد جيش منه الى ملك.

وبإدراك الرومان من كلامه هذا أنه يرفض قبول المنصب الملكي زاد المحاحم واصرارهم قائلين: لا يجدر به أن يتركهم ويخيب رجاءهم في هذا المطلب، وبذلك يضطرمهم الى العودة بلا شك الى الاختلاف والنزاع فيما بينهم، اذ لا يوجد شخص غيره، يكون موضع قبول الفريقين المتناحرين. وأخيراً انتحى به ابوه ومارشيوس جانباً واقنعوه بقبول هبة كريمة ومنحة كانت السماء مصدرها أكثر مما كان من البشر وقالوا: «مع أنك عازف عن الغنى، راض بما لديك، لا تبحث وراء شهرة السلطان بعد أن نلت شهرة الفضيلة التي هي أثمن من الأولى. إلا انه يجب أن تعدد الحكم خدمة الهيئة. فالله الآن شاء أن يفيد من اعمال فضائلك وحكمتك وعدالتك. وهي سجايا لن يُقدر لها أن تبقى عاطلة مهملة. فأرجع عن اصرارك على ورفضك هذا لمنصب هو لحكما الرجال ميدان لممارسة الاعمال الشريفة العظيمة، ولعبادة الالهة عبادة لاثقة ممتازة، وبث العادات الصالحة الحيرة التي لاتستطيع نشرها بين الناس الا السلطة. كان [طاطيوس] محبوباً وان كان اجنبياً، وذكرى رومولوس اصفت عليها الآلهة مختلف النعم والبركات، ومن يدري؟ لعل هذا الشعب المنتصر ابدأ قد اتعبته الحرب وقنع بالأسلاب والغنائم التي غنمها، قد يكون



راغباً أكثر من اي شيء آخر بملك مسالم وادعٍ محبٍ للعدل، يقود خطاهم الى الاستقرار والسلام؟ واذا كانت عواطفهم تنزع الى الحرب بما لا قبل بدفعه، أفليس من الأفضل أن تكون الأعنة بيد معتدلةٍ قادرة على تحويل شدة الحرب الى مسلك آخر وان مدينتك وكل شعب السابين سيجعلان منك رابطة صداقة ودليل حسن نيةٍ لهذه السلطة الفتية المتنامية؟

ورافق هذا الإقناع والالحاح عددٌ من العلامات الالهية السعيدة، على ما قيل. كذلك حماسة بني جلدته الذين بعد ان فهموا مضمون الرسالة التي حملها اليه الوفد الروماني، رجوه أن يرافقهم ويقبل بالملك كعامل من عوامل الوحدة والأئتلاف بين الشعبين.

فرضخ [نوما] لهذا الاحاح، ورحل الى روما بعد أن انجز تقديم قربانه للآلهة. وأستقبله في الطريق الشيوخ والعامّة الذين خرجوا للترحيب به برغبة لا تكبح. وأستقبلته النساء ايضاً بهتاف الفرحة وقدمت القرابين عنه في كل المعابد وكان الفرحة عاماً حتى لكأنهم يستقبلون مملكة حديدة لا ملكاً جديداً. وعلى هذه الصورة أرتقى درج [الفورم] حيث كان [سپوريوس فيتتيوس Spurius Vettius] في تلك الساعة الملك الوقتي؛ فقام هذا بأخذ الاصوات، وأعلن [نوما] ملكاً، وجيء اليه بشارات واوشحة السلطة. ولكنه أبى أن يتقلدها قبل أن يستشير الآلهة ويحظى بموافقتها ورضاها. فأخذ الكهنة والعرافون [Ougur] (\*) الى الكايبيتول وكان الرومان في ذلك العهد يسمونه (التلّ التاريخي). ثم قام رئيس العرافين بتغطية رأسه<sup>(١٦)</sup> وتحويل اتجاهه الى الجنوب ووقف خلفه باسطاً ذراعه اليمنى على رأسه وأخذ يصلي وهو يدير له رأسه الى كل الجهات توقعاً لإشارة خيرٍ من الآلهة. وكان المنظر عجيباً رائعاً، والصمت والخشوع يهيمنان على الجموع المحتشدة في الفورم. وهم في عين التوتر والتوقع. حتى ظهرت الطيور السانحة ومرت من جهة اليمين. وعندئذ اتشح [نوما] بالرداء الملكي وانحدر من التلّ الى الجماهير، فقابلته بالتهاني وبالتهتاف، والصراخ، وحيته ملكاً مقدساً، ذا حظوة عند الآلهة. وأول ما فعله عند توليه الحكم، انه حلّ كتيبة الرجال الثلاثمائة الذين كانوا حرس رومولوس الشخصي وقد عرفوا باسم [كيليرس]<sup>(١٧)</sup>، قائلاً إنه لن يظنّ سوءً في أولئك الذين

(\*) موظف ديني روماني واجبه ينحصر في التنبؤ بالحوادث المقبلة بدلائل من حركات الطير، أو من حالة احشاء الذبائح، أو من الظواهر السماوية. وربما كان الاسم تركيباً مزجياً من الكلمتين الرومانيتين [Ovis = طير] و[Gar = كلام] (م.ت).

(١٦) هذا هو النص الحرفي الذي اورده المؤلف. لكن يظهر من [ليفي ٨:١] ان العراف لم يغطّ وجه [نوما] بل غطّي وجهه Augur ad laevam yejus capite velato sedem cepit. وهذا هو الوقع لأن العراف يلفّ دوماً برداء خاص يدعى Laena عند قيامه بالعرافة.

(١٧) يقول [ديون الهاليكارناسوسي ١٦:٢] ان [نوما] لم يحدث اي تغيير في الأجهزة التي أوجدها رومولوس. لذلك ومع انه لم يستخدم الجليسر بمثابة حراس لكنه ابقاهم باعتبارهم من صفار الكهنة وواجبهم =

وضعوا ثقمتهم فيه، ولا يحكم شعباً ليس له ثقة به. وثاني ما فعله انه اضاف الى كاهني جويتير ومارس، كاهناً ثالثاً، تكريماً لرومولوس وأطلق عليه اسم [فلامين كويرينالس Flamen Quirinalis] (١٨). كان الرومان القدماء يسمون كهنتهم [فلامينس Flamines] بتصحيثهم كلمة [پيلامينس Pilamines] اليونانية من كلمة [پيلوس Pileus] بيلوس] وهي القبعة او القلنسوة التي كانوا يلبسونها. وفي تلك الأيام كانت الألفاظ اليونانية أكثر امتزاجاً باللغة اللاتينية من الوقت الحاضر (١٩). ويجرى مجرى هذا أيضاً «الرداء الملكي» الذي يُسمى [لينا Laena] [فجوبا] يقول أنه [خلينا Chlaena] وهي الكلمة اليونانية المطابقة له. وان اسم [كاميلولوس Camillus] (٢٠) الذي يطلق على الصبي الخادم في معبد جويتير حين يكون ابواه على قيد الحياة، فهو مأخوذ من الإسم الذي يطلقه بعض الاغريق على مارس مشيرين الى وظيفته وهي قيامه بخدمة الآلهة الباقين.

وعندما فاز [نوما] بمودة وحبّ الشعب، بهذه الاجراءات، باشر حالاً بهمة تحويل الطبائع الرومانية الصلبة الحديدية الى طبائع تمتاز بالرقّة والوداعة، وليس أدق من وصف افلاطون بـ«المدنية التي تحتاحها حُمى محرقة» - لروما في ذلك الحين. فقد انشأتها بالأصل نفوس ما عرفت إلا الجراءة والاقدام سبيلاً وعجمت عودها المخاطر والمواقف الصعبة وجاءت بهم اليها صروف الدهر من كل فج عميق، وهكذا لم تر الوجود إلا بالحروب الدائمة مع جيرانها كانت، والغزوات سبيلاً لبقائها ونموها والتعرض للأخطار مصدراً لكل قوة جديدة لها مثل اوتاد اثبتها في الأرض إلا ضربات المطارق لأجل أن يحقق [نوما] غرضه العسير - تحويل طبائع هذا الشعب العنيدة الاعتدائية الى طبائع هادنة مسالمة رقيقة، بدأ بمهمته عن طريق الدين. فأكثر من تقديم القرابين والمواكب والرقص الديني وكان يترأس معظمها بشخصه. محاولاً بهذه المظاهر الدينية التي تمازجها صنوف من الملاهي ووسائل التسلية الانسانية الرقيقة، التغلب على امزجتهم القتالية العنيفة والتخفيف منها. وكان يملأ بين الفينة والفينة أيضاً اذهانهم بالمخاوف الدينية، مدعياً ظهور اشباح غريبة، وسماع اصوات مرعبة. ليخضع عقولهم

= الاهتمام بالقرابين والعمل تحت اشراف التريبونات ضباطهم القدماء.

(١٨) وعلى هذا الأساس يكون Flamin Martialis كاهن مارس و Flamin Dialis كاهن جويتير وعلى هذا فقس.

(١٩) مؤلفة أصلاً وبشكل رئيس من الأغرقي الايولي القديم. وان كان الزمن والصيانة والتحسين المتدرج قد اكسبها المظهر الأخير المختلف جداً.

(٢٠) كاميلوس مشتقة من كلمة (كاميلوس) البيوثية ومعناها في الغالب (خادم) في هيكل في العادة يوجد شاب حسن الخلق وظيفته خدمة الكاهن. من الضروري ان يكون ابواه على قيد الحياة ولذلك استخدم پلوتارخ الكلمة التي تقابل باللاتينية لفظي Matrium e, Patrium اي الأبوة والأمومة.

ويذكرها، بمشاعر الخوف من خوراق الطبيعة.

هذه الطريقة التي استخدمها [نوما] أدت الى الاعتقاد بأنه على صلة كسيرة [بفيثاغورس]، ففي فلسفة الأخير منهما وفي سياسة الأول. تحتلّ علاقات الإنسان بالالهة منزلة عظيمة وقيل أيضاً أن هيبه وجلال مظهره وثيابه إنما استمدتها من شعوره الشبيه بشعور فيثاغورس. اذ روي عن هذا، انه درّب نسرأ على الهبوط اليه كلما ناداه، أو الميل نحوه اثناء طيرانه. وانه كان في اثناء مروره بين الناس المجتمعين لمشاهدة الالعاب الأولمبية، يريهم فخذة الذهبية الى جانب معجزات وغرائب أخرى كان يقوم بها. مما دعا [تيمون الفيلاسي-Philasian]<sup>(٢١)</sup> الى كتابة البيت التالي: «إنه ذلك الذي كان معتزاً بمجد المشعبد بكلامه المهيّب الذي يلقيه الى سمع الجمهور»

وعلى هذه الشاكلة تحدث [نوما] عن ربة معينة، أو حورية من حوريات الجبل تعلقت بحبه، وراحت تقابله سراً كما سبق لنا ذكره، كما اذاع أنه كان كثير اللقاء بالميوذات ومحادثتهن وعزا الى تعاليمهن معظم الوحي الذي نزل عليه. ومن بينهن واحدة اوصى الرومان بإكرامها بنوع خاص وهي [تاجيستا Tacita] اي الصامتة، وربما فعل ذلك تقليداً وتكريماً للصمت الفيثاغوري. ورأيه في الصور يوافق جداً مبدأ فيثاغورس. الذي يعتبر أول مبدأ للكينونة شعوراً وعاطفة تسمو على الحسّ البشري، ولا يمكن الوصول اليها إلا بالتفكير المطلق التجريدي. ولذلك منع [نوما] الرومان ان يمثلوا الآلهة بهيئة انسان أو حيوان. وأنك لا تجد اي صورة مرسومة أو منحوتة لربّ من الأرباب لفترة طولها مائة وسبعين عاماً فقد بقيت هياكلهم ومعابدهم خالية من الصور والتماثيل. وشاع الاعتقاد بينهم أن هذه الأشياء الوضيعة، أرذل من أن تشبه أرفع الكائنات واسماها. والوصول الى الاله مستحيل إلا بالذهن الطاهر النقي. وقربينه تشبه بتفاصيلها قرابين فيثاغورس شهباً كبيراً، فالدم لايسفك فيها، بل يكتفى بتقديم الازهار والخمر وما اليها من أرخص التقدّمات وهناك براهين واضحة أخرى تثبت ارتباط [نوما] بفيثاغورس هذا وان الكاتب الفكه القديم [إبيخارموس Epicharmus] وهو من المدرسة الفيثاغورية ذكر في كتاب له مهدي الى [آنتينور Antenor] أن فيثاغورس جعل مواطناً حراً من مواطني رومه، وسمّى نوما أحد اولاده الأربعة<sup>(٢٢)</sup> [ماميركوس Mamer-

(٢١) كاتب سيلي Silli وهو نوع من الهجاء، سمي كذلك نسبة سيلاموس الذي كان يشدد في نقده للفلاسفة بسبب تمسكهم بالبادي.

(٢٢) على سبيل اكرام الكتاب بعض الأسر الرومانية عمدوا الى ربط نسبها بنسب (نوما) وعزوا اليه اربعة اولاد. لكن المعروف عموماً انه لم يخلف غير ابنة واحدة اسمها [پومپيليا] واسرة [إميليا] هي واحدة =

CUS] وهو اسم أحد اولاد فيثاغورس. ومنه جاءت (كما قالوا) الأسرة الباتريشبية العريقة [ايميللي Aemilli]، إذ أن اباه الملك لقبه على سبيل المزاح [ايميلوس Aemilius] لأسلوبه اللطيف الطلي في الحديث، وسمعتُ اثناء وجودي في روما، انه عندما نزلت نبوءة تأمر باقامة تمثالين<sup>(٢٣)</sup> أحدهما لأعظم الناس حكمة بين الاغريق وثانيهما لأعظمهم بسالةً، أقاموا تمثالين من النحاس أحدهم [لالسكيبيازيس]، والآخر [لفيثاغوراس]. ومهما يكن من أمر فلنتحول عن هذه الأمور التي يكتنفها الكثير من الأوهام، فضلاً عن كونها من قلة الأهمية بحيث لا تستحق صرف وقت أكثر من هذا. والى روما يعزى انشاء رتبة الكهنة المعروفين باسم [بونטיפيس Pontifices]<sup>(٢٤)</sup>. وقيل أنه كان أولهم. وأن الكلمة مشتقة من [پونس Po-tens] أي «ذا القوة» لأنهم يقومون بخدمة الآلهة ذوي الحول والسلطان على الجميع. ويزعم آخرون ان الكلمة تشير الى «استثناءات من قضايا مستحيلة» فالكهنة عليهم أن يقوموا بكل الواجبات الممكنة. فان وجد أمر يفوق طاقتهم وحدود إمكاناتهم فينبغي الأ يثار احتجاج على قصورهم فيه. وأكثر الاراء شيوعاً هن أصل الكلمة هي أكثرها سخافة<sup>(٢٥)</sup> يشقون الكلمة من [پونس Pons] و[الجسر باللاتينية هو Pontem] وتمنح الكهنة لقب بناء الجسور! القدماء، وحراسة الجسر وترميمه مناط بالكهنة كأي واحدة من الوظائف العامة المقدسة أخرى الذي يرونه اقدس وأقدم المراسيم الدينية. هؤلاء الكهنة أيضاً يقال أنهم خولوا العناية بالجسور بوصفه اهم عمل في وظيفتهم الكهنوتية. وعُدَّ هدم الجسر الخشبي<sup>(٢٦)</sup>، وكسره من قبيل

= من أشهر الأسر الرومانية يتفرع منها فروع البابولي Pauli والبابي Papi. وكلمة اميلوس بالاغريقية تعني الرقيق أو الجميل.

(٢٣) بحسب رأي بليني (تاريخ الطبيعة ٥:٣٤) انه كان اثناء حربهم مع السانيين (٣٢٩-٣٣٤ ق.م) حين أمر ابولو الپيثي الرومان باقامة التمثالين فتم نصبهما في الكوميسيوم وبقيتا ثم حتى دكتاتورية سيللا ٧٨-١٣٨ ق.م ولعل الأمر الذي ورد في النبوءة كان يشير على الرومان بأن يتزودا بحكمة الاغريق ويتحلوا بشجاعتهم إن اردوا النص.

(٢٤) نصب [نوما] أربعة وكلهم من الباتريشيين. ولكن اضيف اليهم في العام ٤٥٢ أو ٤٥٤ ق.م اربعة من البليبيين. وفي عهد (سيللا) بلغ عددهم خمسة عشر. والملك نفسه يؤكد هنا انه كان يتراأسهم، أو ما يدعى بالكاهن الأعظم على ان [ليفي ٢٠:١] يعزو ذاك الشرف الى شخص آخر بنفس الاسم هو [نوما مارشوس] ابن احد الشيوخ. وربما كان پلوتارخ قد التبس عليه الاسم. ومن المحتمل جداً ان [نوما] احتفظ لنفسه بهذا المنصب لشدة دينه. فالملوك في العالم القديم كانوا يسيرون على هذا الخط. وقد حدا حذوهم اباطرة الرومان في فترة متأخرة كما سنرى.

(٢٥) ومع هذا فان [قارو الأول] منها على الأخص بان پونس سوبليشوس بنيت اولاً ثم جرت عليها ترميمات عديدة تحت اشرافهم. ان هذا العمل الشعبي الممتاز كان يُستبق دائماً بتقديم الذبائح والدعوات لرب النهر وقد نقل هذا الواجب من اختصاص الكهنة الى (الكستور) في عهد اغسطس قيصر.

(٢٦) ما زال موجوداً ينظر اليه باحترام ومهابة وهو يربط يانيكولوم بالمدينة [انظر ديون ١٤:٣] كذلك الكتاب المتأخرون حول روما الحديثة.

الكفر والاثم الديني لا مجرد جريمة ممنوعة قانوناً. وقيل فضلاً عن هذا أن بناءه كان من الخشب يشد اجزائه مسامير خشبية لا مسامير أو عضادات حديدية، اطاعةً لنبوذة<sup>(٢٧)</sup>. ولم يكن الجسر الحجري إلا بعد زمن متأخر جداً، عندما كان [إيميلوس] أميناً للخزانة العامة -Quaes-tor\*<sup>(٢٨)</sup>. وقالوا أيضاً أن الجسر الخشبي لم يسبق عصر [نوما] وإنما أكمل بناءه [انكوس مارشيوس Ancus Marcius] لما ملك، وهو حفيد [نوما] من بنته.

إن وظيفة [بونظفيكس ماكسيموس] أو الكاهن الأعلى، أستحدثت لأجل تفسير الشريعة الالهية أو بالأحرى للهيمنة على الفرائض المقدسة وليست وظيفتها قاصرة على مراقبة قواعد الاحتفالات الدينية العامة بل على تنظيم تقديم قرابين الأفراد ومراقبتها لئلا تخرج عن العرف الجاري وتقديم المعلومات لكل شخص، عما هو مفروض في العبادات والصلاة وكذلك يكون الكاهن وصياً حارساً على عذارى قستا. ويُعزى الى [نوما] انشاء وظيفتهن<sup>(٢٨)</sup> هذه الى جانب استحداث النار الخالدة التي يرعيناها. ولعله تصور انه من المناسب جداً أن يعهد بالنار الطاهرة غير النجسة الى اشخاص ذوي عفة وطهارة. أو ان النار التي تضطرم ولا تنتج شيئاً حتى تخمد، فيها وجه شبه بحياة العذراء<sup>(٢٩)</sup> وفي بلاد اليونان، يعهد بأمر النار المقدسة الخالدة اينما وجدت -كما في دلفي وآثينا- لا الى العذارى بل الى الأرامل اللاتي فات أو ان زواجهن. وقد يحدث بمحض الصدفة أن تنظفي، هذه النار كما أنظف المصباح المقدس في آثينا على عهد طغيان [ارسطيون Aristion]<sup>(٣٠)</sup>، وفي دلفي عندما أحرق الميديون المعبد<sup>(٣١)</sup>، وكذلك في أيام الحروب الالهية الرومانية<sup>(٣٢)</sup> والحروب الميثريداتية Mithridatie حيث هدم

(٢٧) اسلوب البناء هذا يعزوه بلييني (١٥:٢٥) لا الى النبوذة بل للصعوبة التي جابهت الرومان عند كسره (وكان موصولاً بخطافات حديدية) في حروبهم ضد (بورسينا).

(\*) سنة ١٧٩ قدم مسالة معرفة نوما بفيثاغورس مسالة يكتنفها الغموض كانت موضع أخذ وردطولين وهي اشبه بجبال الاطفال.

(٢٨) بالأحرى بناء معبد قستا لأن [رياسلقيا] والدة روملوس كانت قستا له ألبا.

(٢٩) هناك تناقض بين هذه العبارة والعبارة التي اوردها المؤلف بالذات في سيرة كاميلوس فلتراجع.

(٣٠) بقي ارسطيون (٨٦-٨٨ ق.م) صامداً مدة طويلة لحصار (سيللا) مدينة آثينا وكان قد استولى عليها اثناء حروب (ميثريدات) وكان ارسطيون هذا قد ارتكب أعمالاً شنيعة عديدة بحق المدينة. كما كان السبب في القاء الحصار عليها ونهبها بالأخير. كانت النار المقدسة تحفظ في معبد مينرفا.

(٣١) في عهد كيخسرو الفارسي.

(٣٢) يحدثنا بلييني (الملحق ٦:٨٦) ان ما حدث والحرب الالهية بين ماريوس وسيللا تكاد تشرف على نهايتها

- هو ان (ميونتوس سكيولا) الكاهن اغتيل عند مدخل معبد قستا. لكننا لم نجد النار المقدسة مطفاة. إلا ان (لوكان) يقول انه سقط بالقرب من المعبد وان دماغه كادت تطفئ النار المقدسة. بل عندما احرق هذا المعبد عند نهاية الحرب الهونية ٥١٢ ق.م. فإن الكاهن چيچليوس متلوس اندفع خلال النيران وانقذ الهلاديوم وغيره من المقدسات وقد دفع بصره ثمناً لذلك. كذلك اُحترق الهيكل مرة أخرى عند نهاية حكم =

الهيكل أيضاً، في هذه الحالة كان يعد من قبيل الإثم والنجاسة أن توقد هذه النار ثانيةً من لهيب اية نارٍ اعتيادية، أو شرارة رمادٍ أو من أي شيء آخر إلا أشعة الشمس النقية غير النجسة. ويتم ذلك عادةً بالعدسات اللامة<sup>(٣٣)</sup> وهو جسم يتألف من منشور مستطيل مثلث كلّ خطوطه من أسطحه تلتقي في مركزٍ واحد ويكون دائم الدوران فبتعريضه الى الشمس يتمكنون من جمع أشعة الشمس فيه وتركيزها كلها في نقطة التقاء تلك (البؤرة) فيغدو الهواء ساخناً وتلتهب كل مادة خفيفة جافة قابلة للاشتعال حالما تُقرب من الأشعة التي تتطلب المادة والقوة الفاعلة للنار، ويرى بعضهم أن وظيفة هالة الفستالات هي حفظ النار ليس غير، إلا أن آخرين يقولون انهم يحافظن على اسرار مقدسة أخرى<sup>(٣٤)</sup> كتبت عن الجميع. وقد آتينا في سيرة كاميلوس الى ذكر كل ما تصح روايته، أو السؤال عنه من تلك الاسرار.

وقد ذكر ان [جيجانيا Geganina] و[فيرينيا Verenia] كانتا أول كاهنتين رسمها [نوما] لوظيفة الفستالات. ثم اعقبهما [بكانيوليا Canuleia] و[تاريبا] ثم أضاف [سرفيوس Servius] اثنتين، وظلّ العدد أربعة حتى يومنا هذا...

إن النظام الذي استنته [نوما] للفستالات هو كما يلي: يجب ان يندرن عذريتهن لمدة ثلاثين عاماً. يقضين العشرة الأولى منها في تعلم واجباتهن، والعشرة الثانية في مزاولتها، والعشرة الباقية في تعليمها للاخريات وتدريبهن عليها. وبعد أن تنتهي المدة، يكن حُرّات في أن يتزوجن. ولكن يقال أن قليلات منهن إخترن مزاوله هذا الامتياز وقد لوحظ أن حياتهن الجديدة بعد تقاعدهن عن وظيفتهن، لم تتميز بالسعادة، وانما وافقها الأسف والندم والكآبة ولذلك تجد القسم الأكبر يؤثرن البقاء والاستمرار حتى أرذل العمر والموت محافظات بأشد ما يمكن على حياة العزوية بدافع من الخوف الديني، وضغط الضمير.

وبمقابل تلك الصرامة عوّض بامتيازات وسلطات كبيرة. فلهن أن يوصين في حياة آبائهن، ولهن حق ادارة شؤونهم بدون وصي أو قيم. وهذا امتياز لا يمنح للمرأة متزوجة أم أولاد ثلاثة. واذا خرجن لشأن، سار امامهن حملة الفاچي<sup>(٣٥)</sup>، واذا لقين في سيرهن مجرماً يساق

= (كومودوس) ولعل بليوتارخ كان يخلط هنا بينه وبين الكاپتول.

(٣٣) العدسات الحارقة التي تجمع الأشعة في البؤرة، هي من مخترعات أرخميدس الذي عاش بعد (نوما) بخمسة قرون.

(٣٤) كتلك التي تتعلق بـ(الباديوم) والتماثيل وغيرها لآلهة ساموثراكي [انظر ديون ١٧:٢].

(٣٥) حزمة العصي في وسطها فأس، يحملها [الكتور] امام الحكام الكبار الرومانيين اشارة الى السلطة. وهي من كلمة [Fascis] اللاتينية ومعناها [حزمة] ومنها جاء اسم الحزب الفاشي (الفاچي) الذي اسسه [موسوليني] في ايطاليا الحرب العامة الأولى، ولم يخصهم [نوما] وحده بهذا الامتياز بل حباهم به =

الى حتفه امكنهن انقاذ حياته بعد أن يُقسمن<sup>(٣٦)</sup> بان اللقاء كان بمحض الصدفة وليس مُدبراً. وإذا احتك أحد بالكروسي الذي يحملن عليه يحكم بالموت، وإن أقرت أحداهن خطأ بسيطاً عاقبها الكاهن الأعظم وحده بجلدها بالسياط (عارية أحياناً) في مكان مظلم وبينهما ستار مسدل، ومن تفرط بنذرها تدفن حية<sup>(٣٧)</sup> قرب باب في المدينة اسمه [كولينا Collina] حيث يقوم كثيب من التراب داخل المدينة ويمتد بعض مسافة، ويدعى باللاتينية (Agger)، فتبنى في جوفه غرفة صغيرة. ينزل المرء اليها بدرجات. ويهيئون في تلك الغرفة فراشاً ويشغلون مصباحاً ويتركون كمية زهيدة من الطعام تتكون من الخبز والماء وانا من الحليب. وشيء من الزيت. حتى لا يقال أن ذلك الجسم الذي كُرس ونُذر لأقدس خدمة في الدين، قد هلك جوعاً<sup>(٣٨)</sup>. وتوضع المذنية في محفة، وتغطي تماماً وتربط بالحبال حتى لا تسمع الأذن شيئاً مما قد تقول، ثم ينقلونها الى الفورم، وينسحب كل المارة عن سبيلها صامتين اثناء مرور المحفة ويتبع النعش زميلاتهما بألم صامت كثيب وعمري ليس ثم منظر أشد إيلاماً من هذا المنظر، ولا يوم مثل هذا اليوم تعيشه المدينة بأعظم الأسى والكآبة. وعندما يبلغ المركب ساحة التنفيذ يحل الضباط الحبال ثم يرفع الكاهن الأعلى يديه الى السماء ويتمتم ببعض الأدعية المخصوصة قبل المباشرة. ثم يأتي بالمحكومة وهي مستورة ويضعها على الدرج المؤدي الى الحجره ثم يدير رأسه جانباً مع الكهنة الباقي. ثم يرفع الدرج بعد أن تقذف الى اعماق الغرفة ثم يهال مقدار من التراب فوق الفتحة وتسوى حتى لا يمكن تمييزها عن باقي سطح الكثيب. ذلكم هو عقاب تانك اللاتي يكسرن نذر عفتهن.

وقيل أيضاً ان نوما بنى معبد ثستا. ليكون مذخراً للنار المقدسة وهو على شكل دائري، لا يمثل هيئة الأرض كأنها مثل ثستا تماماً. بل ليمثل عموم الكون. ففي الوسط يضع الفيثاغوريون عنصر النار<sup>(٣٩)</sup> ويطلقون عليه اسم ثستا والوحدة، ولم يكن من رأيهم أن

---

= أيضاً ثلاثي الحكم في ٧١٢ ق.م وأعطى اغسطس ما دعى بـ *Juo trium libesorum* بتشجيع المواطنين بعد الدمار الذي أحدثته الحروب الأهلية.

(٢٦) لايجزو كاهن ل(جويتز) أو ل(فستا) على تأدية قسم. فهو مصدق بكلامه. ولو شاؤا فهم مختارون في

تأكيد أقوالهم وتوثيقها باليمين لكن يندر ان طلب منهم ذلك. وان حلفوا فهم يحلفون بربتهم فستا فحسب.

(٢٧) في البيا جلدن بالسياط بسبب ما يقترفن ولا أكثر [ديون ١: ١٧]. إلا ان [نوما] شدد العقوبة الى حدّ الرجم. أخيراً جعلها تاركونوس پريسكوس الدفن حية.

(٢٨) هناك أمر يجافي العقل والمنطق. ان ما فائدة الطعام للفتسالة المقبورة حية بعد انقطاع الهواء عنها بسدّ

القبر؟ أو لعل ما قصده پلوتارخ من استخدامه كلمة ارزاق - هو بعض مواد القربان؟

(٢٩) معروف جداً انها نظرية فيلولايوس وغيره من الفيثاغوريين إلا ان ثيوغينس ليثريتوس يذكر لنا ان

فيثاغوراس نفسه يرى الأرض هي المركز.

الأرض ثابتة أو أنها تقع في مركز دائرة الكون وإنما هي مستمرة الدوران حول مجلس النار وليست في عداد العناصر الأولية. وهم في هذا يتفقون مع فكرة افلاطون الذي قال في أواخر حياته (على ما زعموا) بأن الأرض تحتلّ مركزاً ثانوياً وأن الفضاء المركزي المهيمن احتجزه جسم آخر أسمى من الأرض.

وهناك وظيفة أخرى للكهننة، هي أن يشرفوا يرشدوا الناس الى المراسيم المتبعة في مراسيم الجنائز. وقد علمهم [نوما] أن لا ينظروا الى هذه الأعمال نظرة تقزز واشمئزاز، بل كواجبٍ محتم للأرباب السفليين الذين ينتقل الى ايديهم خير جزءٍ منّا، وكذلك أوجب عليهم ان يعبدوا الربة [ليبيستينا Libitina] التي تشرف على كلِّ مراسيم الدفن. وسواء أقصدوا بها [پروسپوينا Prospuina] أو [فينوس] (كما يرى معظم الرومان المطلعين)<sup>(٤٠)</sup>، فليس مما لا يتسق منطقياً أن يُعزى بدء حياة امرءٍ ونهايتها الى مسعى ربٍّ واحدٍ.

وعين [نوما] أيضاً قواعد تتوخى تنظيم ايام الحداد، بموجب اوقات مخصوصة وبحسب الأعمار. فمثلاً طفل في الثالثة من عمره لا يقيم له حداد مطلقاً فاذا زاد سنه عن هذا حتى العاشرة يكون الحداد عليه شهراً لكلِّ سنة زيادة في عمره. ومهما بلغ سن الميت فيجب ألا يزيد أقصى فترة للحداد عن عشرة أشهر. وهو الزمن المعين للنسوة اللاتي مات عنهن أزواجهن لمواصلة حياة ترملهن حتى تنقضي المدة. وان تزوجت الأرملة قبل انقضاء هذه العدة، فعليها بمقتضى شريعة [نوما] أن تضحي ببقرة مع عجل<sup>(٤١)</sup>.

وأحدث [نوما] أيضاً اصنافاً أخرى من مراتب الكهنوت، وسأتكلم الان عن اثنين منها. هما

---

(٤٠) ان [فينوس ليبيستينا] هذه هي [پروسپرينه] بعينها. وقد اطلق عليها في دلفي اسم [فينوس ايبيتوفقيا] وپلوتو هو رئيس آلهة الظلام السفلي كما ان لديهم ايضاً [عطاردهم].

(٤١) قربان غير طبيعي كهذا، يقصد به ردع الامل عن الزواج ثانية قبل ختام عدة الحداد. ان السنة التي اشترعها [رومولوس] تمتد عشرة أشهر لا أكثر. وعندما اضاف (نوما) شهرين آخرين فيما بعد، لم يغير من الفترة المقررة سابقاً للحداد. ولذلك فنحن كثيراً ما نجد ما يسمى بسنة الحداد *Lutus Annus* بعد الزمن المحدد. وهي في الواقع سنة (رومولوس) ان لون ثياب الحداد المعتاد الذي يستخدمه الجنسان اظهاراً لحزنهم هو الأسود الصرف دون ان يخالطه لون آخر. لكن الموضة التي سادت البلاد بعد قيام الامبراطورية شملت اللواتى عديده من الثياب. وصار الأبيض الساذج المحلي مبدلاً الى الحد الذي صار النسوة تستخدمه لثياب الحداد [پلوتارخ: مسائل رومانية] والملاحظ في يومنا هذا ان الأبيض هو لون الحداد عند الصينيين.

هناك أحوال وأحداث توجب انتهاء فترة الحداد العام أو وقف الحداد الخاص قبل انصرام الفترة التي عينها العرف كندشين هيكل، أو الاحتفال بالعباب عامة، أو أعياد، أو التطهر الذي يقوم به الجنسور)، أو حل قسم قاض أو جنرال. وتنزع ثياب الحداد أيضاً عند عودة أب أو أخ أو ابن من الأسر أو عندما تسند وظيفة الى احد افراد الأسرة، أو يرقى.



[السالي Salii] (٤٢) و[الفشيساليس Feciales] (٤٣) مقدماً بهما اسطع برهان على تقاه وقداسته. هؤلاء [الفشيسال] أو القِيمون على السلام، يبدو أن أسمهم مشتق من طبيعة وطيفتهم، وهي وضع حدّ للخلافات بالنصح ومجالس الصلح، اذ لا يسمح باللجوء الى السلاح إلا بعد أن يعلنوا هم أن كلّ أمل في التفاهم قد زال. ونحن أيضاً نطلق باليونانية كلمة سلام عندما تُحلّ الخصومات بالكلام لا بالقوة. يرسل الرومان عادة [الفشيسال] أو السعاة الى أولئك الذين اعتدوا عليهم أو أضروا بهم بطلب الانتصاف والتراضي، فاذا رفض هؤلاء. دعوا الآلهة ليشهدوا فعلهم ونادوا بالويل لهم ولبلادهم إم كانوا الظالمين، ثم أعلنوا الحرب عليهم. ولا يجوز للجندي ولا للملك أن يلجأ الى السلاح ضدّ رغبة هؤلاء الكهنة أو دون موافقتهم. والحرب تبدأ بإشارة منهم فان ابلغوا القائد بأن الحرب التي سيسئنها هي حربٌ عادلة فتكون مهمته تقرير كيفيتها ووضع خططها.

ويعتقد أن المذبحة التي أوقعها الغاليون بالرومان والدمار الذي انزلوه ببلادهم كان عقاباً للمدينة لإهمالها هذه الإجراءات الدينية. فعندما غزا هؤلاء البرابرة [الكلوينييين Cluinians]. أوفد [فابيوس امبوستوس Ambustus] الى معسكرهم للتفاوض في صلح مع المحاصرين فكان جوابهم خشناً فظاً، فتصور فابيوس أن مهمته كسفير أنتهت والتحم معهم بمعركة منحازاً الى صفّ الكوسيين، متحدياً أشجع محارب من العدو لمبارزته في نزال ثنائي. وحالفه الحظ فقتل حضمه وأخذ سلاحه غنيمة. ولما عرف الغاليون بما حصل بعثوا الى رومه برسول يشكون أمره، لأنه نقض قانون الحرب الدولي وأخلّ بالسلام قبل أن تشهر الحرب. فنوقش الموضوع في مجلس الشيوخ وكان من رأي [الفشيسال] أن يُسلم [فابيوس] الى أيدي الغاليين. ولسبق انذاره بالقرار، قرّ الى عامة الشعب ونجا من العقوبة بحمايتهم ووقوفهم الى جانبه. فما كان من الغاليين إلاّ وزحفوا بجيشهم على رومه، واستولوا على الكايبيتول ونهبوا المدينة؛ وإن تفاصيل هذه الحادثة مثبتة في سيرة حياة [كاميللوس].

ومنشأ كهانة [سالي] هو كما يلي: في السنة الثامنة من حكم [نوما] ظهر وباء فظيع

(٤٢) السّالي هم حرس الأنجليا، اي الدروع الاثني عشر المعلقة في هيكل مارس. لصق هذا الاسم بهم من عادة رقصهم عند الاحتفال بالعيد السنوي المقام تخليداً لذكرى الدرع العجائبي الذي ادعى [نوما] انه هبط عليه من السماء. ولا يزيد عدد هؤلاء الحرس عن اثني عشر يتم اختيارهم من الشباب الهاتريشي الذين يمتازون بالرشاقة وجمال القوام (ديون ١٨:٢).

(٤٣) ديون: يراهم من الاوروميين (السكان الأصليين) ويقال ان [نوما] استعار هذا من اهل لاسيوم. اذ عين عشرين [فبيجبال] بعد اختيارهم من اعرق الأسر في روما ووضعهم في معهد خاص. وان ما يدعى پاتر پاتراتوس وهو الذي يعلن الحرب وينهيها ربما كان احد اعضاء هذه الجمعية يختار لهذه الغاية شريطه ان يكون ابوه وابنه في قيد الحياة [ليفي ١:٢٤ و ٢٢] [ديون ١٩:٢] [جيلوس ١٦:١٤].

اجتاح ايطاليا كلها وغزا رومه أيضاً وملكت الرهبة والكربة قلوب الناس. وقيل أن درقة نحاسية سقطت من السماء بين يدي [نوما]. فأنهى الى الناس عنها الرواية التالية: إن [ايجيريا] و[الميزوات] أكدن له بأن الدرقة هي هبة سماوية لشفاء أهل المدينة وخلصهم. ولأجل الأبقاء عليها أمرته الربات بأن يصنع إحدى عشرة درقة أخرى تماثل الاصلية في حجمها وشكلها بحيث لا يمكن لأي لص أن يفرق بين الأصلي والمقلد. كما أنه أعلن نيته في تكريس الموضع الذي يلتقي فيه مع [الميزوات] ووقفه عليهن مع الحقول المحيطة به، كذلك النبع الذي يروي تلك الحقول، جعله مقدساً ووقفاً على استعمال العذارى الفستالات. ليقيم بغسل وتنظيف قدس الأقداس في هيكلهن بتلك المياه المقدسة، وكانت سرعة زوال الطاعون برهاناً دامغاً على صواب اجراءاته هذه وعرض [نوما] الدرقة على ارباب الصنعة ورجا منهم ابداء مهاراتهم في عمل أشباه لها. ولم يفلح في ذلك أحد، حتى توصل صانع ماهر اسمه (ماميوروس فيتوروريوس Mamurius Veturius) الى ما قصر عنه باع الآخرين وعمل نسخاً من الدرقة لم يستطع نوما نفسه أن يميز الأصلية منها وعهد بحفظ هذه الدرقات الى كهنة مخصوصين يسمون [سالي] وهؤلاء لم يأخذوا اسمهم هذا من [ساليوس Salius] استاذ الرقص، كما يدعي بعضهم زاعماً أنه ولد في [ساموثراكه Samothrace] أو [مانتينيا Mantinea]. وكان يعلم الرقص بالسلاح. وإنما اشتق على أغلب الاحتمال من الرقص بالقفز وهو ما يزاوله [السالي] أنفسهم عندما يحملون الدرقات المقدسة في شهر آذار ويطوفون بها في انحاء المدينة. وهم في هذه المواقب يرتدون قمصاناً قصاراً من الارجوان ويتمنطقون باحزمة عريضة مكففة بالنحاس ويضعون على رؤوسهم لامات نحاسية ويشهرون خناجر قصاراً.

ويقومون بين الفينة والفينة بتمثيل عملية التحام وطعان بالدرقات إلا أن المظهر الرئيس في الموكب هو الرقص. فيتمايلون ويتأودون برشاقة ويمثلون بسرعة ولمحات خاطفة بعض الحركات المعقدة بكثير من مظاهر القوة والخفة. ويطلق على الدرقات اسم [انكيليا Ancilia] لأنها ليست دائرية الشكل ولا كاملة الاستدارة كالدرقات الاعتيادية، وإنما مقرنصة متعرجة تشنى حوافها بعضها الى بعض نحو الداخل في أثنى المواضع منها.

وبهذا تكون ذات شكل مقوس أو ما يُسمى بالاغريقية [انكيلون Ancylon] أو لعله جاء من كلمة [انكون Ancon] أي المرفف فيه تُعلق، وهو ما يقوله [جوبا] الشديد الرغبة في ان يجعلها اغريقية الأصل. ومن المحتمل أنها جاءت من (Anecathen) اي النزول من فوق. لأنها هبطت من السماء، أو من [اكيسيس Akesis] لما لها من قابلية الشفاء. أو من [أوخمون ليسييس Auchmon Lyusis] لأنها وضعت حداً للمحل والجفاف. أو من

[Anaschisis] أي الخلاص من النائبات. وهي اصل الإسم الآثيني [أناسيس Anaces] الذي منح [لكاستورو ولوكس] إذا كان علينا أنه نردها الى أصل أغريقي. وكانت مكافأة الصانع [ماموريوس] على مهارته أن أسمه بات يذكر بالثناء في القوائد التي يغنيها كهنة السالي وهم يرقصون بسلاحهم في شوارع المدينة على أن بعضهم يزعم أن السالي لايلفظون «فيتوريوم ماميوم Yeturium Mamwium» بل [فيتيريم ميموريام Veterem Ma-moriam] أي الذكر القديمة.

بعد أن أستحدث [نوما] هذه الرتب الكهنوتية المختلفة أقام بالقرب من معبد فستا، ما يسمى حتى يومنا هذا «ريجيا» أو بيت الملك. حيث كان يقضى جل أوقاته في التعبد وخدمة الأرباب، مرشداً الكهنة أو متحدثاً معهم في مواضيع دينية مقدسة. وكان لديه منزل آخر فوق جبل [كوريناليس] ما زالت آثاره باقية الى يومنا هذا. وكان المنادون يخرجون قبل أن يبدأ أي موكب ديني، أو صلاة، ينادون الناس بوجوب تركهم عمالهم والخلود الى الراحة. ويقولون ان الفيثاغوريين ما كانوا يسمحون للناس بأن يتعبدوا ويصلوا الى آلهتهم على هواهم وكلما سمحت لهم الظروف بل أن يخرجوا من بيوتهم واذهانهم متهيئة لاداء الفريضة. ولذلك رغب [نوما] تبعاً لذلك أن لا يرى مواطنوه المراسيم الدينية أو يسمعوها وهم غافلون غير خاشعين، بل أن يتركوا ما بأيديهم من اعمال وان ينصرفوا بجماع نفوسهم الى الدين بوصفه أرفع عمل للبشر وأكثر جدية. وأن تزول الضوضاء من الشوارع. وتقلّ ضجة الأعمال الجسدية وينقطع مرور السابلة إفساحاً لسبيل المواكب الديني. وقد بقيت آثار لهذه العادة في رومه حتى يومنا هذا، اذ عندما يبدأ القنصل باستخارته بمراقبة الطير، أو بتقديم قربان. ينادى في الناس Ha-cage أي انصتوا لهذا!». وهو تحذير للحاضرين بأن يضبطوا أنفسهم ويخشعوا. وكثيراً من هذه التنظيمات تشابه ما وصفه الفيثاغوريون. فمن اقوالهم «لا تجعل المكيال بمثابة مقعد تجلس عليه<sup>(٤٤)</sup>. لا تحرك النار بالسيف<sup>(٤٥)</sup>. عندما تخرج الى سفر فلا تنظر خلفك<sup>(٤٦)</sup>. فلتكن أضحياتك لألهة السماوات بعدد وترّي، ولتكن اضحياتك لألهة الأرض بعدد شفعي<sup>(٤٧)</sup>». إن مدلولات كل هذه الوصايا لم تكشف للعامة، وكذلك بعض مبادئ [نوما] لا

(٤٤) بمعنى ان لانستسلم لدواعي الكسل.

(٤٥) اي «لا تزيد في غيظ من كان مغتاضاً».

(٤٦) في موضع آخر اثبت بلوتارخ الوصية بهذا الشكل «لا تكرر من الحدود راجعاً والمعنى واحد وهو «مت رجلاً، ولا تتحسر على الحياة وهي تتركك، ولا تتمن ان تعود صغيراً».

(٤٧) يرى الاقدمون العدد الوترّي اكثر كمالاً، ويعتبرونه رمز الاتحاد اذ لا يمكن قسمته الى نصفين متساويين كالعدو الشفعي. ولم يكن هذا هو السبب الوحيد للتفضيل اي باعتبار الشهر الثاني لآلهة الارض على انه نجم عن ذلك آلاف من الرسوم الخيالية ما زال بعضهم يحتفظ بها الى يومنا هذا.

ترى لها معنى واضحاً كقولهم «لاتقدم قربان خمر الى الآلهة من خمرٍ فطيرة، لاتقدم اية أضحيات بدون خبز»<sup>(٤٨)</sup>. قم بالدوران لما تؤدي صلاتك للآلهة<sup>(٤٩)</sup>. اجلس بعد أن تكمل فريضتك» إن الوصيتين الأوليين تشيران الى أن فلاحه الأرض واصلاحها هما جزء من الدين. واستدارة المصلين اثناء قيامهم بالفرائض انما يمثل دوران الأرض على ما زعموا. وفي رأيي: إنه لما كانت المعابد تستقبل جهة الشرق، فإن المؤمن يدخلها وظهره مستديرُ القبلة اي مَشْرُق الشمس بينما وجهه يستقبل الآلهة فبدورانه يؤدي صلاته للربين معاً. هذا إلا اذا كان في تغيير الإتجاه في الصلاة معنى غامض مثل «العُملة المصرية»<sup>(٥٠)</sup> التي تشير الى تقلبات حظوظ الانسان ووجوب الرضى بكل ما قسمه الاله من حظوظ أو غيره من أحوال مهما كانت وجهتها، فهي صحيحة ومناسبة. ويقولون أيضاً أن الجلوس بعد الصلاة هو علامة على أن دعوات المصلين قد استجيبت، والبركة التي طلبوها مُنحت لهم. ثم كانت الأعمال المختلفة مقسمة بفترات من الراحة. فلربما كان جلوسهم بعد فراغهم من عملهم، لأجل نيل رضا الآلهة عن عملٍ آخر سيبدأونه. وهذا ما يتسق تماماً مع ما ذكرنا قبلاً، وهو أن المشتري يريد تعويدنا على رفع صلاتنا الى الرب لا بحسب ما تسنح به الظروف ولا بوجه العجلة لأجل الانصراف الى اعمال أخرى، ولكن بتوفير وقتٍ وفراغٍ لها. وبهذا التنظيم والتشقيف الديني أنتقلت المدينة دون ان تدري الى حالة من هدوء الطبع، وأمتلأت أعجاباً واحتراماً لفضائل [نوما] بحيث كانت تطيع كل ما يستنّه بثقة خالصة من أي شكٍ وإن لم تكن مغرقة في الخيال وما وراء الطبيعية، ووجدوا به انساناً لا يعصيه شيء، أو يستحيل عليه ولا يذكر عنه أمر إلا ويصدق عليه.

وهناك حكاية هي انه دعا مرةً عدداً كبيراً من المواطنين الى مأدبة<sup>(٥١)</sup> وكانت الصحاف التي وضع فيها اللحم بسيطة جداً مما يستعمل في بيوت العامة والطعام نفسه كان اعتيادياً

(٤٨) الغرض الاساس من هذا الشرط ربما من أجل صرفهم عن تقدمه الدم واستدراجهم لتقديم الكعك وتمثيل الحيوانات المصنوعة من العجين أو ربما للتدليل بان الخبز هو أفضل هدية من الطبيعة. أمّا الخمر الماسخة فلا قيمة لها.

(٤٩) ربما لتمثيل عظمة رئيس الآلهة.

(٥٠) يقتبس كليمنت الاسكندراني (٨:٥) فقرةً من أحد نحاة تلك الدينة جاء فيها قوله: ان الكهنة المصريين كانوا يعبدون العجلة في أماكن العبادة لأنها تمثل سرعة التنقل وعدم الاستقرار. ويعبدون الزهر تذكرياً بقصر الحياة.

(٥١) يحدثنا [ديون ٢:١٥] ان [نوما] أشهد هؤلاء المدعوين الرومان بعد ان أطلعهم على كلِّ غرف قصره صباحاً بحقارة الاثاث الذي لا ينبي عن المأدبة العظيمة التي تعين قيامها مساء ذلك اليوم. ثم انه ابقاهم معه الجزء الأكبر من ذلك اليوم وبعد ذلك دخلوا محل العشاء فوجدوا لاهشتهم كل شيء ينطق بالفخامة والنفاسة. وربما عزا هذا كله الى صديقه وخَلِّه الخفي!

فقيراً، وعندما جلس الضيوف بدأ يحدثهم ان الآلهة التي أعتادت محادثته، قد زارته الآن. وعلى حين غرة ظهرت في القاعة انواع مختلفة من أئمن الاقتراح وحفلت المائدة بأنفس الطعام واللحوم. إلا ان المحاوره التي قيل انها جرت بينه وبين [جويتر] تفوق كل الأساطير الخيالية التي صنفت عنه. قيل أن آلهين نصفين هما بيكوس Picus وفاونس Faunus كان يختلفان الى ينابيع وحمائل «جبل أفنتين» قبل أن يصبح مأهولاً ويدخل في المدينة، وربما كانا من جماعة المسوخ Satyr أو البان Pan خلا انهما كانا يتجولان في كل ارجاء ايطاليا ويقومان ببعض انواع الحيل والخوراق عن طريق السحر والعقار، كما عزا الأغريق ذلك الى ما يسمونهم ائيدي داكتيلي Idaei Dactyli<sup>(٥٢)</sup>، وعزم نوما يوماً أن يفاجيء هذين الآلهين النصفين بسكب مزيج من الخمر والعسل، في مياه النبع الذي يشربان منه عادة. وعندما وجدا انهما وقعا في الفخ خرجا عن هيتيئهما الحقيقيتين واتخذتا مختلف الاشكال وتزناً بكل زي بشع ومظهر غير عادي. ولكن لما وجدا أن لا فكاك لهما من الفخ، ولا أمل في تحرير نفسيهما، اضطرا الى أن يكشفوا له عن مختلف الأسرار، وما سيحصل من المستقبل. وخصوصاً تعويذة للبرق والرعد ما زالت مستعملة، ويقتضي لها بصل، وشعر، وسمك البلشارد، ويقول بعضهم انهما لم يكشفوا له سرّ التعويذة. إلا انهما استدعيا جويتر من السماء بسحرهما. فراح يقول لنوما بلهجة غاضبة انه اذا أراد أن يسحر الرعد والبرق فعليه أن يفعل ذلك بالرؤوس فسأله نوما:

- كيف؟ أبرؤوس البصل؟

فأجاب جويتر

- لا، برؤوس الرجال

واراد [نوما] أن يصرفه عن قسوة هذه الوصفة فحوّل الموضوع الى جهة أخرى. بقوله

- قولك يعني، شعر رؤوس الرجال.

فأجاب جويتر:

(٥٢) يخبرنا ديودورس نقلًا عن ايفوروس بأن [الأيدي داكتيلي] هم أصلًا من جبل (ايدا) في (فريجيا) وقد عبروا منها الى اوروبا مع (مينوس) الملك واستقروا أولاً في [ساموثراقي] حيث علموا سكانها الممارسات الدينية. ويظن ان (اورفيوس) هو تلميذهم وهو أول من جاء الى اليونان بنوع ما من انواع العباداة. ويقال كذلك ان الداكتيلي هم اول من استخدم النار وعرف خصائص الحديد والنحاس ولقنوها سكان البلاد الذين يسكنون قرب جبل بيريكنتوس. كما علموهم طرق الإفادة منها ومن أجل هذا ولكثير من مكتشفاتهم الأخرى عبدوا كما تعبد الآلهة بعد مماتهم واسمهم باليوناني [داختيلوس] وهي اصبع (عشر اصابع) يستخدم كتعويذة ضد المخاطر وتلبس حجارة معينة كتعويذة، تحمل اسمهم.

- لا بل أحياء - ...

فقاطعه نوما بقوله

- ... السمك؟

وكانت [ايجيريا قد علمته هذه الأسئلة. وعاد جويتر الى السماء وقد هدأت سورة غضبه وبات «Ileos» أي طيب النفس. ولهذا أطلق على هذا الموضع اسم اليشيوم Ilicium<sup>(٥٣)</sup> من تلك الكلمة اليونانية، بعد أن صُحِفَ اللفظ كما اثبتناه.

هذه الروايات على قدر ما هي مضحكة سخيفة تظهر لنا مشاعر الناس تجاه الآله، تلك المشاعر التي تمكنت منهم بحكم العادة. وتظهر أن أفكار نوما الخاصة انحصرت كما قيل - في المسائل الآلهية الى حد لا مزيد عليه حتى انه عندما أُبلغ بأن «الاعداء يقتربون» أجاب مبتسماً «وانا أضحى»!

وهو الذي بنى أيضاً معبدي «الايان»<sup>(٥٤)</sup> و«الحدود Terminus»<sup>(٥٥)</sup>. وعلم الرومان أن الحلف «بالايان» هو أغلظ يمين يمكن أن يحلفوا به، وهم مازالوا يحفظونه<sup>(٥٦)</sup>. ويقومون لترمينوس اي آله الحدود، قرابين خاصة وعامة الى يومنا هذا، فوق حدود اراضيهم وشواخصها الحجرية. على أن تكون القرابين من صنف الأحياء، وإن كانت قبلاً ذبائح، فأبطلها نوما لأنه قدّر أن رب الحدود الذي يحرص على السلام ويشهد للحق، لا شأن له بالدما. ومن الواضح جداً أن هذا الملك هو أول من خطط الحدود بين اراضي رومه، لأن [رومولوس] كان دائم العدوان على اراضي جيرانه، ولم يؤثر عنه انه رسم حدوداً ما. فالحدود هي في الواقع وسيلة دفاع لأولئك الذين يختارون رعايتها واحترامها. في حين انها شاهد على ظلم الذين يعتدون عليها. والحقيقة هي أن البقعة التي استاثر بها الرومان في مبدأ الأمر، كانت صغيرة المساحة للغاية فوسّعها رومولوس بحروبه وقام نوما الآن بتقسيمها وتوزيعها على أفراد العامة

(٥٣) هنا يجانب بلوتارخ الصواب. وربما عُرِي ذلك الى قلة تزلعة في اللغة اللاتينية. ويخبرنا [أوفيد ٣: ٢٢٨] ان جويتر يطلق عليه اسم (اليشيوس) من فعل (اليجري) اي الخروج، لأنه خرج من السماء بهذه المناسبة. (٥٤) Filles.

(٥٥) الآلهة تيرميني تمثل بالحجارة التي أمر [نوما] بوضعها على حدود الدولة الرومانية، وحول كل ارض خاصة. كما انه امر تكريماً لها باقامة عيد سنوي سماه ترميناليا في ٢٢ أو ٢٣ من شهر شباط وهو آخر يوم من أيام السنة القديمة. ولذلك ضوعف عندما قام يوليوس قيصر باصلاح التقويم. وعندها سميت السنة بيسكتال. والاضحية التي تقدم في هذه المناسبة هي امّا خنزير خنوص رضيع أو حمل. ان رفع رمز الآلهة ترمينيكان يعتبر اهانة عظيمة بحيث كان دم المجدف مباحاً ولاي شخص الحق في قتله وهو آمن من العقاب.

(٥٦) «اقسم بايماني Medius fidius» وهو يمين روماني يعادل قولنا اليوم «بشرفي!» أو «بناموسي!».

المتظلمين الساخطين، مدفوعاً برغبته في ازالة الفقر المدفع الذي يدفع الى الغواية. ولتوجيه الناس الى الزراعة لإيصالهم الى حالة أفضل من النظام والاستقرار كذلك اعاد قسمة أراضيهم نفسها. ليس هناك مهنة فاضلة مثل الزراعة. وحياة الريف تولد رغبةً وتعلقاً شديدين بالسلم والدعة وتختلف عند كل الناس مهما اختلفت صفاتهم. تلك الروح من الشجاعة والصلابة وتجعلهم مستعدين للقتال دفاعاً عن كل شبر من أرضهم في حين انها تقضي على كل اعتداء، متأت من أعمال الظلم والعنف. ولهذا وزع نوما الاراضي بعد تقسيمها قطعاً مؤملاً ان تكون الزراعة تعويذة تأسر نفوسهم وتصرف إهتمامهم الى السلم، ومقدراً بأنها ستكون وسيلة للريح الأدبي فضلاً عن الكسب الاقتصادي. وسمى كل قطعة ارض [پاغوس Pagus]، وعين لكل واحدة منها رئيس رقباء، وكان يتمتع نفسه أحياناً بتفقد هذه المستعمرات شخصياً ليكون احكامه الخاصة على طبائع كل امرء من النتائج. وكان بحضوره يمدح ويكرم ويستخدم أولئك الذين يحسن عملهم وبالتوبيخ واللوم يدفع المتكاسلين والمهملين<sup>(٥٧)</sup> الى مضاعفة جهودهم.

إلا أجل أعماله وأعظم مآثرة له، هي تقسيم الناس بحسب حرفهم وصناعاتهم الى جمعيات أو نقابات. فقد كانت المدينة تتألف، أو بكلمة أخرى - منقسمة الى قبيلتين تعذر إزالة الخصام بينهما، في حين أن ذلك الخلاف كان يحول دون قيام أي وحدة، وبسبب نزاعات وثارات دموية مستمرة، وهذاه تفكيره الى أن الشعب أقرب شيء الى المواد الصلبة لا يمتزج بعضها ببعض الا عندما تكوم كومة واحدة وتسحق الى ذرات وبهذه الطريقة تمتزج، فقرر أن يقسم السكان جميعاً الى عدد من الاجزاء الصغيرة مؤملاً من استحداث تفرقة أخرى - انه يزيل التفرقة الأصلية الكبرى لأنها ستضيع في الصغرى. فميز الناس بمختلف ما يتعاطون من حرفة أو صناعة، وأسس جمعيات للموسيقيين والصاغة والنجارين والصباعين، والاسكافية والسلاخين والصفارين والفخارين. كما جمع كل أرباب الصناعات اليدوية الأخرى في نقابة أخرى. وعين لكل واحدة مجالس قضائها ومنظماتها الادارية ومراسيمها الدينية. وعلى هذه الشاكلة بدأت تضحمل كل صفوف التفرقات الحزبية لأول مرة ولم يعد يتحدث عن أي شخص بوصفه رومانياً أو سابينياً. رومولياً أو طاطياً، وغدت التقسيمات الجديدة مصدراً للتمازج العام والتالف.

ومن مآثره المدوحة جداً تغييره أو تعديله ذلك القانون الذي يمنح الحق للآباء في بيع اولادهم<sup>(٥٨)</sup>، مستثنياً من ذلك المتزوجين ومشرطاً رغبة وموافقة الأبوين إذ يبدو من القسوة

(٥٧) ان اعمال زراعة الحقل يعتبره الرومان جرماً يستحق عقاب الجسنور Censorium Probrum.  
(٥٨) منح رومولوس سلطة للآباء على ابنائهم، تزيد عن سلطة الأسياد على عبيدهم. ففي حين لا تجد السيد =

الشديدة أن تتزوج امرأة من شخص حُرّ، فتجد نفسها فيما بعد تعاشر عبداً.

وحاول أيضاً تنظيم تقويم سنوي وهو ان لم يكن دقيقاً للغاية، لا يخلو من الأسس العلمية. كان الرومان في أيام رومولوس لا يحددون اشهر السنة بايام معينة ومدد متساوية. فبعضها يحتوي عشرين يوماً وبعضها يبلغ خمسة وثلاثين يوماً أو أكثر. ولم يكونوا واقفين على اختلاف حركات الشمس والقمر وانما استقروا على قاعدة واحدة وهي أن السنة الكاملة تتألف من ثلاثمائة وستين يوماً. ولكن [نوما] حسب مقدار التفاوت بين السنتين الشمسية والقمرية بأحد عشر يوماً لأن القمر يكمل دورته السنوية بثلاثمائة واربعة وخمسين يوماً بينما تكملها الشمس بثلاثمائة وخمسة وستين. ولأجل أن يزيل هذا التفاوت ضاعف فرق الأحد عشر يوماً وزاد شهراً واحداً على كُلِّ سنة ثانية وأمه اثنتان وعشرون يوماً وهو يلي شهر شباط يوسمى عند الرومان شهر [مرسيدينوس Mercedinus]، وقد اقتضى لهذا التعديل بمرور الزمن، تعديلات أخرى. كذلك غير نظام تعاقب الأشهر، فوضع شهر آذار في المرتبة الثالثة بعد أن كان أول أشهر السنة. وكانون الثاني جعله الأول بعد أن كان الحادي عشر. وشباط الذي كان الثاني عشر والأخير، جعله الثاني، ويعتقد الكثيرون أن [نوما] هو الذي أضاف شهري كانون الثاني وشباط أيضاً. ففي البداية كان لديهم سنة تتألف من عشرة أشهر فقط. وهناك من اقوام البرابرة ما يعدون ثلاثة اشهر فقط في سنتهم. وسنة الاركاديين في اليونان، أربعة أشهر؛ وكانت سنة المصريين في مبدأ الأمر، شهراً واحداً على ما قيل، ثم جعلت أربعة أشهر. وهكذا فمع أنهم يعيشون في أحدث بلدٍ من البلدان<sup>(٥٩)</sup>، تراهم معروفين بأنهم أقدم الشعوب في العالم ويعدون في شجرات سلالاتهم ارقاماً هائلة من السنين معتبرين الأشهر سنوات<sup>(٦٠)</sup>.

= قادراً على بيع عبده أكثر من مرة واحدة، نجد الاب يحلّ له بيع ابنه ثلاث مرات مهما كانت حالته القانونية ومهما بلغ من عمر. كان هذا العرف سائداً في بلاد اليونان الى زمن (صولون). وقد قام هذا بوضع حدود لها. فحرم بيع الابن عند بلوغه سن الرجولة، إلا انه استثنى من التحريم البنات والأخوات اللاتي يفاجان متلبسات بالزنا. ولم يطل امد التحديد الذي وضعه [نوما] لهذا المبدأ إذ ما لبث ان الغي بعده. إلا ان حكم العشرة Decemvir في اللوح الرابع أحيأ هذا التقليد (ديون ٢: ٨) وعدل عنه تدريجياً بالتقدم الحضاري. لكن كان يحصل تطبيق للعرف في عهد شيشرون الأمر الذي يدل على أن هذا الحق ظل سارياً بكل ما فيه من صرامة.

(٥٩) عندما جفت الدلتا. وهي على أغلب الاحتمال احدث جزء مأمول من البلاد المصرية [هيرونوتس ٢: ٩ و ٥].

(٦٠) اذا افترضنا ان المصريين كانوا يسمون الشهر سنة، فان حساباتهم وتواريخهم سستبدو أقرب الى الحقيقة نظراً الى عمر الدنيا حالياً. فهم يحسبون تسلسلاً للملوك يعود الى فترة (٢٦٠٠٠) سنة. على ان فرضيتنا تجعل عهود حكم ملوكهم قصيرة جداً لا يقبلها العقل. هذا مع العلم ان هيرونوتس يقول ان المصريين هم أول من بدء الحساب بالسنة الحولية وانهم أول من جعل السنة اثني عشر شهراً. ان الاسبقية التي يتباهون بها يجب ان يعزى والحالة هذه الى مذهب الجزء الخرافي من تاريخهم الى عهد =



وأما ان الرومان حصروا السنة كلها بعشرة أشهر في مبدأ أمرهم. ولم يحصروها بأثني عشر، فهذا يبدو واضحاً من اسم آخرها «ديسمبر December» ومعناه «الشهر العاشر». وكون آذار March هو الأول، فهذا أيضاً واضح لأن الشهر الخامس بعده كان يدعى «كونتيليس Quintilis» والسادس يدعى [سكستيليس Sixtilis] وهكذا الى الأخير. إذ لو كان شهر كانون الثاني وشباط يتقدمان آذار، لوجب أن يكون (كونيتيليس) الخامس بالتسمية والسادس بالترتيب. وكذلك يكون طبيعياً أن آذار March. المكرس للآله مارس Mars هو الأول في تقويم رومولوس. واپريل April (نيسان) الذي أخذ اسمه من فينوس (أي أفروديت Aphrodite) هو شهره الثاني. وفيه يقربون الى فينوس، وتستحم النساء في أول يوم «Calend» منه وهن ضافرات رؤوسهن باكالييل الزهر، ولوجود حرف (پ) في اسم الشهر، لا حرف (ف) يرى بعضهم انه غير مشتق من اسم [أفروديت]، ويقولون انه من كلمة «اوپريو Operio» وهي كلمة لاتينية تعني «فُتِحَ Opan» لأن هذا الشهر يأتي في أول الربيع، ويفتح البراعم والأزهار، وينتهي موسمها. ويليه ما يسمى أيار May من كلمة [مابا Maia] وهي اسم أمّ [الرب عطارد] وهو مكرس له. ثم يتبعه حزيران June [يونو Juno]. على أن بعضهم يجعل اسميهما مشتقين من اسم موسم بقوة السنة (مويورس Majores). اما الأشهر الأخرى فقد سموها بحسب ترتيبها فسمي الخامس [كوينتيليس]، والسادس [سكستيليس] والسابع [سپتيمبر] والثامن [أوكتوبر] والتاسع [نوفمبر] والعاشر [ديسمبر]. ثم أن [كوينتيليس] تبدل اسمه باسم «يوليوس Julius» من اسم قيصر الذي هزم [پومپي]، كذلك استبدل اسم سكستيليس [بأوغسطس] وهو القيصر الثاني الذي عرف بهذا اللقب وحذا [دوميتيان] حذو هذين، فأعطى اسمه للشهرين التاليين وعرفا بـ[جرمانيكوس Germanicus] و[دوميتيانوس Domitianus] ولكن اسميهما عادا اليها بعد أن أغتيل اي سبتمبر وأكتوبر وبقياً كذلك حتى الآن دون تغيير. ومن الأشهر التي اضافها [نوما] أو نقلها عن مواضعها، شباط [فيرووري] من فبروا Februa وهو شهر التطهر وفيه يقدمون التقدّمات الى الموتى ويحتفلون بعيد [لوپركاليا] وهو يشبه مراسيم التطهير في معظم تفاصيله، وكانون الثاني [جانوري] من يونيو Juno وقد قدّمه [نوما] على آذار المكرس لمارس، والسبب الذي دفعه الى ذلك في اعتقادي هو رغبته الشديدة في التأكيد والايضاح بأن الفنون والعلوم في زمن السلم، لها الارجحية على فنون الحرب وصناعتها. فقد كان [يانوس Janus] هذا إمّا

---

= سحيق جداً. واما عن مقولة پلوتارخ بان مصر هي بلاد حديثة العهد فهو قول غريب من رجل له مثل هذه المعرفة الواسعة. واما عن سنتهم ذات الأشهر الأربعة فما زال المتتبعون المختصون في حيرة من ذلك.

إلهياً تصفاً أو ملكاً في العصور الغابرة السحيقة، وكان على وجه التأكيد محباً للوحدة المدنية والاجتماعية، وعرف بأنه انتشل الناس من الحياة البربرية الهمجية. ولهذا السبب مثلوه بوجه، إشارة إلى الحالتين أو الوضعين الأول منهما الوضع الذي كان عليه البشر، والثاني الوضع الذي ألوا إليه بعد أن انتشلهم.

ولمعبده في رومه مدخلان يسمونها بابي الحرب، لأنهما يبقيان مفتوحين في أيام الحرب ويغلقان في أيام السلم، والحالة الثانية كانت نادرة جداً لأن الامبراطورية الرومانية في حالة اتساعها وتضخمها كانت ابداً محاطة باقوام البرابرة وباعداء يتربصون بها الدوائر ولهذا ما عرفت للسلم طعاماً إلا في القليل النادر. وقد أغلق هذا المعبد في أيام [اوغسطس قيصر] فقط<sup>(٦١)</sup>. بعد أن حقق انتصاره على [انطوني]، كذلك أغلق مرة ثانية عندما كان [ماركوس آتيلوس Marcus Atilius]<sup>(٦٢)</sup> و[تيطس مانليوس Titus Manlius] قنصلين. ثم لم تمر فترة وجيزة من الزمن مفتوحين قط طوال حكم روما وظلا مغلقين باستمرار لمدة ثلاثة وأربعين عاماً كاملة وهي مدة سلم لم يعرف مثلها من قبل ومن بعد ولم يكن الرومان الوحيدين الذين لان جانبهم، ومال بهم طبعهم الى الدعة والسلم بحكم ملك مسالم رقيق الطبع، بل تعدتهم هذه الروح الى شعوب المدن المجاورة كأنما هبّ عليها نسيم رخي من رومه. فبدأ الجميع يعانون تغييراً في المشاعر، وشاركوا كافة في الشوق العام الى لذة السلم ونعم النظام والاستقرار. الى حياة تستغرقها اعمال استنبات التربة وتنشئة الأولاد وعبادة الآلهة. وساد ايطاليا أيام أعياد، وحفلات الالعاب والتزاور بين الاصدقاء والألفة والاستضافة والكرم. وكان حبّ الفضيلة والعدل يتدفق من حكمة روما كما يتدفق الماء من نافورة. وكان هدوء طبعه يشع بالهدوء والطمأنينة الى جميع الجهات ولذلك أصبحت مبالغت الشعراء وفقاعاتهم الكبيرة تتضامن الى الواقع البسيط بوصف ما حدث على النحو التالي: «... نسجت العناكب خيوطها فوق تروس الحديد»

أو قولهم: «الصدأ يأكل الرمح المسنون، والسيف ذا الحدين. ولا يسمع بعد صوت أبواق النحاس. ما عاد النوم الهنيء يزايل عيون الناس»<sup>(٦٣)</sup>.

(٦١) قبل مجيء اغسطس قيصر أغلق معبد (يانوس) عدة مرات وخلفاً كما ذكر في المتن (غلقه في ٧٥٠ ق.م) فقد أغلق في ايام نيرون، وفي ايام قسباسيان بعد تغلبه على اليهود.  
(٦٢) علينا ان نثبت «كايوس» بدلاً من «ماركوس». فزميله (تيتوس مانليوس) أغلق معبد (يانوس) في نهاية الحرب التيونية الأولى في ٥١٩ ق.م. وظلت روما مشتبكة في نضال مستمر منذ عهد روما حتى هذه الفترة.  
(٦٣) اقتبس بليوتارخ هذه القصيدة من مجموعة قصائد (باكليدس) التي حفظها لنا [ستومبيوس] حول الإشادة بالسلم.

اذ لم تقم حرب ولا فتنة ولا انقلاب في أحوال الدولة طوال حكم [نوما] ولم يواجه بحقد أو نية سوءٍ ولم يحصل مؤامرة عليه أو تحاك خطة، مبعثها الطموح ضده، فيما كان الخوف من الآلهة هو الذي يعصمه من الخطر وإمّا الاحترام لفضائله، أو لعلها نعم الحظ الآلهية التي كانت في أيامه ترعى البراءة الأنسانية هي التي جعلت حكمة مثلاً حياً وبرهاناً ساطعاً مهما كانت الوسائل - على ذلك القول الذي نطق به افلاطون بعد مرور زمن طويل وهو أن الوسيلة الوحيدة والدواء الناجع الوحيد للخلاص من الشرّ الانساني هو في اتساقٍ سعيدٍ للأحداث حين توجد في شخص واحد سلطات الملك وحكمة الفيلسوف لأجل أن ترفع الفضيلة الى سلطة مراقبة الشر والهيمنة عليه. وهذا الرجل الحكيم هو مبارك بشخصه، «ومباركون ايضاً أولئك الذين يستطيعون الاصغاء اليه والاستماع الى تلك الكلمات التي تخرج من فمه» (\*).

وربما لم يكن هناك حاجة أيضاً للاكراه أو التهديد في التأثير على الجمهور لأن الصورة بنفسها هي المثل الساطع الواضح على الفضيلة في حياة اميرهم وهي التي ستؤدي بهم طوعاً واختياراً الى جادة الفضيلة والى مواجهة حياة طاهرة مباركة تمتاز بحسن النية والتعاون المتبادل ويدعمهما الخير والعدل وهذا أعلى مكسب يمكن أن يناله سعي الانسان. ونوما هو خير حاكم يفرس هذه الفكرة في قلوب رعاياه ويحملهم على أعتناقها. إنه المديح الذي لم يستحقه أحد كما أستحقه [نوما]. وهو ما يبدو جلياً.

هناك اختلاف بين جمهرة من المؤرخين حول أولاده وزوجاته فبعضهم يزعم أنه لم يتزوج بأحد بعد [طاطيا] ولم يكن لديه منها غير بنت واحدة اسمها [پومپيليا Pompilii]، ويقول آخرون انه خلف اربعة ذكور آخرين وهم [پومپو Pompo]، وپينوس Pinus، وكالپوس Cal-pus، وماميروكوس Mamerocus] وقد كان واحد منهم مؤسساً للأسر العريقة الشهيرة الأربعة [پومپوني، پيناري، كالپورني ماميركي Mamerei، Pinarii Calpranu، Pomponii] وزادت هذه الأسر الى اسمائها لقب [ريكس Rex<sup>(٦٤)</sup>: ملك] أيضاً لانحدارها من [نوما]. على أن طائفة ثالثة من الكتاب تقول أن شجرات النسب تلك لم تكن غير مجاملة وتلقى اختلقها الكتاب لينالوا حظوةً عند هذه الأسر العظيمة، فعملوا لهم شجرات نسب كاذبة متسلسلة من نوما. وقالوا أيضاً أن [پومپيليا] ليست بنت [طاطيا] بل بنت [لوكريسيا Lu-cretii] وهي زوج أخرى بنى بها بعد أن أختير ملكاً. ومهما بلغ أختلافهم، فكلهم يتفقون في

(\* افلاطون: الشرائع.

(٦٤) ريكس Rex هو لقب اسرة ايميلي Aemilii واسرة مارچي Marcii. ولم يكن لقب پومپوني Pomponii أو پيناري Pinarii أو مامرچي Mamerci. وقد انحدر آل پيناري من أسرة كهنة هرقل وهم أعرق وأقدم عهداً من عصر [نوما]. انظر [ليفي ١: ٢٧، ديون ١: ٩، فرجيل الاينيا ٨: ٢٧١].

الرأي بأن هذه البنت تزوجت ابن [مارشوس] وهو الشخص الذي اقنعه بتسلم مقاليد الحكم ورافقه الى رومه، فأختير عضواً في مجلس الشيوخ تكريماً له. وبعد وفاة نوما نافس [تُلوس Tullius] ابن [هوستيلوس] على الملكية. وبفشله في الانتخاب، بخر نفسه حسرةً وكمداً. إلا أن ابنه [مارشوس] الذي تزوج [بومبليا] بقي في روما. وهو والد [انكوس مارشوس] الذي عقب [تُلوس هوستيلوس] في الملك وكان عمره خمس سنوات عند وفاة [نوما].

وعاش [نوما] حتى زادت سنّه على الثمانين وبعدها لم يقض نحبه بموت الفجاءة أو بعد مرضٍ حادٍ وأثماً توفي بكبر السنّ وبتهافت قواه ووهنها التدريجي على ما قاله [بيسو PISO].

وقد أجمعت في جنازته كل أمجاد حياته كاملةً، عندما التقت كلّ الدول المجاورة وهي في تحالفٍ وصداقةٍ مع روما، لتكريمٍ وتشريفٍ مراسيم دفنه بالاكاليل وبهدايا الشعوب. وحمل الشيوخ النعش الذي يضمّ جثمانه يتبعهم الكهنة، ثم موكب المشيعين المهيب، في حين ساهم الجمهور عامةً بأحداثه ونسائه وأطفاله وهم يصرخون وينتحبون كأنما يندبون موت وفقد قريب عزيز لهم أعتبط وهو في شرح شبابه لا ملكاً شيخاً بلغ أرذل العمر وقيل أن جثمانه لم يحرق، لانه أوصى بذلك<sup>(٦٥)</sup>، بل نحتوا ناووسيين من الرخام حسب وصيته وأدعوا جثمانه فيما دفنوهما في جبل يانيكولوم Janiculum، وكان في أحدهما جثمانه وفي الثاني كتبه المقدسة<sup>(٦٦)</sup>. التي دونت له خاصةً كما هي ألواح المشترعين اليونان. ولكن محتوياتها انطبعت في نفوس الكهنة وقلوبهم في اثناء حياته، حتى تشبعت بها اذهانهم وتشربت بروحها وغاياتها. وقد أوصى أن تدفن معه. كأنما هذه الرصايا المقدسة لا يمكن أن تبقى وتنتشر في كتابات جامدة إلا وتفقد مكانتها واحترام النفوس لها. ولهذا السبب نفسه يقال ان الفيثاغوريين منعوا أن يحتوي تعاليمهم كتابة لا روح فيها<sup>(٦٧)</sup> بل فضلوا ان تحفظها الصدور والذاكرات القمينة بحفظها فيقولون عندما كان يتسرب بعض المعادلات الهندسية المعقدة الغربية الى شخص غير جدير بها أن الأرباب تهدد بالاقتصاص من هذا العمل الشنيع والتجديف، بأشارة مخصوصة وبهيبة واسعة شاملة. وتتعاقب جملة من هذه الحوادث لتثبت

(٦٥) في الأزمان القديمة كانت جثث الموتى توارى التراب، ثم أخذ المصريون يحنطونها حفظاً لها اعتقاداً بعودة الروح اليها. اما اليونان فقد كانوا يحرقونها تفادياً لتفسخها وما يترتب على ذلك من آثار سيئة. على ان (بلييني) يزعم بأن (سيللا) هو أول روماني أحرقت جثته.

(٦٦) يبدو ذلك مناقضاً لديون (١٢:٣) الذي يقول «بعد وفاة تلوس هو ستيلوس تسلم خلفه [انكوس مارشوس] من الكهنة شرائع [نوما] الخاصة بالطقوس والعبادات وأمر بحفرها في الحجر وعرضها على الجمهور.

(٦٧) ذلكم ما مال اليه الكهنة المصريون. ومنهم انتقلت الي فيثاغوراس على ما يبدو ثم الى افلاطون ونوما ليدهم الي عادات تلك البلاد، وربما استمد الأخير من نفس المصدر.

وجوه الشبه في حياتي: [نوما وفيثاغورس] يسهل علينا الاعتذار لأولئك الذين يحاولون اثبات تجاوب في أفكارهما ووجود علاقة شخصية فيما بينهما فعلاً.

ويذكر [فاليريوس انتياس] أن الكتب التي دفنت في الصندوق أو الناووس المشار إليه بلغت اثني عشر مجلداً في الشرائع الدينية ومثلها من المجلدات في الفلسفة اليونانية ولما كان [پ. كونيوس P. Cornelius] و[م. بيبوس M. Baebius] قنصلين بعد اربعمئة عام من وفاة نوما<sup>(٦٨)</sup>، سقط مطر عزيز وجرفت السيول العرمة التراب وكشفت عن التابوتين الحجريين وقد سقط عنهما غطاؤهما فشوهه أحدهما خالياً تماماً من أي اثر لبقايا جسم بشري. ووجد في الآخر الكتب التي اشرنا إليها، فأخذت الى الپريتور [پيتيليوس Petilius] وبعد أن قرأها وتأمل ما فيها، أقسم ميمناً امام مجلس الشيوخ بأن محتوياتها لا تصلح في رأيه - للنشر بين العامة، فحملت المجلدات الى الكوميتيوم وهناك ثم احرقها.

من حظ الأخيار أن قداستهم تمجد بعد موتهم وان الحسد الذي يضطغنه لهم الأشرار لا يعيش بعدهم طويلاً، وقد يسعد الخطأ بعضهم أن يشاهدوا موته قبل أن تحين آجالهم، وفي قضية [نوما] أيضاً كانت مصائر الملوك الذي عقبوه بمثابة طبقات عاكسة تطلق نور سمعته الساطع. فقد عقبه خمسة ملوك انتهت حياة آخرهم في المنفى وهو شيخ هرم بعد أن نحي عن العرش. ومن الأربعة الباقين ثلاثة اغتالتهم يد الخيانة والآخر وهو [تلوس هوستيلوس]. الذي خلف [نوما]، سخر من فضائل سلفه ولاسيما تعلقه بالعبادة وأعتبرها اعمال ضعف وخور نفسيّ وحول عقول الشعب الى الحرب إلا أنه ألجم وكُبح جماح هذا التهور والطيش. وتردى هو نفسه في حماة الدجل والشعوذة المختلفة جداً عن تقيّ وتهجد نوما حين ألمّ به مرض مزمن كثير الأوجاع وعندما مات بضربة صاعقة<sup>(٦٩)</sup>، ترك آخرين يقاسون ما قاسى من آلام.

---

(٦٨) هذا الحدث وقع في العام ٥٧٢ ق.م، ولعل بلوتارخ كتب (٥٠٠) يقول فارو: «ان شخصاً اسمه (ترنتيوس) كان يملك قطعة ارض بالقرب من يانيكولوم. وقد شاعت الصدفة ان واحداً من رعاته مرّ يوماً بقطيعه فوق قبر [نوما] فانكشفت له كتب قانون كان [نوما] قد دون فيها الاسباب التي دعت الى تقنين الديانة الرومانية بالشكل الذي رسمه. فحمل الراعي هذه الكتابات الى (الپريتور) الذي أخذها بدوره الى مجلس الشيوخ. وبعد قراءة التعليق والاسباب الموجبة أمن بسلامة نية [نوما] وامر باحراق الكتب على ان يقوم (الپريتور) بقذفها الى اللهب.

(٦٩) ضربت الصاعقة قصر (تلوس هوستيلوس) فاحرقته وهلك فيه هو وزوجه وأولاده. على ان بعض المؤرخين يقولون ان [انكوس مارجيوس] حفيد [نوما] الذي كان يطمح الى الملك. انتهز فرصة اشتداد العاصفة فقتك بالملك.

## أوجه المقارنة بين نوما وليكورغوس

بعد انتهائنا من الكلام في سيرتي ليكورغوس ونوما، سنضع معاً نقاط اختلافهما كما هي مبسطة هنا امام اعيننا وان كان العمل صعباً. إن أوجه الشبه بينهما واضحة: اعتدالهما، تدينهما، كفاءتهما في الحكم ثم اختلافات جوهرية في شؤونهما العامة، أولها أن نوما قبل الملك وليكورغوس نزل عنه. نوما تسلمه دون رغبة فيه، وليكورغوس كان حائزاً له فتخلى عنه. الأول ارتفع من شخص عادي غريب، الى منصب الملك، رفعه اليه آخرون. والثاني نزل من حالة الأمانة الى شخص عادي بمحض اختياره. إنه لمجد مؤثّل أن تنال عرشاً بالحق، ولكن أعظم منه أن تفضل الحق على العرش فالفضيلة التي جعلت الأول يبدو جديراً بالسلطات، هي نفسها سمّت بالآخر الى درجة عدم المبالاة به. وأخيراً، فكما يحزق الموسيقيون اوتار قيثاراتهم كذلك أرخى الأول منهما روحية اهل رومه المندفعة المؤثرة الى درجة اوطأ شدها الآخر في سيارطا ورفعها الى نغمة أعلى عندما اضرت بها الفتى واصابها الانحلال والانقسام. وكان العمل الأصعب من نصيب ليكورغوس. اذ لم تكن مهمته اقناع مواطنيه بنزع دروعهم، وحل انطقة سيوفهم وانما كان يريد منهم نبذ ذهبهم وفضتهم، وترك ااثامهم الغالي وموائد طعامهم الفاخرة لم تكن مهمته الوعظ والارشاد الى حفظ تعاليم الدين واعياده وتقديم القرابين للأرباب كما يجب وتخليهم عن السلاح وانما حشهم على نبذ الولاثم والحفلات والشراب، وصرف أوقاتهم في التمارين العسكرية المجهدة. وهكذا فبيننا نجد الأول يحقق مسعاه كله بالاقناع وحب شعبه له وتعلقه به، نجد الآخر بالكاد نجح في الأخير، بعد ان تعرضت حياته للخطر والمتاعب. وكانت فكرة نوما وحباً رقيقاً ودوداً، يناسبه تماماً، وهو ان يوجه اهتمام شعبه ويميل بهم الى السلام والعدل، لترق طباعهم الوحشية النارية، وان سلمنا هنا بان معاملة [الهيبلوت] وهي جزء مما قررته شرائع ليكورغوس تُعدّ اجراءات لا مثيل لها في القسوة والظلم، فعلينا الاقرار أن نوما كان أكثر انسانية بما لا يقاس، واقرب شبيهاً بالمشترعين اليونان

فقد بلغ به الأمر ان منح للعبد المسترق حق الجلوس وتناول الطعام مع سيده<sup>(١)</sup> في عيد [زحل] حتى يتذوق بعض اطياب الحرية وملاذها. فهذه العادة أيضاً تعزى الى نوما. اذ يقولون أنه كان يرغب أن يُفسح لأولئك الذين ساهموا في استغلال الأرض مجالاً للتمتع بخيراتها. ويعللها آخرون، بأنها أحياء لعصر [زحل] حيث لم يكن هناك فرق بين السيد والعبد. والجميع يعيشون كالأخوة في حالة متقدمة من المساواة.

وبصورة عامة يبدو أن الأثنين كانا يسعيان الى غرض واحدٍ وغاية واحدة. وهو الوصول بالشعبين الى حالة الاعتدال، والتكشف أما من السجايا الأخرى فقد ركز احدهما جل اهتمامه في تقوية شعبه، والآخر في العدالة. إلا اذا أسدنا أختلافهما في السبل الى اختلاف أمزجة الشعبين وطباعهما واحوالهما وقابلية تطبيق قوانينهما. فنوما لم يعمل للسلم جيناً منه أو خوفاً بل لأنه لا يريد أن يظلم فيأثم، ولم يكن ليكورغوس بالذي يرغب في رفع الروح العسكرية في شعبه ليظلموا الآخرين، بل ليكونوا قادرين على حماية أنفسهم بها.

وفي سبيل الوصول بالأمزجة التي كونها في شعبيهما الى سبل واهداف عادلة وغايات سعيدة يحدان منها عندما تزيد في انطلاقتها ويقويانها في مواطن ضعفه، وجدا نفسيهما مضطرين الى استحداث ابداعات عظيمة. فشكل النظام الحكومي الذي اقامه نوما، كان ديمقراطياً جمهورياً الى أقصى حدٍ فتقابات الصاغة والموسيقين والاسكافيين تؤلف طبقة العامة المختلفة الألوان والصور. أما ليكورغوس فكان ارسنوقراطياً صارماً جامداً، في حصره كلّ المهن اليدوية والأعمال الوضيعة بطائفة الخدم والأجانب، ولم يسمح لمواطنيه من أدوات العمل، الأبرمخ والترس اي صناعة الحرب فقط وخدمة إلهها مارس. ولم يسمح لهم بشيء من المعرفة والفهم غير اطاعة أمرهم العسكريين، والنصر على الأعداء في الحرب. ومنح اي مضاربة مالية بينهم بوصفهم رجالاً احراراً ولأجل جعلهم على هذه الصورة وابقائهم عليها تماماً طوال حياتهم، حوّل كل ما يتعلق بأموال المال والنقود الى أيدي العبيد والهيلوت بما فيها من أعمال الطهي وخدمة البيوت. إلا أن نوما لم يحدث مثل هذه التفرقة، وانما قمع الروح

---

(١) افي ساترُ ناليا، وكان يعيده في الرابع عشر من شهر كانون الثاني. وتقرب القرابين تكريماً لذلك الذي جاء بسعادة ورخاء العصر الذهبي الى ايطاليا. وفيه ينعم الخدم بالحرية ويمارسون كل ضروب اللهو والمرح استعادة لذكرى المساواة الاجتماعية التي سادت ذلك العصر. وفيه يتبادل الاصدقاء الهدايا، ولا تعلن حرب ويوقف تنفيذاً احكام الموت بالمجرمين. على اننا لانعلم شيئاً عن منشأ العيد. يقول (ماكروبيوس) انه كان معروفاً في ايطاليا قبل بناء روما. وقد يكون مصيباً في قوله، لان الاغريق كانوا يحتفلون بعين هذا العيد تحت اسم «خروثيا» [ماكروبيوس ساتورناليا ١: ٧] ويؤكد (ريكارد) انه نشأ بعد حكم [نوما]، إما في عهد [تلوس هوستيلوس] واما في عهد [تاركوينيوس سوپربوس].

العسكرية، وسمح بحرية مطلقة للحصول على الثروة بكل وسيلة شاءها الانسان. ولم يهتمّ بازالة الفروق الاجتماعية من هذه الناحية. وانما سمح للاغنياء بأن يزيدوا في ثرواتهم دون حد. ولم يهتمّ بازدياد الفقر وتفاقمه المطرد، وهو ما كان يجب عليه أن يحتاط له من البداية عندما كانت الفروق في احوال الناس المالية صغيرة، والناس ما زالوا يعيشون في أحوال اقتصادية متقاربة نوماً ما. لم يتخلص من ذلك كما فعل ليكورغوس، ولم يتخذ التدابير والاحتياط للفتن والفوضى التي تنجم عن الحرص على المال.

فتن ليست ذات خطر قليل، بل هي البذرة الحقيقية والمبدأ الأولي لكل الشرور والمكاره العظمى وفي اعتقادي أنه لا يمكن لوم ليكورغوس على اعادة تقسيم الأراضي، ولا لوم [نوما] على عدم اعادة تقسيمها، إن هذه المساواة كانت القاعدة والأساس لجمهورية واحدة. اما في رومه حيث سبق توزيع الأراضي، فلم يكن ثم ما يدعو الى اعادة تقسيمها والاخلال بالاجراءات الأولى التي كان معمولاً بها على ارجح الظن.

واما بخصوص الزوجات والأولاد واحوال المجتمع فكلاهما اتبع سياسة صحيحة لإزالة التنافر والخلاف منه. على أن ساليهما كانت مختلفة. فعندما يجد الروماني أن لديه عدداً كافياً من الأولاد، وعندما يرجوه جاره الذي لا ولد له أن يسلفه زوجته، فليس هناك ما يمنعه شرعاً تسليفها لمن يرغب فيها لفترة مؤقتة أو بصورة دائمة. في حين نجد الزوج اللقيديموني، قد يسمح لأي رجل آخر بزوجه، اذا رغب في انجاب اولاد منها، ولكنه يبقياها في منزله، وتظلّ الرابطة الزوجية الأولى وواجباتها كما كانت.

لا بل رأينا كثيراً من الأزواج، يدعون رجالاً الى بيوتهم لمضاجعة نساءهم، حتى ينسلن لهم أولاداً جميلي الخلقه حسني التركيب. اذن ما الفرق بين العادتين؟ أنقول أن نظام اللقيديموني هو نظام لا يهتم قَطُ بالنساء وانه يسبب لأغلبية الناس ازعاجاً وقلقاً لا نهاية له، تراقفه الهواجس والأحقاد؟ وان نظام الرومان الذي يحوطه مظهرٌ أكثر رقةً وسماحة، يرخي حجاباً على هذا التغير ويجعله أشبه بعقد زواج جديد ويتغاضى عن وضع عام اجتماعي لا يمكن احتمالاه؟ كذلك كانت انظمة [نوما] حول العناية بالفتيات أكثر مناسبة لهنّ وللجنس الأنثوي، في حين كانت انظمة ليكورغوس غير انثوية وصارمة فسحتا مجالاً كبيراً لتندر الشعراء عليهما [ومنهم مثلاً يبيكوس Ibycus]<sup>(٢)</sup> إذ أطلقوا عليها «فينوميريس Phae-nomirides» اي الفخذ العاري وعملوا كيوربيدس<sup>(٣)</sup> على إثارة نار الغيرة في ازواجهن.

(٢) شاعر غنائي في ريجيوم.

(٣) اندروماخة.



هؤلاء اللاتي كن مع الشبان في رائعة النهار، يخرجن من الدار وافخاذهن مكشوفة، وارديتهن تتطاير لتظهر عربيهن.

ذلك لأن الغلاثل التي ترتديها الفتيات العازبات مشقوقة الجانبين من الأسفل بحيث تنكشف عن افخاذهن العارية اثناء سيرهن. وقد وصف سوفوكلس<sup>(٤)</sup> ذلك وضعاً دقيقاً بقوله: « تلك [هرميون Hermione] الفتاة الصبية أيضاً بغلاثلها التي ليس فوقها رداء، تنحس الى الخلف وتترك فخذها العاري حُرّاً مكشوفاً»

ولهذا قيل ان نساءهن المسترجلات الجريئات مصدر ضيق لأزواجهن بالدرجة الأولى. سيدات مطلقات الأمر في بيوتهن، يدلين بأرائهن في الشؤون العامة بحرية تامة، ويتكلمن علناً دون قيدٍ في أهم المواضيع. إلا أن الأمهات وربات البيوت في عهد روما، كن محترمات، وموضع اجلال أزواجهن، وهو من آثار ذلك التكريم الذي نلفه في أيام رومولوس بمثابة تعويضٍ عن اختطافهن عنوةً<sup>(٥)</sup> ومع ذلك فإن الحشمة الكبيرة تسود حياتهن. وهن ممنوعات من التدخل في الشؤون الخارجة عن طبيعهن، والوقار مفروض عليهن والصمت عادة فيهن. لا يقربن الخمر مطلقاً ولا يتكلمن إلا بمحضر من أزواجهن حتى في ابسط الأمور. بحيث أنه عندما سُمح لامرأةٍ مرةً بعرض قضيتها في ساحة القضاء، قيل ان مجلس الشيوخ ارسل يستفسر من العرافة، بماذا تنذر هذه الحادثة الخارقة<sup>(٦)</sup>؟! والواقع أن سلوكهن العام الصالح وخضوعهن، وطاعتن، يبرهن عليه بحقٍ إشتهار عددٍ منهن بسوء الطبع والسلوك.

وكما يدون المؤرخون الأغريق في حولياتهم اسماء أولك من امتشق السيف في الحروب الأهلية، أو قتل أخاه أو اباه أو أمه، فكذلك الكتاب الرومان يذكرون أن [سيوريوس كارثيلوس] كان أول من طلق امرأته، بوصفها حادثة لم يقع مثلها خلال مائتين وثلاثين عاماً اي منذ بناء المدينة. وان من تدعى [تاليسا Thalea] امرأة [پنيساريوس Pinarius]،

(٤) القصيدة ٧٨٨.

(٥) فرض (رومولوس) عقوبة الموت على الزانية أو الشاربية خمرأ. لأن الزنا - على حدّ قوله - يفتح باباً لكل انواع الجرائم. والخمر تفتح باباً للزنا. وجاء في المأثر [ان اغناطيوس مچينيوس] قتل زوجه بيده لأنها عاقرت الخمر فبرأه مجلس الشيوخ [پليني المرجع السالف ١٤:١٣] وهناك حادثة أخرى أفظع فقد حكم على امرأة سرقت مفاتيح مخزن بأن تُرجم فقام اقرباؤها برجمها حتى قضت نحبها. لقد خفت حدة هذا القانون بتعاقب الاجيال فأصبح عقاب المرأة التي تصرعها الخمره هو حرمانها من البائنة.

(٦) ما بدأ في ذلك الزمن غريباً، اصبح فيما بعد عادياً. حتى ان كل امرأة مزعجة عن هذا الطراز تلقب بـ(افرانيا) نسبة الى زوج أحد أعضاء مجلس الشيوخ التي أشغلت ساحات القضاء بمراجعاتها. وثم (هورتنسيا) الفصيحة بنت الخطيب المصقع (هورتنسيوس) فقد تكلمت بالنجاح مرافعتها في «الدفاع عن النساء عندما فرض عليهن ثلاثي الحكام» غرامة، فقد ووفقت نحفضها الى حدّ كبير [٨:٣ و ٤].

اختصمت مع حماتها [جيفانيا] في عهد [تاركوينيوس سوپربوس Tarquinius Superbus] بوصفها أول حادثة من نوعها.

وتتسق تشريعاتهما وانظمتها بخصوص زواج البنات، مع تلك التي شرعت لتثقيفهن. ولم يسمح ليكورغوس بزواجهن إلا بعد يبلغن النضوج التام ويتوفر لديهن الميل. فالوصال الجنسي، عندما يكون متفقاً مع قوانين الطبيعة، يولد الحب والحنان عوضاً عن الكراهية والخوف الذي يرافق الوصال غير الطبيعي. ذلك هو رأي ليكورغوس كذلك تكون اجسامهن أكثر استعداداً لتحمل متاعب الحمل وتربية الأولاد وهو في رأيه هدف الزواج وغايته.

أما الرومان فيزوجون بناتهن قبل بلوغهن العشرين أو في السنوات الأولى بعدها. معتقدين ان اجسامهن وعقولهن معاً ستصل أزواجهن المقبلين وهي طاهرة لا تشوبها نجاسة. وتبدو وجهة نظر ليكورغوس من ناحية الولادة أصح وأقرب الى الطبيعة. أما نوما فيرى أن الحياة الزوجية المتواصلة أقرب الى الأخلاق<sup>(٧)</sup>، على أن القواعد التي وضعها ليكورغوس للعناية بالاولاد والاشراف على تربيتهم وجمعهم في زمر ووضعهم تحت طائلة النظام والضغط، كذلك تنظيمه الدقيق لوجبات طعامهم ورياضاتهم، كل ذلك يُظهر [نوما] مشرعاً عادياً. فقد ترك الأمر كله لرأي الأبوين ورغباتهما وحاجاتهما. فبإمكان الأب لو شاء أن يجعل ابنه مزارعاً أو نجاراً أو صفاراً أو موسيقياً. حتى لكأن تدريبهم وتربيتهم منذ نعومة اظفارهم لغاية عامة مشتركة أمرٌ لا يستحق الاهتمام، فيكونون اشبه بمسافرين جمعتهم سفينة واحدة، ركبها كل واحد منهم بمحض اختياره ولغرض خاص به لا ووحدة عمل تجمعهم في سبيل المصلحة العامة إلا عندما يدق ناقوس الخطر، وفي حالات مخاوفهم الخاصة تراهم عموماً لا يعملون إلا وفق ما تمليه مصالحهم الخاصة.

ولا مندوحة لنا الا أن نلوم المشترعين العاديين الذين قد تعوزهم المعرفة ويفتقرون الى السلطان، ولكن عندما يتسلم رجل حكيم كنوما، مقاليد السلطة المطلقة على شعب طيع. أفهنك شيء يستحق اهتمامه أكثر من موضوع تثقيف الشيء الجديد، وتدريب الشباب. ليس خلافاً لطبيعتهم، أو ضدّ أمزجتهم بل وفق أعلى نموذج عام للفضائل ومبادئ الاخلاق مما يجب أن ينشأوا عليه منذ أظفارهم؟ وبين الفوائد الكثيرة التي جناها ليكورغوس من خط سيره هذا هو الثبات الذي ضمن بقاء قوانينه. ولم يكن للأيمان التي حلفها السپارطيون بان يقيموا

(٧) يفضل ارسطو [السياسة ١٦:٧] المبادئ السپارطية باعتبارها ذات فائدة عظيمة بثأرها ومردورها على الانسان. وكان النظام الروماني في رأيه أقرب الى تحقيق الغاية المرجوة - ويقضي بتأخير الوصال الجنسي الى أن تغدو الأنثى أكثر تفهماً لواجباته وأهمية بعامل نضوجها وتقدمها في السن.

عليها، من أثر كبير لو لم تثبت في نفوس وأخلاق الصغار بالتدريب والثقافة، ولو لم يشرب حياتهم كلها بحب الحكومة التي أقامها. وكانت النتيجة أن الأصول والأسس التي بنى عليها تشريعاته ظلت سارية أكثر من خمسمائة سنة. بقيت مثل صبغة عميقة ثابتة جداً، تسود كتلة الشعب بأسره. في حين كان كل خطة نوما وهدفه استمرار السلم وحسن النية، وقد زال كل أثر لهذا بعد وفاته. إذ ما ان قبض ولفظ آخر انفاسه حتى انفتح بابا معبد [بانوس] على مصاريعهما. واندفعت ريح الحرب، كأنما كانت حبيسة محصورة داخل هذه الجدران تحتاج إبطاليا وتقلأ أرضها بالدماء والضحايا<sup>(٨)</sup>. وهكذا لا يكتب البقاء الطويل لاسمى الأعمال وأنبلها، لأنها تحتاج الى ذلك الجُص الذي يبقى اجزاءها ملتحمة وبنائها ثابتاً، وأعني به التهذيب والتثقيف. ولعل قائلاً يقول: ماذا اذن؟ ألم تتقدم رومه، وتزداد عظمتها بالحروب التي خاضتها؟ انه السؤال يتطلب اجابة طويلة، اذا قصدنا به ارضاء أولئك الناس الذين يرون «الحال الأفضل» في الغنى والترف والتملك. لا في الاستقرار والدعة والاستقلال. وهي جميعاً مظاهر لروح العدل. وعلى اية حال، فمما يرفع قدر ليكورغوس، ان الرومان بعد نبذهم أنظمة نوما وسياسته نمت امبراطوريتهم وتعاضمت قوتهم كثيراً بينما حمل شأن اللقيديمونيين حالما ابتعدوا عن أنظمة ليكورغوس وهبطوا من أوج عظمتهم الى الحضيض. وبعد أن انحسر نفوذهم عن سائر بلاد الأغرريق، تعرضوا هم أنفسهم لخطر الزوال التام على انك في الوقت نفسه لا يسعك إلا ان تجد الظروف التي جاءت بنوما علامة غريبة جداً، تكاد تكون آلهية المصدر، فهو أجنبي، أقنع بالمجيء مكرهاً وبقبول مملكة قام هو بنفسه بتغيير جهازها تغييراً تاماً، وكان سبيله الى هذا، الإقناع فحسب. حكم مدينة لم تكن في حينه قد غدت مدينة موحدة، ولم يلجأ الى السلاح أو أي عمل من أعمال العنف.

(في حين استخدم ليكورغوس قوة المواطنين النبلاء، ضدّ معارضة العامّة) وانما بمجرد قوى الحكمة والعدالة، فيها وحدها تمكن من تحقيق الوحدة واحلال التفاهم بين الجميع.

(٨) يقصد حروبهم مع الفيدينتاتي والابان واللاتين.

معلومات عن  
بعض الآثار التاريخية والمباني الشهيرة  
التي ورد ذكرها في الكتاب



## ١ - الاكروبوليس [البارثنون]

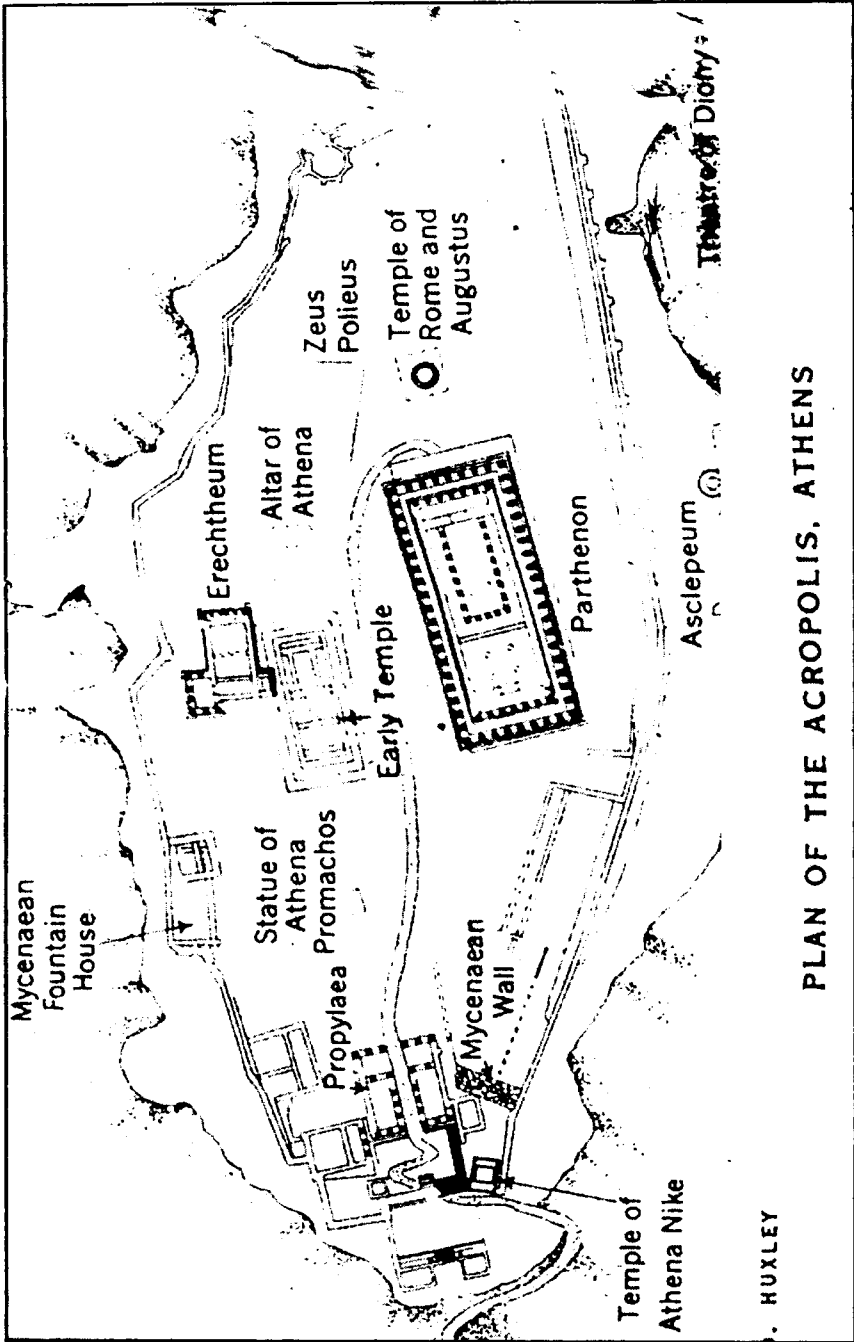
ومعنى الكلمة باليونانية (الأرض المرتفعة) وعرف باكروبوليس اثينا لوجود تمثال اثينا ومعبدها البارثنون فيه ويقع وسط مدينة اثينا تقريباً على ارتفاع 150 قدماً تقريباً وبطول 1150 قدماً وعرض 500. ويطلق الاسم عادة على القلاع التي تبنى على نشز من الأرض ليتجمع حولها أماكن سكنى ولتغدو بمثابة قلعة حامية Citidal وكانت مسيحة وفيها اعتاد ملوك اثينا بناء قصورهم وهياكل آثينا التي تعرف باسم هيكاتوميديون.

حينما نتحدث عن الاكروبوليس Acropolis يرد الى ذهننا في الحال الأثر الوحيد الباقي قائماً أو بالأحرى قشرته أو ما بقي من قشرته. وهو هيكل اثينا المعروف بالبارثنون وهي عند الرومان الآلهة منيرفا وكلمة اكروبوليس كلمة عامة يمكن إطلاقها على أي موقع محصن وان كان خارج بلاد اليونان.

تحصينات الاكروبوليس في اثينا هدمها الفرس اثناء احتلالهم المدينة وسواها بالأرض اسوارها وهي كلها. إلا أن (كيمون) الذي سترد سيرته في واحد من الأجزاء التالية قام بتجديد معظم للسور المحيط به بعد معركة (يوريميدون) في العام 468 ق.م.

يحمنا من الاكروبوليس الذي كان في عهد طويلة مقرأً لحكام آثينا وحكوماتها. نيابة البارثنون وهي أهم آثار الاكروبوليس على الإطلاق. كما بدت في الرسم التخطيطي للاكروبوليس المنقول عن دائرة المعارف البريطانية (مادة آثينا).

ابنية قليلة في العالم استخدمت امكنة عبادة لديانات مختلفة. والبارثنون بقشرته المحطمة والمشوهة ما زالت تأخذ باللب. صمم بناءه (اكتينوس Actinus) على هيئة مستطيل كما يرى في الصورة عرضه 101.34 قدماً وطوله 224.14 قدماً. بدأ معبداً للالهة آثينا وتحول الى كنيسة للعدراء مريم وانتهى بصيرورته مسجداً لنبي الله محمد. والسياح اليوم ومنذ حازت اليونان استقلالها في مطلع القرن التاسع عشر يصعدون الاكروبوليس ليتجولوا في ارجاء المعبد



PLAN OF THE ACROPOLIS, ATHENS

J. HUXLEY

ويقفوا تحت اساطينه القائمة ليلتقطوا تصاويرهم. بوصفه اروع ما أنجزه الاغريق او ربما اي نحات آخر. ان الدقة الحسابية وجمال التصميم التحما معاً ليخرجا منحوتة تنبض بالحياة، كأنها نحتت من قطعة رخامية واحدة هائلة الجرم بل حتى الرخام فيه يغير من الوانه بتغيير الضياء الواقع عليه. حتى الآن ورغم الخراب العظيم الذي نزل به فانه يمثل الميزات الرفيعة للطبع اليوناني وذوقه الغريزي كما عبر عنه منشئه الحاكم (بيركليس) بقوله «نحن نحب الجميل وان كان ساذجاً بسيطاً في ذوقنا. ونحن نهذب العقل دون خسارة الرجولة». كان ذلك في حدود 450 ق.م عندما شرع في بناء المباني الجميلة في هذه المدينة التي تحددت قوة الفرس وتسلمت قيادة العالم الاغريقي وكان البارثون ابرز تلك الابنية على الاطلاق اقيم في موضع هيكل قديم للآلهة عينها. طبق المهندس والنحات العظيم فيدياس Pheidias، تصميم اکتيونس وجرى العمل وفق تصاميمه بتعاون عدد كبير من المتعهدين المحليين على أساس القطعة. ومن ضمنها الاعمال المتعلقة بالمنحوتات والأشكال. كل طاقم من النحاتين يعمل لنفسه والقطعة النحوتة (تمثال وما اشبه) سُقرت بستين دراخما.

انتهى بناء البارثون في 432 ق.م. باستثناء السقف الخشبي بقي البارثون في الاكروبوليس (يحمي) آتينا تسعة قرون سيما خلال حرب البيلوبونيس بعد الانتهاء من تحصين الاكروبوليس لعام واحد 431 ق.م وبقي البارثون قائماً شامخاً رغم الخراب الذي احدثته هي وما تلاها من الحروب ورغم اضمحلال مركز المدينة حوفظت قدسية الاكروبوليس لوجود البارثون فيه عند نشوب الجرب بين المقدونيين والاغريق. وقد قام والاسكندر نفسه بتزيين واجهته.

واهمل الاكروبوليس في احيان عديدة واعتدى عليه بالسرقات خلفاء الاسكندر المتنازعين فيما بينهم، وعومل الاكروبوليس باحترام عندما ضمت اليونان الى الامبراطورية الرومانية الا ان احفاد (بركليس) غرتهم معاملة الرومان واتفقوا على حلف عسكري ضد روما مع الملك الأرمني ميثيريدات وفي 88 ق.م فحاصر جنود (سيللا) المدينة واقتحمها وأطلق عسكره يقتل وينهب ويسلب.

والظاهر من وصف پاوسنياس في القرن الثاني الميلادي ان معظم ابنية الاكروبوليس وأظهرها البارثون - سلمت وكانت قائمة مثلما بنيت قبل ستمائة عام.

في العام 330 م أعلن الامبراطور قسطنطين المسيحية ديناً رسمياً. وفي العام 400 ميلادية أنقلب البارثون من هيكل لآتينا الى كنيسة مسيحية للعدراء مريم (ثيودوكس) وكمل تحويل داخلها (المذبح) الى هيكل تقام فيه المراسم الدينية المسيحية مكرسة على الطقس الارثوذكسي. وازدانت الحيطان من الداخل بصور القديسين حتى السقوف بفن التكفيت



الرخامي (الفريسكو). وفي 1204 أقتحمت الكريوليس غوغاء الصليبيين في الحرب الصليبية الرابعة. بعد استيلائهم على القسطنطينية واقتسم الامراء والفرسان الطليان والفرنسيون الاقاليم اليونانية بينهم وكلهم عدو متحمس لمذهب الارثوذكسي. هؤلاء الرعايا لم يكونوا على اطلاع بمجد اثينا و قدسية الكريوليس كانوا ويعتبرون الارثوذكسية مجرد زندقة يجب انه تحارب بجميع الوسائل. فنهبوا كل ما هو ثمين في البارثونون واذابوا الأوعية المقدسة واتفوا مكتبة الاسقفية. وأصبحت اثينا من حصنة نبيل بورغندي. وسمي الكريوليس باسم جديد بلغة مالكة وباسمه Château de Sathines وجعل مقراً للحاكم العسكري الفرانكي. وسمي لكاتدرائية العذراء (البارثونون) بطريرك فرنسي وصادق البابا انوسنت الثالث على هذه التغييرات.

في العام 1453 دخل محمد الثاني الفاتح القسطنطينية ودانت له اثينا التي دخلها دخول الظافر، حامداً لله لأنه «رأى في حياته أم الفلاسفة» وبقي أربعة ايام يرتاد مواقعها الأثرية والتاريخية، وقال عنها «انها أعز عليه من كل مدن مملكته، وأعاد الاعتبار الى كهنة الارثوذكس والغى الطقوس اللاتينية التي عاشت فيها حوالي قرنين ونصف قرن. إلا انه كان استثناء عن سائر السلاطين الذين عقبوه، اذ ما جاءت نهاية القرن الخامس عشر حتى تحول البارثونون الى مسجد وانتهى دور كنيسة العذراء مريم، فالأغا التركي (القائد) لحماية المدينة اتخذ مسكنه في الكريوليس وفي ملحقات الكنيسة بالضبط وقسمها الى دار حكومة ودار حريم وغاب الكريوليس في ثنايا التاريخ حتى القرن السابع عشر حيث أخذ الفضول السياح فوجهوا اهتمامهم اليه وتعاقبت الارشاليات الدينية الجزويتية (في 1645، وفي 1772) وكتبت تقارير عن الزيارات وقبل انه يلحق الخراب التام بالكريوليس ذكر ان السفير الفرنسي في تركيا المركزي تواتيل قصده بصحبة رسام فلمنكي وعمل مخططاً له، وعقبه جورج ويلر الباحثة الكلاسيكي الانكليزي بصحبة رسام فرنسي بدراسة كل ما على قمة الكريوليس مستخدمين وصف پارسنياس.

في العام ١٦٨٧ هاجم البنادقة بقيادة فرانسيسكو موروسيني الحامية التركية في الكريوليس بعد اجتياحهم معظم بلاد اليونان فتحصن الاتراك فيه واختزنوا بارودهم في البارثونون. وفي ٢٦ من ايلول ١٦٨٧ اسقط المهاجمون قبنة وسط البارثونون فانفجر الباورد وأحدث تخریباً هائلاً منها سقوط الجناح الغربي بكامله، وتشويه اوجه الكثير من التماثيل لم يكن هناك اي أمل باصلاح الخراب الذي احده هذا القصف لاسيما بالتماثيل ولم يكتف (موروسيني) بهذا التخریب بل حاول قلع تماثيل بوسيدون وخبول مركبة آثينا من المدخل

الغربي فسقط الجميع على الأرض وأصبحوا حطاماً لا يسوى نقلها الى مدينته شيئاً إلا انه ارضاءً لرغبته هذه قام بنقل اربعة أسود من الرخام ما زالت تزين قمة قصر الارسنال في البندقية.

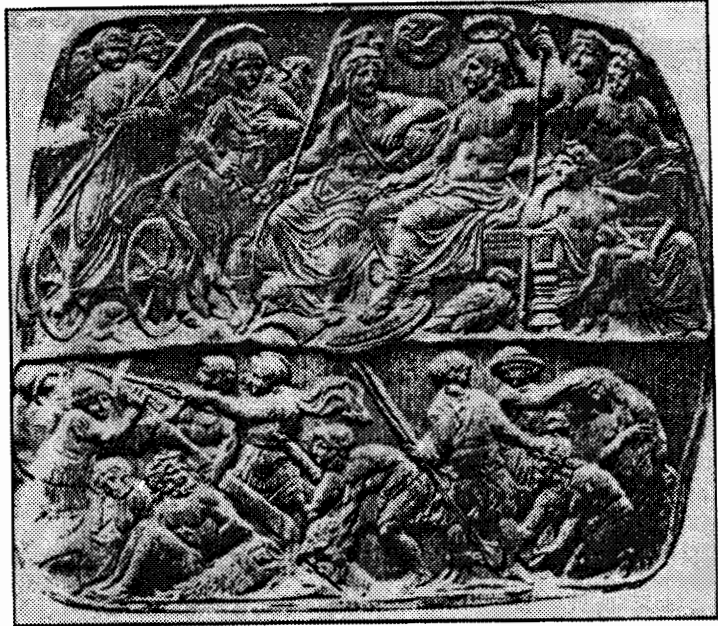
وفي العام 1801 استحصل اللورد آلجين سفير بريطانيا في استانبول رخصة من الترك تخوله حيازة ونقل اي قطعة رخامية من الاكربوليس عليها كتابات ونقوش ومن ضمنها التماثيل. وترجمت هذه الاجازة على نحو واسع وبسخاءٍ عظيم واستخدم لورد آلجين مئات العمال لنقل ما بقي من تماثيل البارثنون. وقد قدر عددها صدقاً أو كذباً بثمانين قطعة حملت كلها الى بريطانيا ، وهناك قام المتحف البريطاني بشرائها بمبلغ 35 الف پاون. ثارت الخواطر على ما فعله لورد آلجين، وهجاه والشاعر البريطاني المفلق لورد بايرون ولقبه بالسارق.

منذ حيازة اليونان استقلالها في 1827 واعلاتها آثينا في 1834 عاصمة لها وهي تطالب كل جهة من الجهات التي نهبت الاكربوليس والبانثيون باعادة ما سلبته من تماثيل وقطع أثرية. كما بدت باصلاح ما أمكن اصلاحه من هذا الأثر العظيم وهدم المسجد ورفعت البناءات التي اقامها الترك كما أعيد نصب الاساطين المتهافتة وترميم ما بقي من سور الاكربوليس الى غير ذلك من اصلاحات ما أمكن.



نقش من عمود تراجان، يظهر مسيرة عسكرية حول خط الخيم في معسكر فرقة رومانية

حجر كريم من  
عهد اغسطس،  
يشاهد الجنود  
الرومان (يساراً)  
الى الأسفل)  
يرفعون نصباً  
تذكاريًا بحضور  
من الامبراطور  
(مجموعة  
مانسيل)



## ٢ - دلفي

### هيكل استخارة

يقع في اقليم (فيوكيس) بالقرب من قرية عرفت أيضاً باسم دلفي وعلى مجنبه من جبل پارناسوس القريب من آثينا .

كانت تعتبر دلفي عند اليونان مركز الأرض ويرتبط اعتبارها كذلك من أسطورة نقول ان رئيس الآلهة (زفس) أطلق نسرين اثنين، واحدٌ من جهة الغرب وأخرى جهة الشرق على أن يكون اتجاههما نحو المركز فالتقيا في دلفي.

وقد أبدت التنقيبات التي جرت موقعياً ان الموضع كان مسكوناً منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد. على ان التاريخ الحقيقي لدلفي بدأ في القرن السادس ق.م. اذ اصبحت مركز العرافة بالمستقبل بعد التحاقها بالعصبة الامفياكتونية واهم مراكز الكشف عن حجب المستقبل والنهي أو السماح مباشرة هذا العمل او ذاك بوساطة الكاهنات أو العرافات اللاتي يلزمه. ولم تكن (دلفي) تستشار في أمور الدولة وحدها بل في شؤون المرء الخاصة وكثيراً ما كان لنتائج عرافتها القول الفصل في السياسة وميادين النشاط الوطني.

في دلفي كان يوجد شق في الأرض ينطلق منه غازٌ يؤثر في الأعصاب ويترك المستنشق في حالة من المهذيان وتقربه من الغيبوبة. وأفترض في هذا الغاز انه انفاس الآلهة ابولولو.

وعند الاستخارة كان ثم كاهنة تجلس على كرسي ثلاثي الارجل موضوعة فوق الشق لتستنشق الغاز. فتروح في شبه غيبوبة يخرجها عن وعيها لكنه لا يمنعها من الكلام. وعندما يقوم القادم بسؤالها وانتظار الجواب فانها تنطق بأقوال مبهمه قد لا ترتبط بعلة القدوم اليها وتعتبر الاستخارة فاشلة اي ان الآله لا يريد ان يقطع في القضية وانما يترك التصرف بها لاصحابها أو أنها تتقول باشياء مبهمه وعندها يقوم كاهن باخبار الزائر بما قالت.

سيرى القاريء فيما بعد أن القادمين يقصدون دلفي من أماكن بعيدة بهدايا وتقدمات نفيسه استرضاء للموافقة الالهية على ما يخططون وينتوون أو النصح بالابتعاد عن عمل ما ينتوون أو معرفة ما يجب عليهم عمله او ما سيحدث وهم مطلقاً يعتقدون بما تشير عليهم النبوءة وفي العادة يكون الجواب اشبه باللغز يفهم باشكالٍ مختلفة ويفسر بمعانٍ عديدة، وعلى سبيل مثال: ملك يريد شنّ حربٍ على ملك آخر، ما هي النتيجة؟ من سيكون الرابع؟ وتأتي الاجابة المحيرة من فم الكاهنة: «ستسقط مملكة عظيمة!». وهنا يترتب على المستخير ان يقطع اي مملكة ستسقط أمملكته أم مملكة خصمه؟

فقدت دلفي قيمتها وشهرتها بمجيء المسيحية ولم يعد لها قيمة بعد انقراض الوثنية. وبدأت (المدرسة الفرنسية) الاركيولوجية عملية التنقيب في الموقع في 1892. ومن نتائج ما توصلت اليه اكتشافها هيكل ابوللو والمذبح الذي خصص لأهالي (جنوس) وهما في أسفل الاستاديوم والمسرح وآثارهما باقية.

### ٣- الفورم Forum

بالاصل ساحة مفتوحة (ميدان) تجدها في سائر المدن الرومانية تستخدم كأماكن لقاء أو كالاغورا اليونانية اي سوقاً عاماً للتبادل التجاري. أو لتصرف الشؤون السياسية أو المقاضاة أو مجلس قضاة ويكون مستوى السطح متساوياً وبهيئة مستطيل عادة ويحاط بأعمدة أو بهياكل عبادة صغيرة (باسيليكا) أو معابد أو بنايات المحاكم أو ما سواها من ابنية تشيد للاغراض العامة. وفي قوانين الالواح الاثني عشر استخدمت الكلمة بوصفها مدخلاً للقبر. وفي المعسكر الروماني يكون الفورم فضاءً لا تحيط به بنايات أو اسيجة يقام الى جانب مقر قيادة الجيش (الپريتوريوم).

عموماً يراد من الكلمة اللاتينية الساحة المفتوحة أمام باب بناية أو مخرجها.

وفي روما أشارت الكلمة الى ساحة من الأرض كانت مستنقعاً جُفف - تقع بين تلي الكايبتولين والپالاتين. ويعرف للموقع أيضاً بـ(فورم رومانوم Forum Romanum). وقد خصص في العهد الملكي للاجتماعات العامة (الشعبية) عندما كان يتعذر الاجتماع من ميدان الكايبتولينا Area Capitolina. وقبلها كان الفورم في روما يستخدم لألعاب المصارعة وغيرها. وقد بنيت فوق الأعمدة المحيطة به مقصورات للمتفرجين.

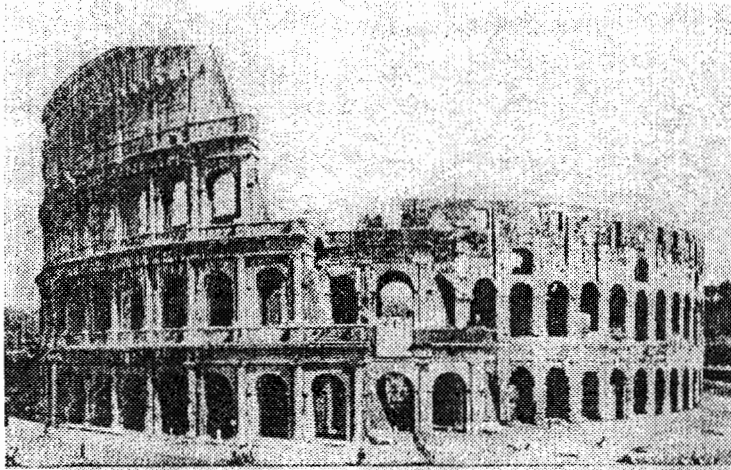
وباتساع رقعة المدينة أقيم أكثر من فورم واحد، ويختص كلٌ منها بناحية حياتية، فاستحدث فورم قضائي تجرى فيه مرافعات المتقاضين ويجلس قاضٍ فيها للفصل في الدعاوى ويترافع امامه المدعون أو وكلاؤهم.

واستخدم فورم خصيصاً لبيع الخضراوات، وفورم قاصر على بيوع وشراء المشية. وفي أواخر أيام الجمهورية وأوائل العهد الامبراطوري استحدث عدد من الميادين (الفورم) مثل فورم (پومپي) وفورم (تراجان) وفورم (فبساسيان) وقد خلف هؤلاء وغيرهم آثاراً لهم فيها.

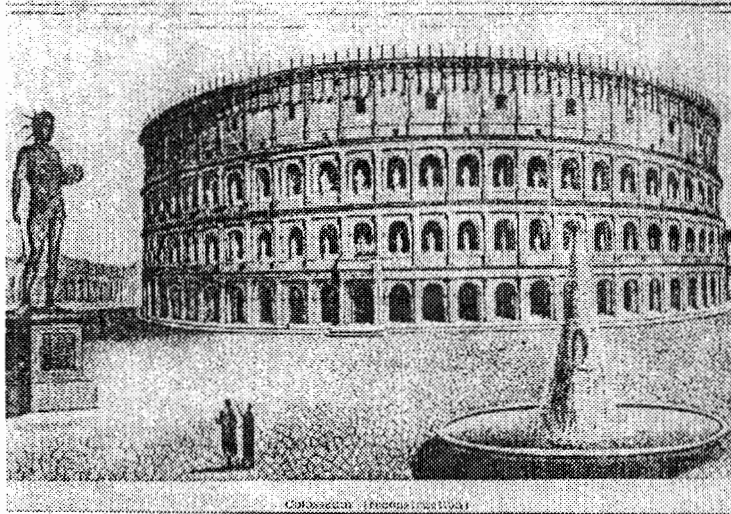
في العادة يكون الفورم ذا سطح مستوٍ مرصوف وفي الأعياد العامة والاجتماعات

السياسية كان يسمح للعجلات بدخوله وهو مفتوح من جميع جانب ولا أبواب مُقدمة في أي جزءٍ منه والدخول والخروج لا يعوقه عائق.

هذا ما تأيد من فورم (مدينة بومبي) التي ازيح عنها رماد بركان فيزوف. فضلاً عن مخططات أخرى للفورم في مدن عدة، وأظهرها (فورم روما) الذي ترى صورته الحالية أو بعبارة أخرى انقاضه الى جانب مخططات له تعطي صورة واضحة لشكله الأول ومحتوياته.



Colosseum



Colosseum (Pompeii 1811/14)

## ٤- نظام الحكم الآثيني

### (دولة المدينة Polis)

#### على ضوء اصلاحات صولون

الديمقراطية السياسية في نظام الحكم الآثيني وصلت الى أقصى نهاية منطقية لها. بطبيعة الحال هناك من ينكر على آثينا ديمقراطية نظامها لأن جميع النساء والعيبد والغرباء المقيمين فيها محرمون من حق التصويت، ولا يحق لهم في المداخلة وادارة شؤون الدولة. فآثينا ليست والحالة هذه ديمقراطية اذا عرفنا الديمقراطية بأنها نظام يقضي بمشاركة جميع البالغين من السكان وانه لا يمكن ادراج نظامها ضمن اي نوع من أنواع ديمقراطيات عصرنا هذا، باعتبار الحجم والسعة وعدد السكان حيث كان من الواجب على كل دولة حديثة اناطة الحكم بممثلين واداريين محترمين فدولة المدينة كآثينا مثلاً قد يكون بحسابنا هذا مشكلاً من اشكال الانظمة الاوليفارشية<sup>(١)</sup>. اما اذا عرفنا نظامها بانه مشاركة جميع المواطنين في الحكم فبالامكان اعتبار آثينا دولة ديمقراطية. علينا أيضاً ان نتذكر بان من شروط المواطنة الاغريقية ان يكون الشخص مولوداً لأبوين أغريقيين أو أب على الأقل. والدولة الاغريقية هي نضرياً أو شعورياً بالنظر الى هذا، مجموعة من الاقرباء أو مجرد أهالي منطقة أو حي معين .

على ان التحديد الدقيق للديمقراطية بالنسبة الى ما نرى اليه حالياً ليس مهمماً<sup>(٢)</sup>. لأن

(١) Oligarchy: اللفظ التقليدي المستخدم لنعت حكم القلة أو الصفوة المختارة عندما لا ينظر الحاكم بعين

الرضا. استخدمه ارسطو لتعريف حكم الأقلية عندما لا يمارسه أفضل الاشخاص بل أظلمهم واسوأهم.

(٢) لما كان معنى كلمة ديمقراطية ينطوي على أهمية فبوسعنا أن نشرح المقصود بها في الاستعمال اليوناني،

في الاحاديث العادية كلمة Demokratia تعني حرفياً «السيطرة بواسطة الشعب» اي الديمقراطية

السياسية كما جننا الى وصفها في المتن. إلا أن النظريين السياسيين لاسيما افلاطون وارسطو

استخدموها لتعني «حكومة من الفقراء» وعلى هذا الاساس فقد ادانوها باعتبارها نظاماً أو شكلاً

معكوساً من أشكال الاوليفارشية أو الديكتاتورية. أو حكم الطغيان. اي حكومة هدفها النفع الخاص وكلمة

Polity والشئ بالشئ يذكر هي الاسم الذي لقبته بحكومة اتفق عليها الجميع دون أن تختص بطبقة.



اهتمامنا ينصبُ في كيفية عمل الاجهزة السياسية في اثينا وما هو مقدار تأثيرها وعملها في الحياة، وفي عقول الاثينيين.

الجمعية العامة هي الرأس، وهي السلطة العليا. وقد جاهد الاثينيون بكل طاقاتهم للبقاء على هيمنتها وعلى سلطاتها وان رمزياً (على الورق). ولم يكن هناك أية قابلية في اثينا لجهاز أو ماكنة ادارية تتولى زمام الحكم ذات فائدة بحجم صغير. وتتألف الجمعية العامة من كل ذكر بالغ، قبله مجلس الديمي Deme (مجلس المنطقة) وأفتى بانه مؤهل وحائز الشروط المطلوبة شرعاً وأنه لم يحرم شرعاً من حق التصويت بسبب ارتكابه جرماً خطيراً. والغى شرط الملكية والقدرة الملكية وأكتفى بشرط أوجب على الاثيني اثناء قيام حرب، أن يزود نفسه بشبكة سلاحه وجميع المعدات التي تؤهله للانخراط في الجيش وان يكون قادراً مالياً على تأمين حصانه والانفاق على علفه ان كان من صنف الخيالة.

على أن الحكومة Polis مكلفة من طرف آخر بالانفاق على مأكله عندما يكون في سلك الخدمة الفعلية. اما المواطنون ذوو الامكانات المالية الجيدة فهم يخدمون في صنف المشاة الثقيلة (الهوبليتيس Hoplite) وهم يجهزون انفسهم بالسلاح. اما الفقراء الذين لا يملكون ما ينفقون به على سلاحهم فهم يبقون في الاحتياط أو يستخدمون جذافين في الاسطول. ويخدم في الجيش الغريباء كالمواطنين سواء بسواء. ولا يستخدم العبيد لا في الجيش ولا في الأسطول الا عند الضرورة القصوى، عندما يحدق بالوطن أعظم الخطر وعندها يدعى العبيد للتطوع مع وعدي أو تعهد حكومي يوفى به دوماً بالعتق وحق المواطنة المدني الكامل Civil بدون حق المساهمة في العمل السياسي Politicia.

الجمعية العامة هي جلسة عامة علنية يحضرها كل المواطنين الذكور الذين لهم حق التصويت وهي السلطة الاشتراعية الوحيدة ولها سلطة الهيمنة بطرق ووسائل مختلفة في الاشراف على الادارة والقضاء.

في الإدارة: لم يعد للاريوخاغوس القديم المؤلف من الاراخنة السابقين ما يعمله في الأزمنة المتأخرة، غير الفصل في قضايا القتول. كان الأراخنة (ج: ارخون) في زمن ما ذوي سلطة واسعة. تختارهم الجمعية العامة سنوياً بطريق الاقتراع العلني. ان مواطن في اي عمر يمكن ان يرشح نفسه لملء كرسي واحد من الأراخنة التسعة. واناطة أمر انتخابهم بالجمعية العامة يعني بالطبع ان سلطتهم مستمدة منها وان السلطة باقية عند الجمعية. والجمعية تلتئم مرة واحدة كل شهر. الا اذا اقتضى امر طاريء عقد اجتماع غير عادي للفصل في قضية هامة.

الكلام في الاجتماع هو حق من حقوق المواطن عندما يفلح في استرعاء انتباه الاعضاء للاصغاء اليه. ولكل مواطن حاضر الحق في اقتراح اي شيء ضمن قيود دستورية احترازية مرسومة.

إن جمعية كبيرة كهذه تحتاج الى مجلس أو لجنة تسمى البولي Boule أو المجلس الذي يتألف من 500 عضو غير منتخبين لكن يختارون بالقرعة. لكل قبيلة (عشيرة) من القبائل العشرة خمسون عضواً. هذا المجلس يختار كما رأينا بشكل اعتباطي ويضم اعضاء يختارون سنوياً وهم بطبيعة الحال ذوو مشارب مختلفة لا يؤمل منهم كثير من الشعور التعاضدي الموحد وهذا هو الغرض والهدف من الفكرة، لا شيء يهيمن على جو الجمعية العامة وتبقى حرة بوجه اي تغلب أو تأثير.

الاجهزة الادارية تملأ باعضاء من المجلس التحضيري (البولي). ولما لم يكن بالامكان عملاً أن يحضر أعضاء الخمسمائة في جلسات متواصلة. فكثرتهم تحول دون تكوين هيئة تنفيذية فعالة. لذلك يختار خمسون عضواً لتكوين مجلس الپريتاني Prytany من القبائل العشرة، يبقى في حالة اجتماع لعشر سنة. ويختار هذا المجلس رئيسه لكل يوم بالقرعة، اي يكون رئيساً له طوال اربع وعشرين ساعة فقط ويعتبر رئيساً تشريفياً للدولة<sup>(٣)</sup>.

لوضع حدود أخرى على تصرفات الهيئات الادارية فرض علي جميع الحكام الذين انتهت فترة خدمتهم تقديم حساب عن أعمالهم الرسمية ولا تنتهي مسؤوليتهم أو تعرضهم للاتهام حتى يقدموا هذا البيان الذي يسمى اوديت Audit. ويبقون شبه محجوزين ولا يحق لهم مغادرة اثينا او بيع اي شيء من ممتلكاتهم.

هناك دائرة واحدة لم يكن بالامكان تركها عرضة لمخاطر التصويت هي قيادة القوات البحرية أو البرية. فهذه الهيئة وتسمى ستراتيجوي Stratigoi تتألف من جنرالية أو امراء بحر عشرة ينتخبون لمدة سنة واحدة كاملة واعادة الانتخاب جائزة بل هو امر اعتيادي في الواقع. وليس بالأمر الغريب عند الاثينين ان يتولى جندي بسيط مهمة الجنرال ويتقلد رتبته في معركة، وان تراه في معركة أخرى وقد عاد جندياً بسيطاً. تلك هي الصورة الاكثر تطرفاً في المفهوم المبدئي للديمقراطية. اي «تحكم (بفتح التاء) وان تحكم (بضم التاء) بالتناوب».

(٣) اتفق ان تقلد سقراط الفيلسوف هذا المنصب يوماً واحداً عندما أشرفت حرب البلوپونيز على النهاية ودب الانقسام في الجمعية كما يحصل في بعض الأحيان. وطلبت الجمعية من دون اي علة أو مبرر قانوني اصدار وثيقة اتهام بكل مجلس الجنرالية لفشلهم في انقاذ الناجين من المعركة البحرية (اركينوساي). إلا ان سقراط تحدى الفوغاء ورفض انه يوضع الاقتراح في التصويت.

إن الجنرال أو الاستراتيجية بوصفه الموظف الوحيد الذي ينتخب بسبب مؤهلاته وقابلياته الخاصة ويتولى مثل هذا المنصب الذي لا يدانيه منصب في خطورته، تجده يمارس نفوذاً عظيماً وسلطة واسعة في شؤون المدينة<sup>(٤)</sup>.

ولا يقتصر سلطان الجمعية على أمور الاشتراع والادارة بل يتعداه الى امور القضاء. وكما انه لا يوجد هناك اداريون محترمون. كذلك لا يوجد قضاة محترفون ولا مدعون عامون ولا محامون، والمبدء السائد هو ان المغدور أو المدعي يتقدم بشكواه رأساً الى بني جلدته من المواطنين - الى المحاكم المحلية في المسائل الشخصية أو البسيطة والى المحاكم الأثينية في المسائل الجسيمة كالقتل والسرقة وسائر الجرائم المدينة. وتتألف للفصل فيها هيئة محلفين Juris وهيئة قضاة هي في الواقع قسم من الجمعية العامة ويختلف حجمها بين مائة عضو وعضو واحد 101 والف عضو وعضو واحد 1001 بالنظر الى أهمية القضية. وليس هناك قاضٍ وإنما مجرد شخص يرأس الجلسة المخصصة لسماع المرافعة من بين هيئة المحلفين وهو بهذا الاعتبار يشبه ما يدعى بـ(فورمان Forman) في نظام هيئة المحلفين الأوروبية الحالية. وكما قلنا ليس هناك ادعاء عام ولا محامون والطرفان مكلفان بالسير في مراحل الدعوى شخصياً وان كان بمقدور المدعي أو المتهم - كما جرت العادة ان يسمح لهما باستخدام خطيب (كاتب خطب) يعدّ للمتهم دفاعه على شكل خطبة يجب ان يلقيها هو بنفسه ولا حق له بانابة آخر الاقائتها عنه. كذلك الأمر بادعاء المدعي.

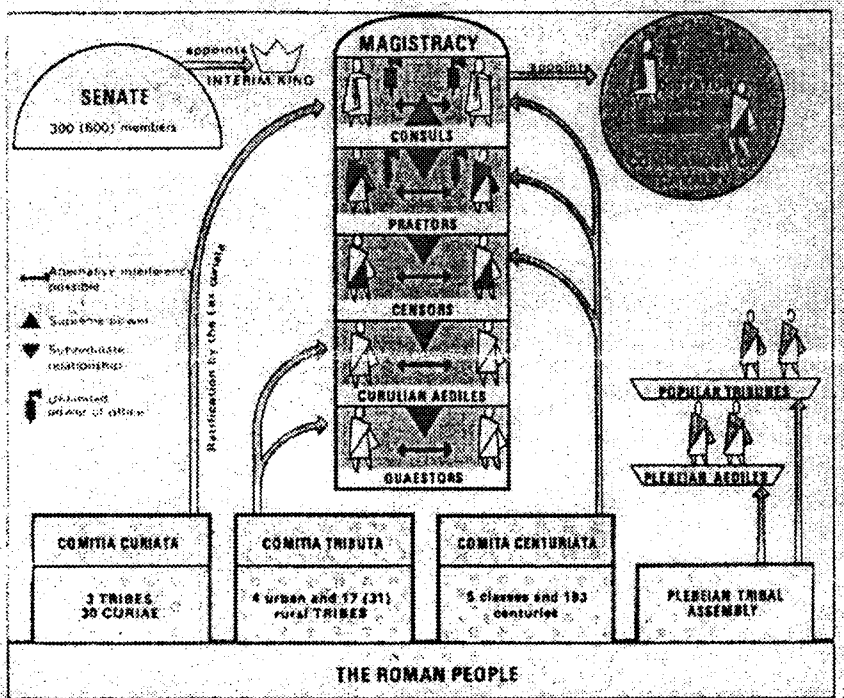
تلك هي هيئة المحلفين الشعبية وكيفية تأليفها ومدى صلاحيتها هي الفصل في الوقائع وفي تطبيق القانون وليس هناك محكمة أعلى منها وليس هناك استئناف وان لم يكن يوجد عقوبة محددة في القانون للجرائم، ولذلك ففيما ان هيئة المحلفين عن فرض اي نوع من العقوبة يكون على المدعي الذي فاز في دعواه ان يقترح أولاً العقوبة التي يريدتها وبعدها يقدم المحكوم اقتراحاً خصوصياً كبديل لاقتراح المدعي. ثم يترك الاختيار للهيئة القضائية بين الاقتراحين<sup>(٥)</sup>.

من كل ما جئنا الى شرحه. يستنتج القاريء ان شؤون الدولة في اثينا يديرها هوأء، وان

---

(٤) من خلال هذا المنصب ومركزه في الجمعية العامة استطاع بيركليس مثلاً أن يقود الاثينيين مدة طويلة.  
(٥) هذا ما يفسر الاجراءات القضائية في محاكمة سقراط (٤٧٠-٣٩٩ ق.م) التي وردت في كتاب افلاطون (ابولوجيا: الدفاع) (٤٢٧-٣٤٧ ق.م) طلب المدعون فرض عقوبة الموت. الا ان سقراط اقترح تغريمه فحسب مينا واحدة لأنه لا يملك أكثر من هذا واصراً على ذلك فئاتر موجة من السخرية والتندر. في حين لو انه اقترح النفي فقد كان يسر ذلك هيئة المحلفين وتقبل به بكل سرور.

ذوى الاحتراف لا يعطى لهم فسحة للعمل أو مجال لممارسة مهاراتهم الا الاقل منهم. القليل والواقع ان الخبير فيهم هو عادة (عبد شعبي) وكل آثيني التبعية أما جندي أو بحار أو مشترع أو قاضٍ أو عضو ادارة إن لم يكن (ارخوناً) وهو حتماً عضو في (البولي) وقد انتقد افلاطون وسقراط هذا النظام لا لانه غير فعال بل لأنه اودع الأمور بيد جهلة جهلاً تاماً بمزاولة (فن السياسة) لتحسين أحوال الناس.



to Peloponnese to 500 B.C.

## ملحق

### الجيش الروماني

#### النظام - التركيب - الاستحكام - العقيدة - النبوءات

الجندي الروماني أينما كان موجوداً ضمن تخوم الامبراطورية الواسعة الأرجاء، يحض ولاه وإخلاصه المباشر والمطلق للدولة وللإمبراطور وإلى آلهة روما الوطنية. ودين الجيش ينسرب بدقة وحذق إلى هذه المثل الموحدة فالجندي الروماني على هذا الأساس له أن يزعم بأنه مشارك فعّال في مصائر روما ويستمد رضى النفس والراحة الفكرية من الاعتقاد بأنه إنما ينجز واجباً مقدساً عن طريق هذه المشاركة. والتقوى على هذا الأساس تعد فعلاً من الفضائل عند العسكري كالشجاعة والحذاقة في استخدام السلاح وآلات الحرب. ولذلك كان الدين عاملاً هاماً في نجاح الماكنة الحربية الرومانية عبر العصور مثلما أمن للجيش الروماني عامل التفوق في التنظيم والضبط والتسليح والتاكتيك فمنذ أوائل العهد الجمهوري وجد الرومان في الدين رابطة وثيقة بين انفسهم وبين الآلهة من اعتقادهم بأن السلطة المطلقة الرومانية تنبثق من هذه الآلهة وهي التي تحميها. فالموضوع والحالة هذه وفي كل حين هو أمر في غاية من الأهمية. وليس هناك ما هو أكثر ظهوراً من المنجزات العسكرية وهي سرّ بقاء الامبراطورية ومصدر أمنها.

ان الإصلاحات التي أحدثتها الامبراطورية الاوغسطية (نسبة إلى اغسطس قيصر) إلى جانب اشاعتها النظام المبدئي في التطبيق، لم تستغن عن الكثير من التقاليد العسكرية الرومانية ولم تعتمد إلى خلخلة احكامها. وقد استغل اوغسطس قيصر مركزه بوصفه الفرد المنتصر في الحكم الثلاثي (راجع سيرة يوليوس قيصر). استغل مركزه هذا ليفقد «المواطن القائد Princeps» والامبراطور (القائد الاعلى للجيش Imperator) معاً وهو جمع في غاية الذكاء لسلطة واحدة دون لقب أو صفة (ملك) فبوصفه پرنسيپس، كان كما وصفه احد

الكتاب «الاول بين الأقران Primus inter pares». لكن ختمه كان يساند مائة واربعين سيفاً من جنود فرقه واول ما عمله من اصلاح هو انقاص عدد الفرق الرومانية (والجنود هم مواطنون رومان) فأصبح قوام الجيش الروماني حوالي ٢٨ فرقة بعد ان كان ٥٠ وملاك الفرقة خمسة آلاف ضابط وجندي مقسمة الى خمسين سرية على رأس كل أمر سرية (سنتوريون) وأنيط بكل فرقة واجب محدد لاتتعداه وألغى الجيش الاحتياطي القادر على الاخلال بتوازن السلطة. والى جانب الفرق الرومانية كان هناك قطعات عسكرية نظامية من الشعوب الأخرى التابعة، نظمت بشكل ألوية (ج لواء Cohert) تعداد الواحد منها يبلغ ألفاً من الجنود والضباط وانيط بهذه الوحدات واجبات الدوريات والمحافظة على الأمن في الحدود، ومساندة الفرق الرومانية حيثما تم حشدها في النقاط الاستراتيجية.

ويهيء الجيش له مخيماً (قلعة)، وهي قاعدة أو مقر منتظم له حين يخرج للقتال في ارض العدو، وهذه تكون بمثابة مقرات شتوية. يجرى فيها النظام الصارم وينطبق تدريب متواصل وتكون الوحدات في درجة انذار قصوى على الدوام. قانون انضباط حازم شديد خضع له الجنود والضباط معاً ولم يستثن منه أحد. وعندما يكمل جنود الاحتياط هؤلاء مدة خدمتهم بجدارة فانهم يمنحون صفة المواطن الروماني.

وكما بينا آنفاً ينسحب ولاء الجندي أيضاً الى الآلهة الرئيسة عند الشعب الروماني بالدرجة الاولى فضلاً عن ولائهم للامبراطور رئيس دولة وقائد عام للجيش معاً.

كان يفرض على العسكري قبل عهد (اغسطس) قسم يمين الولاة لقادة الميدان. وهو عمل فيه من الخطر ما فيه وكثيراً ما ادى الى حرب أهلية. اما الآن فليس هناك غير قائد واحد وله تقسم اليمين وهو كبير الآلهة (جوبيتر او بتيمسوس ماكسموس) وهو الذي يتقدم الكل ويرمحه الذي يرسل الصواعق يحمي الدولة، وقواه الطاغية في التدمير مصورة على دروع ومجنات وتروس الجنود، وطيره الجراح النسرتراه يرتفع على قطب كالرأية امام الجنود مصنوعاً من الفضة. والنزول عن هذه الراية او فقدانها يصم بالعار الاكبر حامله ويصيب الوحدة بهزيمة مخجلة لا منجى منها.

سنوياً وفي اليوم الأول من شهر كانون الثاني. يقام استعراض عسكري بكل شكة الحرب والسلاح امام كل مخيم (قلعة) يعلن فيه تجدد الولاة لجوبيتر وتوقد له نار جديدة. ويتم لهذا الغرض تمهيد ساحة بمساحة ١٠٠ ياردة مربعة لتقام عليها منصة القائد لتلقى تحية القطعات وهي تمر به اثناء الاستعراض ويبنى فيها مذبح لجوبيتر Tribunal وقد اكتشف هذا في مواطن

عديدة اوروبيه. فتكريم الامبراطور الخادم وتاليهه هما القاعدة التي لا يحاد عنها في دل معسكر روماني وهناك مذبح مكرس «لروح سيدنا الامبراطور» ويبنى بمواجهة العدو، ويحتفظ فيه بالراية والاعوية الدينية التقليدية وغير ذلك من ادوات المراسيم والاشياء والغنائم الثمينة ورواتب الجنود. ودوائر الادارة واماكن حفظ السجلات تحتلها حجرات مساعد القائد وموظفيه ومعارنيه وتدعى كورنيكيولاريس Cornicularis وأماً مقر القائد المركزي فيبنى له او ينصب له خيمة أخرى ويدعى پريتوريوم Praetorium. وفيها يجتمع اليه مجلس الحرب ورؤسا الاركان والضباط للتخطيط للحملة او المعركة المقبلة اذ كان يجب على القائد اضافة الى استشارة ضباطه والاستماع الى رأيه، ان تجرى عملية الاستخارة أو النبوءة وتسمع من فم (عراف) بعد تقديم اضحية (قربان) للاله. وتم بأساليب عدة، ومن بينها فحص احشاء الاضحية. او مراقبة السارح والبارح من الطير، او في غرابة مشية الدجاج، او بظهور حيوان من جهة ما بشكل غير متوقع، او بعلامات مخصوصة في الرعود والبروق. وتحت اي ظروف خاصة اي حدث قد يفسره (العارف) بالشكل الذي يتراءى له، ومهنة العرافة عند الرومان هي هبة آلهية خص بها اناساً معينين دون غيرهم. لكن كان هناك فترات تعليم لمعهد دراسة العرافة يسبق مزاولتها.

مراسيم تقديم الاضحية هي بحد ذاتها مصدر عون شديد القوي للعرافة. لكن الغرض الأساس منها هو تطهير وإعداد أولئك الذين سيشاركون في الحرب. والتقدمة العظمى هي ان يضحي بخنزير وكبش وثور تقدم نيابة عن الدولة.

هذه المراسيم لا بد منها عند انطلاقة الجيش الروماني الى مغامرة او فتح عسكريين. وعندما تأتي نبوءة العراف مبشرة بالنجاح ومشجعة على الانطلاق تقوي النبوءة تأليه اصحاب الولاء بتقديم العرابين وستكون النتيجة النجاح بدون شك.

وفي حالة الاستيلاء على ارض جديدة، او استعادة أقاليم فقدتها روما يقام نصب تذكاري للمعركة التي خاضها الحش في هذا السبيل. وهي من جملة التقاليد العسكرية الرومانية وقد نقلوه عن الأغريق. ويتخذ النصب التذكاري على شكل كدس من الاسلحة والدروع والتروس وشبكة الحرب وغيرها من آلات الحرب المنزعة من جثث قتلى العدو في عين الميدان الذي جرت فيه المعركة وتحققت هزيمة العدو في العادة كانت هذه العدد الحربية تكدس فوق قطعة كيفما اتفق وبدون ترتيب لتمثل العدو المنهزم وتكدس عادة عند قاعدة صليب خشبي يعلوه سف وخوذة وتروس أو سلاح آخر. وكثيراً ما ينقش وصف للمعركة اذا كانت القاعدة مبنية بالحجر، او انها تنقش فوق المسكوكات والعملات. لاتزال آثار وخرائب لبقايا هذه الانتصاب



قائمة. عرف منها النصب التذكاري الشهير الرابع في (لا تربى) بمقاطعة (موناكو) بمقابل الجانب البحري وكان قد اقيم في ١٦ ميلادية تذكراً لاختصاصه ٤٦ قبيلة آليّة. وهناك ايضاً نصب الامبراطور التذكاري في رومانيا تخليداً لارواح ثلاثة آلاف جندي روماني فقدوا حياتهم.

ويعبد الجيش الروماني آلهة مختلفة متعددة الجنسيات تبعاً لتقاليدهم الدينية ويعبدون الارواح والاطياف والاشباح، وتبدو العبادة بتقديم صفوف معينة من الهدايا والقرابين والاضاحي. ويأتي الأول في التصنيف بطبيعة الحال دين الدولة الرسمي. رعبادة آلهتها الوطنية ويأتي اثر ذلك تقديس الامبراطور، وهو فرض واجب على كل روماني أو غير روماني خاضع للحكم الروماني<sup>(١)</sup>.

وتقام حفلات دينية عديدة بصورة منتظمة وليس من المفروض فيها أن تكون رزينة ويحفّ بها الاجلال والوقار، بل كانت بالاصل بهدف الترفيه ولكن بصورة مهذبة وبجلال ديني وكان يتخللها في العادة ألعاب وتمثيل، وهي طابع المناسبات الرومانية منذ القدم فقد اقيمت بالاصل للترفيه والتسلية.

ويطول الحديث بنا عن الديانات غير الرسمية التي كان الجنود يزاولونها ويعتقدونها ومقدار قيمتها عندهم وانتشارها بينهم ففي زمن ما ولنقل القرنين الاول والثاني الميلاديين كانت عبادة الاله (ميثرا) الفارس معروفة جداً ومتفشية في الجيش الروماني يقيمون لها المناسبات كما يقيمون للآلهة الوطنية، وهياكل هذه الآلهة غير الوطنية كانت عادة تقام خارج المعسكر وبالقرب منه.

---

(١) في بلدة (الدورة) التي تقع على نهر الفرات. عثرت بعثة آثار من جامعة بيل على كدس كبير من وثائق البردي تعود الى مقر دائرة سجلات اللواء الپالميري (التدمري) الذي كان يعسكر هناك وقد وجد في أحد الاوراق التي لم يعثرها تلف كبير قائمة بالاعباد الدينية فضلاً عن مناسبات الاعياد الرومانية. وكان فيها عدد من الآلهة الشرقية. وقد وجدت البعثة ان الايدي عدلت فيها وشطبّت وأضافت. وفي الواقع كانت الصحيفة بمثابة تقويم عسكري، ويستشف منها ايضاً ان نوعاً من احتفال كان يجري كل اسبوع تقريباً. إما بتقديم قربان الى آلهة وطنية او اقامة حفل تكريم لعضو من بيت الامبراطور ذكراً أم أنثى.

صولون

**SOLON**

640-558



ذكر [ديديموس Didymus] <sup>(١)</sup> النحوي، في جوابه على رسالة [أسقليبيادس Asclepi-ades] حول ألواح شريعة صولون، فقرةً أوردتها المدعو [فيلوكليس Philocles] تشير الى أن اسم والد صولون هو [يوفوريون Euphorion] خلافاً لرأي جميع الآخرين الذين كتبوا عنه، فهم يتفقون بصورة عامة على أنه ابن [إكسيقستيدس Execestides] وهو رجل متوسط الثروة والنفوذ في المدينة، إلا أنه سليل أسرة من أعرق الأسر فهو منحدر من صلب [قدروس Codrus] وأمه كما يؤكد [هيراقليدس پونتيكوس] هي بنت عمّ أم [پستراتوس] وكانت الوالدتان صديقتين حميمتين في مبدأ الأمر، لأنهما قريبتان من جهة، وبسبب نبل سجايا [پسسراتوس] وجماله الرائع من جهة أخرى <sup>(٢)</sup>. ويقولون ان صولون أحبه أولاً. وأعتقد ان هذا هو السبب في عدم وصول عدواتهما، بعدما اختلفا حول الحكم - الى حدود العنف والحقد بالعكس فإن وداهما السالف ظل يقيم في قلبيهما. ليبقى ذكرى مودتهما العزيزة حية:

إن جمرات صاعقة زفس الملتهية ظلت متوهجة.

كما صورها يوربيدس. وفي قصائد صولون أيضاً نجد شواهد على أنه لم يكن قادراً على مقاومة الجمال، ولا تحدي الحب.

بمواجهته مثل ملاكم في الحلبة

(١) ديديموس الاسكندري من مدرسة ارسطوخوس، ومعاصر لاغسطس. وقال عن بعض الكتاب ان تعقيباته ولاسيما على خطباء الاغريق وشعرائهم بلغت أربعة الاف!  
(٢) كان پستراتوس رجلاً كريماً محبوباً في منتهى الرقة واللطف. وكان يلازمه ابدان أو ثلاثة يحملون حقائب مفعمه بالنقود الفضية فاذا ما وجد علائم مرض على شخص ما أو سمع بأن أحداً ما توفي فقيراً، بادر الى معالجة الأول على نفقته وتكفل بمصاريف تشييع الثاني ودفنه. واذا وجد مغموماً حزينا تحرى عن السبب فان كان الفقر، بادر الى ستر الخلة لكن لا بالشكل الذي يسلمهم الى الكسل والتواكل، وفتح ابواب بسايتيه ومزارعه للمواطنين يقطعون ويجنون من ثمارها ما شاؤا. كان وسيماً بهي الطلعة هاش الوجه باشأ، رفيق اللسان متواضع الجانب. ويمختصر القول كانت فضائله حقيقية خالصة لا متعملة. أو مقصودة أو مشويه باغراض الهيمنة والاستبداد بحكم أثينا، ولو لم يكن كذلك لعد أفضل مواطن في أثينا على حد قول (صولون) نفسه. مدحه [هيرودوتس] كثيراً لحسن ادارته واثنى عليه [شيشرون: في الخطب ٢:٢٤] وأشاد ببلاغته وفصاحته.

كما نتبين من أحد قولينيه الذي حظر على العبيد<sup>(٣)</sup> المشاركة في الألعاب الرياضية ودهن أجسامهم بالزيت. أو أن يعلّقوا بحبّ شاب. وبهذا جعل مثل هذه العلاقة وغيرها في مرتبة الشرف، وموضع الثناء. مقبولة من الوجهاء ومحرمة على الوضعاء.

وقيل أن [بسسِتراتوس] كان متيمماً بالمدعو [خارموس Charmus] وهو الشخص الذي أوقف له تمثال الحبّ في «الأكاديمي» بالقرب من الموضع الذي كان العداءون في سباق الشعلة المقدسة يشعلون منه مشاعلهم<sup>(٤)</sup>. وكتب [هرميپوس] يقول:

ضيّع والد صولون ثروته<sup>(٥)</sup> في التصدق والإحسان الى الآخرين وكان لديه اصدقاء كثيرون يرغبون في انقاذه من ضيقه إلا انه كان يخجل من أن يكون مديناً بفضل، لأنه منحدر من أسرة اعتادت عمل الخير فلاتقبله. ولذلك انصرف صولون الى التجارة في شبابه، وان كانت طائفة من الكتاب تؤكد لنا أن انصرافه الى الأسفار لم يكن للربح وحده، بل في طلب العلم والخبر. ومن المؤكد انه كان محبباً للمعرفة. اذ لما بلغ من العمر عتياً نراه يقول عن نفسه بصيغة الغائب:

« كل يوم أزداد عمراً، وأتعلم شيئاً جديداً».

وهو ليس من المولعين بالغنى، ولذلك يستوي عنده، الرجل...

«الذي تحتوي يده الفضة والذهب واحمال القمح ويملك الخيل والبغال، واقطاعات واسعة من الأراضي، مع ذلك الذي لايملك إلا خبز يومه والثياب التي تكسو ظهره والحذاء الذي ينتعله<sup>(٦)</sup> وزوجاً شابّة وولداً وامرأة شابّة وولداً وعدداً من السنين يقضونها معاً فكلاهما في عرفه.

(٣) أقريديس الباكاي ٨.

(٤) يقام سباق المشاعل ثلاث مرات في السنة ويتم في الباناثينيائي إكراماً لـ(منيرفا) و(پروميثيوس) كُمل في عيده. ويتم احيائها بالشكل التالي: ينير المتبارون مشاعلهم من مذبح (پروميثيوس) في السيراميكوس ويبدأون بالعدو بأسرع ما يمكن متجهين الى المدينة ومن يتتطفئ مشعلة اثناء ذلك، يخرج من الحلبة ومن يسبق الى الهدف يعلن فائزاً في المباراة [پاوسنياس ١: ٢٠٠].

(٥) يضع ارسطو (صولون) في مرتبة الفقراء من مواطني أثينا. ويتخذ من آثاره الدلائل على ذلك. في الواقع لم يكن صولون غنياً. ففي شبابه كان انصرافه الى الشعر يستغرق معظم اهتمامه. ويقول افلاطون في رسالته (تيميون) «لو أن صولون أكمل كل قصائده (لاسيما ملحمة في تاريخ جزيرة الاطلانتيد التي جلبها معه من مصر) ولو خصص وقتاً لتنقيح واصلاح تلك الملحمة كما فعل غيره. لظهر وهو أشهر وأشعر وأبعد صيتاً من هوميروس وهسيود وكل شعراء الأقدمين. وواضح من سيرة حياته وكتاباتاته انه يتخلق باسمى الفضائل وأطيب مزاج واحبّ الطباع».

(٦) هذه المقطوعة والتي هي من المنسوبات الى ثيوغنس.

وكتب أيضاً في مكان وفي موضع آخر: لا ضير في أن أكون غنياً، لكنني لأريد الغنى أن جاء بوسيلة غير لائقة. العدل حق وان كان بطيئاً<sup>(\*)</sup>.

من الممكن جداً أن يظهر الرجل الصالح أو السياسي بعض اهتمام بالحاجات الضرورية دون أن يُعتبر مهتماً بالصغائر والتوافه. وفي عصر [صولون] «لم يكن العمل مَعْرَةً لأحد» كما قال [هسيود]<sup>(\*\*)</sup> ولم تكن المحنة سبباً للتفرقة والامتياز، وكانت التجارة حرفة نبيلة فهي التي تأتي الى البلاد بالحاجات اللطيفة التي يستمتع بها البرابرة. وكانت واسطةً للتصرف بملوكهم ومصدرأ لاينضب معينه للتجارب والخبر. وقد بنى بعض التجار مدناً كبيرة امثال [پروتيس Protis] مؤسس مدينة [ماسيليا] التي تعلق بها الغاليون أشد التعلق، وهي قريبة من نهر «الرون». وهناك أخبار تفيد أن [طاليس]<sup>(٨)</sup> و[هيبوقراطيس] الحاسب كانا يزاولان التجارة. وافلاطون نفسه كان يسدّ نفقات رحلاته من بيع الزيت في مصر<sup>(٩)</sup>.

وعزيت رقة صولون واسرافه وأسلوبه الشعبي، لا الفلسفي، في تصويره اللذات والمسرات باشعاره الى حياة التجارة فقد ركب الآف الأخطار، وكان من الطبيعي أن تعوض ببعض المتع والمسرات. اما انه يعد نفسه أميل الى الفقر منه الى الغنى، فهو واضح من أبياته التالية:

كثيراً ما ينعم الاشرار بالغنى في حين يجوع الخيرون

مع هذا فإنني لن ابدل حالي بحالهم

وفضيلتي بذهبهم. لأن ما املكه يدوم

في حين يبدل الغنى مالكيه يومياً

الفضيلة شيء لا يستطيع ان سلبه أحد

في حين ترى الغنى يبدل اصحابه

(\*) المقطع ١٣.

(\*\*) الاعمال والأيام ٣١١.

(٧) ربما كان هذا الذي ذكره (جوستين) قائلاً انه واحد من أبرز المهاجرين الذين هربوا من (فوكسين) تخلصاً من سلطان الفرس وبنى مدينة مارسيليا والى الاسم عينه يعزو ارسطو تلك المستوطنة أيضاً. (اثيناغورس ٥:١٣).

(٨) العمل الذي عزي ثم طاليعي - اي التجارة هو على الغالب ما قصده ديوفينيس لابيرييتوس عند تدوينه سيره حياته (٢٦:١) فقد قال من أجل أن يبرهن على سهولة جمع المال والغنى. وبإدراكه ببعد نظره وبصيرته أن المحصول من الزيتون سيكون كثيراً، فاتباعه قبل نضوجه وبيع عظيمأ من الصفقة. (٩) بيع زيتون اليونان وبلاد اليهودية في مصر كان من الأمور وهو محصول أتياكا الوحيد. ولوفرته سمح صولون بتصديره.

ويبدو انه قرض الشعر، ولم يكن يرمي من ذلك بالأول الى هدف بل كان يعالجه للتسلية وتمضية الوقت ثم راح يضمن المبادئ الفلسفية في قصائده ويشيع فيها كثيراً من التعاليم السياسية. ولم يكن قصده تسجيلها ونشرها، بل لتبرير أعماله. كما كانت أحياناً تهدف الى استنهاض هم الآثنيين وحثهم أو تأنيبهم وتوبيخهم، وزعم بعضهم انه حاول صياغة قوانينه في قالب شعر حماسي قبل سنّها. وقد تحفونا بالمقدمة الشعرية:

ألا فلنتقدم بالصلاة الى زفس ابن كرونوس الملكي. ليمنح هذه الشرائع، شرائعي  
النجاح والشهرة(\*)

وفي مجال الفلسفة اهتم أساساً بالناحية السياسية من الاخلاق شأنه في ذلك شأن معظم الحكماء. اما في العلوم الطبيعية فهو يكشف عن قصور ومعلومات بسيطة عتيقة كما يبدو من هذه الأبيات:

الغمام هو الذي يدفع بالثلج والمطر  
والرعد لا يلبث أن يصدر من البرق الخاطف  
والبحر يصطخب موجه عند هبوب الريح  
لكنه لطيف سمح عندما يُترك وشأنه.

وعلى أغلب الاحتمالات أن طاليس في ذلك العهد، هو الذي ارتفع بالفلسفة من مجرد ممارسة، الى درجة الامتهان والاحتراف. وبقية الحكماء إنما سموا فلاسفة لتضلعهم في المسائل السياسية.

ولقد قيل أنهم عقدوا اجتماعين في دلفي ثم في كورنث. بمسعى من [پرياندر] الذي قام بتهينة الاجتماع مع مأدبة العشاء. إلا أن مكانتهم ارتفعت أساساً عندما أرسلت اليهم جميعاً الطلبة ذات القوائم الثلاثة، فراح أحدهم يدفع بها الى الآخر تواضعاً وإيثاراً، وأبى واحدهم تفضيل نفسه على صاحبه، بمنتهى الطيبة وحسن النية. والحكاية تروى على النحو الآتي:

كان بعض [الكوان Coan] يصطادون السمك بالشباك. فأشترى بعض الأجاناب [الميليسين] مقدماً كل ما تخرجه رمية الشبكة في البحر فألقى بها الصيادون فخرجت بهذه الطلبة الذهبية التي قيل أن [هيلين] القتها في هذا الموضع عن عودتها من [طروادة] لما

(\*) ما وصل من شعر صولون جمع في كتيب لـ Bergre باسم الشعر الغنائي الأغريقي Paetae Lyrid Gra-

تذكرت بنوة قديمة. وراح هؤلاء الغرباء ينازعون الصيادين على الطبلية. وسرى الخصام الى المدن حتى كاد يؤدي الى حرب. ثم فصل [ابوللو] في النزاع بأن حكم أن تُهدى اللقطة الى اوفر الناس حكمة. فأرسلت أولاً الى [طاليس] في مدينة [ميليطس]. وقد نزل له [الكوان] عنها بكل سخاء وهي التي كادت تؤدي بهم الى قتال [الميليسيين] جميعاً. إلا أن [طاليس] ابى قبولها قائلاً أن [بياس Bias] أوفر الناس حكمة، فأرسلت اليه ومنه ارسلت الى آخر وهكذا دارت عليهم كرة أخرى حتى طاليس، وبعد انتقالها من [ميليطس] الى [ثيبه] أوقفت على [ابوللوارسيمينين]<sup>(١٠)</sup>. ويكتب [ثيوفراستس] انها عرضت على [بياس] أولاً في مدينة [پريان Priene] ثم الى [طاليس] في [ميليطس] ودارت على الجميع لتعود من جديد الى [بياس]، ثم ارسلت الى دلفي. تلك هي تفاصيل الحكاية عموماً. خلا أن بعضهم يقول ان الهدية لم تكن طبلية ذهبية ذات قوائم ثلاثة، بل هي كأس بعث بها [كروسوس Cruesus]. وقال آخرون بل هي صفيحة تركها [بائيكلس Bathycles].

وروي أن كلاً من [اناخارسييس Anacharsis]<sup>(١١)</sup> [صولون]، وكلاً من [صولون و طاليس] كانوا عشراء واصدقاء. ونقل بعضهم اجزاء من احاديثهم وزعموا أن [اناخارسييس] قدم الى آثينا لرؤية صولون فطرق بابه وقال له انه غريب عن البلد قصده ضيفاً، يريد صداقته. فأجابه صولون اليس من الأفضل له ان يبحث عن الأصدقاء في موطنه؟ فأجاب [اناخارسييس]:

- اذن فأنشئ صداقة معي أنت الذي تقيم في موطنك!

فأعجب صولون بحضور بديهة الطارق وذكائه، ورحب به في بيته وابقاه معه ردحاً من الزمن. وكان في ذلك الحين قد انصرف الى الشؤون العامة وقطع شوطاً في تهيئة قوانينه. ولما

(١٠) مشتقة من اسم هيكل مكرس لذلك الآله ويقع على ضفاف نهر اسيمينوس الذي يجري بالقرب من ثيبه. اما عن حكماء الأغرقيق السبعة. فالجمع عليهم بصورة عامة هم باياس Bias السيريوني. وخيلون السبارطي Chilon، وكليوبولوس Cgeobulus اللندوسي، وپرياندر Periander الكورنثي، وبيتاكوس Pit-tacus الميثيليني، وصولون Solon الأثيني، وطاليس Thales المليطي.

(١١) عُرف الصيحيون قبل صولون بزمن بعيد بالزهد والعفة ومكارم الاخلاق والعدالة. واناخارسييس هو منهم، أمير من أمرائهم. نزح الى اثينا في حدود الأولياد السابع والاربعين (٥٩٠ ق.م) وأهله عقله الراجح وسعه مداركه وكثرة تجاربه الى ان يعده بعضهم من ضمن الحكماء السبعة. إلا أن أحكم الحكماء لاينجو من الشذوذ. ولهم كغيرهم من البشر هفواتهم وسقطاتهم. وقد كان الأمر مع [اناخارسييس] كذلك اذ حمل معه طقوس (كيبيله) الاغريقية خلافاً لشرائع بلاده وظل يمارسها بصورة سرية فاتفق ان واحداً من بني قومه أطلق على سر قوشى به الى أخيه الملك الذي أسرع اليه ليصرعه بسهم مسدّد الى قلبه (هيرودوتس ٧٦:٤).



علم [اناخارسيس] بما يفعل ضحك منه واستغرب محاولة تنظيم حياة بني قومه بقوانين مسطورة، وتوسله بها الى ازالة الطمع والغش وقال له ان الشرائع اشبه بنسيج العنكبوت لا يقع في خيوطها الا الفقير والضعيف، في حين يسهل على الغني والقوي قطعها فأجابه صولون قائلاً: «إن الناس يظنون خاضعين للقوانين مادامت لا تستفيد ايه جهة من خرقها، وانه بنى قوانينه لمواطنيه على هذه الفكرة والأسس ونظمها بحيث يدرك الجميع ان من الخير لهم ان يكونوا منصفين عدولاً متمسكين بالقانون لا ان يخرقوه. إلا ان الوقائع اثبتت أن [اناخارسيس] كان اصوب من صولون ونظرته أحق من آمال ذلك. ويؤثر عن [اناخارسيس] عندما كان عضواً في الجمعية العامة انه أظهر عجبته من أن الحكماء في اليونان يتكلمون فحسب، بينما الحمقى هم الذين يتخذون القرارات.

قالوا ان [صولون] رحل لرؤية [طاليس] في [ميليطس] وابدى عجبته من بقائه عازباً لم يتخذ زوجة ولم ينجب أولاداً فلم يجبه طاليس عن سبب عزوبته حالياً، لكنه أوصى بعد ايام أحد الغرباء بأن يقول انه غادر أثينا قبل عشرة ايام. فأخذ صولون يسأل عما وقع هناك من حوادث. فأجاب الرجل مطبقاً التعليمات التي أوصاه بها طاليس: «لا شيء يذكر، خلا تشييع جنازة شاب، شاركت فيه لمدينة كلها لأن الميت كان كما قالوا ابن رجل محترم، بل أكرم أهل المدينة خلقاً ولم يكن في المدينة عندما توفي ابنه فقد مضى عليه زمن طويل في الأسفار» فأجاب صولون: «بالشقاء هذا الرجل! ولكن ما اسمه؟» فقال الرجل: «لقد سمعته لكنني نسيتته الآن، وكل ما اذكر هو الكلام الكثير عن حكمته وعدله» وهكذا كان صولون يدفع الى الشك بكل سؤال وزادت مخاوفه، وأخيراً استبد به القلق، وذكر للغريب اسمه وسأله هل أن الشاب الميت يدعى ابن صولون؟ فأوماً بالايجاب طفق صولون يلطم رأسه ويأتي بحركات وأقوال تنم عن كربٍ عظيم<sup>(١٢)</sup>. وهنا أسرع اليه طاليس وأمسك بيده وقال له مبتسماً: «هذه الأشياء يا صولون هي التي ابعدتني عن الزواج وانجاب أولاد. فهي صعبة شديدة حتى بالنسبة الى شخصك، ولكن لاتقلق، فالنبا مختلف من أساسه». هذه الرواية نقلها [هرميبوس] عن [پاتيكوس Pataecus] الذي يتباهى بأن له روح [ايسوب Aesop]. ومهما يكن من أمر، فانه مما لا ينسجم مع العقل السوي، ولا مع الروح القويّة أن نتجافى

(١٢) الأمر سواء أكان في هذه المناسبة أو غيرها أي عند وفاة ابن له فقد كان جواب (صولون) انسانياً ومعقولاً للغاية عندما طلب منه أن يكفكف دمه لأن البكاء غير مجد فقال «ولهذا فانا أبكي!» اي لأنني لأرى فيه جدوى. وبهذا يقول الشاعر العربي اللسان اليوناني الأصل ابن الرومي مخاطباً عينيه عندما فجع بوفاة ابن له

فجودا فقد أورى نظيركما عندي.

بكاؤ كما يشفي وإن كان لا يجدي

السعادة خوفاً من فقدانها. اذ ينبغي على هذا الأساس ألا نسمح لأنفسنا بالرغبة في الغنى والمجد والحكمة مادام يلاحقنا الخوف من فقدانها كلها. لا بل الفضيلة نفسها، وهي أعظم ما يرغب المرء في امتلاكه فكثيراً ما تتأثر بالمرض وتناول العقار. حتى [طاليس] نفسه وهو غير متزوج لا يسعه التحرر من القلق إلا إذا بطل اهتمامه باصدقائه وأقربائه وولاده في حين قيل أنه تبنى ابن أخته [كيبستوس Cybisthus] لأن النفس يلزمها عنصر العطف، ولأنها ما خلقت الا لتحب، ولتدرك وتفكر أو لتتذكر، فلا سبيل لها إلا أن تميل الى شخص غريب وتركز اهتمامها به عندما لا تجد من تحنو عليه من صلبها. والاشخاص الغرباء وغير الشرعيين ينالون الخطوة عندها فتتعلق بهم كمن يتعلق بمال لا وريث له. والحب يأتي بالقلق والاهتمام وقد ترى أناساً لا يكفون عن التنديد بفراش الزوجية وبثمرته، فاذا مرض ابن إحدى خادماتهم أو محظياتهم أو مات. رأيتهم وكأن الحزن يكاد يقضي عليهم، فيبكون وينتحبون بحرقه. وترى بعضهم يظهرون ذلك الحزن المُخجل العميق على فقد كلب أو حصان. وآخرين يتحملون موت ابنائهم الصالحين الشرعيين دون أن يبالغوا في إظهار ما ليليق من الحزن، هؤلاء أمضوا حياتهم رجالاً بكل معنى الكلمة، وعاشوها على مبادئ العقل ضدّ صروف القدر، الى مثل هذه الآلام والأحزان التي لا تنتهي. وهم في واقع الحال لا يملكون فرصة الاستمتاع الآتي بما هو موضوع حبه، لأن احتمال خسارتهم المقبلة له تظلّ ابداً تسبب لهم قلقاً ورعباً وآلاماً مستمرة. وينبغي لنا ألا نتحصن بالفقر ضد الغنى أو ضدّ الاصدقاء باجتناّب كل المعارف أو ضدّ بنين بعدم انجابههم، بل يجب أن نتسلح بالعقل والأخلاق. وفي هذا الكفاية من القول.

بعد أن أتعبت الأثينيين حربهم العسيرة التي أعلنوها على الميغاريين بسبب جزيرة [سلاميس] وبلغت بهم حدّ الضنى والانهاك. أصدروا قانوناً يعاقب بالموت كُلّ من يدعو بالقول والكتابة بلزوم استعادة الجزيرة أو بذل الجهود في سبيل ذلك. فأحنق ذلك صولون، وأدرك أن آلاماً من الشبان يريدون شخصاً يكون هو البادئ، ولكنه لم يجرأ على أن يكون أول المحرضين خوفاً من حكم القانون. فتصنع الجنون ودفع اسرته الى أن تذيع في المدينة بأن عقله قد أختل. ثم نظم في السرّ قصيدة وحفظها عن ظهر قلب حتى تبدو وكأنها من وحي البديهة، ثم هرع الى ساحة السوق وعلى رأسه قبعة<sup>(١٣)</sup> وتجمع الناس حوله وتبعوه حتى أعتلى منصّة المنادي وبدأ ينشد مرثيته بهذه الافتتاحية:

انا هو المنادي الذي جاء من سلاميس الجميلة.

(١٣) جرت عادة الأثينيين بالآ يغطوا رؤوسهم إلا عندما يلّم بهم مرض.

وأشعاري التي انشدها الآن هي بدلاً من الخطبة<sup>(١٤)</sup>

ويطلق على القصيدة اسم «سلاميس». وتتألف من مائة مصراع وهي رائعة الأسلوب. وقد أثنى عليها اصدقائه. ولاسيما [بستراتوس] الذي حث الناس على العمل بالوصايا التي نضمتها. وبلغ الأمر أن ألغى القانون واستونفت الحرب تحت قيادة صولون. على إن الرواية الشائعة، تروى على الصورة الآتية: ابحر صولون مع [بستراتوس] الى كولياس Colias فوجد النساء هناك يضحين الى [سيرس] جرياً على عادة أهل البلاد فأرسل الى سلاميس صديقاً يثق به، ليظهر بمظهر الخائن أمامهم ويقدم اليهم معلومات كاذبة وينصحهم أن يرافقه حالاً الى [كولياس] اذا ارادوا الفوز ببعض النسوة الاثينيات فأسرع الميغاريون بأرسال رجال معه في سفينة وشاهدها صولون تقلع من الجزيرة فأمر النسوة أن ينصرفن ودفع بعدد من الشباب المرء اللابسين ثياب النساء ونعالهن وأغطية رؤوسهن، وقد تسلحوا بالخنجر. الى الرقص واللعب بالقرب من الساحل حتى ينزل العدو من السفينة ويغدو تحت رحمتهم، وأنظلت الخدعة على الميغاريين وغرهم مظهر الشبان المرء فتقدموا من الساحل ونزلوا والرغبة تراود كل واحد في أن يكون أول الفائزين بالغنيمة فلم ينج منهم أحدٌ وأعتلى الاثينيون ظهر السفينة وتوجهوا الى الجزيرة وأحتلوها.

ويقول آخرون انهم لم يحتلوها على هذه الشاكلة. بل أن صولون استنزل أولاً هذه النبوءة من دلفي:

أولئك الأبطال الذين يشوون في [اسوپيا Asopia] الجميلة كلهم دفنوا وواجههم متجهة نحو الشمس الغاربة الآ فأذهب وأدخل السكينة اليهم بأفضل القرايين.

ثم أبحر نحو الجزيرة ليلاً، وضحى للبطلين [بيريفيموس Periphemus وكيخوريوس Cych-reus]<sup>(١٥)</sup>، ثم أخذ معه خمسمائه متطوع من الاثينيين (كان قد صدر قانون جديد يمنح أولئك الذين يستولون على الجزيرة ارفع المناصب في الحكومة وأخذ أيضاً عدداً من زوارق الصيد وسفينة واحدة ذات ثلاثين مجدافاً وأرسى في خليج سلاميس الذي يشرف على [نيسيا Ni-

(١٤) لم يصلنا منها غير ستة أبيات. أنظر المقطوعة ١-٣ في برك Bergk وانها تنطوي على لوم وتائب للاثينيين بسبب تخليهم عن (سلاميس) كما تتضمن تحريضاً واستنهاضاً للقتال في سبيلها.  
(١٥) هو ملك سلاميس. ولديه هيكل كُرس له في تلك الجزيرة. يخبرنا پاونسياس (١: ٣٦) ان حياً ضخمة شوهدت في احدى السفن الاثينية اثناء المعركة البحرية بين الفرس والاثينيين. ولم تكن في الواقع غير البطل [كيخوريوس] كما أبلغهم ابوللو.

[saea]. ولم يسمع الميغاريون الذين كانوا ساعتئذ في الجزيرة غير أخبار غامضة، ففزعوا الى السلاح وأرسلوا سفينة لاستطلاع حركات العدو. فأسرها صولون وقبض على من فيها وملأها بالآثينيين وأصدر أمره بإبحارهم الى الجزيرة بأقصى ما يمكن من السرية والكتمان وفي الوقت زحف برأ على الميغاريين ببقية الجنود وأشتبك معهم في القتال، في حين استولى جنود السفينة على المدينة، وتؤيد هذه الرواية المراسيم الدينية التي اتبعت فيما بعد وهي: أن تبحر سفينة آثينية بكل هذوء أولاً الى الجزيرة ثم يعدو - وهو يهتف - نحو مرتفع [سكيراديوم - Sciradi-um] ليلتقي بأولئك الذين يزحفون عليه برأ. وهناك يقوم معبد للإله آرس Ares<sup>(١٥)</sup>، بناه صولون لانتصاره على الميغاريين ومن لم يقتل منهم في المعركة لم يفكهم إلا بشروط.

إلا أن الميغاريين ظلوا يقاتلون، ومُنِي الجانبان بخسائر جسيمة حتى لجأوا الى المفاوضات وأختاروا السبارطيين محكمين في النزاع. ويؤكد كثيرون أن ثبت هوميروس أظهر مزيداً من العطف على قضية صولون فحشر سطرأ في قائمة سفنه - اثناء ما كانت القضية امام المحكمين، فصارت الفقرة تقرأ على الوجه الآتي: «اثننا عشر سفينة جاء بها [اياكس] الشجاع من سلاميس».

ويقال انه اضاف: «وصف قواته في المواقع التي يقاتل بها الآثينيون. على أنه الآثينيون<sup>(١٦)</sup> يصفون هذه الحكاية بالثرثرة والهراء، ويذكرون ان صولون جعل الأمر يبدو للمحكمين، وكان [فيلبوس Philaeus وافر يساكيس Evrysaces] ولدي أياكس قدماً الجزيرة الى آثينا هدية لأنهما منحا حقوق المواطنة الآثينية. وان أحدهما كان يعيش في براورون Brauron آتيكا والثاني في [ملاطيه Malite] وانهما كانا يملكان في مدينة [فيلبيادي Philidae]، واسمها مشتق من [فيلبوس]، وهي مسقط رأس [بستراتوس].

ومن حجج صولون التي استخدمها ضد الميغاريين، كيفية دفن جثث الموتى، فقال أنها كانت تدفن حسب عادات الآثينيين لا بحسب عادة الميغاريين. فالذي جرى العمل به عند هؤلاء أنهم يحولون وجوه موتاهم الى الشرق، أما الآثينيون فيوجهونها نحو الغرب<sup>(١٧)</sup>. إلا ان

(١٥) اي ايناليوس Enyalius.

(١٦) الايلاذة [٢٠: ٥٥٧] قد لا يصح هذا البيت دليلاً. فهناك كثير من القصاصد عند [هوميروس] تثبت ان سفن [اياكس] كانت قد أتخذت مواقعها بالقرب من التسالين (٨: ٦٨١) و(كذلك سترابو ١٠). وفيلبوس الذي ذكر في المتن بعد هذا انما هو حفيد (اياكس) بحسب رواية پاوسانياس [١: ٣٥].

(١٧) أنكر ديوغينيس ليثرتيوس ذلك انكاراً باتاً. إلا انه مخطئ على الأغلب لأن ايليان في [تاريخه ٧: ١٩] يتفق مع پلوتارخ حول طريقة الدفن عند الآثينيين. وأماً بخصوص طريقة الميغاريين فهو يختلف معه إذ يقول انهم لا يتقيدون بشكل معين في دفنهم موتاهم ويتركون ذلك للصدف.

[هيريلاس] الميغاري ينكر الحجة مؤكداً أن بني قومه يديرون وجوه موتاهم الى الغرب أيضاً. كذلك تعلق صولون بان الاثينيين لا يدفنون إلا ميتاً واحداً في القبر<sup>(١٨)</sup>. ولكن الميغاريين يدفنون اثنين أو ثلاثة في قبر واحد. ومهما يكن من أمر فإن بعض نبؤات [ابوللو] التي ورد فيها ذكر الجزيرة باسم [سلاميس ايونيا]<sup>(١٩)</sup> عززت من ادعاء صولون كثيراً. فحكم له القضاة السبارطيون الخمسة هم [كريتولايداس Critolaidas، وأمومفاريوس Amomphare-tus وهيبسيخيداس Hypsechidas واناكسيلاس Anaxilas وكليوفيسيس Cleomenes].

وعظم شأن صولون وقوى مركزه بهذا. إلا أن ما بلغ به أعظم مواطن الشهرة والتقدير عند الأغريق هو نصحه بالدفاع عن نبؤة دلفي والوقوف الى جانبها وببذل العون وان لا يدعوا الكيريين Cirrhaeans<sup>(٢٠)</sup> يمتهنونها بل بوجوب المحافظة على شرف الآلهة، فبناءً على محاولاته أعلن الامفكيتيون الحرب. ومن بين من يؤكد ذلك أرسطر عند ايراده ثبنا باسماء الفائزين في الالعاب البيثية. فهو يجعل صولون صاحب تلك المشورة. على أن صولون لم يكن قائد تلك الحملة كما يقول [هرميبوس]، نقلاً عن [ايانثس Evanthes] الساموسي Sami-an. وهذا ما ينفيه ايسخينس Aeschines الخطيب<sup>(٢١)</sup>. فقد ورد في سجّل دلفي [الكمون] لا صولون كان قائد الاثينيين... وكان فساد البكيلونيين قد استفحل في الجمهورية ونشر فيها الاضطراب اكنافه منذ عهد بعيد يرجع الى حكم [ميغاكلس] الأرخون عندما اقنع المتأمرين مع [كيلون Cylon]<sup>(٢٢)</sup> الذين لجأوا الى معبد [مينرثا] بالخروج منه ووعدهم بمحاكمة عادلة

(١٨) ويرجع بعض الشراح أن يكون سبب ذلك سعة البلاد وعدد سكان كلا البلدين.

(١٩) أيونيا القديمة تشمل أتيكا فقط.

(٢٠) هم سكان (كيرا) وهي بلدة تقع على خليج كورنث أجتاحت بغزواتها المتكررة اراضي (دلفي) المجاورة، وحاصرت قواتها المدينة نفسها يحدوها الطمع في الاستيلاء على نفائس معبد (ابوللو). واستجد بالإمفكتيون وهم قادة دول الإغريق، فكان من رأي (صولون) أن يصدر استنكار عام للعمل ثم أرسل (كلسيتيوس) طاغية (سيكيون) قائده العام لحرب قوات (كيرا) ونُصب (إلكيميون) قائداً للقوات الاثينية والتحق صولون بوصفه مساعداً أو مشاوراً لـ(كلسيتيوس) والقي الجيش الاغريقي الحصار على [كيرا] ربحاً من الزمن دون ان يصيب نجاحاً. فاستُخبر (ابوللو) وكان الجواب انهم ان يفلحوا في الاستيلاء عليها الى ان تلتطم امواج البحر الكيرّي بساحل بحر دلفي. هذه النبؤة أخذت الجيش على حين غرة، إلا ان صولون أسرع بالتفسير والحل، بان نصح (كلسيتيوس) ان يوقف كل اراضي (كيرا) على معبد (ابوللو) دلفي وبهذا تصبح دلفية وبالطبع سيلتطم الموج آنذاك بأراضي دلفي. ولما أصبحت من موقوفات دلفي تم الاستيلاء عليها وبنوه (پاوسنياس ١٠: ٣٧) بخطة أخرى اقترحتها صولون، تتم عن رجاحة عقله وعمق تفكيره، وهي تحويل مجرى نهر (پليستوس) الذي تعتمد (كيرا) على مائه.

(٢١) في خطبته «ضد قطيسيفون».

(٢٢) ظل الحزب المناويء للديمقراطية قائماً بعد مرور زمن طويل على ارساء قواعدها ولم يترك اصحابه وسيلة إلا جربوها لاعادة نظام الحكم القديم. وكان (كيلون) انساناً جليل القدر رفيع المقام وصهراً =

فشدوا خيطاً بالصورة المقدسة وامسكوا باحدى نهايتيه وغادروا ملجأهم لحضور المحكمة<sup>(٢٣)</sup>. ولكن الخيط انقطع من تلقاء نفسه عند وصولهم معبد [فوريس Furies] وكانت الربة قد رفضت بسط حمايتها عليهم، وعندئذ قبض عليهم ميغالس والقضاة. ومن حيل بينه وبين المعبد منهم رجم بالحجارة، ومن هرب عائداً الى الملجأ ذبح على درج الهيكل. ولم ينج إلا أولئك الذين توسلوا بزوجات القضاة. لكنهم بقوا نجسين، ينظر الناس اليهم نظرة الكراهية والاشمئزاز، وأستعادت بقية حزب [كيلون] قوتها، وأستمر شجارها مع أسرة [ميغالس]. وفي أيام صولون بلغت الشحنة أوجهاً وانقسم الجمهور الى حزبين، ولما كان صولون مرجعاً عاماً، فقد تدخل في الأمر بمعونة رؤوسا آثينا. وتمكن بالطف والتأنيب من إقناع النجسين بالمثل امام محكمة مؤلفة من ثلاثمائة مواطن نبيلٍ والخضوع الى القرار الذي يصدرونه وترافع ضدهم [ميرون Myron] و[فليا Phlya]. وأدينوا بنتيجة القرار، ومن كان منهم حياً نفي، ثم نبشت قبور الموتى منهم وأخرجت جثثهم والقيت خارج حدود البلاد. وفي اثناء هذه الاضطرابات والخيال انتهز الميغاريون فرصتهم فأنقضوا على الاثينيين وأنتزعوا منهم [نيسيا وسلاميس]<sup>(٢٤)</sup> ثانية. زد على هذا ان المدينة غشيتها الأوهام، والخوف، وشتى الظواهر الغريبة. وأفتى الكهنة أن القرايين قد مَسَّها بعض الدنس والنجاسة، وينبغي أن تظهر. فبعثوا يستقدمون [ايبيمينيدس Epimenedes]<sup>(٢٥)</sup> الفايستي Phaeist من كريت. وكان هذا يعدُّ

---

= ل(ثياغينس) طاغية ميغارا، وهو ممن ينفر من تغيير الحكام الفجائي. ويكره فكرة الركض وراء المنصب بوصفه فضلاً من الآخرين يطوق به عنق الفائز به، لاسيما وان حقه فيه واضح من جهة والدته. لذلك رتب خطة للاستيلاء على القلعة اثناء انعقاد الاولبياد الخامس والأربعين. عندما يكون عدد كبير من الأهالي منشغلين بمشاهدة الألعاب. وقد تم تنفيذ ذلك وأستولى (كيلون) على القلعة. إلا أن (ميغالس) رأس الأراخنة آنذاك اتفق مع الحكام الآخرين وكل قوات آثينا وضربوا الحصار على القلعة وضيّقوا على أصحاب المؤامرة الخناق حتى اضطر [كيلون وأخوه الى الفرار، تاركين بقية اصحابهم يتدبرون أمرهم بأنفسهم. يقول پلوتارخ: «من نجا من السيف، لجأ الى هيكل منيرثا. لكن الحكام لاحقوهم وفتكوا بهم هناك وبذلك اسخطوا الاثينيين الذين أستنكروا عملهم بقتلهم في حرم الهيكل وهي جريمة عظيمة. هذه الحادثة يوردها مفصلة (١:٢٦٦).

(٢٣) في حدود العام ٦٣٦ ق.م أنظر المرجعين سالفى الذكر.

(٢٤) مدينة كانت تقع على خليج كورنث.

(٢٥) يخبرنا [ديوغينيس لايرتيوس] أنه بينما كانت تجرى عملية تطهير المنازل والحقول والاشخاص. جاء (ايبمنندس) بعدد من الغنم السود ومثله من الغنم البيض وأطلق الجميع في [الارويباغوس] وأمر الناس أن يتابعوها فرادى ويعينوا المواضع التي تضطجع فوقها ليقوموا بتضحيتها فيها. وعندها تقام مذابح ومنصات تخليداً لذكرى هذا التطهير الديني يقول (ديوغينيس) ان هذه المذابح التي لا تكنى باي اسم ظلت شاخصة حتى ايامه. وكان التعويض الوحيد الذي طلبه (ايبمنندس) من الاثينيين على عمله هذا، هو ان يعقدوا حلفاً مع بلاده (كريت). واما الاسطورة التي تقول انه رقد ٥٧ أو ٥٠ عاماً وظل على قيد الحياة. وحياته المحفوفة بالاسرار وعمره المديد، فكل هذا معروف وقد ذكره المؤرخون.

سابع الحكماء عند اولئك الذين لا يدخلون [بيرياندر] في عدادهم<sup>(٢٦)</sup>. ويبدو أنه كان يعتبر مفضلاً عند الأرباب، وعلى معرفة بكلّ الأسرار الدينية وما هو فوق الطبيعة منها ولذلك أطلق عليه رجال عصره [كيوريس]<sup>(٢٧)</sup> الثاني. وابن الحورية المسماة [بالطه Balte]. ولما قدم الى أثينا وتوثقت علاقته بصولون، قدم اليه معونات في مناسبات مختلفة. وعبد السبيل لتسريعاته وعدل من أشكال العبادات وقلل من صرامتها. وخفف من القواعد الخاصة بالحداد فأدخل بعض القرابين لتقدم حالاً بعد التشجيع، وأطرح تلك المراسيم القاسية البربرية التي تتعاطاها النساء عادة<sup>(٢٨)</sup>. إلا أن أعظم مآثرة له هو تطهير وتنقية المدينة، بفضل قرابين تهدئة، وتطهير معينة. واقامة بنايات مقدسة. وبهذه الوساطة جعلهم أطوع الى العدالة وأكثر ميلاً الى التآلف. وذكروا أنه نظر الى مونيخيا Munychia<sup>(٢٩)</sup>، واطال التأمل ثم قال لمن حوله «ما أشدّ عى الانسان في أمور المستقبل! فلو تكهن الآثينيون أي فتنة وبلوى ستلحق هذه بمدينتهم لأكلوها أكلاً بأسنانهم ليتخلصوا منها<sup>(٣٠)</sup>، ثم نبوءة أخرى تعزى الى [طاليس] يقولون أنه أوصى اصداقاه بأن يدفنوه في موضع حامل الذكر قذر من اراضي [ميلطس] قائلاً أن البقعة ستكون يوماً مركز لقاء الميلطيين الرئيس. وأكرم ابيمينيدس أجل اكرام وعرض عليه أهل المدينة هدايا عظيمة وأغدقت عليه الامتيازات والنعم، إلا أنه اكتفى بطلب غصن واحد من الزيتون المقدس، فأعطي ما اراد وعاد الى بلاده.

بعد أن قُضي على الفتنة الكيلونية ونفي المُدنسُون منهم، عاد الآثينيون الى شحنائهم الأولى ونزاعهم على الحكم، وكان يوجد احزاب وشيع مختلفة، بقدر ما كان يوجد اختلاف رأي في البلاد. كان حيّ التلال يحبذ الديمقراطية، وحيّ السهل يفضل الأوليغارشية، أما اولئك الذين يعيشون على الساحل فيريدون مزيجاً من النظامين، وبهذا حيل دون استظهار حزب على آخر<sup>(٣١)</sup> وكانت الفروق في الاحوال بين الاغنياء والفقراء في ذلك الحين قد بلغت اقصى الحدود حتى بدت المدينة في حالة خطيرة جداً، وليس هناك من وسيلة لانقاذها من

(٢٦) انظر ارسطو [دستور أثينا: ١].

(٢٧) من يدعى كيوريوتس Curetes، انما هم الكهنة الكريتيون الذين يقومون على خدمة [زفس الإيدي] واسمهم مشتق من اسم انصاف الآلهة الذين قامت الربة (ريا) بايداع (زفس) الطفل لديه.

(٢٨) كالضرب على الصدور، وجرّ الشعور، ولطم الوجوه الخ...

(٢٩) ان اكروپوليس [بيريوس] يشرف ستراتيجياً لا على شبه الجزيرة وحدها بل على اثينا نفسها كذلك. وكثيراً ما وضع فيه فاتحو اثينا جنوداً.

(٣٠) تحققت هذه النبوءة (على ما يقولون) بعد ٢٧٠ سنة عندما ارغم [انتيباطر] الآثينيين على القبول بحامية في ذلك الموضع. انظر سيرة [ديموستينس]. وأفلاطون يعزو اليه نبوءات أخرى.

(٣١) انظر ارسطو [دستور أثينا ٤:٨].

الاضطرابات والوصول بها الى حالة من الاستقرار إلا سلطة دكتاتورية مطلقة. وكان الجمهور كله مثقلاً بالديون للاغنياء وكان عليهم أن يختاروا إما زراعة اراضيهم لدائنيهم وأعطاؤهم سُدس المحصول فيسمون اذ ذاك: ثيتيس Thetes أو هكتوموري Hectemprii] وإما يسلموا اجسامهم لقاء الدين وقد يحجزون أو يرسلون الى العبودية في الوطن، أو يباعون للأجانب واضطر بعضهم الى بيع أولاده، (لأن القانون لا يمنع ذلك)، أو الهروب من البلاد خلاصاً من قسوة الدائنين. إلا أن معظمهم وهم اثبتهم جناناً بدأوا يتكتلون، ويبت أحدهم في الآخر روح الاقدام للوقوف في وجه هذا الظلم. واختيار قائد للقيام بتحرير الدائنين الذين صدرت الاحكام بحقهم وتوزيع الأراضي وقلب الحكومة.

وهنا ادرك أعقل الآثينيين أن صولون هو الشخص الوحيد من بين الجميع ممن ليس له علاقة بالمشكلة أو هو طرف فيها. وأنه لم يشارك في استغلال الاغنياء، ولم يعان بؤس الفقراء. والحوكاً عليه أن يمد يداً الى الحكومة، ويفضّ النزاع. وان كان [فانياس Phantias] ولسبيان [Lesbian] يؤكدان ان صولون احتال بحيلة على الفريقين لكي ينقذ بلاده. فوعد الفقراء سراً بتقسيم الأراضي، ووعد الاغنياء بضمان ديونهم، على أن صولون بالذات يقول عن نفسه أنه تردد في مبدأ الأمر في المساهمة في شؤون الدولة. لخوفه من مكابرة هذا الحزب، ومن طمع ذاك، ومع ذلك فقد انتخب (ارخوناً) بعد [فيلومبروتوس] ومنح سلطة سنّ القوانين والتحكيم ورضي به الاغنياء، لأنه غني، ووافق عليه الفقراء لأنه نزيه. وقد أشيع عنه قبل انتخابه قوله «انه لن تقوم حربٌ لما تكون الأمور متوازنة.» وهذا ما أرضى جشع حزبي الاغنياء وخاصة حزب الفقراء<sup>(٣٢)</sup>. أولهما قسّر التوازن: ان ينال كل امرء نصيبه المناسب. وثانيهما فسره: ان تعم المساواة التامة للجميع. ولذلك ارتفعت آمال الجانبين. وألح رؤوساء القوم على صولون ليقبض على ناصية الحكم ففعل<sup>(٣٣)</sup> وليعالج الأمور على هواه وبكل حرية حين أستتب الأمر له. وكان الكثير من العامة يرغبون أن يحكمهم رجل عادل حكيم، يصرف أمورهم بحكمته، لعلمهم أن التغيير الذي يفرضه القانون والعقل فقط، هو تغيير صعبٌ عسير المنال. ويقول بعضهم أن صولون تلقى هذه النبوءة من ابوللو: «خذ المقعد الوسط، وكن مرشد السفينة فكثير من أهل أثينا هم الى جانبك». ولكن أصدقاءه المقربين عابوا عليه بالدرجة الأولى أباه الحكم بنظام الملكية المطلقة بسبب الاسم المقترن بها فحسب<sup>(٣٤)</sup>. كأن فضائل الحاكم

(٣٢) المرجع نفسه [٣:٤].

(٣٣) في العام ٥٩٤ ق.م.

(٣٤) يجب علينا الاستدراك للقول انه كلمتي «طاغية» و«طغيان» اللتين تردان أحياناً في النص لا تعني دائماً عند الاقدمين الحكم البغيض المتميز بالقسوة والعنف والاستغلال والفساد. فكثيراً ما كان الطفافة =



لاستطيع أن تجعل منه شكلاً شرعياً من أشكال الحكم. لقد اقدمت [يوبيا Euboea] على هذه التجربة لما أختارت [تينونداس Tynnondas] وكذلك دويلة [ميتلين Mitylene] التي أمرت عليها [بيتاكوس Pittacus] (٣٥) إلا أن هذا كله لم يثن صولون عن عزمه. ولكنه على ما قيل - أجاب أصدقاءه: «صحيح أن الحكم المطلق بقعة جميلة، ولكن لا يوجد فيها مكان للنزول، وكتب على نسخة من اشعار [فوكوس Phocus] ما يلي:

«فلأني أنقذت أرضي. وكففت يدي عن الظلم والقسوة. وابتيت أن اشوه اسمي الصالح بلطخة أو بعار - لن آسف قط، وأعتقد أن ذلك سيكون رأس شهرتي»  
ومنها يتضح أنه كان رجلاً عظيماً الشهرة قبل أن يستن شرائعه (٣٦). وقد سجل صنوف السخرية التي صب عليه لرفضه الحكم والسلطة في هذه الأبيات:

«لا شك ان صولون من الخالمين والسذج فعندما تحبوه الآلهة بالنعم، تراه يرفضها بمحض اختياره. عندما تكون الشبكة مملأى بالسّمك ويراها مفرطة في الثقل، يأبى أن يرفعها، جُبناً منه، وقلة عقل. لو اني اهتبلت تلك الفرصة في الغنى والحكم وكنت طاغية لآتينا يوماً واحداً لأعطيته جلدي للسّخ، وتركت بيتي يضمحل ويموت (٣٧).

وهكذا يجعل الفقراء والدهماء يلهجون بذكره. ومع انه رفض قبول الحكم، إلا انه لم يكن لين الجانب كثيراً في شؤونه، فلم يظهر امام السلطات ذليلاً طائعاً ولم يستن شرائعه لإرضاء أولئك الذين انتخبوه. فما كان جيداً من القوانين لم يدخل اليه تعديلاً أو يغير فيه لثلاً...

«تخرّ الحكومة على ركبيتها وتتقوض تماماً»

لقد كان أضعف من أن يعمد الى صياغة نموذج حكم جديد أو يعيد تشكيله بهيئة يغلب

---

= يمارسون سلطانهم بشكل قانوني عادل. إلا ان بغضه والقيام ضده كان مصدره بصورة عامة المبدء الذي أختطه هذا الحكم لنفسه أعني السلطان المطلق الذي قد يخشى دائماً تطرف من يمارسه والوصول به الى أقصى درجة من التحكم والبربرية، والى تبرير اي استغلال أو اغتصاب.  
(٣٥) هو واحد من الحكماء السبعة قبض على زمام السلطة في (ميتلين) فراح [الكويوس] الذي ما كان مواطناً ومعاصراً له ومدافعاً عن الحريات - يهجو وينتقده ويخفف من شأنه، كما فعل بالطفاة الآخرين. فتغاضى [بيتاكوس] عنه ولم يكثرث به. واقدم على قمع تمرد الأهالي بالقوة ونشر السلام والعدل والانسجام بين المواطنين ثم تنازل عن السلطة بمحض اختياره واعاد الحرية الى بلاده. إلا انه أرغم في آخر عمره على تولي السلطة مجدداً باجماع ملح من المواطنين. فنطق بحكمته الشهيرة «الفضيلة لا تخلو من عوائق» وبعد أن حقق ما جيء به لتحقيقه أعتزل الحكم ليعود فرداً عادياً.

(٣٦) المقطوعة ٣٢.

(٣٧) المقطوعة ٣٣.

عليها الاعتدال. ولكنه طبق ما خيل له انه ممكن التطبيق عن طريق إقناع المستعدين للاقناع، وباستخدام القوة للمعاندين كما قال هو نفسه: «القوة والعدل، يعملان معاً».

ولذلك، فعندما سئل فيما بعد: هل ترك للأثينيين خير قوانين يمكن لأحد أن يعطيها؟ اجاب «تركت خير ما يستطيعون أخذه» وهذا أسلوب في الجواب يقول عنه المحدثون أن الأثينيين يلجأون اليه للتحقيق من سوء شيء. بأعطائه وصفاً جميلاً بريئاً لا يחדش الأسماع. فهم يسمون الطاهرات حظايا. والجزية: مكساً، والحامية حرساً، والسجن غرفة. ويبدو أن هذا من مبتدعات صولون. أساساً. فقد أطلق يقضي قانوناً بالغاء الديون مصطلح [سيساكتشيا Siesacthea]. أي الإغاثة أو تخفيف الإعباء. فأول قاعدة وضعها هي الاعفاء الشامل عن كل ما تخلف من الديون، ولا يحق في المستقبل لأي شخص أن يسخر لنفسه عملاً جسم مدينه ضماناً لدينه. على أن بعضهم ومنهم [أندروسيون Androtion] يؤكد انه لم يُلغ ما تخلف من الديون وإنما حفضت الفائدة فحسب وهو ما كان موضع رضى الناس فسموا هذه المنفعة [سيساكتشيا] كما شملوا بالتسمية، توسيع الكايبيل ورفع قيمة النقد والقوة الشرائية<sup>(٣٨)</sup>. فقد حدد قيمة [الپاون] مجدداً بمائة درهم [دراخمه] في حين كان قبلاً ثلاثة وسبعين درهماً، وهكذا فمع كون عدد القطع النقدية المدفوعة عن الدين كانت سواءً، إلا أنها أقل قيمةً. وهذا ما عاد بالفائدة الكبيرة على أولئك الذين يدفعون ديوناً كبيرة. وفي الوقت نفسه لا يخسر الدائنون شيئاً من ديونهم.

على أن معظم الكتاب يتفقون على أن الغاء الديون هو المقصود [بسيساكتشيا] أي ابراء الذمة. ويؤكد هذا في بعض مواضع من قصيدته التي يعزو فيها هذه المأثرة لنفسه: «لقد رفعت عن الأرض المرتهنة حجارة الرهن - وما كان منها مستعبداً أصبح حراً.»<sup>(٤٠ أ)</sup>

ففيها يعزو لنفسه بانه رفع شارات الحجز عن الأراضي<sup>(٣٩)</sup> التي كانت العين تشاهدها من قبل في كل مكان وحرر الحقول التي كانت قبل ذلك محجوزة. وحرر أولئك الذين حبسهم دائنهم. وأعادهم الى البلاد بعد أن ظلوا متشردين في الخارج كما اخبرنا عنهم: قضت الأقدار عليهم بالنأي والتشرد زمناً طويلاً فنسوا لغة موطنهم (لغة اتيكا).

وحرر بعض أولئك الذين «رسفوا هنا في أغلال العبودية المخزية في بلادهم»<sup>(٤٠ ب)</sup>.

(٣٨) انظر ارسطو [دستور أثينا ١٠ و ٥٠].

(٣٩) من عادة الأثينيين وضع بطاقة على المنازل أو الأراضي اشارة الى انها خاصة أو محجوزة.

(٤٠ أ) المقطوعة ٢٦ الابيات الرابع وما بعده بعد ارجاعها من صيغة المتكلم الى صيغة الغائب. البيت ٦ من

اقتباس ارسطو.

(٤٠ ب) المقطوعة ٢٦ (الابيات ٩-١٢ من برگد.) (الابيات ١١-١٤ من ارسطو).

وفيما هو يرسم هذه الخطط حصل أمرٌ مخجلٌ جداً، إذ لما قرّر الغاء الديون، وأخذ يفكر بأفضل الطرق للبدء بالتنفيذ وأسّر لأقرب اصدقائه اليه [كونون Conon وكلينياس Clinias وهيبو نيكوس Hipponicus] رهم ممن يضع فيهم أعظم الثقة - بأنه لن يتدخل في قضية الأرض، وإنما سيحررّ الناس من ديونهم فحسب. فأنتهزوا الفرصة وعجلوا باستدانة مبالغ كبيرة من المال وابتاعوا مساحات واسعة من الأراضي الزراعية لأنفسهم. ولما طبّق القانون بقيت املاكهم لهم دون أن يضطروا الى دفع المال الذي استدانوه. وهذا ما أثار الشكوك العظيمة في صولون وما زاد في السخط عليه والكره، ان حالته المالية لم تتأثر بالقانون، إلا أنه بادر حالاً الى قطع دابر الشك بأن أبرأ ذمة كل مدينه الذين يدينون له بخمسة تالنتات فأكثر حسب أحكام القانون، وكانوا كثيرين. على أن بعضهم مثل [پوليزيلوس Polyzelus] الرودسي، يقول أنه أبرأ من كان مديناً له الى حدّ خمسة عشر تالنت. وسُمّي اصدقاؤه أولئك منذ ذلك الحين بالمناققين Chreocopidae أو قُطاع الدين<sup>(٤١)</sup>.

لم يُرض صولون بعمله هذا أياً من الحزين، فالأغنياء سخطوا لخسارة اموالهم، والفقراء سخطوا لأن الأراضي لم يجر تقسيمها مجدداً وبقيت على حالها ولم تفرض المساواة التامة بين المواطنين على نحو ما فعله ليكورغوس في جمهوريته. والحق يقال أن ليكورغوس هو سليل هرقل الحادي عشر، فضلاً عن انه كسب اشباعاً واصدقاء عديدين بعد حكمه الطويل في [لقيدونيا] ونال شهرة عظيمة ونفوذاً واسعاً استخدمها كلها في اشادة صرح نظام دولته واعتمد غالباً على القوة لا على الاقناع، حتى انه فقد إحدى عينيه في معركة<sup>(٤٢)</sup>، كما كان قادراً على استخدام إحدى الوسائل لسلامة الدولة واستقرارها، وهو ازالة الفقر والغنى في مجتمعه، إلا أن صولون لم يبلغ هذا الحد في سياسته فقد كان متوسط الحال، ومع ذلك لم يتقاعس ولم يدخر وسعاً في ممارسة كل سلطته، ولم يكن ثم ما يعتمد عليه غير ثقة الناس به حسن ورأيهم فيه واعتمادهم عليه. أما أنه أثار سخيمة معظم من كان يؤمل نتيجة أخرى عنه، فهو ما أشار اليه في ابياته:

بالأمس كانوا يتيهون بي أعجاباً وبياهون واليوم ينظرون إليّ شزراً كأنني عدوهم.  
الاصدقاء كلهم انقلبوا أعداء<sup>(٤٣)</sup>.

(٤١) هنا مفارقة لفظية واضحة. ف(كركوبيدي Cercopidae) الذي يطلقه الآثينيون على أنفسهم، يشبههم الى ملكهم الأول ككربوس Cecrops فيقولون انهم من نسله [جوفينال ٤٦:٨].

(٤٢) ارسطو: الدستور الآثيني ٦.

(٤٣) المقطوعة ٣٤. الآن الابيات الأربعة فما بعدها من المقطوعة ذات الابیات التسعة التي اقتبسها أرسطو (انظر الدستور ٣:١٢).

ومع هذا فلو حاز اي امرءٍ «ما حزته من سلطان» على حدّ قوله. لما امتنع أو قصر عن احتلاب أدسم الحليب لنفسه وصادر الكل. ولكن لم يمرّ طويل زمن إلا وشعروا بفائدة ما صنع. فزال حقدهم عليه. وقدموا قرابين عامة أطلقوا عليها اضحية الغاء الديون [سيّساكثيا] وأختاروا صولون ليضع القوانين النموذجية الجديدة لجمهوريتهم، ومنحوه صلاحيات مطلقة في كل شيء، وسلطاناً ماله حدود على أفضيتهم ومجالسهم ومجالس شورايم، ليقرر بنفسه مواعيد اجتماعاتها وعددها، وتخصيص الأموال لها. ومُنح صلاحية حلّها أو الإبقاء عليها حسبما يرتأيه.

وكان أول أعماله الغاء كل قوانين [دراكو Draco] <sup>(٤٤)</sup> لصرامتها الفائقة وعقوباتها القاسية، خلا ما يتعلق بجرائم القتل منها. كانت عقوبة الموت في قوانين [دراكو] تفرض تقريباً على كل الجرائم حتى تلك التي تعاقب على البطالة، أو على من يسرق رأس خسّ واحد أو تفاحة واحدة كان الموت عقابها مثل جرائم القتل والكفر. وصدق عنها حقاً قول [ديماديس Demades] <sup>(٤٥)</sup> الذين نبغ بعده بزمن طويل. «لم تكتب قوانين دراكو بالحبر، وإنما كتبت بالدم». وسئل [دراكو] نفسه: لماذا جعل الموت عقاباً للمعظم الجرائم فأجاب «الجرائم الصغيرة تستحق ذلك. وليس عندي عقوبة أشدّ من الموت للجرائم الكبيرة».

ولما كان صولون يرغب في ابقاء الجهاز القضائي بأيدي الطبقة الغنية، وان يفتح امام العامة في الوقت نفسه أبواب أجهزة أخرى من أجهزة الحكم. فكانت خطوته الثانية هي أحصاء أموال المواطنين <sup>(٤٦)</sup> فرداً فرداً فالذين ملكوا خمسمائة ميكال من الغلة: مائة جافة جعل منهم

(٤٤) كان [دراكو] ارخوناً في أول سنة وثاني سنة من الاولبياد التاسع والثلاثين الموافق لـ ٦٢٢ ق.م. مع أن اسم هذا الرجل الشهير يظهر كثيراً في صفحات كتب التاريخ القديم إلا أننا لانجد أكثر من عشرة أسطر محترمة عنه وعن شرائعه، ويمكن القول بأنه اول مشتري أثينا، ذلك لأن قوانين أو بالأحرى «توصيات Precepts» (تريبيرليموس) كانت قليلة جداً لا تكفي لتثبيت الحقوق والواجبات ومن تلك الوصايا «أكرم ابويك» و«اعبد الآلهة». «لاتؤذ حيواناً» وما الى ذلك. وكان (دراكو) أول اغريقي عاقب على الزنا بالموت. وأعتبر القتل أشنع جريمة وأفطعها واراد ان يعزز كرهها في ذهن فشرع بان تجرى التعقيبات القضائية بحق الجمادات والأشياء الخالية من الروح ان كانت سبباً لإحداث الموت. لكنه الى جانب جريمتي القتل والزنا اللتين عوقبتا بالموت. فقد جعل عدداً من الجرائم الأصغر شأناً تستحق عقوبة الموت أيضاً وهذا ما أدى الى الغاء كل شرائعه تقريباً. فصرامتها المتناهية الشبيهة بالحدّ المسنون المرفه، جعلها كالتصل الذي ينفذ عميقاً وقد حفظ لنا بروفييري في (de Abstin) نصاً من تلك القوانين وهو ما تعلق بالعبادة «انه لقانون ابدي في أتيكلا. ان تعبد الآلهة وجوباً، وكذلك تعبد الابطال بحسب تقاليد اسلافنا. في السرّ تعبد فقط وبصلاة لائقة، وبالثمار الأولى وارقة الخمر سنوياً».

(٤٥) خطيب أثيني عاصر فيليب المقدوني وابنه الاسكندر.

(٤٦) ارسطو دستور أثينا ٣:٧ وما بعده.

الطبقة الأولى هو أطلق عليها اسم [پنتاكورسيوميديمني Pentacosimedimini] (٤٧) (اي ذوي الخمسمائة مكيال). أما أولئك الذي ملكوا حصاناً أو مالاً يعادل ثلاثمائة مكيال فأطلق عليهم اسم [هيبادا تيلوميتس Heppada Telumtes] وجعلهم طبقة ثانية. أما من ملك ما يعادل مائتي مكيال فسماهم [زويگيتي Zeugitae] وجعلهم الطبقة الثالثة أما الباقون فجعلوا طبقة رابعة وسماهم [ثيتيس Thetes] وهؤلاء لا يحق لهم ان يتولوا أي منصب حكومي. لكن لهم أن يحضروا الجمعية العامة ويعملوا عمل المحلفين، وهو عمل يبدو للوهلة الأولى شيئاً تافهاً، لكن سرعان ما تبين أنه حق ذو سلطان عظيم. لأن كل موضوع خلاف رئيس يرفع اليهم ليصوتوا عليه، ولايستثنى منها حتى الامور التي هي من اختصاص الارخون اذ قرر ان تستأنف اليهم قضائياً.

وكذلك قيل أن صياغة قوانين صولون كان يشوبها الغموض وكانت معانيها مزدوجة التفسير مطاطية. وقد تعمّد ذلك لتزاد هيبة مجالسه القضائية. لأن غموضها وصعوبة تفسيرها وعدم توصل الناس الى فهم منطوقها الحرفي يضطربهم الى رفع دعاواهم الى القضاة المختصين الذين حذقوا الصناعة. اما عن المساواة الطبقيّة فهو ينوه بها على الصورة الآتية:

منحت الشعب سلطة كافية ولم اجردهم من الكرامة ولم أعطيهم الكثير جداً واما اولئك الذين يملكون السلطة. ويتمتعون بالغنى الطائل فقد جعلتهم القوانين في نجوة عن كُّل ما يحطّ من قدرهم. ووقفت بدرعي الجبار امام كلا الطبقتين ولم أَدع أحد الفريقين يعتدي على حقوق الآخر (٤٨)

وقوى من ضمانات أمن الطبقة العامة، بمنح الحق العام إقامة الدعوى عن اي جريمة من جرائم الايذاء العمدي. فاذا تعرض اي فرد للضرب، أو بُتر منه اي عضو أو اعتدي عليه بأي شكل من الاشكال، كان لكل مواطن الحق في اقامة الدعوى على المعتدي. وهدف صولون من هذا، أن يعود المواطنين أن يشعروا بشعور المعتدى عليه، كأنهم اعضاء في جسم واحد. وان تشور

(٤٧) ان هؤلاء [الپنتاكورسيوميديمني] يدفعون تالنتاً واحداً لبيت المال. أما [الهيباداتيلوانتيس] فيتوجب عليهم كما تدل عليه عبارة النص - أن يقتنوا حصاناً وان يخدموا في الجيش فرساناً. واما الزفخيتي فقد أطلقت عليهم هذه التسمية لأنهم وسط بين طبقة الفرسان وطبقة العامة (ذلك لأن الجذافين الذين يحتلون المتعد الوسط بين التالاميت في قيوم السفينة وبين التراميت في الدفة. ومع أن ال(ثيتيت) الذين لا يدفعون ضريبة. لا صوت لهم في الجمعية العامة، فانهم كما لاحظ بولوتارخ حازوا أمتيازاً عظيمياً باعتبارهم مرجعاً استينافياً في معظم الاحكام القضائية وقد بلغ استخدام هذا الامتياز من الخطورة حداً حسب رأي ارسطو (السياسة ٢:١٠) أن اثينا وقعت فعلاً بيد الرعاع وسلطانهم الطاغي.

(٤٨) المقطوعة ه وما بعدها. ارسطو [دستور اثينا ٢:١] أنظر أيضاً ١:٩ وما بعدها.

ضمايرهم للجرمة كأنها وقعت عليهم. وهناك قولة له تنسجم ومنطوق قانونه. إذ سئل ما هو النموذج الأمثل للمدينة في رأيه فأجاب: « المدينة التي يتساوى فيها المعتدى عليهم وغير المعتدى عليهم بحق اذانة ومعاقبة المعتدين. »

عندما ألفَ صولون مجلس [الاروباغوس] (٤٩) من الآراخنة السابقين الذين تولوا هذا المنصب السنوي وكان هو واحداً منهم (٥٠)، لاحظ أن الشعب الذي تخلص من الديون مازال أمره مضطرباً يجأ بالشكوى فألف مجلساً آخر قوامه اربعمائة عضو (٥١)، تنتخب كل طبقة من الطبقات الأربع، مائة عضو له. وواجبه تدقيق وأقرار كل ما يفرض على الشعب من أوامر وقوانين، وبعد ذلك يتم عرضه على الجمعية عامة. اما المجلس الأعلى أو [الاروباغوس] فقد جعله حارساً ومراقباً على القوانين وبذلك كان هذان المجلسان بمثابة مرساتين للنظام الجمهوري،

(٤٩) Areopayas: اي جبل مارس [أريوس = مارس Arius] و[باغوس جبل Pagus] وهو موضع في اثينا مرتفع تعقد فيه أعلى محكمة قضائية [م.ت].

إن المحكمة الأريوباغية وان كانت أسسها قد ثبتت منذ عهد طويل إلا أنها فقدت الكثير من سلطاتها عندما قام (دراكو) بتفصيل محكمة ايفيتاي Ephetae. في الزمن القديم حتى مجيء صولون كانت هذه المحكمة تضم أناساً أشتهروا بغناهم ونفوذهم ورجاحة عقولهم. على انه لم يجز لعضويتها إلا من كان ارخوناً. وهذا ما حقق الهدف الذي رمى اليه فقد ارتفع قدر [الاريباغوس] وسمت مكانتها وامست قراراتها محترمة، بحيث لم يعد احد يقوى على انتقادها أو رفضها. وظل الأمر كذلك أجيالاً عديدة.

(٥٠) بعد انقراض نسل الميذونتيد Medontidae. حدد الأثينيون فترة حكم الأرخون بسنة واحدة. وجعلوا المجلس يتألف من تسعة بدل أن يتولاه ارخون واحد. بعبارة أخرى انهم حققوا ما كانوا يصبون اليه منذ عهد بعيد أعني أن يجعلوا حكاهم الأعلين تحت الرقابة الشعبية العامة. حصل هذا الانتقال العظيم الى الديمقراطية في أثينا أثناء الالبياد الرابع والعشرين الموافق للعام ٦٨٤ ق.م. كان لهؤلاء الحكام مظاهر تمييز وتكريم واضحة ومنها التسمية فالارخون الأول هو ايبونيموس Eponumus باسمه تختم السنة. والثاني يدعي باسيليوس أو ملك Basileus وقد جعلوا اللقب ثانياً لتجريده من صفة الأولوية. ووظيفة المنصب رعاية الشؤون الدينية وأطلقوا على الثالث اسم [پوليمارخوس Polemarchus] وللأشرف على شؤون الحرب. اما الستة الباقون فيحمل كل منهم لقب [تسموثيتي Thesmothetae] وهم الاوصياء على القوانين يراقبون تفسيرها وتطبيقها والمحافظة عليها وازالة الغموض والتناقض فيها. ويمر هؤلاء الحكام قبل انتخابهم بفحوص صارمة للغاية تشمل التحقيق الدقيق في أصلهم وفصلهم [يجب أن تكون الاجيال الثلاثة الأخيرة التي سبقته على الأقل من اسرته اثينية الجنسية من جهة الأب والأم] ودرجة تقواهم وعبادتهم للآلهة، وجهم لابيومهم وبلادهم وما يملكون من ثروة الخ... وقد بقي هذا المجلس قائماً حتى زمن الامبراطور الروماني كالليوس.

(٥١) رُفِع عدد القبائل في عهد كاللستينوس الى عشر بعد طرده أسرة الپستراتيدي الحاكمة. ورفع عدد اعضاء مجلس شيوخه الى خمسمائة. كل قبيلة تنتخب خمسين عند نهاية العام. ويقدم زعيم القبيلة قائمة بالمرشحين ومن هؤلاء يختار العدد المقرر بالقرعة. ثم يقوم الشيوخ بتعيين الضباط الخمسين ويطلق عليهم اسم (پريتاني). ويتراأس عشرة منهم الآخرين لمدة أسبوع ويسمون پروندري ومهمتهم الحيلولة دون وقوع فوضى ومن هؤلاء يختار (إيستاته) أو رئيس لا يدم منصبه أكثر من يوم واحد [أرسطو: دستور أثينا ٤:٨].

يقللان من تعرضها للنوء والغرق، ويجعلان الشعب أكثر هدوءاً واستقراراً. وهذه هي الاسباب التي دعت صولون الى انشاء مجلس [الارويباغوس] ويبدو ذلك ثابتاً تاريخياً لأن [دراكو] لم ينوه بشيء عن وجود الارويباغيين، في حين يشير الى [الزفيستي Zaphetae] في كل قضايا الدم. على ان لوح صولون الثالث عشر المتضمن القانون الثامن، كانت صياغته كالآتي: «كل من كان مجرداً من حقوق المواطنة قبل أرخونية صولون يستعيد حقوق مواطنته. إلا أولئك الذين ادانهم الارويباغوس والايفيتي، أو ادانهم الملوك في الپيريتانيوم لارتكابهم جرائم القتل العمد مع سبق التصميم، والقتل قصداً، أو من دسّ الدسائس على الدولة أو تأمر عليها - على ان يكونوا في ديار الإبعاد عند سنّ هذا القانون».

من هذه الصياغة يتبين أن الارويباغوس كان موجوداً قبل قانون صولون، فمن يمكن أن يحاكمه هذا المجلس قبل صولون إن كان هو الذي أوجد مجلس قضائه؟ اللهم اذا كان قد حذف شيء من النص أو شابه سوء صياغة أو عدم دقة وهو أمر محتمل. وأقرب صياغة الى الوضوح هي ان يقال «...أولئك الذين ادینوا بجرائم كان الحكم بها من اختصاص الارويباغوس والايفيتي<sup>(٥٢)</sup> والپيريتانيوم عند تشريع هذا القانون»

... يبقون مجردين من حقوقهم، لا تمحى عنهم وصمة العار، أمّا ما عداهم فيعاد اليهم اعتبارهم ويلغى الحكم عنهم. وعلى أية حال نترك الموضوع لحكم القاريء.

من بين قوانين صولون، قانون غريب عجيب، فهو مجرد حقوق المواطنة من كل من يقف على الحياد في اثناء ثورة أو تمرد<sup>(٥٣)</sup>. والظاهر أن المشترع لم يكن يرى بقاء اي مواطن فاقد الشعور والاهتمام بالمصلحة العامة، منصرفاً الى شؤونه الخاصة فحسب مهتماً بما يعود عليه بالفائدة، مجرداً عن أي تحسس باضطراب سياسي يداهم بلده، بل يجب عليه أن ينحاز فوراً الى الجانب المصيب أو الى الحزب الذي يكون الحق الى جانبه فيناضل ويتعاون معهم. لا أن يبتعد عن مواطن الخطر ويجلس مراقباً المعركة عن كئيب ليرى من الغالب؟

(٥٢) كان أول عمل المجلس القضائي في عهد الملك [ديموفون ابن تيفس] للنظر في دعاوى القتل العمد والقتل القصد دون تصميم. ويتألف المجلس من خمسين قاضياً أثينياً، وعدد غير محدود من الارغوسيين. إلا أن [دراكو] أخرج الارغوسيين. وأمر المجلس بأن يتشكل من واحد وخمسين من افاضل الأثينيين وان لا يقل عمر العضو فيه عن خمسين سنة. ومنحهم سلطاناً يعلو على سلطان اعضاء الارويباغوس. إلا أن صولون خفض هذه السلطة. بحيث جعل هذا المجلس تحت اشراف الارويباغوس كما حدد صلاحيته القانونية.

(٥٣) يورد [اولوس غيلويوس] النص الحرفي لهذا القانون. ويضيف قائلاً «ذلك الذي يقف الحياد، يجب ان مجرد من منازله ويخسر بلاده وأملاكه وان ينفي خارج الوطن. ويمدح (غيلويوس) قصد المشترع من هذا القانون حين يذمه بلوتارخ.

ويبدو للمرء قانوناً سخيلاً تافهاً أن يسمح لزوجة ذات مال موروث بأن تتخذ أقرب ذوي زوجها عشيراً، إن لم يقيم زوجها بمعاشرتها! على أن بعضهم يمدح القانون ويراها فعلاً لردع أولئك العاجزين عن واجباتهم الزوجية ويسعون للزواج بالوارثات طمعاً بما لهن، مستخدمين السماح القانوني ليخرقوا به سنن الطبيعة. إذ كان الواجب يقضي أما أن يعزفوا عن هذا الزواج أو أن يعيشوا حياةً زوجيةً شائنة، ويعانوا العار والخزي جراء طمعهم وخطأهم المتعمد. هذا فضلاً عن أن اشتراط كون خليلها أقرب اقرباء زوجها هو عملٌ طيبٌ حتى يظل نسب الأسرة لثمة هذه العلاقة.

ومما جرى مجرى هذا القانون في غرابته، ذلك الذي قضى أن يوضع العريس والعروس في غرفة مغلقة الباب حيث يأكلان معاً<sup>(٥٤)</sup> سفرجلة وان زوج الوارثة يجب أن يعاشرها ثلاث مرات في الشهر على الأقل فهذا يكون من قبيل التكريم لها واطهار الحب الواجب من الزوج لزوج عفيفة محصنة. وإن لم تنجب له أولاداً. وهو ما يقضي على كل اسباب الخلاف ولا يؤدي بالخصام الطفيف الى قطيعة. وفي غير مثل هذه الزيجات، منع صولون دفع أي بائنة منعاً باتاً. فلا يكون للعروس غير ثلاث فساتين، وأثاث بيتية بسيطة<sup>(٥٥)</sup>. لاشيء سوى ذلك. لأن صولون لم يشأ أن تعقد الزيجات على أساس الربح أو المال بل أن يسبقها الحب الخالص، واتفاق الميول، وانجاب الأولاد. كما طلبت أم [ديونيسيوس] من ابنها ان يقوم بتزويجها أحد مواطنيه اجابها قائلاً «حقاً اني حطمت قوانين البلاد بالطغيان الذي امارسه، لكنني لا أستطيع أن تحدى قوانين الطبيعة أو اوارقها بزواج غير متكافي». مثل هذا الإخلال غير مسموح به في الجمهورية، كما انه لا يفسح اي مجال لعقد مثل هذه الزيجات غير المتكافئة، التي لا يربطها الحب ولا تصل الى غاية ولا ثمرة. ولقد حق على كل حاكم بعيد النظر، أو مشرع للقوانين ان يقول لشيخ كبير السن ما قيل «فيلوكتيتس [Philoctetes]<sup>(٥٦)</sup> في التراجيديا

(٥٤) ليس غريباً ان تاكل الوارثة وزوجها سفرجلاً (فكل المتزوجين حديثاً ياكلون هذه الثمرة) وهذا ما يجعل حديثهما المتبادل رائقاً. ولاسيما وانها تجعل رائحة الفم طيبة. لكن لداسييه تفسيراً آخر من مؤداه الحرص المتبادل على سلامتها لأن السفرجل كما هو شائع لدى العامة تريق للسموم ويظهر من [بلييني: التاريخ الطبيعي ١١:١٥ و ٦:٢٣] ان لهذه الثمرة منزلة عظيمة لدى الاقدمين من نواح عدة.

(٥٥) تجلب العروس الى منزل الزوجية قصعة فخارية تسمى [فروغيتيوس] تخبز فيها ارغفة الشعير. كإشارة الى انها صارت تضطلع بأمور البيت وانها ستشارك في اشغال الأسرة.

(٥٦) تمثيلية بهذا الاسم لايعلم باسم مؤلفها على وجه الدقة. تدور أحداثها حول [فيلوكتيتس] صديق هرقل ومرافقه. بعد موت هرقل ورث عنه سهامه المغموسة بدم الهيدرا. سقط أحد هذه السهام على قدمه بمحض الصدفة، فأحدث جرحاً ونقر الجرح فاضطر الأغرقيق الزاحفون على طروادة الى تركه وهو يقاسي ألماً مبرحة في المنوس. ولما لم يكن بوسعهم الاستيلاء على تلك المدينة بغير هذه السهام القتالة. فقد أرسلوا اليه وقدأ يلتسونها منه. بنى [سوفوكليس] من هذه الاحدثة مأساة مازالت موجودة.



تزوج امرأة في مقتل العمر ايتها الفتاة المسكينة: «خطأ أنك تزوجت في حال ملائمة!»  
ومن احكام هذا القانون انه «اذا وجد شاب تزوج امرأة غنية كبيرة السن. وقد ازداد بدانة  
وسمن كالقطاة وهو في مرتعه، أبعدها حالاً وتزوج بامرأة صغيرة ذات سن مناسبة»... وفي  
هذا الكفاية.

من قوانينه الأخرى النافعة التي اصدرها، تحريم ذكر الموتى بسوء<sup>(٥٧)</sup> فمن الصلاح والدين  
أن يحتفظ المرء للذاهبين بحرمة وقداسة، ولا يعيب بذكرى من قضى نحبه. ومن حسن الخلق  
أيضاً أن يوضع حدٌ للشنان، يمنع المواطنين من اغتيايب الأحياء في المعابد وساحات القضاء  
ودوائر الحكومة، أو اثناء الألعاب العامة، ومن يفعل ذلك يجازى بدفع ثلاثة دراخمت  
للمقذوف من غرامة للحكومة قدرها دراخمان. فالعجز عن ضبط العاطفة، دليل على طبع  
ضعيف وسوء تربية يصعب تهذيبها في أغلب الأحيان، وقد يكون تقويمها مستحيل. وعلى  
القوانين أن تضع في حسابها جميع الاحتمالات ان كان غرض صانعها فرض العقوبات على  
القلة المذنبه لأجل الإصلاح لا معاقبة الكثرة دون ما هدف أو غاية.

وكان موضع ثناء عظيم لقانونه الخاص بالوصايا. فقبله لم يكن احدٌ يستطيع ان يوصي  
بماله. لأن تركة الميت هي ميراث مؤكد لأسرته لا ينازعها فيه أحد. فسمح صولون بالوصية،  
كذلك سمح بها في حالة ما لو كان الموصي بلا عقب ذكر فله ان يهب ماله لمن يشاء<sup>(٥٨)</sup>  
وأظهر صولون بذلك أن رابطة الصداقة أقوى من رابطة القرابة، والميول البشرية أقوى من  
دواعي الضرورة وجعل مال المواطن ملكاً حقيقياً له يتصرف به دون قيد أو شرط إلا أنه منع  
وصية المحتضر وأبطل كل ما جاء منها نتيجة شدة مرض أو بسبب سحر، أو سجن أو اكراه.  
أو اغراء اقدمت عليه المرأة الموصى لها، لأن الاغراء على ارتكاب خطأ هو في مستوى الاكراه  
وليس ثم فارق كبير بين الخديعة والإجبار وبين الاغراء والاكراه مادام كلا الأمرين يحدان من  
حرية العقل سواء بسواء<sup>(٥٩)</sup>.

وأصدر قانوناً بتنظيم افراح المرأة وحدادها وكيفية مشيتها وألغى كل ما هو ضد الحشمة أو  
غير معقول. فلم يسمح للمرأة اثناء خروجها من الدار ان تلبس أكثر من ثلاث قطع من

(٥٧) حتى من قبل أولادهم. وهذا أقصى حدٍ للتحريم [ديموستينس].

(٥٨) «اولاد شرعيون» كما يضعها ديموستينس.

(٥٩) وكذلك رُسم أن لا يستفيد الابناء بالتبني من الوصية. ولكن ما أن يرزقوا اولاداً شرعيين حتى يكونوا  
أحراراً في العودة الى الأسرة التي جاؤوا منها. اما انا بقوا دون اولاد فان الاملاك المورثة بفضل  
تبنيهم تعود الى اقرباء المتبني [ديموستينس].

الثياب، وان لا تحمل من اللحم والخمر ما تزيد قيمته على اوبول Obol واحد<sup>(\*)</sup> أو سلّة يزيد ارتفاعها عن كيوييت<sup>(\*\*)</sup> واحد. وان لا يخرجن ليلاً إلا في عربة يتقدمها مشعل مضيء<sup>(٦٠)</sup>. ومنع اهل الميت أن يضربن صدورهن اثاراً للعواطف أو ان يندبن ميستاً في جنازة آخر<sup>(٦١)</sup>. وأبطل عادة التضحية بشورٍ على القبر، ودفن أكثر من ثلاثة أردية مع الميت، وان لا يزور القبر غير ذوي الفقيد<sup>(٦٢)</sup> باستثناء مناسبة التشييع. ومعظم هذه الأمور ممنوعة في قوانيننا الحالية. لكن يزيد عليها فيما بعد حالة واحدة، وهي أن تقوم مراقبات للنساء الشاكلات باصدار احكام طفيفة على كل من تسرف في حدادها واطهار حزنها.

ولاحظ صولون ان المدينة أخذت تكتظ بالأشخاص الذين يأتون الى اتيكيا من كل حدبٍ وصوبٍ سعيّاً وراء الرزق، وان معظم البلاد قاحلة ماحلة وان تجار البحر لا يصدرون لمن لا يستوردون منه بالمقابل فوجه المواطنين الى التجارة. وسنّ قانوناً ينصّ على أن الأبن ليس مكلفاً باعاشة ابيه ان لم يقم الأب بتنشئته على حرفة ما<sup>(٦٣)</sup>، والحق يقال أن ليكورغوس ورث مدينة خالية من الأجانب، وارضاً... «تتسع لجماهير غفيرة، تكفي ضعف عددهم»

على حدّ ما قال [يوربيدس] زد على هذا أن الشغيلة كانوا كثيرين حول سبارطا، ليس بينهم عاطل واحد، وكلهم يعمل ويكدح. ولذلك كان مصيباً حين أعفى مواطنيه من الأعمال اليدوية والحرف الاعتيادية، ابقاهم تحت السلاح وعلمهم صناعة الحرب لا غير. في حين أن صولون استوحى قوانينه من واقع بلاده، ولم يحاول جرّ الواقع الى قوانينه.

ووجد خصوبة الأرض اضعف من تؤمن عيشة المزارعين، ناهيك بعجزها عن اعاشة الجموع

(\*) عملة يونانية قيمتها عشرة افلس تقريباً.

(\*\*) قياس يوناني طوله ١٨ انجاً.

(٦٠) لمنعهم من ارتكاب اية جريمة تحت ستر الظلام.

(٦١) يسرد [ديموستينس] في (تيموكراتيس) قواعد صولون الخاصة بالجناز على النحو التالي: «فلتسبج اجساد الموتى في البيت بحسب وصية الميت. وفي اليوم التالي قبل شروق الشمس تحمل منه ويتقدم الرجال الجنازة اثناء السير، وتسير النسوة في أعقابها. ويحظر على اية امرأة في الحداد ابن تدخل حرم اي ميت أو تسير في جنازته حتى تنقضي على ميتها ثلاثة أعوام كوامل، الا اذا كان الميت الثاني بدرجة ان عم أو ابن خال. هذه القواعد اقتبسها مشترع «الالواح الاثني عشر» الروماني ففرضها على الرومان. (٦٢) تعتبر هذه الزيارة عملاً من أعمال البر. اما زيارة الغرباء فهي مكروهة اذ يفترض انها تستلطن نية خبيثة مجرمة وهي سرقة عظام الميت لتستخدم في اعمال الشعبة.

(٦٣) من يحكم بجريمة الكسل والبطالة ثلاث مرات. يعلن للملا بأنه انسان «سيء السيرة»، وقال بعض الكتاب ان [دراكو] جعل البطالة مرة واحدة جريمة عقوبتها الموت. إلا أن صولون خفف من هذه الصرامة وجعل عقوبة السيء السيرة الغرامة بمبلغ مائة درهم (دراخمة). ويؤكد هيرودوتس وديون [المرجع السالف ١ و ٦:٢] ان مثل هذا القانون كان مطبقاً في مصر ويحتمل جداً أن يكون صولون المطلع على قوانين تلك البلاد، قد اقتبس هذا المبدأ من هناك.

العاطلة التي لا تمتهن الزراعة. فأدخل التجارة في عداد المهن. وأمر مجلس الاريوباغيين بالتحقيق عن مصدر ارزاق كل فرد وعقاب العاطلين. لكن القانون التالي كما شرحه [هيراقليدس پونتيكوس] كان اشد صرامة، فقد قضى بأن لايجبر أولاد النساء غير المتزوجات بإعالة آبائهم غير الشرعيين. فمن يأبى شكليات الاتحاد الشريف بالزواج، يعتبر انه يعاشر النساء لأجل المتعة لا لإنجاب الولد، وبهذا يكون حرمانه من كد ابنه السفاح جزاءً وفاقاً لأنه حرم على نفسه كل حق له في تأديب أولاده. وجعل من ولادتهم نفسها فضيحة وعاراً.

واغرب ما في قوانين صولون تلك تتعلق بالنساء<sup>(٦٤)</sup>. فقد سمحت لكل امرء بقتل الزاني حين يضبط في الفراش. لكن اذا اجبر اي رجل حراً على الزنا، فعليه ان يدفع غرامة قدرها مائة دراخما، واذا اغواها يُعزم عشرين دراخما. أما أولئك اللاتي يبعن انفسهم علناً أي العاهرات اللاتي يذهبن علنا الى كل من يدفع لهن أجراً. فلا جناح عليهن وعلى معاشرتهن. وحرم بيع البنت والأخت إلا اذا ثبت انهن خلعن عذارهن، وان يكن غير متزوجات.

الحق يقال انه ليس من العدل في شيء أن يفرض على الذنب عقاب جد صارم أحياناً، دون اتاحة مجال لندم صاحبه، في حين يعاقب المرء عنه وأحياناً بعقوبة طفيفة جداً، بفرض غرامة زهيدة مثلاً، كأن القضية مجرد لعبة! إلا اذا كانت النقود في آثينا من النادرة بمكان آنذاك. فقلّة النقد تجعل هذه الغرامات عقوبات شديدة جداً. ونحن نرى في تقديم الأضاحي ان ثمن الشاة الواحدة والبوشل الواحد من القمح قد حددا بدراخما واحد لكل منهما. والفائز في الألعاب [الإستمية] يعطى مائة دراخما جائزةً. والفائز في الألعاب الاولمبية يعطى خمسمائة ومن يأتي بذئب يعطى خمسة. ومن يأتي بجروه يعطى درخما واحدة وقيمة الثور خمس دراخمات، وقيمة الشاة دراخما واحدة كما يؤكد [ديمتريوس] الثاليري. على أن الأسعار التي حددها صولون في لوحه السادس عشر بخصوص الحيوانات الممتازة هي بالطبع أعلى بكثير من هذه الأسعار، ومع هذا فهي واطنة جداً نسبةً الى الأسعار الحالية. لقد كان الاثينيون أصلاً اعداءً للذئب ارضهم اصلح للرعي منها للزراعة. وبعض المورخين يؤكدون أن طبقاتهم لم تأخذ اسماءها من ابناء [أيون Ion] وانما من الصنائع المختلفة التي يزاولونها، فالجنود يسمون [هوپليتي Hoplitae]. والصنّاع [ايرغادس Ergades] والفلاحون [غيليونتس Gele-ontes] والرعاة والباحثون عن الكلاً [ايغيكوريس Aegicores]<sup>(٦٥)</sup>.

(٦٤) الزانية لايسمح لها بالزينة أو المشاركة في القرايين العامة. وان فعلت فكل شخص الحق في خرق ثيابها من نبر وضربها في اي مكان من جسمها على ان لا يؤدي الضرب الى القضاء على حياتها أو فوّق عينها.  
(٦٥) هذا التقريب اللغوي العسير في تفسير اسماء القبائل القديمة الأربعة التي اشتقت من أسماء ايون =

ولما كانت البلاد الاتيكية قليلة الانهار والبحيرات<sup>(٦٦)</sup>، وليس بها ينابيع ثرة والناس معظمهم يستخدمون الأبار التي يتولون هم حفرها. فقد سن صولون قانوناً يسمح بالاستقاء من الأبار العمومية التي تقع ضمن مسافة هيبكون Hippicon واحد (أي اربع فورلنغات) (\*) من المستقين. فاذا كانوا على مسافة أبعد فعليهم أن يحفروا بئراً خاصة بهم. فاذا حفروا الى عمق ستين قدماً ولم ينبط ماء فلهم الحق في أن يأخذوا ملء مكيال (سعته اربعة غالونات ونصف غالون) يومياً من جيرانهم. لأنه كان يرى من الحكمة أن تؤمن الحاجة، وأن لا يشجع المرء على الكسل. وكان ذكياً في أنظمته المتعلقة بشؤون الغراس، فمن يغرس شجرة جديدة عليه أن يبعد موضعها مسافة خمسة أقدام من حدود حقل جاره على الأقل. فاذا كانت شجرة تين أو زيتون فيجب أن لا تقل المسافة عن تسع أقدام لأن جذورها تمتد وتنتشر ولا يمكن ان يغرس هذان الصنفان قرب اي نوع من الأشجار الأخرى. إلا وألحقا بها ضرراً لأنهما تمتصان غذاءها وأحياناً تخنقها بعملية تنفسهما ومن يحفر حفرة أو ساقية فعليه أن يجعلها بعيدة عن أرض جاره بمسافة تساوي عمقها ومن يربي قفائر نحل فعليه أن يضعها ضمن مسافة ثلاثمائة قدم من قفائر نحل شخص آخر.

ولم يسمح بتصدير مادة الى الخارج غير الزيت ومن يصدر مادة أخرى غيرها يلغنه الأرخون لعنة دينية. أو أن يدفع عنه مائة دراخما والقانون التالي مثبت في اللوح الأول من القوانين فلا يظن أحد - كما يؤكد بعضهم - انه لا يعقل ان تصدير التين كان ممنوعاً في يوم ما وأن المبلغ عن المخالفين كان يدعى «المتبصص»<sup>(٦٧)</sup>! كذلك استن قانوناً بخصوص جراح الحيوان والأذى الذي يحدثه في الغير. فاذا عض كلب شخصاً أوجب القانون على صاحبه أن يسلمه وقد ربط الى عنقه جذع خشب طوله اربع اقدام ونصف قدم<sup>(٦٨)</sup>. وهو ضمان جيد لأمان الآخرين من غائلة الحيوان. أما القانون الخاص بحصول الأجانب على الجنسية الآتينية فهو مما

---

= الأربعة كما يقول هيروودوتس [٦٦:٥]. فالأول لا علاقة له بـ Nolpe اي الأسلحة. والثاني لا علاقة له بـ Ergon اي العمل. والثالث لا صلة له بـ ge اي الأرض. والرابع لا صلة له بـ aix اي العنزة. (٦٦) يحدثنا [سترابو] عن وجود نبع ماء غير بالقرب من ليكيوم. وينوه افلاطون بنبع ماء بارد في غاية الصفاء. الا ان أتিকা هي بلاد قاحلة عموماً وكل من نهري ايليسوس، دارباداتوس لا يجريان باستمرار. حتى كنيسوس نفسه الذي كثيراً ما يتدفق ماؤه، ويلبث أن يجف صيفاً في أغلب الأحيان. (\*) مقياس طولى يبلغ حوالي ٢٢٠ ياردة فيكون الهيبكون حوالي ٨٨٠ ياردة. (٦٧) الترجمة الحرفية يجب أن تكون «عارض التين» وقد أنتشر هذا الاسم فيما بعد فأصبح هكذا Syco- phant ويقترن بصفات رذيلة كالحقارة والذلة والوضاعة. (٦٨) هذا الحكم وعدد آخر من أحكام صولون، دخلت في أحكام الالواح الاثني عشر الرومانية. فقد أرسل الرومان في حدود ٣٠٠ ق.م وفداً الى أثينا لإختيار بعض القوانين اليونانية لقانونهم المدني.

يشكّ في صلاحه. إذ لم يسمح بهذا الامتياز إلا لأولئك الذين حكموا في بلادهم بالنفي المؤبد أو من جاؤوا اثينا للتجارة تصحبهم أسرهم. ولم يكن يقصد من هذا التحديد، تثبيط همة الاجانب في الحصول صفة المواطن الأثيني الحرّ، بل لتحريضهم على المساهمة الفعالة الدائمة في الحكم، زد على هذا أن أولئك الذين اخرجوا قسراً من بلادهم أو تركوها بمحض اختيارهم سعيّاً وراء الرزق سيكونون أكثر إخلاصاً لبلادهم الجديدة من وطنهم الأول.

وأما قانون الملاعب العامة (واسمه پاراسيتين Parasitein)<sup>(٦٩)</sup> فهو نموذج للقوانين الصولونية بغرابته. لأنه يعاقب المتردد عليها كثيراً، مثلما يعاقب المنقطع عنها، فالأول مفرط في استمتاعه، والثاني مستخف بالدولة!

وحدد سريان هذه القوانين بمائة عام، وكتبها على ألواح، أو بكرات خشبية أو ما يدعى [أكسون Axon] تدار حول محورٍ وهي في خزانات. وقد ظلت بقايا منها في الپيريتانيوم أو القاعة العمومية في آثينا معروضة للناس حتى أيامي. وقد عرفت حسب قول ارسطو باسم [كيرييس Cyrbes]<sup>(٧٠)</sup> بدليل آيات للكوميدي [كراتينوس Cratinus]:

«بعد استئذنانك - أقول بفضل صولون وبفضل دراكو اللذين أشعلت كيرييساتهما [ النار التي حُمّصت بها حبات فاصولياتنا »<sup>(٧١)</sup>

لكن بعضهم يقول أنها [كيرييسات] تامة تتضمن قوانين متعلقة شعبنا بالقرابين وبفرائض الدين وغيرها.

لقد أقسم المجلس كله على تأييد هذه القوانين. كما أقسم كل فرد من طبقة الـ: تسموتيتيا عند حجر ساحة السوق، بأن يقدم كل من خرق نصاً من نصوصه - تمثالاً ذهبياً مساوياً لجسمه الى دلفي<sup>(٧٢)</sup>. ولاحظ مقدار الاختلاف بين أيام الأشهر، وان القمر لا يطلع ولا يأفل بحسب

(٦٩) ومنها جاءت كلمة طفيلي Parasite المعروفة في أغلب اللغات الأوروبية على أنها كانت من الصفات المشرفة في الأزمنة القديمة [أثينيوس ٦:٦] إذ كان يقصد بها رفيق الطعان على مائدة القرابين. وبيان ذلك أنه كان ثم في بلاد الأغريق عددٌ من الأشخاص كرم بهذه الصفة وظيفة افراده انتقاء الحبوب والثمار وما هو ضروري للتقدمات العامة. وقد أمر صولون بان تقدم كل قبيلة ذبيحة واحدة في الشهر وبعد انتهاء مراسيم القرابين تقدم مائدة عامة يساهم فيها كل فرد من القبيلة بدورٍ والآخر شهر به أو وجب عليه تقديم عذر مشروع لتقاعسه.

(٧٠) ارسطو: [دستور آثينا ١:٧].

(٧١) معاصر [پريكلس] وبعد صولون بحوالي مائة وخمسين سنة، عندما أهملت قوانين هذا الأخير تماماً.  
(٧٢) في ذلك الزمان كان الذهب نادراً في اليونان، حتى ان السيارطيين الذين أمرتهم النبوءة بطلاء وجه تمثال ابوللو بالذهب. لم يجدوا الذهب الكافي. فأشارت العرافة الكاهنة عليهم بشرائه من (كروسوس) ملك ليديا.

حركة الشمس، فكثيراً ما يسبقها ويشرق قبلها. وأمر لذلك أن يسمّى اليوم قديماً أو جديداً معيداً الى الشهر القمري السابق ذلك الجزء الباقي منه قبل حصول الاندماج، ومضيفاً اليوم المتخلف الى الشهر القمري الجديد، ويظهر انه أوّل من فهم بيت الشاعر هوميروس:

« تلك نهاية الشهر القديم وبدأ الشهر الجديد» (٧٣)

وأطلق على اليوم الذي يتلوه «القمر الجديد». وبعد اليوم العشرين لم يعدّ بالاضافة اليه. بل طرح العشرين من الثلاثين بحسب اوجه القمر المتناقصة. وعندما بدء بتطبيق قوانينه (٧٤) أخذ الزوار يتقاطرون اليه يومياً مدحون بعضها وينتقدون بعضها وينصحون بتهديتها وتعديلها إلا أن القسم الأكبر جاء ليطلب معرفة السبب في وضع هذه المادة أو تلك تفسير واضح دقيق للهدف والمعنى. وتغادياً للحراجه وخوفاً من اساءة التفسير أو خليقاً بتنفيذ رغباتهم قرر التخلص من هذا الموقف الصعب ومصادر الحيرة هذه والحاح المواطنين «ففي الأمور الكبرى يصعب ارضاء الجميع» (٧٥) كما قال لنفسه وتحت الادعاء بالتجارة...

(٧٣) إكتشف صولون خطأ نظرية (طاليس) القائلة بان القمر يكمل دورته في ثلاثين يوماً. فقد وجد أن الوقت الذي تستغرقه الدورة هو تسعة وعشرون يوماً ونصف يوم. فأمر بأن يكون شهر واحد مؤلفاً من ٢٩ يوماً، وشهر ثان مؤلفاً من ٣٠ يوماً بالتناوب وبعد هذا وجد ان مجموع ايام السنة القمرية ٣٥٤ فلأجل مساواتها بالسنة الشمسية امر باستحداث ٢٢ يوماً أو ٢٣ يزداد كل سنتين. كذلك أمر الآثينيين بتقسيم شهورهم الى ثلاثة اقسام وهي البداية والوسط والنهاية. كل قسم من الشهر يتألف من عشرة ايام. والشهر الأخير البسيط يتألف قسمه الثالث من تسعة ايام. وبحساب الايام فازهم يتداولون القول هكذا: أوّل يوم من مبدأ القمر أو ثاني يوم من وسط القمر (اي اليوم الثاني عشر من الشهر) أو آخر يوم من نهاية القمر (ويقصدون اليوم الثلاثين من الشهر).

(٧٤) نوه بلوتارخ بذلك الجزء من قوانين صولون التي وجدها فريدة تستدعي الالتفات. إلا أن [ديوغينيس ليثريتوس] و[ديموستينس] ذكرا مجموعة أخرى لا يمكننا اغفالها هنا وهي: (١) من لا ينفق على امه وابيه بالشري السئ الصيت. (٢) وكذا يعامل ناكرايوته. (٣) الرجل الذي يختلف الى بيوت الفسق والفجور يمنع من الكلام في الاجتماعات العامة. (٤) محظور على الوصي أن ينام أو يعاشر أو يتزوج والدة ذلك الذي نُصّب وصياً عليه. (٥) لايناط تعليم القاصر بذلك الذي يليه في حق الميراث. (٦) يحظر على حفّار الاختام الاحتفاظ بالاصل الذي نقش عنه الختم. (٧) من فقاً عين آخر فلتفقاً عينه. (٨) اذا ادمن (أرخون) على الخمر فيجب قتله. وأما الاحكام التالية فقد أوردها ديموستينس (أ) من رفض التطوع في الحرب أوفر وأظهر جنباً، يمنع من غشيان الاماكن العامة والميدان العام واماكن العبادات العامة. (ب) اذا فاجأ رجل زوجه متلبساً بالزنا وعاشرها بعد ذلك فانه يعدّ من الاراذل. (ج) يلاحق القواد ويقتل عند القبض عليه. (د) إن قام أحد بسرقة في ساعات النهار، فليؤت به الى الضباط الأحد عشر، واذا قبض عليه متلبساً بسرقة في ساعات الليل فليقتل. أو يُجرح في حالة هروبه، ويحمل الى الضباط الأحد عشر في حالة القاء القبض عليه. وان سرق اموالاً عامة فعليه أن يدفع ضعفها. واذا شاء المحكوم (عند عدم رفع الغرامة) فليكل بالاعلال لمدة خمسة ايام. وان جدّف أو ارتكب عملاً محرماً فليقتل.

(٧٥) المقطوعة رقم ٧.

ابتاع سفينة تجارية قاصداً السفر، ورحل وغاب فترة أمدها عشر سنوات، وكان يأمل من ذلك أن تثبت قوانينه في نفوس المواطنين ونزل مصر<sup>(٧٦)</sup> أولاً وسكن حسب قوله «قريباً من الموضع الذي منه يصب النيل فيه ماءه الدافق عند ساحل قنوب - Canopus».

وامضى ردهاً من الزمن يدرس مع [پسنوفيس Psenophis] من مدينة هليوبوليس، و[سونخيس Sonchis] السايطي Saite وهما أوسع الكهنة ثقافة وعلماً. ومنهما ظفر بمعلوماته عن قصة جزيرة اطلانتيا Atlantia<sup>(٧٧)</sup>. فقرر نقلها الى اليونانيين وشرع في نظمها شعراً على قول افلاطون. ومن مصر رحل الى [قبرص] فأحتفى به [فيلوقبروس Philocy-prus] وأكرمه إكراماً عظيماً. وهو أحد الملوك فيها، كان يحكم مدينةً بناها [دموقون] ابن (تسيوس) بالقرب من نهر [كلاريوس] وموقعها حصين. إلا أنها صعبة الوصول، غير مريحة للسكان. فأغراه صولون بأن ينقلها الى السهل الجميل المنبسط تحتها ويجعلها مدينة جديدة أجمل واوسع من مدينته تلك وبقي هناك وساعد في جمع السكان اليها، وفي هندسة تحكيماتا ودفاعاتها وجعلها مريحة للسكنى، بحيث تقاظر الناس اليها. وحذا ملوك قبرص الآخرين حذو [فيلوقبروس] وأختطوا مدنهم الجديدة بالشكل نفسه وإكراماً لصولون واعترافاً بفضلته أطلق الملك اسمه على المدينة فصارت تدعى [صولي Soli] وكانت قبلاً [إيبي Ae-pae]. ونوه صولون بحادث تأسيسها في إحدى ملحاته المهداة الى [فيلوقبرص] اذ قال:

«ألا فلتعش على عرش [صولي] عمراً مديداً، وليخلقك ابناً من صُلبك. ومن جزيرتك السعيدة [قبرص] فلتُرسَل لي وأنا أبحر - ربح رخاء، لتَهَبَ مباركةً حكمك الجديد. وليشع الإزدهار في مدينتك، ولترس بي الى البرِّ بأمان.

ويرى بعضهم أن حكاية لقاء صولون [بكروسوس] لا تتفق مع الوقائع التاريخية. إلا اني لاستطيع أن اتعامى عن حادثة بلغت هذا المبلغ من الذبوع وأسقطها من الحساب بعد أن

---

(٧٦) من المحتمل أن نهابه الى مصر كان لغرض بقائه بعيداً عن الأحداث لا هرباً من طغيان [پستراتوس]. كما يقول بعض الكتاب فسئله لم تكن تتحمل ذلك في الثانية، وتعليل بـلوتارخ لسفره هو الصحيح. و[اقنوب] مدينة تقع على مصب النيل ويدعوها هيرودوتس «معادي» وهليوبوليس هي «المطرية» وسائس هي «سا» وكلاهما من المدن العتيقة الموزلة في القدم.

(٧٧) أنهى افلاطون هذا التاريخ من ذكريات صولون [كما يتضح من مناظرته طيماؤس وكريتياس]. وبحسب ادعائه كانت الاطلانتيس الذي ينسب اليها المحيط الأطلنطي. أكبر مساحةً من آسيا الصغرى وأفريقيا (المعلومة آنذاك). وبصرف النظر عن سعتها فانها غرقت في يومٍ وليلة! ويحدثنا [ديودورس] ان القرطاجيين الذين أكتشفوها فرضوا عقوبة الموت على من يسكنها. ومن ضرور الحدس التي لحقت بهذه الاسطورة هو ان القرطاجيين عرفوا أمريكا عن طريقها. وهناك رأي آخر مؤاده ان الانطلانطيدي (الجزر السعيدة) هي المعروفة اليوم بجزر الكناري.

تواترت وقوي سنادها. هذا فضلاً عن ملاءمتها التامة لطبيعة صولون وجدارتها بحكمته وسعة عقله. وان كانت في الواقع لا تتفق وبعض الروايات التاريخية. التي لم تفلح جهود آلاف المؤرخين في ترتيبها وتنسيقها وفق نظام يتفق عليه الجميع وترضى عنه كل الآراء. يقولون ان صولون قدم الى [كروسوس] بطلب منه. وكانت حاله عند اللقاء شبيهة برجل البرّ عندما يرى البحر لأول مرة في حياته، فكما يتوهم بكلّ نهرٍ يصادفه بحراً محيطاً، كذلك كان صولون وهو يسير في بلاط الملك مشاهداً العدد الهائل من النبلاء وعليهم انفس الحلل، يحيط بهم الحرس الكثير والسعاة الصبيان. وتوهم في كل واحد بأنه هو الملك، حتى بلغ [كروسوس] وكان هذا يتحلّى باندر وانفس ما يخطر بالبال من الجواهر والذهب ويرتدى أغلى حلل الأرجوان- وبدأ منظره مهيباً فخماً يبهر العين. لكن صولون لم يظهر ما يدل على دهشة واستغراب عندما مثل امامه. كذلك لم يثن عليه بما كان كروسوس يتوقعه. بل اوضح بمسلكه لكلّ عين نفاذه انه رجل يحتقر كل مظاهر الأبهة والفخفة، والاختيال الرخيص الذي ينطوى عليه المشهد. وأمر كروسوس خدمه أن يفتحوا لصولون ابواب خزائنه وكنوزه ويعرضوها لانظاره ولم يكن صولون ليرغب في شيء من هذا. لأنه كوّن فكرته الصائبة عن صاحبها حال ما وقع نظره عليه. ولما عاد من جولته تلك سأله كروسوس: هل عرف أحداً يرفل في مثل سعادتة؟ فأجابه صولون انه عرف شخصاً يدعى [تيللوس Tellus] وهو مواطن اثيني من بني قومه. كان رجلاً نزيهاً ذا ابناء صالحين وثروة لا بأس بها. مات موت الأبطال في ساحة القتال دفاعاً عن بلاده. فوماه كروسوس بسوء الفهم وأفن الرأي لأن مقياس السعادة عنده لم يكن كثرة الذهب والفطنة. وانه فضلّ عليهما حياة وموت رجل بسيط مغمور النسب بالمقياس الى هذا القدر في العظمة والسلطان. ثم انه سأله ثانية: هل عرف رجلاً أكثر منه سعادة غير [تللوس] فأجاب صولون: «بلى، [كليوبيس Cleobis] و[بيتون Biton] وهما شقيقان عظيمي الحب لبعضهما لبعض وابنان طائعان لوالديهما الى أقصى حدود الطاعة ولما تأخر جلب ثورين لجرّ عجلتها، شدّ انفسيهما في النيرّ وسارا بالعجلة الى معبد [جونوا] وأكبر جيرانها سعادتها في ابنيها، فامتلات حبوراً، وبعد تقديم القرابين واجراء المراسيم الدينية خرج الشقيقان ليصيبا شيئاً من الراحة وناما ولم يستيقظا، ماتا ميتةً هادئةً هنيئةً وهما في ذروة التشريف والتكريم». قال كروسوس غاضباً: «اذن فأنت لا تعدّنا بين السعداء قطّ؟» ولم يكن في نية صولون مجاملته، ولا اغضابه أكثر مما أغضبه قائلاً: «إن الآلهة أيها الملك قد تفضلت على الأغرّيق بكلّ النعم الأخرى على درجات معتدلة، لذلك كانت حكمتنا عادية بسيطة، لا حكمة ملوكية نبيلة. وهذا ما يمنعنا - بعد ملاحظتنا مالا يحصى من البلايا المحدقة بأحوال



البشر - من التجبّر والتأفف من متع حياتنا آلائية، وبحول بيننا وبين الدهشة لسعادة أي إنسان لأن التبدل يطرأ عليها بمرور الزمن. فالمستقبل المجهول قد يأتي بأي تغيير في حظوظ الانسان. ونحن لانعدّ المرء سعيداً إلا ذلك الذي حبته الآلهة بسعادة دائمة طوال حياته. ونحن لانميل الى وصف المرء بالسعادة وهو في منتصف حياته عرضةً الى تقلبات حظوظه. وليس من سلامة الرأي وثباته أن يُتوجّ مصارعٌ ويعلن فوزه وهو ما يزال في حلبة النزال».

بعد هذا صرفه [كروسوس] وفي نفسه ضيق وانزعاج. ولم يعظه صولون بشيءٍ ما.

كان [ايسوب] مدون الأساطير في [سارديس] قد حُلّ ضيفاً على كروسوس آنذاك بدعوة منه، ونال لديه خطوة كبيرة. وقد اصابه غمٌ عظيم لاساءة استقبال صولون، فأتصل به وقدم له النصيحة بقوله: «اي صولون! فليكن حديثك مع الملوك إما قصيراً أو معقولاً فأجابه صولون: «لا هذا، ولا ذاك، لن يكون قصيراً ولا معقولاً. لذلك استخف [كروسوس] بصولون في حينه. لكن لما تغلّب عليه [كورش] وأستولى على مدينته، وأخذ حياً وحكم عليه بالحرق ووضع فوق اكداس الحطب مقيداً على مشهد من جميع الفرس ويحضور الملك كورش نفسه هتف بأعلى صوته ثلاث مرات: «ايه يا صولون!» فعجب الملك وارسل من يستفسر: اي رجل أو آله صولون هذا الذي استصرخه وحده في ضيقته شديدة؟ فافضى اليه [كروسوس] بالحكاية كلها قائلاً: «انه أحد حكماء الأغرقيق العظام، استقدمته لا ليعظني أو يعلمني شيئاً احتاج اليه. وانما لأريه سعادتي وأشهده عليها فظهر أن البؤس في فقدان تلك السعادة كان أشدّ وقعاً من لذة التمتع بها. عندما كنت حائزاً عليها بداخيرها موضع أخذ وردٍ واحتمالات. اما الآن فقد جلبت خسارتها بلوى حقيقية يصعب احتمالها. وقد أدرك صولون ذلك ونظر الى نهاية حياتي فاستنتج ما سيكون مما هو كائن حينئذ ولم يعتمد على المجهول المشكوك فيه، ولم يزلزل حكمه ما رأي». لما سمع كورش ها الكلام - وكان اوفر عقلاً من [كروسوس] ووجد في المثل الشاخص امامه تجسيداً لنبؤة صولون، لم يكتف باطلاق كروسوس، والعفو عنه بل اكرمه طوال حياته. فكان لصولون أن يفخر في أنقاذ ملك ووعظ آخر.

عندما غادر صولون آثينا بدأ الخصام بين الآثينيين. فترزع المدمعو [اليكورغوس] حيّ السهّل. وترزع [ميغالس ابن ألكميون] سكان الساحل ووقف [پسستراتوس] على رأس حزب حيّ المرتفعات<sup>(٧٨)</sup> حيث يسكن [الثيتس] أفقر الناس، وأعدى اعداء الاغنياء، وأخذت المدينة تتطلع الى حكم جديد، وان ظلت تطبق قوانين صولون الجديدة. وكان امل الثيتس كبيراً

(٧٨) هذه الاحزاب الثلاثة التي انشعب اليها الآثينيون كنا قد نوهنا بها سابقاً وهي على التوالي «بيديائي Pe-diaei» و«پارالي Parali» و«ديكيري Diicirii».

في ان التغيير سيكون أصلح لهم، وسيجعلهم أقوى نفوذاً من الحزب المناويء.

هكذا كانت الأحوال عندما آب صولون فاستقبله الجميع بتجلّة وإكرام. لكن كبر سنّه حال دون قيامه بأي عملٍ أو نشاط. بل حتى القاء الخطب العامة كالسابق. إلا أنه حاول رأب الصدع وتسوية الخلافات بالمباحثات الخاصة مع زعماء مختلف الأحزاب. وبدا له [پسستراتوس] أكثرهم تفاهماً بأنه كان لين العريكة الى أقصى الحدود، لطيفاً غاية اللطف في أقواله. وصديقاً كبيراً للفقراء<sup>(٧٩)</sup>، معتدلاً غاية الاعتدال في خصومته السياسية. وقد أوصله ذكاؤه وفراسته الى ما حرّمته منه الطبيعة لذلك كان موضع ثقة أكثر من الآخرين. وأشتهر بالحصافة وحب النظام والعدل، ومعاداة كل من يحاول النيل من نظام الحكم القائم. بهذا كله استمال أغلبية الجماهير ونجح في اقناعهم. ولم يلبث صولون أن فهم طبيعته، وأدرك نواياه ووقف على خطّته قبل غيره. إلا أنه لم يكرهه بسبب طموحه. وأخذ يحاول تعويده على التواضع وتخليصه من الطموح وكثيراً ما قال له وللآخرين. لو استطاع القائد أن يتخلص من حبّ العظمة ويجتثّها من فكره وبيراً من رغبته في الحكم المطلق فلن يقوم مثله رجلاً فاضلاً ومواطناً ممتازاً في البلاد كلها. وكان [ثسپيس Thespis] في تلك الأيام قد بدأ يغير في شكل التمثيليات التراجيدية، فتعلق الناس بها كبدعة جديدة، وإن لم تصل في حينه الى مرحلة المنافسة والمسابقة. وكان صولون بطبعه ممن يحبّون سماع الأشياء الجديدة وتعلمها وبما انه كان عاطلاً بالغاً أرذل العمر وليس لديه ما يشغل به نفسه غير الخمر والموسيقى، فقد ذهب لرؤية [تسپيس] هذا وهو يمثل جرياً على العادة. وبعد انتهاء والتمثيلية وجه اليه الكلام قائلاً: الا يشعر بالتحجّل وهو ينثر الأكاذيب نثراً امام هذا العدد الكبير من الجمهور؟ فأجابه [ثسپيس] قائلاً: لا ضرر ثمّ في ترديد الأكاذيب وتمثيل المسرحيات. فرفع صولون عصاه ودق بها الأرض وقال: «ويحك با هذا! لو أننا حبذنا مسرحية كهذه وأثنيينا عليها فسنجد انفسنا يوماً ونحن نباشر أمثالها!».

فلما أحدث [پسستراتوس] جرحاً بجسمه<sup>(٨٠)</sup> وحمل في عجلة الى ساحة السوق الكبرى وراح يُشير الناس موهماً أن خصومه هم الذين جرحوه بسبب نشاطه السياسي. فثار غضب

---

(٧٩) المقصود بالفقراء هنا ليس أولئك الذين تحلّ الصدقة عليهم. فأمثال هؤلاء لم يكن لهم وجود في أثينا. يقول [ابزوقراطس] «في تلك الايام لم يكن ثم مواطن مات بسبب الفقر. ولم يكن ثم من يستجدي في الطرقات جالباً على المجتمع العار».

(٨٠) يضيف هيرودوتس (٥٩:١) انه جرح أيضاً بغال عجلته، وفي خطبة حماسية لبني قومه ذكرهم بمأثرة في خدمتهم ضد الليغاريين الخ... وقد وقع هذا الحدث في اثناء الاولپياد الثامن والخمسين = ٥٦٠ ق.م [ارسطو دستور أثينا ١:١٤].

الجمهور وراح يهتف له، وتقدم منه صولون وقال له: «يا ابن هيبوقريطس، انك تقدم نسخة غير دقيقة من أوديسا [اوليسوس] هوميروس، عملها ليخدع بها أعداءه، بينما فعَلتَها انت لخداع بني قومك»<sup>(٨١)</sup> بعد هذا هاج الجمهور وتدافع لحماية [پسستراتوس] وعقدوا اجتماعاً عاماً فيه تقدم أحدهم وهو [ارسطون] باقتراح يقضى بتخصيص خمسين حامل دبوس لحراسة [پسستراتوس] فعارض صولون في ذلك وتكلم كثيراً بالمعنى الذي ضمنه الابيات التالية:

«لقد سحركم بكلماته المنحقة، وعباراته الأخاذة

الى ان يقول:

حقاً أن كل فرد منكم ذكيّ أريب بنفسه

ولكن ما أن تجتمعوا معاً حتى تكونوا اشبه بشخص غبيّ اجوف!»

ولاحظ ان الطبقة الفقيرة تميل الى تحبيذ الاقتراح بحماية [پسستراتوس] وقد هاج هائجهم، ورأى الخوف يستولي على الاغنياء وهم ينسلون مبتعدين عن مكامن الخطر والأذى. فترك الاجتماع قائلاً: انه أعقل من بعض الناس، وأقوى من بعضهم الآخر. أعقل ممن يفهم الدوافع والغايات، وأقوى ممن فهم و خاف الوقوف في وجه الطغيان. وبعد ان صدر الشعب قراراً يقضي بحراسة [پسستراتوس]، لم تتم الموافقة حول عدد الحرس، إلا أنه لم يهتم بذلك قلامه ظفر وجند العدد الذي شاء منهم وأحتل بهم [الاكروبوليس] فضجت المدينة وسادها الاضطراب، وهرب [ميغاكلس]<sup>(٨٢)</sup> وكل افراد أسرته. اما صولون الهرم - المعدوم النصير فقد خرج الى ساحة السوق الكبرى والقى خطبة على المواطنين، أتّبهم فيها على ضعف نفوسهم وعدم مبالاتهم من جهة أخرى على ان لا يخسروا حريتهم بهذا الشكل الذليل الخانع ثم قال قولته المشهورة:

«في الماضي كان وقف الطغيان مهمة سهلة. أما الآن فليس أدعى الى التمجيد

والفخار من العمل على ازالته عندما بدأ يذّر قرنه ويشتد ساعده.»

لكن الجمهور كان يخشى الانحياز الى صفّه. فأب الى معناه كئيباً وحمل شكة سلاحه ووضعها في شرفة امام باب داره، ومعها العبارة التالية: «لقد انحزت مهمتي في المحافظة على بلادي وقوانين»<sup>(٨٣)</sup> ثم اعتزل كل شيء. ونصحه الاصدقاء بالفرار فأبى، وعكف على

(٨١) الاوديسيّ ٢٤٤:٤-٢٦٤.

(٨٢) ام افلانون وهي سليلة أخ لصولون.

(٨٣) «وان على الآخرين أن يعملوا كذلك». أنظر [ارسطو دستور أثينا ٢:١٤].

قرض الشعر في تأنيب الآتينيين كقوله:

إن ركبتمكم النوائب اليوم لجن اصابكم كلكم فلا تلقوا باللوم على الآلهة. فهي  
آلهة خير والخطأ خطأونا جميعاً. لقد وضعتكم كل الحراس بين يديه، وعليكم الآن  
ان تنفذوا ما يأمر به.».

وقال له كثيرون ان [الطاغية] سينزع منه حياته لهذا السبب، وسئل على من يعتمد في  
البقاء إن كان مصمماً على الاستمرار في هذه الأقوال الجريئة فأجاب «على شيخوختي» ولكن  
لما تسلم [پسستراتوس] مقاليد الحكم أكرم صولون كثيراً ورعاه. ولم يبطل قوانينه وإنما  
طبقها حتى على نفسه وارغم اتباعه على احترامها، وبعث يرجو ملاقاته وطلب النصيح منه  
ووافق على كثير من اقتراحاته. حتى بعد أن انقلب طاغية مستبداً؛ لما اتهم بجريمة قتل أمام  
[الاروياغوس]، مثل بكل هدوء امامه لدفع التهمة عنه وتبرئة نفسه ولكن المشتكين لم  
يحضروا. وأضاف قوانين أخرى جديدة منها: تكفل الخزينة العامة بالانفاق على مشوهي  
الحرب. وهذا ما ذكره [هيراقليدس پونتيكوس]، قائلاً انه اتبع خطى صولون فيما رسمه  
بقضية المدعو [ثيرسيپوس Thersippus] الذي اصابته الحرب بعاهة ويؤكد [ثيوفراستوس]  
ان مشترع قوانين معاقبة العاطلين الذي سبب زيادة الغلة في البلاد والاستقرار والهدوء انما هو  
[پسستراتوس] لا [صولون].

وتوقف صولون عن العمل في اثره الشعري العظيم «تاريخ أو أسطورة الاطلانطيد»، التي  
أخذها عن حكماء [سياس Sais] (٨٤) ورأى من المناسب أن ينقلها للآتينيين، فبدأ بنظمها  
ولكنه توقف، «لا لضيق وقته، بل للكبر سنه وقصود همته عن عمل ضخم كهذا» على حدّ  
قول افلاطون. فأوقات فراغه كانت كثيرة كما يشهد عليه بيته التالي:

«كل يوم ازداد سنًا، واتعلم شيئاً جديداً»

وهذا الآخر: «والآن - فان آلهة الجمال والغناء والخمر» التي هي مصدر سعادة  
معظم الناس اصبحت آلهتي ايضاً.

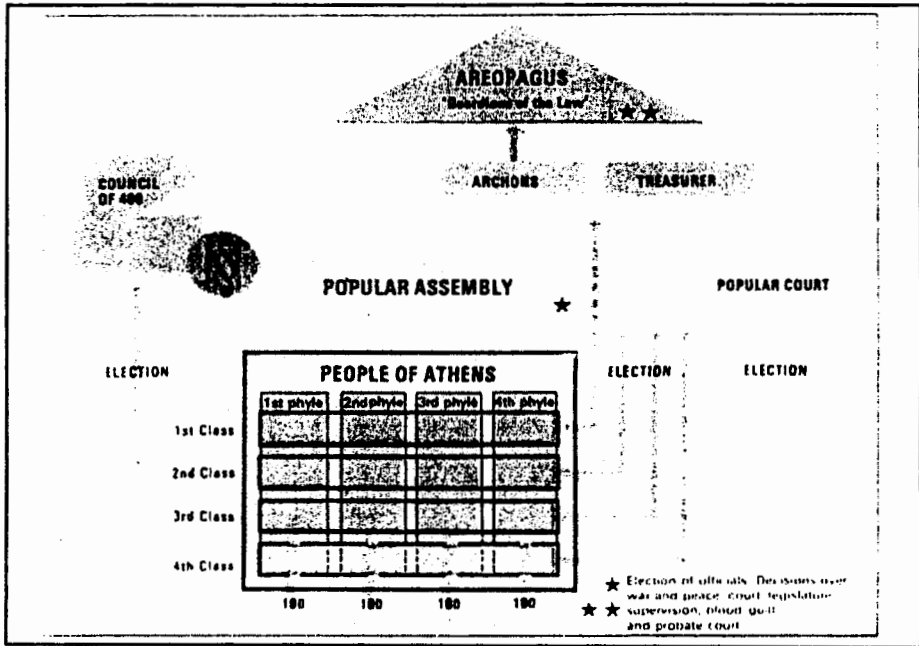
ورغب افلاطون ادخال تحسين على قصة جزيرة الاطلنطيس (٨٥)، كأنها ضيعة جميلة بحاجة  
الى وارث أقبلت تسعى اليه بسند ملكيتها، فعمل لها باباً فخماً وسوراً مهيباً وخطاً لها

(٨٤) لا أثر لمثل هذا الكتاب ولعل نسبته اليه من نسج خيال افلاطون.

(٨٥) يزعم [ديوغينيس ليثرتيوس] انه مات في قبرص [٦٢١:٥٠]. وان تدرية رماد جسده تم بناء على وصيته.  
وسواء أكان ذلك صحيحاً أو ان تضيق ذلك جاء من الكتاب، مباعثادنا ان الجهة التي أختلقت ذلك كانت  
تريد أن اتشبيهه بوصية [ليكورغوس] حول مصير جنمانه بعد موته.

باحات واسعة، وأعتنى بها بشكل لم يسبق لقصة أو أسطورة أو رواية شعرية. إلا أنه بدأها وهو في شيخوخة، فمات عنها ولم يتمها. والقاريء بأسف حقاً لأن القسم الناقص هو الأكبر. ولأن المتعة التي ينالها من هذا الجزء متعة فائقة، وكما تركت أثينا معبد [جوبتر اولپس] ناقصاً كذلك تركها افلاطون. وهو الأثر الوحيد بين آثاره الكثيرة الذي خلفه ناقصاً.

عاش صولون مدة طويلة بعد استيلاء [پسستراتوس] على الحكم كما ذكر [هيراقلیدس پونتنيكوس] إلا أن [فانياس الايرسي Eresien]، يقول انه لم يكمل سنتين. لأن [پسستراتوس] بدأ عهد استبداده عندما كان [قومياس Comias] ارخوناً. ويقولون [فانياس] ان صولون مات في عهد [هيفستراتوس Hegestratus] خلف [قومياس]... أما حكاية نذرية رماد جثته في انحاء جزيرة [سلاميس] فهي سخيفة غريبة يصعب تصديقها<sup>(٨٦)</sup>. أو لاتعدو أن تكون مجرد تخريف. على أن كثيراً من الكتاب الثقات أورودها ومنهم ارسطو.



### دستور صولون

(٨٦) حفيد [ميغاليس] الذي جلب على الأسرج العار وقد سمح له بالعودة من دار المنفى وتعرف اسرته باسم «الكميندائي Alcmaenidae».

پوبلیکولا

**POPPLICOLA**

**،publicola،**

503



هكذا كان صولون، وبه نقارن [پوبليكولا] - منحه الرومان هذا اللقب بالأخير إعترافاً بفضله<sup>(١)</sup> وزيادة في تكريم اسمه القديم [پوبليوس فاليريوس Publius Valerius]<sup>(٢)</sup> وهو من نسل [فاليريوس] أحد مواطني روما الأوائل. وعرف بأنه رئيس العاملين على ازالة الخلافات بين الرومان والسابين. ذو لسان قوي في اقتناع الملوك بالخلاد الى السكينة وتوحيد الشعب. هذا هو نسب [پوبليوس فاليريوس] على ما قيل. نال سمعة داوية في فترة حكم الملوك - لفصاحته، كما اشتهر بغناه. إلا أنه كان يوزع ماله بلا حساب على المعوزين، ويستخدم البلاغة بكفاءة ونشاط في خدمة العدالة، وغدا معروفاً أنه المرشح الوحيد ليستتم المنصب الأول في البلاد فيما لو تغير نظام الحكم وأصبح جمهورياً. إن ارتقاء [تاركوينيوس سوپربوس Tarquinius Superbus] العرش بالخدیعة<sup>(٣)</sup> والغش، وجعله المقام الملكي اداة للإعتداء والطغيان بدل ان يكون حكماً ملكياً عادلاً، ملأ الشعب كرهاً لحكمه وبموت لوكرسيا [التي قتلت نفسها بعد اعتدائه عليها]<sup>(٤)</sup> حانت الفرصة للثورة، وشارك [لوشیوس

(١) في نهاية قنصليته الأولى عندما هدم منزله. وكسر شوكة الفاشي أمام قوة الشعب وعظمته.

(٢) كان فاليريوس فوليو - كما يقول ليفي - أول رجل من أسرته أستقر في روما. وهو واحد من الزعماء الاشراف الثلاثة الذين تبعوا [طاطيوس] الى روما [ديوان ١٠:٢].

(٣) من الانتهاكات الأخرى انه وطئ جسد حميه القتل [سرفيوس تلوس] وهو في طريقه للجلوس على العرش [ديون ٤:١٠] و[ليفي ١:٤٨] وآخرين.

(٤) يقول ليفي [٥٨:١] انها طلبت حضور ابیها وزوجها الى منزلها فأقبل [لوكرسيوس] أبوها برفقه [پوبليوس فاليريوس اي پوبليكولا] وزوجها [لوشیوس يونيوس بروتوس] وعدد كبير من عظماء الرومان وبكلمات قليلة كشفت لهم عن جلية الأمر. وصرحت بعزم ثابت بقرار انها حياها بعد ان تم شرفها. وحثهم على أن لا يتركوا الجريمة التي أقترفها مفتصبها دون عقاب. راحت كل جهودهم لثنيها من قصدها عبثاً وغيبت خنجرها في صدرها. بينما شاع الحزن والأسى في نفوس الجميع، وهنا استل بروتوس الخنجر الدامي ورفعه (وكان حتى تلك الساعة يتصنع الجنون كي لا يناله انى المستبد) وقال: «اقسم بهذا الدم الذي هو في منتهى الطهر. والذي لا يمكن ان يبخسه إلا دناءه تاركوين القذرة. اقسام اني سالاقت تاركوين الغطريس وامراته الشريرة وأولادهما بالنار وبالسيف ولن أدع واحداً من هذه الأسرة يحكم روما. فأشهدي على قسمي هذا ايتها الالهة». بعد ذلك سلم الخنجر لكولاتيئس ولوكرسيوس وفاليريوس وبقية الحاضرين وربطهم بالقسم نفسه. يقول ديونيسيوس: ان بروتوس راح يخطب في الناس جهاراً وعلناً، حتى أن المؤتمرين انتخبه قنصلاً مع كولاتيئس ولما علم تاركوين بالثورة عمل في العودة الى روما فوجد ابوابها موصدة في وجهه ورفض دخوله الى المعسكر فذهب الى «كابيا».



بروتوس [Lucius Brutus] في الانقلاب. واتصل [بقاليريوس] قبل أن يتصل بكل أحد بدلاً من ملك. فوافق [قاليريوس] وقال ان المنصب من حق [بروتوس] لكونه مؤسس الديمقراطية. لكن لما كان اسم (النظام الملكي) بغيضاً من الشعب. وان توزيع السلطة بدأ أكثر اتساقاً واستساغة وموائمة للنظام الجديد. فقد انتخب اثنان ليمارساها، وكان [قاليريوس] يأمل أن يفوز بمنصب القنصل مع بروتوس (\*). فخاب فأله وانتخب [تاركوينيوس كوللاتينوس Tar-quinus Callatinus] (٥) زوج [لوكريسيا] قنصلاً بدلاً منه رغم مساعي [بروتوس] نفسه (\*\*). وهو رجل لا يرقى أحد مرقاه في الكفاءة، لكن البلاء، لخشيتهم من عودة الملوك الذين لم يكفوا عن استخدام كل مجهوداتهم في الخارج وكل وسائل الاغراء في الداخل - استقر رأبهم عليه لكرهه الملوك كرهاً عميقاً واستحالة صفحه عنهم بأية حالٍ من الأحوال.

وأضطرت نفس [قاليريوس] لتوهمه ان حرصه على خدمة بلاده. صار موضع شك، فهو شخصياً لم يتضرر باستبداد الطغاة، ولم يلحق به أذى. ولذلك انسحب من مجلس الشيوخ، وانقطع عن مزاوله المحاماة وأعتزل الحياة العامة، مما أطلق اللسنة بالحديث، واشاع في النفوس خوفاً من أن تدفعه ضغينته الى المعسكر الملكي فيكون بذلك دمار الدولة وهي مازالت تتأرجح بين على أثر الانقلاب الأخير. وكان [بروتوس] يشك أيضاً في نوايا عدد من أعضاء مجلس الشيوخ غيره، فعزم على ربطهم بيمين غموس في هياكل المعابد. وأقبل [قاليريوس] الى الفورم في اليوم المعين وهو في أطيب حالة. وأصفى مزاج وتقدم الشيوخ في حلف اليمين على عدم الخضوع أو الميل الى قضية [تاركوين] بأي شكل من الأشكال، بل التمسك بالحريات العامة أشد التمسك. وهو ما ارتاح له الشيوخ كثيراً. وقوى أيدي (٦) القنصلين. وماعتم عمله التالي أن أظهر مدى إخلاصه ليمينه فقد جاء وفدٌ من [تاركوينيوس] يحمل مطالب لطيفة خداعة يقصد بها التفرير بالناس والتمويه عليهم مظاهرة الملك بمظهر النادم على أعماله واعتدائه، وعزمه على اتباع سياسة الاعتدال في رغباته. ووجد القنصلان من الضروري اذاعة تفاصيل هذه الوفادة على الجمهور إلا أن [قاليريوس] عارض الرأي ولم

(\*) ليقي ١: ٥٨، ٢: ١١.

(٥) سمي بذلك لأنه حكم (كولاسيا) وهي مدينة انتزعها من السابقين تاركوين الأب. ووالده هو (ايجيريوس). وهو وتاركوين المكابر ابنا عم.

(\*\*) ليقي ١: ٦ و ٤.

(٦) بهذا انتهى عهد في روما (٢٤٤ ق.م) وهو التاريخ الشائع إلا ان هذا لا يتفق في الواقع مع منطق الاحداث فنحن لانجد في التاريخ منذ بدئه حتى هذا الزمن سبعة من الملوك (معظمهم لم يميت ميتة طبيعية) حكموا هذه المدة الطويلة من السنين بتعاقب مستمر غير منقطع!

يقبل أن توضع الطبقة الفقيرة - التي كانت تخاف الحرب أكثر مما تخاف الاستبداد لو سنحت لها فرصة الخيار بينهما - موضع حيرة واغراء ازاء خطة الملك الجديدة. ثم أقيمت سفارة ثانية برسالة مفادها أن الملك [تاركوينيوس] لا يمانع في النزول عن عرشه والقاء السلاح ان عوّض هو واصحابه وحلفاؤه عن أموالهم واملاكهم التي تركوها<sup>(\*)</sup>، ليعيشوا في منفاهم بالتعويضات. فمال فريق إلى الأستجابة للطلب ولاسيما [كوللاتينوس] الذي تحمّس للاقتراح. إلا أن [بروتوس] وهو رجل صارم عنيد، اندفع الى [الفورم] وأعلن خيانة زميله القنصل، بقبوله دفع تعويضات للمستبدين، وتزويد أولئك (الذين كان مجرد منحهم ما يعيشون به في المنفى شيئاً منكرًا) بأموال وارزاق تسهل لهم آثاره الحرب. وقد نجم عن هذا اجتماع عام كان اول المتكلمين فيه [كايوس مينيشيوس Caius Minicius] وهو من العامة. ان يعطي ما يريد الا ان بروتوس ذا الطبع الحاقد السريع الثورة أسرع الى الفورم وحضّ الرومان على رفض الطلب واستخدام الأموال ضدّ المستبدين<sup>(٧)</sup>، وحذّر من ارسالها اليهم لثلاث تستخدم ضدهم.

على ان قرار الرومان في الموضوع كان ضد ذلك. قالوا انهم الآن يتمتعون بحريتهم التي حاربوا لاجلها فينبغي عليهم ألا يضحوا بالسلم لأجل المال، ولذلك كان من الأفضل ارسال املاك الطغاة<sup>(٨)</sup> اليهم. إلا أن طلب التعويض كان جزءاً ثانوياً من خطة [تاركوينيوس] فالقصد منه كان جسّ مشاعر الأهلين والتمهيد لمؤامرة جاهد اعضاء الوفد في سبيل تنظيمها، فأخروا عودتهم بحجة شراء بعض البضائع وبعثوا اشخاصاً آخرين الى مرسلهم وبقواهم، حتى تكلفت مساعهم بالنجاح باستمالتهم أسرتين من أعرق الأسر في روما. فال أكويللي Aquilii كان لديهم ثلاثة شيوخ في المجلس، وآل فيتللي Vitellii لديهم شيخان. وهؤلاء كلهم أولاد اختي [كوللاتينوس]. هذا فضلاً عن أن [بروتوس] كان مرتبطاً برابطة المصاهرة مع آل فيتللي، لأن زوجته وام اولاده هي أختهم<sup>(٩)</sup>. وكان من ابناؤه شابان يناهزان في السن ابناء آل

(\*) ليقي ٢:٣، ٥.

(٧) يقول [ديون] ان الموضوع نوقش بهدؤ وبكثير من التجرد في مجلس الشيوخ، وعندما أستعصى الحلّ، ووصلوا الطريق المسدود «هل يفضل الشرف أم المنفعة؟» أحالوا المسألة الى الشعب. فصادق هذا باغلبية صوت واحد على تفضيل الشرف. وضرب أول مثل للشعور بالكرامة الوطنية ويقول المؤرخ نفسه، انها لم تكن السفارة الثانية بل اقتراحاً ثانياً من السفارة الأولى وكان الغرض كسب الوقت.

(٨) المرجع نفسه ٢:٤، ٣.

(٩) يذكر [ديون] و[ليقي] انها أم ولدين فحسب. لكن المؤلف يتفق مع أولئك الذين يقولون ان العدد أكثر من هذا، وان [ماركوس بروتوس] الذي شارك في قتل [قيصر] هو من ذرية أحدهم. ويتفق [شيشرون] مع الرأي الثاني أو انه يتظاهر بذلك ليضفي على قضية (بروتوس) وشخصية شعبية أكثر.

فبتللي وبربطهما معاً رابطة صداقة وثيقة فضلاً عن القرابة فيكادون لا يفترقون نهراً. وتم ادخال ابني برتوس في المؤامرة، وأن يتحالفوا مع بيتهم الكبير، ويعملا لتحقيق آمال التاركونين في استعادة ملكهم، والتحرر من استبداد ابيهما وحماقته (كذا كان يطلقان كلمة الاستبداد على صرامة ابيهما مع المجرمين! في حين ان الحمق كان مظهراً يتقنع به منذ عهد بعيد ليحمى نفسه من اعتداء الطاغية. وقد ظلت الصفة لاصقة به اسماً على الأقل) هكذا اتصل الشابان بآل أكويلي وتم التفاهم بينهم، ولم يتحرجا من ربط نفسيهما بقسم ديني غليظ موثق بلطعة من دم رجل قتيلا قدم قرباناً لهذا الغرض! ولمس احشائه. واجتمع المؤتمرون في دار آل اكويلي<sup>(١٠)</sup>.

وكان موضع الاجتماع داراً ملائمة مظلمة نسير مطروقة. وصادف أن عبداً يدعى [فنديشيسوس Vindicius]<sup>(١١)</sup> كان في الدار بمحض الصدفة. وشاهد ما ظهر على القادمين من انشغال وعجلة. فركبه الخوف من افتضاح أمره وأخفى نفسه وراء خزانة. وأمكنه من مراقبة حركاتهم وسكناتهم وسماع أحاديثهم. فعلم بخطتهم وتتضمن قتل القنصلين، وتابعهم وهم يكتبون الرسائل الى [تاركونينوس] بهذا المآل. ويدفعون بها الى السفراء الذين كانوا ضيوفاً في دار آل اكويلي<sup>(١٢)(١٣)</sup> وحاضرين في الاجتماع.

بعد انصراف المؤقرين، إنسلّ [فنديشيسوس] سراً من البيت، لكن الخيرة استبدت به ولم يدر ماذا يفعل. لأن أخبار الأب [بروتوس] عن أبنيه، وأخبار الحال [كوللاتينوس] عن اولاد الأخت بدأ له أمراً صعباً ثقيلاً وهو كذلك والحق يقال. ولم يكن ليركن أو يثق بروماني واحد ليفضي اليه بهذه الاسرار الخطيرة، كما لم يكن قادراً على التزام الصمت واحتمال عبء هذه المعلومات الثقيلة. أخيراً أسرع الى [فاليريوس]، مسوقاً بما أشتهر من رقة بتواضع، ولسهولة الولوج الى بيته الذي لم تكن ابوابه تغلق في وجه المحتاج ومظلمات الناس البسطاء، وكانت امرأة فاليريوس وشقيقة [ماركوس] حاضرتين لما نفص [فنديشيسوس] ما في جعبته. فطار

(١٠ و ١٢) يقول [ديون] شعر هذا العبد بشك مزاح يراقب الجماعة، ويؤكد ليفي (٤:٢) انه كان على علم بالمؤامرة فعلاً. لكنه أجل كشفها حتى يجتمع لديه كل الدلائل الدامغة التي تقنع من يسمعاها. ويقول ليفي أيضاً انه قصد القنصلين، أطلعهما على الأمر (٤:٢، ٦).

(١١) بل في بيت آل فئيتللي على ما يزعم ليفي (٤:٢، ٥). وكان تاركونين قد نفذ حكم الموت بوالد (بروتوس) وشقيقه بسبب ما يتعمتان به من غنى لا غير.

(١٢) قد يكون ثم بعض غموض وعدم دقة. لم تجر العادة في ذلك الزمان بان ينزل السفراء في البيوت الخصوصية. فقد كان ثم منزل حكومي مخصص لهم. ويبدو من العبارات التالية في النص أن بعض رسائلهم وعدداً من خدمهم قد احتجزوا في قصر الملك السابق. والعبارة الواردة باللغة اليونانية قد تشير الى انهم دعوا من المنزل المخصص لهم، لقضاء بضعة ايام مع زعيم المتأمرين.

صواب فاليربوس وعلقه البغثة ولم يدع العبد يخرج من منزله وحبسه في غرفة ووضع امرأته حارساً على بابها كما ارسل اخاه في الوقت عين لهاجمة قصر الملك، ووضع اليد اما امكنه على جميع المكاتب. والقاء القبض على من فيه من خدم وحشم في حين أنطلق هو واتباعه المخلصون والاصدقاء وجمع كبير من الخدم والحاشية الى بيت [أكولي] وكانوا بمحض الصدفة خارج الدار، فاقتحموا الأبواب عنوة» ووقعت ايديهم على الرسائل وهي ملقاة في جناح السفراء. وفي اثناء ذلك عاد آل كويلي الى منزلهم واشتبكوا مع المهاجمين عند المدخل محاولين استعادة الرسائل. فقاومهم المهاجمون والقوا بعباءتهم على رؤوس خصومهم. وأخيراً وبعد كفاح طويل أفلت المهاجمون بغنائهم وأسراهم وتسللوا الى [الفورم]. وحصل اشتباك مماثل في قصر الملك، حيث وضع [ماركوس] يده على بعض الرسائل الأخرى وهي مدموسة داخل البضائع لأجل تهريبها الى الخارج، كما القى القبض على الموجودين من خدم الملك واستاقهم الى [الفورم]. وبعد ان قام القنصلان بتهدئة الوضع، جيء بالعبد [فنديشيوس] بايعاز من [فاليربوس] وطرحت التهمة علناً. وقُضت الرسائل، ولم يستطع الخونة انكارها. ومعظم الناس واقفون وكان على رؤوسهم الطير، والهَم مرتسم على الوجوه. ونوّه بعضهم بفرض عقوبة النفي. عطفاً منهم على [بروتوس] وكانت دموع [كوللاتينوس] وصمت [بروتوس] قد أشاعاً بعض الأمل في الرحمة. إلا أن [بروتوس] نادى ابنه كلاً باسمه وقال لهما «الا تستطيع أنت يا [تيطس]، وأنت يا [طيباريوس] أن تدليا بدفاع عن تهمتكما؟» وكرر عليهما السؤال ثلاثاً فلم يلق جواباً خلا الصمت. فأشاح بوجهه ملتفتاً الى ضباط الحرس وقال «لم يبق إلا أن تؤدوا واجبكم» فأسرعوا وقبضوا على الشابين ونزعوا عنهما الشياب واوثقا كتافهما وراء ظهرهما. وشرعوا يجلدونهما بالعصي، وكان منظرهما يقطر القلب. وقيل ان [بروتوس] لم يدُر رأسه ولم يسمح بأي نظرة عطفٍ تلين ملامحه الجامدة الصارمة وترقق منها. وانما كان ينظر اليهما بصرامة وهما يقاسيان مرّ العذاب، الى أن طرحوهما أرضاً وقطعوا رأسيهما بالفأس، ثم غادر محل الاجتماع تاركاً النطق بباقي الحكم الى زميله<sup>(١٤)</sup>. وكان عمله هذا يستحقّ ارفع الثناء وأشدّ التنديد في آن واحدٍ. إن سمو فضائله رفعته فوق

(١٤) قارن النص بما جاء في ليقني ٥:٢، ٩-٥ فهو يدلي بحكاية مختلفة حول سلوك بروتوس وهي بالنص اللاتيني *Quam inter Omne Tempus pater, Valtusque etos eyus Spectacula esset, emimento animo Patrio inter Publicae Poenae Ministrum.* وتعريبه: خلال هذا الموقف المناوئ كانت كل الانظار عالقةً بوجه الأب، حيث كانت آلام الأب واضحةً للعيان.» قارن أيضاً (ديون ٢:٥) الذي يتفق مع بروتوس. اي ان بروتوس لم يكن يظهر اي حزن أو الم ساعة التنفيذ مهما كان شعوره الباطن الحقيقي.

مشاعر الحزن، أو أن عظم سلبه كل شعور بالحزن. وكلا الأمرين ليسا من الطبائع الانسانية الاعتيادية في شيء. فهو إما شعور آله، واما شعور همجي. على أن الأدعى بنا الى المعقول، إن يكون حكمنا عليه خاضعاً لسمعته لا ان تنال سمعته انتقاصاً من ضعف حكمنا عليه. وفي رأي الرومان أن عمل بروتوس هذا، في تثبيت دعائم الحكم الجمهوري كان أعظم من عمل [رومولوس] ببنائه مدينة رومه. وبعد مغادرة بروتوس [الفورم] استولى على المشاهدين، مزيج من الدهشة والرعب وران صمت عام وان أشاع التساهل والرخاوة التي عرف بها [كوللاتينوس] - بغض الثقة في آل اكويلي وشجعتهم على طلب مهلة للإجابة عن التهمة، وطلب تسليم عبدهم [فنديشيوس] وعدم بقائه في حماية متهميهم، وبدا القنصل ميالاً الى تحقيق ذلك، وهم بغض الجمعية. لكن [فاليريوس] لم يقبل بتسليم العبد (وكانت جماعته تحيط به)، ولا بارتفاض الاجتماع قبل انزال العقاب بالخونة. أخيراً تمكن من تحكيم قبضته على آل [اكويلي] واستدعى [بروتوس] لمعاونته، وهاجم فكرة [كوللاتينوس] الخرقاء في فرصه على زميله ضرورة انتزاع حياة ولديه بيديه بينما مال هو الى من بحياة الخونة واعداء الشعب على بعض النسوة من قريباته. فاستاء [كوللاتينوس] مما سمعه وأمر ان ينتزع [فنديشيوس]، وهم [اللكتور] باطاعة الأمر وشقوا الجمع الحاشد اليه وقبضوا عليه وراحوا يضربون كل من يحاول استنقاذه. فوقف اصداقاء [فاليريوس] على رأس المقاومة. وطالب الشعب باحضار [بروتوس] فجاء. وبعد أن ساد الصمت والسكون قال لهم. انه استعمل حقه في اصدار الحكم على ولديه وترك الباقي للاقتراع العام لكل المواطنين الأحرار. و«ليتكلم كل شخص ما يريد، وليتقن من يستطيع اقناعه» ولم يتطلب الأمر القاء خطب ومزيد من النقاش. فما أن طرحت قضية المتهمين في التصويت حتى ادينوا بالاجماع وقطعت رؤوسهم.

كانت قرابة [كوللاتينوس] للملك المخلوع قد وضعت موضع شك واسم أسرته جعله مكروهاً. ممن كان يتعوذ عند سماع كلمة [تاركوين] فحسب. فلما حصل ما حصل وادرك أنه مصدر سخط الجميع، استقال من منصبه وغادر المدينة سراً<sup>(١٥)</sup>. وبالانتخاب الذين جرى للملء منصبه الشاعر فاز [فاليريوس] بأغلبية ساحقة، مع التكريم. واصبح قنصلاً جزاء اخلاصه وحرصه. ووجد أن فنديشيوس يستحق بعض ما كوفيء هو به. فاعتقه وجعله مواطناً رومانياً ومنحه بعدها حق التصويت مع اي حزب شاء الانضمام اليه. ولم ينل العبيد العتقاء حق الاقتراع ولا بعده بزمن، اي من عهد [ايبوس Appius] <sup>(١٦)</sup> الذي ظفر بحب العامة لهذه

(١٥) انظر ليقي ٢:٢ و٣-١٠.

(١٦) ايبوس كلوديوس كايكيوس كان قد عين جنسوراً في العام ٢١٢ ق.م.

المأثرة ومنذ [فنديشيسوس] حتى يومنا هذا وحالة العتق التام<sup>(١٧)</sup> تدعى [فندكتا Vindicta] نسبةً الى اسمه.

بعد ذلك، استبيحت اموال الملوك ونهبها العامّة، وقوِّض بناء القصر، وكان أجمل جزءٍ من «حقل مارس»<sup>(١٨)</sup> الذي يملكه [تاركوينوس] قد كُرس لخدمة ذلك الربّ. واتفق ان كان موسم الحصاد، والغلّة المحصودة ملقاة على الأرض حزمًا. ووجد من غير المناسب أن تلقى للدرس والتذرية أو تنجس بأي استعمال كان، لذلك حملوها الى ضفاف النهر ثم قطعوا أشجاراً وقذفوا بالجميع في الماء لأجل تكريس الأرض وهي خالية من كل شاغلٍ. وكان القاؤها واحدة فوق الأخرى متحازجة فلم يحملها التيار بعيداً وحيث وقفت الدفعة الأولى منها وغاصت في القاع، تكدست الدفعات التالية ولم تجد مجالاً وأشتبك بعضها ببعض، وأخذ مجرى الماء يعمل على رصّها رصاً شديداً وأسفى عليها طبقات من الطمي فثبتت وكبرت وصارت أشبه بالسمنت يلتصق به كل ما يأتي به التيار من طرح. وتعذّر على المجرى اقتلاعه بل رصّه وضغطه فزاد حجماً وتماسكاً بمرور الزمن وانداح حتى تكون سدّ يوقف كل ما يأتي به التيار من تربة. وهو الآن جزيرة مقدسة تقع قرب المدينة، تزدان بمعايد الأرباب والمنتزهات، وتُسمّى باللاتينية «إنتر دووس بونطس Inter Duas Pontes»<sup>(١٩)</sup>. على أن بعضهم يقول أنه الأمر لم يقع اثناء تكريس حقل [تاركينوس] وإنما بعد زمن، لما أوقفت [تاركونيا] كاهنة فستا الحقل المجاور له على النفع العام فكرمت. ومنحت امتيازاً على سائر النساء. وهو ان تكون شهادتها معتبرة، وان يكون لها حق الزواج فأبت استعمال الحق الأخير. وعلى هذه الصورة يروى بعضهم الحكاية.

لما يش [تاركوين] من العودة الى عرشه بطريق التأمّر، التفت نحو التوسكانيين فوجد

(١٧) هناك ثلاث حالات عتقٍ أصولية وليس بينهما ما يقضى اعطاء حق الاقتراع المعتوق. ولم يصل العبد المعتوق الى حالة المواطنة الكاملة الى في الجيل الثالث من نسله.

(١٨) كان الاصح قوله انه أعاد وقف حقل كامبوس ماريوس لان هذا الحقل كان قد أوقف على مارس منذ عهد روملوس. وقد استعاده تاركوين وجعله لمنفعته الخاصة [ديون ٢:٥].

(١٩) الجسر الفابريشي Ponte dei quatro capi بسبب التمثال المرمرى ذي الرؤوس الاربعة، الذي قيل انه يمثل الربّ (يانوس). كان يربطه بالمدينة من ناحية الكاپتول. وجسر جستيا سانت بارثولونا Ponte Ces- tia st. Bartolonea من جهة باب يانيكولين Janicoline (ويسمى الآن جزيرة القديس بارثوليميو) نسبة الى اسم الكنيسة التي بنيت عليه تكريماً لهذا القديس. وقد تكون الحكاية أقرب الى التصديق لو أعتبرنا ان سرعة النهر كانت على أقلها في ذلك الموسم الصيفي القانظ بحيث ان الاشجار التي تقطع من (حقل مارس) المذكور ما كان بالإمكان ان تدفعها قوة التيار، وترتب على الرومان التعاون على جرّها ونصبها في مواضعها لتقوم هياكلهم وشرفات منازلهم على أسس واساطين أكثر ثباتاً. ان طول الحقل يعادل ربع ميل تقريباً وهو مدبب النهاية اشبه شيء بهيكل سفينة.

فيهم استعداداً وترحيباً<sup>(٢٠)</sup>، وشرعوا يعدون له جيشاً جراراً. فهض القنصلان لمقاومتهم على رأس الرومان. وجعلا موضع اللقاء في موقعين مقدسين مخصوصين أحدهما يدعى البستان الآرسي Arsian والثاني هو المرج الايسوفي Aesuvian، ولما بدأت المعركة برز [ارنوس Ar-nus] ابن تاركوين لبروتوس القنصل الروماني، فاشتبكا يدفعهما الكره والغیظ لا اشتباك الصدفة، أحدهما يريد أن يظفيء غلّه وحقده على الاستبداد والآخر يريد ان يثأر لنفسه، فهزما جواديهما واصطدما بعنف فاق المعقول والروية فسقط قتيلين أحدهما بيد الآخر. وأصطدم الجيشان في معركة رهيبة انتهت بعد الجهد الجهيد بخاتمة طيبة فبعد ان ألحق الطرفان احدهما بالآخر خسائر متساوية فرقت ما بينهما عاصفة<sup>(٢١)</sup>، وانتهت القلق [فاليريوس] لجهله نتيجة معركة اليوم ولرؤيته حزن رجاله لمشهد قتلاهم وفرحهم لخسائر العدو. وكان واضحاً للعيان أن عدد القتلى متساوٍ في الجانبين. وكل جيش أكثر احساساً بهزيمة خصمه من احساسه بنصره، عند تقديره خسائره وأرخی الليل سدوله (ليل كالذي يتصوره المرء في أعقاب مثل هذه المعركة) واخذ الجيشان للراحة. واذا بالبستان يزلزل زلزاله على ما قيل - ويصدر منه صوت قائل: «ان خسائر التوسكان تزيد على خسائر الرومان بقتيل واحد فقط» وكان من المؤكد أنه بيان سماوي من آله<sup>(٢٢)</sup>. فاستقبله الرومان بهتاف الفرح وعلامات السرور، بينما هجر التوسكان خيامهم خوفاً وذهولاً وتفرق معظمهم أبادي سباً. وواقع الرومان بالباني وكانوا يناهزون خمسة الآف وأخذوهم أسرى واستولوا على كل ما في المعسكر. ولما احصي القتلى وجد ان التوسكان قد خسروا أحد عشر ألفاً وثلاثمائة قتيل أي بزيادة قتيل واحد عن خسائر الرومان. هذه المعركة جرت في شهر شباط. وسار فاليريوس في موكب الظفر احتفاءً بها، وكان أول قنصل يسوق في موكب النصر مركبة ذات اربعة جياذ، وكان منظراً فخماً. وأستقبله الأهلون باعجاب خالٍ من الحسد أو الغيرة على ما قيل، ولم تكن المواكب التالية بمثل هذه الحماسة والروحانية قط. فلقد أكبر الشعب في [فاليريوس] التكریم الذي اضميناه على ذكرى زميله الصريع، باضافته الى مراسيم التشييع خطبة التأبين، وكان وقعها عند الرومان جميلاً للغاية ووجدوها عملاً سديداً ومدحوها، حتى غدت عادة في عظماء الرجال أن يلقوا خطاب تأبين عامة في جنازات المشاهير من المواطنين، مع تعداد مآثرهم<sup>(٢٣)</sup>. وقد ثبت ان

(٢٠) ليفي [٦:٢، ٤] كان الترحيب من قبل أهالي فيني وتاركويني فحسب.

(٢١) ليفي [١١:٧، ١١] يقول ان التوسكان ولوا مذعورين بعد المعركة.

(٢٢) يذكر ليفي بصدد روايته الحادث عينه (٢:٧، ٢:٢) انه الرب سلفانوس. ويزعم [ديون] انه [فانوس]. وقال بعضهم انه صوت (بان) أحد مساعدي [باخوس] الذي كان أول من أستخدم هذه الخطة لأرغاب جيوش الاعداء.

(٢٣) لم تكن خطب التأبين معروفة عند الأغريق حتى معركة ماراثون كما يؤكد لنا [ديودورس ١١:٢٣] الذي =

قدم هذه العادة عند الرومان يزيد عن قدمها لدى الاغريق. إلا اذا اعتبرنا صولون أول منشيء لها - بقيام الخطيب [أناكسمينيس Anaximenes] في عهده.

إلا أن جانباً من تصرفات فاليريوس ألم الجمهور وأثار سخطه. [فروتوس] الذي يعتبرونه أباً لحرّيتهم لم يقبل الحكم إلا مع شريك في السلطة. فضم اليه واحداً ثم آخر أثناء حكمه. في حين أن فاليريوس بتركيزه السلطان كله في يده، لم يكن يعتبر بأية حال خليفة [فروتوس] في منصب القنصل، بل خليفة [تاركوين] في الاستبداد. صحيح انه القى خطبة في تأبين [فروتوس] لكنه كان يشاهد «العصي والفؤوس» تحفّ به من كل جانب وهو يهبط من منزله الفخم ولم يكن بيت الملك الذي هدمه بأفخم منه، تصرفات كهذه جعلته يبدو أقرب شبيهاً بالملك المخلوع حقاً أن معناه المبني على [الفيليا Velia] كان مهيباً بعض الشيء. فهو يعلو (الفورم) ويشرف على كل ما يجري منه والمرتقى اليه صعب. وكان موكبه وهو يهبط أشبه بالموكب الملكي المهيب. لكنه أثبت كم هو حسن لرجال السلطة المسؤولين ان تكون لهم أذان تسمح بدخول الحقيقة قبل دخول المداينة والملق اليها. فلما ابلغه اصحابه بأقويل الناس وغيظهم من سلوكه لم يستأ ولم نحاول في الأمر. ولم ينتظر لينبلج الصبح على منزله، بل ارسل يستقدم فعلةً وهدادين قوضوه وسووه بالقاع. وفي الصباح الباكر تجمع الناس يتطلعون بدهشة واحترام الى عمله الجليل، مبددين اسفهم لهذا المنزل الجميل الذي اصبح أثراً بعد عين بسبب تحاملهم الظالم، كأن الذي انهدم ليس جماداً بل كائناً حياً. وأضطر القنصل [فاليريوس] الى البحث عن سقف يظله عند اصحابه بعد أن فقد المأوى. فاستضافه هؤلاء حتى بنى له الشعب بيتاً على أرض خصصت له. وكان أقل فخامة من منزله الزائل. والآن يقوم في موقع هذا المسكن المعبد المعروف باسم [فيكا پوتا Vica Pota] (٢٤).

= كان عمره ١٦ سنة عند وفاة فروتوس. فالقانون الذي استنّ بخصوص رثاء وتعداد مآثر عظماء القوم هو ذو تاريخ متأخر، ويسبق بولتارخ الأحداث كثيراً عندما يحدد للقانون عصر صولون وحتى عند السماح به، لم يكن يخطى به إلا أولئك الذي استشهدوا دفاعاً عن بلادهم في حين وسع الرومان من شموله ليدخل في حكمه كل من يقدم لبلاده خدمة في اي مجال [ديون ٣:٥].

(٢٤) لعل المقصود بها ربة النصر Victorese Passesor التي يقوم معبدها عند قدمة الفيليا Velia. لكنه تجنباً لحسد الأهالي أنزل مواد البناء الى اسفل التل وبنى منزله هناك. ويلاحظ أن بولتارخ اورد اسم ربة النصر اصلاً هكذا: اونيكى بوني ويعني باللاتينية القديمة (نصر). وبما انه لم يفهمها حق الفهم فقد استبدلها بلفظة Vicus Publicus وهي لا تعني شيئاً هنا. على أن الاسم الذي جاء في المتن ظهر عند ليفي [٧:٢] ويرجح انه مأخوذ من Vinceres و Potiri واما ما تلا ذلك من خطر على سكنى اي باتريشي بالقرب من الكابتول فقد عزاه بولتارخ في محل آخر الى هذا السبب. لكن ليفي (٢٠:٦) يجعله لاحقاً للحكم على مانليوس، فبعد ان أنقذ هذا السياسي الصرح من الغالين حام الشك في انه يطمح الى اعلان نفسه ملكاً فحكم عليه بالقائه من فوق الصحرة التارية.



قرر [فاليريوس] أن يجعل الحكومة وشخصه مظهرين محبوبين من الشعب، يدل ان يكونا مصدر مهابة وخوف. فأخرج الفؤوس من حزمة العصي. وكان عند دخوله قاعة الجمعية يخفض تلك الحزم دليل احترامه الشعب<sup>(٢٥)</sup>، واعتباره مصدر سلطته واساس حكومته. فقلده القناصل الذين عقبوه وحرصوا على التقليد حتى يومنا هذا وفي رأبي أن إذلال المرء نفسه ليس وسيلة لأظهار التواضع فيه، وانما هو مجرد طريقة لتفادي التخربات والنميمة بالأخذ بأسباب الاعتدال. لأن ما أطرّحه من مظاهر المنصب، اضافه الى سلطانه الحقيقي. وظلّ مرتاحاً مطمئناً الى انه سيبقى مطاعاً محبوباً. والدليل على ذلك انهم منحوه لقب «پوليوكولا» اي «محب الشعب»، فلصق به وأشتهر على بقية اسمائه، لذلك سنظلّ نشر اليه بهذا الاسم في بقية حديثنا عن سيرته.

وأطلق حرية الترشيح لمنصب القنصل<sup>(٢٦)</sup>. وقبل ان يفسح السبيل لشريكه المقبل، واحتياطاً لمفاجآت الصدف وعدم ثقة منه بها ولثلا يفسد الجهل والمنافسة خططه، استن بموجب صلاحيته فقط خير المباديء، واهم الأنظمة، وبدأ بملء شواغر مجلس الشيوخ التي كانت خالية بسبب فتك [تاركوين] باعضائه، أو لموتهم في الحرب الأخيرة، ويذكر المؤرخون أنه أدخل الى المجلس على هذا الأساس مائه واربعة وستين شيخاً. ثم انه سنّ عدة قوانين أعطت الشعب مزيداً من الحرية. ولاسيما ذلك القانون الذي يمنح المدانين حق استيناف أحكام القناصل الى الجمعية العامة. وفي قانون آخر فرض عقوبة الموت على كل من يغتصب منصباً قضائياً دون موافقة الشعب. وسنّ قانوناً ثالثاً للترفيه عن فقراء المواطنين، قضى بالغاء الضرائب عنهم<sup>(٢٧)</sup>. وتشجيع أعمالهم وحرفهم. وهناك قانون في التمرد والعصيان على أوامر القناصل لا يقل صلاحه عن القوانين الأخرى، توخى به منفعة عامة الشعب أكثر من منفعة النبلاء، لأنه يفرض على المتمرد أو العصبي غرامة قدرها عشرة ثيران وشاتين. وثمان الشاة عشرة اوبولات، وثمان الثور مائة<sup>(٢٨)</sup>. وقد حدد السعر هكذا لأن النقود في ذلك الحين كانت نادرة قليلة الاستعمال والتداول عن الرومان، إلا أن ثروتهم الحيوانية كبيرة. ولذلك تجدهم يطلقون على اي مال مُقيم كلمة «پكيوليا Peculia» وهي مأخوذة من لفظة بيكوس Pecus اي ماشية. كما أنهم

(٢٥) إلا في فترات الحروب فقد كانت انفاست توضع وسط الحزمة.

(٢٦) إن أعطى پوليوكولا هذا الحق للجميع فعلاً فمن الأكيد انه لم يطبق فهو نفسه اتخذ التدابير كما سنرى - لانتخاب قنصلين باتريشيين هما لوكريسيوس وماركوس هوراشيوس واتخاذهما زميلين له على التوالي وكان [ليوشوس سكستوس] أول قنصل من طبقة الپليبيين يتولى المنصب بعد احقاب واحقاب من الزمن الذي يحدده پلوتارخ. ولم يدم هذا التقليد غير أحد عشر عاماً [ليثي ٧: ١٨].

(٢٧) أعفي الصناع والارامل، وكبار السن الذين لا أولاد لهم من دفع الضرائب.

(٢٨) قبل هذا كانت الغرامة باهظة جداً بحيث يصاب دافعها بالدمار التام.

صكوا على نقودهم القديمة جداً صورة ثور أو شاة أو خنزير، وسموا اولادهم باسماء «سويللي Suillii» و«بوبولجي Bubulci» و«كاپراري Caprari» و«بورجي Porcii» - من كاپرا Ca-pra اي عنزة، وبورجي اي خنازير (٢٩).

ومع كل هذا الاعتدال والليونة، فرض على جريمة خطيرة واحدة عقوبة شديدة صارمة فقد أباح لأي مواطن ان يقتل اي شخص متآمر قبل المحاكمة، ولا جناح على القاتل اذا قدم دليلاً على تأمر القتل اذ مع انه يبدو أمراً بعيد الاحتمال ان يظل أمرٌ خطير الغاية كهذا في طي الكتمان، كذلك ليس ببعيداً أن يبقى سراً، وإن ظهرت بوادر له قبل فرض الحكم. ولتفويت الفرصة على التآمر أو تعويقها أجاز لأي شخص أن يحبط المؤامرة بقتل المتآمر فوراً. وعظمت مكانة [پوبليكولا] بقانون استحداث بيت المال. فقد وجد من الضروري ان يساهم المواطنون ببعض المال للنفقة على الحروب. ولم يرغب في ان تكون تلك الأموال تحت ضيطة شخصياً ولا أن يوكل بأصحابه أمر حفظها ولا ان يدعها تدخل البيوت الخاصة. فجعل حفظها منوطاً بعبء زحل. ولذلك تراهم الى يومنا هذا يودعون الأموال المجباة هناك. ومنح الشعب حقاً في انتخاب شابين بمنصب أمين خزانة [كوستور Quaestor] (٣٠). وأول اثنين تقلدا الوظيفة هما (پوبليوس فيتوريوس Publius Veturius) و[ماركوس مينيشيوس Marcus Minicius]. وتم جمع مبالغ كثيرة لأن الجباية حددت بمقدار مائة وثلاثين ألفاً، وأعفى الأيتام والأرامل منها. بعد هذا كله صادق على تعيين [لوكريشيوس Lucretius] والد لوكريسيا قنصلاً مزاملاً له ومنحه حق التقدم عليه، إذ نزل له عن (الحرس الفاجي) احتراماً لسنه وبهذا استمر نظام الأقدمية بسبب السن الى يومنا هذا. إلا أن القنصل الجديد [لوكريشيوس] توفي بعد ايام قليلة، فانتخب [ماركوس هوراشيوس] خلفاً له وبقي قنصلاً الى نهاية العام. في تلك الفترة. وحين كان [تاركوين] في توسكانيا يتأهب لحرب ثانية مع الرومان، قيل

(٢٩) الأولى من لوس Lus اي الخنزير أيضاً. والثانية من Los اي الثور.

(٣٠) وظيفة المحتسب (الكويستور) هي المحافظة على أموال الخزانة العامة يحاسبون عليها عند ختام مدة وظيفتهم وهي سنة واحدة. كما انهم ينفقون من الأموال العامة على الخدمات العامة، ويستقبلون السفراء ويقومون برعايتهم ويهتمون بتأمين معيشتهم وتوفير السكن لهم. ولا يمكن ان يسمح لجنرال بموكب نصر إلا بعد أن يقدم للمحتسب حساباً عن الاسلاب والغنائم التي أستولى عليها معززاً بالقسم. في المبداء كان يوجد في الدولة كويستوران، وبتوسع الامبراطورية زيد في العدد، ومع أن هذا المنصب كثيراً ما كان يشغله قناصل سابقون إلا أنه كان يعتبر أول خطوة يخطوها رجل الدولة نحو المناصب الرفيعة. ويظهر أن بولتارخ يشير هنا الى أول تاريخ لاستحداث هذا المنصب [انظر ليفي ١٤:٤] على أن تاكيتوس في الحوايات [٢٢:٩] يعزو انشاءه الى عهد الملوك ويقول ان حق انتخابهم لم ينتقل الى الشعب إلا بعد مرور ثلاثة وستين عاماً على طرد تاركوين.

انه وقع حادث عجيب: باشر [تاركوين] في فترة حكمه بتشبيد بناء الكايبتول حتى شارف على أكماله وقرر اما من تلقاء نفسه أو اطاعة لنبوءة، أن ينصب فوقه تمثال مركبة الجبس الأ انه اضاع ملكه<sup>(٣١)</sup>. وكان التوسكان قد باشروا في صبّ المركبة وصنعوا كوراً. ولم يظهر الجبس تلك الخواص السليمة المعتادة فيه وهي الانكماش والتصلب بعد ان يُفخر ويتبخر منه الماء، بل انتفش وكبر حجمه حتى بعد التصلب والبرودة بحيث أخترق جدران الكور ولم يكن بالامكان أخراجه من فوهته، كما كان نقله في غاية الصعوبة، وعدّ السحرة هذه الظاهرة دليل قوة ونجاح كل من يملك التمثال. وقرر التوسكان الأ يسلموه الى الرومان رغم المحاحم بطلبه اذ ردّوهم قائلين: ان [تاركوين] احق به من نفاه. وبعد ايام قليلة اقاموا سباق خيل، وما يناسبه من حفلات والعباب، وفيما كان سائق مركبة النصر يسوقها بهدوءٍ وعلى رأسه أكليل الغار، يريدان يخرج بها من الحلبة اذا جفلت الخيل ثم جمحت اما بمشيئة الهية، أو بحدث طراً للخيل. فعجز السائق عن كبحها وأفلت زمامها من يده اذ أسرع تعدو بكلّ قواها نحو روما غير عابثة بصياحه وانتهاره وقوة ساعده فأستسلم لها مضطراً ولم يحاول شيئاً معها حتى بلغت الكايبتول، وهنا انقذف السائق منها عند مدخل [راتومينا Ratumena]<sup>(٣٢)</sup>. إثارَت هذه الحادثة عجب التوسكان وهلعهم فنزلوا عن تمثال المركبة للرومان.

كان [تاركوين ابن ماراتوس] قد نذر ان يبني معبد [كايبتولين جويترا] في أيام الحروب مع السابين. فقام على بنائه مع بعده، ابنه أو حفيده المدعو [تاركوينيوس سويريوس]<sup>(٣٣)</sup> ولكنه لم يتمكن من تكريسه لضياح الملك منه قبل تمامه. ولما كمل بناؤه وتمت زخرفته<sup>(٣٤)</sup>، رغب [پولييكولا] في تكريسه إلا أن النبلاء حسدوه على هذا الامتياز فضلاً عن حقدهم السالف عليه لما أصابه من شعبية بسنّه القوانين وادارته دفة الحرب، مما كان يجعله أجدر الناس بهذا الشرف. على اية حال كانوا يحملون له ضغنا، فدفعوا زميله [هوراتيوس] الى طلب تكريس المعبد وفيما كان [پولييكولا] يقود إحدى الحملات العسكرية صوّت على طلب بالموافقة [هوراشيوس] وأخذوه الى الكايبتول خلصة كأنهم عاجزون عن ذلك لو كان پولييكولا

(٣١) كان نصب عجلة فوق اسطح المعابد من الامور المألوفة. ويطلق عليها لهم فاستيجيا Fastigia والزيادة أو التوسع في أي شيء كان يعتبر نذير سوء وبشير يُمن في أن واحدٍ معاً.

(٣٢) اسم الشاب [راتوميناس]. أنظر [پليني ٨: ٤٢].

(٣٣) ليفي يشاركه في شكه [٤٦: ١]. لكنه يميل للقول بانه ابنه. غير ان [ديون ٤: ٢] اثبت بصورة لا يعوتورها شك ان [لوشيوس] و[ارنوس] تاركوينيوس هما حفيدا تاركوين الكبير.

(٣٤) يبلغ طول هذا المعبد ٢٠٠ قدم وعرضه ١٨٥، زينت أوجهته بثلاثة صفوف من الأعمدة. وحف بجوانبه الثلاثة الأخرى صفان من الأعمدة. واقيم في البهو ثلاثة محاريب ليونو ولجونو ولنيرقا و[ديون ٤: ١٣] يعرض وصفاً مفصلاً له.

موجوداً، ويذكر بعضهم أن القنصلين<sup>(٣٥)</sup> اقترعا فرست قيادة الجيش على بوليبيكولا خلافاً لرغبته. في حين يذكر بعضهم أن القرعة رست عليه في تكريس المعبد، وما حدث أثناء مراسيم التكريس.

يعزز هذا الرأي بعض الشيء على ما يبدو الثالث عشر من ايلول الذي وافق البدر التّم لشهر [ميثاگتنيون Metagitnion] تقريباً، أجمع الناس في الكاپيتول وخيم الصمت على الرؤوس، وبعد أن ادّى [هوراشيوس] المراسيم الواجبة وهم بنطق عبارات التكريس انتهز [ماركوس] شقيق [بوليبيكولا] فرصة وفتته المقصودة قرب الباب، وصاح قائلاً «أبها القنصل إن جثة ابنك مسجاة في المعسكر» فأحدثت تأثيراً على كل الحاضرين إلا [هوراشيوس] فلم تنل من أعصابه وكان جوابه على هذا: «القوا الموتى خارجاً حيث شئتم، أنا لستُ في حدادٍ» ثم باشر في اكمال المراسيم. وظهر النبأ كاذباً لكن [ماركوس] أعتقد أن المفاجأة قد تصرف هوراشيوس عن مواصلة الشعائر لكن هذا أدرك الحيلة، أو أظهر ضبط نفس ولم يفسح سبيلاً لمشاعره ان كان قد صدقها.

واصاب تكريس المعبد الثاني ما اصاب الأول من مصير. قلنا ان المعبد السابق بناه [تاركوين] وكرسه [هوراتيوس] وقد احترق ابان الحروب الأهلية<sup>(٣٦)</sup>. أما المعبد الثاني فقد بناه [سيللا Sylla] ومات قبل تكريسه تاركاً هذا الشرف [لكاتولوس Catulus] فأنهزم هذا في الفتنة [القيتيلية]، وشرع [قسپسيان] ببناء الثالث يحالفه فيه النجاح الذي واكبه في كل الأمور الأخرى وعاش لدى اكمال البناء لكنه لم يكن في عداد الاحياء عندما هدم. خلافاً [لسيللا] الذي مات قبل تكريس معبده. اذ ما أن قضى [قسپسيان] نحبه حتى اتت عليه النار. اما المعبد الرابع القائم الآن فقد بناه [دوميتيان]. ولقد قيل أن [تاركوين] انفق اربعين الف اوقية من الفضة على اقامة اسسه فحسب. اما المبالغ المنفقة على طلائه وزخرفته في

---

(٣٥) يؤكد ليفي حصول القرعة (٨:٢) ولعل بليوتارخ أعتمد عليه في النقل. لقد كان ذلك شرفاً عظيماً لأن اسم الدكتاتور كان محفوراً على مدخل المعبد.

(٣٦) يشير الى تدميره أثناء حروب [ماريوس - سيللا] في ٨٢ ق.م. وقد قام الأخير باعادة بنائه مستخدماً اعمدة رخام انتزعها من معبد زفسي في أثينا. لكن لم يوفق الى تكريسه فقد عاجلته المنية قبل تمامه. وذكروا انه قال وهو يعالج سكرات الموت ان هذا هو أسوء ما صادف من حظ طوال حياته. وكرسه كاتولوس في العام ٦٩ ق.م. وقد احترق مرة ثانية عندما كان فيتلوس يضرب حصاراً على [فلافيوس سابينوس] في الكاپتول في العام ٦٩ للميلاد. اي بعد ١٢٨ سنة من تشييده ولا يعلم من كانت له يد في احراقه. [تاكيتوس التاريخ ٣: ٧١ و ٧٢]. وجدد الامبراطور قسپاسيان بناه. ثم احترق مع الكاپتول في العام ٨٠ للميلاد بالأخير اعاد دوميتيان بناه ونقش عليه اسمه دون ان يذكر شيئاً عن أول بناته [انظر سوتونيوس].

أيامنا هذه، فهي تزيد على ثروة أغنياء رومه، وتقدر بما يزيد عن اثني عشر ألف تالنت<sup>(٣٧)</sup>. وكانت اعمدته من المرمر [البنيتيلي] بطول يتسق اتساقاً لطيفاً مع غلظها. وهي الأعمدة التي كنا قد شاهدناها في اثينا، ولم تزدد جمالاً ورواء عندما أعيد نحتها في روما، قدر ما فقدت من تناسق، إذ جعلت مستدقة الأطراف نحيلة وان دهش المرء لما أنفق على الكابتوا فما عليه إلا أن يلقي نظرة على إحدى مقصورات قصر [دوميتيان] أو إحدى قاعاته أو على حمام من حماماته أو مسكن محظية من مخطباته. وستكون على شفتيه قولة [ايخارموس]:

« [الاشراف لا يكشف عن عقلية حرة بل هو مرضٌ عضال والحق يقال] .»

فهو يقول مشيراً الى دوميتيان: « ليس هذا تقى منه ولا عظمة، وانما مرض البناء ورغبة كربة [ميداس Midas] في تحويل كل شيء الى ذهب أو مرمر» وفي هذا ما يكفي.

بعد المعركة التي فقد فيها [تاركوين] ابنه على اثر مبارزته مع بروتوس ولى هارباً الى كلوسيوم Clusium مستجيراً بـ [لاراس پورسنا Laras Porsenna] أقوى ملوك ايطاليا، ورجل فاضل كريم فأجاره وحقق سؤله وطلباته<sup>(٣٨)</sup> وأرسل في الحال أمراً الى رومه بأن تستقبل ملكها [تاركوين] ولما رفض الرومان ذلك أعلن الحرب عليهم محدداً الزمان والمكان اللذين قررها للمعركة وزحف بجيش لجب. وكان [پوليكلولا] قد أنتخب قنصلاً للمرة الثانية<sup>(٣٩)</sup> اثناء غيابه، وأنتخب [تيطس لركريتوس] زميلاً له. فأسرع بالعودة الى رومه.

(٣٧) من أجل تقريب فهم المبلغ للاذهان. نقدر قيمة التالنت الواحد بالسعر الحالي للدولار اعني ما يعادل ٢١٠٠ دولار أو ١٠٠٠ پاون سترليني ان البون الشاسع ما بين ما يملكه المواطن العادي في ايام الجمهورية وايام الملكية يستحق التأمل هنا. ففي عهد (تراجان) لم يكن هناك غني تزيد ثروته عن ٧٠٠٠٠٠ پاون سترليني. في حين أن (ايميليو سكاوروس) اثناء توليه منصب (الايدل) اقام ملعباً مؤقتاً على حسابه كلفه تسعمائة الف پاون سترليني. وتلك (ماركوس كراسوس) ضياعاً وقرى كانت تغل له أكثر من مليوني پاون سنوياً. وترك [كورنيليو بالبوس] في وصيته ٢٥ دينارياً لكل مواطن روماني وهي تعادل خمسين ثلثاً بحساب القوة الشرائية المقارنة الحالية. وكان الكثير من الرومان من يملك ما بين عشرة آلاف وعشرين الف عبد. فلا عجب أن ام رفع العبيد السلاح في وجه روما ونازلوا الجمهورية في حروب طويلة منهكة.

(٣٨) كثير من الشراح يرونه اسم تكريم يخلع على رئيس اللوكومون الاثني عشر أو ما يدعى بـ dodecaechy etruscia. على ان (ديون) يعتبره اسماً لشخص [٤:٤]. كان (تاركوين) توسكاني الاصل الى جانب كونه يساعد ملكاً وقع في ضيق. لم يذكر ليقي ولا ديون أنه أعلن طلباته لروما.

(٣٩) في اثناء قنصلية پوليكلولا الثالثة وكان هوراشيوس پولثيلوس يزامله فيها - زحف (پوسيتا) على روما. (وليقي) في هذا يتفق مع بلوتارخ.

ولأجل أظهار معنوية أعلى من تحدّي [پورسناً] بنى مدينة [سيگليوريا Sigiuria] (٤٠) وجيش پورسنا معسكر على مقربة منه. وانفق مبالغ طائلة في تسويرها وتحكيمها. ووضع فيها سبعمئة رجل من المستعمرين كأن الحرب امرٌ تافه عنده. لكن [پورسنا] قام بهجوم عنيف وارغم المدافعين على التقهقر الى روما. وكاد جيش پورسنا يدرکهم ويدخل المدينة معهم. لكن پوليكولا انقذ الموقف بكرة على العدو من داخل المدينة، وأرغمهم على التراجع. ثم اشتبك معهم في معركة على ضفاف [التبير] وقاومهم مقاومة ضارية وكان العدو يهاجم بجموع هائلة. واصيب [پوليكولا] بجراح بالغة ونقل خارج ساحة القتال. ولم يكن حظٌ زميله [لوكريتيوس] بأحسن من حظه وخاب امل الرومان وتقهقروا الى المدينة حفظاً على أرواحهم. وأحدق برومه خطر داهم وأشرفت على السقوط بيد العدو الذي كان يندفع متقدماً فوق الجسر الخشبي ووقف [هوراشيوس كوكليس Horatius Cocles] (٤١) يصدّم بمعاونة اشجع محاربين في روما: [هرمينينوس Herminius ولارتیوس Lartius] وجاءه لقب «كوكليس» لأنه فقد إحدى عينيه في الحرب. وقيل أن هذه الكنية لصقت به لأنه افطس الانف مفلطحه حتى يكاد لا يبين له أنف ما بين عينيه فيخيل للناظر انه ذو عين واحدة، وكان القصد أنه يُكنى چكلوپس Cyclops (٤٢) لكن الاسم صُحّف الى «كوكلس». بقي [كوكلس] هذا صامداً يصد تقدم العدو حتى تمكن رفيقاه من كسر الجسر خلفه، فالقى بنفسه في الماء بدروعه وسلاحه وسبح الى الجانب الاخر، وهو مصاب بطعنة رمح توسكاني في فخذه. وأعجب [پوليكولا] ببسالته وأقترح حالاً أن يقدم له كل روماني رزق يوم كامل هدية له. ثم منحه قدر ما يستطيع محرائه تحويط ارض بخطر في يوم كامل. كذلك اقام تمثالاً برونزياً تكريماً له في معبد [فولكان] على سبيل التعويض للعرج الذي أصابه من الطعنة.

القى [پورسنا] حصاراً شديداً على المدينة. وانتشرت المجاعة بين الرومان. كذلك قام جيش توسكاني جديد بشن الغارات على البلاد. ولما انتخب [پوليكولا] قنصلاً للمرة الثالثة، قرر تقوية تحصينات المدينة والدفاع عنها دون اللجوء الى تحركات هجومية خارج المدينة. على أنه تسلل سراً (٤٣) وهاجم المغيرين التوسكان والحق بهم هزيمة وقتل منهم خمسة آلاف.

(٤٠) لم تكن سيگليوريا على سبيل التحدي ولا في ذلك الزمن كما يزعم بلوتارخ بل كان بناؤها لتصوير حاجزاً ضد اللاتين والهرنيشي في قنصليته الثانية. بل لعله الموضوع الذي يطلق عليه ليفي (٥:١) سيگينا.

(٤١) هو ابن اخ لهوارشيوس القنصل.

(٤٢) يقول (ديون): لقب بذلك لأنه فقد إحدى عينه في هذه المعركة. كان مقاتلاً رهيباً بدون شك فهو أحد ثلاثة صمدوا الى الأخير ثم انسحب رفيقاه قبل أن يكسر الجسر بعدهما (ليفي ٢:١٠ يذكرها بتفضيل أكثر).

(٤٣) اذاع القنصلان خبراً قام العبيد الهاريون بنقله فوراً الى معسكر التوسكان، مؤداه ان كل القطعان =

إن قصة [موشيوس Mucius] (٤٤) تروى بأشكال مختلفة ونحن هنا لا نرى مندوحة من ايراد الشكل الشائع لها: كان هذا رجلاً يجمع في شخصه كل الخصال والسجايا الحميدة، وابرزها الشجاعة والميل للقتال ولذلك قرر اغتيال [پورسناً]. فتزياً بالزبيّ التوسكاني ونطق بلغتهم. وخرج يقصد طلبته حتى بلغ معسكر الاعداء. ودنا من مجلس الملك. وكان يحف به النبلاء فوق في حيرة لأنه لم يكن يعرف الملك بالوجه، وخاف السؤال للاستيثاق لئلا يفتضح أمره. ولم تطل به الحيرة بل امتشق سيفه وطعن أوّل شخص ظنه الملك فقبض عليه في الحال وفيما كانوا يستنطقونه جيء الى الملك بمستوقد يضطرم ناراً لأجل تقديم القرابين. فدس [موشيوس] يده اليمنى (٤٥) في لهب جمراته وأخذ يحرق [پورسناً] بوجه هاديء لا أثر لما يحسّ بالم فتملك پورسنا الاعجاب به وأطلق سراحه واعاد اليه سيفه، اذ رفعه وقذف به اليه فتلقاه [موشيوس] بيده اليسرى مما دعا الى تكييته [سكيڤولا Scaevola] اي الأعسر. وذكر انه قال معقّباً: «لقد تغلبت على إرهاب پورسنا، لكن كرمه غلبني، والاعتراف بالمنة تضطرنني الى الكشف عما يقصر العقاب عن استخلاصه مني» ثم راح يؤكد للملك بأن ثلاثمائة روماني مثله يحومون الآن حول معسكره يحدوهم العزم على قتله وانهم يتحينون فرصتهم. وصارحه بأنه ليس أسفاً بفشله في القيام بمهمته فهذا حكم القدر. وان رجلاً شهماً شجاعاً مثله يستحق ان يكون صديقاً للرومان لاعدوا. وأصدق [پورسناً] ظنّه وأعلن عن ميله الى المهادنة، لا خوفاً من الرومان الثلاثمائة حسب اعتقادي - بل تقديراً لشجاعة الرومان عموماً (٤٦).

يجمع كلّ الكتاب على أن اسم الرجل هو [موشيوس نكيڤولا] (٤٧) إلا [اثندوروس Athendorus] ابن [ساندون Sandon]، فقد ذكر في كتاب مهدي الى [اوكتافيا] أخت [قيصر] ان اسمه [پوستموس] ايضاً. ولم يكن پوبليكولا يعتبر عداوة [پورسنا] خطراً على رومه قدر ما كان يعتبر صداقته ومخالفته عنهما لها وفائدة. لذلك عهد الى الملك [پورسنا] بمهمة التحكيم بينه وبين [تاركوين]. وأثبت له براهين عديدة أن خصمه من اسوء الرجال وانه

= التي جيء بها من الارياف سترسل للرعي في الحقول. وستكون تحت الحراسة. هذا الطعم أجتذب العدو ليقع في كمين.

(٤٤) C. Mucius Cordus.

(٤٥) ليقي (١٢:٢) يقول ان [پورسيناً] هدد موشيوس بالتعذيب وبالنار ليرغمه على الاعتراف بشركائه وعندها دس موشيوس يده في النار ليثبت له انه لا يقيم اي وزن لتهديده.

(٤٦) [ديون] يعزو الصلح الى هجوم پوبليكولا التاجح الذي جاء ذكره في النص. فيسرده بوصفه نتيجةً لمآثرة موشيوس.

(٤٧) ساندون فيلسوف روائي من طرسوس. كان معلماً لأغسطس ثم لـ طيبيريوس قيصر.

يستحق الحرمان من الملك. لكن [تاركوين] رفض بغطرسة إي تحكيم، ولاسيما تحكيم [پورسنا] الذي نكث بعهد قطعه له، فأغضب جوابه هذا [پورسنا]، وشك في عدالة قضيته، كما أنه مال الى الأخذ بحجج ابنه ارنوس الذي حرص على مصلحة رومه. وعقد صلح بين الطرفين على الشروط التالية: أن ينزل الرومان عن جميع الأراضي التي اغتصبوها من التوسكان. وان يعيدوا اليهم كل الأسرى، وان يستعيد الرومان كل من لجأ منهم الى التوسكان<sup>(٤٨)</sup>. وتوثيقاً لعهد السلم هذا يقدم الرومان رهائن تتألف من عشرة من ابناء الپاتريشيين ومثله من بناتهم. ومن وقع عليه الاختيار [فاليريا] بنت پوبليكولا.

بعد هذه المواثيق توقف كل الأعمال العدوانية. وخرجت البنات الرهينات الى النهر للاستحمام في موضع يؤلف انحناء النهر خليجاً راكد المياه. ولم يجدن حراساً ولا مستطرقاً، فتشجعن للسباحة الى الضفة الأخرى غير مباليات بعمق الماء وقوة التيار. ويؤكد بعضهم ان [كلوليا Cloelia]<sup>(٤٩)</sup> عبرت على ظهر جواد وحملت الأخربات على اللحاق بها. لكنهن أنبن على عملهن بوصولهن سالمات ومثولهن بين يدي پوبليكولا واستنكر الأمر منهن وأشدت قلقه لئلا يفسر العمل تفسيراً سيئاً ويبدو هو أقل حرصاً على العهد من پورسنا. وان تفسر هذه الجرأة الانثوية، اخلاقاً من الرومان وخيانة. فما كان منه إلا أن ردهن الى پورسنا. لكن رجال [تاركوين] وقفوا على القضية فنصبوا كميناً قوياً على الضفة الأخرى يريدون الايقاع بمن يرافقهن. وفيما هم مشتبهون اندفعت [فاليريا] بنت پوبليكولا مخترقة صفوف الاعداء وافلحت في الفرار بمساعدة اثنين من خدمها اما الباقيات فقد طوقن واحدقن بهم الخطر لكن [ارنوس] ابن پورسنا اسرع الى انقاذهن عندما بلغته الابناء. وانهزم العدو وسلم الرومان وشاهد [پورسنا] عودة الفتيات فسأل عمن دبّر الهروب واثار به، ولما ابلغ بأنها [كلوليا] رفعها بنظره اعجاب وسرور وامر ان يقاد اليه أحد خيوله فجيء بجواد مطهم فخم السرج نفيس الحلوى واهداه لها. وهذا ما يقوم دليلاً للذين يزعمون ان [كلوليا] كانت الوحيدة التي عبرت النهر على ظهر جواد. اما من ينكر ذلك فيرى الهدية مجرد اعجاب توسكاني بجرأتها. وعلى اية حال يوجد تمثال فارسة ينتصب في [فيا ساكرا Via Sacra]<sup>(٥٠)</sup> وانت ذاهب الى

(٤٨) طلب من الرومان اعادة سبع قرى كانوا قد انتزعوها من الفينيتيين Veientes في الحروب السابقة (ليفي ١٣:٢).

(٤٩) يدلي [ليفي ١٣:٢ و٦-١١] برواية مختلفة جداً عن حادثة كلوليا. المثل الذي ضربه موشيسوس في الشجاعة آثار حماسة الفتيات وتخليداً لذكراها أقام الرومان في رأس الطريق المقدس تمثال -Virgo insidens equa.

(٥٠) بعبارة لاتقبل لبساً يذكر لنا (ديون) انه لم يعد لهذا التمثال اي أثر في زمانه (ايام أغسطس) فقد اتت النار عليه. على أن پليني (٦:٣٤) يتفق مع پلوتارخ في هذا.



الپالاتيوم، يقول بعضهم انه تمثال [كلوليا]، ويقول آخرون انه تمثال [قاليريا]. وبهذا تصالح [پورسنا] مع الرومان وقدم دليلاً آخر على سماحته بأن أمر جنوده بترك المعسكر بأسلحتهم فقط، وخيامهم ملأى بالقح وغيره من المؤونة، هدية للرومان. ومن هنا جاءت العادة المطبقة الى يومنا هذا، وهو أن ينادى بكلمة «پورسنا» عندما يبدأ أي بيع علني لبضاعة، تخليداً لعطفه، وترى في مجلس الشيوخ ايضاً تمثالاً برونزياً له عتيقاً ساذج الصفة<sup>(٥١)</sup>.

كان [ماركوس فاليريوس] أخو پولييكولا و[بوستيميوس تويرتوس - Postimius Tiber] قنصلين عندما اغار السابين على الرومان وتمكن [ماركوس] بفضل معونة پولييكولا، وتصريف الشؤون العامة عنه من احراز انتصارين كبيرين. قُتِل في اولهما ثلاثة عشر ألف سابيني دون ان يخسر رومانياً واحداً. فأهدي له بيت بُني في الپالاتيوم<sup>(٥٢)</sup> على حساب الخزينة العامة اعترافاً بفضلله. وفي حين كانت ابواب سائر البيوت تفتح الى الداخل. جعلت ابواب بيت ماركوس تفتح الى الخارج، تأكيداً لأعتراف الجمهور الأبدى بحميله، لأن ذلك يشير الى افساحه لاي اقتراح في اقامة قرابين عامة. واليونان<sup>(٥٣)</sup> عموماً كانوا ينهجون هذا النهج في هندسة بيوتهم منذ القديم وهو ما يستدل عليه من تمثلياتهم الهزلية لأن من يريد الخروج الى الشارع يعمل ضجة مسبقة قرب الباب تنبيهها للمارة والمتسكعين في الشارع انتخب پولييكولا قنصلاً للمرة الرابعة، لما هدّد التحالف بين السابين واللاتين باثارة حرب جديدة<sup>(٥٤)</sup>، كذلك انتشر خوفُ غامض في المدينة بسبب تواتر حوادث اجهاض النساء، حتى لم تحصل ولادة واحدة في أجلها الموعود. ورجع پولييكولا الى كتب [السبيلين - Sibyl] line<sup>(٥٥)</sup>، ثم ضحى لپلوتو، وجدّد انشاء العاب معينة أمر بها اپوللو. فاعاد الى المدينة

(٥١) كذلك ارسل اليه المجلس سفارةً مع هدية تتألف من عرش مطعم بالعاج وصولجان وتاج من الذهب. ورداء النصر. ولم يذكر هو أو ليقي شيئاً عن التمثال البرونزي هذا.

(٥٢) نصب امام هذا المنزل تمثال برونزي لثور وهو شعار فاليريوس الذي كان نصره سبباً في المحافظة على الزراعة وخيرات روما (انظر پليني ١٥:٣٦).

(٥٣) كان ل(بوستيميوس) حصته في هذا النصر كما كان له سهمه في الأعمال الجليلة التي تمت.

(٥٤) يعرض ليقي (٦:٢، ٦-٢) وصفاً جد مقتضب لهذه الحرب.

(٥٥) قصدت تاركوين امرأة مجهولة الهوية عارضةً عليه تسعة مجلدات من النبوءات كان قد دونها المدعو سييل من كوما وطلبت ثمناً لها مبلغاً كبيراً من المال أستكثره وابى شراها. فأحرقت ثلاثة منها وعرضت عليه الستة الباقية بالثمن عينه فرفض بسخرية. فأحرقت ثلاثة أخرى وطلبت للثلاثة الباقية الثمن الذي حددته للتسعة. فاستقر الملك من سلوكها العجيب ودفع بالكتب الثلاثة الباقية الى العرافين لفحصها فنصحوا بشرائها مهما غلى ثمنها، ففعل وعين اشخاصاً من ذري الجاه والمكانة أطلق عليهم اسم دووميقرى Duumviri ليكونوا اوصياء عليها. فحفظوها في خزانة تحت معبد (جوبيتر) الكاپيتولي وبقيت هناك حتى أتت نار الحروب المارسية على المعبد [ديون ١٤:٤] هؤلاء الحفظة الاوصياء الذين زيد عددهم فيما بعد الى العشرة، كانوا يعوون الى تلك الكتب يستشيرونها بامر من مجلس الشيوخ كلما أهدق =

الثقة بالآله. ثم استعدَّ للقضاء على تهديد البشر لها، وبدت الاستعدادات العظيمة وأثر الحلف القوي. وكان يوجد بين السابين شخص يدعى [أبيوس كلوسوس - Appius Claus-es] (٥٦) وهو من أعظمهم ثراءً وأقواهم جسماً، ولكن أخلاقه العالية ابرز ما فيه فهو ذو منطق حسن وكلام مقنع، على أنه لم يتخلص من الحاقدين والحساد وتلك حال جميع العظماء المشاهير، لقد زاد من حقدهم عليه وقوفه ضدَّ هذه الحرب وظهوره بمظهر المدافع عن مصالح الرومان. وقيل ان غايته من دفاعه هذا، هو السيطرة على بلاده وإدراكه التام مدى تحبيذ العامة لفكرته. ومدى خطئها عند العاملين لاثارة الحرب. وكان خائفاً من أحواله الى المحاكمة، لكن لما كان اصداقاه قد عاهدوه على الفكرة ووعده بالمساعدة فقد اثار فتنة بين السابين عوقت نشوب الحرب. وكان [بوليوكولا] واقفاً على دوافع هذه الفتنة، فلم يأل جهداً في تأجيج وتوسيع رقعتها. وبعث وقدأ يحمل رسالة الى [كلوسوس] يمدحه فيها ويشيد بطيبته وحسن نواياه قائلاً انه يرى انه لا يليق بالمرء مهتماً بلغ الأذى الذي ناله، أن يطلب من بني قومه ثأره. ولأجل سلامته، يدعو انه شاء الى النزوح عن أرض اعدائه والقدوم الى رومه وسيرحب به الشعب الروماني ويستقبله بالاكرام اللائق بمقامه وسجاياه الرفيعة. فوزن [كلوسوس] المسألة وزناً دقيقاً ووجد انها خير حل تملية الضرورة. وشاور أصحابه واتصل هؤلاء بأخريين والتأم شمل الجميع وشدوا الرحال الى رومه. وكانوا خمسة آلاف أسرة (٥٧) بأطفالها ونسائها. من أطيب السابين خلقاً وأهدأهم مزاجاً وأبلغ [بوليوكولا] بدنوهم فخرج لاستقبالهم بكل مظاهر الحفاوة والصدقة منحهم فوراً حق التصويت وخصص لكل فرد مساحة من الأرض تبلغ إيكرين، على ضفاف نهر أنيو Anio، ومنح [كلوسوس] خمسة وعشرين (إيكرا) واعطاه مقعداً في مجلس الشيوخ، وهذه بداية لسلطة سياسية استخدمها بتعقل وحكمة دفعت به الى احضان الشهرة واكسبته نفوذاً كبيراً. فكان عميداً للبيت (الكلودي) (٥٨) الذي لا يقل شرفاً عن أعرق بيوت رومه.

= بالبلاد خطر عصيان أو حلت بالجيوش الرومانية هزيمة. أو حصلت مخاريق يظن انها طالع نحس. كما كان هؤلاء يترأسون تقديم القرابين، والعرض المسرحي الذي تأمر به تلك الكتب تهدئة للغضب السماوي. (٥٦) يسميه [ديون ٥: ٧] تيطس كلوديوس Titus Claudius وليقي بسميه [أتا كلوسوس Atta Clausus] وفيما بعد [أبيوس كلوديوس Appius Claudiu]. (٥٧) هذا يعني عشرين الف شخص على الأقل، بمعدل اربعة افراد في الأسرة الواحدة، كان نصيب كل فرد نصف إيكرا.

(٥٨) في روما اسرتان شهيرتان باسم كلودي Cloudii أحدهما باتريشية والأخرى بليبيية. الأولى أطلق على أفرادها لقب پولكر Pulcher والثانية أطلق عليهم لقب مارجلوس Marcellus. وقد خرج من الثانية ثلاثة وعشرون قنصلاً، وخمسة دكتاتورين، وسبعة تقلدوا وظيفة جنسور، ونال اثنان من القواد فيها موكبي نصر وتكرمين. ومنها نبغ الامبراطور طيبيريوس ومن اتباعه تالفت العشيرة الكلودية (أنظر ليقي وديون).

إن نزوح هؤلاء هداً من الأمور في بلاد السابين. على أن رؤوساهم وزعماءهم ما كانوا يريدونهم أن يخلدوا إلى الراحة والاستقرار. وزاد من حقهم أن [كلوسوس] اجهض محاولة الانتقام الذي دبروه، بفراره وانحيازه إلى الرومان بعد أن استمر في معارضته له ونجح بتعويق الحرب إلى امدٍ. فساقوا جيشاً جراراً وعسكروا على مشارف [فيدينيا] ونصبوا كميناً بألفين من الرجال قرب رومه، ووزعوا قواته في عدد من الوديان والغابات وزودوها بأمر يقضي عليها بالخروج من مكائنها فتعيث في البلاد فساداً ونهباً وإن تقترب من المدينة ثم تتراجع أمام العدو لتجره خلفها وتوقعه في الكمائن. وما لبث پوليكولا أن وقف على الخطّة من جماعة الفارين فقسم قواته بمجموعات ثلاثٍ واناظ بزوج بنته [پوستيميوس بابولوس Posti-mius Bablus] قيادة ثلاثة آلاف محارب يخرجون مساءً ويحتلون التلال التي تشرف على مكائن الأعداء، ويراقبون حركاته واناظ بزميله القنصل [لوكريتيوس] قوة تتألف من اشجع الرجال واسرعهم لمقابلة خيالة العدو. بينما تولى بنفسه قيادة بقية الجيش الذي أوكلت إليه مهمة التعرض للجيش السابيني. وانتشر فجأة ضباب كثيف وقام [پوستيميوس] في الصباح الباكر بالهجوم على مواضع الكمائن بصياح دارٍ منحدرًا من التلال. وهجم [لوكريتيوس] على الخيالة الحقيقة وحاصر پوليكولا وحلت الهزيمة بالسابين من كل ناحية عسكروا بها وراح الرومان يفتكون بالمنهزمين من غير ان يلقوا مقاومة اذ كان املهم بالنجاة هو الذي يوردهم موارد حتوفهم لأن كل موقع كان يتوهم الموقع الآخر سليماً صامداً فلا يبدي قتالاً ولا يثبت محاربوه في مواضعهم فيخرج من في معسكر إلى الكمين، ومن هم في الكمين يهرعون إلى المعسكر فيلتقي الفارون بالفارين ليجد الاثنان انهما يطلبان الحماية أحدهما من الآخر. على أنه قرب مدينة [فيدينيا] من السابين هو الذي انقذ البقية الباقية منهم، ولاسيما الهاربون من المعسكر. أما من لم ينجح في الوصول إلى المدينة فإما هلك أو وقع أسيراً. ومع ان الرومان يعزون نصرهم إلى أحد ألهتهم فإنهم يقرون بالفضل إلى قيادة قائد واحد. ويقال ان الجنود كانوا يتحدثون فيما بينهم قائلين: «ان پوليكولا دفع بالعدو اليهم وهو أعمى أعرج لا يعوزه إلا السلاسل، ليذبحوه بحد سيوفهم» وغنم الرومان ثروة كبيرة من الأسرى والأسلاب.

بعد أن انجز پوليكولا نصره وادع مقدرات المدينة إلى رعاية خلفائه القناصل. قضى نحبه وانتهت بذلك حياة حافلة بكل ما هو شريف ونبيل<sup>(٥٩)</sup>. على قدر ما تكون حياة البشر، وبدا

(٥٩) يقول ليفي (١٦:٢ و٧) «في السنة التالية انتخب اكريبا مينيموس وپوليكولا پوستيميوس. كان پوليكولا فاليريوس باجماع الكل اعظم الرومان وانبغهم في فنون الحرب والسلام توفي وهو في قمة مجده وبلغ من الفقر حدًا انه لم يخلّف ما يكفي لسد نفقات جنازته لذلك دفن على نفقة الدولة. وليست النساء الحداد عليه مثلما فعلن عند موت بروتوس... كان على پلوتارخ هنا أن ينوه بفقرة تنويها واضحا، لان الجنازة التي =

وكان الشعب لم يكرم الراحل في اثناء حياته الاكرام الواجب وانهم مازالوا مدينين له. فقرروا ان يكون تشييعه شعبياً وساهم كل مواطن بكوادرانس (Quadrans\*) واحد للنفقات واستصدر قرار خاص للنساء بلبس الحداد عليه سنة كاملة وهي شارة تكريم انفراد بها دون غيره. ودفن حسب رغبة الشعب داخل اسوار المدينة (٦٠)، في جزءٍ منها يدعى [قليا Velia]. ومنح نسله امتياز الدفن فيها. والآن لم يعد يدفن هناك أحدٌ عن أعضاء الأسرة على كل حال. اذ يحمل جثمان الميت اليها عادة ويوضع فيها، ثم يأتي شخص ويضع مشعلاً تحت الجنازة ثم يسحبه حالاً، كدليل على امتياز الميت وعلى تنازله عنه. وبعد ذلك يرفع الجثمان ويحمل الى المقبرة.

---

= تنفق عليها الدولة وهي أحياناً من قبيل الشرف الذي تحفله على الميت. ولا شك ان المبلغ الذي أكتبته السكان كان كبيراً.

(\*) عملة رومانية.

(٦٠) في الأصل كانت عادةً إلا ان الالواح الاثنتي عشرة منعت الدفن داخل الاسوار. وبعد هذا صار دفن الموتى يتم على جانبي الطرق الخارجية العامة. وأحتفظ بامتياز الدفن المدينة لأولئك الذين قدموا خدمات جليلة للدولة كما هو الحال عند الاغريق. ويقول [ديون] انه امتياز خصى به بوبليكولا لكن بروتارخ يظنكر في موضع آخر ان [فايربيوس] حظي بهذا الامتياز ايضاً كما حظي به كل من دخل في موكب نصر على ما يؤكد لنا بير Pyrrho من لبارا Lipara.



أوكتافيا

## أوجه المقارنة بين بوبليكولا وصولون

هناك شيء فريد في هذه المقارنة، لا وجود له في أية سيرة من السير الأخرى. وهو أن أحدهما لأبداً أن يكون مقلداً للآخر وأن السابق كان خير مثال للاحق. فعند تأمل عبارة وصولون التي فاه بها امام [كروسوس] بخصوص سعادة [تللوس]. يتضح انها أكثر انطباقاً على بوبليكولا. إذ ان سجايا [تللوس] وميتته المثالية اكسبته صفة اسعد الناس، ومع هذا فان وصولون لم يشد به في شعره، كما لم ينل أحد من صلبه ولا رؤوساً قومه امتياز نصب تذكاري لكن حياة بوبليكولا كانت ابرز حياة بين الرومان، لاخلاقه وللسلطة التي حازها. فيها قد مرّ على وفاته قرابة ستمائة عام<sup>(١)</sup> ومازالت اسر رومه العريقة مثل بوبليكولي - Popico lae ومسالي Messalae وفاليري Valerie<sup>(٢)</sup> تعتبره أصل عراقتها وبذرة نبالتها. ومع ان [تللوس] صمد في موقعه وقاتل قتال الجندي الباسل فإنه قتل على يد اعدائه لكن الأسعد منه حظاً، هو من قتل اعداءه ورأى بلاده منتصرة تحت زعامته وبلغت به مآثره وانتصاراته المجيدة، نهاية سعيدة، وهذا هو مطعم وصولون. وان الصرخة التي أطلقها في قصيدته بهجاء [مينرموس Minnermus] <sup>(٣)</sup> حول استمرار حياة الانسان: «الا فليسر قلب الصداقة المخلص في ركاب نعشي فيصعد حسرة أليمة، ويذرف دمعاً رثاء».

وهي شاهد على سعادة بوبليكولا، فموته لم يقتصر على استدرار الدمع من عيون اصدقائه ومعارفه فحسب وإنما كان مصدر حزن واسى عام لكل المدينة. وبدت النسوة وكأنهن فقدن به ابناً أو أخاً أو أباً. قال وصولون «لست بمن يكره الغنى، لكنني ارفض الغنى الذي يأتي بطريق غير مشروعة لأن عاقبته دينونة. على ان ثراء [بوبليكولا] جاءه بطريق مشروعة، لا بل انفقته

(١) يبدو من هذه العبارة ان بولتارخ كتب هذه السير في بداية حكم الامبراطور تراجان.

(٢) أعني الفاليري الآخرين وهم ماكسيمي، كورفيني، بوتيتي، ليفيني، فلاجي.

(٣) مخترع البيت الخمس في الشعر. هو شاعر موسيقي من كولوفون اشتهر بمريثاته بصورة خاصة. ولم

يصل لنا منها غير مقطوعات قليلة وقد وصفه الشاعر (هوراي) فوق [كالليماخوس].

في اغراض سامية نبيلة. وصرفه على وجوه البر والاحسان ولذلك يجب علينا ان نقرّ بان پوليكولا هو الأسعد وان ما اعتبره صولون اكمل الصلاح وأعظمه توفر في پوليكولا ومارسه وتمتع به في موته.

ويمكن القول ان لصولون بدأ في مجد پوليكولا، كذلك يصحّ القول ان پوليكولا بدأ في مجد صولون باختياره اياه نموذجاً يحتذى ومرشداً في سن الأنظمة الديمقراطية وجدّه من السلطة المفرطة للمنصب القنصلي. والواقع انه نقل عدداً من قوانينه الى رومه مثل اعطاء الحق الجمهور في انتخاب الرؤساء، ومنح الحرية للمحكومين باستئناف احكامهم امام الجمعية العامة كما أعطى صولون هذا الحق للمحلفين. انه لم ينشيء مجلس شيوخ<sup>(٤)</sup> كما عمل صولون، لكنه وسّع المجلس القديم حتى ضاعفه او كاد. ويعود استحداثه منصب امين الخزانة الى صولون نفسه. والحكمة في هذه البدعة انصراف رئيس الدولة الفاضل الى الأمور الهامة، لا مباشرة الأمور الثانوية كالمسائل المالية، اما اذا كان سيء الخلق فقد يزيد المال في غوايته ان انيط به المال والحكم معاً. وكره الاستبداد عند پوليكولا أشدّ منه عند صولون، وفي قوانين صولون لا يمكن معاقبة شخص يحاول اثارة فتنة أو تدبير مؤامرة إلا بعد ادانته قضاءً. بينما اجاز پوليكولا قتله قبل اجراء محاكمته. وارتفعت منزلة صولون حقاً عندما عرض عليه الحكم المطلق بحكم الظروف وقومه يلحون عليه في قبوله. الا أنه أبى ذلك. لكن فضل پوليكولا لا يقل عن فضله، فقد تسلم قيادة لاحدّ لسلطانها فحوكها الى حقوق للجمهور، ولم يستعمل كل الصلاحيات التي يمارسها القنصل بحكم منصبه. وعلينا ان نتذكر بأن صولون كان أول من راعى ذلك:

الشعب يُجلّ قدر حكامه دوماً، عندما لا يعتدون عليه ولا يسايرونه.

ان الغاء الديون كان من معجزات صولون. وكانت وسيلته العظمى لتثبيت حريات المواطنين. إن كل قانون يمنح حقوقاً متساوية لسائر الطبقات هو قانون لا فائدة منه حين يضطر الفقراء الى تضحية تلك الحقوق على مذبح ديونهم. ففي هذه الحالة يكونون رهن اشارة الاغنياء وطوع امرهم سواء في المعابد العامة ومحرابها أو في دور العدل ودواوين الحكومة وعلى الخصوص في اثناء المناقشات العامة، إن أعظم نجاح لصولون اي الغاء الديون ادى فعلاً

(٤) يفهم من النص ان بولاتارخ يقصد الشيوخ (أو مجلس الاربعمائة) لا المجلس الاربواغي، ان مجلس الاربعمائة الذي يقرر ما يجب عرضه على الشعب من أمور. وليس ثم ما يمكن اقتراحه غير ما تم عرضه على الجمعية العامة وهضمه هؤلاء، لذلك المجلس على قدر الإمكان وسيلة لخبج الشهوة الى الاستبداد عن الحكام الاعلى، والرغبة في الحرية المطلقة من كل إسار عند الطبقات الدنيا فالاربواغوس يكبح الاولين، ومجلس الشيوخ اداة استئصال الثاني.

الى اجحاف بحقوق طائفة من الدائنين الا انه كان علاجاً خطراً فعلاً انهي الأجحاف العام الذي أزم الوضع في المدينة. وسمعة صولون الشخصية وقيمته ترتفع كثيراً عما وصم به من سوء التغيير وانتقص من شأن مباديء الحكم التي وضعها، فقد كانت نسيج وحدها، لم تحذ فيها حذو احد وأكملها وحده دون معاونة آخرين وبمجهوده الفردي فحسب، على أن آخر حياة بوليبيكولا كانت أسعد وأحلى من نهاية حياة صولون، فقد شهد هذا الأخير بام عينه انهيار جمهوريته. اما بوليبيكولا فقد خلف دولته بحالة جيدة ونظام تام وبقيت كذلك حتى الحروب الأهلية. وترك صولون قوانينه بعد ان سنها وحفرها على الخشب وغادر آثينا ولم يخلف حماة لها في حين ظلّ بوليبيكولا يجاهد في تثبيت اقدام نظام حكمه، سواء وجد في الحكم أم كان خارجه. ومع علم صولون بنوايا [بستراتوس] واطماعه الا انه لم يحرك ساكناً لوقفه بل ظلّ مكتوف اليدين امام عملية الغضب وهي ما تزال تحبو على أربع في حين قوّض بوليبيكولا صرح الملكية وسحقها وهي في عنفوانها ثابتة البنيان راسخة الجذور لطول العهد بها فكانت ميزاته مساوية لميزات صولون، اللهم الا حسن الحظّ (فقد حالفه وحده دون صولون). وحرية ممارسة السلطان وكلاهما عاملان كفيلان بتحقيق تلك الأهداف<sup>(٥)</sup>.

وفي الشؤون العسكرية نرى أن [دياماخوس Diamachus] الهلاني Plataea، لا يقرّ لصولون حتى بادارة دفة الحرب ضد الميغاريين كما اسلفنا. في حين ان بوليبيكولا خرج منصوراً في معظم الحروب التي خاضها جندياً بسيطاً أو قائداً، اما في السياسة الداخلية فنجد ان صولون لم يتمكن من حمل مواطنيه على مواصلة الحرب لاستعادة سلاميس الأبالخنداع وانتقال الجنون. اما بوليبيكولا فقد عرض نفسه من البداية الى أعظم الأخطار. فأشهر السلاح ضدّ [تاركوين]، وكشف المؤامرة وفضحها وكان العامل الرئيس في القبض على المتآمرين والاقتصاص منهم. ولم يكتف بنفي المستبدين من المدينة بل قضى قضاءً مبرماً على آمالهم في العودة. وكان مسلكه يتسم بالجرأة وقوة العزيمة في الأحوال التي تستدعي التحدي والمقاومة والمعارضة، وهو أجدر بالثناء في المواضيع التي تستدعي استخدام الكلام ولغة السلام وحيث يكون التظام والتنازل واجباً. لقد نجح في كسب صداقة [پورسنا] وهو عدو رهيب لا قبل له بمقارعتة. وقد يحتج بعضهم بان صولون استعاد سلاميس المفقودة في حين تنازل بوليبيكولا عما غنمه الرومان من اراضٍ. لكن عامل الزمن يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار عند الحكم على الأحداث والوقائع، وسلوك السياسي الحكيم يجب قطعاً ان يتأثر بالوضع الراهن كثيراً ما

(٥) يقول (سترابو) انه أرسل في سفارة الى أمير من أمراء الهند يدعى الليتروخادس Allitrochades. وانه كتب تاريخاً للبلاد التي زارها، لا يصح الاعتماد عليه كثيراً.



يجب التنازل عن جزءٍ لئلا يفقد الكلّ، والسماح بالقليل لضمان الكثير. وبهذه الطريقة انقذ  
پربليکولا املاك الرومان الخاصة، باعادة ما غصبوه وكسب مؤناً من العدو لأولئك الذين  
كانت امنيتهم الكبرى الا بقاء على مدينتهم فحسب. وبإيداعه الحكم في النزاع لخصمه نال  
النصر، فضلاً عن نيّله ما كان هو نفسه ينزل عنه بطيب خاطر ليفوز بالنصر، الا وهو قيام  
پورسنا بانهاء الحالة الحرب وتركه الارزاق لهم. متأثراً بالسجايا الرومانية التي وجدها في  
قنصلتهم.

تهمستوكليس

## THEMISTOCLES

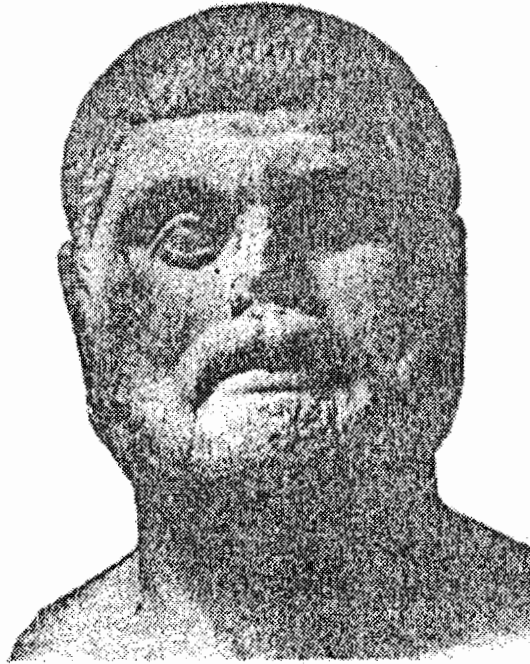
525-460 ق.م

اهم احداث عهده (ق.م)

٤٨٠ انتصار على احشويرش (ارتحششتا) في معركة سلاميس البحرية بعد عشرة اسابيع من مقتل ليونيداس في ثرموبيلي.

٤٧٩ هزيمة الفرس بقيادة ماردونيوس في پلاتيا على يد پاوسنياس.

٤٧١ نفي تمستوكلي بقرار ابعاد ووصوله الى بلاط احشويرش.



تمیستوکلس -- متحف أوستا

كانت الملابس التي صحبت ميلاد تمستوكليس أشد غموضاً وخملاً من أن تشرفه<sup>(١)</sup>. فأبوه [نيوكلس Neocles] لم يكن من الآثينيين المبرزين، بل من سكنة مدينة [فرياري Phrearhi]<sup>(٢)</sup> ومن عشيرة ليونتس واما عن أمه فلقد قيل أنها وضيفة الأصل:

«أنا لست من معشر الأغرقيق النبلاء. أنا [أبروتونون Abrotonon] المسكينة المولودة في تراقيا. فلتحبنى النساء الأغرقيات ما شاء لهن الهوى. فأنا أم تمستوكليس!»<sup>(٣)</sup>

على أن [فانياس] يذكر أن أم تمستوكليس ليست من تراقيا، بل من [كاريا Caria] وان اسمها [يوتيريه Euterpe] لا [أبروتونون]، ويزيد [نياثس Neathes] على ذلك انها من مدينة [هليكارناسوس] في [كاريا]. ولما كان الابناء غير الشرعيين<sup>(٤)</sup>، وبضمنهم المولدون، ومن كان أحد والديه غير آثيني، يترددون على [الكينوسارغس Cynosarges]<sup>(٥)</sup> (وهو نادٍ للمصارعة خارج سور المدينة مكرس لهرقل - وهرقل هو كما لا يخفى من الأرباب المولدين لأن أمه من البشر)، فقد أقنع تمستوكليس عدداً من الشباب أبناء الوجهاء بغشيان ذلك النادي معه ليدلكوا اجسامهم بالزيت ويمارسوا الرياضة هناك. وكانت بدعةً أريبة تهدف الى ازالة التفرقة بين النبلاء والدمماء، ومحو التمايز بين الآثينيين الخالص وبين الموكلدين. على اية حال فهو لاشك يمت بصلة قريى الى البيت اللقودي<sup>(٦)</sup>، لأن [سيموندس] يذكر خبر بنائه هيكل

(١) ينمّ النص عن وجود مقدمة لهذه السيرة مفقودة.

(٢) هذا الحيّ من المدينة، سمي بهذا لوقوعه على الساحل قرب بيوريوس حيث يوجد بئر بالقرب منه موضع يحضر اليه كل محكوم بالنفي لجريمة قتل ارتكبها - عندما يتهم بجريمة أخرى [پاوسنياس ٢٨:١].

(٣) اثينوس ٨ ص ٥٧٦.

(٤) في آثينا قانون يقضي بان كل طفل من أم أجنبية هو ابن سفاح وان كان ثمرة زواج شرعي. ولذا فهو لا يرث اياه. كما كان أحياناً يستثنى من العطاءات التي توزعها الدولة على مواطنيها [انظر سيرة پيركلس].

(٥) عن [پاوسنياس ١٩:١] في هذا الموضع كرسست مذابح لكل من هرقل وزوجه هيبا Heba واهمه ألكميناء، ورفيقه الذي يلازمه ايولوس. وقد شرح (سويداس) أصل الكلمة. والغرض من الفصل الذي ذكره النص هو بلا شك للمحافظة على حسن السلوك ونقاء لغة الشاب.

(٦) Lycomedae من Lycus ابن بانديون. وهي أسرة آثينية قال پارسنياس عنها أن أعضائها هم سدة =

[فليا Phlya] الذي يعود الى تلك الأسرة وتزيينه بالتمثيل والصور وغير ذلك من الزخارف بعد أن أحرقه الفرس.

واجمع المؤرخون انه كان منذ فتوته مندفعاً متهوراً سريع الخاطر، ذا ميل شديد الى خوارق الأعمال، وضروب النشاط مع وضاعه اصله، ولم يكن يقضي أوقات فراغه وعطله الدراسية في اللهو والتبطل كغيره من الفتیان، بل يعكف على كتابة خطبة أو نظم القريض لنفسه، في مواضيع لا تخرج عن نقد زملائه وفي الإعتذار والترسل، وما انفك استاذة يقول له «انك يا ولدي لن تكون شيئاً صغيراً، بل شخصاً عظيماً، ولست ارى لك خلاصاً من هذا، أعظيم شر كنت أم عظيم خير». وكان يضيق بالوصايا التي تبذل له بخصوص تحسين سلوكه وأخلاقه ولا يكثر بها، كما كان يستثقل تعلم كل ما يمت الى الموسيقى وسائر الفنون الثقيفية الأخرى، ويصغى بكل جوارحه الى كل الدروس التي تلقى عليه في السياسة والحكم وادارة الشؤون العامة، وهو اهتمام يشير الاستغراب ممن كان في مثل سنه، ولاشك انه متأت من قابلياته الطبيعية لمثل هذه الأمور. ولما كان فيما بعد يجد نفسه في صحبة أناس جمعهم الانس والطرب وسائر ما يدعى باللهو الحرّ - ويوجد اليه النقد أولئك الذين يعتبرون أنفسهم في أعلى درجات التهذيب، كان مضطراً الى الرد عليهم بصلافة: انه بالتأكيد لا يستطيع ان يستخدم ايّاً من الآلات الموسيقية الوترية، لكن اذا وضعت في يديه بلدة صغيرة خاملة الشأن، فيأمكنه أن يجعلها مدينة عظيمة شهيرة. ويقول ستيسمبروتوس Stesimbrotus<sup>(٧)</sup> من جهة أخرى. أن [ثمستوكليس] كان أحد المختلفين الى دروس [اناكساغوراس] وانه درس فلسفة الطبيعة على يد [ميليسوس Melissus] خلافاً لما ورد في التواريخ<sup>(٨)</sup>. كان [ميليسوس] يقود الساميانين Samian في حصار [بيركليس]، وبيريكاس أصغر سناً من تمستوكليس بكثير. وكان [اناكساغوراس] على صلة وثيقة [بيريكاس] أيضاً، وبذلك يدعم هؤلاء قول

= معبد كيرسه Cerse ومتولى امور قرابينه في هذا المعبد الذي اعاد (ثيفس) بناءه تمارس طقوس التكريس وما اليها من الأسرار وقد انيطت حراسته بقبيلة چكروبيس.

(٧) من ثاسوس. شاعر غنائي وسوفسطاني مشهور في أثينا. عاش في ايام كيمون وبيركلس.  
(٨) كانت ولادة [انكساغوراس] في السنة الأولى من الالبياد السبعين (حوالي ٤٢٢-٤٦٠ ق.م) وهو في [كلازوميني] في ايونيا الآسيوية. من مفكري اليونان المشهورين كان عظيم النفوذ في أثينا عندما نفي تمستوكليس. ربح تمستوكليس معركة (سلاميس) في السنة الأولى من الالبياد الخامس والسبعين ودافع [ميليسوس] عن [ساموس] قبالة بيركلس في السنة الرابعة من الالبياد الرابع والثمانين. لذلك لم يكن ممكناً أن يتلمذ تمستوكليس على انكساغوراس الذي كان له من العمر عسرون سنة فحسب عندما انتصر هذا القائد في معركة سلاميس. كما انه لم يتلمذ على ميليسوس الساموسي الفيلسوف الطبيعي الشهير تلميذ پارمينيدس، اذ لم يعل قدره ويرتفع صيته إلا بعد مرور ٢٥ سنة عن المعركة. ويذكر ان حصار ساموس حصل في العام ٤٤٠ ق.م.

القائلين ان تمستوكليس كان أحد المعجبين بـ[منيسيفيلوس Mnesiphilus] الفرياري الذي لا يعد من الفصحاء ولا من من الفلاسفة الطبيعيين بل مُعلماً لما كان يدعى آنذاك - بالحكمة<sup>(٩)</sup>، وهو علم يتضمن شيئاً من الحكمة العملية. والحكمة السياسية ونشأ وتكامل من وقت صولون<sup>(١٠)</sup> كمذهب فلسفي. إلا ان المتأخرين الذين، خلطوا به صناعة المحاماة وعلوم القضاء وحوكوا الجانب العملي منه الى مجرد فن للحديث وصياغة للعبارات، أطلق عليهم عموماً اسم السفسطائيين Saphist<sup>(١١)</sup>. ولصق تمستوكليس بـ(منيسيفيلوس) بعد دخول الأخير حلبة السياسة.

لم يكن تمستوكليس في مبدأ شبابه مترناً هاديء الطبع منتظم التصرفات، فقد أطلق لنفسه العنان وارسلها على سجيته دون رادع من عقل أو إغارة اذن لنصح<sup>(١٢)</sup>. فكان والحالة هذه عرضةً لشتى أنواع المزالق، والتردي في اخطار، وكان كثيراً ما يخلع العذار تماماً وينحدر بسلوكه الى أسفل درك ويتخذ شر السبل وقد أقر هو نفسه بذلك اذ قال: «إن أكثر الأمهار جموحاً وشراسةً قد يغدو أجود حصان ان درب التدريب الصحيح وكسرت شكيته». على ان الذين نبوا على هذه الوقائع قصصاً من نسج مخياراتهم كقولهم ان اباه انكر نسبته اليه وان أمه ماتت حزناً لسوء سمعة ابنها، لاشك يفترون عليه ويكذبون. وهناك فريق يخالف مزاعمهم هذه ويقولون أن أباه صحبه لمشاهدة السفن القديمة وهي جانحة الى الساحل المحطمة متروكة. ليروعه عن ممارسة الشؤون العامة، وليوضح له كيف يكون مسلك الجماهير والدهما ازاء قادتهم وزعمائهم، عندما لايبقى نفع فيهم.

(٩) في الواقع أن الحكماء الأولين كانوا في الوقت عينه من كبار الساسة. وهم الذين يمدون الحكومات بالانظمة والقوانين ويضعون المبادئ، وكان طاليس أول من تدرج في هذا السلم ليبرز عالماً طبيعياً.

(١٠) خلال فترة مائة عام أو مائة وعشرين تقريباً.

(١١) الصوفيست هم في الواقع بلغاء أكثر منهم فلاسفة. برعوا في صياغة الكلام وتنميته بزخرف البيان. وهم سطحيون فكرياً كما يخبرنا [ديوغينيس ليثريتوس]. وأول من سمي بهذا هو (بروتاغوراس) الذي عاش في حدود الالمبياد الرابع والثمانين قبل ميلاد افلاطون بقليل. إلا ان سقراط الذي كان أكثر تعمقاً في مبادئ الأخلاق من السياسة والطبيعة والبلاغة والذي كان يهدف الى تحسين اوضاع العالم عملياً لا نظرياً، فقد أتخذ لنفسه لقباً أو صفة متواضعة وهو الفيلسوف Phelasophos اي محب الحكمة. ونبذ صفة صوفس Sophos اي الحكيم.

(١٢) يقول [ايدرمينوس] في صبيحة يوم شد تمستوكليس اربعاً من الغانيات الاثنيات الى عربة، وحملهن على سحب عربته هذه عبر السيرانكوس على ملا من الناس جميعاً في الوقت الذي كان الاثينيون يجهلون معنى الفجور والانغماس في اللهو والخمر والنساء. لكن ان كان مثل هذه الأمور مجهولاً حقاً عند أهالي أثينا فكيف تسنى لتمستوكليس أن يجد اربع عاهرات يمثل هذه الدرجة من الاستهتار والتبذل بحيث يقبلن بعرض انفسهم على هذا الشكل الفاضح؟

ومن الجلي الثابت أن ذهنه كان مشغولاً بالأمر العامة، مهتماً بها من البداية. كما تملكت روحه عاطفة جائحة للبروز والشهرة واللهفة الى ارفع المناصب. ولذلك قبل بدون تردد أن يكون موضع كره أكبر زعماء المدينة وأوسعهم نفوذاً وسلطاناً ولاسيما [ارستيدس Aristides] ابن [ليسسيماخوس Lysimachus] الذي كان منه على طرفي نقيض دوماً. ومع هذا يبدو ان عداءهما المتبادل نشأ عن حادثة صبيانية تافهة جداً. فكلاهما كان متعلقاً بـ [ستسلاوس Stes-ilaus] الكيوسي Ceos الجميل الصورة، كما ذكر ارسطون الفيلسوف، وعلى أثر ذلك اتخذوا مواقف متعارضة. وتنافساً في ميدان السياسة. ولا يعتقد أن تباين حياتيهما وأخلاقهما أدّى الى زيادة التناقض وحدة الخلاف. لأن اريستيدس ذو مزاج هادي وخلق نبيل، وهو في الشؤون العامة يعمل دوماً لمصلحة الدولة بأمانة وأخلاص وإنكار ذات، دون ان يسعى وراء المجد والشهرة لشخصه. وكثيراً ما كان يضطر مكرهاً الى معارضة (تمستوكليس) والتدخل للحيلولة دون ازدياد نفوذه، وذلك يثير الجماهير ويدفعهم الى كل انواع المغامرات، مبتدعاً مشاريع جديدة على الدوام.

لقد قيل ان تمستوكليس كان يصبو الى المجد، ويتلهف الى القيام بعظام الأمور حتى بدأ مشغول البال متحفظاً كثير الانفراد بنفسه عندما نشبت معركة [ماراثون] مع الفرس، مع انه كان حدثاً. فاذا جرى الحديث أمامه عن مآثر القائد اليوناني المحنك [ميلتياديس]، اب الى بيته وامضى الليل مسهداً واجتوى المغاني التي اعتاد الاختلاف اليها لقضاء الوقت والتسلية وان سئل عما به ردّ على السائلين بقوله: ان التذكارات الحربية التي غنمها ميليتاديس لا تدع له سبيلاً للنوم» وكان يعارض كل من يقول ان معركة [ماراثون] (\*) ستضع نهاية الحروب، ويرى انها البداية لحروب اشدّ هولاً<sup>(١٣)</sup>. ولذلك ظلّ في تأهب واستعداد دائم وابقى المدينة مستعدة استعداداً حسناً متكهناً بما سيحصل، ببعد نظرٍ ولمصلحة بلاد اليونان بأسرها.

تعود الآثينيون اقتسام مستخرجات مناجم الفضة في [لورنتيوم]<sup>(١٤)</sup> فكان تمستوكليس الرجل الوحيد الذي تجرأ فأقترح على الشعب الكفّ عن توزيعها بل صرفها على بناء السفن لاستخدامها في الحرب مع الايجنتان Aeginetans (\*\*)، أغنى اقوام بلاد اليونان، الذين

(\*) في العام ٤٩٠ ق.م.

(١٣) كان واثقاً تمام الثقة بان [داريوس] سيدرك بالآخر بالأسبيل له الى الاغريق الآ مهاجمتهم بحراً بقوة لا يستطيعون معها ابداء اية مقاومة.

(١٤) جبل يقع شرق اتيكيا بالقرب من رأس (سونيوم). هذه المناجم أستغلت تماماً ونضبت في ايام باوسينياس.

(\*\*) ٤٨٤-٤٨٣ ق.م.

حققوا السيادة التامة على البحر بالسفن الكثيرة التي يمتلكونها. وسهل على تمستوكليس اقناعهم بذلك مجتنباً اي ذكر للخطر الآتي من [داريوس] والفرس الذين تفصلهم عن اليونان مسافة شاسعة ولم يكن زحفهم مؤكداً. لذلك ما كانوا يعتبرون حينذاك مصدر خطرٍ كبير. لكنه استخدم الكره الشديد الذي يحمله الآثينيون للايجنيتين استخداماً بارعاً، وحملهم على التأهب. وبنى بالمال المجتمع لهم مائة سفينة<sup>(١٥)</sup> وهي التي حاربوا بها [احشويرش: Xerxes] فيما بعد. وأخذ يحول اهتمام المدينة منذ ذلك اليوم الى البحر بالتدريج اذ كان من رأيه أن بني قومه في البر ليسوا انداداً لجيرانهم، وان في امكانهم دحر الفرس بسفنهم وتزعم المدن اليونانية وبهذا «قلب الآثينيين من جنود محترفين الى بحارة وملاحين يجوبون البحار» على حد قول افلاطون<sup>(١٦)</sup>. وانتقد بأنه نزع الرمح والترس من أيدي الآثينيين وربطهم على لوح التجذيف. ويقول [ستسيمبروتوس] انه نجح في حمل المجلس على المصادقة رغم معرضة [ميليتاديس]. اما وانه جرح طهارة الحكم بهذا العمل واخلاً بتوازنه الصحيح، فهو مما لا يقره الفلاسفة. لأن خلاص اليونان تحقق عن طريق البحر وان هذه السفائن هي صاحبة الفضل في اعادة تعمير المدينة بعد ان دمرت ولم تكن حالها حال المدن الأخرى المنكوبة. و[احشويرش] نفسه شاهد على ذلك، فمع ان قواته البرية لم ينلها ضررٌ بعد هزيمته في البحر، فقد اضطر الى النكوص على اعقابه بعد أن أيقن بالأقل له بمقارعة اليونان. وارى انه لم يخلف وراءه [مارادونيوس Maradonius] لأملٍ خالجه في امكان قهرهم، بل ليحول دون مطاردتهم له.

وأثر بعضهم عن تمستوكليس حبه المال والغنى<sup>(١٧)</sup>. ويعزو بعضهم ذلك الى رغبة في الاكثار من جوده وسخائه، فقد كان يحب التقريب الى الآلهة بكثرة. وينفق ويسرف في اكرام الغرباء، ولذلك كان دوماً بحاجة الى المال. على أن بعضهم اتهمه بالشح والخسة، وقالوا انه لا يتردد في بيع كل ما يهدى اليه من زادٍ ومؤن. ومرة طلب من [ديفيليدس Diphilide] مربى الخيول أن يعطيه مهراً، فرفض ذلك فهدده [تمستوكليس] بأنه لن يمرّ وقت طويل إلا وسيجعل من منزله حصاناً خشبياً. يقصد أنه سيعمل على اثارة نزاع وخصومة بينه وبين أقاربه. وفاق الجميع في اطلابه المجد والشهرة. ولما كان فتى يافعاً لا يعرفه الناس دعا الى داره (إسكليس Episcles) الهرمميوني الضارب الشهير الحاذق، الذي كان الاثينيون يتنافسون على دعوته - ليعزف له على العود، وغرضه من ذلك ان يجلب انتباه الناس اليه

(١٥) العام ٤٨٠ ق.م.

(١٦) القوانين ٤: ص ٧٠٦.

(١٧) هيروdotus ٨: ١١٢، يصوره انساناً جشعاً لا يشبع نهمه الى المال ولعل جمعه الثروة كان يقصد منها تحقيق اطماعه بشراء الاعداد الكبيرة من الانصار، أو ربما ارضاء لنزعة البذخ والاسراف فيه.



وليسألوا عن بيته ويخشوا مجلسه. وعندما حضر الالعب الاولمبية بمتاعه الفخم ومآدبه الباذخة وخيامه واثائه النفيس محاولا الظهور بها على [كيمون] آثار عليه غضب اليونانيين الذين كانوا يرون ان هذا البذخ والفخفة لا يجدران بشاب يافع غير مشهور لا ينتسب الى بيت عريق وليس لديه من الاسباب التي تؤهله لهذا المظهر. وفي مسابقة تمثيل فازت التمثيلية التي انفق عليها بالجائزة<sup>(١٨)</sup>، وكان مثل هذه المسابقات يثير وقتذاك كثيراً من الاهتمام والتنافس. ولذلك عمل تمستوكليس لوحاً ونقش عليه العبارة التالية «تمستوكليس الفرياري أشرف عليها Choregus وفرينيخوس Phrynichus<sup>(١٩)</sup> ألفاها. وأديمانتس كان ارخوناً عند اخراجها». وكانت العامة تحبه كثيراً، فقد اعتاد تحية المواطنين باسمائهم، واطهار نفسه بمظهر الحكم العادل في مشاكل الناس. قال مرة (لسيمونيدس)<sup>(٢٠)</sup> الشاعر الكيوسي الذي طلب منه أمراً غير معقول عندما كان قائداً للجيش<sup>(٢١)</sup>: «لن تكون ياسيمونيدس شاعراً مفلقاً إن كتبت شعرك باوزان مضطربة. ولن أكون حاكماً صالحاً إن صدرت قراراً غير عادل ارضاء لأحدهم» وفي مناسبة أخرى قال يسخر بسينونيدس: «انه رجل أقل تعقلاً من ان يتكلم ضد الكورنثيين سكان المدينة العظيمة. وأقل حصافة من أن ترسم له صور كثيرة ووجهه بهذا القبح».

وارتقى سلم الشهرة درجة درجة وكسب محبة الناس. ومالئ ان تغلب حزبه على حزب [اريسيتيدس] ومنفاه دون محاكمة<sup>(٢٢)</sup>.

(١٨) في زمانه بلغت التراجيديا اليونانية الغاية في النضج. وتعلق بها الآثينيون تعلقاً شديداً حتى ان اهم ما كان يرضي الأهالي من حكامهم وعظمائهم هو ما يقدمه هؤلاء من عرض لخير التراجيديا والاعداد لاخراجها مسرحياً بالزينات والزخرف. كما تخصص جوائز عامة للمجيدين المبرزين.

(١٩) كان تلميذاً ل(ثيسيس) مبتدع فن التراجيديا. وهو أول من أدخل العنصر النسائي الى التمثيليات. واهم ما قدمه «اكتيون، والكستس، دانائيدس». في حدود ٤٧٦ ق.م. وكان اسخيلوس معاصراً له.

(٢٠) أشاد [سيمونيدس] بمعركتي ماراثون وسلاميس في شعره. وقد نظم عدة قصائد ومرثيات وصلنا بعضها. كان صديقاً مقرباً ومحبباً من (پاوسنياس) ملك سبارطه، و[هيرو] ملك صقلية. ولأفلاطون فيه رأي رفيع جداً حتى أنه خلع عليه لقب «الآلهي». أدركته الوفاة في السنة الأولى من الاولمبياد الثامن والسبعين وهو يبلغ من العمر تسعين عاماً تقريباً. ولهذا فلم يكن يتعدى الثمانين عندما وصف معركه سلاميس.

(٢١) ان عبارة «قائد جيش» الواردة في النص لا تنطبق على واقع تمستوكليس هنا وپلوتارخ يستخدم كلمة (زادخوس) اي ارخون. في حين انه لا يمكن ان يكون كبيراً للاراخنة لأن صغر سنه لاتؤهله لإشغال هذا المنصب ذي المسؤولية. ويظهر من توكيديدس (٩٢:١) وهيروبولوس [٧:١٤٢] أنه لم يبلغ هذا المنصب الرفيع الا بعد عدة سنوات.

(٢٢) ٤٨٢-٤٨٤ ق.م. لا يعلم من أستحدث عقوبة الإبعاد. يقول بعضهم انه (بستراتوس) أو بالأحرى ابناؤه. ويقول آخرون أنها أوجدت بعد طرد اسرة بستراتوس. في حين يدعي آخرون بانها قديمة تعود =

ثم زحف ملك الفرس على بلاد اليونان. واجتمع الآثينيون يتشاورون فيمن سينصب قائداً للجيش. وانسحب كثيرون من تلقاء أنفسهم وقد تهوكوا عظم المسؤولية. وكان ثم خطيب جماهيري يدعى إبيكيدس Epicydes ابن يوفيميدس Euphemides وهو رجل فصيح اللسان، خائر القلب عبد للغنى، رغب في تسلّم القيادة وبدأ حظّه جيداً في نيلها، بتفوقه في عدد الأصوات. وقيل ان تمستوكليس لخشيته ان تقع القيادة في مثل هذه اليد، ويضع كل شيء - عمد الى شراء منافسه بالمال ودفع له مبلغاً لقاء تنازله.

ارسل ملك الفرس وفداً مع مترجم يوناني، الى الاغريق يطلب «الماء والتربة»<sup>(٢٣)</sup> اعترافاً منهم بسلطته عليهم وخضوعهم له. فقبض (تمستوكليس) على المترجم ونفذ فيه حكم الموت بموافقة الشعب. لأنه اذاع أوامر البرابرة ومراسيمهم باللغة اليونانية. فنال عمله هذا كثيراً من الثناء. ولم يسكت عن ارثميسوس Arthmuis الزيلي Zelea<sup>(٢٤)</sup> الذي جلب ذهباً من ملك الفرس ليشتري به ذمم الاغريق، فأسقط عنه حقوق المواطنة والغنى جنسيته هو وأولاده ونسله من بعده. على أن أعظم ما عزز مكانته وقوى فيه، هو وضعه حداً نهائياً للحروب الداخلية في اليونان ونجاحه في تسوية خلافاتهم وإقناعهم بنبذ العداوات جانباً طوال حربهم مع الفرس. وكان [خليوس Chileus]<sup>(٢٥)</sup> الأركادي عوناً له في ذلك على مل قيل.

بعد أن أخذ على نفسه قيادة القوات المحاربة الآثينية. راح يُغري أهل آثينا بترك المدينة

---

= الى زمن [ثيسفس] وبمقتضى هذه العقوبة يتم ابعاد الرجال الذين يقوى نفوذهم بحيث يصبح خطراً على المجتمع ويهدد سلامة النظام - الى خارج البلاد لمدة عشرة سنوات [ديودورس المرجع السالف ١١-٥٥ يحدد الابعاد بخمس سنين]. ويجب على المبعد ان يترك حدود آثينا خلال عشرة ايام. والاسلوب المتبع في اصدار هذه العقوبة هو: يعطى كل مواطن كسرة من الفخار أو صدفة فيكتب عليها اسم الشخص الذي وضع ابعاده قيد الاقتراع. ثم تجمع القطع الفخارية بعد أن تكمل ستة آلاف (عدد المصوتين) ثم يبدؤون بفرزها فمن ورد اسمه في اكبر عدد من القطع ينفي عن البلاد لمدة عشر سنوات. وكان الابعاد شائعاً في ارغوس وميليتوس وميغارا وغيرها والابعاد هو غير النفي لأن الاولى مؤقتة، ولأن المبعد يحدد له محل اقامة ولتأصير امواله. وتوقع العقوبة في لحظات تطغى عاطفة الحسد والغيرة والغيب على النفوس. ولايلحق بصاحبها عار ولاتشوه سمعته ولاتسقط حقوق مواطنته.

(٢٣) هذا يعني طلب الخضوع والاستسلام المطلقين. إلا ان هيرودوتس [٢٢:٧] يؤكد بأن كيخسرو لم يرسل مثل هذا الوفد لا الى الآثينيين ولا الى اللقيديميين. لقد عومل سفراء ابيه معاملة في منتهى القظاظلة عندما تقدموا بهذا الطلب، ذا القاهم الآثينيون في الخندق حيث أعتادوا لقاء مجرميهم المحكوم عليهم بالموت قائلين بشماتة «هنا تجدون ما يكفيكم من الماء والتربة».

(٢٤) [زيلة] هي بلدة في آسيا الصغرى تقع بين كبدوكيا والبحر الأسود. إلا ان ارغيسوس عاش زمناً طويلاً في آثينا. ولم يعلن عن «رداعته» لأنه «أدخل الذهب الفارسي» وحاول افساد ذمم عدد من كبار الآثينيين به وتم نفيه بنفير البوق. ينوه [ديموستينس] به أيضاً في [الفيليبات ٤].

(٢٥) وهو الذي مارس نفوذه عند اللقيديميين وأقنعهم بوجود ارسال مساعدة للآثينيين ضد [ماردونوس] فاستجابوا له.

حالاً والابحار بسفنهم ومفاجأة الفرس بالحرب وهم بعدُ على مسافة بعيدة من سواحل اليونان. فعارض فكرته كثيرون. فقاد قوة كبيرة مع اللقيديونيين ومسكوا ممرَ تمپه Tempe للمحافظة على [تسالي] التي أبت الرضوخ لملك الفرس لكن لما عادت تلك القوات دون ان تحقق غرضاً وبات معلوماً ان التساليين فضلاً عن جميع البلاد الممتدة حتى [بويوتيا] قد دخلت طاعة [أحشورش] بدأ الآثينيون يدركون قيمة نصيحة [تمستوكليس] وزادت أهمية مدينتهم، ولذلك أقروا الحرب البحرية وبعثوا به على رأس الأسطول لحماية مضائق ارميسيوم -Artemis-sium<sup>(٢٦)</sup>.

والتقت اساطيل الحلف هنا. ورغب كل الأغرقي ان تكون القيادة العليا للقيديونيين وان يكون زعيمهم [يوريباديس Eurybiades] قد بدأ عاماً لجميع القوات البحرية. إلا ان الآثينيين الذين كان عدد سفنهم يزيد على سفن كل حلفائهم<sup>(٢٧)</sup> أبوا أن يكونوا ثاني أي أول. حتى قام تمستوكليس مدفوعاً بأدراكه أخطار هذا الخلاف، وتنازل عن القيادة الى [يوريباديس] وحمل الآثينيين على القبول. وحفف وقع الأمر عليهم بقوله لهم: إن سلكوا في هذه الحرب مسلح الرجال فسيتحمل هو وحده كل المسؤولية الناجحة عن هذا التعيين. وسيجدون ايضاً ان الاغريق لن يترددوا في الخضوع الى قيادتهم طوعاً. واتضح ان تنازله هذا كان عاملاً أساسياً في خلاص بلاد الأغرقي. وذيوخ صيت الآثينيين في تفوقهم على أعدائهم بالشجاعة وعلى حلفائهم بالحكمة وبعد النظر.

وما ان وصلت العمارة البحرية الفارسية العظمى آفيتي Aphetae<sup>(٢٨)</sup>، حتى أصيب [يوريباديس] بذهول للعدد الهائل من السفن الممتد أمامه. ولما أبلغ بأن مائتي سفينة أخرى تدلف خلف جزيرة سياثوس Sciathus، قرر ان ينسحب في الحال الى الشواطئ اليونانية، ومنها يبحر عائداً الى عدة مواقع في الهيلوبونيس لينضم اسطوله الى الجيش البري المعسكر هناك، فقد كان رأيه انه يستحيل التغلب في البحر على القوات الفارسية المجتمعة. وخشي الأيوبويون Euboeans ان يخذلهم الأغرقي ويتركوهم تحت رحمة العدو. فأرسلوا [بلاغون

(٢٦) في الوقت ذاته فكر الأغرقي في الدفاع عن شعب [ثرموبيلي] برأ ووجهوا اسطولاً لمنع مرور الاسطول البارثي من مضائق (ايثيا) فاجتمع الاسطول في ارميسيوم وهي أحد مرافئ الجزيرة (هذه الواقعة يوردها [هيروdotus بتفصيل ١٧٢:٧]).

(٢٧) يينبنا [هيروdotus] بان الآثينيين ساهموا بـ ١٢٧ سفينة عززت فيما بعد بـ ٥٣ سفينة أخرى في حين كان مجموع ما ساهم له سائر الاغريق لا يتعدى [٩١] سفينة منها (٢٠) سفينة اثينية أصلاً كانت معارة للخليقيونيين [١:٨].

(٢٨) هذه البلدة تقع في خليج [مغنيزيا] وسميت كذلك لأن الارغقوط على قول [سترابو ٩٠] انطلقوا منها في سبيل بحثهم عن الجزة الصوف أو إستناداً الى قول هيروdotus [١٩٢:٧] لأنهم اقلعوا منها تاركين هرقل.

[Pelagon] للمداولة سراً مع [تمستوكليس] ومعه مبلغ كبير من المال، فقبله تمستوكليس منه وقدمه هوية الى [يوريبادس]<sup>(٢٩)</sup> على حد قول [هيرودوتس] ولم يعترض أحد من بني قومه<sup>(٣٠)</sup> الذي لم يكن عنده من المال ما يدفع به أجور بحارته، ولذلك كان شديد الرغبة في العودة. لكن تمستوكليس أثار عليه الاثنيين فهاجموه ولم يبقوا له ما يتعشى به، فأدركه ألم شديد وامتعص، لكن [تمستوكليس] سارع بإرسال مقدار من الأرزاق اليه في صندوق ووضع في أسفله تالنتاً واحداً من الفضة. ورجاه أن يتعشى الليلة، ويدفع غداً لبحارته. وإن لم يفعل فسوف يذيع بين الأثنيين، انه قبل رشوة من العدو. هذا ما رواه [فانياس] اللسبي.

ومع ان المعارك العديدة<sup>(٣١)</sup> التي نشبت بين الأغرقي في مضائق [يوبويا] لم تكن معارك فاصلة يتقرر فيها مصير الحرب. إلا أن التجربة التي استخلصها الأغرقي كانت ذات فائدة جلية. فقد ثبت لديهم عملاً، وفي مواجهة الخطر الحقيقي أن عدد السفن أو الغنى والأبهة والزينة وصيحات الفخر، وانشيد النصر البربرية ليس فيها مما يخيف الرجال الذين عجموا عود القتال وحلبوا أسطره، وسرعان ما أدركهم الاستخفاف بمثل هذه المظاهر وبرزوا الى الاعداء غير هيأين وصارعوهم وقارعوهم وقد شهد [بكدار] ما فعلوا في القتال عند ارتميسيوم ووصفه ادق وصف وأصدقه بقوله:

«... فهناك ثبت أبناء آثينا، الحجر التي استقرت عليها الحربة منذ ذلك اليوم»

إن أول مرحلة الى النصر هو أن يتحلى المحارب بالشجاعة، وكانت ارتميسيوم تقع في [يوبويا] فيما يلي مدينة [هستيا Histiaea]<sup>(٣٢)</sup> يليها ساحل مفتوح نحو الشمال. وتقوم مقابلها على مسافة قصيرة [اوليزون Olizon] في بلاد يحكمها رسمياً [فيلوكتيتس Phi-

(٢٩) يرويه هيرودوتس بالشكل التالي [٥:٨] «لما لم يفلح الاثنيان في اقناع [افريبيادس] بالبقاء في ساحلهم حتى يكلموا نقل زوجاتهم وأطفالهم. فانهم توجهوا الى تمستوكليس ودفعوا له ثلاثين تالنتاً. فرشا افريبيادس بخمسة منه. ثم لما كان [اديامنتس] الكورنثي القائد الوحيد الذي أصر على القاء المراسي، فقد صعد تمستوكليس الى سفينته وقال له باختصار «انك لن تتركنا يا اديامنتس، لأنك ستقبض مني لقاء قيامك بواجبك - ما يزيد على ما سيعطيك ملك الماديين لقاء خيانتك له». وبر تمستوكليس بوعد وارسل له ثلاثة تالنتات. وبهذا انجز ما اراده الاثنيان وأستبقى لنفسه في الوقت عينه اثنين وعشرين تالنتاً.

(٣٠) السفينة المقدسة هي السفينة التي اعتاد الاثنيون ارسالها الى [ديلوس] محملة بقرايين (الابوللو) وهي كما يدعون عين السفينة التي حمل بها [تيسوس] الجزية الى [كريت]. [انظر سيرة تيسوس].

(٣١) اشتبكوا في معارك ثلاث خلال ايام ثلاثة، في آخرها حقق [كلينياس] والد [الكيباديس] الاعاجيب. وكان قد بنى سفينة حربية وجهزها بما عتي مقاتل من حرّ ماله.

(٣٢) [استينا] مدينة ساحلية في [ايثيا] و[أولنيرون] مدينة في تساليا. هنا يشير بلوتارخ الى قيام [فيلوقراطس] بإرسال عدد من جنوده في حصار طوادة [هوميروس الاياذة ٢:٧٧٧].

[Iocetes] و ثم معبد صغير للآلهة ديانا يعرف باسم معبد الفجر يحفّ به الشجر وتكتنفه في سائر جهاته اعمدة من الرخام الأبيض إن فركتها بيدك تلونت بلون الزعفران وفاحت منها رائحة شبيهة برائحته. وقد نقش على أحدها الآيات التالية:

حارب ابنا اثينا في هذه المياه، عدداً لا يدركه الحصر من  
القبائل التي تدفقت من اصقاع آسيا. وبعد ان غلبوا هؤلاء  
الميدبن أقاموا لأرتميس هذا النصب شاهداً على ما عملوا.

و ثم موضع مازالت العين تراه في ذلك الساحل. هو تلّ من الرمال كبير، يستخرج الناس من قلبه مسحوقاً أسود أشبه بالرماد، أو شيئاً أتت عليه النار، والمقول الشائع ان حطام السفن واجساد القتلى قد أحرقت هنا. لكن عندما وردت الأنباء من [ترموبيلي Thermopylae] الى ارقمسيوم<sup>(٣٣)</sup> تنعى لأهلها [ليونيداس Leonidas] الملك، وتقول ان [احشويوش] قد سيطر على كلّ المسالك البرية، تراجعوا الى داخلية بلاد اليونان، وكان الآثينيون قد أوكل اليهم حراسة المؤخرة وحماية التفهقر وهو اشارة تكريم وواجب يحفّ به الخطر. وقد تاه الآثينيون وأختالوا زهوا لما تمّ على ايديهم نتيجة ذلك.

وعندما كان [تمستوكليس] يجوب البحر على طول الساحل، أخذ ينعم النظر في الامكنة والمواضع التي يحتمل ان ترسى اليها سفن الاعداء. وعمد الى كل ما وجده فيها من صخور، وما نقله اليها من قطع رخام قريبة من مواضع الانزال المحتمل، أو على حافة الماء فنقش، نداءات ورسائل بخط كبير يناشد فيها الآيونيين أن يخلعوا نير الفرس ان كان باستطاعتهم ذلك وينضموا الى جانب الاغريق فهم اباؤهم واجدادهم وأصل نسبهم وهم اليوم يخاطرون بكلّ ما لديهم في سبيل حرياتهم. فإن تعذر عليهم ذلك فعليهم ان يعرفوا زحف الفرس، ويوقعوا الاضطراب في خططهم ومعاركهم على الأقل. وكان أمله أن هذه النداءات ستدفع الآيونيين الى التمرد والثورة. أو اثاره المتاعب للفرس، عندما يساورهم الشكّ في إخلاص هؤلاء لهم.

ولم يبعث الأغريق بنجدات لما اجتاز [احشويرش] [دورس Dorus]<sup>(٣٤)</sup> وعزا بلاد [فيوكيس Pheocis] وراح ينهب مدنهم ثم يحرقها<sup>(٣٥)</sup>. وكان الآثينيون يودون من صميم

(٣٣) كان على علم بأن [ترموبيلي] هو شعب جبلي ضيق يقع بالقرب من [اقربيوس]. في زمننا الحالي لا يرى اثر لهذا الخائق الجبلي نظراً لتراكم الرسوبيات. مما جعل الأرض المحيطة به مستوية.

(٣٤) مستوطنة في آسيا الصغرى. اصل أهلها من آتيكا.

(٣٥) يقصد نجدات من أخائبا والپولونييسوس. كان الدوربون قد انحازوا الى صفّ احشويرش البارثي [هيروودس ٤٠٠:٨].

قلوبهم أن تلتحم القوات الاغريقية بالفرس في [يوبوتيا] قبل أن يبلغوا اتيكيا، مطبقين خطتهم البحرية التي اصرّ عليها تمستوكليس وهي التقدم بحراً حتى ارتقيسيوم، إلا أن الاغريق لم يستجيبوا لهم لأنهم ركزوا اهتمامهم كله بالبيلوپونيس، وتقرر تحشيد القوات كلها معاً في البرزخ، وبناء جدار من البحر الى البحر في ذلك العنق الضيق من الأرض. واغتاط الاثينيون وسخطوا حين وجدوا انفسهم مخدوعين بحلفائهم، على ما هم فيه من الوهن واليأس وارتخاء العزيمة بسبب الورطة التي كانوا فيها. فاشتباكهم وحدهم بحرب مع هذا الجيش الجرار دون معاونة الاغريق، ستكون عاقبته الهزيمة المؤكدة. والقوات الباقية كان مقرراً لها أن تترك المدينة وتربط في السفن، ولم يكن السكان كما أسلفنا راغبين في ترك مدينتهم، متصورين ان النصر بعيد المنال، وأنهم بعد تركهم معايدهم وتعريض قبور وانصاب اسلافهم الى عدوان الغزاة، لن يبقى لهم وسيلة أخرى للنجاة.

واسقط في يد تمستوكليس كما أسلفنا - وعجز عن تحييد الشعب رأيه<sup>(٣٦)</sup> وفشلت فيهم كل حجة عقلية أو منطقية، وهنا أطلق قابلياته الخلاقة وراح يستخدم سلاح النبوءات والخوراق لغرض فكرته هذه فرضاً، فأولاً أختفى تنين [مينرفا]<sup>(٣٧)</sup> الذي كان محفوظاً في أعماق مكان من المعبد وقام كاهنه يذبح للناس بأن القرايين التي وضعت امامها لم تمسّ. وصرّح بايحاء من تمستوكليس أن الربة تركت المدينة وسبقتهم في الهروب الى البحر، وأخذ يزيد من تذكيرهم بتلك بالنبوءة الأخيرة التي تحضهم على الركون الى الجدران الخشبية<sup>(٣٨)</sup>، موضحاً أن تلك الجدران المذكورة في النبوءة لا يقصد بها غير السفن، وان جزيرة سلاميس لم تصفها النبوءة بالجزيرة البائسة الشقية بل بالصفات القدسية وما الى ذلك إلا أنها ستكون في أحد الأيام

(٣٦) بالأخير نجح أعظم نجاح بحيث ان الجمهور الاثيني شرع يرحم كيرسييلوس Cyrillus وهو خطيب كان شديد المعارضة له في الشؤون العامة. واما بخصوص إظهار الحب للوطن الأم، والتعلق بالنساء والاطفال المشردين، فقد أظهرن كرههن وخوفهن من فشل قضية الاغريق بسببهن فرحن يرحمن امرأة هذا الخطيب ايضاً.

(٣٧) استناداً الى هيروdotس ٨:٤١] كان هذا التنين حارساً للقلعة يعيش على التقدّمات اليومية من اقراص العسل. وپلوتارخ على أكثر الاحتمال يعزو النبا المذكور الى كاهنة [مينرفا].

(٣٨) كانت هذه النبوءة الثانية التي تسلمها وفد الاثينيين من أرسطوتيكى عرافة ابولو. اما الاولى منهما فقد اتّسمت بالصرامة والشدّة في الأمر بترك القلعة، وياعلان خراب المدينة الشامل. وكان تمستوكليس الموحى للكاهنة بهاتين النبوءتين دعماً للحظة التي نوى تطبيقها. وكان الرأي الارجح في تفسير عبارة «الاسوار الخشبية» التي تنصحهم النبوءة بالاحتماء بها انما تقصد بها القلعة لأنها محاطة بأطم خشبية. في حين فسرها آخرون بأنها لا تعني غير السفن. وزعم تمستوكليس في مجال تفسيره الخاص. ان النبوءة لو قصدت ابادة الاثينيين لما وصفت اثينا بالمدينة «الخالدة» بل «التاعسة سلاميس». وان قولها «اولاد النساء» لا ينصرف إلا الى البارثيين الذين عرفوا بخنوتهم الغاضحة [هيروdotس ٧:١٤٣ و ٤٤١].

عاملاً غي أعظم الخير للأغريق. حتى نجح في مسعاه، واستحصل مرسوماً يقضي بأن تودع المدينة الى رعاية [مينرفا] (٣٩) ربة الأثينيين، وأن يمتطي متن البحر كل قادر على حمل السلاح بعد أن يعمل على ترحيل اولاده ونسائه وعبيده الى حيث يشاء. وبعد أن صودق على المرسوم باشر الأثينيون بنقل آبائهم ونسائهم وأولادهم الى [طروزين] (٤٠) فاستقبلهم أهلها باكرام ومودة، وصوتوا على قرار يقضي ان تكون معيشة اللاجئين على حساب الخزينة العامة بأن يدفع [ابولان] يومياً لكل شخص، مع السماح للاحداث بقطف الفاكهة من حيث شاؤوا، وان يدفع للعلمين أجر تعليمهم، وكان صاحب هذا الاقتراح [نيكاغوراس Nicagoras].

لم يكن في اثينا خزينة عمومية في ذلك الحين، إلا أن المجلس الاريوباغي وزع على كل مجند في الخدمة العسكرية ثمانية دراخمت على حد قول ارسطو وكانت هذه الخطوة عاملاً رئيساً في سد حاجة الاسطول من الرجال ويعزو [قليديوس] هذه الخطوة الى عبقرية تمستوكليس. ولما كان الأثينيون في طريقهم الى ميناء پيريوس Pirieus، اكتشفوا أن الترس الذي يحمل رأس (ميدوسا) مفقود، وبحجة البحث عنه عاث تمستوكليس سلباً في الانحاء المجاورة، وعثر بين ما وقع عليه، على مقادير كبيرة من النقود المخفية فصادرها لانفاقها على الحرب. وهكذا تم تجهيز الجنود والبحار تجهيزاً حسناً لرحلتهم.

كان منظر أهالي آثينا عند ركوبهم السفن مما يثير الرثاء والاعجاب في آن واحد، فترامهم وهم يرحلون آباءهم وأولادهم الى الجزيرة بهدوء وجلد ولا تتحرك عواطفهم بالدموع والصراخ، وأشد ما كان يبعث على الألم ان النازحين اضطروا الى ترك عدد كبير من الناس الطاعنين في السن في السفن حيث هم. والحيوانات الأليفة نفسها لا يتمالك المرء نفسه من الشفقة عليها حين يراها تهيم على وجهها سائبة في أزقة المدينة تنبح وتصيح كأنما تطالب بأسيادها واصحابها. وما روي أن كسانتپوس Xantheppus والد [پيركليس] كان يملك كلباً وفياتاً لم يتحمل البقاء وحيداً فقفز الى البحر وراح يسبح بمحاذاة السفينة التي أقلت سيده حتى بلغت جزيرة سلاميس فخرج من الماء وسقط ميتاً على الساحل من فرط الجهد، ويقال ان البقعة التي مازال ثم يطلق عليها «قبر الكلب» انما هي قبره.

من مآثر تمستوكليس العظيمة في هذه الأزمة، دعوة [اريستيديس] وهي مآثرة لاتقل شأناً عما سبقها. فقبل نشوب الحرب نفي هذا السياسي دون محاكمة بسعي الحزب الذي يتزعمه

(٣٩) نعتقد ان بلوتارخ وقع في تناقض. اذ كيف هذا في حين سبق له واخبر الأثينيين بان [مينرفا] قد تخلت عن المدينة؟!

(٤٠) قام آخرون بارسال نويهم الى إجينا وسلاميس.

تمستوكليس وظلّ في دار الغربية، وقد تبين تمستوكليس بفكره الثاقب ان الشعب الآن آسفٌ لغيبابه، وخشي من جهة أخرى ان ينحاز للفرس ليثأر لنفسه ويلحق ضرراً بقضية اليونانيين فاقترح استصدار مرسوم يقضي بعودة المبعدين للمساهمة قولاً وفعلاً في قضية البلاد مع سائر المواطنين.

كان [يوريبادس] بسبب بروز سبارطا على غيرها، قد نصب قائداً عاماً لكلّ الاساطيل الأغرقيّة، إلا انه كان قعيدهمة خائر عزيمة، كثير التردد في الساعات الحرجة. وكان من رأيه أن يرفع مراسيه ويبحر الى مضيق كورنث ليكون الاسطول قريباً من الموضع الذي عسكرت فيه الجيوش البرية. فعارض تمستوكليس في هذا. وتبدلت بهذه المناسبة تلك الأقوال التي اشتهرت وتناقلها الناس فيما بعد. قال [يوريبادس] يريد أن يتخلص من لجة تمستوكليس: «الا تدري ان أولئك الذين يبدأون السباق قبل غيرهم يجلدون بالسياط»؟<sup>(٤١)</sup> فأجاب تمستوكليس «ومن يتخلف في السباق لا يضر له أكاليل الغار» فرفع [يوريبادس] عصاه كأنما يهيم بضربه. فقال له تمستوكليس «إضرب إن شئت، لكن اسمع» فعجب [يوريبادس] لما أظهره من لين، وسمح له بالكلام، وبهذا تمكن تمستوكليس في الوصول الى أفضل التفاهم. وتوجه اليه أحد الواقفين قريباً منه، بقوله «لا يجمل بمن ليس لديه مدينة أو منزل يخشى فقداهما، إن يقنع الآخرين بالتنازل عن دورعم والنزوح عن بلادهم» فردّ عليه تمستوكليس قائلاً «حقاً اننا تركنا بيوتنا واسوارنا ايها العليج والوضيع، لأننا لم نر جديراً بنا أن نستبعد لحرصنا على أشياء لا روح فيها ولا حياة، على أن مدينتنا هي أعظم مدن اليونان طراً، وقد جرّدت للحرب مائتي سفينة تقف الآن هنا للدفاع عنكم بعد أذنكم! فإن هريتم وغدرتم بنا كما فعلتم بنا مرةً في الماضي، فإن معشر الأغرقيق لن يلبثوا ان يسمعوا بنا استيلاء الآثينيين على بلاد جميلة ومدينة حرة كبيرة لانقل بأية حال عن تلك التي فقدها». هذا القول حمل يوريباس على الشك في ان الآثينيين سيتركون خطأ القتال وينسحبون ان هو انسحب. وانبرى أحد سكان اريتريا Eretria يحاجّ تمستوكليس فقال هذا له «الديك ما تتحدث به عن الحرب انت هي الشبيهه بسمك الحَبَّار Cuttle الذي يملك غلاصم فارغه في موضع القلب.

وقيل، بينما كان تمستوكليس يقول هذا وهو منتصب في برج السفينة. شوهد بوم<sup>(٤٢)</sup> يطير

(٤١) لا بادرة تبدو من هذا القائد لتدل على افتقاره الى الشجاعة والبسالة بدليل ان اللقيديمين وهم أعدل الحكّام في تقديم ووزن اخلاق الرجال قدموا له غصن الشجاعة. كما انه عين قائداً لأسطولهم مرتين وان لم يكن يجري في عروقه دمٌ ملكي. هذه الحادثة عزّاهها [هيرودوتس ٨:٥٩] الى تمستوكليس واديامنتس قائد الكورنثيين؛ إلا أن نصّ بلوتارخ هو الراجع في ان اوريبادس كان القائد العام.

(٤٢) طائر البوم مقدّس عند [منيرقا] حامية مدينة أثينا. وهو ينقش على كل الميداليات الاتيكية وقد شوهد =



عن يمين الاسطول، واقترب ثم حط فوق رأس الصاري. وهذا الفأل الحسن أقنع الاغريق بوجوب اتباعهم رأيه حتى أنهم تاهبوا حالاً للمعركة. ولكنهم نسوا نصيحة تمستوكليس بأسرع من لمح البصر عندما وصلت اساطيل العدو ميناء [فاليرم] على ساحل آتيكا. وغطت سفنهم الشواطئ، وشاهدوا الملك يتقدم قواته البرية الى الساحل بقضها وقضيضها وعادت اعين البيلوبونيين تتطلع ثانية الى المضائق، وضاعت صدورهم بكل من لامهم على العودة الى ديارهم. واتفقت كلمتهم على الرحيل في تلك الليلة، وأعطيت للملاحين الجهة التي سيقصدونها.

وحزن تمستوكليس حزناً عظيماً لقرار الاغريق، وضياح فرصة الحرب في بحر ضيق الارجاء، ومداخل مائية قليلة السعة، وآله أن يراهم ينسلون واحداً اثر الآخر كل الى مدينته. فأعمل التفكير واطال التأمل حتى اهتدى الى تلك الخطة التي قام بتنفيذها سيكيناس Sicin-nas<sup>(٤٣)</sup> وكان هذا أسيراً فارسياً شديد التعلق بتمستوكليس، مريباً لأولاده. يتوخى مصلحته ويعمل على خدمته. ولهذا يرغب ان يكون أول من يخبره بأن الآثينيين قد تاهبوا للفرار، ويشير عليه بأن يحول دون ذلك بالانقضاء عليهم اثناء الهرج والمرج، وهم يعيدون مسافة عن جيشهم البري، وهذا ما يضمن له تدمير كل قواتهم البحرية فسر احشويرش بالرسالة سروراً عظيماً وصدقها وعدّها صادرة من شخص لا يريد له إلا الخير. وأصدر أوامر فورية لضباط سفنه بان ينطلق حالاً بمائتي سفينة ويحيط بكل الجزر ويضبط المداخل والمضائق حتى لا يدع للأغريق سبيلاً للفرار. وبعد ذلك عليهم ان يحملوا مع باقي الأسطول على العدو، على رسلهم.

لم يعرف بتدبير تمستوكليس هذا أحد، إلا ان ارستيديدس ابن ليسسيماخوس كان أول من حزره، فقصد خيمة عدوه لا للتصافي وطرح الأحقاد، (لأنه نُفي بمساعيه) بل لينبئه بأن العدو قد طوقهم. وكان تمستوكليس خبيراً بسماحة ارستيديدس، ثم ان زيارته وقعت في نفسه موقعاً عظيماً في تلك اللحظة، فلم يكن منه إلا وصارحه بما فعله [سيكيناس] وطلب منه ان يستفيد من الثقة التامة التي يودعها فيه الاغريق، فيساعده على أغرائهم بالبقاء حيث هم ودخول المعركة مع العدو في المضائق. واستحسن ارستيديدس الفكرة وذهب الى القادة الباقين وريانة السفن وحمسهم وشجعهم على النزال. على انهم لم يصفوا الى قوله حتى انفصلت

---

= في كل ما هو موجود فيها.

(٤٣) كان [اسخيلوس] موجوداً في هذه المعركة وقد تكلم عن [سيكيناس] اذ قال «واحد من الاغريق من مرتبات الجيش الآثيني أخبر احشويرش الخ...» في الواقع ليس من المحتمل ان يوكل تمستوكليس أجنبياً أمر رعاية اولاده.

سفينة تينوسية Tenos<sup>(٤٤)</sup> بقيادة [پانيتيوس Panaetius] عن الفرس وجاءتهم وهم مازالوا في حيرة، فأبدت الانباء بأن كل المضايق والممرات البحرية مغلقة وعندئذ التهبت مشاعرهم وطارت أنفسهم شعاعاً فضلاً عن صيرورتهم امام الأمر الواقع، مما دفع الجميع الى احضان المعركة.

وما ان انبلج الصبح حتى صعد احشويرش موضعاً مرتفعاً ليستعرض اسطوله وينظم صفوفه. ويقول [فانوديموس Phanodemus] أنه جلس على نشزٍ فوق معبد هرقل حيث يفصل ساحل اتيكا عن الجزيرة قناة ضيقة الا أن ما دونه [أكستدوروس Acestodorus] يشير الى أن احشويرش اختار مجلسه في ضواحي ميغارا على التلؤلؤ المسماة بالقرون. حيث جيء له بكرسي<sup>(٤٥)</sup> من ذهب وأحاط به امناء السرليكتبوا كل ما يجري في القتال من احداث.

وفيما كان تمستوكليس يهّم بتقديم القرابين بالقرب من بارجة القائد، اذ جيء اليه بثلاثة من الأسرى جميلي الوجوه بشيا بهم الفاخرة، الموشاة بالذهب وقيل انهم أولاد [احشويرش] وساندوكي Sandauce أخت احشويرش وما أن وقع نظر المتنبئ [يوفرانتيديس Euphran-tides] عليهم حتى لاحظ ناراً تشب<sup>(٤٦)</sup> من التقدّمات ويخرج منها لهب خارق وهو بشير بحادث سعيد، فأمسك بيد تمستوكليس وطلب منه تكريس الشبان الثلاثة للتضحية. وتقرّبهم بالصلوات، الى «باخوس الناهش» لأجل النصر. وبذلك ينقذ الأغرّيق ويكتب لهم النصر. وانتاب تمستوكليس قلق شديد لهذه النبوءة العجيبة الرهيبة إلا أن العامة من الناس، الذين تراهم في اي ازمة عصبية وكارثة عظيمة يتطلعون لخلصهم الى وسائل غريبة، مسرفة، لا الى وسائل معقولة، ارتفعت اصواتهم بالدعاء [لباخوس] كافةً ودفعوا بالأسرى الى المذبح وفرضوا تقديم القرابين مثلما أمر به الكاهن<sup>(٤٧)</sup>. هذا ما ذكره [فانياس اللّسبي] وهو فيلسوف واسع

---

(٤٤) جريدة صغيرة في البحر الإيجي وتعد ضمن المجموعة المسماة [كيكلادس] فاعترافاً بفضل هذه الجزيرة بالنسبة للحادث، نقش اسم سكنتها على مائدة ذات ثلاثة قوائم مكرسة لـ[دلفي] من بين اسمين آخرين أعتبرا قاهري احشويرش انظر هيرودوتس ٨: ٨٢].

(٤٥) هذ الكرسي أو العرش - أهو من الذهب أو من الفضة أم منهما معاً، فقد وقع غنيمة بيد الأثينيين وحمل الى مدينتهم حيث كرّس في معبد منيرفاً مع سيف ماردينيوس الذهبي الذي غنم بعدئذ في معركة [پلاتيا] ولكن ديموستينيس (الكرسي يسميه الاقدام الفضية).

(٤٦) اللهب الساطع يعد دائماً فالاً حسناً. أكان حقيقياً صادراً من المذبح أو وهمياً يخرج من رؤوس أناس أحياء! ويذكر فرجيل (الاينياد: ٢: ٦٨٢) لهباً من هذا النوع ظهر حول رأس ايولوس. ويذكر (فلورس) انه شوهد فوق رأس [سرفيوس تلوس]. ان العطاس الى جهة اليمين يعتبر كذلك من الفال الحسن عند سائر الاغرّيق واللاتين [انظر ارستطو في النفس ١: ١١] وكذلك [هوميروس في الاوديسا ٢٧: ٥٤٥] فهو يعتبر العطسة فالاً حسناً من اي جهة كانت.

(٤٧) وبعين الطريقة قدم كل من [خيوس] و[تيديدوس] و[لسبوس] قرابين بشرية الى باخوس الملقب =

الاطلاع في التاريخ.

وكان عدد سفن الاعداء حسبما اثبتتها [اسخيلوس] الشاعر في مأساته المسماة «الفرس» بحسب اطلاعه الخاص:

«علمت ان احشويرش كان في المعركة يقود ألف سفينة. بينها مائتان وسبع بوارج سرعتها أكثر من السفن الاعتيادية. وهو ما استقر الرأي عليه.»  
وكان عدد سفن الآثينيين مائة وثمانين، في كل سفينة ثمانية عشر محارباً على سطحها، منهم أربعة رماة سهام والبقية مقاتلون.

وكما كان تمستوكليس قد اختار أصلح ميدان للقتال، فإنه والحق يقال لم يكن بأقل حكمة في اختياره ساعة الصفر للبدء. فلم يوجه مقدّم سفنه نحو الفرس ولم يشرع في القتال حتى هبت ريح رخاء من البحر وجاءت معها بمدّ قوي الى البرزخ وكان ذلك في مصلحة سفن الأغرقيق لأنها منخفضة البدن تكاد حافاتها لا ترتفع عن الماء إلا قليلاً ولقد ألحقت ضرراً بالغاً بالسفن الفارسية ذات الدفة والسطح العالي، فضلاً عن ثقلها، وبطء حركتها بحيث اصبحت فريسة سهلة لهجمات اليونان الخاطفة وكان الأغرقيق جميعاً يتابعون تحركات تمستوكليس، متخذين منه النموذجاً يحتذى، فضلاً ان أنه اتخذ موقعه مقابل سفينة القائد [آريامنيس - Aria menes] وهو رجل باسل شجاع تفوق سجاياه ومنزلته سائر اخوة احشويرش بكثير. شوهد هذا القائد يقذف بالرماح ويطلق السهام من بارجته الضخمة كأنما يطلقها من اسوار قلعة وكان كل من [امينياس Aminias] الديكلي Decelean وسوسيكلس Sosicles البييدي Pedian على ظهر سفينه واحدة، فعندما اختلط الحابل بالنابل والتقى جوجو سفينة بدفة أخرى ووجهت الواحدة قيدها النحاسي الى الأخرى فكبلتها فتلاحقتا حاول [آريامنيس] الهبوط الى سفينتهما فهجما عليه بالرماح وقذفاه الى البحر فطفت جنته مع حطام السفن وعرفته ارقميسيا<sup>(٤٨)</sup> فحمل الى [أحشويرش].

[بالنامش: Omodius] وهذه هي الواقعة الوحيدة التي دونت عن الآثينيين. ولم يذكرها هيرودوتس ويذكر (پاوسنياس) قصة تتعلق بتقريب مؤقت لقرايين بشرية في بويوتيا. وبخلافه فإن باخوس مختص بمثل هذه القرايين فمن العادة في البيثا بـ(اركاديا) ان تجلد النسوة بالسياط فوق مذبحه.  
(٤٨) أرتميسيا هي ملكة هاليكارناسوس. برزت في مقدمة القوات البارثية وخاضت المعركة الى النهاية وكانت آخر من ترك ميدانها، ولحظ الملك البارثي ذلك فقال معقياً «سلك الرجال مسلك النساء، وسلكت النساء مسلك الرجال» أشد حقد الآثينيين عليها كامرأة وكبطله في عين الوقت وعرضوا مكافأة قدرها عشرة آلاف دراخمة لمن يقبض عليها حية، وهيرودوتس [٩٢:٨] يروي قصة نجاتها في آخر لحظة والخطة التي استخدمت من أجل ذلك. من الواجب ان لا يخلط بينها وبين سميتها امرأة [طاوسوس] ملك كاريا التي عاشت في عصر لاحق.

وجاء في الأنبياء لهباً عظيماً أرتفع في الفضاء فوق مدينة ايلوسيس Eleusis، ساعة احتدام القتال، وسمع منه ضجيج وأصوات في كل أرجاء سهل الثرياسيين حتى بلغ البحر. وكان أشبه برجال يراسلون ويرافقون الصوفي [إياخوس Iacchus] وان ضباباً تجمع حيث تقوم الضجة أرتفع ثم زحف وسقط على السفن. وخيل للآخرين انهم شاهدوا أشباحاً على هيئة رجال بشكة سلاحهم وقد مدوا أيديهم مستنجدين من جزيرة (إيجينا) مقابل البوارج الأغريقية والمقول، انهم [الأيكسيدي Aeacidae] (٤٩) الذين إستغاثوا وطلبوا العون قبل بدء المعركة.

واول من أستولى على سفينة للعدو، هو [ليقوميدس Lycomedes] الأثيني قبطان أحد السفن. فقطع شعاراتها (٥٠) وكرسها الى [ابوللو المكلل بالغار]، وكان الفرس يقاتلون في لسان بحري ضيق، بحيث تعذر عليهم تحشيد قطعهم البحرية كلها، وراحوا يتخبطون ويقاتل بعضهم بعضاً، بهذا حقق الأغرقي عامل التكافؤ في القوى، وقاتلوه حتى اضطرهم الليل الى الكف عنهم، ونالوا نصراً عظيماً مؤزراً وصفه [سيمونيدس] بأنه نصر لا مثبته له ولا قرين في كل ما عرف من الانتصارات البحرية المجيدة لا عند الاغريق ولا البرابرة. وكان بطبيعة الحال حصيلة البسالة والحماسة اللتين اجتمعتا في كل من خاض المعركة، مع حكمة تمستوكليس وعبقريته الفذة (٥١).

بعد هذه الموقعة البحرية حاول [احشويرش] بدافع الغيظ من فشله وأن يربط سيلاميس بالقارة بممرى ثابت بالقاء اكرام من الصخور والحجارة حتى يجعل منها سداً، ثم يستخدم السد المتكون لنقل قواته البرية الى جزيرة سلاميس. ثم يغلق الممر تماماً بوجه الاغريق (٥٢).

ورغب تمستوكليس أن يستطلع رأي [اريسستيدس] فيما كان يفكر من خطة، مقترحاً أن

(٤٩) ارسلت الى [ايجينا] سفينة لطلب المعونة من [اياكس] وذريته [هيرودوتس ٨:٦٤] واياكس هو ابن جويتر من ايجينا اشتهر بعدالته حتى ان ادعيته حققت فوائد عظيمة للأغريق لاسيما في سنوات القحط التي اصابته البلاد [پاوسينياس ٢:٢٩] عين بعد وفاته واحداً من القضاة الثلاثة في العالم السفلي؛ (٥٠) هي في العادة تماثيل وقطع من المنحوتات الخشبية تمثل اشكالاً شتى وتثبت في جؤجؤ السفينة لتمييزها عن غيرها أو لمحض الزينة.

(٥١) في هذه المعركة التي تعد من المعارك الكبرى في التاريخ القديم خسر الاغريق ٤٠ سفينة فيما بلغت خسارة الفرس ٢٠٠ خلافاً لأسر عدد أكثر من هذا بكثير.

(٥٢) يقول هيرودوتس (٨:٩٧) ان احشويرش اراد ان يوهم الاغريق بانه يعتمزم تجربة الحظ في معركة بحرية ثانية لئلا يقوم الاغريق بالاقلاع والاتجاه الى مضائق الهللسبوننت وكسر الجسر العائم الذي بناه فوق السفن اثناء وجوده في (سارديس) مستخدماً الصناعات الفينيقية والمصريين. فقد شدوا السفن بعضها الى بعض بحبال وامراس. وكان عرض المضيق ميلاً واحداً تقريباً وقد ثارت عاصفة به فدمرت ما وفقوا الى مده قبل اكماله. واستبد الغيظ بالملك الفارسي. وحكاية أمره بجلد البحر بالسياط لسوء سلوكه معروفة. إلا أن الجهود في المحاولة الثانية لقي نجاحاً أكبر [المرجع نفسه ٧:٣٣-٣٦].

يقلع الاسطول [هلسپونت Hellespont] لكسر جسر السفن حتى « يتم حبس آسيا، وأسرها داخل اورپا » لكن [ارستيديس] (٥٣) كره الخطة وقال له « الى الآن حاربنا عدواً لايهتم بشيء، قدر اهتمامه بملذاته وترفيه. فاذا حبسناه في بلاد اليونان وأجأناه الى عمل يائس، فلا يعود الملك هادئاً ساكناً بقواته الجيابة وقد نشر فوق رأسه الشمسية المذهبة، يرقب القتال كما يرقب ملهاة. ان وجد نفسه محصوراً فسيحاول المستحيل، وسيشدد عزمه، ويظهر بشخصه في كل موقعة ومناسبة ولا يلبث أن يصحح أخطاه ويظهر ما كان قد اخفاه قصوره وأهماله وسيكون أكثر حنكة في تقديره الأمور. لذلك لا يفيدنا في شيء يا تمستوكليس ان نحطم الجسر الذي بنيناه لا بل يجدر بنا أن نبنى آخر إن امكننا - لكي نعجل في انسحابه».

فأجابه تمستوكليس قائلاً: « إن كانت هذه غايتنا فعلينا أن نستخدم حالاً كل حيلة ومواطبة وجهدٍ للتخلص منه بأسرع ما يمكن». ولأجل هذه الغاية وجد بين الأسرى خصياً من خصيان الملك الفارسي يدعى [ارناكسيس] (٥٤) فبعث به الى سيده برسالة يقول فيها: بعد أن حقق الأغرقي نصرهم البحري، قرروا الانتقال بأساطيلهم الى [هلسپونت] حيث السفن مشدودة بعضها الى بعض مثل جسرٍ ليتلفوها. ولما كانت مصلحته تهتم [تمستوكليس] فقد كشف له عن ذلك ليعجل في انسحابه الى البحار الآسيوية ووصله الى مملكته، وانه في الوقت نفسه سيعمل على اعاقة وتأخير الأساطيل الحليفة عن اللحاق به. وما أن سمع احشويرش الرسالة حتى ارتعدت فرائضه (٥٥) وأسرع بالانسحاب من بلاد الأغرقي فوراً. وقد افتضحت حيلة تمستوكليس واريستيديس فيما بعد وعرفت بتفاصيلها في معركة [پلاطيا Plataea]. حيث عرض ماردومينوس Mardominus الأغرقي لخطر خسارة كل شيء باستخدامه وحدة صغيرة من قوات احشويرش.

ويكتب [هيروودوتس] أن [ايجنيا] برزت بين سائر مدن اليونان الأخرى بانجازها أعظم خدمة في الحرب. بينما أقر كل الرجال على انفراد بفضل [تمستوكليس] وان كان ذلك ضد رغبتهم بسبب الحسد. وعندما عادوا الى مدخل الپيلوپونيسس وادلى عدد من القواد

(٥٣) هيروودوتس (١٠٨:٨) لم يكن [اريستيدس] المتكلم هنا: بل هو اوربيداس القائد العام.

(٥٤) ذكر هيروودوتس (١١٥:١٣) سيكينيوس الذي كان قد أرسل من قبل في مهمة مماثلة.

(٥٥) بعد أن ترك احشويرش قائده (مردان) في اليونان بجيش قوامه ثلاثمائة ألف، انسحب بالباقي نحو تراقيا تمهيداً لعبور البوسفور. ولم يكن قد أمن لجيشه ارزاقاً فعانى مشقة عظيمة في مسيرته التي استغرقت ٤٥ يوماً. ووجد أن الوضع لايسمح له لمواصلة السير بشكل مريح وعلى النحو الذي يرغب فيه تقدم جيشه بحاشية قليلة العدد. ووجد الجسر معطوباً بفعل عاصفةٍ فاستقل قارب صيد وعبر الى الجهة الثانية ومن المضايق واصل انسحابه حتى [سارديس].

باصواتهم على المذبح<sup>(٥٦)</sup>. لتقرير من هو أحق شخص بأعظم الإكرام، صوت كل واحد منهم لنفسه في المقام الأول ثم صوتوا جميعاً لتمستوكليس في المقام الثاني وأخذه اللقيديميونيون معهم الى سبارطا وقدموا جائزة الشجاعة [ليوريبيادس] وجائزة الحكمة وحسن الادارة له وتوجوه باغصان الزيتون. وأهدوه أحسن مركبة في المدينة وأرفقوا ثلاث مائة شاب حتى حدود بلادهم اجلالاً له<sup>(٥٧)</sup>. وفي الالعاب الاولمبية التالية عندما دخل السباق شخصت انظار المتفرجين اليه ولم تعد تهتمّ بالمستابقين وقضوا بقية اليوم يرمقونه باعجاب، ويعرفون الأجانب الحاضرين بشخصه، ويختالون به عجباً ويعبرون عن تكريمهم له بالتصفيق وغيرها من تعابير الفرح حتى أقرّ هو نفسه لاصدقائه وقد أمتلأ امتناناً بأنه يحصد الآن ثمرة كل ما بذله من جهود في سبيل الأغر يق.

وكان بطبعه يحبّ العظمة والتكريم حُباً جماً، وهذا يتضح من الحكايات التي أثرت عنه. فعندما اختاره الآثينيون قائداً للأسطول لم ينجز عملاً من الأعمال بصورة تامة أكان بشخصه أم بالدولة. وانما استمر في تأجيل البت فيها حتى يوم الإبحار، حتى يبدو بمظهر العظمة والسلطان وهو يصرف تلك الأمور المتراكمة العديدة دفعة واحدة وما يستتبع ذلك من مقابلات مجموعة كبيرة من مختلف الناس، وعندما كان يستعرض جنث القتلى وهي تلقى في البحر، لاحظ عقوداً وأسورة من الذهب عليها. فمرّبها غير أبه خلا أنه قال لصاحب له كان يتبعه: «خذ انت هذه الحللى، لأنك لست تمستوكليس». وقال لأنتيفاطس Antiphates، وهو شاب حسن الصورة كان يتحاشاه قبلاً، ثم راح يغازله بعد المجد الذي ناله: «لقد علمنا الزمان أيها الشاب درساً». وقال أن الآثينيين لم يمجده ولم يكرموه. وانما جعلوا منه في الواقع شجرة الدر دار. يحتمون بها عندما يسوء الطقس، وما أن يغدو المناخ جميلاً حتى يقطفوا اوراقها ويقطعوا اغصانها. وعندما قال له ذلك السيريفي Seriphian<sup>(٥٨)</sup> انه لم ينل شهرته بفضله بل بعظمة مدينته، أجابه: «لقد اصبت القول. ما كنت لأنال الشهرة لو انحدرت من [سيريفوس]، ولا كنت تنالها لو جئت من آثينا».

ولمّا ظنّ واحد من القادة أنه حقق خدمات جلييلة للآثينيين، مقارناً اعماله باعمال

(٥٦) مذبح [بنتيلون]. هذه المراسيم انما تقررت لتؤمن اصدارهم حكماً خالياً من التحيز لاعطائه بمحضر من الالهة (هيروودوتس).

(٥٧) يقول هيروودوتس: انها المناسبة الوحيدة التي قدم اللقيديميون خلالها تكريماً مثل هذا لأي كائن (لديودورس ٢٧:١١) رأي آخر ان يقول انهم ما اقدموا على ذلك إلا خوفاً من ان يحمل لهم ضغنًا.

(٥٨) جزيرة صغيرة من مجموعة جزر كيكلادس. يهزء (جوفينال ١٠ المسوخ) بصغر حجمها ويصفها [تاكيتوس: الحوليات ٤:٢٦] بانها صخرة يرسل اليها الرومان منقيهم في العادة.

تمستوكليس على سبيل التباهي، أجابه تمستوكليس «راح اليوم التالي للعيد» يعيب يوم العيد وينتقص منه قائلاً: ليس يوجد فيك إلا العجلة والمتاعب والاستعدادات لكن عندما يحين يومي ترى كل انسان يجلس بهدوءٍ مستريحاً ومِنَع نفسه. فأقرّ العيد بصحة ذلك قائلاً: لقد أصبت في هذا، لكن لو لم أكن سابقاً لك، لما جئت قط.» ثم استطرد يقول «وحتى لو كان الأمر كما تقول، فلولا تمستوكليس قد سبقك بمجيئه لما درى أحد أين ستكون الآن». وقال يمزح لتصرفات ابنه واستثثار باهتمام امه وتحكمه فيها وكيف انه استبد به عن طريق امه «...فالآثينيون يقودون اليونان، وأنا أقود الآثينيين وامك تقودني وانت تقود أمك» ولولوعه في أن يكون نسيج وحده في كل الأمور، كان يأمر المنادي عند بيع قطعة أرض تعود له - أن يضيف الى ندائه الملاحظة التالية «حول الارض جيران طبيون» وتنافس اثنان على يد ابنته، ففضل منهما الرجل ذا السمعة الحسنة، على الغني، قائلاً انه يفضل رجلاً بلا مالٍ على مالٍ بلا رجل. وهذا هو أسلوب احاديثه<sup>(٥٩)</sup>.

بعد النصر الذي آتينا الى وصفه بدأ يعيد بناء مدينة آثينا ويحصنها ورشا الايغور اللقيديميونيين حتى لا يقفوا ضد هذا العمل، كما ذكر [ثيومپوپوس] إلا ان معظم الكتاب يقولون انه خدعهم واستبقهم في الأمر. اذ سافر الى سبارطا متعللاً بسفارة. وهناك اتهمه اللقيديميونيون باعادة بناء الأسوار القائلين أن [پوليآرخوس Poliarachus] ما قدم من ايجينا إلا لغرض الاحتجاج على ذلك، فانكر [تمستوكليس] وطلب منهم ان يبعثوا بوفد الى آثينا ليحققوا من صحة ذلك. وفي خلال تلك الفترة اكمل بناء الأسوار ووضع اعضاء الوفد في ايدي ابناء قومه كرهائن مقابل شخصه. ولما عرف اللقيديميونيون الحقيقة لم يتمكنوا من الحاق اي اذى به. واضطروا الى اخفاء سخطهم وكل مظهر من مظاهر الحقن في وقتها واعادوه الى وطنه<sup>(٦٠)</sup>.

وبعدھا باشر في بناء ميناء [پيريوس] ادراكاً منه لموقعه الطبيعي الممتاز للغاية، ورغبة في ربط المدينة كلها بالبحر، وخالف السياسة التي جرى عليها الملوك الآثينيون الأقدمون الذين جاهدوا دوماً في ابعاد رعاياهم عن البحر وتعويدهم العيش على الزراعة وفلاحة الأرض لا على الملاحة وتطواف البحار، فنشروا حكاية عن وجود نزاع بين [مينرفا] و[نپستون] حول

(٥٩) ذكر شيشرون في [De Fiss ٢٢:٢] قولاً أخرى من أقواله تستحق التسجيل هنا. فعندما عرض عليه [سيموندنس] تعليمه فن تقوية الذاكرة ردّ عليه قائلاً «أه! ايجمل بك ان تعلمني فن النسيان لأنني كثيراً ما تذكرت ما لايجسن ان اتذكره وتعذّر على نسيان ما يجب نسيانه».

(٦٠) تفاصيل هذه الحكاية أوردها [ثوكيديدس ١:٩٠] وعلل ذلك بان اللقيديمييين كانوا يخشون وقوع آثينا في يد العدو البارثي خلال غزوة ثانية محتملة، وهي محصنة مينة فتتقلب الى قلعة مفيدة في يد العدو.

السيادة على المدينة، وأن [مينرفا] ربحت القضية بإبرازها للمحكمين شجرة زيتون، إلا أن تمستوكليس لم يكتف بجمع الميناء في واحدة، بل جعل المدينة معتمدة اعتماداً مطلقاً على الميناء لا بل تابعة له هي والأراضي المجاورة للبحر الأمر الذي زاد من قوة الشعب وثقتهم بنفسهم ازاء النبلاء - وهذا ما ذكر - أرسطوفانس [Aristophanes] واصبح النفوذ كله بيد البحارة والملاحين والصيادين<sup>(٦١)</sup>. ولذلك كان أحد أوامر الطغاة الثلاثين<sup>(٦٢)</sup> تحويل منصّات الاقتراع في الجمعية من اتجاهها الذي كان نحو البحر الى البر. مستندين في رأيهم هذا الى أن السيادة البحرية هي أساس الديمقراطية وان جماهير الفلاحين لاتعارض كثيراً في نظام الحكم الاوليغارشي.

على ان تمستوكليس كان يضمّر تدابير أعلى وأخطر بخصوص التفوق البحري. فبعد رحيل احشويرش عن البلاد وعودة الأسطول اليوناني الى [باغاسي Pagasae] حيث قضى شتاءه. قال تمستوكليس من خطبة عامّة في أهل اثينا أن لديه فكرة في عمل شيء سيكون ذا نفع عظيم لهم وآثاراً كبيرة في سلامتهم ولكن لا يجمل التصريح به او اذاعته فأمره الآثينيون بأن يكشفه [لارستيدس]<sup>(٦٣)</sup> فقط فاذا وافق عليه باشره. وعندما ابلغه أن خطته هي احراق الاسطول الاغريقي في ميناء [باغاسي]، خرج اريستيدس الى الجمهور وأدلى برأيه في الحيلة التي تفتق عنها ذهن تمستوكليس. وقال في وصفها «لا يوجد اقتراح أخبث منه ولا أخزى»، وعند ذلك أمر الآثينيون تمستوكليس بالأفكر فيها.

وأقترح اللقيديميون في الجمعية العامة الامفكتيونية أن يطرد من المجلس ممثلو تلك المدن التي هي ليست اعضاء في العصبة، أو التي لم تحارب الفرس، فقام تمستوكليس يعارض هذا الاقتراح ويساند نواب تلك المدن خشية أن يؤدي اخراج التساليين وأهل [ثيبه] و[ارغوس] وغيرها، الى أن يغدو اللقيديميون المسيطرين على الاصوات في المجلس. ونجح في اقناع الاعضاء المجتمعين بتغيير<sup>(٦٣)</sup> رأيهم في هذا الموضوع موضعاً لهم أن المدن التي ساهمت في الحرب لاتزيد عن واحدٍ وثلاثين وان معظمها في منتهى الصغر. وانه ليس من الممكن أو المعقول أن تستثنى مدن يونانية كثيرة وان يسيطر على المجلس العام مدينتان أو ثلاث مدن كبيرة. وبهذا أثار سخط اللقيديميين عليه، فمالوا الى [كيميون] ووجهوا كل رعايتهم

(٦١) «الفرسان» وقول ارسطوفان هذا هو هجاء في معرض المديح. انه يلوم تمستوكليس لأنه عمل على اشاعة التحلل الخلقي والتفسخ في المدينة وهو من مظاهر الموانيء.

(٦٢) كان قيام عهد الطغاة الثلاثين في اثينا ابتداء من ليساندر في العام ٤٠٤ ق.م.

(٦٣) بيللاگوري بالأصل. مأخوذة من اجتماعهم في ثرموبيلي. وسميت المضايق بهذا الاسم لقربها من الحمامات الحارة المجاورة ولأن فتحتها ضيقة مثل فتحة الباب.



وأكرامهم له ليجعلوه خصماً سياسياً [تمستوكليس].

وكان تمستوكليس مصدر مضايقة واحراج للحلف، بابحاره المستقيم الى الجزر وجباية الأموال منها. ويقول [هيرودوتس] أنه جاء يطلب مالاً من سكان جزيرة [اندروس Andros] (٦٤) زاعماً لهم أنه «جاء ومعه ربتان: ربة الإقناع وربة القوة»، فأجابوه «أن لديهم أيضاً ربتين عظيمتي الحول، هما ربة الفقر، وربة المستحيل تقفان حائلاً دون دفع اي مبلغ من المال له.» ويهجو [تيموكريون Timocreon] الشاعر الروديسي ويعرض به لتهافته على المال لقاء السماح بعودة بعض المنفيين الى بلادهم، في حين يهمله هو صديقه وضييفه. والأبيات هي التالية:

«ان كان ذلك ان تمدح [پاوسنياس]، وكذلك كزانتىپوس Xanthippus  
وثالثهم [ليوتىخيداس]. فانا أظيف اليهم [ارستيديس] الذي  
جاء من أثينا المقدسة، وهو الرجل الحقيقي بين الجميع.  
مادام ليبتو Leto يكره تمستوكليس،  
ذلك الكذاب الخائن الغادر الذي لم يشأ اعادة صديقه  
[تيموكريون] الى موطنه لياليسوس Lalyus (٦٥)، طمعاً بالمال  
لقد أخذ ثلاثة تالنتات من الفضة وانصرف لعنة الله عليه.  
ينفي بعض الناس بلا حق ويعيب بعضهم  
ويقتل بعضهم الآخر، وهو لا يني يملأ جيبه بالمال. وفي  
المضايق عمل مأدبة من اللحم الفاسد كانت مصدر ضحك وازدراء.  
أكلوها ودعوا للآلهة أن يقوم أحد غيره بهذا الواجب في السنة الأخرى.»

لكن [تيموكريون] اشتط في هجاء تمستوكليس وخرقه كل الحدود قي التهجم عليه بعد صدور الحكم بابعاده - في قصيدة هذا مطلعها:

ألا يا ربّات الشعر (الميزوات) عودي الى جميع الاغريق  
وانشدي هذه الأبيات المناسبة الجميلة لهم.

والحكاية هي أن قضية [تيموكريون] كانت قد وضعت موضوع بحث هل ينفي بسبب تعاونه مع الفرس أم لا؟ وكان [تمستوكليس] يجذب نفيه وقد صوتّ ضده. فعندما اتهم تمستوكليس

(٦٤) هي احدى جزير كيكلاوس بين أثينا ونخسوس وقد فصل هيرودوتس في الطلب وفي الجواب [١١١:٧].  
(٦٥) هي من مدن ساحل رودس سميت كذلك نسبةً الى لوحة مشهورة من عمل پروتوغيونيس تمثل الصياد اياليسوس وكلبه.

بتأمره مع الميديين نظم تيموكريون الابيات التالية بهذه المناسبة:  
والآن لم يعد [تيموكريون] عميل الميديين الوحيد حقاً  
فهناك بعض الأوغاد الآخرين معه - ولست الوحيد  
الذي خاب - فهناك ثعلب آخر نزل الميدان.

عندما بدأ أهالي آثينا يعيرون أذاناً صاغية لأولئك الذين يثلبونه وينتقصون منه، اضطروا الى تفكيرهم بالخدمات الجليلة التي أنجزها - باستمرار ولجاجة باعثة على الضيق. وسأل أولئك المستائين منه، عما اذا كانوا قد ملؤوا من اغتنام المنافع الكثيرة من ذات الشخص الذي يذمونه، وبهذا القول ضاعف من كره الناس على ان أشد السخط كان مبعثه بناؤه معبداً لديانا، كتب عليه الكنية التي كُناها بها [ارسطوبول Aristobule] اي «ديانا خير المشورات» مشيراً بهذا او انه قدم خير المشورات لا للآثينيين وحدهم بل لكل الأغريق. بناه قرب بيته في الحيّ المسمى [ميليت] حيث يأتي ضباط الشرطة اليوم بجثث من ينفذ فيهم احكام الموت ويرمون فيها حبال الخنق وثياب المخنوقين وسائر حاجات اولئك الذين يُقضى عليهم. والى يومنا هذا يوجد شمال صغير [لتمستوكليس] في معبد «ديانا خير المشورات» يمثل رجلاً ذا عقلية كريمة وملامح بطولية فائقة الحد. وبالأخير نفاه الآثينيون، وأستخدموا النفي بدون محاكمة لاذلاله والحط من كبريائه وسلطانه كما يفعلون عادة بكل من قوي سلطانه وطغت عظمته بحيث ما عادت تناسب مبدأ المساواة الذي يقوم عليه البناء الجمهوري فالنفي دون محاكمة وضع بالأصل لا لمعاقبة المذنب، بقدر ما كان لأجل قمع وتخفيف حدة الحاسدين الذين يسرهم إذلال عظماء الرجال، فبالصاق هذا العار بهم ينفسون عن شيء من حقدهم وحسددهم.

بعد أن نُفي [تمستوكليس] (\*) من آثينا، وعند وجوده في ارغوس افادت قضية [پارسنياس] (٦٦) اعداءه وزودتهم بمزيد من الحجج ضدّه وكان [ليوبوتس Leobotes]

(\*) في سنة ٤٧٢ ق.م تقريباً.

(٦٦) هذا الرجل الفاضل هو ابن كليوبروتس، وملك لاسبارطة. دحر البارثيين في معركة پلاتيا وأشتهر بالعدل والكرم والنزاهة. لكن أخلاقه انحطت وسفلت في الأخير اذ عقد معاهدة قبيحة مع البارثيين أملاً في أن يساعده نفوذهم على امتلاك بلاد الاغريق كلها. وكان مشروعه يتلخص في تسليم البلاد الى [احشويرش] وان يحكمها هو باعتباره ملكاً تابعاً له على أن يزوجه ابنته. [توكيديس ١: ١٢٨] ما أن تبني هذه الفكرة الغريبة حتى بدء بتقليد العادات البارثية والنزوع الى حياة الترف التي يعيشونها. ونبذ ارتداء ثياب وطنه البسيطة. وصبر الايغوري عليه بعض الوقت ليتوفر لهم الدليل القوي على مشاريعه الخيانية. وما ان وضعوا ايديهم عليها حتى اصدروا أمراً بايداعه السجن لكنه هرب والتجأ الى معبد [منيرفا خلقيوخوس] فما كان منهم إلا ان بنوا جداراً سدّوا به العداخل وقامت والدته بوضع اول حجر في البناء. وعندما =

الأركولي ابن [الكيميون] هو الذي اتهم [پارسنياس] بالخيانة ودعمه السبارطيون في اتهامه هذا.

عندما باشر [پاوسنياس] في خطته الخيانية، عمل على أخفائها عن تمستوكليس في مبدأ الأمر مع انه كان صاحباً له. ولكن عندما رآه يطرد من البلاد وتبين شدة وقع النفي عليه، أقدم على الاتصال به والافضاء اليه بسرّه ورغب في ان يساعده وأطلعه على رسائل ملك الفرس وأوغر صدره على الأغرقيق، وصورهم له بناكري الجميل والأوغاد. على أن [تمستوكليس] رفض مقترحاته، وأبى أن يكون طرفاً في المشروع بصورة مطلقة إلا أنه لم يكشف سرّ هذه الاتصالات ولم ينه بسرّ المؤامرة لأي أحد إماماً لأنه كان يأمل عودة [پوسنياس] الى صوابه، والعدوان عن نيته، أو لتوقعه بأن محاولة هوجاء طائشة كهذه ترمي الى أغراض شيطانية دينية ستتكشف بوسائل أخرى.

وبعد ان نفذ حكم الموت [پاوسنياس] ووجدت في حوزته رسائل ووثائق خطية حول هذا الشأن تدين تمستوكليس وتضعه موضع شبهة ثارت ثائرة اللقيديميونين عليه، واتهمه اعداؤه في آئينا بالتآمر. ولما كان غائباً عن آئينا فقد قدم دفاعه على شكل خطابات، مناقشاً بصورة خاصة النقاط التي كانت في السابق محور اتهامه. وكان جوابه على اتهامات اعدائه الظالمة الكاذبة، رسالة بعث بها للمواطنين وذكر فيها أن الشخص الذي كان طامحاً للحكم دوماً، ليس من طبيعته أن يحكم ويُخدم أحداً، لن يبيع نفسه ولا وطنه أبداً ليكونا عبيدين لبلاد عدوة بربرية.

ولم يقيم المواطنون الآثينيون وزناً لدفاع [تمستوكليس] بعد أن اقتنعوا بأدلة متهميه وبعثوا بقوة من الشرطة للقبض عليه وجلبه. للمحاكمة أمام مجلس قضاء أغريقي، إلا أنه أنذر مسبقاً فانتقل الى جزيرة [كوركورا Corcura] وكانت حكومتها مدينة له بفضل لأنه أختير فيما مضى حكماً في نزاع بينها وبين الكورنشيين<sup>(٦٧)</sup> فصل فيه بفرض مبلغ قدره عشرون

---

= أشرف على الموت جوعاً تمكنا منه. وما أن وفقوا الى سحبه خارج المعبد حتى اسلم الروح [توكيديس المرجع نفسه ١٢٤] و[ديون ٩: ٤٠].

(٦٧) قدم تمستوكليس لأهل كوركورا خدمة هامة: كانت دويلات الأغرقيق تهّم بشن الحرب على هذه الجزيرة لأنها لم تنظم الى الحلف الأعظم ضد احشويرش. لكن تمستوكليس عارض الفكرة بقوله لو عاقبنا بهذا الشكل كل من لم ينضم الى الحلف لاقعنا بالبلاد الاغريقية ضرراً يفوق كثيراً ما كان سينالها من أذى على يد الغازي. وعلى اية حال فقد غلب الخوف الذي كان يعتمل في احشاء أهل الجزيرة، على عرفان الجميل فلم يستقبلوا تمستوكليس خشية ان يثيروا مشاعر آئينا وسپارطه ضدهم. ورفضوا ان يقبلوه ضيفاً عندهم وبعثوا به الى ابييروس. [توكيديس ١: ٢٠] تعتبر ليوكاس مستوطنة كورنثية صرفة.

تالتا يدفعه الكورنثيون، وأعتبر لمدة [ليوكاس Leucas] وجزيرتها مستعمرة مشتركة للمدينتين. ومن [كوركورا] هرب الى [إيروس] والآثينيون واللقيديمونيون يجدون في أثره وكان يتشبه بفرص نجاة يائسة تبدو مستحيلة. فقد فرّ لاجئاً الى [ادمتوس Admetus] ملك المولوسيين. وكان هذا قد طلب طلباً من الآثينيين في عهد حكم تمستوكليس وأوج سلطانه. فرفض الطلب بشدة واحتقاراً واهانة، حتى أظهر الملك المهان ما يدل على انه سيثار لنفسه منه إن ظفر به. على أن [تمستوكليس] في سوء حظّه هذا كان يخشى كره جيرانه الأخير ونقمة مواطنيه عليه، أكثر من خشيته سخط الملك - ولذلك وضع نفسه تحت رحمته واذلّ نفسه أمامه فبضراعاته بأسلوب غريب يختلف عن عادات البلاد الأخرى اذ حمل ابن الملك وكان طفلاً وجشاً بالقرب من المستوقد امام الهة البيت، وهذا هو أقدم وأعلى أسلوب في الإستجارة عند المولوسيين، لا يمكن رفضه مطلقاً ويقول بعضهم أن [فثيا Phthia] زوج الملك هي التي أشارت على تمستوكليس بهذه الطريقة<sup>(٦٨)</sup> ووضعت طفلها أمام المستوقد. وقال آخرون أن الملك نفسه بالاتفاق مع تمستوكليس اعدّ وأخرج هذه التمثيلية ذراً للرماد على العيون، حتى يكون مقيداً بعهد ديني يمنعه من تسليم المستجير لمطارديه وفي ذلك الزمن قام [إيقراطس Epicrates] الأخرني Acharnae بارسال زوجته وأطفاله اليه سرّاً من أثينا. ودفع حياته ثمناً لهذه الخدمة فقد ادانه [كيسمون] وأعدمه الحياة، وفي رواية أوردها [ستسبمروتوس] (ربّما ناسياً ذلك بشكل ما، أو مستهدفاً أظهر تمستوكليس بمظهر القليل الإهتمام) قال أن المنفي أسرع يبحر الى صقلية، وهناك طلب يد ابنة [هيرو] طاغية [سيراكوس] ووعد أباه أن يُخضع له بلاد الأغرقي.

ولما رفض [هيرو] طلبه غادره الى آسيا. إلا أن هذه الرواية مشكوك فيها، بدليل ما كتبه [تيوفراستس] في مؤلفه [الملكية المطلقة Monarchy] قال: لما أرسل [هيرو] خيل سباق الى الالعب الاولمبية ونصب سرادقاً فخماً باذخاً، القى تمستوكليس خطبته على الأغرقي حمل فيها عليه وحرّضهم على قلع خيمة الطاغية ومنع خيله من المشاركة في السباق.

ويذكر [ثوكيديدس] بعد أن وصل تمستوكليس [بحرايحه] عن طريق البرّ استقلّ سفينة من [پيدنا Pydna] على خليج ثيرم [Therme]. ولم يكشف عن هويته طوال وجوده على ظهر السفينة حتى تبين له أن الريح تدفع بالسفينة قريباً من [نكسوس]<sup>(\*)</sup> وارتعب اذ رأى

(٦٨) ليس بالشيء الملفت للنظر يقدم المستجير ادعيةً لآلهة بيت الذي استجاره. كما فعل [اوليوس] عند وصوله بلاط [الكينونوس] (الاولديسي ١٥٣:٧) أمّا ان يقدم على ذلك وابن الملك بين ذراعيه مضموم فتلک واقعة غير اعتيادية.

(\*) حوالى ٤٦٩ ق.م.

الآثينيين يحيطون بها. فكشف عن حقيقته لقبطان السفينة وملاحها وبين الرجاء والتهديد بقوله أنه سيتهمهما بمساعدته ويقبولهما رشوة مالية منه اذا خطر ببالهما ان يقتربا من الساحل وسيجعل الآثينيين يعتقدون بأنهما كانا يعرفان هويته عندما حملاه. وهكذا أرغمهما على الأقلاع والابتعاد وتوجيه السفينة الى ساحل آسيا ونقل اصداؤه جزءاً كبيراً من ثروته سرّاً وبعثوها وراءه الى آسيا عن طريق البحر، في حين أن ما أكتشف وصور منها قاربت قيمته الثمانين تالنتاً على ما يذكر [ثيوفراستس]. ويقول [ثيومپوپوس] بل مائة تالنت في حين لم يقوم تمستوكليس بأكثر من ثلاثة تالنتات قبل أن يتولى الشؤون العامة<sup>(٦٩)</sup>.

عندما وصل [كيمه Cyme] وعلم أن الكثير الرجال يكمنون له على طول الساحل ولاسيما [ايرغوتيلس Ergoteles] و[پثيدوروس Pythodorus] [إن القنيصة تسوى عناء الصيد لمن يكون شاكراً أن كسب مالاً باية وسيلة. وقد أعلن ملك الفرس للعموم عن استعداداه لدفع مكافأة نقدية قدرها مائتا تالنت لمن يقبض عليه] فهرب الى ايجي Aegae وعي بلدة آيولية صغيرة، لا يعرفه فيها أحد غير مستضيفه [نيقوجينس Nicogenes] أغنى أغنياً [ايوليا] ومن أشهر من يعرف عند عظماء الرجال في داخلية آسيا. وفيما كان [تمستوكليس] يسكن داره متخفياً لعدة أيام وقع [اولبيوس Olbius] معلم أولاد نيقوجينس في غيبوبة وادركته نوبة وجدٍ آلهي على أثر تضحية عقبها عشاء. ونطق بالنبوءة التالية شعراً:

«الليل سيتكلم - والليل يرشدك بصوت الليل سيسدّد خطاك»<sup>(٧٠)</sup>

وبعدها أب [تمستوكليس] الى فراشه ورأى في الحلم حيّة تلتف على نفسها فوق بطنه ثم ترحف الى عنقه ثم ما أن تمسّ وجهه حتى تنقلب الى عقاب نشر جناحيه فوقه ورفع وطاره به مسافةً بعيدة، ثم ظهر له قضيب المنادي الذهبي. فما كان من الطائر إلا وحطّ به آمناً بعد متاعب ومشاق لا تُحصى.

وتمّ رحيله عن [نيقوجينس] بركون هذا الى الحيلة التالية:

ان اقوام البرابرة ومنهم الفرس، هم بصورة خاصة شديدو الغيرة، والشكّ والصرامة بخصوص نساءهم، لا زوجاتهم وحدهن بل إمائهن المشتريات وجواريهن، ويحرصون عليهن ويحجبونهن عن الأعين ولا يدعونهن خارج الدار بل يوصدون دونهن الابواب طوال حياتهن واذا سافرن، يحملن في هودج صغيرة ترخي عليها السجف من كل الجهات وتوضع فوق مركبة. فهياً

(٦٩) هذا لا يستقيم قط مع ما وصفه بلوتارخ من البذخ والعزّ الذي كان يستمتع به تمستوكليس قبل ان يتولى وظيفة عامة.

(٧٠) اي «اسمع نصيحة وسادتك وستنجح».

نيقوجينس] لتمستوكليس هودجاً كهذا واخفاه فيه وحملوه في الرحلة. وأوصى الحمّالين ان يزعموا للذين يصادفونهم في الطريق انهم يحملون فتاة أغريقية خارج [أيونيا] الى نبيل في البلاط الفارسي.

يقول [ثوكيديدس]، و[خارون Charon] اللمّپساكوسيّ Lampsacus أن [احشويرش] كان قد مات وأن تمستوكليس واجه ابنه ارتحششتا، إلا أن [ايفورس ودينون وقليتارخوس، وهيراقليدس Ephorua, Dinon, Clitarchus] وكثير غيرهم، يذكرون أنه التقى بأحشويرش إلا أن الالواح الحولية تتفق ورواية [ثوكيديدس]. ومع هذا لا يمكن الجزم اياً من الروايتين هي الصحيحة والمعتمدة<sup>(٧١)</sup>.

عندما جوبه [تمستوكليس] بأحرج موقف له. قدّم نفسه أولاً [لأرطبان]<sup>(٧٢)</sup> وهو قائد ألف، وقائلاً له أنه أغريقي يرغب في ان يكلم الملك في امور هامة هي الآن شغله الشاغل فأجابه [ارطبان] «إن قيم الرجال الخلقية ايها الغريب، تختلف. فما هو شريف عند أحدهم قد لا يكون كذلك عند آخر. ولكن من الشرف والنبل للجميع أن يحافظوا ويحترموا شرائعهم الخلقية ولقد قيل لنا أن من خلق الأغريق الاعتزاز بحريتهم ومبدأ مساواتهم أكثر من اعتزازهم بأي شيء آخر. أمّا عن فمن شرائعنا الممتازة العديدة نحن نعتبر اكرامنا الملك وعبادته أسمى ما في شرائعنا من مبادئ، إننا نعدّه صورة لرب الكون الأعظم. فإن أنت ارضيت شرائعنا وسجدت للملكنا وعبدته ففي الامكان ان تراه وتكلمه، أما اذا كان رأيك خلاف ذلك. فعليك ان تتصل بغيري للتوسط لك. اذ ليس من العادات القومية هنا أن يسمح لأي شخص بمقابلته إن لك يسجد له».

أصغى تمستوكليس لهذا الكلام ثم أجاب «أنا آتٍ يا أرطبان لأعمل على زيادة سلطة الملك ومجده، ولذلك لن أكتفي بتطبيق شرائعه على نفسي، مادامت مشيئة الآله أن يرفع الامبراطورية الفارسية الى أوج العظمة، بل سأعمل على أن يزيد عدد الساجدين والعابدين له كثيراً. ولن يكون هذا إذن عائقاً لي عن الاتصال به والافضاء اليه بما عندي». فسأله أرطبان: «ما الاسم الذي سنقدمك به اليه؟ لأن اقوالك تدلّ بأنك لست شخصاً اعتيادياً» فأجابه

(٧١) فيكون وصوله البلاط البارثي في السنة الأولى من الالمبياد التاسع والسبعين أعني في ٤٦٤ ق.م (ديودورس ٦:٩) وهي السنة الأولى لتولي (ارتحششتا) العرش. ولكن بعض المؤرخين ومنهم ايفورس الكومي في (تاريخ الاغريق) وهو يلي تاريخ هوميروس في الأهمية يقول ان وصوله كان قبل هذا التاريخ بسبع سنين [ديودورس المرجع السالف] كذلك ثوكيديدس وديون والد كليتارخس الذي كتب تاريخاً لبلاد الفرس وهو من زمرة الاسكندر المقدوني.

(٧٢) ابن ارطبان قائد الحرس الذي قتل احشويرش وأقنع ارتحششتا بقتل داريوس اخيه الأكبر.

تمستوكليس: «لن يعلم أي إنسان بذلك يا أرتبان قبل الملك». هذا ما يسرده [فانياس]، ويضيف [ايراستينوس Eratosthenes] (٧٣) في رسالته «عن الغنى» أن تمستوكليس توصل إلى مقابلة [أرتبان] بمسعى من امرأة اريترية كانت في حرم ذلك القائد.

قد يكون كذلك وقد لا يكون لكن عندما أدخل على الملك وقدم له فروض التجارة والتعظيم وقف صامتاً حتى أمر الملك المترجم بسؤاله عن هويته. فأجاب «أيها الملك أنا هو تمستوكليس الآثيني، وقد نفاني الأغرقي. إن الأضرار التي ألحقتها بالفرس عديدة إلا أن المنافع التي كسبها مني أعظم، فقد حلت بين قومي وبين مطاردتك حالما سمح لي خلاص بلدي بإظهار الرعاية لكم أيضاً. لقد جئت تحذوني أفكار متفقة مع النوايب التي أصابتنني، متهيئاً لاقتبال عطفكم وغضبكم معاً، مَرْحَباً بعفوكم الكريم أو مستعداً لاحتمال سخطكم العظيم، ولديكم من بني وطني شهودٌ على الخدمات التي قدمتها لبلاد فارس. فانتفع بهذه الفرصة، لتظهر للملأ سجايك، فهذا أحرى بك وأجدي لك ارضاء حنقك. إن انقذتني انقذت مستجيراً بك مخلصاً، وإن فعلت خلاف ذلك فستقضي على عدو للأغرقي».

وتكلم أيضاً عن النذير الإلهي كالرويا التي حلم بها في منزل [نيقوجينس] والأمر الذي نزل عليه في نبوءة [دودونا Dodona] حيث طلب منه [جويتر] أن يقصد ذلك الذي كان اسمه شبيهاً باسمه مما فهم أنه مرسل إليه من جويتر لأن كليهما عظيمان ولكليهما اسم ملك.

وإصاح الملك السمع معجباً بروحيته وشجاعته، ولكنه لم يجبه بشيء في حينه. إلا أنه أظهر فرحه أمام ندمائته المقربين وحمد حسن حظه وعد نفسه في غاية السعادة لذلك. ودعا لآلهة [أهريمان] (٧٤) أن يتجه رأي كل أعدائه اتجاه رأي الأغرقي فييهنون ويطردون أشجع رجالهم من بينهم. ثم قرب للآلهة، وعكف على الشراب ووصل به السرور حداً أنه صرخ في نومه ثلاث مرات «تمستوكليس الآثينين عندي».

وفي صباح اليوم التالي جمع الملك عظماء البلاط، وأمر باحضار [تمستوكليس] أمامه فتوجس هذا شراً عندما رأى الحراس مثلاً يرمقونه شزراً عندما يعرفونه، فيسمعونه قارص الالفاظ، وتقدم من ناحية الملك الذي كان جالساً والباقون سكوت، فمرّ به [روكسان] وهو قائد الف، وسمعه يتمتم قائلاً دون أن يتحرك من مجلسه: «أيها الشعبان الأغرقي الماروغ الماكر! إن عبقرية الملك السامية تمكنت من أحضارك هنا». وعندما مثل أمامه سجد له كالسابق فحياه الملك وكلمة برقة قائلاً أنه مدين له الآن بمائتي تالنت، إذ من المعقول والعدل أن يتسلم

(٧٣) رعاه [بطليموس أفريقيّس] من مسقط رأسه (كيريون) للاشراف على بأفلاطون الثاني.

(٧٤) أو أهريمان وهو آله الشر والظلام مسبب الطاعون والنكبات في الثنوية الفارسية.

المكافأة التي خصصها « لمن يأتي بتمستوكليس » ووعده بمال كثيرٍ وشجعه، وحضه على التحدث معه بكل حرية عن شؤون الأغرقي. فأجاب [تمستوكليس] أن حديث المرء يشبه السجادة الفارسية النفيسة، لا تظهر زخارفها وصورها الجميلة إلا إذا فرشت بكامل أبعادها، فإذا ما طويت أو لُفت ضاعت تلك التهاويل أو بدت شوهةً للعين. لذلك فهو يرغب في مهلةٍ من الوقت وسر الملك بالمقارنة وسمح له بما شاء من الوقت فطلب سنة كاملة وفي خلالها اتقن اللغة الفارسية وتكلم بها مع الملك دون مساعدة مترجم، وكان المفروض ان يتناول الحديث شؤون اليونان فحسب. ولكن حدثت في تلك الفترة تغييرات كبيرة في بلاط الملك وطُرد عدد كثير من ندمائه فاستهدف تمستوكليس لنقمة العظماء الذين تصوروا أن الجرأة بلغت به الحدّ الذين أخذ معه يتكلم عنهم. لأن الأكرام الذي أصاب غيره من الأجانب كان لا شيء بالنسبة لما أعقدق عليه من النعم. فقد لازمه في لهوه ومجالس طربه ونزهاته في القصر ورافقه في صيده وجعله نديماً مقرباً حتى أنه سمح له برؤية والدته الملكة، ومحادثتها مراراً كثيرة، وبأمر منه سمح له بالاطلاع على أسرار المجوسية وتعاليمها.

وعندما أمر الملك أن يطلب [ديماراتوس Demaratus] اللقيديموني ما يريد منه وسينيله طلبه مهما كان، طلب هذا أن يعينه على دخول [سارديس] دخولاً رسمياً وأن يحمل على عرش خلال المدينة وان يزين مفرقه تاج على عادة الملوك (٧٥)، فمد [ميثروبوستس] ابن عم الملك يده الى رأس ديماراتوس ولمسه قائلاً انه لا يملك عقلاً ملكياً يستأهل تغطيته بتاج ولو أن [جويتر] نفسه أعطاه برقه ورعده، لما أنقلب بهما الى جويتر ثان! ورفض الملك أيضاً طلبه غاضباً وعزم ألا يرى وجهه ابداً، وأن لا يقبل أي استرحام بشأنه. على أن تمستوكليس تمكن من تهدئته واقنعه بالصفح عنه. وقد جاء في الأخبار أن ملوك الفرس المتعاقبين بعد، ممن كانت صلاتهم وثيقة بالأغرقي، عندما كانوا يدعون أي يوناني جليل القدر لخدمتهم فإنهم يكتبون له عهداً بأن قدره عندهم سيكون عظيماً مثلما كانت مكانة تمستوكليس، تشجيعاً وترغيباً لهم. ويردون أيضاً كيف ان تمستوكليس عندما كان يعيش عيشة رغيدة هناك، وهو قبله انظار الكثير، وجه الكلام الى ابنائه من حوله وهو جالس الى مائدة الطعام والخدم والستاء يتسابقون الى خدمته « أولادي! كان الدمار سيلحق بنا لو لم نُدْمر! ».

ويتفق معظم الكتاب أنه منح ثلاث مدن وهي [مغنيزيا Magnesia وميوس Myus] (٧٦)

(٧٥) كان هذا أعظم تكريم يصدر عن ملوك الفرس.

(٧٦) ان الأراضي الحيطة بمغنيزيا الواقعة على نهر ميثاندر في آسيا الصغرى وغير البعيدة كثيراً عن أفسس، هي اراضٍ في غاية الخصوبة، حتى انها كانت تدر على تمستوكليس من غلة ما يبلغ ثمنه اربعين تالنتاً. و[لاميساكس] في المضائق ينمو الى جوارها اجود الكروم في سائر المشرق. و[ميوس] أو [ميون]=



ولميساكوس] لتأمين مطلبيه من اللحم والخبز والخمر، ويضيف [Neanthes] من [كيزيكوس Cyzicus] و[فانياس] الى هذه المدن مدينتين أخريين هما [پاليسكيس Pa-laescpsis] لتأمين حاجته من الثياب، و[پيركوتة Percote] لسد حاجته من الفرش والأثاث المنزلية.

وفيما كان في طريقه الى ساحل البحر لاتخاذ تدابير عسكرية ضد الأغرقي، نصب له فارسي اسمه ابيكسيس Epixyes (وهو حاكم فريجيا العليا) كميناً لقتله، وكان قد أعد قبل زمن زمرة من الپسيديين، ليهجموا عليه ويوقعوا به عندما يقف للاستراحة في بلدة تدعى «رأس الأسد»<sup>(٧٧)</sup>. إلا أن ام الآلهة تراءت له أثناء غفوة الظهر فحلم انها قالت له: «ابتعد يا تمستوكليس عن الأسد وحاذر لثلاث تقف في شذقيه، ولهذا التحذير اتوقع منك أن توقف ابنتك [منسيبتوليا Mniseptolema] على خدمتي». فعجب تمستوكليس لذلك وبعد أن نذر النذر المذكور للربة. حاد عن الطريق العام وقام بدورة وسلك سبيلاً ثانية مغيراً موضع استراحته المقرر، واناخ ركيه ليلاً في العراء. إلا أن أحد الخيول التي تحمل أثاث خيمته سقط في النهر ذلك اليوم. فعمد خادمه الى نشر السجاد والابسة المبللة وعلقها لتجف وفي الوقت نفسه لحق بهم الپسيديون وسيوفهم مُسرعة إلا أن ضوء القمر لم يسمح لهم بمعرفة ما هو منشور في العراء بالضبط وحسبوه خيمة تمستوكليس، وظنوه يرتاح داخلها. ولما اقتربوا ورفعوا الابسة المعلقة، انتهز اتباع تمستوكليس الكافين فرصتهم وهجموا عليهم واسروهم واعترافاً بفضل ربة الأرباب عليه لانذاره بالخطر المحقق، أقام لها معبداً في مدينة مغنيزيا كرسه باسم «دندمين Dindymene» ام الآلهة ونذر لخدمتها فيه ابنته «منسيبتوليا».

وبوصوله [سادرس] زار معابد الآلهة، وعُني في أوقات فراغه باصلاح بنائها وزخرفتها، وبعدد التقدّمات التي تقدم لها ولاحظ في معبد ام الآلهة، تمثال العذراء النحاسي المسمى «حاملة الماء» وبلغ ارتفاعه ثلاثة أقدام وكان قد أمر بصنعه وأقامته في موضعه ذاك، عندما

---

= وهي مدينة [كارية] تقع على مصب النهر المذكور سابقاً - غنية بالحاصلات لاسيما بالاسماك [توكيديس ١: ١٢٨] وقد جرت العادة عند ملوك الشرق بان يمنحوا اصداقهم وخلصاعهم غلات مدن أو مقاطعات بدلاً من مبالغ مالية. والملك يعطي من المدن التي تعود له مثلاً مقداراً مما تدره من الخمر، أو المائل او الأموال أو الاكسية.

و(بيركوتي) هي الأخرى مدينة من مدن المضائق تقع بين ابيدوس ولاميساكس. وپاليسكيس تقع في (ترواد).

(٧٧) لم يرد اسم ليونتكيفالس لا في سترابو أو ستفانوس البيزنطي أو ايلين واما ام الارباب فهي (ريا Rhea أو كيبيله Cybele أو الام الكبرى Magna Mater)، كما تسمى ايضاً دنديميني Dindymene مشتقاً من اسم جبل دنديمون في فريجيا.

كان مراقباً للماء في أثينا - وأنفق على صنعه من الغرامات التي كان يفرضها على أولئك الذين يغتصبون المياه العامة بحرفها عن مجاريها وتحويل أنابيبها، لاستعمالهم الخاص. وسواء أدركه بعض الحزن لرؤية تمثاله مأسوراً، أو لرغبته في إطلاع الآثينيين على الخطوة الكبيرة التي نالها من الملك، والسلطان الواسع الذي متّعه به، راح يفاوض حاكم المدينة ليقنعه باعادة التمثال الى أثينا. فاستشاط القائد الفارسي غضباً وأبلغه انه سيكتب للملك بهذا، فانتاب تمستوكليس خوف شديد للعاقبة، وعمل على الاتصال بزوجات ذلك الحاكم ومحضياته ووصلهن بالهدايا النقدية حتى انفتأ غضب الحاكم. وقد جعلته هذه الحادثة أكثر حذراً وتحفظاً في سلوكه وتصرفاته خشية حسد عظماء الفرس وتعاملهم. ولم يواصل رحلته في ارجاء آسيا، كما ذكر [ثيومبويوس] وانما عاش عيشة هادئة مستقرة في منزله بمغنيزيا. وقضى أياماً طوالاً على هذا المنوال أمناً مطمئناً يحترمه الجميع ويرفل في النعم والعطايا، ويكرمه اعظم رجال الفرس. وكان الملك في ذلك الزمن مشغولاً في أمور آسيا الداخلية، غير مهتمّ بشؤون الأغرقي.

لكن عندما شبت الثورة في مصر، وخفّ الآثينيون الى مساعدتها (\*) ومخرت سفن الأغرقي عياب البحار حتى وصلت (كليكييا) و(قبرص) وجعل (كيمون) نفسه سيد البحار، تحول اهتمام الملك ثانياً الى بلاد اليونان وعزم عزمًا أكيداً على تأديب الأغرقي والحدّ من سلطانهم المتنامي على حساب سلطانه. وبدأ يعبئ جيوشه ويرسل الى القادة باوامره العسكرية، وبعث رسلاً التي تمستوكليس في مغنيزيا يذكره بالوعد الذي قطعه، ويطلب منه العمل ضد الأغرقي - على أن ذلك لم يزد من حقد تمستوكليس على الآثينيين ولا من سخطه؛ ولم تفتنه فكرة المجد والقيادة العليا التي سيتقلدها في هذه الحرب، ولعله قدر أن الهدف سيكون بعيد المنال، لا لأن الأغرقي كانوا في ذلك الزمن تحت قيادة [كيمون] بصورة خاصة وغيره من القرّاد المحنكين الذين كانوا يحرزون النصر تلو النصر ويفوزون بمعارك رائعة، بل بالدرجة الأولى لأنه كان خجلاً من تلوّث المجد الذي نالته مآثره العظيمة السابقة وانتصاراته العديدة وغنايمه العسكرية. ولذلك قرر ان يضع حداً لحياته بشكل يناسب السبيل الذي سلكته فيما مضى (٧٨). فقبّر للأرباب ودعا اصحابه الى مأدبة فأكرمهم وصافحهم واحداً واحداً ثم شرب دم الثور (٧٩)، كما جاء في الرواية الشائعة. أو السم النافع كما يزعم آخرون. وانتهت حياته

(\*) في السنة ٤٥٩ ق.م.

(٧٨) عندما كانوا يضحون بالثور، تلقى بعض دمه في قدح وشربه ساخناً فقبض عليه (حسب قول بليني) لان هذا الدم يتخثر في الحال.

(٧٩) لا يوجد موضع في اتيكا باسم [الكيموس] وانما توجد مقاطعة تسمى (اليموس) وتقع شرق (بيريوس) =

في مدينة مغنيزيا وله من العمر خمسة وستون عاماً انفق معظمها في الحروب والسياسة وبنى القيادة العسكرية. وأبلغ الملك بأسباب موته وكيفيته، فازداد به إعجاباً واستمر يظهر العطف لأقربائه وأصحابه.

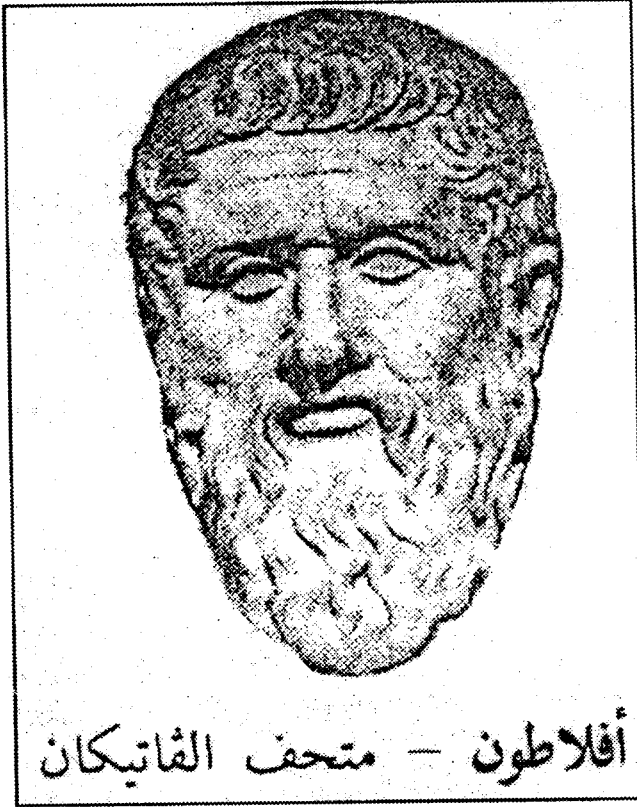
خلف [تمستوكليس] ثلاثة أبناء من زوجته [آرخيبه Archippa] بنت ليساندر الالوبيكي Alopece وهم [ارخيبتوليس Archiptolis] و[بوليوكتوس Poleuctus] و[كليوفانتس Glio-phantus]. وذكر افلاطون ان ثالثهم كان فارساً ممتازاً فحسب وهو ما عدا ذلك شخص مغمور. وابنه الرابع الذي ولد له قبل هؤلاء واسمه [نيوقليس] مات صغيراً بعضة حصان. وابنه الخامس [ديوقلس] تبناه جدّه [ليساندر] وخلف بنات كثيرات منهم [منسبيتوليا] التي ولدت له من زوجه الثانية، تزوجها اخوها غير الشقيق [ارخيبتوليس]، و[ايطاليا Ital-ia] التي تزوجت [پانثويدس Panthades] من جزيرة [خيوس]. وابنته الأخرى [سباريس Sybaris] تزوجت [نيقوميدس] الآثيني. بعد وفاة تمستوكليس رحل ابن أخيه [فراسيكلس Phrasicles] الى مغنيزيا وتزوج بنتاً أخرى له اسمها [نيقوماخ] بموافقة أخوته وتعهده برعاية صغرى الاولاد: [آسيا] ولدى المغنيزيين ضريح فخم لتمستوكليس يقوم في وسط ساحة السوق الكبرى. ولا يستأهل منّا الذكر ما أورده [اندوكيدس Andocides] في خطابه لأصحابه حول وفاة [تمستوكليس]، وكيف ان الآثينيين سرقوا قبره وذرّوا رماد عظامه في الهواء. فقد أختلق هذه الرواية ليثير الحزب الاليفغارشي على عامة الشعب. وليس ثم حيّ يجهل أن [فيلارخوس Phylarchius] انما يخترع اختراعاً وينسج من الخيال في تاريخه حتى لم يكن يعرّزه غير مرشح فعلي. فقد عمل من [نيوقلس] و[ديمبوليس] ابنين لتمستوكليس، ليثير العواطف ويحرك الشجون والمشاعر، كأنما يكتب تمثيلية مأساوية. ويقول [ديودوروس] الفلكي في كتابه «عن القبور» تخميناً لا عن معرفة ثابتة: يوجد بقية عن بناء قرب ميناء [پيروس] حيث تخرج الأرض بهيئة المرفق من مرتفع الكيموس Alcimus<sup>(٨٠)</sup> عند اجتيازك اللسان الأرضي الى الداخل حيث البحر هاديء دوماً وعلى هذا البناء يقوم قبر تمستوكليس<sup>(٨٠)</sup> على هيئة مذبح ويؤيد ذلك [افلاطون] الكاتب الكوميدي في ابياته التالية: يقوم ضريحك على موضع رائع من الساحل. والتجار مازالوا يقرؤنه التحية مع

= أشتهرت بوجود معبد لـ(كزيوس) فيها ولأنها مسقط رأس المؤرخ (توكيديدس). لذلك كان مقريسيوس موفقاً في تصحيحه [پاوسنياس ١: ١٢].

(٨٠) يقول توكيديدس ١: ١٢٨. ان عظام تمستوكليس نقلت سراً الى اتيكاً بمسعى أقربائه وتطبيقاً لوصيته ودفنت هناك. الا ان [پاوسنياس] يتفق مع [ديودوروس] بان الآثينيين الذين ندموا على ما فرط منهم بحق رجلهم العظيم، كرموه باقامة ضريح له في پيروس. ويقول [پاوسنياس] انه كان قائماً في ايامه.

الأرض القادمين اليها. وسيظل ينظر اليهم وهم غادون راتحون، خارجون داخلون.  
ويرقب السفن وهي تمخر الماء تحته.

وظلّت عادة اكرام نسل تمستوكليس متبعة في مغنيزيا الى يومنا هذا. والآن يتمتع بها  
تمستوكليس آخر من أهل اثينا تعرفتُ به وتوثقت صداقتي معه في دار الفيلسوف امونيوس.





ديانا والأيلة

كاميلوس

**CAMILLUS**

**(Marcus Furius)**

ت 365 ق.م



من بين الأمور العديدة البارزة التي تروى عن [فيوريوس كاميللوس] كان أعجبها وأروعها طراً أنه لم يبلغ منصب القنصل قط، في حين ظلّ يتقلد ارفع القيادات بصورة مستمرة يواكبه النجاح تلو النجاح، واختير دكتاتوراً خمس مرات، ودخل ظافراً أربع مرات، ولقب بباني روما الثاني. أن السبب في ذلك يعود الى أحوال الجمهورية ووضعها في ذلك الحين، لأن العامة رفضوا انتخاب قناصل لخلافهم مع الشيوخ<sup>(١)</sup> وأنتخبوا عوضاً عنهم حكماً أسموهم بالتربيونات العسكريين، لهم صلاحيات القناصل وسلطاتهم كافة. وكان المأمول من هذا الاجراء أن يتناقص أذى الحكام لأن الحكم سيكون موزعاً على عددٍ أكبر. فوضع ادارة الحكم في ايدي ستة أشخاص لا اثنين.

كان فيه بعض الاطمئنان لخصوم الحكم الاوليغارشي. تلك هي حالة الزمان عندما بلغ كاميللوس أوج مجده وعظمته. ومع أن الجمعية العامة Comitia كانت تجمع في بعض الأحيان خلال تلك الفترة<sup>(٢)</sup> فينتخب القناصل إلا انه لم يستطع اقناع نفسه بطلب المنصب القنصلي ضدّ رغبة الشعب. أمّا في وظائفه العامة الأخرى العديدة فمسلكه: عندما يكون مطلق السلطة، ان يمارسها كأنها موزعة بينه وبين غيره. والفضل في النتائج يعود له وحده في جسيوعها، وان كان ثم شارك في القيادة. وعدالته جعلت حكمه امنا من الحسد بالدرجة الأولى وأن قابليته وكفاءته هي التي ادخرت له المقام الأول الذي لم ينازعه فيه أحد بالدرجة الثانية.

---

(١) الخلاف القديم حول توزيع الأراضي تجدد. والعامة تصرّ على أن كل مواطن يجب ان يحصل على حصة متسارية، فيجتمع مجلس الشيوخ عدة مرات ليرفض هذا الاقتراح. أخيراً نصح [أبيوس كلوديوس] بكسب عدد من التربيونات للعامة، باعتباره العلاج الوحيد العناد المجلس والتحكم الذي يمارسه، فنقد الشعب هذه النصيحة. ان دفع اليأس العام بالعامة الى انتخاب تربيونات عسكرية بدلاً من القناصل. وقد خرج بعض التربيونات من طبقة الهليبينان (ليفي ٤:٤٨).

(٢) من ٣١٠ عندما لبتدأوا بانتخاب التربيونات العسكريين (ليفي ٤:٧) ص ٣٨٨ ق.م عندما صار القناصل ينتخبون بصورة مستمرة - كان يجري انتخاب قلة من القناصل بين حين وآخر. لكن لم ينتخب اثناء فترة ادارة كاميللوس أكثر من قنصل واحد أو اثنين وكانت الجمعية العامة مئوية القوام Centuriata ان يتم تصويت الجمهور بمجموعات تتألف كل منها من مائة فصرت لاختيار اصحاب المناصب الرفيعة كالقنصل، والجنسور والپريتور وكان عدد التربيونات العسكريين في المبداء ثلاثة فقط.



لم يكن آل فيوري Furi (٣) في ذلك الحين بيتاً رفيعاً بارزاً قط (٤). وهو الذي رفع من شأن نفسه بأعماله. وصار يشار اليه بالبنان، فقد خدم بأمرة الدكتاتور [پوستيميوس توبرتنس] في المعركة الكبرى ضدّ الإكويين Aequians والفولسيكيين Voliscians (٥). قد خرج ركباً صهوة جواده عن بقية الجيش وهاجم العدو فأصيب فخذُه بطعنة سنان مقذوف. فلم يأبه وترك الرمح مغروراً في مكانه واستمرّ يهاجم أشجع مقاتلي العدو حتى هزمهم. فأنعم عليه لمسالته هذه بمنصب الجنصور Censor (٦) الى جانب مكافآت أخرى، وكانت هذه الوظيفة في ذلك الحين خطيرة، ذات سلطة كبيرة. وقد أثر عنه عملٌ طيّبٌ جداً خلال فترة بقائه في تلك الوظيفة. كان المقاتلون يسقطون صرعى في الحرب ويتركون ارامل كشيرت فأصدر أمراً يقضي بأن يتزوج العازبون بهنّ طوعاً، وإلاّ تفرض على من لا يقبل، غرامة شخصية كما أنه أخضع الأيتام للضريبة كاجراء ضروري لتنفيذ الأمر الأول، وكانوا قبلاً معفوين منها، وكانت الحروب المستمرة تتطلب نفقات أكثر من العادة لهم إلا أن ما أضنك الرومان أكثر من أي شيء هو حصار [فيي Veii]. يسمى بعضهم هؤلاء القوم بـ(الفينيتاني Vientani) وهي كبرى مدن التوسكان ولا تقل عظمتاً عن روما لا في عدد الجنود ولا في مقدار السلاح. واعتبار نفسها على هذه الدرجة من الغنى والثراء، ولاعتدادها بفنونها وحضارتها وقوتها، دخلت في مناسبات شريفة كثيرة مع الرومان اطلاباً للمجد والسؤدد. أما الآن فقد تخلوا عن مطامحهم

(٢) اسم الأسرة [فيوريوس] و[كاميلوس] هو اسم الابناء الفضلاء الذين يخدمون في هيكل أحد الآلهة. وكان كاميلوس اول من احتفظ به وجعله اسماً أخيراً له. أما اسمه الصغير فهو [ماركوس].  
(٤) ربما قصد پلوتارخ به الرفعة العسكرية لا الرفعة المدنية. ففي العام ٢٦٦ ق.م وجدنا سكستوس فيوريوس يتولى منصب القنصلية [ديون ٣:٨؛ وليفي ٢:٢٩]. وفي فترة تقل عن قرن واحد ما بين تريبيونية كاميلوس الأولى وتلك الفترة نجد ما لا يقل عن سبعة عشر من هذه الأسرة قد وصلوا الى هذا المنصب.  
(٥) كان ذلك في العام ٢٢٤ ولكاميلوس من العمر ١٤ سنة أو ١٥. ومع ان المواطن الروماني لا يحمل السلاح عادة قبل السابعة عشرة ومع ان پلوتارخ يؤكد بان شجاعته الفائقة في ذلك الحين هيأت له الأسباب لتسليم منصب الجنصور، ان كان الأمر كذلك فلا بد انه انتخب لشجاعته فحسب ان لم يكن من المالكوف ان يسند مثل هذا المنصب الى حدث له مثل هذا العمر. في الواقع ان كاميلوس لم يصل الى هذه الوظيفة الا في العام ٢٥٣.

(٦) ان سلطة المحتسب (الجنصور) اول استحداثها في العام ٣١١ لتأسيس روما، في زمن الجمهورية كانت جدّ واسعة. فمن صلاحياتها طرد اعضاء مجلس الشيوخ وتأييب الفرسان وتوييخهم. ومنع الپليبيان من الادلاء باصواتهم في الاجتماعات العامة. الا ان الاباطرة أستقلوا بها وأحتكروها ولم يعد اللقب يشرف حامله. فيعمد الى التخلّي عنه. واما ما ذكره پلوتارخ عند قيام كاميلوس باجبار عزاب الرومان على الزواج بارامل الحرب. فانه يدخل ضمن سلطات الجنصور ويدعى: Caelibes esie Prohobento ومن واجباتهم أيضاً الاحصاء السكاني العام Census الذي يجب اجراؤه كل خمس سنوات. [انظر ديون ١١:٨-٤، ليفي ٢:٤٤-٨، شيشرون: ٢] وغيرهم.

الغابرة بعد أن أضعفتهم الهزائم الكبيرة، فحصنوا أنفسهم بأسوار عالية قوية وجهزوا المدينة بمختلف أنواع الأسلحة الهجومية والدفاعية وتموتوا أيضاً بالقمح وكل أنواع المؤن والأرزاق، واحتملوا بكلّ راحة حصاراً كان على محاصريهم أشق مما هو عليهم وأنكى. لأن الرومان لم يتعودوا البقاء بعيداً عن ديارهم إلا في أيام الصيف ولمدة ليست بالطويلة، وكان شأنهم دوماً أن يقضوا الشتاء مع أهلهم، فلهذا اضطرهم المفوضون [التربيونان] الى بناء حصون في أرض العدو واقامة تحكيمات قوية حول معسكرهم لدمج فصلي الصيف والشتاء معاً. وساد الشك في أن القادة يتباطئون ويتماهلون كثيراً في تضيق الخناق على المدينة بعد أن كادت تمر السنة السابعة على الحصار<sup>(٧)</sup>، حتى بلغ الأمر الى حدّ اقتلتهم من القيادة واختيار آخرين لادارة الحرب ومنهم [كاميللوس]، فأصبح (تربيونان) للمرة الثانية<sup>(٨)</sup>. إلا أنه لم يعط في حينه دوراً في الحصار، لأن الواجب الذي وقع له بالقرعة هو قتال الفاليسكان Faliscans والكابينات Capenares<sup>(٩)</sup> الذين انتهزوا فرصة انشغال الرومان التّام فراحوا يعيشون في بلادهم سلباً ونهباً واستطاع [كاميللوس] أن يكسر شوكتهم رغم حراسة موقف الرومان بحرب التوسكان، والحق بهما خسائر فادحة وأجبرهما على الفرار والتحصن وراء الاسوار.

وفي اثناء احتدام المعارك هذه، حصلت ظاهرة غريبة ادت الى قلق واضطراب عظيمين في بحيرة ألبان Alban. بدت هذه الظاهرة اشبه بخارقة من الخوارق لأنها فاقت كلّ ما سبق خبره من الخوارق، وتحدّت كلّ التفاسير المعروفة على ضوء الأسباب الطبيعية<sup>(١٠)</sup>. كان وقت بدء الخريف، وقد انتهى الصيف، ولوحظ أن الفصل الجديد خلافاً للعادة لم يكن ممطراً ولا كثير الاضطراب بالرياح الجنوبية وغاض ماء كثير من مختلف البحيرات والبرك والينابيع، التي

(٧) من التربيونان الستة العسكريين المعيّنين في تلك السنة اثنان منهما فحسب كانا على رأس القوات التي حاصرت (قبي) هما [لوشوس فرجينوس] و[مانيبوس سرجيوس] ثانيهما قاد الهجوم واولهما اشرف على الحصار. وفيما كان الجيش منقسماً بهذا الشكل قامت قوات الفاليسكيين والكابينات بالانقضاض على سرجيوس، في الوقت الذي اندفع المحصورون من الداخل وهاجموه خارج الاسوار. وظن الرومان الذين تحت امرته انهم يواجهون كل قوات [اتوريا] فانهارت معنوياتهم وتقهقروا، وكان بوسع (فرجينوس) انقاذ الموقف. إلا أن كبرياء (سرجيوس) ابت عليه طلب العون من زميله وقرر هذا ان لا يقدم له اية مساعدة. فأوقع العدو مذبحه هائلة في صفوف الرومان (ليفي ٨:٥).

(٨) في العام ٣٩٦ ق.م.

(٩) يقول ليفي (١٤:٥) ان فاليريوس بوتيتوس [التربيون العسكري للمرة الخامسة هاجم الفاليسكيين ودمرهم وكذلك فعل (كاميللوس) بالكابينات] اذ اوقع بهم خسائر عظيمة في الأرواح وغنم منهم الكثير.

(١٠) كان علماء ذلك الزمن قادرين على مساعدة الرومان في فهم هذه الظاهرة الطبيعية. و(سترابو) الذي عاصر (أغسطس) كان بوسعه حلّ اللغز أيضاً من تعليقاته على بحيرة فوجيني التي تدعى اليوم «بحيرة قلعة كوندولفو».

تحفل بها ايطاليا، وبعضها جَفَّ تماماً. وبعضها لم يعد فيه إلا حثالة. وظلّت مناسيب مياه الأنهار واطنة جداً كما هو حالها صيفاً، إلا بحيرة [ألبان] التي تتغذى بمياه أخرى غير مائها والتي تحيط بها الجبال ذات الأشجار المثمرة من كلّ جانب، فقد فاض ماؤها دون ما سبب (الأ إذا كان ألهاً) وارتفع منسوب مياهها بشكل ظاهر حتى سفوح الجبال وأستمر في الارتفاع الى أن بلغ قممها كل ذلك دون أن يعترى ماءها هياج أو ثورة. وكانت في مبدأ الأمر منظرأ عجبا للرعاة والسارحين بالماشية. ولكن عندما تشققت الأرض التي كانت تمسك مياهها، بسبب ضغط كمية الماء المتزايدة وانكسرت كما ينكسر السد الكبير إندفعت المياه الى الاراضي الواطنة بسيول عرمة دفاقة وطغت على الحقول المحروثة والاراضي المزروعة لتنصب في البحر. ولم يقتصر أثرها على الرعب الذي اشاعته في نفوس الرومان، بل ساد الاعتقاد كل سكان ايطاليا، بأنها مقدمة لحادث خارق للعادة وكان أكثر الكلام عنها يجري في المعسكر الذي يحاصر (قيي)، ولذلك بلغت انباؤها المدينة المحصورة نفسها.

وكما يحصل عادة في الحصار الطويل، يلتقي كلا الفريقين ويتبادلان الحديث بعضهم مع بعض، وأتفق أن رومانيا وصل جبل الودّ بينه وبين أحد أهل المدينة وصار موضع ثقته، وكان هذا واسع الاطلاع في نبوءات الأقدمين، ذا شهرة فوق العادة، في تفسير الأسرار الالهية، ولحظ الروماني أن رفيقه هذا كان في غاية السرور لحكاية البحيرة، بادي الاستخفاف بالحصار، فقال أنها ليست المعجزة الوحيدة التي حصلت للرومان فقد رأوا معجزات أخرى أعظم منها وأعجب، وانه ليودّ أن يقصها عليه ليكون على بينة واتماماً لفائدته من هذه البلايا العامة. فسارع الرجل الى قبول عرضه متلهفاً ومتوقعا سماع اسرار عجيبة. فأخذ الروماني يلهيه بالكلام ويصرف انتباهه مبتعداً به شيئاً فشيئاً عن ابواب المدينة وهو مستغرق في الحديث حتى اذا صارا على مسافة بعيدة ارتمى عليه وطوقه من وسطه (وكان أقوى منه) وبمساعدة آخرين هرعوا اليه من المعسكر حَمَلَهُ مقبوضاً عليه الى قواد الجيش. ووجد الرجل نفسه امام الأمر الواقع ولم ير مناصاً مما قدر له، فباح لهم بنبوءة (قيي) السرية. وهي أن المدينة مستبقي ممتنعة عن العدو ولا يمكن الاستيلاء عليها إلا اذا حُولت مياه بحيرة [ألبان] المتجهة الى البحر، عن مجراها الجديد هذا بحيث لا تعود تصبّ في البحر<sup>(١١)</sup>. وابلغ مجلس الشيوخ بذلك واقتنعوا بالأمر، فقررروا إرسال مندوبين الى دلفي يطلبون الراي من الآلهة وكان

(١١) يورد ليفي (١٥:٥) النبوءة على هذا النحو «لن تؤخذ قيي حتى ينضب ماء بحيرة ألبا». [انظر أيضاً شيشرون. النبوءات ١:٤٤].

الوفد يتألف من أناس رفيعي المقام وهم [لومپينيوس كوساس Lucunius Cossas وفاليريوس پوتيتوس Valerius Potitus وفابيوس امبوسطوس Fabius Ambustus] فأبحروا واستخاروا الآلهة. فعادوا بجواب خاص وهو أن الرومان يهملون بعض المراسيم المتعلقة بالأعياد اللاتينية<sup>(١٢)</sup>، وأما عن بحيرة [ألبا] فإن النبوءة أمرت أن يحال دون البحيرة والبحر باقامة سد ان كان ذلك مستطاعاً. وان تبقى مياهها ضمن حدودها الأولى وإن لم يكن ذلك ممكناً فعليهم أن يصرفوا الماء الى الاراضي المنخفضة بفتح السواقي والخنادق لتجف. فأبلغت الرسالة وقام الكهنة بانجاز ما يتعلق بالقرايين وخرج الناس للعمل في تحويل الماء عن البحر<sup>(١٣)</sup>.

وفي السنة العاشرة للحرب، سحب مجلس الشيوخ كل السلطات من القادة ونصبوا [كاميلوس] دكتاتوراً<sup>(١٤)</sup>، فنصب بدوره [كرنيليوس سكيپيو Cornelius Scipio] قائداً للخيالة. وكان اول عمله انه نذر للآلهة اذا انتهت الحرب نهاية حسنة فسيُحي الالعب العظمى القديمة تكريماً لهم<sup>(١٥)</sup>، ويوقف معبداً على الربة التي يسميها الرومان [ماتوتا Ma-tuta] اي [الأم]. ومع أن الطقوس التي تقام لها تحمل المرء على الاعتقاد أنها الربة [ليوكوثيا Leucothea]. لأنهم يأخذون أمة إلى الجزء السري من المعبد وهناك يضربونها بالأيدي ثم يخرجونها<sup>(١٦)</sup>، ويحملون أولاد أخوتهم بين احضانهم بدلاً من اولادهم<sup>(١٧)</sup>. وعلى العموم بأن الطقوس التي تصاحب القرايين تذكر المرء برعاية [باخوس] لـ[إينو] والكوارث التي أحدثتها خطية زوجها. بعد هذا النذر زحف كاميلوس على بلاد الثاليسكان وهزمهم في معركة طاحنة هم وحلفاؤهم الكابينات. ثم تفرغ الى حصار [في] ووجد أن الاستيلاء عليها بهجوم، هو من الصعوبة بمكان، ومحاولة تنطوي على مخاطر جمّة، فبدأ يحفر انفاقاً تحت

(١٢) العيد المقصود هنا، هو أكثر الأعياد حرمةً عند الرومان وقد انشأه (تاركوين) المكابر [ديون ١١:٤] وكان للرومان فيه الصدارة لكن وجب على كل أهالي لاسيوم حضوره والمشاركة في تضحية الثور (لجويتير لاسيالس). وقد يمتد العيد اربعة أيام. والمدة يحددها القناصل بمحض رغبتهم.  
(١٣) ما زال هذا المشروع الهندسي باقياً ومياه بحيرة ألبا تجرى خلاله.  
(١٤) في العام ٣٩٥ ق.م. ويقول ليفي (١٩:٥) نجم عن هذا التحويل انقلاب فكري عام وحلت الثقة محل اليأس.

(١٥) نوع من السباق يجري في الملعب الكبير. انشأه الدكتاتور [پوستوميوس] بعيد اشتباكه مع اللاتين عند بحيرة (ريكيلوس). وقد أتى [ديون] الى وصف مراسيمها بتفصيل.  
(١٦) وتدعى أيضاً [ينو Ino] وهي مثل [ماتوتا] فقد كانت تغار من أمة لها تعلق بها زوجها (اثاماس).  
(١٧) كانت (ينو) والدة بائسة جداً. فقد شاهدت ابنها [ليارخوس] يقتل اباه اي زوجها. فقذفت بنفسها في البحر مع ابنها الآخر (ميليكرش) لكنها كانت أسعد حظاً كخالة. لقد حفظت حياة باخوس وهو ابن اختها المدعوة سيميلي Semele [انظر اوفيد].

الأرض وكانت التربة حول المدينة هشة سهلة الحفر، فعمد الى حفرها على عمق كبير حتى يتعذر أكتشافها وفيما كان العمل مستمراً بها، لم يترك للعدو مجالاً للشك في حرصه على ابقائهم فوق الأسوار بهجمات المستمرة لصرف انظارهم عن الخطة حتى أمتدت الانفاق الى قلب المدينة وبلغت القلعة الداخلية القريبة من معبد [جونو] وهو أعظم المعابد في المدينة واجلها مكانة... قيل أن امير [التوسكان] كان ساعتهنذ يقرب للآلهة، وان الكاهن بعد أن فحص احشاء الأضحية صاح بصوت عالٍ أن الرية ستمنح النصر لأولئك الذين يكملون مقدمة القربان. فسمع الرومان الذين كانوا في النفق كلماته هذه ففتحوا الثغرة حالاً<sup>(١٨)</sup> وخرجوا الى العراء بجلبه شديدة وقععة سلاح فواقعوا الرهبة في العدو ففر لايلوي فحملوا التقديمات وأخذوها الى [كاميللوس]. إلا أن هذا الحكاية تبدو محض أسطورة. ومهما يكن من أمر فإن المدينة اقتحمت عنوة وانهمك الجنود في النهب وجمع كميات لا تحصى من الأموال والغنائم. وتطلع كاميللوس من برج عالٍ الى ما حصل فبكى أولاً مشفقاً. ولكن عندما أقبل أقرب الذين يحيطون به لتهنئته على نجاحه رفع يديه الى السماء ونطق بالدعاء التالي «يا جوبيتر ذا الحول والسلطان، ويا أيتها الآلهة التي هي الحكم الفاصل فيما هو خير وشر. انتم تعلمون بأننا لم نثار لأنفسنا من مدينة اعدائنا الاشرار الظالمين إلا بسبب وجيه وانما بدافع من الضرورة فحسب أرغمنا على ذلك. واذا ما حصلت مصيبة في مجرى الأمور لموازنة هذا الحدث السعيد، فأرجو أن تتحول عن المدينة وعن الجيش الروماني، وتقع على رأسي وان يصيب الرومان بأقل أذى ممكن». وبعد أن أكمل دعاءه هذا واستدار ليمضي (من عادة الرومان أن يدوروا الى اليمين بعد العبادة أو الدعاء). عثر وسقط وسط دهشة الحاضرين جميعاً، إلا أنه أقال نفسه من العثرة حالاً وقال لهم أنه نال ما طلبه من الآلهة وهو حادث بسيط جداً، وقع له لموازنه اسعد حظ حبي به الرومان.

وبعد نهب المدينة تماماً قرر ايفاء بئذره - أن يحمل تمثال (جونو) الى روما. وتهباً العمال<sup>(١٩)</sup> لذلك، وقام بالتنحية للرية، وصلى لها قائلاً لاشك انه سيسرّها قبول عبادتهم لها، والتنازل متفضلة باحتلال مكان بين الآلهة التي تعبد في روما. وقيل ان تمثالها أجاب

(١٨) الكلمات والعبارات التي تخرج من افواه اشخاص لا علاقة لهم في موضوع بحث أو مسالة لا دخل لهم فيها، لا تهمل وانما تفسر بحسب الذوق فتحمل محمل فال حسن أوفال سيء ان انطبقت باي شكل على قضية تشغل البال وعندها فيبدلون أقصى الجهود لتحقيق ذلك الفال ان خيل لهم بأنه يبشر بخير أو لتحاسبه ان انذر بشر.

(١٩) العمال المقصودون هناك ليسوا بشغيلة اعتياديين قد ينقص لمسه من قدر هذا الضم الشهير [ليفي ٢٢:٥] وانما هم شبان أمتازوا بالوسامة يتم انتقاؤهم من بين سائر افراد الجيش سبقوا لهم ان اجرؤا مراسيم التطهر وارتدوا ثياباً بيضاً ويقومون بحملها بأعظم التجلة.

بصوت منخفض أنها مستعدة وراغبة. ويكتب المؤرخ [ليفي Livy] أن كاميللوس اثناء صلاته لمس الربة ودعاها وأن بعض المحاصرين صاحوا أنها ترغب في الإنتقال. وان أولئك الذين ايدوا حصول المعجزة، ودافعوا عنها، وجدوا حجة دامغة واحدة تعزز دفاعهم هي حظوظ المدينة السعيدة العجيبة التي لا يمكن أن تصل بها الى هذا الأوج من العظمة والسلطان من بداية خاملة تافهة لولا العديد من الدلائل المثيرة الى العناية الآلهية والتعاون. ومن الاعاجيب التي جرت مجراها، ما لوحظ على التماثيل من حبات العرق، أو ما سمع من أنين يصدر عنها، وما يخيل للنظر انها تدور الى الخلف وتطبق اجفانها، الى آخر ما ذكره المؤرخون الأقدمون ونحن بدورنا نستطيع أن نروي حكايات عجيبة مختلفة من هذا القبيل، سمعناها عن أناس احياء، لا يمكن أن ترفض بسهولة. إنما من الخطورة بمكان أن نشرع في تصديق هذه الحكايات، أو أن نستعجل في تكذيبها فالنفس البشرية بالغة القصور والعجز عن ضبط ارادتها، أو الصبر على حدود معينة، تراها تسبق أحياناً الى الأوهام والتخريف. وتراها أحياناً تلجأ الى الاستحفاف والازدراء بكل ما هو فوق الطبيعة إلا أن خير الأمور أوسطها، وأجتنب التطرف هو أفضل السبل. وسواء أأدرك [كاميللوس] الزهو والخيلاء لمأثرته الكبرى في فتح المدينة التي كانت منافسة لروما بعد أن صمدت للحصار عشر سنين، أو لأصابته بالعظمة جراء اخضاعه الاقوام المجاورة، فقد اتخذ لنفسه سلطات الحاكم القضائي والمدني. إن افراطه في الشعور بالغرور والعظمة بدا جلياً في تجاوزه حدود الابهة في موكب نصره، فقد دخل المدينة ركباً عجلة حربية تجرها أربعة خيول شهباء، وهو عمل لم يسبقه فيه قائد من قبله، ولم يجراً عليه أحد من بعده، لأن الرومان يعدون واسطة لنقل التي هي على هذا الشكل - من المقدسات وهي وقف على ملك الآلهة وأبيها لا ينازعه فيها أحد<sup>(٢٠)</sup>. وهذا العمل باعد ما بينه وبين قلوب مواطنيه الذين لم يعتادوا مثل هذه المظاهر والأبهة.

والمأخذ الثاني الذي أخذوه عليه، هو معارضته القانون الذي يقضي بتقسيم المدينة. فالستريبونات الشعبيون تقدموا باقتراح ينص على تقسيم العامة والشيوخ الى قسمين، أحدهما يبقى في روما والآخر ينتقل الى المدينة المفتوحة، ويتم الاختيار بالقرعة وكانوا يريدون بهذا، التخفيف من زحام مدينة روما وتوفير مجال العيش فضلاً عن ضمان سلامة حدودهم ومصائرهم بسكناهم في مدينتين كبيرتين هامتين. اذن فقد تبنى عامة الشعب الساخط هذه الفكرة بحماسة وكانوا هم الأغلبية - وأخذوا يعقدون اجتماعات مستمرة في [الفوروم]

(٢٠) يقول ليفي [٢٧:٥] انه شارك (ابولو) بهذه العدة. ويظهر ان العجلات التي تجرها ستة خيول لم تكن معروفة عند الرومان. كما انه كاميللوس تلا وجهه بالقرمز وهو اللون الذي تطلق به تماثيل الأرباب عادة.

وينادون بضرورة وضع الاقتراح في النص محدثين ضجة كبيرة إلا أن الشيوخ والنبلاء كانوا ضد الفكرة، يعارضونها بقوة محتجين بأن هذا الاجراء لن يقسم روما بل سيدمرها<sup>(٢١)</sup>. وقصدوا كاميللوس يطلبون منه العون. فخشي هذا العاقبة إن وصل الأمر نهايته الحدية وآل الى اتخاذ قرار حاسم، فعمل على اشغال عامة الشعب بأمر أخرى. وأحبط المشروع، وهكذا اصبح مكروهاً. إلا أن السبب الأظهر والأعظم لبغضتهم له نجم عن قضية أعشار الغنائم الحربية. والجمهور هنا قويّ الحجّة في السخط عليه إن لم يكن محقاً. إذ يبدو أنه نذر لاپوللو قبل القائه الحصار على [قبي] أن يوقف عليه عشر الغنائم إن وقعت المدينة بيده. ثم استولى على المدينة ونهب أموالها وسواء أكره ازعاج الجنود ومضايقتهم، أو نسي نذره بسبب تراكم أشغاله في تلك الفترة، فقد تركهم يتمتعون بذلك الجزء من الغنائم أيضاً وبعد مرور وقتٍ ويتوطد سلطانه، أحال موضوع النذر للبحث امام مجلس الشيوخ. وقد أعلن الكهنة في الوقت عينه بدوام ملاحظتهم للقرابين أن هناك علامات تدل على الغضب الآلهي، وان ذلك يتطلب عطايا وتقدمات.

وقرر مجلس الشيوخ وجوب الايفاء بالنذر. ولما وجد من الصعب أن يعيد توزيع الغنائم، قرّر أن يدفع كل شخص عشر حصته من الغنيمة مع حلفه اليمين. وهذا ما أضنك الجنود ومضايقتهم، لأنهم فقراء الحال، فبعد ان تحملوا الكثير من هذه الحرب تراهم يجبرون الآن على اعادة هذا المقدار الكبير من المال من حلالهم بعد انفاق الذي أصابهم. وتشبث كاميللوس بأضعف دفاع بعد أن هوجم وقامت القيامة عليه. مُبرراً فعلته هذه بنسيان نذره فحسب. فأحتجوا بدورهم أن نذره ينصّ على استخلاص عشر أسلاب العدو. أمّا الآن فهو يجيبها من عشر أموال المواطنين. وعلى اية حال اعاد كل شخص عشره المفروض عليه ورسم ان يصنع بشمنه وعاء من الذهب المصبوب ويُرسل الى دلفي وكان الذهب من الندرة بمكان في المدينة. والحكام يفكرون في كيفية الحصول عليه. فأجتمعت السيدات الرومانيات وتداولن في الأمر معاً وقدمت بالمساهمة في المشروع كل واحدة بشيء من حليها الذهبية حتى اجتمع منه مازنته ثمانية تالنتات. واعترافاً بفضلهم هذا قرّر مجلس الشيوخ أن يكرمهن الاكرام الواجب، فأصدر أمره باباحة القاء خطب تأبين للموتى من النساء اسوة بالرجال. وكانت العادة قبلها أن لا تلقى اي مريثة عامة بحق امرأة ميتة<sup>(٢٢)</sup>. واختار الرومان ثلاثة سفراء من أعرق الأسر

(٢١) كانوا يخشون بأن تتحول المدينتان بمرور الزمن الى دولتين تحتريان فيما بينهما حتى تقعا معاً فريسة لأعدائهما.

(٢٢) دفع للنسوة قيمة الذهب وليس بسبب هذه المناسبة بل بعدها عندما قمن بجمع كل حليهن الذهبية اكمالاً للمبلغ الذي طلبه الغاليون ليعطى لهن حق إلقاء خطب التأبين [انظر ليثي ٥٠:٥]. اما الامتياز الذي =

وارسلوهم صحبة الاناء الحربي، الذي بدأ رائعاً بدقة صنعته وجمال زخرفه. وكان البحر خطراً أبهدونه بعواصفه على حدٍ سواء - كما تبينوا هم بأنفسهم حتى كادوا يغرقون وكانت نجاتهم من قبيل المعجزات عندما وصلوا الى جزر<sup>(٢٣)</sup> [ايلوس Aelus] والريح رخاء فادركتهم سفن الليباريين Leparians، وقد حسبوهم قراصنة. وأستولوا على سفينتهم ولم ينجوا من الموت إلا بعد الدعاء والصلاة وقطروا السفينة الى الميناء وعرضوا مقتناهم واشخاصهم للبيع عبيداً بوصفهم غنائم شرعية ولأن هؤلاء كانوا قراصنة ولم يخل سبيلهم إلا بشق الأنفس بعد تدخل وتوسط رجل واحد هو [ثيماسيثيوس Themasisitheus]، وكان يتقلد منصب القائد، فقد استخدم كل وسائل الاقتناع وأطلقهم بعد جهد كبير واعادهم بحراسة بعض سفنه. وسهل سفرتهم وساعدهم على تقديم النذر، ولهذا نال التكريم الذي يستحقه في روما.

وواصل [تريببونات] الشعب ضعفهم مجدداً بخصوص تقسيم المدينة، وشاء حسن الصدق ان تنشأ الحرب بينهم وبين الفاليسكان، مما أعطى الحرية لرؤساء الرومان في اختيار الحكام الذين يريدونهم. وان يعينوا [كاميللوس] تريببونا عسكرياً<sup>(٢٤)</sup>، مع خمسة زملاء. وكانت الأمور تتطلب قائداً ذا سلطان وسمعة فضلاً عن التجربة والخبرة. وبعد مصادقة الشعب على الانتخاب زحف بقواته على أرض [الفاليسكان] والقى الحصار على [فاليري Falirii] وهي مدينة جيدة التحصين. كثيرة المؤن ومخازن السلاح، وإن أدرك صعوبة الاستيلاء عليها وما يتطلب لذلك من وقت طويل إلا أنه كان يرغب في إلهاء المواطنين وإبقائهم خارج المدينة منشغلين حتى لا يظلموا عاطلين في ديارهم لا يعرفون ما يصنعون بأوقات فراغهم غير التحزب للتريببونات واثارة النعرات الحزبية والشغب السياسي وهذا في الواقع انجح دواء للرومان، يشفيهم من كل الامراض التي يعانها الحكم لجمهوري، كفعل الاطباء النطاسيين.

ولم يهتم أهل [فاليري] بالحصار كثيراً لاعتمادهم على قوة المدينة فضلاً عن أسوارها المنيعة التي تحميها من كل جانب. فكان السكان - خلا حرس الاسوار يروحون ويغدون في الطرقات بشبابهم العادية، والاولاد يداومون في المدارس. يأخذهم معلمهم للنزهة واللعب بالقرب من الأسوار لأن الفاليريين كالاغريق اعتادوا تخصيص معلم واحد لعدة تلاميذ تدفعهم

= أعطي لهم في المناسبة التي يذكرها بلوتارخ فهو السماح لهم بركوب العجلات، في مجال الالعاب العمومية وفي القرايين والعجلات المكتشفة من نوع أقل درجة في الشوارع.

(٢٣) ايتوليان أو ايوليان: هذه الجزر التي يسكنها قوم الليباري تقع بين ايطاليا وصقلية، وسميت بهذا لما قيل بانها كانت موضع سكن الرب ايكلوس Aeclus وموطن رياحه. ولطبيعتها البركانية فهنا أيضاً يعزو القدماء وجود حدّاد الآلهة فيها.

(٢٤) كان ذلك في ٣٩٢ ق.م.



الى ذلك رغبتهم في تنشئة الصغار من البداية على الاجتماع ومصاحبة بعضهم بعضاً.

كان هذا المعلم يظن نية الغدر بالفاليريين عن طريق أولادهم، ولهذا عمد الى أخذهم يومياً الى الخارج بالقرب من السور، ولم يكن يتعد بهم كثيراً في مبدأ الأمر. وبعد أن ينتهوا من تمارينهم يعيدهم الى منازلهم. ثم أخذ بالتدريج يتعد بهم حتى أصبحوا بالتمرين المتواصل لا يخشون ولا يهابون كأن الخطر ليس قريباً منهم. وأخيراً جمعهم كلهم وأخذهم الى ربايا الرومان. وسلمهم طالباً أن يؤخذ هو الى كاميللوس. فجيء به اليه ومثل امامه في الوسط وافاد قائلاً أنه سيّد ومعلم أولئك التلاميذ ولكنه فضل عطفه على كل الواجبات الأخرى وجاء لتسليم تلاميذه له وبهم يكون تسليم المدينة كلها. وعند سماع كاميللوس اقواله هذه تملكه الدهول والعجب لهذا الغدر والتفت الى الحاضرين وقال «لا شك أن العنف والظلم مظهران من مظاهر الحرب بالضرورة ومع هذا فهناك مبادئ معينة يجب على الناس الطيبين مراعاتها حتى في الحرب، وليس النصر غاية تبلغ من السمو ما يبرر لنا التحلل من واجباتنا وارتكاب اشنع الأعمال واحطها. والقائد العظيم يجب أن يعتمد على مواهبه وكفاءته لا على نذالة الآخرين».

وبعد أن قال ذلك، أمر الضباط يتمزيق ثياب المعلم الخائن وشد يديه الى الخلف وسلم تلاميذه عصياً وسيطاً وامرهم بإنزال العقاب به. ثم طرده الى المدينة. وفي ذلك الوقت اكتشف الفاليريون الخيانة وارتفع النواح والعويل في كل ارجاء المدينة لفاجعتهم بابنائهم، وراح الرجال والنساء يتراكضون نحو الأسوار والأبواب وهم في منتهى الحزن. فاذا بهم يشاهدون التلاميذ عائدين وهم يجلدون استاذهم العاري المكتوف اليدين، فارتفعت أصواتهم بالدعاء لكامللوس وسموه بالمنقذ والأب. وحدث هذا العمل أثره الشديد لا في الآباء وحدهم بل في بقية السكان الذين عاينوا ما وقع وامتلاوا أعجاباً وحباً بعدالة كاميللوس وعقدوا في الحال اجتماعاً عاماً أرسلوا على أثره وفداً اليه لعرض استسلامهم له، ووضع انفسهم تحت تصرفه، فبعث كاميللوس السفراء الى روما، فأحضروا امام مجلس الشيوخ وتكلموا عما جاؤوا بخصوصه على هذا الشكل: «إن الرومان الذين يفضلون العدل على النصر، علموهم على حب الخضوع والطاعة أكثر من حب الحرية، وانهم لا يقرّون قط بأنهم أقلّ قوة من الرومان قدر ما يقرّون بأن الرومان يفوقونهم في كرم السجايا». وأحال مجلس الشيوخ الأمر الى كاميللوس للبت فيه وتقرير ما يراه مناسباً، ففرض مبلغاً معيناً من المال على الفاليريين وعقد صلحاً مع الشعب الفاليسكاني كله وعاد الى بلاده:

إلا أن الجنود الذين كانوا يتوقعون نهب المدينة هاجموا كاميللوس بقارص الكلام عندما عادوا خالي الوفاض واتفقوا مع بقية المواطنين في نعته، بعدو الشعب وبالرجل الذي يقف ضد

المصلحة العامة. وبعد ذلك عندما جدد [تريبونات] الشعب اقتراحهم بتجزئة المدينة ووضعوه في التصويت ظهر كاميللوس معارضاً له بصورة علنية، غير مكترث برضا الجمهور عنه<sup>(٢٥)</sup>، وهاجم محبذيه بشدة وظلّ يعارض ويناقض رغبة الجمهور وميلهم الى ان رفض الاقتراح، ولكنهم ظلّوا على كرههم له. حتى عندما حلت به مصيبة عظيمة بفقد أحد ابنيه بمرض، فإن الشعور بالعطف نحوه لم يخفف قط من غلواء التحامل ضده. ولم يكن معتدلاً في حزنه على ثكله فهو رقيق الشعور مرهف الحس بطبيعته وعندما قدّم الإتهام ضده ظلّ في منزله يشارك نساء بيته حدادهن.

كان متهمه [لوشوس ابيوليوس Lucuis Apuleius] وموضوع التهمة هو احتجاز الأسلاب التوسكانية لنفسه. إذ أشيع ان أبواباً نحاسية معينة وهي جزء من الأسلاب قد ظلت في حوزته وتألّب سخط الناس عليه وكان واضحاً أنهم سيتشبثون بأي فرصة تعنّ لإدانته. فجمع اصحابه وزملاءه الجنود وغيرهم ممن تولى القيادة معه وكان عددهم كبيراً. ورجاهم أن يحولوا دون تعريضه لتهم باطلة وضيعة وتركه هدفاً لسخرية اعدائه وسخيمتهم. فتداول اصحابه في الأمر وتشاوروا وأجابوه بقولهم انهم لا يعرفون كيف يمكنهم مساعدته في مسألة الإدانة، إلا أنهم سيساهمون كلهم في دفع أية غرامة تفرض عليه. فلم يستطع تحمل هذه المذلة العظيمة وعزم وهو في فورة من غضب على ترك المدينة والذهاب الى المنفى. فودّع زوجته وابنه وتوجه بهدوء نحو باب المدينة<sup>(٢٦)</sup> ووقف هناك ثم استدار وبسط يديه نحو الكايتول وصلّى للأرباب قائلاً أنه إذا كان خروجه من وطنه متأتياً عن الغدر وسوء النية لا لذنب قارقه، فلتكن ندامة الرومان عنه عاجلة. ولتشهد البشرية جمعاء على حاجتهم اليه ورغبتهم في عودته اليهم».

وكان مثله مثل [أخيل Achilles]\* الذي خرج الى المنفى وهو يصب لعناته على بني قومه وأدين دون أن يحضر أو يقدم دفاعاً عن نفسه وعوقب بغرامة قدرها خمسة عشر ألف [آس Asse]<sup>(٢٧)</sup>، وهي تعادل بعبارة الفضة ألفاً وخمسمائة دراخما. وكان [الأس] عملة ذلك العهد، وعشرة من هذه السكة النحاسية تعدل [ديناريوساً Denarius] واحداً أو ما

(٢٥) فاز الباتريشي بأكثرية صوت قبيلة واحد. وسُرواً للغاية من موقف الشعب حتى انهم اصدروا في صباح اليوم الباكر قانوناً يقضي بمنح ستة ايكرات من أراضى (فيبي) لكل وبأسرة. ولكل عازب لا يملك وسيلة رزق واضحة. فقابل الشعب ذلك بالسماح بانتخاب القناصل بدلاً من التريبونات العسكريين [انظر التفاصيل في ليثي ٣٠٠:٥].

(٢٦) كان ذلك بعد الاستيلاء على (فالوري) باربع سنوات اي في ٢٨٩.

(\*) الايلازة ١:٤٩٧-٤١٢.

(٢٧) الأس AS هي عملة زهيدة القيمة.

سُمي بالقطعة ذات العشرة». ولم يبق روماني واحد بعد دعاء كاميللوس إلا وهو مؤمن أن جزاء عادلاً فجائياً سيتبع ذلك الظلم وأنه سيصيب ثأره حتماً للغدر الذي هزّ الدنيا هزاً وانما وجده مرّ الطعم ووقعه اليماء. لقد نالت روما عقابها كاملاً بكل ما فيه من خزي وعارٍ وأخطار وحرار. والأمر سواء، أكانت نكبتها قضاءً وقدرًا أم بسعي أحد الأرباب الذي لم يشأ أن تبقى الفضيلة مهضومة الحق لا ينتصف لها (٢٨).

وأول إشارة كانت نذيراً بالكارثة، هي موت الجنصور [يوليوس] (٢٩) لأن الرومان يجلبون هذه الوظيفة أجالاً دينياً ويعدوننا من الوظائف المقدسة. والأمر الثاني هو رؤيا [ماركوس كويدشيوس Marcus Coedicus] وهذا رجل لا يتمتع بمكانة عالية وليس من الشيوخ، لكنه عرف بالصلاح والاستقامة، قصد هذا تربيونات العسكر قبل خروج كاميللوس الى منفاه، وأبلغهم بأمر يستدعي التأمل، قال انه كان يمشي ليلة امس في الشارع الذي يسمى «بالطريق الجديدة» فناداه أحدهم بصوت جهوري فالتفت فلم يشاهد أحداً وانما سمع صوتاً أقوى من صوت الآدمي ينطق بهذه الكلمات «يا ماركوس كويدشيوس»! اذهب فجر يوم الغد الى تربيونات العسكر». سخروا من القصة وتندروا عليها، ويعدها بقليل خرج كاميللوس من المدينة الى المنفى.

والغاليون هم من الشعب [الكلتية Celtie] (٣٠) قيل أنهم أرغموا على ترك موطنهم لأن بلادهم لا تكفي حاجتهم من الرزق جميعاً فنزحوا انتجاعاً لديار أخرى. وكان فتیانهم والمحاربون فيهم يعدون بالآلاف فضلاً عن النساء والأطفال الذين يزيدونهم عدداً، حتى بلغت بهم رحلتهم بحر الشمال واستقروا في أقصى جزء من أوروبا، بن جبال [بيرينيا Pyrenean] وجبال الألب، بعد عبورهم جبال [ريفينا Rhiphaean] وعاشوا ثمّ زمناً طويلاً مجاورين اقوام (السينون Senones) [الكلتوري Celtorii] (٣١) وبعد ان ذاقوا الخمر التي عرفوها لأول مرة مرة ايطاليا فتعلقوا واشاعت فيهم نشوة ولذة لم يجدوها في غيرها فأحتقبوا سلاحهم وزحفوا بنسائهم وأطفالهم نحو جبال الالب سعياً الى الأرض التي تنتج ثمرة هذا العصير غير مبالين

(٢٨) يعتقد الأقدمون ان الرتبة (غسيس) تخصصت في الاقتصاد من نوي الاعمال الشريرة في هذه الحياة. لاسيما الكبرياء ونكران الجميل.

(٢٩) في النص الاغريقي خطأ ارتكبه الناسخ الجاهل فقد كتب بدل ذلك «شهر يوليوس» اي تموز. فعند وفاة [يوليوس] هذا، استخلفه ماركوس كورنيليوس في منصب الجنسور. وأفتتحت جنسوريته السيئة لا ينتخب جنسور لملء الشاغر اذا مات السلف. وانما يرغمون زميله الحي الآخر على الاستقالة (ليفي ٣١:٥).

(٣٠) الكلت Celtae هو الاسم الذي يطلقه الاقدمون على سكان الغرب والشمال حتى سكيثيا.

(٣١) اراضي السينوني تشمل السين Sen والاكسير Auxerre وترويي Troye، حتى مدينة (باريس) ولا يعرف اصل الكلتري ولعل الكلمة مصحفة. لم يرد ذكرهم عند ليفي (٣٤:٥ و٣٥).

بغيرها من الأراضى وقيل ان شخصاً يدعى [ارنوس] هو الذي عرفهم بالخمر وكان المحرض الأساسى لمجيئهم الى ايطاليا<sup>(٢٢)</sup>. وهو رجل توسكاني عريق الأصل طيب الخلق، إلا انه وقع في المشكلة التالية: كان وصياً على يتيم من أغنى ابناء البلاد وأجملهم صورة، اسمه [لوكومو Lucumo]<sup>(٢٣)</sup>. ربي منذ طفولته في كنفه ومع أسرته. وعندما شبَّ عن الطوق لم يترك بيت مربيه تعلقاً به وأعلن رغبته في البقاء، وظل زمناً يغازل امرأته وتغازله وتطارحه الحب ويطارحها سراً حتى لم يعد في الامكان ابقاء عاطفتها في طي الكتمان ولا اخفاؤها عن العيون. فاستأثر الشاب بالمرأة بصورة علنية فراجع الزوج القضاء، ولكنه لم ينل حقه بسبب ما تمتع به خصمه من جاه وكثرة مال، فترك بلده، ولسماعه بوجود بلاد الغال توجه اليهم وكان دليلاً لهم في حملتهم على ايطاليا.

في مبدأ دخولهم استحوذوا على كل البلاد التي سكنها التوسكان من قديم الزمان وهي تمتد من جبال الألب الى البحرين كما تشهد بذلك الأسماء. فالبحر الشمالي أو الادرياتي، أخذ اسمه من المدينة التوسكانية [ادريا Adria] أما البحر الواقع الى الجنوب فاسمه «بحر الجنوب» فحسب، وكانت البلاد كلها خصبة، حافلة بالشجر المثمر، والمراعي الممتازة، حسنة الإرواء بمياه الأنهار. وفيها ثماني عشرة مدنة كبيرة جميلة تحفل بالصناعات المختلفة والغنى، وكل مباح الحياة وأفانيي اللهو. وطرد الغاليون التوسكان منها وأستقروا فيها وقد جرى هذا منذ عهد جد بعيد.

كان الغاليون في الزمن الذي تتكلم عنه يحاصرون المدينة التوسكانية [كلوسيوم Clusium] فاستنجد أهلها بالرومان وطلبوا التوسط لدى البرابرة بالوفود والرسائل. وبعثوا بثلاثة اشخاص من أسرة [فابي] وكلهم ذوو مكانة عالية وصيت حسن في المدينة، فأحسن الغاليون استقبالهم احتراماً لاسم روما، وأوقفوا الهجوم على الأسوار وجلسوا يتفاوضون معهم. وسأل الوفد عن الأذى الذي نالهم من الكلوسيين فالجأهم الى الاغارة على مدينتهم، فضحك [برينوس Brennus] ملكهم وأجاب قائلاً ان الأذى الذي لحقه بنا الكلوسيون هم

(٢٢) يحدثنا ليفي ان ايطاليا كان معروفة للغالين قبل هذا الزمن بمائتين من السنين. وان كان هو الآخر قد نوه بقصة (اونوس) واستطرد ليقول ان هجرة الغالين الى ايطاليا وغيرها من البلدان كان سببها ضيق بلادهم عن استيعاب عددهم المتكاثر وان الأخوين بلوقيسوس وسيكوفيسوس اقتربا على الاتجاه الذي سيسلكه كل منهما. فوقعت ايطاليا من نصيب الاول ووقعت المانيا من نصيب الآخر وكان الأول في رأي ليفي أوفر حظاً.

(٢٣) لوكومو Lucumo ليس هو الاسم بل لقب الشاب وهو صاحب لوكوموني. وقد كانت اتروريا مقسمه الى اثنتي عشرة دويلة من تلك الدويلات.

عجزهم عن الزراعة إلا القليل جداً من الأراضي الواسعة التي يمتلكونها واصرارهم على التمسك بها ورفضهم التنازل لنا عن اي جزءٍ منها ونحن غرباء كثيرو العدد فقراء. وانتم أيها الرومان أيضاً كنتم على شاكلتنا، اضربكم [الألبان، والفيديناتي Fidenate والأوربان] من قبل، والآن يلحق بكم [الفينيتيون والكابينات] وكثير من [الفاليسكان والفولسكان] الأذى نفسه، فستعبدونهم وتنهبون بلادهم وتستحذون عليها وتقرضون مدنهم، ولا يعد عملكم هذا من قبيل القسوة والاعتداء فانما انتم تتبعون أقدم الشرائع، تلك التي تمنح مقتنيات الضعيف للقوي، مبتدأها الاله ومنتهاها الحيوان فكلّ هذه الكائنات بطبيعتها تسلّم بحق الأقوى في غضب الأضعف فكفاكم أيها الرومان شفقة على الكلوسيين الذين تُحاصرهم لئلا تعلموا الغالين درساً في العطف على أولئك الذين تظلمونهم، وتحركوا فيهم النخوة لمساعدتهم».

ادرك الرومان من هذا الجواب بأنهم لا قبل لهم باقناع [برينوس] فقصدا الكلوسيين وراحوا يشجعونهم ويحرضونهم على مهاجمة البرابرة بمساعدتهم. أقترحوا عليهم ذلك إما لاختبار قوة أهل المدينة، أو لإظهار شجاعتهم هم. وتمّ الهجوم وحمي الوطيس بالقرب من الأسوار. وكان أحد الغاليين الثلاثة واسمه [كوينتوس امپوستوس] يمتطي جواداً قوياً فأعمل به مهمازه واندفع كالبرق نحو أحد الغالين وهو رجل ضخم الجسم شديد العضل لمحاه وهو على حصانه بعيداً عن الآخرين. ولم تكشف هويته في مبدأ الأمر لسرعة القتال ولمعان دروعه التي حالت دون تركيز الانتظار فيه، لكن [برينوس] عرفه حالما جندل الغالي وبدأ بجمع شكّة سلاحه. فأشهد الآلهة على ما حصل خلافاً للتقاليد والأعراف المتبعة بين الشعوب المعتبر عند الجميع جزءاً من الدين، مشيراً الى ذلك الذي جاء في سفارة سلمية وهو الآن يشارك في أعمال العدوان ضدّه.

وما كان منه إلا ان سحب رجاله ورفع الحصار عن [كلوسيوم] وسار على رأس جيشه الى روما مباشرة. ولم يشأ أن يبدو عمله هذا ذريعةً واستغلالاً للإهانة وتوخياً لابتداء استعداداته لتفادي اي سبب للقتال، أرسل منادياً يطلب الرجل لانزال العقاب به وفي الوقت نفسه استمر في زحفه على رسله.

اجتمع الشيوخ في روما. وكان كهنة [الفيسسيال] بين الكثيرين الذين نددوا بعمل [الغاليين] ومن أكثرهم استنكاراً. وهؤلاء طلبوا من الشيوخ انطلاقةً من اسباب دينية - أن يُحمّل الشخص الذي ارتكب هذا الجرم كلّ الوزر والعقاب الذي يستحقه عمله. وبذلك تبرأ ذمة البقية. لقد نصب [نوما پومپيليوس] أعدل الملوك وأطيهم خلقاً هؤلاء [الفيسسيال] ليكونوا حماة للسلام وقضاةً ومحكمين في كل الأسباب التي تبرّر اعلان الحرب. وعمد

الشيوخ الى إحالة القضية الى مجموع الشعب للبت فيها. وتكلم الكهنة هناك ضد آل فابي كما فعلوا امام الشيوخ. إلا أن العامة استهانوا بسلطة هؤلاء الى الحد الذي بادروا معه الى اختيار [فابيوس] واخوته [تريبونات] عسكريين نكايَةً بهم واحتقاراً<sup>(٢٤)</sup>. ولما سمع الغاليون بذلك استشاطوا غضباً واطرحوا جانباً كل استبطاء وأسرعوا غاية ما أمكنهم الى هدفهم يشيعون الرعب في من يمر به زحفهم ويذهل لعددهم وما تجهزوا به للحرب من عدد هائلة، واستبد بهم الخوف للوحشية والعنف اللذين أظهرهما جيشهم اللجب حتى أدركهم الخوف على بلادهم وأعتبروها في حكم الضائعة ولم يعد لديهم شك في أن مدنهم ستلحق ببلادهم، ولكن الغاليين خلافاً لما كان متوقِعاً - لم يلحقوا بالمدن ضرراً خلال مرورهم، وأعلنوا بأنهم ذاهبون الى روما وان الرومان هم اعداؤهم لا غير وانهم يعتبرون كل الأقسام الأخرى اصدقاء لهم.

وبينما واصل البرابرة زحفهم السريع ساق التريبونات العسكريون الرومان في ساحة القتال استعداداً للحرب ولم يكونوا أقل عدداً من الغاليين<sup>(٢٥)</sup> (إذ كان عدد مشاتهم لا يقل عن اربعين ألفاً) على أن غالبيتهم جنود مستجدون، لا عهد لهم بسلاح قبلاً ذلك، زد على هذا انهم كانوا قد اهلوا فرائضهم الدينية تماماً، ولم يتيسر لهم أضح مناسبة ولم يستخبروا المتنبيين وهو ما جرت به العادة في أوقات الخطر وقبل المعركة. ولم يكن الجم الغفير من القادة بأقل أهمية ينتخبون زعيماً واحداً ويمنحونه لقب [دكتاتور] لإدراكهم أهمية توحيد الجنود كلهم تحت أمره جنرال واحد في الأيام العصبية، وبوضع السلطة المطلقة كلها في يديه، أضف الى كل هذا، ان الضباط تذكروا معاملة كاميللوس لجنوده فحرصوا الآن في قيادتهم على أن يتظاموا لجنودهم ويتحروا رضاهم وتركوا المدينة وهم على هذه الحال وعسكروا بالقرب من نهر أليا Allia على بعد عشرة اميال تقريباً من رومه. وعلى مسافة غير بعيدة من مصبه في [التبير] وهذا داهمهم الغاليون وبعد مقاومة ضعيفة مخزية هزموا هزيمة شنعاء، ودب الخلل في صفوفهم وسادتهم الفوضى ودفعت مسيرتهم بطرفة عين الى النهر وهلكت كلها. اما الميمنة فلم يلحقها التلف لانها تفادت الاصطدام بانسحابها من الأرض المنخفضة الى رؤوس التلال ومن هذه المواقع تمكن القسم الأكبر من ولوج المدينة. وأما الآخرون فقد هرب الكثير منهم ونجوا، وتعب العدو من كثرة القتل، وانسحب ليلاً الى [فبيي] وهو على يقين بأن رومه لن تقوم لها قائمة وأن من فيها في حكم الهلكي.

(٢٤) كان ذلك في العام ٢٨٧ ق.م بحسب رأي بعض المؤرخين أو ٢٨٨ بحسب رأي آخرين.  
(٢٥) في الواقع كانوا أقل عدداً منهم لأن الغاليين كانوا قد حشدوا سبعين ألفاً لذلك اضطر الرومان قبل الاشتباك الى مد جناحيهم بحيث اضعفوا القلب. فكان ذلك من اسباب انكسار صفوفهم بسرعة.

جرت هذه المعركة في حوالي التغيير الشمسي الصيفي<sup>(٣٦)</sup> وكان البدر تمًا. وهو عين اليوم الذي حلت الفاجعة الآليمة [بالفابي] عندما وقع ثلاثمائة رجل من هذه الأسرة بيد التوسكان فانفهم عن بكرة أبيهم. ومن هذه الخسارة الثانية ومن الهزيمة أطلق على ذلك اليوم اسم [اللينسس Allinsis] نسبةً الى النهر (أليا)<sup>(٣٧)</sup> ومازال يسمى به.

اما موضوع الأيام النحسة، وهل يجب علينا أن نعتبر أيًا منها كذلك، وهل أحسن هيراقليطس صنعاً في تأنيب [هسيود] لتقسيمه الأيام الى أيام نحسٍ وإيام سعدٍ. وبلوغه من الجهل حدًا اعتباره الأيام سواء لا تختلف، فكلّ هذا ناقشته وبحثته في موضع آخر. ولكن مناسبة هذا الموضوع لا تجعلني<sup>(٣٨)</sup> خارجاً عن الصدد إن أوردت امثلة قليلة تتعلق به. ففي اليوم الخامس من شهر [هيبودروس] البويوسي الذي يوافق شهر [هيكاتومبيون] الآثيني حقق البويوسيون نصرين فريدين، أولهما في [ليوكترا Leuctra] والآخر في [جريستوس Geres-tus] وذلك قبل ثلاثمائة عام وفيهما قهروا [لاتمياس Lattamyas] والتساليين، وبهما تأيدت حرية اليونان واستقلاله. وفي يوم السادس من شهر [بيودروميون] الحق الأغرقي الهزيمة المنكرة بالفرس في معركة (ماراثون). وفي اليوم الثالث هزمهم في پلاطيا Plataea، كما هزمهم كذلك في [ميكاله Mycale]، وفي اليوم الخامس والعشرين دحروهم في معركة (اربيلا) ونال الآثينيون نصرهم البحري في [نخسوس] بقيادة [خابرياس] في تمام بدر شهر [بيودروميون]، وغلبهم في اليوم العشرين منه في سلاميس كما بينا في رسالتنا «عن الأيام». وكان شهر [ثارجيليون Thargelion] أنحس شهر للبرابرة ففيه تغلب الاسكندر على قادة [داريوس] في [غرانيكوس Granicus] وتغلب [تيمولون] على القرطاجنيين في صقلية. في اليوم الرابع والعشرين واليوم نفسه والشهر نفسه يبدو على قول كل من افورس Ephorus وكالستينس Callisthenes<sup>(٣٩)</sup> وداماستس Damastes<sup>(٣٩)</sup>. إن طراودة

(٣٦) في السادس عشر من تموز من العام ٤٧٦ ق.م سقط الفابي.

(٣٧) Torrento de Catine. وقد أشير الى اليوم في التقويم الروماني اشارة واضحة باسم Dies Alliensis.

(٣٨) عمد الاقدمون الى اعتبار ايام مهنية ايام نحس، وأخرى ايام سعد اما لقوة سحرية عزوها في الاعداد بسبب طبيعة الالهة التي تشرف عليها. أو جراء متابعة الاحداث الاليمية والسعيدة التي تقع في ايام

مخصصة ونحن نجد ان هسيود وفرجيل قد اهتمتا ببحث هذه الفروق التي لا علاقة لها بالفلسفة.

(٣٩) التساليون بقيادة [لاتامياس] اندحروا امام البويوتيين قبيل معركة [ثرموپيلي] وقبل اكثر من مائة عام من معركة لفيكتر. هناك ايضاً خطأ في اسماء ومواضع بويوتية فـGeraestus؛ جيريستوس، يجب ان تقرأ Geressus (جريسوس). لان الأولى هي نتوء داخل في ايقيا. والثانية هي قلعة في بويوتيا. راجع

پاوسنياس ٩:١٤.

(٣٩) كالستينس المؤرخ أحد تلاميذ ارسطو. راح ضحية شكوك سيده الاسكندر المقدوني الذي كان قد دون سيرته، وداماستس هو من مدينة سيكيوم Sigeum. خلف بعض الآثار التاريخية منها تاريخ =

فتحت. ويظهر من الجهة الأخرى أن شهر [ميتاغنتيون Metagitnion] الذي يسمّى [پانيموس Panimus] في [بويوسيا] ليس بالشهر السعيد تماماً عند الأغرقيق ففي اليوم السابع منه هزمهم [انتيباطر Antipater] في موقعة [كرانون Cranon] والحق بهم الدمار التام. وقبلها هزمهم [فيليب] في [خيرونيا] وفي اليوم والشهر والعام عينها أباد البرابرة كل أولئك الذين غزوا إيطاليا بقيادة [ارخيداموس Archidamus] (٤٠). ويهتّم القرطاجنيون أيضاً باليوم الحادي والعشرين من الشهر نفسه لأنهم مُنوا فيه بأفدح الخسائر في الأرواح وباشنع هزيمة. ولست أجهل أن الاسكندر دمرَ طبيبه للمرة الثانية في حدود أيام «عيد الأسرار». وبعدها في العشرين في الشهر نفسه (اي بيودرميون) إصطدم الآثينيون بالجيش المقدوني، وهو اليوم الذي أخرجوا فيه الصوفيّ إياكوسُ Jacchus وفي اليوم ذاته. فقد الرومان جيشهم الذي كان بقيادة [كيبپيو Caepio] على يد الكمبريين Cimbri (٤١) وفي السنة التالية تغلبوا على الأرمن و[ديكران] بقيادة (لوكولوس Locullus)، ومات الملك [أطالوس Attalus] ويومئذ كلُّ في يوم ميلاده. والمرء يمكنه أن يتذكر كثيراً من الناس كانت حظوظهم متقلبة مختلفة في اليوم نفسه.

على أية حال كان ذلك اليوم من أيام النحس عند الرومان ولأجله اعتبر يومان آخران كذلك (٤٢)، في كل شهر. وسيطر الخوف والحرافات أكثر فأكثر كما تفرض العادة. على اني اسهبت في شرح ذلك بدقة في «مسائلي الرومانية».

ولو أن الغالين طاردوا الهاريين بعد المعركة حالاً، لما نفع علاجٌ في انقاذ روما من الدمار التام ولما سلمت البقية الباقية من الهلاك. واستبد الرعب بأولئك الذين نجحوا بحياتهم من المعركة فسرى منهم وانتشر في المدينة وزرع الفوضى والقلق في النفوس. ولكن الغالين لم يدركوا جسامة النصر الذي حازوا، وتملكهم الفرح فعكفوا على اللهو والولائم وتوزيع الغنائم والأسلاب وبذلك منحوا لأولئك الذين تأهبوا لمغادرة المدينة والنجاة، وأمهلوا أولئك الذين آثروا البقاء، للتأهب والإستعداد لهم. وهؤلاء الذين قرروا البقاء، تركوا المدينة كلها واحتشدوا في الكاپيتول بعد أن حصنوه بأسوار جديدة ونصبوا عليه مجانيق.

وكان في مقدمة ما أهتموا به ذخائرهم المقدسة فنقلوا معظمهما الى الكاپيتول إلا أن

= انساب (ثوسه) في حصار طروادة.

(٤٠) كان هذا الأسير في طريقه الى نجدة [تارنتوم] عندما قتل في [مادوريا] وهي مدينة قريبة من مدينة كاسال نوفو في كالابريا.

(٤١) حصل هذا في العام ١٠٤ ق.م وكانت خسارة الرومان تربو على ثمانين الفاً.

(٤٢) اليوم الذي يلي (كالند) واليوم الذي يلي (ايدز) في كل شهر.



[عذارى قستا] حملن النار المقدسة وهربن بها مع ذخائرن المقدسة الأخرى. ويقول بعضهم أنه لم يكن في عهدتهن غير النار الخالدة التي رسم [نوما] أن تعبد بوصفها مصدر الأشياء كلها. لأن النار هي أشد كائن فعالية في الطبيعة. وكل حادث هو إما حركة، وإما تلازمه حركة وكل أجزاء المادة الأخرى، ما دامت بدون حرارة، تبقى جامدة ميتة وتتطلب إضافة نوع من الحياة أو الفعالية في عنصر الحرارة، وعند هذه الإضافة - بأي شكل تمت - فإن المادة تكتسب قابلية الفاعلية، أو المفعولية. ولهذا السبب جعل [نوما] للنار حرمة وقدسية، وأمر أن تبقى مشتعلة باستمرار بوصفها صورة للقوة الخالدة التي تنبعث منها وتصدر عنها كل الأشياء، ولهذا عرف [نوما] بالنبوغ والحكمة التي أدت بالناس الى الظن بأنه متصل [بالميزوات]. ويقول بعضهم الآخر أن هذه النار تبقى موقدة أمام الذخائر المقدسة، كما تبقى في بلاد اليونان لأجل التطهر، وان هناك أشياء أخرى مكنوزة في أكثر اجزاء المعبد سرية لتظل في نجوة عن الانظار كافة، خلا تانك العذارى اللاتي يسمين بالقسستالات. وأكثر الآراء شيوعاً هو أن تمثال [بالأس] الذي جلبه [اينياس] الى ايطاليا - محفوظاً هناك. على ان بعضهم يقول أن تماثيل الساموثراقيين Samothracions هي المحفوظة هناك ويقصون كيفية نقل [دردانوس Dardanus] (٤٣) لها الى [طروادة]، وكيف أنه أقام تلك الطقوس عند بنائه المدينة وأوقف تلك التماثيل عليها. وبعد أن تم الاستيلاء على المدينة سرق [اينياس] تلك التماثيل وأحتفظ بها لديه حتى جاء الى ايطاليا. إلا أن أولئك الذين يدعون معرفة بالموضوع أكثر من هذا يؤكدون وجود برميلين حجمهما ليس بالكبير أحدهما مفتوح ليس فيه شيء، والاخر مختوم وممتلي. ولكنهم لم ير أي واحدٍ منهما مخلوقاً خلا إقدس العذارى. ويظن آخرون أن من يقول هذا وأهم وأن مصدر وهمه هو أن العذارى وضعت معظم ذخائرن المقدسة في برميلين في زمن الغزو الغالي هذا، واخفيها تحت اطباق الثرى في معبد [كويرينوس] ومنذ ذلك الزمن والموضع يسمّى «البراميل».

ومهما يكن من أمر، فإن العذارى حملن اثنى الأشياء وأهمهما، وهربن بها، وأخترن طريق فرارهن يحاذاة النهر، حيث كان يسلك الطريق نفسه، مواطن بسيط من رومه يدعى [لوشيبوس]

(٤٣) قيل ان [دردانوس] الذي عاصر موسى الكليم (حوالي ١٤٨٠ ق.م) كان اصله من اركاديا. وقد رحل عنها الى ساموثراكي. وبعدها تزوج (ناتيا) أو (اريسستا) بنت تيوكر Teucer فريجيا. ذكرنا فيما سبق شيئاً عن الآلهة الساموثراكية، ونزيد هنا قول [ماركوبيوس]. وهو ان الآلهة ماكين Dü Magni التي جلبها (دردانوس) من ساموثراكي هي في الواقع آلهة البيت التي جاء بها (اينياس) من هناك الى ايطاليا. ويقول [ديون] انه شاهد تلك الآلهة في معبد قديم بروما. وهما من صناعة موغلة في القدم ثميلات شابين جالسين ويبد كل رمح.

البينيوس [Lucius Albinus] وهو من بين من فر. وقد أدركهن بعجلته التي حملها زوجته وأطفاله ومتاعه، وشاهدهن وهن يرزحن تحت عبء الذخائر المقدسة الخاصة بالأرباب، وفي حالة من الأعياء والضنك لا توصف، فأنزل وزجه وأطفاله وأخرج امتعته واركب العذارى في العجلة لكي ينجين بها الى أحد المدن الاغريقية<sup>(٤٤)</sup>. إن هذا العمل الورع والاحترام الذي أظهره [البينيوس] بهذا الشكل البارز، تجاه الألهة في هذا الوقت العصيب، لا يمكن ان يمر به المرء مراً الكرام ولا يصح. السكوت عنه. على أن الكهنة الذين يخدمون أرباباً أخرى، وأكبر الشيوخ سنّاً، وهم قناصل سابقون لما ذاقوا لذة النصر وتمتعوا به، عزّ عليهم مغادرة المدينة. فأرتدوا ثيابهم الدينية المقدسة بالنفيسة. وقام [فابيوس] الكاهن الأعلى باكمال مراسيم الصلاة وقدم الجميع نذورهم الى الآلهة<sup>(٤٥)</sup>. وبعزم منهم على جعل حياتهم فداءً لبلادهم جلس كلهم على كراسيهم العاجية في [الفوروم]<sup>(٤٦)</sup>، منتظرين ما سيأتي به القدر. وفي اليوم الثالث للمعركة ظهر [برينوس] على رأس جيشه في المدينة. ووجد ابوابها مفتوحة على مصاريعها ليس عليها حراس ولا رأى فوق الأسوار جنوداً، فداخله الشكّ أوّل الأمر وظنها خطة مبيتة للايقاع به، أو حيلة لاستدراجه، ولم يحلم أن الرومان بلغوا هذا الحدّ من اليأس والفنوط. لكن لما تحقق من الأمر، دخل من الباب الكوليني Colline وأستولى على روما في المائة الثالثة والسنة الستين من بعد بناء المدينة بزمن قليل هذا إن جاز لنا افتراض وجود سجلّ تاريخي دقيق بالأحداث السابقة<sup>(٤٧)</sup> التي كانت هي نفسها السبب في صعوبة تحديد الفترات الزمنية للأحداث التاريخية التالية لها ويبدو أن بعض الإشاعات البسيطة قد تسربت الى بلاد اليونان عن فتح المدينة. أذ نرى [هيراقليدس بونتيكوس] الذي عاش بعد هذه الحوادث بزمن وجيز<sup>(٤٨)</sup>، يتحدث في كتابه «عن الروح»: بأن خيراً ورد من الغرب، عن جيش متقدم من

(٤٤) يذكر ليفي ان [البينوس] قادهم الى (كايري) وهي من مدن (اترويا) وحسن استقبالهم. وكان بينهم بعض الكهنة والكاهنات الرومان الهاريين. بقيت الفستالات زمناً طويلاً في (كايري) يمارسن واجباتهن الدينية المعتادة. ومن هنا جاءت كلمة [كيريمونيا Ceremonie] كنعت لطقوسهن.  
(٤٥) يعتقد الرومان ان الاضطراب والفوضى سيسيعان بين صفوف العدو بهذه القرابين التي تقدم لربة جهنم.

(٤٦) هذه الكراسي العاجية كورولي Curule لايجلس عليها الا من تقلد ارفع المناصب. ان من يحق له استخدامها يحمل أيضاً عصا عاجية.

(٤٧) يقول ليفي (١:٦) في تلك الازمان لم يهتم الرومان كثيراً بالكتابة ثم ان تعليقات الكهنة وغيرها من المدونات المتخلفة الخاصة منها والرسمية قد تلفت عندما أحرقت الغاليون المدينة.

(٤٨) عاش في ذلك العصر بالذات. كان أولاً تلميذاً لافلاطون ثم لأرسطو وكان افلاطون في الحادية والاربعين عندما أجتحت روما. وهذا الاحتلال لم يخلف صدقداويا في بلاد الاغريق مما يدل على أن العلاقة بين القطرين كانت ضعيفة لا يؤبه بها.

بلاد [الهيبوريين Hyperborean] قد استولى على مدينة اغريقية تدعى روما وان الغزاة أستقروا في موضع ما من تخوم البحر المحيط. ويظهر ان أفلاطون الفيلسوف كان قد سمع انباء صحيحة عن فتح الغاليين المدينة، لكنه يسمى منقذها «لوشيسوس» في حين لم يكن هذا لقب كاميللوس، بل «ماركوس»، على أن هذا موضع أخذ وردّ وتخمين. ونعود الى موضوعنا: بعد أن وقعت روما في قبضة [برينوس]، وضع حرساً قوياً حول الكايتول ثم قصد الفوروم وهناك علتة الدهشة لمنظر العدد الكبير من الرجال وهم جالسون على تلك الصورة والصمت يخيم عليهم. ولاحظ انهم لم يقوموا عند مجيئه ولم تتحرك عضلة في وجوههم أو تغير شيء من قسماتهم وانما ظلوا غير مكترئين أو خائفين مستندين على عصيهم جالسين بكلّ سكون يحقد أحدهم في الآخر. وبقي الغاليون مسمرين في الأرض برهة طويلة يتأملون بدهشة في المنظر العجيب، لا يجرأون على التقدم اليهم أو لمسهم، متوهمين بأنهم جماعة من المخلوقات التي تفوق البشر، ثم أن واحداً منهم كان أكثر شجاعة من زملائه. تقدم من [ماركوس پاپيريوس Marcus Papirius] ومد يده ومسّ ذقنه بلطف ومسّد لحيته الطويلة فرفع پاپيريوس عصاه وأهوى بها على رأس الغالي بضربة شديدة فانتضى هذا سيفه وقتله، وبدأت بذلك المذبحة اذ هذا الباكون حذوه ووقعوا فيهم قتلاً وأفنوهم ثم استداروا ليضعوا السيف في رقاب كل من اعترض سبيلهم وراحوا ينهبون البيوت ويسلبون ما فيها واستمروا عدة أيام في ذلك، ثم اشعلوا النار بها وهدموها حتى سوّوها بالقاع، وقد أثار حنقهم أولئك المتحصنون في الكايتول لأنهم لم يقبلوا الإستسلام، وإنما راحوا يصدون هجومهم من مواقعهم الدفاعية ملحقين بعض الخسائر وهذا ما استفزهم ودفعهم الى احراق المدينة ووضع السيف في رقاب كل من وقع في ايديهم صغيراً كان أم كبيراً، رجلاً أم امرأة بالغاً أم طفلاً.

واستمرّ حصار الكايتول زمناً طويلاً، وبدأ الغاليون يشعرون بحاجتهم الى المؤونة (٤٩)، وقسموا قواتهم، جزء منها بقي مع ملكهم يضيق الحصار على الكايتول والباقي خرجوا للغزو ونهب المدن والقرى وانتزاع الأرزاق اينما حلّوا، وتفرقوا الى زمرٍ وعصابات كل منها توجه الى ناحية لا على وجه التعيين وبدون خوفٍ أو اكتراثٍ لما قد يجابهها من أخطار. على أن أكبر وحدة منهم وأكثرها نظاماً توجهت الى مدينة [ادريا] وهي المدينة التي اختارها [كاميللوس] سكناً له منذ رحيله عن روما... وكان قد اعتزل كل عملٍ وقنع بالعيش الهادي لكن روحه بدأت الآن تتوثب ويدب فيها النشاط. ولم يفكر في اجتناب العدو أو الفرار. بل في التربص

(٤٩) لم يكن الغاليون مستعدين للحصار كما ان كل احتياطي الغلة كان مختزناً في (ثيي) انظر (ليفي) (٤٢:٥).

بفرصة للثأر منه وكان مدركاً أن الادرياتييين لا يشكون نقصاً في الرجال وأنما هم بحاجة الى المغامرة والتدريب بسبب قلة تجربة ضباطهم وجبنهم. فبدأ يتحدث الى الشبان أولاً بقوله لهم انهم يجب الأ يعزوا نكبة الرومان الى شجاعة عدوهم، ولا الخسائر التي نزلت بهم بسبب أفن الرأي قيادة الرجال الذين لاحق لهم في النصر وان الحدث كان شاهداً على سلطان القدر وتحكمه، وأنه من البسالة حتى عند الخطر - أن يُصدَّ غازيا بريريا اجنبياً، غايته من الحرب أن يدمر ويخرّب، كما تفعل النار. فاذا تحلوا بالشجاعة والعزم فهو مستعد لوضع فرصة للنصر بين ايديهم، دون تريث قطعاً. ولما وجد الشبان ميالين الى ذلك، قصد حكام المدينة ومجلس شوراها، وأقنعهم أيضاً، ثم جند كلّ قادر على حمل السلاح ورتبهم ووزعهم داخل الأسوار بأسلوب يصعب على العدو ملاحظة وجودهم وكان العدو قد اقترب بعد أن اكتسح البلاد وجردها كل شيء ويات الآن وهو مثقل بالغنائم، وضرب خيامه في السهول دون ان يأخذ بأسباب الحذر والحيطه. وقضى ليلته في فجور وشراب ولهو حتى خارت قوى الجنود وتطرحوا اعياء وساد السكون التام في المعسكر ولما علم كاميللوس من كشافته بحقيقة الأمر خرج بالادرياتييين عليهم، وفي هداة الليل قطع المسافة التي تفصل بين العسكرين بكلّ سكون حتى بلغ مواقعهم وأمر بان يُنفخ في الأنفار، وان يطلق رجاله صيحة الحرب فأوقع الرعب فيهم من كل جهة في حين أن السكر والنعاس اثقلا حركة عدوهم. ودفع الخوف ببعضهم الى الصحر والعمل على تنظيم صفوفهم بكيفية ما تمكّنهم من المقاومة فترة من الزمن وماتوا وسلاحهم في ايديهم. إلا أن القسم الأكبر منهم فوجئوا وهم غارقون في سكرهم ونومهم فذبحوا قبل أن تصل ايديهم الى سلاحهم. أما الذين استفادوا من ظلام الليل وهربوا، فقد عشر عليهم مبعثرين هائمين على أوجههم في الحقول وأسرتهم الخيالة التي أرسلت لمطاردتهم.

وذاعت انباء هذه الموقعة بسرعة وانتشرت في المدن المجاورة وبعثت روح الحماسة في الشباب ودفعتهم الى القدوم من كلّ حذب وصوب والتطوُّع في جيشه. ولم يكن متحمساً لذلك، أكثر من أولئك الرومان الذين نجوا من معركة [آليا] ولجأوا الى [فبيي]، فقد راحوا يتحسرون ويلومون أنفسهم بقولهم:

- أيتها السماء! أي قائد حرمت المشيئة الآلهية رومه، لتكرم (ادريا) وترفع من قدرها بمآثره! وتلك المدينة التي ولدت ربّت هذا الرجل العظيم ضاعت الآن وذهب ريحها، ونحن الآن بلا قائد، خلف أسوار أجنبيّة. عاطلون نشاهد ايطاليا يحيق بها الخراب امام أعيننا. تعالوا نبعث الى الادريانيين نطلب منهم ارجاع قائدنا الينا، أو أن نذهب نحن اليه والسلاح في ايدينا، لأنه لم يعد شخصاً منقياً، ولم نعد نحن مواطنين وبلادنا في قبضة العدو.

واتفقوا جميعاً على هذا وأرسلوا الى كاميللوس يطلبون توليه القيادة لكنه اجاب بأنه لن يفعل ذلك إلا اذا أصدر أولئك الذين في الكابتول، أمراً بتعيينه بصورة شرعية. لأنه يجلبهم ماداموا في الوجود ويعتبرهم منتخبين<sup>(٥٠)</sup>، فإذا أمره فسيطيع بلا تردد، ولن يقحم نفسه في شيء إن لم يكن برضاهم. وأعجب الرومان بتواضع كاميللوس وخلقه لدن ابلغوا بجوابه هذا، لكنهم وقعوا في حيرة. بخصوص العثور على رسول لأبلاغ الكابتول بالقضية. أو بالأحرى كان يبدو ضرباً من المحال وصول أي شخص الى القلعة والعدو يطوقها ويحتل المدينة تماماً.

وكان بين الشبان فتى اسمه [بونتوس كونينيوس Pontius Coninius] من أسرة لا تمتاز بشيء، لكنه جسور مقدم ملبّ لداعي المجد. عرض نفسه لأخطار الرحلة ولم يأخذ معه اية رسالة لجماعة الكابيتول لئلا يعرف العدو نوايا كاميللوس، في حالة وقوعه في ايديهم. وارتدى ثياباً رثة أخفى تحتها قطعاً من الفلين وقطع معظم رحلته غير متخفّ وفي وضوح النهار، حتى وصل المدينة ليلاً، ولم يتمكن من عبور الجسر لأن البرابرة كانوا يحرسونه، فنضا عنه ثيابه ولم تكن كثيرة أو ثقيلة وشدها حول رأسه وعمّ جسمه بالفلين سابحاً الى المدينة فدخلها مجتنباً الأحياء التي كان العدو فيها يقظاً مهتدياً الى ذلك بأصواتهم والضياء. وقصد الباب الكرمتالي حيث الهدؤ أعظم وتلّ الكابتول أشدّ انحداراً ووعورة لكثرة ما على سطحه من الصخور الحادة والمشققة. وصعد هذا السفح ووصل بكتير من المشقة الى جوف الجرف وقدم نفسه للحراس وسلم عليهم وأعلمهم باسمه، فأخذه الى القواد، وأستدعى مجلس الشيوخ حالاً فشرع يقصّ عليهم بالترتيب انباء نصر كاميللوس الذي لم يكونوا يعرفون عنه شيئاً. واحوال الجنود ومفاداتهم، ثم راح يلج عليهم بتثبيت أمرية [كاميللوس] فهو الوحيد الذي يعتمد عليه بنو قومهم خارج روما. وبعد سماع المجلس ذلك، ومداولته قرر تعيين كاميللوس دكتاتوراً وارسلوا [بونطيوس] من حيث أتى فتمكن من اختراق صفوف العدو من غير أن يكتشف أمره وحالفه النجاح في اىصال قرار الشيوخ الى الرومان خارج روما، فتسلموه فرحين.

ولدى وصول كاميللوس وجد عشرين الف محارب شاكى السلاح متأهباً. وبهذا العدد، وبما أحضره من القوات الخليفة تهباً للاشتباك مع العدو.

وفي روما، بينما كان بعض البرابرة يرون بالصدفة بالموضع الذي سلكه [بونطيوس] ليلاً

---

(٥٠) ويحدثنا (ليثي) ان الجنود الرومان في (فيبي) تقدموا الى من تبقى من اعضاء مجلس الشيوخ في الكابتول... بطلب الأذن لهم أن يعرضوا القيادة على (كاميللوس) وهذا دليل على النضج السياسي الذي تحلى به المواطن الروماني.

للوصل الى الكابتول، اكتشفوا آثار ايدٍ واقدام في عدة أماكن مسيره وتسلفه، كما وجدوا في مواضع أخرى بقعاً على سطوح الصخور أزيلت نباتاتها ومواضع أنهيار ترابي جديد، فرجعوا الى الملك وأبلغوه بذلك فذهب وشاهدها بنفسه ولم يقل شيئاً في حينه وعند حلول الليل أختار من رجاله البرابرة أرشقهم قداً وأكثرهم اعتياداً على التسلق لعيشهم في الجبال. وخطب فيهم قائلاً:

- إن العدو قد دلنا بنفسه على طريقة للتغلب عليه، لم يكن لنا علم بها من قبل، وبرهن لنا أنها ليست بالصعبة أو المستحيلة على همم الرجال. ومن العار الكبير أن نحسن العمل بالبداية ونفشل في النهاية، فيدركنا اليأس ونتولى عن موضع متوهمين انه لا يقتحم في حين اثبت لنا العدو بالذات وجود وسيلة قد تؤدي الى الاستيلاء عليه. وما يسهل بلوغه على رجل واحد، لن يكون صعباً على الكثير من الرجال، واحداً بعد واحد، اما ان اضطلع بالأمر جماعة فسيكون كل واحد منهم عوناً وقوة للآخر وسيكافأ كل رجل يُبلي بلاءً حسناً ويكرّم تكريماً.

لما سمع الغاليون اقوال الملك، قبلوا المهمة بكل سرور، وما أن حلّ الليل بهدوئه حتى بدأت جماعة كبيرة منهم تتسلق المرتفع الصخري معاً بكلّ سكون متشبثين بالنوئات الصخرية الشديدة الانحدار، ومصعدين بمشقة لم تكن بالكبيرة كما توقعوا في أول الأمر، حتى أن الزمرة الأولى منهم سبقت الى القمة ونظمت صفوفها وفاجأت نقاط الحراسة الخارجية واستولت على مواقع المراقبة وكان رجالها يغطون من نومهم إذ لم يلحظ زحفهم كلبٌ أو رجل. ولكن كان يوجد بالقرب من معبد [جونو] اوزٍ مقدس<sup>(٥١)</sup>، هذا الأوز كان يُعنى باطعامه وتغذيته في الأوقات الاعتيادية أما الآن فقد امست حالته سيئة بسبب شح القمح. وهذا الحيوان مستوفز، دقيق السمع بطبيعته، حسّاس لأقل صوت أو حركة. وقد زاد الجوع من رهافة حسه وابقاها يقظة قلقة، فأنتبهت حالاً الى مقدم الغاليين فضجت وراحت تصيح وتتراكض هنا وهناك حتى ايقظت كل من في المعسكر، وكان البرابرة في الجهة الأخرى فادركوا أن أمرهم قد أنكشف فلم يحاولوا اخفاء محاولتهم وتقدموا للهجوم وهم يصيحون ويضجون. وأسرع الرومان يمسك كل منهم بأول سلاح تقع يده عليه، وفعلوا ما أمكنهم في ظرف مفاجيء كهذا وكان [مانليوس Manlius] وهو ذو منصبٍ قنصلي، وقوة في الجسم، وشجاعة نادرة، أول من

(٥١) بات الأوز منذ ذلك الحين موضع تكريم أهالي روما. وظلّ يربى عدد كبير فيه على حساب الخزينة العامة. ونصب تمثال ذهبي للحيوان تخليداً لأولئك الابطال. وكان يطاف بعدد من الأوز كل سنة محمولاً على وسائد من المخمل ذات زخارف ونقوش انيقة، في الوقت الذي تمت عندهم كراهة الكلاب فكانوا يخوزقون واحداً سنوياً بخشبة [بلييني وپلوتارخ].

تصدى للمهاجمين واشتبك في قتال مع اثنين من رجال العدو في آن واحد فقطع بحدّ سيفه ذراع أحدهم اليمنى، اثناء ما كان هذا يرفع سيفه ليهوي به. ثم صفع وجه الآخر بدرقته فسقط وهوى من أعلى الصخرة ثم علا المتاريس ووقف صامداً فلحق به آخرون لشدّ أزره. ودفع الباقين الى التقهقر، ولم يكن عددهم كبيراً في الواقع ولم يحققوا شيئاً يستحق الذكر في هذه المحاولة الجريئة.

بعد أن نجا الرومان من هذا الخطر أمسكو بضابط المراقبة في الصباح اليوم الباكر وقذفوا به من أعلى الصخرة على رؤوس اعدائهم وصوتوا لمنح مكافأة [المانليوس] على نصره. وكانت مكافأة رمزية ترمي الى تكريمه لا منفعته. فقد قدم له كل رجل منهم جرابته اليومية من الارزاق وهي نصف پاوند من الخبز وثمن باينت من الخمر.

ومن تلك الموقعة بدأت أحوال الغالين تسوء وتتردى يوماً بعد يوم، وأدركتهم الحاجة الى الطعام، إذ لم يعد باستطاعتهم نهبه من الانحاء المجاورة خوفاً من كاميللوس<sup>(٥٢)</sup>، وتفشت فيهم الأمراض بسبب العدد الكبير من الجثث التي تكومت أكداً ولم تدفن. ولما كانوا يعيشون بين الخرائب والرماد المتكدس طبقات كثيفة تأتي الريح وتثيره، بالإضافة الى الحرارة الشديدة الخانقة، فقد اصبح الهواء جافاً مخنقاً، وأدى استنشاقه الى تدمير صحتهم. على أن السبب الأساسي هو تبدل المناخ عليهم، لاعتيادهم العيش في بلاد جبلية كثيفة الظل، كثيرة الوسائل الواقية من الحر. وهم الآن في أرض منخفضة غير صحيّة بالمرة وفي فصل الخريف<sup>(٥٣)</sup>. أضف الى هذا فترة الحصار الطويلة ومصاعبه، فقد تصرمت عليهم سبعة أشهر وهم امام الكابيتول. ولذلك كان التلف فيهم عظيماً وتصاعد عدد الموتى بينهم حتى عجز الاحياء عن دفنهم، ولم تكن أحوال المطوقين في الواقع بأحسن من البرابرة مطلقاً فقد تفشت المجاعة بينهم وزادت حدة، وتعاضم بأسهم لعدم سماعهم شيئاً عن كاميللوس لاستحالة ارسال مبعوث اليه بسبب حراسة البرابرة الشديدة. وهكذا ساءت أحوال الطرفين بحيث بدأ حديث عن الصلح فيما بين جماعات من ربايا المتحاربين عندما راحوا يتبادلون الأحاديث، وتبنى الفكرة قادة الطرفين. واتصل [سولپيشيوس Sulpicius] التربيون الروماني بزعيم الغالين برينوس، وتمّ الإتفاق على أن يدفع الرومان ألف وزنة من الذهب، للغالين، ليجلو هؤلاء عن المدينة وتخومها حال تسلمهم الفدية. ووثقت المعاهدة باليمين وحيء بالذهب إلا أن الغالين

---

(٥٢) كان كاميللوس بعد سيطرته التامة على الريف قد وضع حاميات ونقاطاً عسكرية في جميع الطرق، فاصبح محاصراً لمحاصريه!  
(٥٣) خريف روما في العادة سيء.

وضعوا موازين مغشوشة سراً في مبدأ الأمر ثم أخذوا يسحبون الميزان ويخلون بالوزن بصورة علنية. وطفق الرومان يحتجون ساخطين، وعندها نزع برينوس سيفه ومنطقته بأسلوب استفزازي مهين وقذف بهما الى كفة الموازين وعندما سأله [سولپشيوس] عن القصد من ذلك. فأجاب «ماذا يمكن أن يقصد منها إلا الويل للمغلوب؟»<sup>(٥٤)</sup> فسارت مثلاً من الأمثال وثار الغضب ببعض الرومان حتى فكروا في حمل ذهبهم والعودة للبناء تحت وطأة الحصار، ومال بعضهم الى التفاوضي، والتغافل عن اهانة طفيفة، وأن لا يعتبروا العار في دفعهم أكثر مما هو واجب مادام العار هو في دفع اي مبلغ مهما ضئول، فهذا هو العارُ بحد ذاته ولا يمكن النزول اليه إلا عند الضرورة.

وظلت هذه الخلافات قائمة فيما بين الرومان من جهة وبين الغاليين من جهة أخرى، دون أن يتوصل الطرفان الى تسوية حتى وصل كاميللوس بجيشه - الى ابواب روما. وعلم بحقيقة ما يجري فأمر القسم الأكبر من قواته أن تزحف خلفه ببطء وبنظام واسرع هو يتقدمها بنخبة من محاربيه، حتى بلغ معسكر الرومان فأفسح له الجميع واستقبلوه بوصفه حاكمهم الأوحد، والصمت والنظام يسودهم، فأخرج الذهب من الميزان وسلمه الى ضباطه وطلب من الغاليين أن يرفعوا موازينهم ومعاييرهم وينصرفوا، قائلاً لهم: من عادة الرومان أن يحرروا بلادهم بالحديد لا بالذهب. وعندما بدأ برينوس يضحّ ويقول: إنه عومل معاملة غير عادلة بنقض هذا الاتفاق، أجابه كاميللوس: إن الاتفاق لم يبرم بصورة شرعية، والصلح غير قائم ولا تترتب عليه اية تبعات لأنه يتقلد منصب الدكتاتور وليس هناك حاكم شرعي غيره بحكم القانون. وان الاتفاق عقد مع أناس لا يملكون صلاحية ابرامه. أما الآن فلكلّ منهم ان يبسط وجهة نظره ويقول ما يريد قوله، لأنه جاء مزوداً بصلاحية كاملة بحكم القانون. للعبو عمن يطلب عفواً ويعاقب المسيء إن ظل مقيماً على غيبه. وعندها استشاط [برينوس] غيظاً، ووقع اشتباك أني، وامتشق الجانبان السيوف والتحما بدون نظام، وكان الاضطراب لا بد منه لأن ميدان المعركة كان ما بين المنازل وفي الأزقة الضيقة ومواضع ينتفي فيها النظام تماماً. إلا أن [برينوس] سيطر على الموقف في الحال، وأمر رجاله بالكف عن القتال وسحبهم الى معسكرهم بخسارة قليلة ثم استيقظ ليلاً وترك المدينة منسحباً بكلّ قواته وبعد ان قطع ثمانية أميال تقريباً خيم على جانب من الطريق المؤدية الى مدينة [غابي Gabii]. ولم يكد الصبح ينبج حتى ادركه [كاميللوس] وهو مستعد تمام استعدادا لملاقاته بأسلحة ممتازة وبرجال مفعمين ثقة وشجاعة ودارت رحى معركة طاحنة استمرت وقتاً طويلاً. أسفرت عن هزيمة ساحقة للغاليين ومنوا فيها

!Vae Victis (٥٤)



بعدد كبير من القتلى وخسروا معسكرهم وأما الناجون فقد طوردوا وقتل بعضهم وتفرق الجزء الأكبر ايادي سباً يفتك بهم الناس الذي خرجوا اليهم من المدن والقرى المجاورة<sup>(٥٥)</sup>.

وهكذا كان الاستيلاء على روما، غريباً في بابه كما كان خلاصها بعد أن بقيت في قبضة البرابرة سبعة أشهر كاملة. فقد دخلوها في الخامس عشر من تموز، وطردوا منها في حدود الخامس عشر من شهر شباط التالي، ودخل كاميللوس المدينة في موكب النصر وهو مما يستحقه فعلاً بعد أن انقذ بلاده الضائعة وأعاد المدينة الى أهلها على حدّ شائع القول. وأنضم الى موكبه أولئك الذين فروا مع زوجاتهم واولادهم وصحبوه الى المدينة، وأولئك الذين حوصروا في الكابتول، وآلت بهم الحال الى شفا الهلاك جوعاً خرجوا لاستقباله وأخذ الطرفان يعانق بعضهم بعضاً عند اللقاء، وجرت دموعهم فرحاً، ولسعادتهم التي فاقت الحدود كانوا بين مصدق ومكذب للواقع. وظهر الكهنة ورجال الدين حاملين الأشياء المقدسة التي كانوا قد أخفوها هناك قبل رحيلهم أو أخذوها معهم في فرارهم. وعرضوها للمواطنين سليمة». فلما رآها هؤلاء شعروا وكأن الآلهة عادت معها الى المدينة. وبعد أن قدم كاميللوس القرابين للآلهة وطهر المدينة وفقاً للتعليمات التي أشار بها الخبيرون بالأمر. باشرفي اصلاح المعابد القائمة واقام معبداً جديداً للرب «صوت» أو «اشاعة»، في البقعة التي سمع فيها [ماركوس سيديشيوس] ذلك الصوت السماويّ ينبئه بقدم جيش البرابرة.

وكان من أصعب الأمور وأشق المهام تعيين وكشف المواقع المكرسة في وسط الانقاض المتراكمة. ولكن دأب [كاميللوس]، وجهود الكهنة المتواصلة بلغت بالمهمة حدّ النجاح. وعندما طرحت مسألة اعادة بناء المدينة التي دمرت تدميراً تاماً، تمكّل الجموع بأسّ واحجموا عن الاضطلاع بعمل يحتاج الى مواد ليست لديهم، وزاد في تردددهم حاجتهم الشديدة الى الراحة والاستجمام بعد كدحهم وتفضيلهم ذلك على مطالب جديدة من قواهم المنهوكة وحالهم المرزية. ولذلك توجهوا بانظارهم الى مدينة [فيبي] بصورة لا شعورية وهي مدينة حسنة البناء وفيرة الرزق. وأعاروا أذانهم الصاغية لحيل المتملقين المتشوقين الى ارضاء رغباتهم، ومالوا الى سماع أقوال رجال السوء المحرّضة على [كاميللوس]. كقولهم: انه يمنعهم عن الانتقال الى مدينة صالحة لسكنائهم، ويرغمهم عن البقاء والعيش بين الانقاض، سعيّاً وراء طموحه، ومجده الشخصي. وانه يريد اعادة بناء انقاضٍ محترقة حتى يرتفع قدره، عم مجرد رئيس حكومة،

(٥٥) هناك سبب وجيه للشك في صحة الجزء الأخير من هذه الحكاية وقد نقلها بلوتارخ عن [ليثي] بقضها وقضيضها. إلا أن بوليبيوس يذكر ان الغالين قد تسلموا الذهب من الرومان فعلاً. قفلوا عاندين الى بلادهم بسلام. وهذا ما يؤيده [جوستين] و[سوتينيوس] بل [ليثي] نفسه في محل آخر من تاريخه (١٦:١٠).

وزعيم روما وقائدها الى مؤسس روما أيضاً، (باستثناء رومولوس).

لذلك خاف الشيوخ من فتنة، فلم يقبلوا باعتزال كاميللوس السلطة في بحر السنة وان كانوا يرغبون في اعتزاله، اذ لم يحدث أن بقي دكتاتور في منصبه أكثر من ستة أشهر.

ولم يأل الشيوخ أنفسهم جهداً في تشجيع المواطنين على العمل وتهدئة ثورتهم بالإقناع والملاينة وطيب الكلام، ونوّهوا لهم بزازات اسلافهم وأصرحتهم وذكروهم بالإماكن المقدسة، والمشاهد الدينية التي أوقفها [رومولوس ونوما] وغيرهما من الملوك. وتركوا لهم ليقوموا عليها ويحفظوها. ومن أقوى وسائل الإقناع الدينية التي استخدموها معهم قضية عشورهم على رأس مقطوع عن الجسم لم يمرّ عليه زمن طويل - اثناء وضع أسس بناء الكابتول (٥٦). واعتباره اشارة الى حكم القدر بأن يكون هذا الموقع رأس كل ايطاليا. ولفتوا انظارهم الى النار المقدسة التي أعاد ايقارها عذارى فستا بعد الحرب وقالوا:

- اي عار هو خسرانهم الكابتول وأطفائهم النار، وتركهم المدينة تنعي من بناها، ليسكنها أجانب وأغراب، أو لتكون مرجأ ترعى فيه المواشي؟

مثل هذه الحجج والبراهين، يرافقها العتاب مرةً والتعنيف مرةً أخرى؛ تلقى على الافراد بصورة خاصة، وعلى الجماعات بصورة عامة في الاجتماعات، لم تجد غير الاعتذار والحسرات التي يبعثها القنوط وكان الردّ عليها يتلخص في أن شملهم الآن قد اجتمع بعد أن تحطمت سفينتهم، وهم مازالوا عراة وغرثى، ومن العسير ارغامهم على شدّ أوصال مدينة ممزقة متهدمة، في حين توجد مدينة أخرى كاملة البناء حسنة التموين، تحت تصرفهم.

واستحسن كاميللوس أن يحال الأمر الى المناقشة العامة والاقتراع، ونهض هو بالذات يتكلم مخلصاً في تحبيذ البقاء، وفعل كثيرٌ غيره، وبالأخير استدعى [لوشبوس لوكريتيوس] الذي كان منصبه يؤهله الى التقدم في الكلام على الجميع، وطلب منه كاميللوس أن يلفظ حكمه، ثم يتعاقب الآخرون بعده للإدلاء بأرائهم حسب الترتيب المرسوم. فساد سكون تام

---

(٥٦) وقعت هذه المعجزة في عهد الملك (تاركوين) الذي لاشك انه وضع الرأس هناك بنفسه فقد وجد حاداً يقطر منه الدم. وقد وجدوه عندما كانوا يحفرون الأسس وكانما قد قُطع لتوه Olenus Calenus وأدركت الحيرة أحد العرافين الذين استشيروا في الأمر. فبعد ان عجز عن تفسير الظاهرة بشكل تبدو انها في مصلحة بلده. قال متردداً: إن الموضع الذي وجد فيه الرأس يجب ان يكون كابتولاً لايطاليا كافة (ديون ١٣:٤) ويورد [بلييني] في تاريخه الطبيعي هذه القصة (٢:٢٨) أما (ليفي) الذي يقدم تعليلاً أكثر بساطة فهو يتفق مع (ديون) على أن لفظة (كابتول) أخذت عن هذه الحادثة. ويزعم (ارنوبوس: ٤) مستشهداً بكثير من المراجع القديمة ان اسم الرجل الذي وجد رأسه مفصولاً هو Tolus Vulcentonws تولس قلجنتانوس فيكون Capt - toli = Capitolium إلا أن (فارو) لم ينوه باي شيء حول الموضوع.

وماكاد [لوشويس] يفتح فاه للكلام حتى اتفق مرور قائد مائة [سنتوريون] بسريته المخصصة للحراسة، على مقربة من الكابتول، وسمع المجتمعون صوته العالي يأمر حامل الراية بالوقوف حيث هو نصب الراية لأن الموقع خير المواقع أو أنسبها للبقاء. هذا الصوت المنطلق في تلك اللحظة الحرجة، وفي ازمة شديدة من الشك والقلق على المستقبل، اتخذ الشعب هادياً ونذيراً، الى ما ينبغي عمله بصدد القضية. وما كان من [لوشويس] إلا أن أتخذ وضع المصلي العابد، وأدلى بحكم يتفق ومشينة الآلهة على حدّ قوله، واحتذى خدوه كل من عقبه. وأحدث الأمر تغييراً مفاجئاً في مشاعر الأهلين والتفت كل واحد الى صاحبه يشجعه ويحضه وأنطلق الجميع وياشروا في أعمال البناء ولم يجر عملهم وفق خطوط منتظمة أو تصميم مرسوم وانما كان اعتباطياً مضطرباً اذ انهمك كل فرد باول قطعة أرض صادفها أو وافقت مزاجه، وأدى هذا الاستعجال والفوضى في البناء الى تشييد مدينة جديدة ذات أزقة ضيقة متعرجة سيئة النظام، ومنازل متزاحمة ومتلاصقة يعلو أحدهما الآخر. فقد قيل ان بناءها كله تمّ في غضون سنة واحدة<sup>(٥٧)</sup> مع أسوارها الخارجية وابنتها الداخلية. غير أن الاشخاص الذين عينهم كاميللوس لمهمة تثبيت مواقع جميع الاماكن المقدسة في هذه الفوضى العامة، واعادة بنائها كلها. وصلوا في اثناء طوافهم حول الپالاتيوم - الى هيكل مارس وكان البرابرة قد أحرقوه وهدموه على آخره حتى سووه بالقاع كغيره من الابنية، وفيما هم يزيلون الانقاض ويمهدون الأرض عثروا بمحض الصدفة على عصا العرافة التي تعود لرومولوس<sup>(٥٨)</sup>، وكانت مدفونة تحت كدس من الرماد، تسمى هذه العصا [ليتوس Lituus] وهي عادة معقوفه النهاية والعرافون يستخدمونها للتربيع الفلكي عندما يقومون بتنبؤاتهم بطريقة مراقبة مسار الطير، وكان رومولوس عرافاً يشار اليه بالبنان، ولما اختفى تسلم الكهنة عصاه تلك وحفظوها ذخراً مقدساً محجوباً عن أعين الناس ولمسات ايديهم. فلما وجد هؤلاء العصا سليمة في حين أتت النار على كل شيء حولها. راحوا يبنون أضخم الآمال لروما، وأستنتجوا من هذا الحادث برهاناً على سلامة مستقبلها وخلودها.

لم يكد الرومان يتنفسون الصعداء مما دهاهم حتى ابتلوا بحرب جديدة. اذ ان الآيكويين Aquians والقولسكيين واللاتين، غزوا بلادهم دفعة واحدة وبصورة مباغتة. كما القى التوسكان الحصار الشديد على مدينة [سوتريوم Sutrium]<sup>(٥٩)</sup> وحليفتهم. وطوق اللاتين

(٥٧) سببت سرعة بناء المدينة متاعب ومشاكل عديدة لاسيما بخصوص المجاري العامة التي كانت تمتد عادة تحت الشوارع الرئيسة فقد صارت تمتد تحت المنازل الخاصة (ليفي ٥٥:٥).

(٥٨) ينوه شيشرون في [النبوءات ١: ١٧] بهذا الاكتشافات أيضاً.

(٥٩) ساتري أو سوتري في توسكاني. وجبل مارشويس قرب لانوثيوم يبعد عشرة فراسخ تقريباً عن روما.

جيش التريبونات العسكريين الذين كانوا معسكرين حول جبل [موشيسوس Maecius]، وضيقوا عليهم الخنادق حتى أصبح معسكرهم في خطر فبعثوا الى رومه برسל النجدة. وكان كاميللوس وقتئذ قد انتخب دكتاتوراً للمرة الثالثة.

توجد روايتان مختلفتان عن وقائع هذه الحرب. وسأبدأ بأبعدها خيالاً وأحفلها بالأساطير: قيل ان اللاتين بعثوا يطلبون من الرومان بعض بناتهم المولودات لآباء أحرار، ليتخذوهن زوجات. ولم يكن هذا الطلب يتعدى أحد امرين إما أنهم يريدونه ذريعة للتحرش، وإما أن يكون نية صادقة ترمي الى احياء العلاقة الماضية بين الشعبين. واستبدت الحيرة بالرومان وعزَّ عليهم الوصول الى قرار، فهم من جهة يخشون حرباً جديدة إثر حرب ما كادت تضع أوزارها بعد امن نالهم منها ما نالهم. وكانوا من جهة أخرى يشكون في أن «طلب زوجات» ما هو في الحقيقة إلا طلب رهائن، كُسي عبارات مهذبة رقيقة وكلمات رشيقة من قبيل «التحالف» و«المصاهرة» وما اشبهه، وبينما هم في حيرتهم تلك، انبرت لهم خادمة بيت اسمها [توتولا Tutula] أو [فيلوتيس Philotis] كما يسميها بعض الكتاب. وأقنعت حكام رومة بتنفيذ خطتها وهي أن يرسلوا معها عدداً من أجمل الخادومات وأصغرهن سنّاً بعد أن يلبسنهن ثياب عرس العذارى النبيلات، وأن يتركوا البقية لحيلتها ومكرها، فوافق الحكام وأختاروا العدد الذي طلبته. وجملوهن بالذهب ونفائس الحلل، وأرسلن جميعاً الى اللاتين الذين كانوا يعسكرون في موقع قريب من المدينة. وعندما جنَّ الليل قامت البنات بسرقة سيوف العدو النائم. وأعتلت [توتولا] أو [فيلوتيس] شجرة تين برّي ونشرت خلفها رداء صوفياً سميكاً ورفعت مشعلاً بمواجهة رومه، وهي الإشارة المتفق عليها مع قادة الرومان فقط، أخفيت عن سائر المواطنين الآخرين) وهذا ما أدى الى خروج الرومانيين من المدينة في فوضى عامة، وكان الضباط يدفعون رجالهم الى أمام دفعاً. والرجال ينادي أحدهم الآخر بالإسم، وصعب عليهم أن يعيدوا النظام الى صفوفهم وهجموا وهم بهذه الحالة على مواقع العدو واقتحموا موانعه وكان معسكرهم وافنوا معظم من فيه. وقد جرى ذلك في اليوم السابع من شهر تموز الذي كان يعرف في حينه بشهر كونتيليس. والعيد الذي يحل في هذا اليوم من السنة إنما هو تذكار لما جرى في تلك الوقعة، اذ يخرج الناس زرافات من المدينة وهم يتنادون باسماء مألوفة مثل [كاوس أو ماركوس أو لوشيسوس!] وغيرها تمثلاً بالحالة التي كانت تسود الرومان عند خروجهم العاجل على اللاتين وهم يتنادون بالأسماء، ويلى ذلك مشهد خادومات البيوت، يبرزن في العيد مرتديات أزهى الثياب، ويجرين هنا وهناك لاعبات لاهيات، ممازحات كل من يصادفنه، ثم يلجأن الى تقليد معركة فيما بينهن أظهاراً لدورهن في قتال اللاتين. وبعد ذلك يجلسن تحت

ظلال اغصان التين ليأكلن ويشربن. ويعرف هذا اليوم باسم [نونى كاپروتينى: Nanæ Cap-rotationæ] ويظن بعضهم أنه مشتق من «شجرة التين» وهي الشجرة التي ارتفع منها مشعل الخادمة كما تقدم. لأن الأسم الروماني للتينة هو [كاپريفيكوس Caprificus]. ويعزو فريق من الكتاب، كل ما يجري قوله وعمله في هذا العيد الى ظروف انتهاء حياة رومولوس. فقد غاب عن الأنظار خارج اسوار روما، عندما انتشر ظلام دامس وهبت عاصفة هوجاء مفاجئة. [قال بعضهم أنها ظاهرة كسوف شمسي] فالاسم اللاتيني للعنزة هو [كاپرا Capra] والوضع الذي أختفى منه رومولوس كان يعرف باسم «مستنقع العنزة» آنذاك.

على أن عامة الكتاب يفضلون الرواية الأخرى عن الحرب وتفصيلها تروى على النحو الآتي بعد أن أنتخب كاميللوس دكتاتوراً للمرة الثالثة، وعندما أبلغ بأن جيش التربيونات العسكريين قد طوقه اللاتين والفولسكيون، دعا الى النفير العام. ولم يقتصر في دعوة من بلغ سن الخدمة، بل جند من لم يناهزها. ثم أنه قام بجولة استطلاعية واسعة حول جبل [مريشوس] في غفلة عن عيون العدو وبعدها ساق جيشه الى مؤخرته. ثم أعطى الإشارة بقدومه الى الرومان المطوقين باشعال عدة نيران، فبث الشجاعة في نفوسهم وتهيأوا للتعرض للعدو ومبادأته بالهجوم.

ولكن اللاتين والفولسكيين الذين دبّ الخوف فيهم لانكشافهم للعدو من الجناحين بادروا للانسحاب وراء مواقعهم وأخذوا يحصنون معسكرهم بمتاريس وموانع قوية من جذوع الأشجار على جميع الجهات، قرروا الانتظار لحين وصول نجدات من بلادهم، مع توقعهم المعاونة من التوسكان حلفائهم. وأدرك كاميللوس خطتهم، فخاف أن يؤول أمره الى الوضع الذي أرغمهم هو عليه، أعني أن يُطوق هو، ولذلك قرّر أن لا يضيع وقتاً، ولما كانت متاريسهم من الخشب وملاحظته أن ريحاً شديدة تهبّ باستمرار عند بزوغ الشمس من الجبال باتجاه المعسكر، فقد هباً مقداراً من المواد الملتهبة وحشد قواته على خطّ الصّولة، وأعطى أمر الهجوم لجزء منها بالقذائف فأندفعوا الى العدو بصيحة عظيمة وجلبة شديدة من ناحية، بينما توجه هو بالوحدات التي ستطلق النار، الى الجهة التي تهبّ الريح نحو معسكر العدو، عادةً وكمن هناك يتحين فرصته. ولما بدأت المعركة وبزغت الشمس انطلقت ريح شديدة من الجبال فأعطى اشارة الحركة والهجوم وقذف بكميات ضخمة من المادة الملتهبة واستعرت النيران في متاريس الخشب القريبة ثم سرت الى المعسكر نفسه وقامت الحرائق في شتى ارجائه ولم يكن اللاتين قد استحضروا من الوسائل ما يدفع عنهم غوائلها ويعمل على إخمادها وعمت المعسكر وأخذت لتتهمه فلم يجدوا مفرأ من الابتعاد عنه مسافة قليلة، ثم أنهم وجدوا أنفسهم مرغمين على

خوض المعركة فآلقوا بأرواحهم في أيدي عدوهم الذي كان لهم بالمرصاد أمام المتاريس مستعداً بسلاحه، ولم ينج منهم إلا نفر قليل. أما الذين مكثوا في المعسكر فقد راحوا طعمة للنيران، وعمل الرومان على اخماد الحرائق قبل أن تأتي على الأسلاب والغنائم.

بعد أن تحقق لكاميللوس النصر المؤزر، أناب عنه ابنه [لوشويس] لحراسة الأسرى واحصاء الغنائم في المعسكر واستاق جيشه مخترقاً بلاد العدو فسقطت في يده عاصمة الايكويين، وأخضع الفولسكيين، ثم أسرع متوجهاً الى [سوتريوم] لمعاونتها في حربها مع التوسكان وليس لديه أية فكرة عما حلّ بها. وكل ما كان في علمه انها مازالت في خطر وان التوسكان يشدون عليها الحصار، على أن الحقيقة كانت خلاف ذلك فقد استسلم [السوتريون] وفتحوا ابواب مدينتهم لأعدائهم فدخلوها وطردها جميع سكانها منها بعد ان سلبوها كل شيء، ما خلا ثيابهم التي يرتدونها ولقيهم كاميللوس في الطريق يدفعون زوجاتهم وأولادهم أمامهم ويندبون سوء حظهم وهم في حالة من البؤس لاتوصف فثارت عاطفة كاميللوس، وابصر جنوده يذرفون الدمع عليهم ويظهرون مشاعر الحزن العميق، وأهالي [سوتريوم] المنكوبون يتشبثون بهم ويتعلقون بأذيالهم. مخلف بالآ تغيب شمس اليوم إلا ويكون قد أنتقم لهم، وزحف حالاً الى المدينة، مخمناً أنه سيجدها لاهية غافلة بمن فيها، غير محروسة، ففاتهاوا استولوا على مدينة غنيّة كثيرة الغنائم وما عادوا يخشون عدواً من الداخل ولا مغيراً من الخارج، وكان كاميللوس صادقاً في حدسه فلم يعرف العدو بقدومه حين أقترابه ولم ينتبه له حتى عند دخوله المدينة واحتلاله أسوارها التي لم يترك فيها العدو ولا حارساً واحداً، وكان التوسكان قد أووا جماعات متفرقة الى البيوت يعاقرون الخمر ويلهون، ولما فطنوا الى أن عدوهم قد أكمل الاستيلاء على المدينة كانوا ثملين بما عبوا من الخمر، متخمين بما التهموا من اللحم، لا بل غاية ما تمكن منه أقليتهم هو الفرار. أما الأغلبية فيما انتظروا موتهم المخزي وهم داخل البيوت، أو استسلموا للفتاح. وهكذا استولي على مدينة سوتريوم مرتين في يوم واحد، وأولئك الذين كانوا يملكونها فقدوها وأولئك الذين فقدوها استعادوها وكل ذلك بفضل كاميللوس. إستحق كاميللوس بهذا موكب نصر آخر. نال فيه من الرفعة والسمعة ما ضاهى به النصرين الأولين، فمن كان سيء النظرة اليه من المواطنين، ومن كان يعزو انتصاراته الى الحظّ لا الى نبوغ فيه، أرغمتهم أعماله الأخيرة على التسليم بقابلياته العظيمة وحيويته وعلى وجوب إكرامه وتمجيده.

كان [ماركوس مانليوس] أبرز خصومه وأقوى حسّاده. وهذا هو الشخص الذي تصدى للغالين عندما هجموا ليلاً على الكابتول، وأجبرهم على الانسحاب، ولهذا السبب منح لقب

[الكابتولي Capitolin]. احتل هذا الرجل المقام الأول في الجمهورية، لكنه عجز عن مطاولة شهرة كاميللوس ومجاعة سمعته شريفة، فلجأ الى السبيل المعروف لانتزاع السلطة المطلقة، وأعنى به خطب ود الجماهير، ولاسيما أولئك الذين غرقوا في الديون. وراح يدافع عن فريق بالتزامه قضاياهم ضدّ دائئتهم وينقذ الفريق الآخر بالقوة والشدة. ويمنع القضاء عن ملاحقتهم بالدعاوى. ولم يمرّ به طويل زمنٍ إلاّ وأجتمع له عدد كبير من الساخطين، كانت ضوضاؤهم وصخبهم في [الفوروم] يلقيان الرعب في قلوب كبار القوم ووجهائهم فلم يجد [كوينتيوس كاپيتولينوس Quintius Capitolinus] الدكتاتور الذي نصب لأجل قمع الحركة - سبيلاً غير زجّ مانليوس في السجن، فكان ردّ الجمهور الآتي على ذلك أن بادر «بتغيير ثيابه» والناس لا يلبأون الى تغيير ثيابهم إلاّ عندما تحلّ نكبة عامة. فخاف الشيوخ فتنة لا تبقى ولا تذر وسارعوا الى إخلاء سبيله. لكن مانليوس زاد عتوا بعد إطلاق سراحه واشتد عنفاً في أهدافه وملاً المدينة فوضى وخراباً. فلم يجد الشيوخ بدأ من انتخاب كاميللوس لمنصب الحاكم العسكري [تربيون]. وعين هذا يوماً لمحاكمة [مانليوس]، والاجابة عن التهمة التي رفعت ضده. وكانت الجلسة في موضع لايساعد المدعين في مرافعتهم، لأنه يشرف على البقعة التي خاض فوقها مانليوس معركته مع الغاليين - وهي في الكابتول بالقرب من الفوروم. فكان المتهم يمدّ ذراعيه الى تلك الجهة باكبياً مذكراً مستمعيه بمأثرته تلك. مثيراً عواطفهم. فحار قضاته في أمره ولم يدروا ما يفعلون، وراحوا يؤجلون المرافعة عدة مرات؛ فهم من جهة لا يرغبون في تبرئته من الجرم الذي تضافرت عليه دلائل كافية جداً. وهم من جهة أخرى عاجزون عن تطبيق أحكام القانون ومآثرته الجليلة ماثلة أمام أعينهم. وفكر كاميللوس في الأمر ملياً ثم أمر بنقل المحكمة الى البستان [الپيتيلني Petiline] خارج السور، فمن هناك لايمكن مشاهدة شيء من الكابتول. وواصل المدعي شرح التهمة، وتمكن القضاء من وزن أعماله واستنكارها وإدانوه، فافتيد الى الكابتول والقي منكوساً من فوق الصخرة، وبذلك كانت تلك البقعة شاهداً على أعظم مجد له، وتذكراً لأسوأ نهاية له. وهدم الرومان بيته وبنوا فوق ارضه معبداً للربة [مونيتا Moneta] وصدر مرسوم يحظر على أي فرد من البارتريشين سكنى الكابتولين في المستقبل.

وطلب من [كاميللوس] تولي منصب الحاكمية للمرة السادسة، فأعتذر عنه بكبر سنه. ولعلّه شعر بخوفٍ من أن يقلب الحظّ له ظهر المحن فيبادره بنحسه بعد أيام السعد<sup>(٦٠)</sup>، على

(٦٠) وذلك كي لا يُغري موقع القلعة الممتاز المشرف على سائر المدينة، الى استعبادها أو يسهل الوصول الى ذلك الغرض فقد اتهم [مانليوس] بالسعي لتصب نفسه ملكاً ولم يستطع اثبات براءته أو =

أن أظهر الأسباب لرفضه كان ضعف صحته فقد أبتلي بمرضٍ في ذلك الحين. لكن الشعب لم يقبل بأيّ عذر وراح الناس يصرخون أنهم لا يريدونه ليركب خيلاً أو ليسير على قدميه، وإنما يريدون منه سلامة الرأي وحسن المشورة. وهكذا اضطروا على تسلم زمام القيادة، على أن يسوق أحد زملائه الحكام [تريبليون] الجيش حالاً لمواجهة [البرينستيين Praenestines] والفولسكيين الذين أجتاحوا أراضي حليفات روما بقوات كبيرة، فخرج كاميللوس على رأس الجيش اليهم. وتوقف وعسكر على مقربة منهم. وفي نيته أن يماطل في الحرب، ان لم يكن منها بدٌ حتى يستعيد قواه وينظم صفوف جيشه لحوض اية معركة تحملها الضرورة. أو يجبر عليها. إلا أن زميله [لوشيووس فيوريوس Lucius Furius] كان قليلاً الصبر، تتملكه رغبة جامحة في نيل المجد وأطلاب المعالي، فلم ير رأيه والح في دخول المعركة وراح يثير حماسة صغار ضباط الجيش ويغذيهم بالشعور نفسه. وخشي [كاميللوس] أن يظن بأنه ما أعطى قرار التريث إلا لحرمان الشبان من مجدٍ يصبون اليه وينالونه من حملة عسكرية شريفة الغاية، وافق على اقتراح زميله وهو كاره، وتخلّف في المعسكر بسبب ضعفه وليس معه غير نفر قليل<sup>(٦١)</sup>، وهاجم [لوشيووس] العدو ينزق وتهوّر، فصدّ هجومة وعندما أبلغ كاميللوس أن الرومان أنكفأوا الى خلف وأخذوا ينهزمون، لم يستطع ضبط أعصابه وقفز عن فراشه وأسرع بالنفر القليل المتخلف معه، لمقابلة المندحرين لدى ابواب المعسكر شاقاً طريقه بين المنهزمين - قاصداً صدّ المطاردين، وكان لعمله هذا ردّ فعله فأولئك الذين دخلوا المعسكر فارين داروا على أعقابهم في الحال وتبعوه، وأولئك الذين خرجوا من المعسكر هارين، أتجهوا اليه والتفوه حوله وأخذ واحداهم يلوم الآخر على تركه جانب قائده! بهذه الوسيلة تمكن من صدّ زحف العدو في قتال ذلك اليوم.

وفي اليوم التالي صفّ كاميللوس فرقة بنسق المعركة وصال على العدو صولة شديدة

= استدرار الرحمة من الشعب مع انه ابرز ثلاثين شكة سلاح غنمها من ثلاثين خصماً التحم معهم في قتال اليد باليد وقضى عليهم جميعاً، كما كرم بربع تشريفات بينهما (Mural) اكليان. وثمانية تيجان سدن. كما انقذ كثيراً من المواطنين وفي مقدمتهم سرفيلوس قائد الخيالة. ويزيد بليني في تاريخه الطبيعي فيقول (٢٨:٧) عندما كان مانيلوس في السابعة عشرة من عمره، غنم اسلاب عدوين. وكان اول فارس في روما يوضع على رأسه تاج الغار. وتلقى جسده ثلاثة وعشرين جرحاً بقيت ندوبها ظاهرة في قتال شريف. وعند انقاذه سرفيلوس تلقى طعنيتين غائرتين في ساقه ونزاعه. ويضيف (ليفي) قوله انه صدر قرار بان لا يسمى أحد من اعتاب اسرته باسمه.

(٦١) من الخرافات المنتشرة بين الرومان ان (نمسيس) آلهة الانتقام قد تبثلي المرء بنكبة بعد عمر طويل حالفه النجاح وحسن الحظ دون انقطاع وكاميللوس الذي بلغ الآن السادسة والستين تقريباً (٢٧٩ ق.م) هم بتأدية يمين التقاعد المعتاد والتخلي عن الحكم بسبب المرض إلا ان الشعب رفض حتى سماع هذا الاقتراح منه [ليفي ٦: ٢٢].



وهزمهم هزيمة شنعاء ولحق بهم الى معسكرهم حتى أختلط الحابل بالنابل ودخلوا معسكرهم معهم واستولوا عليه وأبادوا بحدّ السيف معظمهم. ثم، لما سمع باستيلاء التوسكان على مدينة [ساتريكوم Satricum] (٦٢) وقتلهم كل أهاليها وهم رومانيون. بعث الى رومه بمعظم وحدات ذات السلاح واستبقى له وحدات مسلحة بأخف الأسلحة، مما أمتاز بالبسالة والإقدام، وهجم بهم على التوسكان المسيطرين على المدينة وكسرههم شرّ كسرة، وقتل عدداً منهم وطرد البقية. وعاد الى روما محملاً بغنائم كثيرة، مقدماً بهذا دليلاً ساطعاً على نبوغه وحكمته الفائقة وعلى صحة رأي أولئك الذين لم يعدوا الثقة فيه عندما فضله على الشبان الطموحين المشوقين الى القيادة وعزل الشيخ العليل العازف عن الحكم، مبرهنين بذلك على أن ضعف جسم القائد وشيخوخته لا يجرّدانه من الإقدام أو وحدة الذهن.

لذلك، فعندما وردت الابناء بتمردّ التوسكولان Tusculan، انيظت بكاميللوس مهمّة قمعه، وخير في تعيين زميل مساعد له من أحد الحكام. وكان كل زملائه متلهفاً الى هذا المنصب فمرّ بالجميع مرور الكرام ووقف عند [لوشبوس فيوريوس] فأختره دون غيره خلافاً لما كان متوقّعا، وفيوريوس هذا، هو الذي قاد الهجوم الفاشل الطائش ضد رغبة كاميللوس في الحرب الأخيرة كما مرّ بنا، وكاد يخسر المعركة والحرب كلها. وكان غرض كاميللوس من اختياره، هو أن يداوي نكسته ويحو عارها عنه على ما يبدو.

ولما سمع التوسكولانيون بمقدم كاميللوس، لجأوا الى حيلة للرجوع عن تمردهم وتفادي النتائج فكان كاميللوس يمرّ بحقول امتلأت بالزراع والرعاة المنصرفين الى اعمالهم كأنما في عزّ السلم. ووجد ابواب المدينة مفتوحة على مصاريعها، والتلاميذ يذهبون الى مدارسهم، ورأى الصناع والبقالين في دكاكينهم عاكفين على أعمالهم اليومية، ووجهاء القوم يروحون ويغدون في المحلات العامة بشبابهم العادية (٦٣). وأسرع قضاة المدينة لتهيئة مقرات سكنى للجيش الروماني كأن شيئاً لم يحصل، وكانهم لا يشعرون بأي خوفٍ أو خطر، ولا يثقل ضميرهم ذنباً. ولم تنظّل هذه المظاهر على كاميللوس، وتشككه في انباء خيانتهم إلا أن قلبه رقّ لهم لما رآه من ندامتهم، فأشار عليهم بمراجعة مجلس الشيوخ والعمل على تهدئة غضبه، وتبرع هو نفسه بالتوسط في أمرهم والدفاع عنهم. وهكذا برئت ساحة المدينة وقبيلت في حظيرة المواطنة رومانية (٦٤). وتلك هي أهم أعمال كاميللوس أثناء حاكميته السادسة، وأجدرها بالذكر.

(٦٢) يقول [ليفي ٢٢:٦] انه اتخذ مقراً على مرتفع مع وحدات الرديف لمراقبة سير المعركة.

(٦٣) هذا الموضع ليس السوتريوم الذي جاء ذكره قبلاً. ويبدو ان پلوتارخ قد خلط بين الموضعين.

(٦٤) التوكا Toga هو ثوب السلم، والساكوم Sagum هو لباس الحرب وينوه ليفي [٢٥:٦] ببعض ازياء أخرى يرتونها بالمناسبة.

بعد كل هذه الأحداث أثار [ليشينيوس ستولو Licinius Stolo] مشكلة كبيرة واقام رومه واقعدھا وألب العامة على الشيوخ برفعه شعار حق العامة في اختيار واحد من القنصلين الحاكمين من طبقتهم، لا أن يكونا قاصرين على طبقة الپاتريشيين. وكان قد تمّ انتخاب [تريبونات] الشعب ألا أن طبقة العامة أوقفت عملية انتخاب القنصلين وحالت دونها<sup>(٦٥)</sup>. ولما كان عدم وجود رئيس دولة، يؤدي الى تفاقم الوضع وازدياد الفوضى. فقد لجأ الشيوخ تطميناً لرغباته وخلافاً لرغبة الشعب الى انتخاب كاميللوس دكتاتوراً للمرة الرابعة<sup>(٦٦)</sup>، و ضد رغبة كاميللوس الذي ان يكره الاصطدام بأناس اعطتهم خدماتهم الماضية الحق في أن يقولوا له ان مآثره الحربية التي انجزها بفضلهم هي أجل وأعظم شأناً من الأعمال السياسية التي انجزها بالتعاون مع الپاتريشيين. وهؤلاء في الواقع لم يبرزوه ويدفعوا به الى أعلى المنصب الأ غيره وحسداً أو بكلمة أخرى اذا نجح سيسحق الشعب، وان فشل سيسحق نفسه. وعلى اية حال ولأجل أن يعالج الأمر انجح معالجة ممكنة في تلك الساعة، ولبلوغ علمه باليوم المحدد الذي سيطرح فيه تريبيونات الشعب اقتراحاً بسن هذا القانون أصدر أمراً بالنفي العام، ودعا الشعب الى الخروج من الفورم والذهاب الى المخيمات مهدداً بفرض غرامات ثقيلة على المخالفين. فقابل التريبونات تهديده، باحتجاج صارم وهددوه بفرض غرامة عليه قدرها خمسون ألف دراخما من الفضة اذا أصرّ على منع افراد الشعب من الادلاء باصواتهم عند الاقتراع على القانون. وسواء أخشي كاميللوس نفيماً آخر، أو حكماً بالإدانة لا يتفق

(٦٥) المواطن الروماني الأميل الذي يتمتع بحقوق المواطنة كاملة؛ له ان يملك منزلاً في روما، وان يدلي بصوته في الجمعية العامة. ويرشح نفسه للوظائف الحكومية. وهو من ثم منتسب الى واحدة من القبائل الرومانية. اما الانسان الحر في عهد الجمهورية فهو محروم من هذه الامتيازات. والبلدان الأخرى والمستوطنات الرومانية التي يتمتع أهلها بحق المواطنة فلبعضها الحق في المشاركة في الاقتراعات العامة وترشيح أهاليها للوظائف في روما. في حين حرم بعضها الآخر من ذلك. ولم يعط للتوسكلان حقوق المواطنة الأ بعد ذلك بزمن [ليفي ٢٠:٦].

(٦٦) دام هذا الاضطراب خمس سنين في اثناء قيام التريبونات بمنع اجتماع الكوميسيا وهو ضروري لانتخاب القناصل وكبار الحكام. وكانت المناسبة التالية السبب في ذلك: قام [فابيوس أمبوستوس] بتزويج بنته الكبرى من [سرفيوس سولپيشيوس] الپاتريشي الذي كان وقتذاك تريبيوناً عسكرياً. وزوج الصغرى من [لوچينيوس ستولو] وهو پليبي غني. واتفق ان الأخت الصغرى اثناء قيامها بزيارة لأختها، ان عاد زوجها من الفورم وراح حرسه اللكتور يطرقون الباب بعصبيهم طرقاتاً شديداً فخافت الأخت الصغرى فضحكت أختها ساخرة بجهلها بالحياة الراقية التي تحياها. فألتها الإمانة كثيراً. ولكي يهدئي ابوها من روعها قال لها انها ستجد عما قريب في بيتها من الحياة الراقية والابهة ما يفوق ذاك الذي تجده في بيت شقيقتها. واتفق الأب والزوج مع [لوشيو سسكتيوس] الذي أصبح أول قنصل بعد نهاية الفترة - واقترحوا عدة قوانين منها تخفيض سعر الفائدة. وتحديد الملكية الزراعية بحد أقصى لا يتجاوز الخمسمائة ايكر. وجواز انتخاب أحد القنصلين من بين عامة الشعب وقد اورد ليفي ٢٤:٦-٢٨ كل التفاصيل في هذا الباب.

وشيخوخته ولا يناسب ماضيه المجيد، فقد وجد نفسه أعجز الناس عن وقف زخم الجماهير الذين استفحل أمرهم واضطرت أنفسهم بالثورة والتمرد. فأنسحب الى بيته لوقت ما، ثم أدعى المرض عدة ايام، وأخيراً استقال من منصب الدكتاتور<sup>(٦٧)</sup>، فانتخب الشيوخ دكتاتوراً آخر، بادر حالاً الى تعيين [ستولو] زعيم المعارضة، أمراً لقوات الخيالة. وتقرر سن قانون جديد وصادق عليه ووضعه موضع التنفيذ - وقع هذا القانون وقع الصاعقة على الشيوخ فقد حدد ملكية الأراضي الزراعية بما لا يزيد عن خمسمائة ايكر مساحةً، وبهذا علت منزلة [ستولو] كثيراً، ولكن يمرّ طويل زمن<sup>(٦٨)</sup> حتى وجد [ستولو] يحتفظ بمساحة تزيد عن التحديد، ففرضت عليه العقوبات التي قررها قانونه!

ثم حلّ النزاع حول انتخاب القناصل - وكان هذا علة الخلاف والنقطة الأساسية للتناخر، ظلّ يمدّ الخلاف بين طبقتي الشيوخ والعامّة بوقود لا ينضب معينه.

ووصلت في اثناء ذلك، انباءً تشير الى أن الغاليين ينوون اعادة الكرة، وقد تقدمت جحافلهم من البحر الادرياتي مندفعة نحو روما بجموع هائلة، وفي أعقاب هذا النبأ تواترت الأخبار عن أعمال التخريب التي يرتكبها العدو، فقد كان يترك الأرض التي يجتازها قاعاً صفصفاً، والأهالي يفرون من أمامهم، يهيمون على أوجههم في الجبال مبعثرين، ولم يصل منهم الى روما إلا نفر ضئيل. إن مخاوف هذه الحرب هدأت الحالة في روما، وأعادت الى المدينة وحدتها، وأختار الشيوخ والعامّة، والنبلاء والدهماء بالأجماع كاميللوس، لمنصب الدكتاتور مرةً خامسة وكان يشارف ثمانين من عمره. لكنه لم يدع المرض أو خور القوى في هذه المرة كما أدعى قبلها، تقديراً منه للخطر الذي يتعرض له الوطن، ومستجيباً لداعي الضرورة الملحة. وياشر في الحال بالتجنيد.

علمته تجربة الحرب مع الغاليين، ان قوة هؤلاء تكمن في سيوفهم البتارة، فهم يهونون بها بشكلٍ اعتباطيّ خشنٍ لا فن فيه، فيبقرون ويبترون الاعطاء ويقطعون الرؤوس والاكتاف بصورة وحشية فعالة. لذلك أمر بضع خوذٍ حديدية واقية يرتديها معظم رجاله، وأوصى بصقلها وتلميعها من الخارج حتى تنزلق فوقها سيوف الأعداء أو تتكسر. كما أمر بثبت اطارات خفيفة من النحاس حول التروس لأن الخشب لا يتحمل ضربات السيوف الشديدة كذلك درب جنوده على استعمال رماحهم الطويلة في القتال القريب. وعلمهم كيف يدرون بها

(٦٧) في ٣٦٦ ق.م.

(٦٨) زعموا بوجود شيء مخالفه في الاستشارة التي تمت بعد تعيينه. [ليفي ٦: ٢٨]. وقد خلفه [يوبوليوس مانليوس] في المنصب.

ضربات سيوف العدو عندما يلتحمون بهم.

إقترب الغاليون من نهر [اكينوا] يجرون خلفهم اثقالاً لا تحصى، وهم متخمون بأسلاب تفوق الحصر. نظم كاميللوس جيشه لخوض المعركة، فاختار موقعه على تل سهل المرتقى فيه كثير من الوهاد والمنخفضات وأخفى في تلك التعاريج معظم فرقه. وأبقى القسم الأقل فوق التل بشكل ظاهر ليبدو وكأنه لجأ الى القمة بدافع الخوف. ولأجل تثبيت الخدعة في نفوس العدو، تركه ينهب ويسلب دون أن يتعرض له حتى دنا وأصبح على مشارف خنادقه وكاميللوس رابض في مواقعه الحصينة خبير تحصين. لا يأتي بأقل حركة، حتى رأى القسم الطلائعي منه يتفرق زمراً في النواحي ينهب ويخرب ويدمر.

أما القسم الذي بقي في المعسكر فقد عكف على الشراب والقصف موصلاً الليل بالنهار ملقياً جانب الحذر. وفي هدأة من الليل قام كاميللوس بتحشيد أخف فرقه سلاحاً وارسلها في المقدمة لعاقة العدو عن تنظيم صفوفه، ولايقاع الفوضى فيهم بالمشاغلة والهجمات المتكررة عندما يهيمون بالخروج من المعسكر وعند ابتلاج الفجر انحدر بالقسم الأكبر من الجيش وهم ينسق الهجوم - الى الأرض المنبسطة وكان جيشاً جراراً يتوثب أقداماً وشجاعة، لا كما حسبه البرابرة فرقة صغيرة أطاش الرعب صوابها.

وكان أول ما زعزع ثقة الغاليين وأفقدهم الشجاعة هو أن شرف المبادأة بالهجوم كان لأعدائهم خلافاً لما توقعوا وثاني ما أثر فيهم تلك الوحدات الخفيفة السلاح والحركة تفاجئهم بالكرات الشديدة دون أن تتيح لهم فرصة لتنظيم صفوفهم وفق الأحوال الحربي الذي اعتادوه فشاعت الفوضى فيهم، ووصل الضنك بهم حداً أن اضطروا الى القتال بصورة اعتباطية لا نظام فيها، ولما زج كاميللوس بفرقه الثقيلة، اندفع البرابرة اليهم بقوة وسيوفهم مشرعة فراح الرومان يكيلون لهم الطعن برماحهم ويتقنون ضربات السيوف على الاجزاء التي يحميها الحديد حماية جيدة. وتثلمت سيوف الغاليين المصنوعة من معدن سيء السقي والتوت وتكسرت في ايديهم وخرقت الأسنان تروسهم وانغرس فيها كثير حتى ثقلت بها، فأضطروا الى ترك أسلحتهم وحاولوا الاستفادة من أسلحة أعدائهم، وراحوا يحاولون انتزاع الرماح من تروسهم. ولما وجدهم الرومان عزلاً لأسلحهم في ايديهم، امتشقوا سيوفهم وكانوا يتقنون استخدامها - وأوقعوا مذبحه كبرى في الصفوف الأولى، بوقت قصير. بينما هربت البقية وتفرقت في الأراضي المجاورة. وكان كاميللوس قد أستعد لذلك من قبل باحتلال المرتفعات والتلا. وكان الغاليون يعرفون أن العدو ان يصعب عليه الاستيلاء على معسكرهم لأنهم تركوه دون حراسة وحماية لوثقهم بالنصر، ولذلك لم يلجأوا اليه في فرارهم.

قيل أن هذه المعركة جرت في السنة الثالثة عشرة<sup>(٦٩)</sup> بفتح روما. ومنها فصاعداً ارتفعت معنويات الرومان، وازدادوا شجاعة، وتغلبوا على مخاوفهم من البرابرة، الذين عزوا هزيمتهم السابقة الى تفشي الوباء فيهم، وسوء حظوظهم، أكثر مما عزوه الى بسالة الرومان. في الواقع أن هذا الخوف كان شديداً عند الرومان حتى انهم سنوا قانوناً يقضي باعفاء الكهنة من الخدمة العسكرية، إلا عند غزوات الغالين.

كان هذا، آخر عملٍ عسكري انجزه كاميللوس. لأن استسلام مدينة الفيليتراني Velitriani طوعاً لم يكن إلا مجرد عملية تابعة. إلا أن أعظم المعارك السياسيّة وأشقهاً حلاً ما زالت تنتظر منه تسوية، وكان عليه أن يخوضها ضد الشعب.

عاد الجيش الى أرض الوطن ثملاً بخمرة النصر والنجاح مصراً على تغيير القانون السائد، وانتخاب قنصل واحدٍ من طبقتهم فعارض الشيوخ في ذلك أشدّ معارضةٍ ولم يسمحوا لكامللوس بالاستقالة من منصب الدكتاتور، نشبوا به متوهمين بأن احتماهم باسمه العظيم وسمعته، يضاعف من قدرتهم على النضال لابقاء نظام الحكم ارستقراطي الشكل.

لكن، بينما كان كاميللوس جالساً على منصّة الحكم يصرف شؤون الدولة، إذ صعد اليه ضابط ارسله تربيونات الشعب، وأمره بالنهوض والسير خلفه، ووضع يده عليه كأنما يريد القبض عليه ونقله. فأمثلاً الفوروم بضجيج وصخب لم يسمع بمثله من قبل. وحاول بعض من كان حول كاميللوس أن يصدوا الضابط وقذفوا به من فوق المنبر. وراحت الجماهير في الأسفل تهب بالضابط أن يقتاد كاميللوس وينزله عن مقعده. وأستبدت الحيرة بكامللوس وأسقط في يديه. ولم يدر كيف يخرج من هذا الموقف الصعب. على انه لم ينزل عن سلطاته بل جمع الشيوخ وأخذهم الى المجلس وقبل ان يدخل دعا للآلهة أن تلهمهم الحلّ الصائب وتبلغ بهم الى نتيجة خيرٍ وسط هذه المحنة ونذر بقسم مغلظ أن يبني معبداً لـ [كونكورد Concord] أن أنكشفت الغمة وزالت المحنة. ثم عقدت الجلسة، وأصطدمت آراء المجلس اصطداماً عنيفاً وكثر الجدل، أخيراً نجح أكثر الاقتراحات اعتدالاً، وأحسنه قبولاً عند العامة. وبه تمت الموافقة على تعيين قنصل من العامة الى جانب القنصل الآخر<sup>(٧٠)</sup>. وعندما أعلن كاميللوس قرار المجلس لعامة الشعب، أستبد به الفرح، وصالح الشيوخ صلحاً صميماً لم يسبق مثيله من قبل. ورافق الجمهور كاميللوس الى منزله بتظاهرة عظيمة، حافلة بضروب التجلة والتعظيم،

(٦٩) بعد ١١ سنة (اي في ٢٥٦ ق.م) فرض عليه پولبيوس ليناس غرامة مقدارها عشرة آلاف ستدركه لأنه كان يملك الف ايكر بالاشتراك مع ابنه الذي أخرجه من السلطة بسبب ذلك [ليفي ١٦٧:٧].  
(٧٠) ليس ثلاثة عشر بل ثلاثة وعشرون عاماً [ليفي ٤٢:٦].

ومظاهر الغبطة. وأجتمع المواطنون كافةً في اليوم التالي وصوتوا بتأييد إقامة معبد [كونكورد] تحقيقاً لنذر كاميللوس، على أن يشيّد بمواجهة بناية مجلس الشيوخ والفورم. كما صوتوا على اضافة يوم رابع الى أيام العيد الثلاثة المعروفة «بالأعياد اللاتينية». ورسوموا في تلك المناسبة، أن يقدم كل الرومان قرباناً وعلى رؤوسهم أكاليل الغار مضفورة.

في الانتخابات العامة التي أشرف عليها كاميللوس أنتخب [ماركوس اميلIOS Marcus Aemilius] قنصلاً عن الباترتشين. و[لوشIOS سكسيتوس Lueius Sextius] أوّل قنصل عن العامة. وكان هذا آخر أعمال كاميللوس.

في السنة التالية أنتشر في رومه وباءٌ أهلك عدداً لا يحصى من عامة الناس، وراح ضحيته معظم الحكّام ومن بينهم [كاميللوس]. وليس يصح القول انه أعتبط، أو مات قبل أوانه باذا فكرنا في عمره الكبيرة أو أعماله الكبيرة، إلا أن الحزن عليه فاق الحزن على كل من ماتوا بهذا الوباء مجتمعين<sup>(٧١)</sup>.

### أهم الأحداث في عهده (ق.م)

٣٨٧ معاهدة السلام التي عقدها القائد السبارطي انطالقيداس مع الفرس وبموجها أصبحت المدن الاغريقية في آسيا الصغرى خاضعة للفرس.

٣٧٧ (خابرياس) زعيم الاثينيين يهزم القائد اللقيدي [پوليسدس] في معركة [نخسوس] البحرية.

٣٧١ الثيبون بقيادة (پامننداس) يهزمون اللقيديين في لفترا.

---

(٧١) بعد ان فرض عامة الشعب ارادتهم بتعيين احد القنصلين من بينهم وتم احياء المنصب القنصلي والتخلص من منصب التربيون العسكري نهائياً. إلا أن طبقة الباتريشي لم تتنازل عن هذا الامتياز إلا بعد استحداثها وظيفة جديدة هي منصب الپريتور الذي نص على ان يكون من الباتريشي دائماً. والقناصل هم جنرالات في الجيوش الرومانية وهم في الوقت عينه قضاة مدنيون. لكن لما كانوا في ميادين القتال في أغلب الأحيان فقد روعى من الانسب أن تسحب منهم الواجبات المدنية وتناط بقضاة يطلق عليهم اسم «بريتور» يلون القناصل في درجة الوظائف العامة. وأول پريتور نصب في روما كان ابن (كاميللوس). وبالمناسبة فقد استحدث في عين الوقت منصب الكورول ايديل (لبي ٧:١) الذي سيأتي الكلام عنه. وفي حدود العام ٢٥١ ق.م. استحدث منصب پريتور ثان وانيط به حل النزاعات والخلافات التي تنشأ بين الاجانب غير الرومانيين. وعند الاستيلاء على صقلية وسردينيا أضيف اثنان آخران، وأضيف عدد آخر عند فتح اسبانيا.



مارس

پیریگلز

**PERICLES**

495 \_ 425





إتفق أن القيصر(\*) شاهد بعض اغنياء الأجانب في (رومه) يحملون الجراء والقردة الصغيرة، يهددونها ويحتضنونها ويدلونونها ويضمونها الى صدورهم بإعزاز وحب، وكان من الطبيعي أن ينتهز الفرصة ليسأل: هل تعودت النساء في بلادهن أن لا يحملن أطفالاً؟» إن هذا النقد الملكي الوجيه أخرى كثيراً بالناس الذين يغدقون على الحيوانات والبهائم ذلك الحب والعطف اللذين، ما زرعتهما الطبيعة في أنفسنا إلا لنخص به بني جنسنا من البشر، وللعلة نفسها يحق لنا العتب على أولئك الذين يسيئون استخدام حب الاستطلاع، والاستفسار ويصرفونه في أمور لاتستأهل من اسماعهم وأبصارهم اهتماماً، في حين تراهم لايبالون بما هو حسن بذاته، ولايكثرثون بما يصلح ويستقيم لهم.

إن مجرد الحسّ الظاهر، لما كان جامداً عاجزاً عن الأستجابة لتعبيرات الأشياء التي تقع في طريقه أو تعترضه، فقد لا يقوى على ملاحظة أو اقتبال كل ما يعن له أياً كان، مفيداً أو ضاراً. لكن الأمر يختلف عندما يستخدم المرء قواه العقلية. ففي كل انسان قوة طبيعية لتكييف نفسه لكل مناسبة عندما يشاء وان لديه مقدرة على تغيير نفسه وتحويلها بأسهل ما يمكن الى ما يجده حسناً له. لذلك كانت مهمة الإنسان أن يتتبع خبير الأشياء وأن يستخلص أصلحها، وبذلك لا يكون عمله قاصراً على تشغيل وتنمية قوى إدراكه، بل الانتفاع بتلك القوى أيضاً. وكما يكون لون من الألوان أبهى للعين من غيره، وكما تكون لطافته ورونقه باعثاً على تقوية النظر وزيادة حدته، كذلك ينبغي للانسان أن يستخدم بشعور من البهجة قوى ذهنه في الأمور الكفيلة بصقله وتنشيطه، لمنفعته الخاصة، ومصلحته .

تلك الأمور المحفزة للذهن نجدها في أعمال الفضية، لأنها تخلق في عقول قرائها العاديين دوافع وحوافز قد تؤدي بهم الى محاكاتها، في حين أن الأعجاب بما سواها لا يستتبع حتماً نشوء رغبة قوية في النفس الى محاكاتها. بالعكس، والف مرة بالعكس، فنحن عندما نعجب بصناعة، لانكثرت أو نهتم كثيراً بالصانع أو الفنان، كحالة أعجابنا بالعطور أو الأصباغ

---

(\*) المقصود أغسطس قيصر.

الحمراء، اننا نميل الى هذه الاشياء، كأشياء فحسب ولا نفكر بالعطارين والصباعين الذين صنعوها، أكثر من كونهم أناساً عاديين من عامتهم ودهمائهم.

لم يركب [انتستينيس Antisthenes] <sup>(١)</sup> متن الشطط لما قال ردّاً على ما سمع أن المدعو [ايسمينياس Ismenias، خير نافخ بالناي]، فقال: «قد يكون كذلك، إلا انه مخلوق بشريّ بائس لا غير، وإلا ما كان نافخ ناي ممتازاً» وقال الملك [فليبس] لابنه الأسكندر شيئاً في الموضوع نفسه. فقد عزف هذا الابن مقطوعة موسيقية عزفاً مبدعاً عجيباً في مجلس لهو وطرب. فعقب أبوه على ذلك بقوله: «الا يدركك الخجل يا بنيّ، لعزفك عزفاً ممتازاً؟» <sup>(٢)</sup> والقصد من هذا انه يكفي الملك أو الأمير أن يجد لنفسه فراغاً من الوقت أحياناً، لينصت الى موسيقى الآخرين، وأنه ليرفع من قدر الفن كثيراً عندما يجد في نفسه رغبة في حضور مجلس يمارس فيه آخرون هذه الأمور الفنيّة الرفيعة.

ومن يشغل نفسه في مهنةٍ ضيّعة، ينهض شاهداً ضد نفسه على إهماله وعجزه عن الاتيان بالأعمال الصالحة المفيدة، في تلك المعاناة التي يتكبدتها اثناء انجازه الأمور القليلة الفائدة، أو التي لا فائدة فيها. ولن يجد أي شاب نابغ أربب أي رغبة في أن يكون [فيدياس Phidias] عندما يشخص بنظره الى تمثال جوبتر في [بيزا Pisa] <sup>(\*)</sup> أو يتمنى أن يكون [بولقليطوس Polycletus] عند مشاهدته تمثال [جونوا] في [ارغوس] ولا أن تتأثر نفسه بأشعار [اناكريون Anacreon] أو فيليطاس Philetas أو ارخيلوخس الى الحد الذي يشاق أن يكون أحدهم. اذا حازت أعجابنا قطعة دقيقة الصنع أو أي اثر فنيّ لجمالهما ورعتهما فليس ضرورياً أن يستحق صاحبها أعجابنا أيضاً ومن حيث ان هذه الأشياء لاتفيد ناظرها ولاتجديدهم نفعاً في الحقيقة، فإن الناظر اليها لايشعر بأيّ شوق لمحاكاتها، كما أنه لايجد اي حافز يدفع رغبة فيه أو يحرك جهداً منه لصنع شبيه لها.

أما الفضيلة فتأثيرها أني عميق يبعث الرغبة الى محاكاة صانعيها عادةً، ونحن نتملك ثمار الحظ ونتمتع بها، أما ثمار الفضيلة فنهبو الى ممارستها ومزاوتها. نحن نُسرّ بأن نأخذ الثمار الأولى من الآخرين، لكننا نتمنى أن يأخذ الآخرون منّا الثمار الثانية. إن الثروة الأخلاقية حافز واقعيّ عمليّ، ما أن يقع عليها النظر حتى توحى الى نفس الناظر بدوافع

(١) تلميذ سقراط ومؤسس المذهب الفلسفي المعروف بالفلسفة الكليبيّة نبع في حدود (٣٦٥-٤٤٤ ق.م) وهو معلم ديوكينيس.

(٢) وقع (فليب) نفسه في خطأٍ شبيه بهذا الذي عَنّف ابنه بسببه فمرة اختلف مع احد الموسيقيين حول مبادئ الموسيقى. فصاح مخاطبه قائلاً «السموات لا تسمح لك بان تعرف عن هذا الموضوع أكثر مني».

(\*) أعني أولبيا.

لمحاكاتها واحتذائها. وليس تأثيرها على العقل والخلق مجرد اندفاع للتقليد. بل هو تأثير عميق تفصيلي خلاق للغرض الخلقى الذي ننتويه.

لهذا وجدنا من الملائم أن نصرف الوقت ونبذل الجهد في تدوين سير مشاهير الرجال. وألفنا هذا الكتاب العاشر في سيرتي بيركليس وفابيوس وماكسيموس الذي ادار دفة الحرب ضد [هنيبال]، والرجلان متشابهان في أخلاقهما الأخرى ونواحيهما الحسنة، وهما كذلك سواء في مزاجهما الرقيق ولين عريكتهما واستقامتهما وسلوكهما العام. صنوان في مقدرتها على تحمل الأمزجة المتناقضة الجامحة لبني قومهما وزملائهما في الحكم. ولذلك افادا بلديهما كثيراً وأصلحا من أمور وطنيهما. وسواء أتخذنا السبيل القويمة الى الغرض المشروع آتفاً أم لم يتخذنا، فهذا ما سنترك الحكم فيه للقاري، مستهدياً بما سيجده هنا.

كان بيركليس من قبيلة [أكامنتس Acamantis] ومن مواطني مدينة [خولارغوس Cho-largos] ونسبه أعرق الأنساب سواء من جهة ابيه أو أمه. [فكرانتيبوس Xanthippus] أبوه، هو الذي هزم قادة ملك فارس في معركة [ميكاله Mycale]، تزوج [أغارستي Aga-riste] <sup>(٣)</sup> حفيده [كلستينيس Clisthenes] الذي قام بمأثرة طرد ابناء [پسستراتوس] ووضع حداً نهائياً لطغيانهم وأغتصابهم الحكم، فضلاً عن سنه مجموعة من الشرائع، وإقامته نموذجاً صالحاً للحكم يتفق تمام اتفاق وسلامة الشعب واستقراره.

في آخر أيام حمل أمه به، رأت في الحلم أنها ضاجعت أسداً. وبعد أيام وضعت بيركليس، وكان كامل التكوين إلا رأسه فهو مستطيل بعض الاستطالة غير متناسق، ولذلك لا تجدد صورة له أو تمثالاً إلا والرأس مستورٌ بخوذة. ويظهر أن الصناعات والمثاليين ما كانوا يرغبون في إبراز ذلك العيب الجسماني.

ولقبه شعراء آثينا [سرخينوسيفالوس Scinocephalus] أو «رأس العنصل» مأخوذاً من كلمة [سرخينوس Schinos] وهي تستعمل أحياناً لتسمية نبات العنصلان أو بصلة البحر.

(٣) نجد عند هيرودوتس (٦: ١٣١) النسب الكامل لبيركليس. كان «كلستينيس» ملك [سيكيون] ابنة واحدة تدعى [أغارستي] فزوجها [ميغاكليس] ابن [الكيمون] فكانت ثمرة الزواج ابنان هما [كلستينيس] و[إبيوقراطس]. وولد للثاني منها ابن دعي [ميغاكليس] وابنة سماها [أغارستي] وهي والدة بيركليس. ولذلك فهي ليست حفيدته بل بنت أخيه.

إن معركة (ميكالي) في ايونيا، وقعت في اليوم نفسه وبين النتيجة العظيمة التي آلت اليها معركة (پلايتي) في ٤٧٩ ق.م. إذ ترك الفرس في ميدان القتال اربعين الف قتيل، وهلك عدد أكبر من هذا اثناء المطاردة. ولم يكتب النجاة للبقية إلا بالتقهقر المشين والاحتماء بأسوار ساردين. وكانت خسارة الاغريق تزيد عن اية خسارة حلت بهم في اية معركة أخرى خلال تلك الحروب كلها.

ويورد لنا أحد الشعراء الساخرين. المدعو [قراطينوس Cratinus] (٤) في «الحواليات الخيرونات Cheirons» بأن:

«الزمان القديم» تزوج مَرَج، بالملكة «تمرد» فكانت نتيجة الزواج، ذاك القذر الطاغية المدعو بيركليس في الأرض جامع الرؤوس Head Compeller! في السماء.

وفي «آله الانتقام اللعنة Nemesis» بوجه الكلام اليه قائلاً:

يقال يا رب - يا أنت «رأس» الآلهة المبارك الأعلى القوى (٥) أبا الجود والكرم! ويصفه [تيلقيدس Teleclides] الشاعر الآخر: وهو جالس في الاكروبوليس وقد ارهقته المتاعب السياسية:

ينوء تحت عبء رأسه. وهو الآن من خارج مقصورة رأسه ذات الأحد عشر متكاً مسبباً المتاعب والضجة العظمية.

وفي مسرحية هزلية لشاعر ثالث هو [ايبوليس Eupolis] اسمها «النصف Denes» يسأل عن ابناء كل خطيب ديماغوي من الدماغويين الذين جعلهم في مسرحية (قادمين من جهنم) (ايداس)، عندما خرج بيركليس في الاخير تراه يهتف:

هل صعد الى فوق، رأس القبائل التي تدور في تلك العوالم الواسعة؟

واتفق معظم الكتاب ان الاستاذ الذي لقنه الموسيقى هو [دامون Damon] (يقولون ان المقطع الأول من اسمه يلفظ قصيراً)، على أن [أرسطو] يخبرنا أن [بيتوقليدس Pythoelides] هو الذي جعله يتقن هذه الفنون ويحذقها، وليس ببعيد أن يكون [دامون] هذا من السفسطائيين، أحتال باحتراف الموسيقى على حماية نفسه كي يخفى عن الناس عامة نبوغه في المسائل الأخرى وتحت ستار هذا الزعم لازم الرياضي الشاب بيركليس في شؤون السياسة، أو بكلمة أخرى باعتباره مدرّباً في التمارين الرياضية، وعلى أية حال لم تكن «قيشارة»

(٤) قراطينوس هو كاتب هزليات قديمة. كتب آخر مقطوعة له وهو في السابعة والتسعين من العمر. واقتبوليس

الذي كان اسبق منهم عند عبوره المضائق وقع «ضحية خياله الشعري الساخر».

(٥) كان بيركليس يلقب بـ(اوليمپوس) أو (جوبتر) كما نوه بلوتارخ بذلك فيما بعد. والشاعر هنا يوجه اليه القول بهذه الصفة ويشير اليه بكلمة «المبارك» أو «ذي الرأس الأكبر». وليس في العربية كلمة كهذه ذات معنى مزدوج ولفظ واحد. وفي الابيات الأولى لقب بـ(كيفالكيرتس) أو جامع الرؤوس (كان رأس بيركليس لفرط ضخامته، يبدو وكأنه مجموعة رؤوس) بدلاً من نيفالكيرتس أو جامع الغيوم. وهي صفة من صفات (جوبتر) المعروفة.

دامون ناجحة كل النجاح لستر نفسه اذ نفي عن البلاد دون محاكمة، لمدة عشر سنوات متهماً بتدخله لمصلحة السلطة المستبدة، وبهذا اتاح للمرشح فرصة التندر عليه، فمثلاً نجد افلاطون الشاعر يخترع شخصية مسرحية ويسألها:

«اذن قل لي أولاً من فضلك يا دامون، أنت الخيرون الذي زود بيركليس بصنعتة<sup>(٦)</sup> وتتلذذ بيركليس أيضاً على زينو [الأليائي Elea]<sup>(٧)</sup> الذي عالج فلسفة الطبيعة بعين الطريقة التي عالجها [پاراميندس] إلا أنه أبلغ الذروة في فن لا ينازعه فيه أحد، وهو وحض حجج خصومه في الجدل واسكاتهم؛ ودونك وصف [تيمون الفيلاوسي] له:

«كذلك كان لسان زينو الجبار؛ لسان ذو حدّين يستطيع أن يبرهن على خطأ أي

قولٍ مهما كان»

إلا أن [أناكساغوراس] الكللازوميني Clazomenae كان الأكثر لوصقاً ببيركليس، وهو الذي أفاده أكثر من غيرهم، لاسيما بتوسيع مداركه والارتفاع بوعيه على كلّ المفاهيم الشعبية الاعتيادية، وفتح عينيه على سموّ المقاصد ورفعة الأخلاق. كان رجال العهد قد لقبوا هذا الفيلسوف بـ[نوس Nous] أي العقل، أو النبوغ، إما بدافع إعجابهم بمواهبه العظيمة الفائقة التي برزت في علوم الطبيعة. وإما لأنه أوّل الفلاسفة الذين عزوا المسبب الأول للوجود، لا إلى المصادفة وحكم الظروف ولا إلى الضرورة والرجوب، بل إلى ادراك محضٍ نقيٍّ خالص يعمل في الأشياء الأخرى المركبة والمختلطة، كعنصر فصلٍ أو عنصر اتحادٍ بين النظر والنظير.

وكان احترام [بيركليس] لهذا الفيلسوف وأعجابه به لا حدّاً لهما ولا غرو فقد أثر في نفسيته وملأها بالادراك المتسامي أو كما يوصف بالادراك الضارب في كبد الفضاء، ولم يكن معين هذا الادراك قاصراً على سموّ الغاية، وسلامة القول البعيد جداً عن تهريج البلاغة الغوغائية، المضمّلة الوضيعة، بل أوجد فيه إلى جانب ذلك رباطة جأشٍ وهدواً ووقاراً في حركاته وسكناته، حتى لم يعد يقوي حادث طاريء على حديث استرسل فيه. وكانت نبرات صوته قوية هادئة مطردة. إلى غير ذلك من الميزات التي تخلف أعظم التأثير في سامعيه.

(٦) وكلمة (خيرون) هنا ذات معنيين فهي إمّا تفهم في العبارة هكذا: "أأنت معلم بيركليس؟ أو تفهم - "أأنت أكثر شراً من بيركليس؟"

(٧) (إيليا) بلدة إيطالية ومستوطنة للفوكيين. وعليها ان لا نخلط هنا بين زينو هذا وبين زينو الاليائي موجد الفلسفة الرواقية. فالمقصود هنا هو رجل نال احترام بلاده لمحاولته انقاها من يد أحد الطغاة. فقبض عليه الطاغية وأمر ان يوضع تحت مدقّ الجصّ ويدقّ حتى يموت إلا ان ميته حقت ما لم تحققه حياته فقد عصفت الغضب بمواطنيه لهذه الجناية ووثبوا على الطاغية مرتكبها ورجموه حتى الموت.

ومرة أبتلي بشخص وضع متهتك ظل يشتمه ويهينه على مسمع منه طوال اليوم وهو منشغل في ساحة السوق يتصرف أمرٍ عاجل، فلم يأبه به وأستمر في عمله بصمت تام، ثم قفل الى منزله عند حلول المساء وهو في تمام هدوئه والرجل يجري في أعقابهِ يلاحقه بالشتائم ويرشقه ببذيء القول طول الطريق. ودخل بيركليس بيته وقد جنّ الليل، فأمر أحد خدمه أن يحمل مصباحاً ويرافق الرجل حتى منزله.

الحق يقال، ان الشاعر الدرامي [ايون Ion] يذكر أن سلوك [بيركليس] مع مجالسيه كان متسماً بالخيلاء والتعاضم، وغطرسته هذه كان يتخللها قدر كبير من الاستخفاف والازدراء بالآخرين، ويتحفظ في إطرانه بساطة [كيمنون] ومرونته وكياسته الطبيعية في سلوكه مع الناس. وعلى كل حال، فأيون هذا يرمي الى أن يعامل الأخلاقَ معاملةً لمشاهد تمثيلية مأساوية، فيحشر فيها بعض المواقف الهزلية، مما لا يمكن الركون الى اي منها<sup>(٨)</sup>. واعتاد [زينو] أن طلب ممن يسمون رزاة [بيركليس] يتظاهر المشعبذ أن يروحوا ويتصنعوا تلك الرزاة الى أن يزرع فيهم هذا التقليد حباً حقيقياً لهذا الخلق النبيل وأدراكاً له.

ولم يكن هذا، كل ما جناه بيركليس من مخالطته لاناكساغوراس إذ تدل الدلائل أنه صار وفقاً لتوجيهاته ينفر من تلك الخرافات التي يتطلع اليها الجاهل مشدوهاً خاشعاً وهي تبدو في السماء مثلاً... تلك الأوهام التي تستولي على عقول من لا يدري اسبابها، فيذهلون للظواهر الحارقة للطبيعة ويكون سريعي الاستشارة لقلّة التجربة التي تنحّي ادراك العلل الطبيعية جانباً، وتضع الأوهام الطائشة المحدودة الأفق، موضع الأمل الخيّر، وأطمئنان التقي المنبعث من الفهم والادراك.

وتحضرني حكاية عن بيركليس: أحضر له من مزرعته الريفية يوماً، كبش ذو قرن واحد، فلما وقع نظر العراف [لامبون Lampon] على القرن بارزاً من وسط جهة الرأس صلياً قوياً، نطق بتفسيره قائلاً: لما كان يوجد في تلك الفترة رأيان أو مصلحتان أو حزبان قويان في

---

(٨) التمثيلية التراجيدية كانت بالاول عبارة عن جوق من المنشدين لتكريم باخوس. وكان الممثلون يرتدون ازياء تنكرية كالمسوخ وكثيراً ما كانوا اثناء التلاوة واللقاء يتبادلون عبارة المزاح بدون حدود. بعدها اتجهت الجوقة الى الجدية والوقار فبدت تراجيكيوميديّة اي مزيج من المأساة والهزل. وبمرور الوقت بدأ التراجيديون يعالجون مواضيع جدية وبدأ الممثلون شخصيات وقورة مؤدبة. وتم التخلص من المزيج المتناقض في التمثيلية واصبحت دراما تامة الابعاد الا أن الممارسة العملية حتى في الزمن الذي نحن بصدده كانت تقتضي عرض ثلاث مقطوعات تراجيدية جدية. وبعدها اعتاد الشعراء ان يختتموا مسابقتهم على الجائزة بقطعة ساخرة. ويوجد من هذا النوع تمثيلية جيدة هي «السيكوبا» لـ[يوربيدس]. وأيون هو مرسحي تراجيديّ من مدينة (خيوس) ومن بعض اصول لآثاره جائتتنا مقطوعات قليلة من مرثياته.

المدينة، أحدهما يتزعمه [ثوكيديوس]<sup>(٩)</sup>، والثاني يرأسه [بيركليس] فان الحكم سيؤول الى من خرجت إشارة الأقدار هذه من أرضه! فلم يكن من اناكساغوراس إلا أن فلق جمجمة الكيش نصفين، وعرض للحاضرين أن الدماغ لم يتخذ موضعه الطبيعي، ولأنه مستطيل كالبيضة فقد التّم من كل تجاويف القحف الذي يستوعبه وأجتمع في نقطة الموضع الذي نشأ منه جذر القرن البارز. في حينه أثار اناكساغوراس أعجاب الحاضرين بشروحه وتعاليله، إلا أن الأعجاب [بلاسيون] فيما بعد لم يكن بأقل منه، عندما هزم [ثوكيديوس] وقبض بيركليس على زمام الحكومة والدولة.

ولست أجد أي غرابة في القول بأن كلاهما كان مصيباً، فيلسوف الطبيعة ذاك، والعراف هذا فاولهما كشف عن سبب تلك الظاهرة كشفاً صحيحاً وأظهر للملأ علتها. أما الثاني فقد أبان الغرض من وجودها. وكانت مهمّة أولهما الوصول الى أصل تكوينها وتفسيره، اي إيضاح السبب في نمو القرن بهذه الهيئة الشاذة. في حين قصرت مهمة ثانيهما على التنبؤ بالغاية التي استهدفها نموّه وعلام تدلّ، وأي خبر يستبطن؟

لقد خفي عن القائلين بان البحث عن مسببات الخوراك يؤدي الى ضياع وتلف ما تنبىء به وتدل عليه انهم يضيعون مع تلك الخوراك السماوية كل البراهين والدلائل المثبتة للمكوّنات الانسانية، والتناسق البشري. ومثل هذه، كمثّل اصطفاق حلقات الرمي النحاسية بعضها<sup>(١٠)</sup> ببعض، وكتعارض انوار النيران المرشدة ليلاً، وكتصادم ظلال المزولات الشمسية؛ فلكل من هذه سببٌ ووسيلة ولكلّ سبب دليل الى آخر... إلا ان هذا البحث قد يلائم موضعاً آخر غير هذا الموضوع ولنكتف بما عرضنا منه.

كان بيركليس في شبابه يتردد من مواجهة الجمهور الى أقصى حد، اذ كان يُعتقد بانه يشبه [پسستراتوس] الطاغية شهباً شديداً بلامحه وتركيبه البدني، وكبار السنّ المعمّرون الذين أدركوا الطاغية، فيذهلون للشبه العجيب بين صوتيها عندما ينصتون لعذوبة نبرات [بيركليس] وسرعة كلامه وذلاقة لسانه.

واطال [بيركليس] التأمل في حالة، فكر في ثرائه العريض ونبل محتده، وكثرة اصدقائه المتنفذين، ورأى أن هذا قد يؤدي به الى أعتباره من الاشخاص الخطرين على النظام فيحكم

(٩) سياسيّ معاصر ل(پيركليس) وواحد من مناوئيه. وابوه هو [اورولوس] في حين ان اسم والد المؤرخ الشهير هو (ميليئاس).

(١٠) ان ضرب الأحلاق أو الصناعات النحاسية بعضها ببعض هي إشارة عسكرية عند الاغريق أحياناً، في حين انها عند الرومان إشارة يدعو بها المصارعون للترال (شيشرون: الخطابة ٢) كما تستخدم الحلقات في المحاكم لدعوة المتقاضين.



عليه بالنفي فخوفاً من هذا عمد الى الابتعاد عن شؤون الدولة ولم يتدخل في شيء. لكنه برهن على شجاعةٍ وبسالةٍ في خدمته العسكرية. وبموت [ارستيدس] وطرد [تمستوكليس]، وانشغال [سيمون] بالحملات العسكرية التي قادها الى أجزاءٍ من بلاد الأغرقي وقضائه معظم أوقاته خارجاً، تقدم [بيركليس] بعد طول تفكير ليأخذ مكانه، لا الى جانب الأغنياء والأقلية، بل الى جانب المعدمين والأكثرية، خلافاً لميله الطبيعي البعيد جداً عن الديمقراطية، وأغلب الاحتمالات انه خشي أن يشك في أنه يطمح الى السلطة المستبدة، كذلك لأن [كيمون] كان يؤيد الحزب الأرستقراطي، والمبرزون ورجال الطبقة العليا متعلقون به بشدة الحب له. فلم ير بدأ من الانتماء الى حزب العامة يحده في الوقت نفسه غرضان: ان يحصن نفسه من أي سوء، وأن يضع يده على الوسائل الفعالة لمناجزة خصمه [سيمون].

ما أن أستقر رأيه على هذا حتى أتخذ أسلوباً جديداً في حياته، وبذلك من عاداته، وأعاد تنظيم أوقاته. فلم يُر بعدها سائراً في شارع غير الشارع المؤدي الى ساحة السوق وقاعة مجلس الشورى، وأجنب دعوات الخلان الى ولائم العشاء، وانقطع عن زيارة الاصدقاء، وأنهى كل علاقة له من هذا القبيل وتفرغ للجمهور تفرغاً تاماً ولم يكن هذا كله بالجهد القليل. ولم يسمع عنه بعدها انه قصد صاحباً له لتناول العشاء إلا مرة واحدة، عندما تزوج قريبه [يوربطليموس Euryptolemus] إذ بقي في الحفل حتى تمام مراسيم تقديم الخمر، وبعدها أسرع بالتهوض وترك المائدة عائداً الى بيته<sup>(١١)</sup>.

كان يدرك إن هذه اللقاءات الودية من شأنها ان تزيل الكلفة وتمحو عامل التفوق بسرعة شديدة. وفي العلاقات الصميمة الوثيقة يصعب جداً الاحتفاظ بمظاهر الوقار والرزانة، ويزداد التصرف على التمايز الحقيقي عندما يكشف صاحبه عنه كشفاً جلياً، وفي أخبار الرجال الحقيقيين لا شيء منهم يستأهل أعجاب مراقبي السلوك الظاهري، مثل حياة أقرب اصدقائهم الاعتيادية اليومية.

وعلى كل، ولأجل أن يجتنب [بيركليس] اي شعور بالابتذال، أو تكون اشباع في الجمهور من رؤيته، لم يكن يظهر في المجتمع كثيراً، ولا يتكلم في كل شأن، ولا يحضر جلسات الجمعية العامة دائماً. بل كان على حد قول [قريطولوس Critolaus] يدخر نفسه للمناسبات الكبرى، مثل سفينة سلاميس<sup>(١٢)</sup>، ويصرف الأمور الثانوية عن طريق اصدقائه، أو يدفع

(١١) أعني حتى جيء بالخمر لمجلس الطرب والشرب. ويديء بتعاطي الرّاح.

(١٢) الى جانب تلك المهام الكبرى الخاصة التي تستخدم لها سفينة (سلاميس) فهي ترسل لنقل الجنرال الذي يريد الاثينيون منه تقديم حساب. واما كريتولوس المشاء فقد كان موفداً من قبل مجلس شيوخ روما في ١٥٥ ق.م مع ديوغينيس الرواقي، وكارينادس الاكاديمي.

متكلمين آخرين بتوجيه منه، ومن هؤلاء الأنصار [أفيالطس Ephialtes] الذي قضى على سلطة المجلس الأريوباغي، وسقا الشعب جرعة من الحرية كبيرة وقوية جداً - على حدّ تعبير افلاطون<sup>(١٣)</sup>، بحيث أصبح صعب القياد، متمرداً على كل نظام، أو على حد قول الشعراء الساخرين - كالحصان الجموح - ...

«الذي لم يعد فيه الصبر على

اطاعة اللجام تراه يعضّ في ابوقيا، يطأ الجزر»

وأخذ أسلوب حديثه المتسق تمام اتساق مع السبيل الذي سلكه في الحياة ورزائه آرائه. عن نعمات تلك الآلة التي منحها له اناكساغوراس. وأما بخصوص تثقيف نفسه فقد أستمّر في الإفادة وتقوية ألوان بلاغته الخطابية من صيغة علم الطبيعة، فضلاً عن نبوغه العظيم بالسليقة، توصل كما قال أفلاطون الآلهي<sup>(١٤)</sup> الى الإفادة من الطبيعيات: فبلغ تفوقه العقلي هذا وقدرته الواسعة في استيعاب كل العلوم ثم أخذه بكل ما هو مفيد له من فن الكلام ما جعله يرتفع على الأقران بمسافة شاسعة. وقيل أنه ما لُقّب بالاولمبي إلا لهذا السبب. إلا أن بعضهم يقول أن اللقب جاءه بسبب تزيينه المدينة بكثير من المباني العامّة. ويرى آخرون أنه سُمي بذلك لما أظهره من كفاءة في تصريف شؤون الدولة، سواء في السلم أو في الحرب. ولا يستبعد أن تكون التسمية نتيجة اجتماع عدة مآثر وخصال في شخصه. ومهما يكن، ففي الكوميديات التي ألفت آنذاك، كلمات متطابرة تعرّض به تعريضاً حاداً إمّا بقصد قدحه والنيل منه واما على سبيل الفكاهة والنكتة المحضة. ومنها يظهر أن تسميته هذه جاءت من أسلوب كلامه، فهي تنوّه «برعوده وبروقه» عندما يقف خطيباً في الجماهير، وتشير الى «الصواعق المرعبة التي تتفجر من لسانه»<sup>(١٥)</sup>.

بتناقل الكتاب حديثاً لثوكيديدس ابن ملسياس عن بيركليس قاله على سبيل التندر في براعة لسانه. وكان ثوكيديدس أحد المواطنين السراة البارزين، ومن أشدّ خصوم بيركليس، وعندما سأله [ارخيداموس] ملك اللقيديميين أيهما أظهر في المصارعة؟ هو أم بيركليس؟ أجابه قائلاً: «عندما أرفعه وأطرحه على الأرض بمسكة تتفق مع الأصول، يغلبني باصراره على أنه لم يسقط، ويحمل المتفرجين على تصديقه وتكذيب أعينهم». والواقع هو أن بيركليس كان شديد الحذر فيما يتكلم وكيف يتكلم. وبلغ به الأمر أنه كان يبتهل للآلهة كلما

(١٣) افلاطون [الجمهورية: ٨].

(١٤) فيدروس: افلاطون.

(١٥) ارسطوفانس: الأخرانانيوس.

صعد منبراً<sup>(١٦)</sup> بالأ تَدع لسانه يزك بكلمة واحدة غير مناسبة للمقام ولا للموضوع.

ولم يترك أثراً مخطوطاً عند موته، إلا بعض المراسيم والبيانات ولم يسجل التاريخ من أقواله إلا النزر اليسير. كقوله مثلاً «يجب أن ترفع [إيجينا] من [پيريوس] كما يزال القذى من العين.» وقوله: إنه رأى الحرب وهي تزحف في طريقها نحوهم من الپيلپونيوس. ومرة عندما كان [سوفوكليس Sophocles] مندوباً مفوضاً يزامله في القيادة وكان يصعد معه ظهر سفينة، أخذ يطري جمال فتى التقيا به وهما في طريقهما الى السفينة فقال له پيركليس: «ياسوفوكلس! لا يكفي أن تكون يدا الجنرال نظيفتين، بل عيناه أيضاً.»

ويحدثنا [ستيسمبروتوس] أنه قال في أثناء تأبينه أولئك الذين سقطوا صرعى المعركة في [ساموس] (\*):

أنهم كالألثة اصبحوا من الخالدين «فنحن لانرى الآلثة بالعين المجردة، بل نعزو اليها الخلود بالعبادة التي نقدمها لها وبالنعم التي تسبغها علينا، وهو الوصف نفسه ينطبق أيضاً على أولئك الذين يموتون في سبيل وطنهم».

كان ثوكيديدس<sup>(١٧)</sup> يصف حكم پيركليس بالحكم الارستقراطي المتستّر باسم الديمقراطية، وهو في الواقع سيادة فرد أوحده عظيم، المقام ويقول كثيرون بعكس ذلك، ويذكرون ان عموم الشعب شجع بفضله وأقدم لأول مرة على الاستيلاء على أراضي الآخرين الممنوحة اقطاعاً لهم وعلى غيرها من الشرور، كإباحة ارتيادهم الملاعب والمسارح، ودفع مخصصات لهم عند أداء واجب عام فبهذه التدابير السيئة وتبأثير من سياسة العامة انقلب الشعب من ذلك الجدّي الحريص الدؤوب عن كسب رزقه من كدحه، الى شعب محب للترف واللهو والخلاعة. وبين هذين الرأيين في حكم پيركليس لا مناص لنا من جلاء السبب في هذا التغيير على ضوء الحقائق المادية (\*\*).

بالأول: قالوا أنه استمال قلوب الشعب لما قرّر منازلة كيمون ومزاحمته على سلطانه الكبير. اذ وجد نفسه أقل ثراء ومالاً من خصمه الذي أفاد من سعة ثروته برعاية الفقراء والحدب عليهم، فكان يدعو الى مائدة عشائه ليلياً، مواطناً أو أثنين من المحتاجين، وكان

(١٦) يقول كوينتليان انه يدعو بأن لا تخرج كلمة واحدة غير حسنة لأذان المستمعين. وهذا أقرب الى منطق لأن [سويداس] يذكر ان پيركلس كان يكتب خطبه قبل القائها على الجمهور. وهو أول من عمد الى ذلك من الخطباء.

(\*) ٤٤٠-٤٣٩ ق.م.

(١٧) المرجع السالف ٦٥٢، ٩ في تقريره لپيركلس.

(\*\*) دستور اثينا ٢٧ : ٤.

يكسو العجزة ثياباً، ويهدم جدران بساتينه واسيجتها، ليجني الثمار منها كل من يريد ويقدر ما يشاء، وبهذا حقق الغلبة على بيركليس بهذه الأساليب الجذابة لقوى الشعب. لكن بيركليس أخذ ينصيحة شخص يُدعى [ديمونيدس Demonides] <sup>(١٨)</sup> الأوثاني على ما ذكر [ارسطو]، فعمد الى توزيع النقود العامة؛ مشترياً الجماهير بوقت قصير. فقد خصص المال للملاعب وفرض أجوراً لخدمات القضاء <sup>(١٩)</sup>، وغير ذلك من أشكال المنح والهبات، أستخدمها سلاحاً ضد المجلس الاريبواغي للحد من سلطانه. ولم يكن هو عضواً فيه، إذ لم يجر تعيينه بالاقتراع في منصب يؤهله للعضوية، كأرخون بسيط، أو ارخون بوليمارخ فمنذ قديم الزمان وأرخون Thesmothetes أو ارخون Basileus أو ارخون بوليمارخ هي من الوظائف الانتخابية. ومن تنتهي وظيفته فيها يغدو عضواً من المجلس الاريبواغي. فبعد أن ثبت بيركليس قدمه وأمن جانب جماهير الشعب وجه مجهودات حزبه ضد هذا المجلس وحقق نجاحاً باهراً، بأن سحب منه حق النظر في معظم الدعاوى والنزاعات القضائية التي كان من صلاحيته اجراء المرافعات فيها، وتم ذلك بمسعى [افياتس] ومجهوداته. وعمل على إبعاد [كيمن] أيضاً باعتباره موالياً للقيديمونيين، وعدواً للشعب <sup>(٢٠)</sup>. وكان المواطن الأول من حيث النسب والمال، وفاز بانتصارات باهرة على البرابرة، وملاً المدينة بالأموال وغنائم الحرب؛ على ما دون في تاريخ حياته.

حقاً كان نفوذ بيركليس عند الشعب عظيماً هائلاً.

لقد حدد القانون مدة النفي بعشر سنين. لكن [كيمن] عاد من منفاه قبل انتهاء المدة (\*) - والسبب في ذلك ان اللقيديمونيين دخلوا حدود [تناغرا] <sup>(٢١)</sup> بجيش لجب فنهضت اثينا لحربهم، فأنضم كيمن الى معسكر قومه وتقلد سلاحه وانتظم في صفوف قبيلته، يريد بذلك ازالة الشك في موالاته للقيديمونيين. مقدماً برهاناً في المغامرة بحياته الى جانب بني قومه.

(١٨) هي مقاطعة في آتيكا. أو ربما قصد بها احدى الجزر المسماة سپورادس Sporades في بحر ايجه. اشتهرت بوجود قبر هوميروس فيها.

(١٩) هناك انواع عديدة من المحاكم في اثينا. وتؤلف من عدد معين من المواطنين ويصرف لكل مواطن (أوبول) واحد من الخزانة عن كل قضية ينظر فيها. ويحاول بعض الاشخاص ان يكسبوا شعبية وشهرة فيحاولون المطالبة برفع هذا الأجر.

(٢٠) الخيانة العظمى التي نسبت اليه هي انه قبل هدايا ورشاوى أخرى في المقدونيين مما جعلته يتخلى عن الاستمرار في فتوحاته بعد أن وضع يده على مناجم الذهب في (تراقيا) وكان جواب (كيمن) انه وسع رقعة الحرب الى أقصى حد ممكن ضد التراقيين والاعداء الآخرين أما عدم توغله في مقدونيا فذاك يرجع انه لا يريد ان يكون عدواً وخصماً للبشرية كلها. وقد تم ابعاد كيمن في ٤٦١ ق.م.

(\*) أي في سنة ٤٥٧ ق.م.

(٢١) في بويوتيا ما بين اسمينوس واسوبوس.

إلا أن اتباع بيركليس تكالبوا عليه وأرغموه على الانسحاب من الحرب لأنه محكوم بالنفي. والظاهر ان بيركليس بذل في هذه الحرب مجهوداً يفوق ما بذله في أية حرب. وانه عرض نفسه للخطر بنوع خاص. كذلك أبلى أصدقاء [كيمنون] فيها خير بلاء هؤلاء الذين أتهمهم بيركليس مع صاحبهم بممالة اللقيديمونيين<sup>(٢٢)</sup>. وهزم الأثينيون في الحرب وطوردوا حتى حدودهم، وكانوا، بتوقعهم هجوماً جديداً كاسحاً في أوائل الربيع القادم - يشعرون بالأسف والأسى على خسارة [كيمنون] وبالندم لطرده. وكان بيركليس أشدَّ احساساً من غيره بما يخالجه من هذه المشاعر، فلم يتردد ولم يتوان في انالتهم يتفاهم وتقدم باقتراح يقضي بالسماح لـ[كيمنون] بالعودة الى الوطن. فتم له ذلك. وعند عودته قام بعقد صلح بين المدينتين<sup>(٢٣)</sup>، مستفيداً من منزلته الكبيرة عند اللقيديمونيين وحبهم له بقدر كرههم بيركليس وغيره من الزعماء الشعبيين.

على أن فريقاً من الكتاب يزعم ان بيركليس لم يقترح عودة [كيمنون] إلا بعد أن عقد معه اتفاقاً يتضمن شروطاً سرية خاصة وكان الوسيط بينهما [الپينيكي Elpinice] أخت [كيمنون]، وتقضى الشرط أن يعين [كيمنون] قائداً عاماً لأسطول تبلغ عدته مائتي سفينة، يقوده للاستيلاء على ممتلكات ملك الفرس، وأن يتفرد بيركليس بالحكم في المدينة.

ويظن أن [الپينيس] هذه، كانت قد حققت لأخيها كيمنون منةً على يد [بيركليس]، إذ أقعته بأن لا يشتد في تعقيب التهمة على كيمنون وان يترفق به عندما حوكم بتهمة الخيانة العظمى<sup>(٢٤)</sup>، وكان هو عضواً في لجنة الاتهام التي عينها مجلس العموم. إذ جاءته [الپينيس] راجية في امر أخيهما فأجابها مبتسماً «انك يا الپينيكي قد بلغت من الشيخوخة مبلغاً لا يسمح لك بمعالجة مثل هذه الأمور» لكن لما حضر الجلسة المخصصة لشرح التهمة والادعاء عليه بها. وقف للكلام مرة واحدة فقط، ليقدّم استقالته من العضوية ثم خرج حالاً من قاعة المحكمة، وبهذا كان أقل متهمي كيمنون تحاملاً عليه، وضرراً به.

فكيف بجوز لنا أن نصدق [إيدومينيس Jdomenes]<sup>(٢٥)</sup> الذي يتهم بيركليس بما يفهم منه أنه الذي دبر مقتل السياسي الجماهيري المحبوب [أفيالطس] غيلةً وغدرًا؟ وهو صديقه الحميم وأحد اركان حزبه طوال حياته السياسية، بدافع الحسد بله غيرةً من سمعته الداوية؟

(٢٢) كانوا يبلغون المائة عدداً كما سنرى في سيرة [كيمنون].

(٢٣) في العام ٤٥٠ ق.م.

(٢٤) مع هذا فقد حُكّم على [كيمنون] بغرامة قدرها خمسون تالنت (٢٠٠٠٠ پاون سترليني تقريباً) ولم ينج من حكم الموت إلا بعد اللتيا والتي. إذ انقذ أغلبية ثلاثة أصوات فحسب!

(٢٥) مسقط رأسه لامبساكس. وهو تلميذ ابيقور. كتب تاريخاً حول اتباع سقراط وتلاميذه.

لأدري من اين نبش هذا المؤرخ، تلك القصص. قاصداً لتلوّث اسم رجلٍ لم يسلم في الواقع من الاخطاء واللوم، إلا أنه ذو نفس نبيلة، وشخصية متمسكة باهداب الشرف، وهي سجايا لا يمكن أن تفسح للقسوة والوحشية موضعاً أو سبيلاً اليها. واما حقيقة حكاية [إفيالطس] فهي كما أوردها ارسطو على النحو الآتي (\*): اصبح افيالطس غولاً مرعباً لحزب الاقلية بسبب دفاعه عن حقوق الشعب دفاعاً لايعرف المهادنة ولا المساومة، وبمحاسنته المجرمين بحق الشعب ودوام اتهامه لهم. فضاقوا به ذرعاً وهم على كل حال اعداؤه - فكمنوا له وأغتالوه سراً بتوجيه ارسطوديكوس Aristodicus التناغري.

وانتهت أيام كيمون في هذه الدنيا وهو قائد الأسطول في قبرص (٢٦).

ووجد الحزب الارستوقراطي تعاضم سلطان بيركليس في المدينة وبروز شخصه على الجميع، فأدركت الحاجة الي شخص يوضع في مقابلته، لئلم حدّ سلطانه وفلّ غراب تفوقه لئلا يزول به الى الحكم الفردي المطلق، فرشح [ثوكيديدس] الألوبيكه Alopece وهو شخص حكيم عاقل من أقرب اقرباء كيمون - ليقود المعارضة ضدّ بيركليس، ولم يكن ثوكيديدس يطاول (كيمون) في الفنون العسكرية، إلا أنه كان يفوقه في تملك ناصية البيان، والسياسة وبدوام لبثه في المدينة ودخوله مع خصمه في معارك خطابية انتخابية تمكن بوقت قصير من ايجاد توازن حزبي في عالم الحكومة. فقد أبى أن يبقى أولئك الذين يتسمون بصفة الأمانة والصلاح (البارزون وذوو السمعة) على أسوأ حالٍ من التفرق هنا وهناك، ضائعون بين عامة الناس لا أثر لهم، زاهدون في مكانتهم الرفيعة، معزولون مهملون في زوايا الخمول؛ عمد [ثوكيديدس] الى انتشالهم من وهدهتهم واحداً واحداً وجمع كلمتهم ووحدهم، وتمكن بثقلهم من تحقيق التوازن المنشود مع الحزب الآخر كما في كفتي الميزان. والواقع أنه كان يوجد من البداية ما يشبه الصدع أو الشقّ الخفي، كما في قطعة حديد، يقوم حداً فاصلاً بين النوازع الشعبية والنوازع الارستوقراطية. إلا أن التناحر المكشوف والمنافسة بين هذين الخصمين زاد في الصدع عمقاً، وقسم المدينة الى حزبين: حزب الشعب وحزب الأقلية. لذلك عمد بيركليس في هذا الوقت بالذات الى اطلاق العنان للشعب أكثر من أي وقت مضى وجعل سياسته خادمة لاهوائه وصار يبذل الجهود المستمرة لارضائه باقامة مهرجانات عامة أو احتفالات دينية أو ولائم أو مواكب وغير ذلك، تحريماً لأدخال المسرة والبهجة في حياته، مثلما يستمال الأطفال بالالعاب والملاهي، التي لا شأن لها برفع مستواهم الثقافي وتهذيبهم، وتغادي في التودد الى الشعب بأن عمد كل

(\*) ارسطو: دستور أثينا ٢٥:٤.

(٢٦) في حصار كيتيوم ٤٤٩ ق.م.

سنة الى ارسال ستين سفينة الى البحر مشحونة بالمواطنين الذين تدفع لهم الدولة أجر ثمانية أشهر ليتعلموا فنون الملاحة ويتدربوا على خدمة السفن. وبعث بألف مواطن الى جزر [الخيرسونيز]<sup>(٢٧)</sup> لأعمار الأرض وزراعتها بتوزيع اراضيها عليهم بالقرعة. وأرسل خمسمائة الى جزيرة [نكسوس]، ونصف هذا العدد الى [آندروس]، والفاً الى [تراكيا] ليشاطروا قوم البيزالتي Bisaltae العيش. وبعث بأخرين الى ايطاليا عندما تقرر اعادة تأهيل مدينة [سيباريس Sybaris]<sup>(٢٨)</sup> التي تسمى الآن [ثوري Thuri]. فعل ذلك لتخليص المدينة من العاطلين الذين يصيرون بسبب البطالة كتلة مزعجة من الفضوليين المتطفلين ويكون فيه أيضاً علاج لتشغيل فقراء المدينة وسدّ خلّتهم، كذلك تفيد هذه الجاليات في اخافة حلفائهم وصدّهم عن محاولة الانتفاض أو اجراء اي تغيير، فهم بمثابة حاميات اثينية تعيش في وسطهم.

إن تشييده المباني العامة والمعابد والهيكل، هو الذي أعطى آثينا رواءها وجمالها وجعلها محطّ اعجاب الأجانب ودهشتهم، وها هي الآن الشاهد الوحيد الأغرقي، بأن السلطان الذي فخرت به، والغنى السالف الذي كانت ترفل فيه لم يكن حديث خرافة ولا ضرباً من الخيال. مع هذا فان أعماله الانشائية هذه كانت دون سائر أعماله الأخرى في الحكومة، مطعناً أتخذه أعداؤه للنيل منه، وراحوا يستنكرون باعتراضاتهم التافهة في المجالس والاجتماعات العامة بقولهم: أنظروا كيف فقدت جمهورية آثينا سمعتها في الخارج وأضت هدفاً للنقد والتجريح، لنقلها خزينة دول اليونان العامة من جزيرة [ديلوس]<sup>(٢٩)</sup> الى مدينتها وأطلقت يدها فيها تعترف ما تشاء، وكيف أن حجتهم بنقلها خوفاً من استيلاء البرابرة عليها ولغرض وضعها في حرز حريز، فقدت قوتها ونُسفت نسفاً بأعمال بيركليس. وكيف أن «بلاد الأغرقي لها كل الحق في أن تسخط وتستنكر هذا العمل وتعتبره أهانة غير محتملة، وتعد نفسها ضحية تحكّم وطغيان عندما ترى أموال الخزينة التي شاركت في جمعها بدافع الضرورة الملجئة لسدّ نفقات الحرب. تبتدّر تبتديراً وتصرف بشكل لا مبرر له على طلاء مدينتنا وتجميلها وتزيينها بالتماثيل والمعابد التي كلفت ألف تالنت<sup>(٣٠)</sup> كالمرأة المزهوة بنفسها حين أثقلت بالجواهر».

وقال بيركليس للشعب رداً على هذا - أن الآثينيين غير مضطرين أبداً الى تقديم اي

(٢٧) في العام ٤٤٧ ق.م.

(٢٨) في العام ٤٤٤ ق.م. هذه المدينة كانت قد دمرت ثلاث مرات آخرها في العام ٥١٠ ق.م. ولم يعد بيركليس بناعها فوق ارضها وانما اقامها في أرض مجاورة.

(٢٩) المساهمة السنوية النقدية للدويلات الأغرقيّة في الحرب المقدونية، كانت تودع مع المبالغ الأخرى في معبد أبوللو (ديلوس) وتكون بعهدة ائمناء يعينهم جمهور الأغرقي. فقام بيركليس دون اي مبرر بنقلها عنوة الى آثينا وانفقها في اقامة البنائات العامة لتجميل المدينة.

(٣٠) قيل ان [البارثون] أو معبد [منيرقا العذراء] كلف هذا المقدار [انظر للمحق].

حساب عن هذه الأموال لخلقائهم، ما دامت آتينا قد تكلفت بالدفاع عنهم وبواقفها للبرابرة بالمرصاد لحمايتهم، في حين لا يقدم هؤلاء الحلفاء حصاناً واحداً أو رجلاً أو سفينة؛ وإنما يساهمون بالمال فحسب في المجهود الحربي « هذا المال الذي يخرج من ملك معطيه الى ملك متسلمه، عندما يقوم هذا المتسلم بانجاز الشروط المترتبة عليه». ثم زاد على ذلك بقوله، أن المدينة بعد أن أستعدت تمام استعداد لكل طاريء، واختزنت كل ما هو ضروري للحرب، لها كل الحق والمبررات في انفاق ما فاض من مالها هذا، على المشروعات التي ستضفي بعد اكمالها شرفاً خالداً عليهم، وستمدهم أثناء القيام بها بموارد رزق عظيمة . وبما أن ذلك يتطلب صناعات مختلفة وأعمالاً كثيرة فقد اقتضى تحشيد كل أرباب المهن والحرف اليدوية الماهرة وتوزيعها على المشاريع. وبذلك غدا الجمهور كله شغيلة حكوميين تدفع أجورهم من أموال الدولة، فضلاً عن تجميل مدينتهم وإصلاحهما بسواعدهم. كان الرجال الذين أهلتهم قواهم وأعمارهم للخدمة العسكرية يعيشون في الشكنات العسكرية خارج الوطن بما تدفع له الدولة من رواتب، وكان من خطة بيركليس وتديبره أن لا يبقى الجماهير الكادحة وذوو الحرف الدقيقة الذين لا يخضعون لنظام، مستثنين عن غيرهم محرومين من الأموال العامة، كما لا يمكن أن تصرف لهم أجور ورواتب من غير عوض أو مجهود يبذلونه، لذلك ارتأى بعد موافقة الشعب أن يقوم بهذه المشاريع الضخمة وخطط أسلوب العمل بحيث انها تحافظ على استمرارية العمل حتى يتم انجازها دون فترة عطالة. وبذلك تمنح فرصة لمزاولة مختلف الفنون والحرف فلا يحرم اي فرد بقي في الوطن من سهم طيب عادل في الأموال العامة لا يقل عن أسهم أولئك الذين يعملون في البحر أو في حاميات الخارج، أو في حملات عسكرية.

وكانت المواد الانشائية التي استخدمت، الحجر، والنحاس، والعاج، والذهب والأبنوس، وخشب الأرز. واما ارباب الصناعات والحرف التي أفتضى مزاولتها في هذه المواد منهم الحدادون والنجارون، والصهارون واللحامون والصبايون وقاطعو الحجر، والصباغون والصاغة وصناع العاج والطلاء، والمطرزون، والخزافون. ثم أولئك الذين نقلوا تلك المواد الى المدينة؛ التجار، والملاحون، وربابنة السفن في البحر، وسائقو العجلات، ومربو المواشي، وصانعو العربات وصانعو الحبال، ونساجو الكتان والأسكافيون، والدباغون، ومعبدو الطرق وعمال المناجم. وكما يقوم الرئيس في الجيش على رأس كل سرية من الجنود، فكل صناعة كان لديها سريتها الأجيعة من أعمالها الدائمين المهرة وشغيلتها. يجرى ضمهم معاً كما في خط قتال، لتكون الآلة والجسم في انجاز الأعمال. وهكذا توزعت الفرص والخدمات في هذه المشاريع العامة بصورة واسعة ضخمة على كل عمر وحالة.



وبرز العمل للعيان، لا تقل روعة حجمه عم جمال شكله الصناع يبذلون جهدهم ليفوقوا على المواد والتصميم بجمال صناعتهم، على ان أعجب شيء هو سرعتهم في انجاز العمل.

ظنوا أن كل مشروع منفرد يتطلب لانجازته سلسلة متعاقبة من الرجال ذوي اعمار مختلفة، كل منهم يجب أن يكون ضليعاً في مهنته في ذروة خدمه وعنفوان مهارته. وقالوا أيضاً أن [زيوكسيس Zeuxis] سمع مرة الرسّام [اغاتارخوس Agatharchus] يتبجح بانجاز عمل من أعماله بسرعة وسهولة، فقال معقّباً «أما انا فيلزمني وقت طويل» لأن السهولة والسرعة قد لا يورث العمل المنجز قوة دائمة ودقة في الجمال. إن قوة الحيوية وقابلية البقاء في عمل ثم، لهو خير مكافأة وتعويض عن الزمن الطويل الذي انفق فيه. ولذلك كان الاعجاب بأثار بيركليس شديداً بصورة خاصّة، فقد تمّت بوقت قصير، لتبقى زمناً طويلاً وعد كل قطعة منها تحفة أثرية ساعة انجازها لجمالها ورونقها مع انها بدت وكأنها مصنوعة في تلك اللحظة بالذات لجديتها واتقانها. هناك نوعٌ من الرواء والجدة في آثاره، تحفظها من عوادي الزمان، كأن حيوية خالدة وروحاً أبداً تقمصتها أثناء عملها.

وأشرف [فيدياس] علي كل الأعمال وكان المهندس العام. على انه استخدم اساتذه عظاماً وصناعاً حاذقين في مجالات واقسام مختلفة، فبنى [قلليقراطس Callicrates] و[اقتينس Gctinus]، صرح<sup>(٣١)</sup> البارثنون الذي هو بهيئة مربع طول ضلعه مائة قدم، وبدأ [كوريبوس Coroebus] ببناء الهيكل في [اليوسيس Eleusis] حيث يقام الاحتفال بالأسرار، ونصب الأعمدة على الأرضية أو المشى ثم ربطها معاً بالعوارض العليا. وبعد موته أضاف [ميتاجينس Metagenes] الإكسپيتي Xyptte، الأفريز، ورفص الأعمدة العليا. وسقّف [كسرينوكليس Xenocles] الخولارغوسي عقادة المشكاة فوق معبد [كاستور وپوللكس]، وقام قلليقراطس ببناء الحائط الطويل<sup>(٣٢)</sup> الذي قال عنه سقراط<sup>(\*)</sup>: أنه سمع بيركليس بأذنه يقترح على الجمهور اقامته، وقد سخر [كرانيتوس] بهذا الأثر لظوله عند أكماه قائلاً.

كـدّس الخـطيب الحـجـارة فـوق الحـجـارة  
بـكـلمات مـنقـوـضة إـلا أن الكـلمات لا تـبـنى جـداراً.

(٣١) بني هذا المعبد داخل اسوار القلعة وأطلق عليه اسم هيكاتومبيدوم لأن طول ضلعه ناهز بالأصل مائة قدم وبعد أن أحرقه الفرس اعاد بيركلس بناءه وقد أحتفظ باسمه وان وسع مساحته كثيراً. ما زال هذا المعبد قائماً حتى يومنا هذا وهو قبلة السياح.

(٣٢) طول الجدار خمسة اميال. وسمكه من الأعلى يتسع لمسيرة عربتين معاً. وهو يصل بريوس بالمدينة. (\* افلاطون (غورغياس).

وأما الأوديوم Odeum أو قاعة الموسيقى، التي ملئت من الداخل بالمقاعد وصفوف من الأعمدة، والذي جعل سقفها من الخارج يبدأ من القمة منحدرًا إلى الجانبين فقد قيل لنا أنه بني تقليدًا لفسطاط ملك الفرس<sup>(٣٣)</sup>. وكان ذلك بأمرٍ من بيركليس أيضاً. فجعله منه [كراتينوس] مناسبة للتعريض والسخر، في مهزلته المسماة «النساء التراكيبات» إذ قال:

ها هو رأس جويرتر البصلي قادم. انه الاديوم الجديد الشبيه بقبعة فوق هامته،  
بعد ان زال عنه خطر النفى الى الأبد.

وكان بيركليس مغرماً بالبروز أيضاً، فحصل على مرسوم يقضي بانشاء مباراة في الموسيقى يقام سنوياً في الپاناثينيا Panathenaea، وأختير هو حكماً، فنظم الطرائق والقواعد التي يلتزم بها المتبارون في غنائهم أو عزفهم على القيثارة أو الناي وكان الحاضرون في تلك المناسبة أو غيرها فيما بعد يجلسون في قاعة الموسيقى هذه ليروا ويسمعوا تجارب في الخدق والبراعة. وتم عمل البروپيليا Propylaea أو مداخل [الاکريولس] في خمس سنين وكان [منسيكلس Mnesicles] المهندس الرئيس لها. وقد وقعت اثناء بنائها حادثة غريبة، أظهرت ان الربّه كانت راضية عن العمل. تتعاون وتساعد في انجازها على الوجه الأكمل. زلت قدم أحد الصناع، وكان انشطهم وأحذقهم فسقط من ارتفاع كبير وغداً في حالة خطرة وقطع الاطباء الأمل في شفائه. وفيما كان بيركليس مهوماً قلقاً عليه أذ ظهرت له [منيرفا] ليلاً في الحلم وشرحت له أسلوباً في علاجه<sup>(٣٤)</sup>، فطبّقه وشفى الرجل بوقت قصير وبسهولة. وتخليداً لهذه المناسبة أمر باقامة تمثال نحاسي [منيرفا] لقب «بالصحة» في القلعة بالقرب من الهيكل، وقيل أنه كان هناك في الأيام السالفة. إلا أن [فيدياس] هو الذي صنع تمثال الربّة من الذهب، ونقش اسمه على قاعدته<sup>(٣٥)</sup>. والواقع أن المشاريع كلها كانت تحت مسؤوليته الى حدّ ما وكان له كما قلنا صلاحية الاشراف على كلّ الفنانين والحرفيين العاملين، بسبب الصداقة التي تربطه ببيركليس. وقد جعله هذا المنصب موضع حسد، وأدى الى صبّ الشتائم والأهانات على حاميه بصورة مخزية، وتأليف الحكايات عنه كقولهم أن [فيدياس] كان يتصيد النساء الحرات

(٣٣) في هذه البناية يعقد سوق القمح أيضاً وكل ما يمت اليه بصلة وقد أحرقه (سيللا) اثناء حصار (اثينا).  
فاعاد اريوبارزانوس ملك كيدوكيا بناءه.

(٣٤) النباتات المسمى Parthenium الذي هو من فصيلة اعشاب الماتريكاريا - تأثير عجيب جداً على الاضطرابات العصبية. (پليني: التاريخ الطبيعي ٧:٢٢) يورد قصة هذا الشفاء العجيب ويشق اسم النبات من علاقته بالربّة العذراء وينوه أيضاً بتمثال هذا العبد الذي أمر بيركلس النحات (ستيباس) القبرصي بصنعه.

(٣٥) قيل ان التمثال كان من الذهب والعاج. ولباوسنياس (٢٤:١) وصف مفصل له.

اللاتي يأتين لمشاهدة العمل، لحساب لذة بيركليس. وعندما وصلت هذه الحكايات كتاب المدينة الهزليين، راحوا يتفنون في اذاعتها والتعليق عليها، ولو ثوا سمعته بكل ما توصلت اليه قريحتهم من بذيء القول. واتهموه زوراً بعلاقة مع زوج [مينيبوس] وهو صديق له عمل معه في الحروب مساعداً وضابط ركن. كذلك زعموا أن صديقاً آخر له اسمه [بيريلاميس -Py rilampes] يربي طيوراً، كان يهدي طواويس لخليلات بيركليس<sup>(٣٦)</sup>. وكيف يعجب المرء كأى عدد المزاعم الغربية التي يطلقها أناس عاشوا حياتهم كلها على السخر والتفكهة، وكانوا على استعداد في اي وقت لتضحية سمعة رؤوسائهم على مذبح الحسد المتبذل والاضطغان. كأنما لروح ما شريرة.

تجراً حتى [ستسيبمروتوس التراكي] على أن يتهم بيركليس بأشنع تهمة وأكثرها خيالاً زاعماً بوجود علاقة أئمة له مع زوج ابنه. من الصعوبة بمكان تتبع الحقيقة وأستخلاصها من التاريخ عندما يجد أولئك الكتاب المتأخرون فترات طويلة من الزمن تقف عشرة في سبيل وجهات نظرهم، وعندما تجد المدونات المعاصرة لكل سيرة أو حدث مشوهة الحقيقة، ممسوخة، إما مدهانة وقلقاً، وإما حسداً وسوء نية.

عندما راح الخطباء المنحازون الى ثوكيديدس وحزبه ينادون كما كانت عاداتهم منددين ببيركليس لتبذيره الأموال العامة، وإيقاعه الخلل في عائدات الدولة، نهض في الجمعية العمومية وطرح القضية امام الشعب: هل أنه أنفق كثيراً؛ فأجابوا: «كثير جداً، كثير جداً» وعند ذلك قال: «أذن ما دام الأمر كذلك، فلترفع النقفات كلها عن عاتقكم ولتقيد على حسابي على أن يسجل أسمى على جميع المباني المشيدة»<sup>(٣٧)</sup>. وعندما سمعوا هذا، هتف له بصوت عالٍ: إما بدافع دهشتهم من عظمة نفسه أو حرصاً على مجد هذه الآثار، وطلبوا منه انفاق المزيد والاستمرار في عمله هذا بالشكل الذي يراه مناسباً وأن لا يألوا في ذلك جهداً أو مالاً حتى ينجزها.

وبالأخير بلغ النزاع بينه وبين ثوكيديدس مرحلته النهائية، وآل الأمر الى التساؤل من منهما سيفلح في نفي الآخر من البلاد، فخاض بيركليس غمار هذه المعركة الحافلة بالخطر، وقذف بخصمه الى الخارج، وقضى قضاءً تاماً على الحلف الذي نُظِم ضده.

(٣٦) هذه الحيوانات كانت وقتذاك نادرة وغالية الثمن جداً.

(٣٧) من عبارة اوردها (ثوكيديدس) يبدو ان الخزينة الأثينية العامة كانت تقوم في ذلك الحين بتسعة آلاف وسبعمائة تالنت (اي ما يعادل اربعة ملايين پاون سترليني) صرف منها بيركلس على اقامة البنايات العامة أكثر من الثلث ولذلك كان من الطبيعي ان يفتح تحقيق بكيفية الصرف.

وبذلك ازال الانقسام والتفرقة من المدينة ازالة تامة، ونعمت بعدها بالهدوء والوحدة. وحكم قبضته على كل آئينا، وكل الشؤون المتعلقة بالآئينيين، غراماتهم الحربية، جيوشهم، سفنهم، الجزر، البحار، سلطانهم الواسع الرقعة على الأغرقيق الآخرين وعلى البرابرة. وكل المستعمرات التي ملكوها، وحصونها في بلاد الشعوب الخاضعة لهم، أما بموجب معاهدات التحالف، أو بمقتض صدقتهم مع الملوك.

بعد كل هذا، لم يعد بيركليس شخص الأمس، لم يعد كما كان سابقاً مع الجماهير ذلك الرقيق اللين العريكة المحبوب المستعد حالاً للنزول عند رغباتهم وتلبية طلبا تهم من ضروب التسريرات والترفيه، كقائد الدفة يتحول مع الريح. ونبذ تلك الرعاية المتراحية، المنطلقة والتودد للشعب الذي وصل في بعض الحالات الى حد تخطى العرف والقانون. وأبدل اللهجة الانيقة اللينة الوقع، بصرامة الحكم الارستقراطي الملكي، مستخدماً آياه لمصالح البلاد العليا باستقامة ودون انحراف، فاستطاع بشكل عام أن يقود الجماهير ويسوسها دون ما ارغام بل برغبة منها وموافقة، عن طريق اقناعها بما يجب عمله. وارشادها الى كفيته. وأحياناً كان يلح ويدفعها دفعا الى حد التطرف خلافاً لارادتها. وجعلهم يخفضون جناحاً لكل ما فيه نفعهم شأوه أم أبوه. وكان يعمل ذلك والحق يقال ببراعة الطبيب النطاسي الذي يسمح لمريض بداء مزمن معقد، ويكبده في ظرف آخر آلاماً شديدة ويسقيه الأدوية لتحقيق شفائه.

نشأت وترعرعت طبعاً - مختلف مشاعر السخط بين الشعب الذي كان بيركليس يمارس عليه سيطرة وضبطاً لا حدود لهما، فعرف ذلك السياسي العظيم كيف يعالج أمر كل فرد من أفرادهِ ويعامله المعاملة الصحيحة. واستخدم سياسة الأمل والخوف استخداماً حاذقاً وجعلها كعصوي سكان الدفة. يسبر بالعصا الأولى مسالك ثقتهم في أي وقت شاء، ويرفع بالعصا الثانية معنوياتهم ويشد من عزماتهم عند كل نكسة أو خيبة. وأظهر بجلاء أن بلاغة اللسان، أو فن الكلام هو خير ضابط لأنفس الرجال (اذا استخدمنا لغة افلاطون) وان مهمته الرئيسة هي مخاطبة الشعور والعاطفة وهما أوتار الروح ومفاتيحها، تتطلب من يد الضارب عليها لمسات رشيقة حذرة. على أن قوة عارضته لم تكن وحدها مصدر سلطانه المطلق، بل وجد الى جانبها. السمعة التي كسبها في حياته، والثقة التي توجيها شخصيته وطهارة نفسه من اي شكل من أشكال الفساد، وتساميه على كل الاعتبارات المالية ومتاع الدنيا - كما يؤكد لنا ذلك ثوكيديدس. واذا ضربنا صفحاً عن جعله آئينا العظيمة بذاتها، مدينة لا يسمو أي خيال في وصف غناها وعظمتها، ومع انه كان - بما مارسه من سلطة ونفوذ - أكثر من يد مسارٍ للعديد من الملوك، والحكام المستبدين، الذين يورث طائفة منهم ملكهم لأولادهم، فهو من

جهته لم يزد في الميراث الذي تلقاه عن والده درهماً واحداً.

زودنا ثوكيديوس والحق يقال بكلمة صريحة، عن عظمة سلطانه وفيما تركه الشعراء الهزليون أكثر من إشارة اليه بأسلوبهم الجارح التعريضي، وهم يخلعون على اصحابه واتباعه اسم «الپسسستراتوسيين الجدد» ويهييرون به أن يصرف النظر عن كل نية في سلوك طريق الاستبداد والتحكم، كأن ما بلغه من السؤدد والتفوق، لم يعد شخصه مناسباً للديمقراطية أو الحكم الشعبي، ولا بإمكانه التجاوب معها. ويقول [تقليدس] (\*) أن الآثينيين تنازلوا له...

«عن اتاوات المدن، ومعها المدن أيضاً، يحلّ ويربط كما يشاء وان يبني إن شاء - اسواراً حجرية حول مدينة ما. وان ينقض تلك الأسوار إن طاب له ذلك. وسلموا له معاهداتهم، وأحلافهم وسلطانهم ومستعمراتهم، وسلمهم وحرّتهم وثوراتهم، وكل أسباب فلاحهم الدائم.»

ولم يكن هذا حظاً واتاه في صدفة من صدف الدهر السعيدة، ولا ثمرة نعمة مزدهرة لموسم واحد لا غير. لكنها حالة طويلة الأمد، بقي فيها اربعين سنة (\*\*\*) وهو يحتلّ أرفع مقام بين رجال السياسة من أمثال افيالطس، وليوقراطس Locrates وميرونيدس Myronides وكيمون، وتوليدس Tolmides وثوكيديدس، كما استمرت بعد نفي ثوكيديدس واندحاره خمسة عشر عاماً أخرى، مارس خلالها قيادة منفردة مستمرة غير منقطعة، اذ كان يعاد انتخابه جنرالاً كل سنة، وظلّ حريصاً على استقامة لم تصمها وأقل وصمة، على أنه لم يكن في غير شؤون الحكم مهملأ غير مبال، فكان يرعى شؤونه المالية مثلاً. وقد ورث عقارات عن أبيه، فحرص على ان لا يلحقها الخراب، أو العيب بسبب الإهمال، وعلى ان لا تأخذ من اهتمامه وعنايته وقتاً لانصرافه الذي يكاد يكون تاماً الى شؤون الحكم. وأختار لادارتها أسلوباً كان في رأيه أسهل وأدقّ ما وجد. فكان يبيع كل ما تنتجه من غلّة سنوية صفقة واحدة، ويمون بيته بما يقتضي بشراء الحاجات العائلية من السوق ولذلك ضاق أولاده ذرعاً بأسلوب والدهم هذا عندما بلغوا أشدهم، ولم يشذّ عنهم نسوة البيت فقد كان يقترّ عليهن، وشكون من تلك الادارة حيث كل شيء يتمّ حسابه من يوم الى يوم بمنتهى الدقة فلا ينقص شيء ولا يفضل شيء الى الغد، ولم تكن هذه بحالة أسرة سرّية بارزة. كل ما يخرج وكل ما يدخل، وكلّ ما يؤخذ وكل ما يعطى الكيل يجرى حسابه بالعدد والقياس وكان قد أوكلّ خادماً واحداً لادارة البيت اسمه [ايڤانجيلوس Evangelus] وهو رجل كان يتميز بذكاء

(\*) من مسرحية لايعرف لها اسم.

(\*\*) ما بين ٤٦٩ و ٤٢٩ ق.م تقريباً.

مطبوع، أو كان يعمل وفق توجيهات بيركليس، فقد بلغ الغاية في فن الاقتصاد المنزلي. ولم يكن في كل هذا ما ينسجم وفلسفة اناكساغوراس<sup>(٣٨)</sup>، إن كان صدقاً ما روي عن خروجه من منزله وتركه أرضه مرعى للأغنام وعيشته عيشة عامة الناس ودهمائهم اطاعة لإلهام رباني، أو لسمو نفس فيه، على أن حياة الفيلسوف المفكر وحياة السياسيّ النشيطة لا تتشابهان في رأيي. فأولهما يستخدم في مسائل العقل الخيرة السامية، ذكاءه وعبقريته، وكلاهما لا يحتاج الى اداة أو مادة محسوسة، أما الثاني فإنه بتوجيهه قابلياته العقلية وطاقاته الى واقع الاستعمال البشري، قد تتاح لنفسه فرصة لتتدفق بالخير، لا بالضرورة، بل بدافع النبيل والصالح لذلك نرى [بيركليس] يرفه عما لا يحصيه عد من مواطنيه الفقراء.

ومهما يكن من أمر فشم حكاية تروى عن [اناكساغوراس] الذي حمل ذكره واختفى في زوايا النسيان بينما كانت أمور الدولة تستأثر بكل وقت بيركليس واهتمامه. بلغ هذا الفيلسوف مبلغ الشيخوخه، وعقد العزم على أن يكون موته بامتناعه عن الطعام. فبلغ ذلك بيركليس بمحض الصدفة. فأذله الخبر وارعبه وأسرع اليه في الحال واستخدم كل حيلة ورجاء ومنطق ليثنيه عن عزمه، ولم يكن في ذلك محزوناً على حالة اناكساغوراس قدر ما كان أسفاً على نفسه، خوف أن يفقد ذلك الناصح الذي خير قيمته وقدرها، وعندها نضا اناكساغوراس ثوبه مظهراً جسمه عارياً وقال: «يا بيركليس، حتى أولئك الذين تدرّكهم الحاجة الى مصباح، فأنهم يزودونه بالزيت».

بدأ اللقيديميون يظهرون امارات القلق لتنامي قوة الآثينيين وعمد بيركليس من جهته، ليرفع معنويات الشعب، وينمى في رؤوسهم فكرة إطلاب المجد بعظام الأعمال، الى اقتراح يقضي بدعوة كل الأغريق اينما كانوا أفي اورروبا أو آسيا في كل مدينة صغيرة أكانت أم كبيرة، لإرسال مندوبين الى جمعية عامة تعقد في أثينا، أو مؤتمر عام للمداولة والمشاورة في أمور المعابد الاغريقية التي أحرقتها البرابرة، وفي القرابين المفروضة عليهم بموجب النذور التي قدموها للأرباب على سلامة بلاد اليونان عندما قاتلوا البرابرة، وكذلك للبحث في شؤون الملاحة البحرية، وعقد معاهدة حرية فيما بينهم، حتى لا يتعرض أحدهم لسفن الآخر فيما بعد. وأوفد عشرون شخصاً تزيد اعمارهم عن الخمسين<sup>(٣٩)</sup> للدعوة الى المؤتمر، خمسة منهم ذهبوا

---

(٣٨) جرت عادة الاقدمين ان يقوم الشخص الذي ينوي الانتحار باسدال غطاء على رأسه بصرف النظر عن الاسباب التي دعته الى ذلك أفي سبيل بلاده أو التخلص من متاعب الحياة [ديوغينيس لاينرتوس يقول ان هذا الفيلسوف اورث أقرباءه.

(٣٩) هو سنّ البلوغ التام عند الآثينيين. من بلغه جازله حق التصويت في الاجتماعات والانتخابات العامة.

لدعوة الآيونيين والدوريين Dorians في آسيا وسكان الجزر حتى [السيوس ورددس]، وخمسة منهم رحلوا لزيارة كل أرجاء [هليلسبونت وتراقيا] حتى [بيزنطة] وخمسة غيرهم، لزيارة بويوتيا وفوكيس Phocis وبيلوپونسسوس ومنها يرحلون الى القارة المجاورة عبر بلاد اللوكريين Locrians حتى أكارنانيا Acarnania وامبراكيا Ambracia، والباقون يأخذون طريق [يوبيا] الى الأوتيانين Oetaean وخليج ماليا Malia والى أخانيا<sup>(٤٠)</sup> [فوثيوتيس Phothiotis] والتساليين. وقد نبه جميعهم يتصلوا بالشعوب التي يرون بها ويفاتحوها ويقنعوها بالحضور والمساهمة في مداوات السلام، وتنظيم شؤون الأغرقي معاً.

ولم ينتج شيء من هذا، ولم تجمع المدن معاً عن طريق المندوبين. كما كان منتظراً. وقيل أن اللقيديمونيين عملوا على إحباط المشروع من طرف خفي<sup>(٤١)</sup>. وكان أول فشل للمحاولة في البيلوپونيس. واني أرى من المناسب أن أشرح تفاصيلها هنا لإظهار نفسية بيركليس وسمو أفكاره.

نال في قيادته العسكرية صيتاً داوياً لحنكته ومهارته في فنون الحرب. فهو لا يشتبك بمحض رغبته في قتال ما إذا كان في نتيجه شك كثير، أو خطورة. ولم يحسد قائداً على مجد ناله من مغامرات طائشة تكلفت بنجاح باهر وحالفه فيها الحظ، مهما بلغ به أعجاب الآخرين. ولم يره جديرين بالتقليد والمحاكاة وإنما كان لا يفتأ يقول لمواطنيه انه لن يألوا جهداً قط في العمل على توفير حياة دائمة خالدة لهم جميعاً. وسيبذل في ذلك قصاره. ولما رأى [بيركليس] ان توليدس ابن [طوليسوس Tolmoeus] المليء بالثقة نتيجة انتصاراته السابقة<sup>(٤٢)</sup> التياه الفخور بالمكانة التي رفعته اليها أعماله العسكرية - يقوم بالاستعداد لمهاجمة البويوتيين في عقر دارهم حين لم يكن له في الحملة اية فرصة للنصر. ولما رآه يستميل اشجع الشبان وأكثرهم أقداماً فتطوعوا في الخدمة تحت لوائه وعددهم ألف مقاتل، عدا قواته الأخرى، حاول بيركليس جهده في الجمعية العمومية، أن يثنيه ونصحهُ بالعدول عن قصده ووجه اليه عبارة مأثورة ظلت تضرب في الامثال: قال ما مفاده ان لم يأخذ بنصيحته، فلن يخسر شيئاً إن تربص بالزمن وانتظر إقباله، وهو خير الناصحين. هذا القول لم يرق له وزن كبير في حينه، لكن الأنباء وصلت بعد أيام قليلة، بهزيمة توليدس وقتله في معركة بالقرب من [كورونيا Coronea] وأن عدداً كبيراً من أشجع المواطنين سقطوا صرعى معه. فأكبر

(٤٠) يقصد بالآخيين الاغريق عموماً في بعض الأحيان. لاسيما عند الكتابة عن الشعراء ويقصد بهم سكان منطقة معينة من البيلوپونيسي. لكن علينا أن نعرف ان المقصود بهم هنا - هم أهالي من تسالي.

(٤١) لا عجب ان يعارض اللقيديميون في هذا! اذ ان الموافقة عليه تعنى اعترافهم بالآثيين سادة الاغريق وما كان بمقدور الآثيين محاولة ذلك دون أمر أو مرسوم صادر من الامفكتيون.

الناس كلمة بيركليس، ونال منها سمعة كبيرة، فضلاً عن أزيد ايمان الشعب بحكمته ومحبته بني جلدته.

الآ أن حملته الى [الخرسونيز] (٤٣) هي التي أشاعت من الرضى والارتياح في النفوس ما لم تُشعها أية حملة من حملاته، لأنها أكدت سلامة الأغرقيق الذين كانوا يسكنون تلك الجزر. فعلاوة على أخذه معه متوطنين آثينيين جدد، ومدّه المدن بقوة جديدة من الرجال، سورّ عنق البرزخ بجدار دفاعي من البحر الى البحر وبذلك أوقف غارات التراقيين الذين كانوا يطوقون الخرسونيز، فقطع دابر حرب مستمرة طاحنة، كانت تهدد البلاد منذ عهد طويل، بموقعها المكشوف لغزوات وموجات جيرانها من البرابرة. وتتن وتتلوى من وطأه شرور عصابات قطاع الطرق الذين أستقروا على حدودها وفي داخلها.

ولم يكن الأعجاب والأشادة بعملية تطوافه حول البيليويونيسوس (٤٤) بأقل من تلك. فقد أنطلق من بيكيا Pegae أو النافورات، وهي ميناء [ميغارا] بمائة من السفن ولم يكتف باجتياح سواحل البحر، كما فعل [توليدي] من قبل، وإنما نزل البرّ بجنوده وتقدم مسافة كبيرة في داخلية البلاد، وجعل كثيرين يلوذون بحمي اسوارهم، بمجرد الرعب الذي أحدثه ظهوره، وفي نيميا Nemaie هزم [الاسيكونيين Sicyonians] ونصب تذكراً لفوزه. وكانوا قد صمدوا بوجهه أشتبكوا معه في قتال. ثم عقد بين الآثينيين وبلاد آخايا Achaia حلفاً وأخذ منهم جنوداً وخبأهم في سفنه وعبر بالاسطول الى القارة، وسار به على مصبّ نهر آخيلأوس Achelaus، واجتاح أكارنانيا وأجأ [الوينادي Oeniadae] الى الاحتماء بأسوار مدينتهم وخرّب بلادهم ونهبها ثم عاد الى الوطن ملقياً مرساه، بفائدتين: أنه أظهر لأعدائه بأسه. وظهر لبني قومه سالماً غانماً. اذ لم يعن في كل السفرة حادث سوء لأي واحد من مرؤوسيه ولو بمحض الصدفة.

ودخل أيضاً البحر الأسود Euxine (٤٥) بأسطول كبير حسن العدة وحصل للمدن الأغرقيية على كلّ التسهيلات الجديدة التي ارادها، ودخل في علاقات صداقة معهم وأظهر لشعوب لبرابرة، عظمة الآثينيين وقوتهم ومقدرتهم التامة وثقتهم بإمكانهم الملاحة اينما شاؤوا، واثبت للمنوك والأمراء المجاورين، أن بوسع الآثينيين السيطرة على البحر جميعه. وترك [اللسينوبيين Sinopians] ثلاث عشرة بارجة حربية، مع جنودها بقيادة [الاماخوس Lamachus]

(٤٢) اجتاح الپلويونيسس وأحرق سفن قرطاجة، وهزم السيكويونيين الخ... الخ على انه اندحر امام اللقيديميين في كورونيا ٤٤٧ ق.م.

(٤٣) العام ٤٤٧ ق.م.

(٤٤) العام ٤٥٣ ق.م.

(٤٥) ربما كان ذلك في حدود العام ٤٣٦ ق.م.



لمساعدتهم ضدّ [طيمسيليوس Timesileus] (٤٦) الطاغية وعندما قضى عليه وعلى شركائه وادبلوا عن السرير، صدر مرسوم بإبحار ستمائة يوناني من الراغبين - الى [سينوب Si-nope] ليستقروا هناك ويعيشوا بين السينيويين ويشاطروهم المنازل والأراضي التي كان الطاغية وحزبه قد ضبطوها.

إلا أنه لم ينزل في الأمور الأخرى الى نوازع المواطنين الطائشة الشوانة. ولم يحد عن قراره في اتباع ما يجبون وتحقيقه لهم. فقد اسكرتهم وادارت رؤوسهم قوتهم وانتصاراتهم الرائعة، وأشدت رغبتهم في استعادة (مصر) (٤٧) وتدويح سواحل الفرس. والحق يقال كان هناك عدد كبير ممن تملكته حتى في ذلك الزمن - تلك الرغبة المشؤومة النحسة، بحيازة جزيرة صقلية (٤٨) الرغبة التي أشعلها خطباء حزب [الكيبيداس Alcibiades] فيما بعد - ناراً ملتهبية لا تبقى ولا تذر. وكان هناك بعض من يحلم بتوسكانيا (٤٩) وقرطاجنة، ولم يكن ميلهم هذا خالياً من أسباب وجيهة في حالتهم هذه من الرخاء وكثرة أملاكهم ومستعمراتهم.

إلا أن بيركليس استأصل هذه الرغبة في الفتوح الخارجية من جذورها وبدد بلا رحمة أحلامهم واجتثها اجتثاثاً، وكانت متخففة ناشطة دوماً لما لا يُحصى من المشاريع والمغامرات، ووجه طاقاتهم لترصين ما حصلوا عليه وتثبيته وأشغل بذلك معظم أوقاتهم. معتبراً فرض الكفاية منهم النجاح في كبح جماح اللقيديونيين. فهؤلاء كان يراهم الخطر الحقيقي الدايم، ولم يكن يتردد في اظهار مشاعر كرهه لهم في كثير من المناسبات. ونخصّ منها بالذكر ما أقدم عليه أثناء الحرب المقدسة (٥٠). وحكاية ذلك أن اللقيديونيين ساقوا جيشاً الى [دلفي] وأستعادوا معبد أبوللو للدلفيين، من يد الفوسيين الذين كانوا قد ظبطوه. فتريص بيركليس، حتى رحلوا وبادر في الحال الى الدخول بجيش، وأعاد الفوسيين الى المعبد. وكان اللقيديونيين قد نالوا من الدلفيين امتياز الأولوية باستخارة الآلهة، وسجلوا أمتيازهم هذا بعهدٍ نقشوه

(٤٦) لم يرد ذكر اسم هذا الطاغية في اي موضعٍ آخر. و(سينوبه) هي من مدن [بافلاغونيا] استعمرها الملبسون. وتقع على ساحل البحر الأسود.

(٤٧) كان الآثينيون [توكيديديس ٢: ١٠٩] يسيطرون على مصر الآن [ميغابيس] أحد قواد [ارتحششتا] تولى طردهم منها في السنة الأولى من الاولبياد الثمانين. ولم يتكلم عن نجاح حملة بيركليس على البلوبونيسس في السنة الرابعة من الاولبياد الحادي والثمانين. وليس من الغريب ان يتحدث الآثينيون الآن وهم في أوج قوتهم - عن استعادة نفوذهم في بلاد كانوا قد فقدوها قبل فترة قصيرة.

(٤٨) خمسة عشرة عاماً أو ستة عشر بعد وفاة بيركليس.

(٤٩) بعد أن فكر الآثينيون في ازدياء صقلية لابد ان يراودهم حلم التوسع في الأراضي الواقعة الى شمالها والى جنوبها.

(٥٠) في حدود العام ٤٤٨ ق.م سميت كذلك لعلاقتها بمعبد دلفي وهناك ما هو أكثر شهرة ويعين الاسم في عهد فيليب المقدوني.

على جبهة الذئب النحاسي القائم هناك<sup>(٥١)</sup>، فبادر بيركليس الى كسب امتياز مماثل للآثينيين من الفوسيين، وأمر فنقش على الصفحة اليمنى من جسم الذئب النحاسي نفسه.

وتشهد الحوادث التي تعاقبت شهادة قوية على صواب عمله وحكمته في صد اندفاعات الآثينيين، وقصّر مجهوداتهم على الدائرة الاغريقية. فبالدرجة الأولى ثار الاثيون<sup>(\*)</sup> عليه، فزحف بقواته عليهم واخذ ثورتهم، وتلا ذلك مباشرة أبناء اشارت انقلاب الميغاريين عليهم وان جيشاً معادياً يتقدم على حدود [آتيكا] بقيادة [پلستراناكس Plistoanax] ملك اللقيديميين. فأنسحب بيركليس من [يوييا] وعاد بأسرع ما يمكن ليجابه حرباً تهدّد موطنه نفسه انه لم يغامر في الدخول بمعركة مع جيش عزيز الجانب تواق للقتال، بل ولادراكه ان [پلستواناكس] الشاب اليافع، كان يطبع في أكثر الأمور نصيحة [كلياندريدس Clean-srides] الذي بعثه [الايغور] مع الجيش ليكون بمثابة وصي ومساعد للملك الشاب، فقد قام سرّاً باختيار نزاهة هذا المستشار ونجح في افساد ذمته مبلغ من المال، ودفعه الى الاشارة على الملك بالانسحاب وتمّ انسحاب البيلوپونيوسيين من آتيكا، وانحل الجيش وتفرق افراده عائداً كل الى موطنه. فاستشاط اللقيديمونيون غيظاً وعمدوا في سورة من غيظهم هذا الى فرض غرامة ثقيلة على ملكهم، فعجز عن تسديدها واضطر الى ترك [لقيدميون]<sup>(٥٢)</sup>. وهرب [كلياندريدس] وحكم عليه بالموت غياباً. وكلياندريدس هذا، هو والد [غيليبوس Gylipus] الذي استظهر على الآثينيين في صقلية. ويظهر ان الطمع كان مرضاً موروثاً في الأسرة، أنتقل من الأب الى الأبن، اذ قبض عليه فيما بعد متلبساً بعمل جرمي مماثل وطرد بسببه من سبارطا. وقد اتينا الى المزيد من الشرح في هذا، عند كلامنا عن سيرة [ليساندرا].

وذكر [بيركليس] في أثناء تلاوته تقريره عن هذه الحملة امام الجمعية العمومية، انه أنفق عشرة تالنتات، بمناسبة معينة في سبيل المصلحة العامة، فصادق الشعب على الصرف دون سؤال أو تحقيق في باب الصرف. ويؤكد بعض المؤرخين ومنهم [ثيوفراستوس] الفيلسوف ان بيركليس اعتاد كل سنة أن يبعث سرّاً الى سبارطا عشرة تالنتات رشوة لرجال الحكم فيها، لا ليشتري سلمهم، بل ليشتري الزمن، وليستعد على مهله ويكون الأقدر والأكثر استعداداً للحرب.

(٥١) قيل انه قبض على الذئب ووضع الى جانب الذئب الكبير لأن ذئباً قتل لصاً كان قد سرق المعبد ويعوانه المتواصل دل أهل دلفي على الموضع الذي أخفى فيه المسروق [پاوسنياس ١٠-١٤].

(\*) في ٤٤٦ ق.م.

(٥٢) يقول توكيديدس [٢١:٢] ان رعيته حكموا عليه بالنفي بعد ان شكوا في انه قبل الرشوة لينسحب من الحياة العامة.

بعد هذا وجّه جيشه فوراً الى الثائرين، وهاجم جزيرة [يوبيا] بخمسين بارجة وخمسة آلاف مقاتل وأستولى على مدنها وطرد المواطنين الخلقيديين Chalcidians الملقين [هيبوبوتي Hippobotae] أي «علاقي الخيل» ويعتبرون من أغنى السكان وبرزهم سمعةً. وأخرج كل [الهستيانيين Histiaeans] من البلاد، وأحل محلهم جالية آثينية، ضارباً بهؤلاء مثله الوحيد في الصرامة والشدة لأنهم كانوا قد أسروا سفينة آتيكية وقتلوا كل من فيها.

وعقد هدنة بين الآثينيين واللقيديمونيين، أمدها ثلاثون سنة. وأصدر مرسوماً جمهورياً بالحملة على جزيرة [ساموس] (\*)، ولرفضها طلبه بإيقاف حربها مع الميليسيين. ولما كان الرأي يميل الى أن هذا الإجراء ضد الساموسيين إنما أتخذ ارضاءً لسپاسيا Spasia فمن المناسب ان نذكر هنا شيئاً عن هذه المرأة. أي جاذب فيها واي دهاء مكنها من ايقاع أعظم ساسة العصر في حبال حبها واستهوائه. ومن ثم اتاحة المجال لحديث الفلاسفة<sup>(٥٣)</sup> عنها كثيراً، لا بما يشيتها أو يجرحها.

ومن الثابت انها [ميليسية] بالولادة<sup>(٥٤)</sup>. وانها ابنة [أكسيوخوس Axiochus] وقيل انها كانت تمكنت من امتلاك ناصية رجال من ذوى النفوذ والجاه الكبير بتقليدها، [تارجيليا Thargelia]<sup>(٥٥)</sup> العاهرة التي عاشت في العهد الآيوني القديم، وقد عرفت بجمالٍ نادر، وشخصية ساحرة للغاية يزينهما ذكاء وحصافة مدهشين. وكان عشاقها بين الأغريق كثيرين، وأستمالت كل من كان ذا علاقة بها لموالة الفرس وخدمة مصالحهم بنفوذهم ومراكزهم العالية. وبذلك زرعت بذرة التحزّب للميدّين في مدن كثيرة. هذا عن [تارجيليا]، ويقول بعضهم أن [سپاسيا] أستأثرت بقلب پيركليس، واعزازه، لوقوفها الواسع على السياسة وحذقها أساليبها. وكان [سقراط] نفسه يختلف اليها أحياناً مع بعض معارفه، وأعتاد كثير من يختلفون اليها أن يصحبوا زوجاتهم للاستماع اليها. ولم تكن مهنتها تمت الى الشرف بصلة ما، ومنزلها في الواقع دار للعاهرات الشبابات. ويخبرنا [ايسخينيس Aeschines]<sup>(٥٦)</sup> أيضاً أن [ليسيكليس Lysicles] وهو تاجر أغنام ذو منبت وضيع، وخلق دنيء، أصبح فهو أول شخصية في اثينا بعد موت پيركليس، بسبب معاشرته [سپاسيا]<sup>(٥٧)</sup>. ونحن، وان كُنّا

(\*) في ٤٤٠ ق.م.

(٥٣) سقراط وافلاطون.

(٥٤) [ميلتوس] من مدن [ايونيا] أشتهرت بكثرة مشاهير الرجال الذين ولدتهم حتى ضرب بها المثل.

(٥٥) نالت ملك تساليا بفضل جمالها. لكنها أعتطبت وهي في ريعان الشباب اذ فتك بها واحد من عشاقها.

(٥٦) اسخينوس السقراطي. في محاوره عنوانها «أسيليا» لم تصلنا.

(٥٧) لايعلم المنصب الذي اشغله هذا الشخص والدرجة التي رفع اليها. فمن اثنين بهذا الاسم بلغا مرتبة =

لأن أخذ مقدمة [مينيكزينوس Menexenus] لافلاطون، مأخذ الجد التام، فإن ما تضمنت عن أسباسيا فيه واقع تاريخي، جاء فيه أنها اشتهرت باختلاف كثير من الآثينيين الى مجلسها ليتعلموا فن الكلام منها<sup>(٥٨)</sup>. ويبدو أن تعلق بيركليس بها كان مبعثه العاطفة والحب على أية حال. كان متزوجاً بقرينة له، سبق أن تزوجت بهيپونيوكوس Hipponicus قبله وأنجبت له [كالياس Callias] الملقب بـ«الغني»، ثم أنجبت لبيركليس طوال عشرتها الزوجية له - ولدين وهما [كراتيبيوس Xonthippus ويارالوس Paralus] ثم انفصل عنها برضاها بعد أن ضاقت بالعيش معاً لعدم انسجامهما، فبنت برجل آخر، وتعلق هو بأسباسيا وأحبها حباً جارفاً، وكان يقرؤها التحية ويقبلها يومياً كلما غادر البيت أو عاد اليه من ساحة السوق.

ولقبت بأسماء عديدة في التمثيليات. منها «أومغال الجديدة» و«ديثيانيرا Deianira» ولقبت أيضاً «بجونو» وأعطاه كراتينوس<sup>(٥٩)</sup> صفتها الحقيقية «العاهرة».

«لقد حملت له يونو هذه، بتلك العاهرة التي لاتعرف الحياء المسماة أسباسيا».

ويبدو انها أنجبت له إبنا. ففي تمثيلية [ديمي Demi] [ليوپوليس Eupolis] قدم شخصية بيركليس وهو يسأل عن سلامة ابنه فيجيبه ميرونيدس Myronides و«إبني هل هو حي»

«أجل... انه أصبح رجلاً متزوجاً منذ زمن طويل لو لم يخش سوء السمعة لولادته من أم عاهرة.»

أشتهر أمر أسباسيا على ما يقال وذاع صيتها، حتى أن [كورش] الذي نازع [ارتحششتا] العرش الفارسي سَمِيَ أَحَبَّ محظياته اليه باسم اسباسيا وكانت تدعى قبلاً [ميلتو Milto] وهي فوسية الأصل وابوها [هرموتيموس Hermotemus]. ولما سقط كورش في المعركة قتيلاً، حُمِلت الى الملك<sup>(٦٠)</sup>، فكان نغوذاها في بلاده كبيراً... خطرت لي هذه الأشياء، وأنا

---

= السلطة في اثينا، توفي أولهما بعد سنة واحدة من موت بيركليس، ولم يكن محتملاً ان انتفع الى هذا الحد بعلاقته مع اسباسيا خلال مثل هذا الموقف القصير. اما الثاني الذي كان اصل السبب في نكبة (خيرونيا) [ديودورس ٨٨:١٦] فقد نفذ فيه حكم الموت جراء ذلك في تاريخ متأخر عن الأول بتسعين عاماً. وليس من المعقول ان تكون اسباسيا قد عاشت قرناً من الزمن وهو محتفظة بنغوذاها.

(٥٨) يجب الآن تصور ان اسباسيا انما برعت في مطارحات الهوى والحديث التافه الخفيف. في الواقع ان احاديثها كانت جدية عميقة حتى ظن معظم أهل المعرفة الآثينيين بأنها هي التي كتبت خطبة التابين الشهيرة التي القاها بيركليس مخلصاً ذكرى أولئك الذين سقطوا في حرب ساموس. ولايستبعد ان قام بيركليس بشن هذه الحرب بناء على اقتراح منها، انتقاماً من منازعة اليليسيين وقيل انها رافقتة في الحملة وانها شيدت معبداً تخليداً لنصره هذا [انظر ثوكيديدس ١:١١٥].

(٥٩) في مسرحية الخيرونيون Cheirons.

(٦٠) أنظر كزنيون: اناباسيس ٢:١، ١٠.

أكتب القصة فلم أجد من المناسب اغفالها.

على أية حال، كان من أهم المآخذ على بيركليس اقتراحه في الجمعية العمومية إعلان الحرب على ساموس مناصرةً للميليسيين، وكراماً لحاطر اسباسيا، فالدولتان كانتا مشتبكتين في حرب على [برين Priene]، وكانت كفة الساموسيين راجحةً فيها، ولذلك ابوا اللقاء سلاحهم والاستجابة الى فض النزاع بطريق التفاوض وان يكون الأثينيون المحكمين فيه. فجهز [بيركليس] أسطولاً وأتجه الى جزيرتهم حيث قضى على حكومة الأقلية فيها وأخذ خمسين رهينة من كبار رجالهم ومثله من أولادهم وبعث بهم الى جزيرة [منوس] وأبقاهم هناك. وذكر بعض المؤرخين أنه رفض عرضاً بافتدائهم بتالنت واحد لكل منهم، فضلاً عن هدايا كثيرة عرضها عليه أولئك الذين كانوا يكرهون جداً إقامة نظام ديمقراطي عندهم؛ زد على ذلك أن [بسوثنس Pisuthnes] <sup>(٦١)</sup> الفارسي أحد ضباط الملك، الذي كان ذا نوايا طيبة للساموسيين، أرسل اليه عشرة آلاف قطعة ذهبية ليصفح عن المدينة، فردّها [بيركليس] ورفض كل العروض. ومضى قدماً في ما أختطه للساموسيين، وما وجده مناسباً وأقام النظام الديمقراطي عندهم <sup>(٦٢)</sup> ثم ابحر عائداً الى أثينا.

إلا أنهم مالبثوا ان ثاروا، وأفلح [بسوثنس] في تهريب الرهائن اليهم وأمدّمهم بكل وسائل الحرب. ففكر بيركليس راجعاً اليهم باسطوله فلم يجدهم غافلين ولا متهيبين، بل تبين فيهم عزفاً راسخاً على نيل السيطرة البحرية؛ وكانت النتيجة أن بيركليس نال نصراً ساحقاً بمغركة بحرية ضارية قرب جزيرة تراجي <sup>(٦٣)</sup>، فقد هزم باربع وأربعين بارجة، سبعين بارجة للعدو منها عشرون تحمل جنوداً.

وينصره هذا وما تلاه من مطاردة للعدو، حقق سيطرته على الميناء والقى حصاراً عليهم وضيق الخناق، وكانوا رغم ذلك يحاولون أن يواصلوا كراتهم بشتى الأشكال، ويشتبكوا في القتال تحت أسوار المدينة، لكن بيركليس اتمّ تطويقهم من كل جهة وحصرهم في مساحة ضيقة جداً من الأرض، بعد أن وصله من أثينا أسطول كبير آخر <sup>(٦٤)</sup>. ويذكر معظم الكتاب أن بيركليس أخذ ستين بارجة وأنطلق بها الى عرض البحر عاجزاً على اعتراض سفن الفينيقيين التي خفت لمعونة الساموسيين، وقتالهم في أبعد نقطة ممكنة عن الجزيرة. على أن

(٦١) هو ابن هشتاسب. كان حاكماً على (سارديس) وتبنى قضية الساموسيين طبعاً لأن كبار قومهم هم من الموالين للفرس.

(٦٢) كذلك وضع فيها حامية [ثوكيديدس ١: ١١٥].

(٦٣) تراجيناي هي جزيرة من مجموعة جزر سيورادس مقابل ساموس.

(٦٤) يتألف من أربعين سفينة أثينية و٢٥ سفينة أخائية ولسبوسية [ثوكيديدس ١: ١١٦].

[ستسمبروتوس] يزعم انه ما خرج الأليستولي على قبرص، وهو زعم لاينطوي على إصابة ومهما كانت نيته، فالظاهر انه أخطأ الحساب. لأن [ميليسوس Melissus] القائد الساموسى آنذاك وابن الفيلسوف [ايثاجينس Ithagenes] أغرى أهل المدينة بمهاجمة القوات الأثينية الباقية أما مزدرياً العدد القليل من سفنهم، أو مستفيداً من قلة تجربة ضباطهم وكسب الساموسيون المعركة وأخذوا عدداً من الأسرى كما عطلوا عدداً من السفن وتمت لهم السيطرة على البحر، ونقلوا الى الميناء كل ما يحتاجونه للحرب، ولم تكن يتناول يدهم قبلاً. يقول [ارسطو] أن [موليسوس] كان قد استظهر على بيركليس مرة واحدة في معركة بحرية سابقة.

ووسم الساموسيون الأثينيين الأسرى وسمأ على جباههم يُمثل صورة يوم غسلأ لإهانة سبق ان أصابهم بها خصومهم هؤلاء. فقد وسموا عدداً منهم بوسم يمثّل سامينة Samaena وهذا نوع من السفن واطيء مسطح من ناحية القيدوم ليبدو كالأنف الأشم، وهو من المؤخرة عريض واسع رحيب يتسع لحمولة كبيرة، ويسهل قياده، وسميت بهذا الاسم لأن أول من صنعها كان في [ساموس] بنيت بأمر من [بوليقريطس Polycrates] الطاغية وهذا الوسم الذي رسم على جباه الساموسيين نوهت به الفقرة التالية - من أرسطوفان<sup>(٦٥)</sup>:

«لأن الساموسيين - وا أسفي - قومٌ مُعلّمون بالحروف».

ما أن بلغت أنباء النكبة بيركليس، حتى خفّ مسرعاً لانقاذ قواته<sup>(٦٦)</sup> وأوقع بميليسوس الهزيمة وراح يطارد جيشه حتى حصرهم وراح يبنى حولهم جداراً وغيابته ايقاعهم جميعاً في قبضته والاستيلاء على المدينة. وان كان في هذا الاسلوب تضحية في بعض النفقات، والوقت فهو ينم عن حرصه على أرواح مواطنيه وعدم التفريط بخسارة فيهم. ولكن صعب عليه كبح الأثينيين الذين أغضبهم هذا التأخير وكانوا تواقين للقتال مصرين عليه. فقسم الجيش كله الى ثمانى وحدات. وسحب قرعة بينهما فكل وحدة يخرج لها حبة الفول البيضاء تسحب من خطّ القتال وتعطي أجازة فيها يروح الأفراد عن أنفسهم ويطربون ويلهون، بينما تستمر الوحدات السبع الأخرى في القتال. والى هذا يعزى تسمية الأثينيين ليوم طربهم ومرحهم باليوم الأبيض إشارة الى حبة الفول البيضاء<sup>(٦٧)</sup>.

ويخبرنا المؤرخ [إيفوروس Ephorus] زيادة على ما تقدم، أن بيركليس استخدم في ذلك

(٦٥) من مسرحية «البابلون» لم تصلنا.

(٦٦) يقول ثوكيديديس ان النجدة التي ادركته كانت تتألف ثمانين سفينة.

(٦٧) تعتبر حبة الفول البيضاء اشارة على البراءة في القضايا الجنائية وقد جرت العادة بذلك منذ زمن أبعد مما ذكر.

الحصار آلات الثغر، فقد كان شديد الاهتمام بالمستنظبات العجيبة، تواقاً لاختبارها. وقد عاونه في ذلك [آرتيمون Artemon] المخترع الميكانيكي، وكان يرافقه في حملته، ولعرج فيه اعتاد أن يجلس في محفة لينقل الى مواقع العمل كلما أستدعى الأمر وجوده، ولهذا السبب سُمي [بيريفوريتوس Periphoretus]. إلا أن [هيراقليدس بونتيكوس] يثبت عكس ما تقدم، مستنداً الى شعر [اناكريون]<sup>(٦٨)</sup> الذي جاء فيه تنويه [بارتيمون بيريفوريتوس] هذا قبل حرب ساموس والأحداث الأخرى المعاصرة لها باجيال عديدة. يقول انه كان حريصاً على راحتته، شديد الحذر من مدهامة الخطر على حين غرة. لهذا أعتاد قضاء جل أوقاته داخل البيوت، وأناط بائنين من خدامه أن يرفعا فوق رأسه ترساً نحاسياً لئلا يسقط عليه شيء من فوق. وان أستدعت حاجة ملحةً خروجه، حمل في محفة متدلّية من قضبان على مستوى واطيء من الأرض ولذلك سُمي [پريتوريتوس].

في الشهر التاسع استسلم الساموسيون، وسلّموا مدينتهم. فهدم بيركليس أسوارها وصادر سفنها وفرض على الأهلين غرامة مالية ثقيلة، دفعوا جزءاً منها في الحال، واتفق على تسديد الباقي في أجلٍ مضروب. وسلّموا رهائن ضماناً لحسن سلوكهم. وقد ألف [دوريس Duris] الساموسي مأساة درامية حول هذه الأحداث متهماً فيها الآثينيين وبيركليس بالفظائع والفسوة الشديدة - دون اعتبارٍ ما للحقيقة، بينما لانرى ثوكيديدس او انيوروس او ارسطو يذكرن شيئاً من هذا. ذكر مثلاً أن بيركليس ساق ضباط السفن وجنودها الى ساحة السوق في [ميليتوس] وهناك شدّ وثاقهم على ألواح خشبية وأبقاهم هكذا عشرة ايام حتى اصبحوا بين أحياءٍ وأموات، ثم أصدر أمره بسحق رؤوسهم تحت ضربات الدبابيس وإلقاء جثثهم في الشوارع والساحات العامة دون دفن؛ كيف يمكن تصديق هذا؟

وعلى اية حال، كان من المحتمل جداً ان يببالغ (دوريس) في المصائب التي حلت بموطنه ليخلق شعوراً بالنفور العام من الآثينيين. فهو كثيراً ما يببالغ في سرده التاريخي حتى يتعدى بعضه حدود الحقيقة<sup>(٦٩)</sup>، وإن لم يكن منساقاً وراء غرض أو عاطفة.

والحاصل، عاد بيركليس الى اثينا بعد اخضاعه الساموسيين، وأهتم بدفن أولئك الذين سقطوا في ساحة الحرب، دفنة مشرّفة لائقة، وألقى بتلك المناسبة خطبة تأبين حسب العادة،

(٦٨) تجد هذه الابيات في الاثيناوس (٩:١٢). الحقيقة ان المرء لا يسعه الا الاستغراب من وجود شخصين بعين الاسم وعين الاخلاق والنقص العقلي. إلا ان المهندس الذي رافق بيركلس ربما لا يتفق في شيء مع الآخر ما عدا الاسم. وان پلوتارخ وقع هنا في وهم عندما عزا اليه كل هذه التفاصيل.  
(٦٩) عاصر بطليموس فلاديلفوس. يقول عنه شيشرون ان دقيق وامين.

اثناء مواراتهم التراب، أثارت عظيم الإعجاب<sup>(٧٠)</sup>، حتى أنه عندما هبط من المنبر، أقبلت عليه النسوة وأخذن يمدحنه وقُدنه من يده وضمفرن على رأسه أكاليل الغار والشرائط، كاحتفاهنَ بالرياضي الفائز في الالعاب. وهناك دنت [الپينيكى] منه قائلة: «لقد اتيت يايريكليس بأعمال البطولة والبسالة وهو ما تستحقه اكاليل غارنا التي جعلتنا نققد كثيراً من كرام مواطنينا لا في حروب مع الفينيقيين أو الماديين كحروب كيمون، بل لقهر وأخضاع دولة حليفة ارتبطت معنا برابطة الدم والصدافة» وقيل انه كان يبتسم ابتسامة رقيقة اثناء حديث الپينيكى، ولما أنتهت ردَ عليها بهذا البيت من الشعر:

«ينبغي للعجائز من النساء ألا ينشدن التعطر»<sup>(٧١)</sup>

وقال عنه [أيون] أن العظمة ركبته بعد مآثرته هذه في انتصاره على الساموسيين، وبدأ ينظر الى نفسه نظرة التياء المُدَلّ فلقد أقتضى عشرة أعوام [لأغاممنون Agamemnon] حتى يستولي على مدينة من مدن البرابرة. في حين لم يقتض بيركليس أكثر من تسعة أشهر للاستيلاء على أعظم مدن الآيونيين واقواها. ولهذا كان له ملء الحق في الفخر بهذا المجد الذي كسبه لنفسه. فقد كانت حرباً تنطوي على مخاطرة كبيرة، وكان هناك شكٌ أكبر في نتيجتها. هذا اذا صدق ما قاله لنا [ثوكيديدس] عن اقتراب ساموس على قيد خطوة في انتزاع السيادة البحرية من أيدي الآثينيين.

بعد هذا<sup>(٧٢)</sup>، بدأت حرب الپيلوبونيس تتخذ شكلاً خطيراً وتبلغ مرحلتها الحاسمة. ونصح بيركليس مواطنيه ان يرسلوا نجدة للكوكريين Cocyraeans الذين تعرضوا لهجوم الكورنثيين<sup>(٧٣)</sup>. وان يضعوا يدهم على جزيرة ذات موقع سوقى بحري هام جداً. مادام بادر

(٧٠) هذه المرثية التي ألقيت في السنة الرابعة من الالبياد الرابع والثمانين هي غير الخطبة الشهيرة التي القاها بمناسبة تأبين أولئك الذي سقطوا صرعى في بداية حروب الپلويونيسس. في السنة الثالثة من الالبياد السابع والثمانين (توكيديدس ٢: ٣٥-٤٦). ان الاريوباغوس هو الذي يختار الخطباء في هذه المناسبات. ولم يكن بالشرف القليل لپيركلس ان يختار مرتين لتعزية بلاده بالفاجعة.

(٧١) معناه «لقد بلغت من الكبر حداً بحيث لايجمل بها التدخل في الشؤون».

(٧٢) اي بعد الاستيلاء على ساموس بخمس سنين. وبالضبط في السنة الثانية من الالبي السادس والثمانين [بدأت حروب الپلويونيسس في السنة الثانية من الالبياد السابع والثمانين].

(٧٣) هذه الحرب بدأت في ٤٢٣ ق.م بخصوص اراضي ايبيدامنوس المدينة الصغيرة في مقدونيا التي بناها الكوركيري. وكان لهؤلاء قوة بحرية عظيمة لا تعدلها الابرية الآثينيين. طلب هؤلاء والكورنثيون المعونة من الآثينيين في آن واحد ومن قصائد الشعراء الهزليين وهم صدق صوت الجمهور الامين - يمكن ان نعرز سبب الحرب الى الغضب الذي اجتاح اسباسبيا لاهانة وجهها اليها بعض من شبان ميغارا. ويزعم آخرون ان پيركلس انما شنها لحماية نفسه والتخلص من تقديم حساب على فترة حكمه. إلا أن هذه الاسباب غير معقولة لأنها ليست جديرة بسباسبى شهير مثله لا تستقيم مع خلقه ومنزلته. ويدحض =



كل [البيليونيس] بالاعمال العدوانية ضدهم. فوافق الجميع على اقتراحه بلا تردد، وصوتوا على ارسال معونة ونجدة عسكرية لهم. فبعث بيركليس اليهم بلقيديميونوس<sup>(٧٤)</sup> ابن كيمون على رأس عمارة بحرية تتألف من عشر سفن لا غير. وكان يقصد بهذا الإجراء ان يجنبه الإهانة. فلما كان بين اسرة [كيمون] واللقيديميين عطف متبادل وصدقة فقد تعمد أن ينيط به هذا العدد الضئيل من السفن حتى اذا فشل في مهمته وأخفق في تحقيق مأثرة في الحملة فلن يعزى ذلك الى ممالأة للقيديميين أو على الأقل لكيلا يشك في مسلكه أو يتهم بالغدر؛ والواقع أن ارساله كان ضد رغبة بيركليس، لأنه ما فتىء يحتاط للحيلولة دون ارتقاء ابناء كيمون في مناصب الدولة، وحبته في ذلك أن أسماءهم وحدها تجعل الناس لا ينظرون اليهم نظرة المواطنة الآتينية، بل أن يعتبروهم أجنب وغرباء عنهم. فأحدهم يدعى [القيديميونوس]، والآخر [تسالوس Thessalus] والثالث [إليوس Eleus]، والمظنون أن ثلاثتهم جاؤوا من أم اركادية. ومهما قيل عن نجدة السفن العشر والانتقاد الموجه اليها باعتبارها معونة تافهة جداً، لقوم كانوا يعانون ضيقاً شديداً كما أنها في الوقت نفسه وقعت بمبرر قوي لأولئك انتقدوا بيركليس لتدخله في الحرب. فان آتينا بعثت بعد ذلك بقوات أكبر، الى [كوركيرا Corcyra]<sup>(٧٥)</sup> الا انها وصلت بعد انتهاء القتال. وأشدت سخط الكورنيثيين وغضبهم على الآتنيين واتهموهم علناً في لقيديمون، وساندهم الميغارئون في ذلك متظلمين من قيام الآتنيين بابعادهم عن كل سوقٍ وطردهم منها ومن جميع الموانئ الواقعة تحت سيطرتهم خلافاً للحقوق العامة المشتركة التي أقسم على احترامها كل دول الأغرريق في عهد السلام المتفق عليه. وأعلن الايجينيون أيضاً بأنهم عوملوا معاملة سيئة قاسية وطلبوا من اللقيديميين انصافهم ولم يجرأوا على تسمية الآتنيين واتهامهم بالاعتداء جهراً. كما أعلنت مدينة [پوتيديا Poti- daea] الثورة على سادتها الآتنيين في الوقت نفسه، وكانت قبلاً من مستعمرات الكورنيثيين. فألقى عليها الجيش الآتيني الحصار وكانت سبباً آخر من أسباب الحرب.

ومع هذا فقد وفد الى اثينا سفراء للتوسط في السلام، وبذل [ارخيداموس] ملك اللقيديميين مجهودات صادقة للوصول بمعظم الشكاوي والخلافات التي هي مدار النزاع -

= ثوكيديس هذه المزامع وهو محايد غزير المعلومات. والتعليل المعقول الوحيد هو الحسد الذي ابتليت به اثينا بسبب ما بلغته من منعة وقوة ومهابة بعد انتصارها في الحرب الميدية. وسلوكها المشوب بالتعالي والعجرفة واستنكار سيطرة لروح التسلط فيها.

(٧٤) يقول [ثوكيديس] لم يكن قصد الآتنيين مساعدة الكوركيري بصورة فعالة. وانما كان ارسالهم العمارة البحرية الصغيرة من أجل المراقبة ومتابعة تطورات القتال في حين يصاب الفريقان بالانهك هذا فضلاً عن انه لم يكن القائد الوحيد فقد زامله في القيادة كل من ديوتيس و«پرونياس» (٤٥:١).

(٧٥) إلا أن هذا الأسطول الذي تألف من عشرين سفينة حال دون اشتباك ثان كانوا قد تهيأوا له [ثوكيديس ٥٠:١].

الى حلول عادلة مرضية للأطراف المعنية، ولتهدئة عواطف الحلفاء المستوفزة وكان من المحتمل جداً ان لا تقع مغبة الحرب على الآثينيين لأي سبب من أسباب النزاع لو أنهم وافقوا على الغاء قرارهم ضد الميغارين، وهو الذي عمل على اثارة عاطفة العداة للميغارين في نفوس الآثينيين، فانه يعدّ مثير هذه الحرب الأوحده.

ويذكر المؤرخون في هذا العدد، أن السفراء الموفدين رحلوا من لقيديمون الى اثينا للبحث في هذه القضية، وقيل أن بيركليس تعلل بوجود قانون يحرمّ عليه انزال أو الغاء اي لوح كتب عليه قرار اتخذه الشعب. ومنها اللوح الذي كتب عليه القرار ضد الميغارين، فعقب أحد السفراء المسمى [پولياسيس Polyalscis] قائلاً: «لا بأس اذن، لاتنزلوه، بل أديره على وجهه الثاني اذ لا يوجد قانون يمنع ذلك<sup>(٧٦)</sup>. ومع أن قوله هذا كان تعريضاً جميلاً ببيركليس، فانه لم يزحزح الرجل عن موقفه ولم يشنه عن عزمه؛ ويغلب الاحتمال أن يُظنّ فيه نية خفية أو عداوة مستترة بينه وبين الميغارين، ولكن تصرفه التالي ينفي هذا الظنّ، فعند طرح التهمة للعامّة، وهي اغتصابهم جزءاً من الأراضي المقدسة على الحدود<sup>(٧٧)</sup>، تقدم هو نفسه باقتراح يقضي بارسال مناد اليهم أولاً ثم الى اللقيديمونيين ثانياً يحمل صيغة الاتهام للميغارين، وهذا عمل يبرهن بما لا يقبل الشكّ على نية طيبة تتحرى العدل. ثم ان المنادي الموفد [انثيموقريطس Anthemocritus] قضى نحبّه. وظنّ أ للميغارين ضلعاً في مرتبه. فقام [خارينوس Charinus] يقترح اصدار بيان ضدّهم بالصيغة الآتية: «سيكون من الان فصاعداً عداة مستحكم لا شافع فيه بين الجمهوريتين. وإن وُضِع ميغاريّ قداماً في آتيكا يقتل حالاً. وان يضاف الى أوّل اليمين المعتادة التي يحلفها القوآد العسكريون، تعهدهم بالقيام بغارتين على بلاد الميغارين سنوياً، وان يدفن [انثيموقريطس] بالقرب من الباب الثراسي، المسمى الآن دپليلون Diplylon أو الباب المزدوج.»

وانكر الميغاريون انكاراً باتاً تهمة تدبير مقتل انثيموقريطس<sup>(٧٨)</sup> وتصلّوا منها والقوا اللوم كله على أسپاسيا وبيركليس مستشهدين بالابيات الأخارنية Acharnian المشهورة التالية:

(٧٦) للمزيد من التفاصيل قارن ثوكيديس [١٤٠:١] وغيره.

(٧٧) ان الارض التي تقع بين ميغارا واتيكا، كرست للربّتين الالوسينيين [كيريس] و[پروسپريني] كذلك اتهم بيركليس الميغارين بانهم كانوا يؤمنون الحماية للعبيد الأبقين.

(٧٨) لم يورد [ثوكيديس] اي ذكر لهذا المنادي، على ان الميغارين كانوا يعتبرون مدبري هذا القتل حتى انهم عوقبوا عليه وإن بعد اجيال عديدة. ولهذا السبب حرمهم الامبراطور هادريان كثيراً من الامتيازات، والالطاف التي خصّ بها مدن الاغريق الأخرى ان ضريح انثيموقريطس كان على جانب الطريق المقدسة المؤدية الى ايلبوس [پاوسنياس ٣٦:١].

خرج الى الميغارين بعض رجالنا الأغرار الطائشين السكارى. واغتصبوا منهم عاهرتهم [سيميثا Simaetha] فلأجل أن يثار المغاريون لهذا العمل. إقتحموا منزل [اسپاسيا] وأختطفوا عاهرتين منها.

ليس من السهل معرفة السبب الحقيقي للحرب. إلا أن الجميع يلقون تبعته على بيركليس، لأنه حصّ على رفض الغاء البيان الصادر ضدّ الميغارين. وزعم البعض أن رفضه الطلب بصورة باتة كان متمشياً مع مصالح البلاد التامة، نابعاً من معنوية عالية. فقد استخلص فكرة، أن الطلب الذي تقدمت به السفارة، كان يرمي الى اختصار اعصاب الآثينيين، وأن أي تنازل منهم سيؤخذ بمثابة اقرارٍ بضعفهم، ويظهرهم بمظهر العاجز الذي لا مخرج له غير هذا الحل؛ وهناك من يقول أن الرفض كان مبعثه التحدي والرغبة في القتال، اظهاراً لقوته، وخلقة مناسبة لتحقير اللقيديميين.

وأشدّ الدوافع هي الحادثة التالية التي أكدت علاقتها الوثقى بالحرب، معظم الشواهد والأدلة: كان فيدياس قد قام بعملٍ تمثالٍ لمنيرفاً على نحو ما بينا، وقد ابتلي بعداوة الكثيرين غيرة منهم وحسداً لأنه يتمتع بمكانة كبيرة وصداقة متينة عند بيركليس وهذا ما دفعهم الى تليفق تهمة عليه ساقته للمحاكمة الشعبية، وغرضهم من هذا أن يختبروا اتجاه الشعب كقاضٍ إذا ما ستحت لهم فرصة تقديم بيركليس امامه بتهمةٍ ما. وكان سبيلهم الى فيدياس وانهم اغروا عاملاً من عماله يدعى [مينون Menon] ودفعوا به الى ساحة السوق وبيده عريضة يطلب فيها منحه الأمان الجمهوري عند ادعائه على فيدياس، فأجيب طلبه، وسُمح له بسرده شكواه. وفي المرافعة التي أقامها الادعاء العام ضده امام الجمعية العمومية لم يثبت عليه سرقةٌ أو غش، لأن فيدياس الذي أخذ بنصيحة بيركليس من البداية وعمد الى الذهب المخصص للتمثال فكساه كالقميص به بصورة يمكن معها نزعها ووزنه بصورة دقيقة، على أن صيت أعمال بيركليس العمرانية هي التي جرت المصائب على فيدياس، ولاسيما تصويره حرب الامازونات في سبيل ترس الآلهة. فقد رسم صورته، شيخاً أصلع الرأس رافعاً صخرة عظيمة بكلتا يديه. ورسم صورة أخرى تشبه بيركليس شبيهاً تاماً وهو يحارب الامازونات، وكان وضع اليد المسكمة بالرمح أمام الوجه محاولةً بارعة من المثال لحجب الشبه الى درجة ما، إلا أنه كان واضحاً وضوحاً كافياً من الجانبين.

وعلى هذا أودع [فيدياس السجن ومات فيه بمرض<sup>(٧٩)</sup>]، أو على ما قيل بسم دسه له أعداء

(٧٩) يزعم بعضهم انه نفي وانه صنع في فترة منفاه تمثاله الشهير «جوبتر في الالوب» الذي لم يبذه في الفن والدقة غير تمثال [منيرفا] الذي جاء ذكره في المتن.

بيركليس لإثارة فضيحة أو شكوك على الأقل حول بيركليس بوصفه قاتله. واقترح [غليكون Glycon] اعفاء [مينون] من الضرائب والمكوس واىصاء القادة بالمحافظة على سلامته فأجاب الشعب بالموافقة.

ثم تلا ذلك الاتهام اسباسيا بتعاطي البغاء، بشكوى قدمها [هرميپوس] الممثل الكوميدي، وزاد عليها تهمة أخرى، هي استقبالها في بيتها مواطنات من طبقة الأحرار، ليستمتع بيركليس بعشرتهم. كذلك تقدم [ديربيپوس Diopithes] باقتراح سن قانون يقضي برفع الدعوى العامة على كل الأشخاص الذين يهملون شعائرهم الدينية أو يبشروا بالمباديء الجديدة عن الأمور العليا، موجهها الشك الى بيركليس عن طريق [اناكساغوراس]، وكان قبول العامة بهذه الأمور وموافقتهم على التهم، يتمثل في اصدارهم بياناً (بناءً على اقتراح [دراكونيتدس Dracontides] يقضي بحاسبة بيركليس على الأموال التي انفقها أمام الپريتان<sup>(٨٠)</sup>) وان القضاة يجب أن يجزوا المرافقة بالبطاقات التي توضع فوق هيكل الاكربوليس، فذبح الربة في الاكروبولس<sup>(٨١)</sup> داخل المدينة، لكن [هاغنون Hagnon] الغى الشرط الأخير من البيان، وأقترح إجراء المحاكمة أمام ألف وخمسمائة مواطن محلف. سواء أشاء الادعاء اسناد تهمة السرقة أو الرشوة أو غيرها. وتشفع بيركليس باسباسيا ذارفاً دموعاً غزيرة وترجى المحلفين في أمرها شخصياً، على ما روى [ايسخينوس]، ولكنه عمد الى أخراج اناكساغوراس من المدينة لخوفه عليه<sup>(٨٢)</sup>، وتأمل فوجد انه لم يفلح مع الشعب في قضية فيدياس خوفاً من أن يتعدى الاتهام اليه. لذلك استعجل باشعال نار الحرب وكانت خادمة هامة حتى الساعة أوقد لهيبتها مؤملاً بهذه الخطة أن يضيغ معالم التهم ويبعث الجهود

---

(٨٠) هم كما ذكرنا في حاشية سابقة اعضاء مجلس الشيوخ الخمسمائة الذين اصبحوا السلطة العليا في ذلك الزمن.

(٨١) في بعض القضايا الخارقة للعادة، حيث يتطلب من القضاة التمسك بأدق موازين العدالة والشكليات، عليهم ان يتسلموا رقايعهم من فوق مذبح [نبتون] على حد قول هيرودوتس ١:٨:١٢٨، وعليها يدونون احكامهم أو أن يتناولوا حبات الفاصوليا البيضاء أو السوداء. وما يقصده پلوتارخ من قوله «... وان يجروا المرافعة داخل المدينة» يصعب اعطاء تفسير له إلا اذا كان المقصود به الجمعية العامة للشعب كله. أما الألف والخمسمائة التي جاءت بعد العبارة فربما كان يقصد بها محكمة هلياي، سميت بهذا لأن القضاة يجلسون في الهواء الطلق معرضين لاشعة الشمس. والمحكمة من هذا النوع تتشكل من هذا العدد في الحالات الخاصة.

(٨٢) كان اناكساغوراس يؤمن بالوحدة الالهية اي بوجدانية الله الحكيم الخبير العليم خالق هذا الكون الجميل من عالم الفوضى. إن كان هذا دين المعلم فلاشك ان الناس سيتنتجون بان التلميذ [بيركليس] على دين المعلمه وانه يرفض فكرة تعدد الالهة السائدة في ذلك زمن. هذا الرفض ينطوى على أعظم الخطر. فقد تبين بعد فترة وجيزة اي في عهد سقراط بأنها عقيدة مهلكة.

في ملاحظتها واسكات تحامل الأعداء والحساد. فالمدينة عادةً تلقى بحملها عليه في الملمات، والخطر ولا تنق بغير قيادته لقوة شكية وحزمه.

تلك هي مجموعة الأسباب التي دفعت بيركليس، على الأ يرضى لأهل آئينا بالانصياع الى مقترحات اللقيديمونيين. إلا أن وجه الحقيقة فيها غير واضح.

واللقيديمونيون من جهتهم، كانوا يدركون أن بإمكانهم حمل الآثينيين على قبول أية شروط شاؤوها لو نجحوا مرة واحدة في ازاحة بيركليس ولذلك أرسلوا يطلبون منهم طرد «الدنس» الكيلوني Cylon الذي علق ببيركليس من جهة أمه، كما ذكر لنا [ثوكيديدس] (٨٣). فباؤا بعكس ما أملاوا، وبدلاً من وصفهم شخصيته بأنها موضع شك ونفرة. رفعوا من قدره في نظر مواطنيه وزادوا الثقة فيه، بوصفه اكره الناس الى أعدائهم وأخوف ما يخافون. وأستبق بيركليس غزوة [ارخيداموس] لآتيكا على رأس حلف الپيلوپونيسوس بابلاغه الآثينيين أن ارخيداموس في أثناء أجتياحه البلاد، سيستثنى متعمداً أراضيهم من التخريب إما لحقوق صداقتهم والتكريم المتبادل بينهما. وأماً لإعطاء أعداء بيركليس فرصة للنيل منه بالشبهات. لذلك فهو يهب للدولة كل اراضيها وما عليها من بناء، اللاتفاح العام!

ومالبت اللقيديمونيون وحلفاؤهم أن هاجموا أراضي آتيكا بجيش جرار تحت قيادة [ارخيداموس]. وخرّبوا ودمروا حتى بلغوا [آخارني] (٨٤) وهناك ضربوا خيامهم متوقعين ان الآثينيين لن يحتملوا وسيخرجون لقتالهم دفاعاً عن بلادهم واستنقاذاً لشرفهم، لكن بيركليس ابى أن يتعرض لستين ألف مقاتل من الپلپونيين والبوتيين - في معركة تنطوي على مخاطر كبيرة قد تؤدي الى ضياع المدينة نفسها، وبذل جهوداً عظيمة في تهدئة المتشوقين الى القتال المستائين المتألمين لما آلت اليه الأمور، ونصحهم بخير الكلام كقوله «الأشجار اذا قلمت أو قطعت لا تلبث أن تنمو ثانية. لكن خسارة الرجال لا تعوض بسهولة». ولم يدع العامة الى الاجتماع، لئلا يرغموه على عمل معاكس لخطئه إلا أنه كان أشبه بقائد الدقة البارع أو ملاح السفينة عندما تثور العواصف الهوج وهو في عرض البحر، يتخذ كل التدابير ويحتاط ويتأكد بأن كل شيء هو في محله، ثم يتبع ما يميله عليه علمه وبراعته، ويحصر كل مجالات تفكيره في شأن سفينته، غير ملق بالاً على دموع الركاب المدرارة، ولا على ضراعة المصابين

(٨٣) يقصدون افراد الأسرة الألكيمونية التي كانت قد وصمت بوصمة عاد الدم عندما قتل الأرخون ميغاكليس في حدود العام ٦٣٦ ق.م اتباع (كيلون) كقرأ منه وتجديفاً. انظر سيرة صولون [ثوكيديدس ١: ١٢٦: ١] و[١٢٧].

(٨٤) أقليم آخارني وهو أكبر الاقاليم المرتبطة باثينا يستطيع أن يجند من مواطنيه ثلاثة آلاف مقاتل. وكان يبعد عن المدينة الفأ وخمسائة خطوة فحسب.

بالخوف ودوار البحر. فاحكم أغلاق مداخل المدينة، وثبت الحاميات العسكرية في كل المواقع السوقية، زيادة في الحذر، متبعاً وحي ضميره ورايه غير مكترث بمن ينتهرونه سخطاً عليه واستنكاراً لخططه. وكان كثير من أصدقائه يلحون بالرجاء وكثير من أعدائه يتهددونه بالويل، ويتهمونه بخطأ ما يفعل. وعمد عدد كبير الى نظم الأغاني وقصائد الهجاء فيه، وراح أهل المدينة يتغنون بها ويذيعونها زيادة في الفضيحة، وكلها تصبّ اللوم عليه لجنبه في تمشية شؤون القيادة، والتنازل الذليل للعدو عن كل شي.

ومن هاجمه، [كليون Cleon] (٨٥). فقد أستفاد من شعور السخط المتنامي ضده، متخذاً من هجومه مراقبة للزعامة، كما بدا من (مخمس) هرميپرس واليك مصراعين منه:

«أيا ملك المسوخ والهزل! أستبقى أبداً

تستخدم الكلام التافه بدل السيف؟

فيه وحده كنت تدير دفة الحرب

حتى الآن فتزعج أذاننا حتى لكان

تيلس Teles قد جاءت ثانية؟

لو أن أصغر مدينة وضعت على المسن

ليكون حدّها ماضياً، فانك تصرف

أسنانك فرقاً كأنك أصبت بضربة كليون النارية

على أن هذا لم يحدث أثراً ما في پيركليس. لم يعبأ قلامه ظفر بتلك التهجمات، بل أحتملها بصبر، وسكت محتسباً عن الإهانات التي صبّوها عليه والتخرصات التي ارادوا بها تشويه سمعته. مضى في خطته قدماً، فبعث بأسطول مؤلف من مائه بارجة الى ابيلوپونيسس وبقي هو في المدينة لتصرف الأمور برقابته المباشرة، الى أن رفع ابيلوپونيسس مضاربيهم ورحلوا، على أنه أخذ بتوزيع الأموال العامة وأصدر قانوناً يقضي باعادة توزيع الأراضي الزراعية. وطرد كل أهالي [ايجينيا] ووزع اراضيها بالقرعة على الآثينيين، سعياً لإرضاء عامة الشعب المتألم الحائق من الأسلوب الذي اتبعه في الحرب وترفيهاً لهم وتخفيفاً عن شقائهم لما عانوه من الحرب، ورداً للكيل الذي كاله العدو لهم،

---

(٨٥) هو عين [كليون] الذي سخر منه (ارسطوفانس). تمكن من الفوز برتبة الجنرال، نتيجة خطبه وافانينه السياسية.

أجتاح الاسطول الذي أرسله الى البيلوپونيسس قسماً واسعاً من بلادهم وعات سلباً ونهباً في المدن والقرى، ثم ما عتم أن زحف هو برأ على بلاد الميغارين<sup>(٨٦)</sup> بجيش وخرّب ودمر على هواه، ولو أن ما لقيه [البيلوپونيون] من الآثينيين في البحر، يقل عما لقيه الآثينيون في البر منهم، لما أطالوا أولئك من أمد الحرب. بل وسارعوا الى انهائها<sup>(٨٧)</sup>، وهو عين ما تنبأ به بيركليس وتوقع حصوله لولا تدخل المشيئة الربانية التي تعمد أحياناً الى احباط مساعي البشر، والإخلال بخططهم.

فالبدرجة الأولى دهم المدينة المرض الوبائي أو الطاعون وراح يقضي على زهرة شبابها وأصلبهم عوداً، وأصاب بعدواه النفوس فضلاً عن الأبدان فعميت البصائر، وساءت الأمزجة، وهبّ الناس كالمجانين المسعورين يصرخون في وجه بيركليس، وراحو كالمصابين بنوبة هذيان يصبون جام غضبهم على طبيبهم المعالج، أو بالأحرى على أبيهم. إذ طفق اعداؤه يروجون بينهم أن سبب الطاعون انما هو ناشيء عن تقاطر أهل الريف الى المدينة وأكتظاظها بهم وأضطرابهم الى العيش مزدحمين في أماكن ضيقة ان استطاعوا الى ذلك سبيلاً، وأنحشروا معاً في منازل صغيرة وأكواخ فاسدة الهواء. في قيض الصيف، ويقوا يعيشون داخلها عيشة التعطل والخمول بعد أعتيادهم العيش في الهواء الطلق النقي، وكان الحديث العام: إن الحرب التي اثارها هو، كانت السبب والعلّة في تكالب العدد الضخم من المتعطلين في عمل ما وابقائهم مكدرين تكديساً كالبهائم تفتك بهم العدوى دون أن يهيء لهم أسباباً للانتقال أو الوقاية.

اراد بيركليس أيجاد حلّ لهذه المآسي واصابة العدو بشيء من القلق، فأعد مائة وخمسين<sup>(٨٨)</sup> بارجة وأصعد اليها قوات كبيرة من المشاة والخيالة المجريين وتهيأ للأبحار، مُفسحاً للأمل سبيلاً الى نفوس مواطنيه، باعثاً الخوف والفرق في نفوس أعدائه بهذه القوة الضخمة. وبعد أن سد كل بارجة حاجتها من الرجال وصعد بيركليس سفينته، شاءت الصدفة أن يقع كسوف<sup>(٨٩)</sup> شمسي فاكفهر الجو وساد الظلام فجأة فتطير الجميع واعتبروه دليل نحسٍ

(٨٦) جرد حملته في الخريف بعد انسحاب اللقيديمين [ثوكيديدس ٢: ٣١].

(٨٧) في الواقع عدلوا عنها وعادوا الى سبارطة. إلا أن ارخيداموس عاد في السنة التالية وان لم يلخط بלותارخ ذلك. وفي اثناء هذه الهجمة الثانية انتشر الطاعون في العام ٤٣٠ ق.م [قارن توكيديدس ٢: ٤٧-٥٤] الذي يصفه وصفاً دقيقاً ويقال انه جاء من بلاد الجيشة ونشر دماراً تاماً وهو في طريقه.

(٨٨) كان قوام الحملة مائة سفينة آثينية استوعبت اربعة آلاف مقاتل. ولحق بها سفن نقل كانت تحمل الخيول. كما كان ثم خمسون سفينة أخرى من خيوس وليسيوس [ثوكيديدس ٢: ٥٦].

(٨٩) هنا أيضاً يخلط بלותارخ بين حملتين والكسوف انما وقع في مبدء الحملة الأولى (ثوكيديدس ٢: ٢٨).

عظيم. والتفت بيركليس فرأى قائد دفة سفينة يتملكه الرعب والحيرة لا يدري ما يفعل مما كان منه إلا أن رفع عباءته ونشرها وهي مفلججة أمام وجه الملاح فحجب نظره «أبرى في هذا الستر بأساً أو أي إشارة الى ضرر محتمل؟» فأجاب الرجل بالنفي. فقال بيركليس «فكيف اذن وبأية صورة يختلف هذا الحجاب، عن احتجاب الشمس إلا بأن الذي سبب الظلام هناك أعظم من العباءة»، هذه حادثة كان الفلاسفة يروونها لتلاميذهم.

ومهما يكن لم يقم بيركليس على ما يبدو بمأثرة بحرية تستحق الذكر وتوازي استعدادته الكبيرة، عند الحلاقه ذلك الأسطول. ثم انه القى حصاراً على المدينة المقدسة [إبيداروس Epi- daurus] (٩٠) ولما ظهر ما يدل على قرب استسلامها له، تفشى المرضى بين جنوده فقضى على أمه، ولم يصب الداء الآثيين وحدهم بل سرت عدواه الى كل من كان على صلة بالجيش. أخيراً وجد أن صبر الآثيين قد نفذ، وروحهم بلغت التراقي. فبذل جهوداً جبارة في تهدئتهم وتقوية عزائمهم فكان كمن يضرب في حديد بارد (٩١)، وعجز عن ازالة سخظهم أو أرضائهم ولم تنجح أي حيلة معهم. والقوا بأصواتهم جميعاً ضده، وأستعادوا سلطتهم منه ونحوه عن القيادة مع تغريمه مبلغاً من المال، أقل ما قدره المؤرخون بخمسة عشر تالنتاً، وأكثر ما ذكره خمسون، ويحدثنا [إيدومينيوس Idomeneus] أن المدعي وصاحب الشكوى كان (كليون)، وإن [سمياس Simmios] يتأثر في ذلك خطى [يثوفراستوس]. اما هيراقليدس يونيتكوس فهو يتفق مع [لاكراتيداس Lacratidas] في مقدار الغرامة.

بعد هذا اشغلت الاضطرابات العامة الناس عنه، أو بعبارة أخرى أفرغ الشعب سمّ حنقهم كله في الضربة التي وجهت له، وحلّف حتمته في مكان اللسعة، وتركوه لشأنه. إلا أن أحواله العائلية كانت أسوأ ما يخطر بالبال. فكثير هم أصدقاؤه ومعارفه الذين قضوا بالوباء. أما أعضاء أسرته فكان التنازب والتباغض ينهش فيهم، ورفع جميعهم ما يشبه راية العصيان عليه؛ كان ابنه الشرعي البكر [كرانيتيوس] متلاًفاً سفيهاً بطبعه؛ وزاد من سوء حاله زواجه ببنت [تيساندر Tisander] ابن [إبيليكوس Epilycus] الغريبة المسرفة وكان يشكو مرّ الشكوى تقتير أبيه عليه ومنحه مرتباً تافهاً لا يدفعه له إلا بأقساط زهيدة. وفي أوقات متباعدة. وبسبب ذلك بعث الى صديق يوماً يطلب اقراضه بعض المال باسم ابيه، زاعماً أنه

(٩٠) في أركيا. كرسث ل(اسكولابوس) ويصفها بلوتارخ بالمقدسة ليفرقها عن بلدة أخرى في (لاقونيا) بالاسم عينه. لم يأت (ثوكيديدس) الى ذكر هذه الفاجعة، لكنه يقول ان بيركليس فشل في محاولاته تلك لا في [إبيداروس] وحدها بل (طروزين) و(ايرميوني) وغيرها ولم يستدل إلا على (بروسيا) وهي بليدة بحرية في لاقونيا.

(٩١) حفظ لنا ثوكيديدس (٦٠:١١-٦١) خطبته بهذه المناسبة.



فعل ذلك بأمرٍ منه. وأقبل الدائن على بيركليس يطالب بدينه، فامتنع هذا عن الدفع فاقام عليه الدعوى. ووقعت الإهانة على الابن وقعاً شديداً وتحلل من قيود البنوة وراح يندد بأبيه علناً وأخذ يتندر في مبدأ الأمر بقتل أبيه عن أحاديث أبيه في مجلسه ومناقشاته مع السوفسطانيين كذكره مثلاً: كيف أن واحداً ممن كان يجيد الألعاب الخمس المفضلة، قتل [إپيتيموس Epitimus] الفارسالي Pharsalion بطعنة رمح أو خطي من دون أن يدري ما فعل، وخلاقاً لارادته وكيف قضى ابوه خمسة أيام في نقاش جدي مع [پروتاغوراس Protagoras] (٩٢) في أيهم المسؤول عن القتل: الرمح؟ أم الرجل الذي قذفه أم اساتذة اللعبة المؤسسون لهذه الألعاب، وذلك بحسب أسلم المباديء العقلية وأقربها الى المنطق.

وكذلك يذكر لنا [ستسبمروتوس] أن [كرانتىپوس] هو الذي روج بين الناس تلك القصة الشنعاء عن علاقة زوجه بأبيه. وعلى العموم ظلت القطيعة بين الأب والابن ولم يرأب الصدع حتى موت الابن باول موجة وباء الطاعون. وفي غضونه أيضاً فقد بيركليس أخته ومعظم خلاته وأقربائه ومن أقرب الانتصار له في شؤون الحكم وأنفعهم. وعلى كل بقي عزمه لم يهن ازاء هذه الصدمات، ولم يبد ضعفاً أو يفضح مشاعره وظلت معنوياته عالية، وفكره ثاقباً ولم تنل منهما تلك النكبات. ولم يُر باكياً أو محزوناً، أو يحضر دفن أي من أصدقائه أو أقربائه، حتى ثكل ابنه الشرعي الثاني وهو الواحد الباقي. فخارت قواه لشدة الضربة، ومع ذلك حاول التصبر، والتجلد، الى أن حلّ يوم قيامه بشعائر التشييع، فتغلّبت عليه العاطفة أمام منظر فقيده، عندما قام بضفر أكليل الزهر على الرأس، فصرخ صرخة أليمة. وتفجّر دمه الحبيس وسال حاراً على خديه. تلك هي المرة الوحيدة التي أبدى فيها مثل هذا الضعف سائر حياته.

بعد أن أخذت المدينة تختبر القادة العسكريين الآخرين، لغرض مواصلة الحرب، وتعجم عود الخطباء لغرض اناطة شؤون الدولة بهم، وعندما تبين لها أن ليس فيهم من يضاھيه أو يعدله، ولا من يجاربه في الحزم والبراعة في الحكم بما يكفي لاتمتانهم على واجب له مثل هذا الوزن من الخطورة؛ انتابها أسف شديد لخسارتهم الفادحة به، وعزمت عليه أن يعود مرة أخرى ناصحاً لها وخطيباً، وقائداً كما كان.

وكان اذ ذاك منزوياً في بيته حزيناً كاسف البال. وأفلح [الكيبىيادس Alcibiades] وغيره من الأصدقاء باخراجه من عزلته، والظهور للشعب، فما كاد المواطنون يرونه حتى أظهروا

(٩٢) پروتاغوراس من ابيدرا تلميذ ديموقريطس. كان اذكي وابرع سوفسطائي زمانه. الف خلال فترة نشاطه الذي دام اربعين عاماً. أكثر مما انتجه [فيدياس] المثال. وأثر عنه الاحاد لقوله «ليس ثم شيء مؤكد حول وجود الآلهة أو طبيعتها».

عرفانهم بجميله وأعتذروا له عن معاملتهم الظاهرة له، فتسلم شؤون الدولة مجدداً. وعندما انتخب جنرالاً، كان أول عمل قام به الغاء القانون الخاص بالأطفال غير الشرعيين. وكان هو الذي تسبب في سنه، كي لا ينطفي اسم أسرته ونسبه بعد موت وارثه الشرعي الوحيد وحكاية سن هذا القانون تعود الى الزمن الذي بلغ فيه بيركليس أوج عزته وسلطانه غير محروم من الاولاد الشرعيين، فأقترح سن قانون لا يحمل صفة المواطنة بمقتضاه إلا من ولد من أبوين آثينيين<sup>(٩٣)</sup>. وعلى أثر ذلك أهدى ملك مصر اربعين ألف بوشل من القمح لتوزع على المواطنين الآثينيين. مما أدى الى اقامة دعاوى وقضايا اثبات نسب لا يمكن احصاؤها. وهي قضايا لم تكن معروفة حتى ذلك الحين، لعدم أهميتها. وعانى كثيرون الأمرين من التلفيق والتزوير، وناهز عدد المحكومين بذلك. الخمسة آلاف وبيعوا في سوق النخاسة عبيداً جرأء ذلك<sup>(٩٤)</sup>. أما عدد من اجتاز هذه المحنة وأثبتوا مواطنتهم الآثينية الحقّة فقد تبين عند الاقتراع أنه يبلغ اربعة عشر ألفاً واربعين مواطناً<sup>(٩٥)</sup>.

يبدو من الغريب أن يلغى مثل هذا القانون، بعد تطبيقه على هذا المدى الواسع، ومن الأغرب أن يلغى بمسعى من الرجل الذي الحّ في سنّه. على ان المصيبة التي قصمت ظهر بيركليس والحزن الذي أبتلى به لفجيعة أسرته كان لهما أثرهما اللبّات في تحطم كلّ معارضة والشفاعة له عند الآثينيين. وأشفقوا عليه شفقة ذلك الرجل الذي عوقب على غطرسته وتعاليه عقاباً كافياً بشكله ومعاكسة الأقدار بالمصائب، ووجدوا أن آلامه تستحق رثاءهم، بل تستحقّ منهم الندم على ما أتوه بحقه، وبدأ رجاؤه بالغاء القانون في نظرهم، مجرد طلب يعرضه رجلٌ ويستجيبه رجال وسمحوا له بقيده ابنه في سجلّ الأخوية، وبمنحه اسم أسرة بيركليس. هذا الابن قتله الشعب الآثيني مع زملائه القواد<sup>(٩٦)</sup>، بعد أن حقق انتصاره على [الپيلوپونيين] في [أرغينوسيه Arginusea].

(٩٣) بحسب قول پلوتارخ في مفتتح سيرة تمستوكليس، ان هذا القانون سنّ قبل ان يتولى بيركس الحكم ولعلّ هذا تشدد في تطبيقه بسبب روح العدا كليمون الذي كان من اولاد انصاف آثينيين.  
(٩٤) ان عدم شرعية الاولاد لا تجعلهم في مرتبة الرقيق. وانما تدرجهم في عداد الغرباء.  
(٩٥) عدد قليل جداً في الواقع. عندما كانت آثينا تفكر في بناء مستعمرات لها، واخضاع جيرانها. وقهر الشعوب الأخرى.

(٩٦) في السنة السادسة والعشرين للحرب كان الآثينيون قد عينوا عشرة قواد لادارة الحرب وبعد ان انتصروا حوكموا وحكم على ثمانية منهم بالموت نفذ بحق ستة منهم في الحال (منهم ابن بيركس غير الشرعي) كانت الجريمة الوحيدة التي ادينوا بها هي انهم لم يقوموا بدفن قتلى المعارك. حصل هذا زمن أرخونية (كاللياس) في السنة الثالثة من الاولبياد الثالث والتسعين اي بعد ٢٤ سنة تقريباً من وفاة بيركس ويعرض كزينفون في كتابة (الهلينيات Hellenies) وصفاً مفصلاً لما حصل. كان الفيلسوف سقراط في تلك الفترة، واحدة من قضاة (الپريتان) لكنه رفض رفضاً باتاً ان يتولى مباشرة وظيفته.

في الزمان الذي جرى به تسجيل الأبن، أصيب بيركليس بالوباء على ما يبدو، ولم تكن اصابته صاعقة حادة كالآخرين، وإنما جاءت بصورة خفيفة هادئة وأخذت تستفحل شيئاً فشيئاً وكان يعتورها كثير من النكسات والتقلبات، وأخذ الداء يخرمه إختراماً ويذهب بقواه ويقضى على مداركه الروحية العقلية، ففي كتاب القوى الأدبية «Moralia» لثيوفراستوس. تجد فقرة عن حالة بيركليس المرضية عند بحث الكاتب عن مسألة تغير مدارك الناس بتغير ظروفهم، وعاداتهم الخلقية، وهل أن أمراض البدن يوقع فيها الخلل فيظهر على تصرفاتهم انحراف عن قواعد السلوك العامة. فقد دون ذلك الكاتب ان بيركليس كان يعرض على عائديه تعويذة أو «حجاباً» علقتة نساء بيته في عنقه ليقيه سوء. كأنما اراد الكاتب القول ان بيركليس قد بلغ به المرض وضعاً خطيراً، بدليل إعتقاده بسحر هذه التعاويذ الحمقاء.

ولما حانت ميئنته، لازمه نخبة من أصدقائه المواطنين ممن بقوا على قيد الحياة، وراحوا يلهجون بعظمة مآثرة ويشنون على أعماله الشهيرة، معددين انتصاراته العسكرية. إذ أقام ما لا يقل عن تسعة أنصاب نصر، تشریفاً للمدينة التي تولى قيادتها وقهر أعداءها. واصلوا أحاديثهم فيما بينهم أعتقاداً منهم أنه لايعي ما يذكرون ولا يفهمه لاشتداد وطأة العلة عليه. إلا أن سمعه كان يتابع ما يقال فقاطعهم هنا قائلاً: انه ليستغرب مديحهم، وتقليد الثناء لأمر كان للحظ دور رئيس في تحقيقها ولم يكن القائد الوحيد الذي أسعدته الصدق بانجازها وان أمثاله لكثيرون. على أنهم تحسبوا أن ينهوا بأعظم مآثرة وأعزها جانباً... «فبمجهوداتي لم يلبسني للمداد أثيني واحد».

حقاً أن بيركليس شخصية تستأثر منا بأشد الإعجاب. لا لهدوء طباعه وعفتها، وهو الخلق الذي ظل يلازمه في معظم حياته، وفي مجابهة الخصومات العديدة الشديدة التي واجهته خلالها، بل للمعنوية العالية، والروح السامية التي جعلته قادراً وهو يزاول سلطاته الضخمة، على قمع كل عاطفة، انتقامية واشفاء غليله من أي خصم، وكبح نفسه عما تريد. ولم يعامل أي عدو معاملته من لا يمكن التفاهم أو المصالحة معه. ويظهر لي شخصياً، أن هذه السجينة وحدها، تفسر بسبب تلقيبه بالاولمبي، ذلك اللقب الصيباني الفخم؛ فطبيعة يمثل هذه الرقة، وحياسة خلت من هنوات العاطفة وهي في أوج سلطانها وارف منزلتها، لتستأهل لقب «الاولمبي»، هذا بحسب مفاهيمنا عن الكائنات الالهية التي نعزو اليها سياسة العالم وحكمه بوصفها الفاعلة لكل ما هو خير، وبعدها عن كل فعل شر. خلافاً لما يقول الشعراء، فهؤلاء يضللوننا بخيالهم الجاهل الأخرق الذي يفضحه شعرهم الكاذب، فيسمون دار الأرباب منزلاً هادئاً مطمئناً آمناً من أي خطر أو مفاجأة لاتزعجهم فيه الريح ولا الغيوم يشع منهم على حد

سواءً وبصورة دائمة نور نقيّ صافٍ رقيق. منازلٌ أكثر ملائمة للطبيعة الخالدة المباركة، يقولون هذا في الوقت الذي يؤكدون أن الآلهة كثيرة المتاعب لا تخلص من العداوات والبغضاء وغير ذلك من العواطف التي لاتلائم أو تليق بأقل الناس عقلاً وادراكاً... لكن ربّما كان هذا الموضوع أليق للمعالجة والشرح في فرصة مناسبة أخرى.

إن السبيل الذي سلكته سياسة الدولة العامة بعد موت بيركليس سرعان ما كشفت عن مدى الخسارة به<sup>(٩٧)</sup>. فالحاقدون على ما ناله من سلطان في حياته، التي كسفت شمس حياتهم، راحوا بعد تركه المسرح السياسيّ يجربون الكثير من الخطباء والزعماء الشعبيين، ليدركوا أنه كان المفرد العلم، وأنه لن يقوم مثل له بطبعه وسلوكه، ولن يجدوا شخصاً أكثر اعتدالاً منه، وأوسع إدراكاً وهو في أعلى درجة من سلطانه. ولا أكثر منه رزانه ومشاراً للأعجاب في رقتّه وحنانه. وبدت لهم تلك السلطة الفردية التي أطلقوا عليها قبلاً «حكم الطغيان، والفردية المطلقة»، وكأنها القلعة الرئيسة لسلامة البلاد. ومهما بلغ عظم الفساد، وما نجم بعده من اضطراب وشور، فقد أفلح في ستره باضعافه وقمعته، وبذلك منعه من بلوغ مرتبة الداء العضال الذي لا يمكن البرء منه، وكان سبيله الى ذلك الغفران والصفح الرقيق.

### أهم الأحداث في زمنه (ق.م)

٤٤٠ أخضع ساموس التي ثارت على الآثينين.

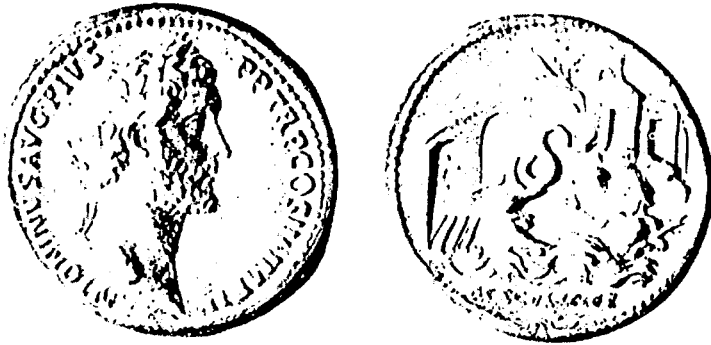
٤٣٩ بدأت الحرب بين كورنث وكوركيوا.

٤٣١ يصير الحرب الپيلپونيس التي دامت ٢٧ سنة — فترة من هؤل.

٤٢٩ يموت بعد حكم آثينا ربع قرن.

---

(٩٧) توفي في السنة الثالثة لبدء الحرب الپيلونية في ٤٢٩ ق.م.



وجها قطعة نقدية (٢٩٣ ق.م)

فابوس ماکسیموس

**FABIUS (Maximus)**  
**(Cunctator)**

275 – 203



بعد أن سردنا سيرة وأعمال بيركليس العظيمة، يتقدم تاريخنا بنا الى سيرة [فابيوس] وجده الأعلى ابن [لهرقل] وحرورية أو امرأة من نساء تلك البلاد ولدته على ضفاف التيبير، وكان أول فابيوس من تلك الأسرة الشهيرة الكبيرة العدد<sup>(١)</sup> وعميدها. ويقول آخرون أن لقبها الأول كان [فودي Fodii] لأن أول اعضاء الأسرة كانوا مغرمين بحفر الثُقر لايقاع الروحوش وصيدها. وكلمة Fobese المرادفة لكلمة [حَقْر] ما زالت مستعملة في اللاتينية. وذلك Fos- sa أي خندق. ويتعاقب الزمن استبدال الحرفان فأنقلب الأسم الى [فابي Fabii]<sup>(٢)</sup>. وسواء في ذلك أكان الأمر صدقاً أو كذباً، فالثابت أن هذه الأسرة انجبت عدداً كبيراً من أبرز الرجال. وفابيوسنا هنا، هو الجيل الرابع المنحدر من [فابيوس روللوس Rullus]<sup>(٣)</sup> الذي كان أول من قلد الأسرة شرف اضافة لقب [ماكسيموس] اليها؛ ويلقَّب فابيوس كذلك بـ[فيروكوسوس Verrucosus] لثؤلوله في شفته العليا، ولقب أيضاً في حديثه [بأوفيكولا Ovicula] أو الحَمَل بسبب وداعته المتناهية. وكان ثقل لسانه وبطئه وتعسره في التعلّم، وتردده في مشاركته الأولاد الآخرين العابهم، وخضوعه وسهولة انقياده لأي انسان كأنما لايملك ارادة خاصة جعلت أولئك الذين تغرهم المظاهر السطحية منه، وهم الأكثرية الغالبة، يحكمون عليه بالغباء والبلادة. في حين تبنيت أقلية الناس أن تشاقله هذا نابع عن الرصانة والثبات،

(١) ليثي [١١: ٥٠، ١٦، ٢١] هذه الأسرة اضطلعت كلها بالحرب ضدّ الفيديسنثيين في العام ٤٧٧ ق.م. فقد بعثت بستة وثلاثمائة من المقاتلين كلهم يحمل اسم «فابي». وقد قتلوا جميعاً وتعود شهرة الأسرة الى اعضاء فيها تقلدوا أعلى المناصب في الدولة، ومنهم اثنان تولى كل منهما منصب القنصل ست مرات.  
(٢) بليبي [تاريخ الطبيعة ١٨: ٣] يرد الاسم الى صفة فيقول انهم كانوا بالاصل من ابرع زارعي الفاصوليا  
!Fabae

(٣) او روتليانوس [بليبي: المرجع السالف ٤: ٨] تولى القنصلية خمس مرات وحقق انتصارات عديدة هامة على السامنيين والتوسكان وغيرهما من الشعوب. إلا أن لقب مكسيموس (العظيم) الذي لصق به لم يكن سببه ما ذكرنا. بل ناله ايام كان جنسوراً (محتسباً) إذ جمع كل قبائل روما باربع فقط. وكان سكان المدينة قبلها متفرقين بين القبائل بصورة عامة. وقد ضمن له هذا السلطة العليا في الجمعيات الشعبية [ليثي ٤٦: ٩]. وقد سميت المجموعة بالقبائل الحضرية Tribus Urbana تقابلها القبائل الفضلى Tribus Rusti cus وهي تعيش عادة في الريف.



وتوضحوا قوة ذكاء، وإرادة لها إقدام الأسد في ذلك. وما أن بلغ مرحلة العمل حتى برزت مواهبه وظهرت على حقيقتها، ووجدَ الناس عموماً أن ما عرف به من أفتقار الى الحيوية إنما هو التحرر من العاطفة. وثقل لسانه وبطء حركته، نتيجة للحكمة الحقّة. وأفتقاره الى السرعة، وتناقله هما اية الاستمرارية والصرامة فيه.

وبعيشه في جمهورية عظيمة يحيط بها اعداء كثيرون، رأى من الحكمة أن يعودَ جسمه على التمارين العسكرية، ليستدّ عوده بسلاح الطبيعة الوحيد هذا. كما أخضع لسانه لنظام يتسق ويتسع لحياته وخلقه، مدرباً أياه على فن الخطابة الجماهيرية. ولم يكن في بلاغته الكثير من التنميق الشعبيّ المبثذل ولا تلك الصناعة الفارغة بل كان فيها قدر كبير من الحسّ والشعور. قوية عقلية شبيهة بأسلوب [توكديدس]. وما زال موجوداً الى الآن خطاب تأبينه بمناسبة موت ابنه الذي قضى نحبه اتصالاً. وكان قد ألقاه أمام الجمهور.

تقلد منصب القنصلية خمس مرات<sup>(٤)</sup>. وكان له شرف الدخول في موكب الظفر اثناء فترة قنصليته الأولى للانتصار الذي اجرزه على [الليغوريين Ligurians]<sup>(٥)</sup> في معركة فاصلة، ودفع بهم الى مجاهل جبال الألب. ومنذ ذلك الحين لم يعودوا يغيرون، أو يغزون جيرانهم. وبعد هذا أغار [هنيبعل]<sup>(٦)</sup> على ايطاليا وكان عند دخوله قد فاز بمعركة عظيمة بالقرب من نهر [تريبيا Trebia] وأخترق توسكانيا بعد ان دوّخها بجيشه الظافر مخرباً كل الميلاد المجاورة، ومالئاً روما نفسها بالذهول والرعب. وزاد من قلق الأهالي وخوفهم بعض الظواهر الطبيعية من الرعود والبروق الفائقة للعادة، وانباء عن حصول خوارق غريبة جداً وغير مسموع بمثلهما. فقد قيل أن بعض التروس عرقت دماً، وان عدداً من أذان أهالي [آنتيوم] امتلأت بالدماء اثناء قيامهم بحصاد القمح. وان السماء أمطرت حجارة محرّمة من شدة الحرارة، وان الغاليريين شاهدوا السماء وقد أنشقت وسقطت منها رقوق كُتب على أحدها بصورة واضحة «لقد رفع مارس سلاحه»<sup>(\*)</sup> الا أن هذه الخوارق لم يكن لها تأثير على القنصل [فلامينيوس]<sup>(٧)</sup> المتهور الأهوج الطبع الذي ارتفعت درجة اندفاعه عالياً بانتصاره الأخير

(٤) اول قنصلية له كانت في ٢٢٢ ق.م أو في ٢٢٤ على قول ليفي [١٧:٢٢] والخامسة تولاما في العام ٢٠٨ ق.م. وقد مضى على الحرب الفونية الثانية، عشر سنوات تقريباً. اما قنصلياته الثلاث الأخرى فكانت على التوالي في الأعوام ٢٢٧ و ٢٢٤ و ١٩٣ ق.م.

(٥) الليغوريون سكنوا الساحل الممتد من نهر جنوا حتى موناكو في فرنسا.

(٦) دخل هنيبعل ايطاليا في ٢٢٧ ق.م حسب زعم ليفي (٢٨:٢١) اثناء قنصلية كورنييليوس سكيبيو وسميرونيس لونيوس. ودحر أولهما في معركة تيجينوس، قبل ان يهزم ثانيهما في معركة (تريبيا).

(\*) Mauors telum Suum Conclitit (ليفى ١:٢٢).

(٧) يصوره [بوليببوس ٣] رجلاً نرب اللسان شديد الكبرياء لكنه فاشل كجنرال. فقد كان واثقاً من النصر =

غير المتوقع على الغالين، أذ حاربهم خلافاً لأوامر مجلس الشيوخ ونصح زميله. ولك يجد فابيوس الاشتباك مع العدو ينطوي على حكمة - من الجهة الأخرى، لا لأنه كان يعلق مزيداً من الأهتمام على الخوارق<sup>(٨)</sup> التي كان يراها أشد غرابة من امكان فهمها بسهولة، بل لأنه كان يرى القرطاجيين قليلي العدو يفتقرون الى المال والتجهيزات، فوجد أن خير ما يعمل هو تحاشي الدخول في معركة ضد قائد عجم القتال عود جيشه، وبلته المعارك العديدة فلا غاية له الأ دخول المعركة، بل أن يرسل العون الى حلفائهم، والسيطرة على حركات مختلف المدن الخاضعة وترك قوة اندفاع هنيئيل تتضاءل وتضعف وتنطفيء كاللهب بالافتقارها الى الوقود. لم تفلح هذه الأسباب الوجيئة في [فلامينيوس] الذي احتج قائلاً انه لم يسمح بتقدم العدو الى المدينة، ولن يكون مضطراً بالأخير الى الدفاع عن روما من خلف أسوار روما، كما فعل [كاميللوس] في الماضي. وبناء على هذا أمر قادة الفرق بوضع الجيش على خط القتال. تأهباً للمعركة، وخرج هو يريد ركوب جواده، وما قفز على صهوته حتى أصيب الحيوان بنوبة هياج لا يعلم سببها ورمح براكبه فسقط فلامينيوس على الأرض، إلا أن هذه الإشارة لم تثنه عن عزمه وأستمر في تطبيق خطته وزحف عن هنيئيل الذي كان قد تمركز قرب بحيرة [ثراسيمينه Thrasymene] في توسكانيا وفي لحظة التقاء الجمعيين حدثت هزة أرضية دمرت عدة مدن وغيرت مجاري الأنهار وجرفت أطنافاً جبلية عالية ولفرط لهفة المتحاربين الى القتال لم يشعروا قط بشيء منها.

وسقط [فلامينيوس] في هذه المعركة سريعاً بعد أن قدم كثيراً من الدلائل على بسالته وأقدامه. وسقط حوله أشجع المحاربين في الجيش، وبلغ مجموع القتلى الكلي خمسة عشر ألفاً. وأسّر مثل هذا العدد<sup>(٩)</sup>. ورغب [هنيئيل] في أن يضفي على جثمان [فلامينيوس]

= الى الحد الذي كان يوجد في جيشه من العبيد المعيين بالسلاسل أكثر من الجنود. أحرز هذا النصر في ٢٢٤ ق.م في حين كان اندحاره المتوقع جداً متائباً من أسباب ثلاثة: فأولاً كان جيشه أقل عدداً من جيش عدوه، وثانياً انه أهمل عمل الاستخبارات ورفض قراءة الرسائل الواردة اليه من مجلس الشيوخ ولم يفضها إلا بعد ختام المعركة. وثالثاً وزع قواته للمعركة بصورة لا تتفق وأصول الفن الحربي. إلا أن براعة بعض ضباط ركنه صحح تلك الاخطاء [انظر بوليبيوس: ٢، وليفي ٢٠: ٤٩].

(٨) لم يكن [فابيوس] زميلاً ل[فلامينيوس] هنا وإنما كان سرقيليوس جمينوس.

(٩) مع أن هنيئيل نال نصراً ساحقاً إلا أنه ترك ألفاً وخمسائة قتيل بعضهم مات بعد المعركة متأثراً بجراحه [ليفي ٦: ٢٢]. لقد جرّ الرومان الى كمين نصبه لهم بين مرتفعات كوردتوما وبحير ثراسيمينه. ويتفق بولتارخ مع ليقي حول عدد قتلى الرومان الآ انه يجعل عدد الأسرى ستة آلاف. في حين يؤكد [بوليبيوس] ان العدد أكثر من هذا بكثير. نجا من الرومان حوالي عشرة آلاف كان معظمهم مثقناً بالجراح واتجهوا صوب روما. إلا أن أغلبية الجرحى سقطوا موتى على قارعة الطريق. ولفظت والدتان انفاسهما للغبة عاطفة الفرح عندما شاهدتا ولديهما يدخلان المدينة. =

مراسيم التشييع التكريمية، فقام ببحثٍ مضمّنٍ عنه، ولم يجده بين القتلى ولم يعرف مصيره. في المعركة السابقة التي جرت قرب [سُربيا] لم يستعمل القائد الذي كتب التقرير عنها، ولا المراسل الذي نقل نبأها، عبارات صريحة واضحة المفهوم<sup>(١٠)</sup>، ولم توصف بأكثر من معركة غير فاصلة تساوت فيها خسائر الطرفين. ولكن الأمر كان مختلفاً في هذه المعركة إذ ما أن وصلت أنبأها إلى البريتور [پومپونيوس Pomponius] حتى جمع الناس وقال لهم بصراحة دون أن يحاول التغطية والمواربة: «أيها الرومان! لقد عُلبنا في معركة عظيمة<sup>(١١)</sup>، القنصل فلامينيوس قد قتل، وعليكم أن تفكروا فيما يجب عمله لسلامتكم».

فكان كمن فتح بأنبائه باباً لريحٍ شديدة على البحر، فماجت المدينة وعمتها فوضى تامة. في هذا الموقف العصيب لم تجد أفكارهم شيئاً ثابتاً تستقرّ عليه. وابقظهم الخطر الداهم أخيراً، فهداهم تفكيرهم أفي اتخاذ قرار بتعيين [دكتاتور] قد يتمكن من تصريف الشؤون العامة بسلطة منصبه المطلقة، وبحكمته الخاصة وشجاعته، ووقع اختيارهم بالاجماع على [فابيوس]<sup>(١٢)</sup> الذي بدا خلقه جديراً برفعة المنصب، وعمره متقدم به إلى الحدّ الذي يمنحه الخبرة المنشورة، دون أن يجرده من النشاط وقوة العمل، وجسمه قادر على تنفيذ ما تختاره نفسه، وطبعه هو مزيجٌ منجانسٌ من الثقة والحذر.

بعد أن تُبِت فابيوس في منصب الدكتاتور، قام أولاً بتعيين [لوشيبوس مينوشيبوس Lucius Minucius]<sup>(١٣)</sup> قائداً للخيلة، ثم طلب من مجلس الشيوخ الأذن لنفسه بأن يوجه القتال في الميدان وهو ممتط حصانه. وهو ما كان محظوراً على القواد العسكريين الرومان بمقتضى قانون قديم. إمّا لأنهم يضعون كل قوتهم في مشاتهم، فيبقون قوادهم العامين معهم. وإمّا ليذكر القواد دائماً أنه مهما بلغت سلطتهم من الرفعة. فالشعب ومجلس الشيوخ ما زالوا أسيادهم، ومنهم يتلقون الأوامر والأذن. وعلى أية حال ففابيوس عمّد إلى احاطة نفسه بفصل كاملٍ من

= وسقط (فلامينيوس) صريعاً. جندله غالي يدعى [روكاريوس] بعد أن فتك بضابط ركنه الذي حاول عبثاً أن يحمي قائده.

(١٠) كتب سمپروتوس إلى مجلس الشيوخ معتذراً بسوء الطقس عن عجزه على تحقيق النصر (بوليبوس ٣).  
(١١) ليفي: المرجع نفسه ٧. يقول أن الأمر اليومي الذي أصدره الجنرال لم يكن يزيد عن هذه العبارة «أيها الرومان، أننا خسرنا معركة عظيمة».

(١٢) لا يمكن لأحد أن يتولى سلطات الدكتاتور أو يمنع هذا اللقب غير القنصل. ولما كان القنصل الباقي (سرفيلوس) على رأس جيشه فقد قام الرومان بتعيين [فابيوس] نائباً للدكتاتور [Prodictator] بمبادأة خاصة وسلطان وتجلي عرفان روما للجميل أنهم سمحوا لذريته من بعده بوضع لقب دكتاتور بدلاً من برودكتاتور ضمن قائمة القابه (ليفي ٢٢: ٨ و ٣١).

(١٣) بوليبيوس وليفي [المرجعان السالفان] يثبتان اسمه [ماركوس مينوشيبوس روفوس Marcus Minucius Rufus]. ولم يعينه (فابيوس) بل اختاره العموم.

الكتور قوامه اربعة وعشرون يلازمونه بمثابة حرس شخصي ليجعل سلطة واجبه أكثر ظهوراً وبروزاً، والشعب أكثر خضوعاً وطاعة. وعندما يأتي القنصل الباقي لزيارته يبعث يطلب منه صرف حرسه، مع [فاجيانهم] اي سلاحهم أي أن يتجرد من مظهر السلطة ليظهر أمامه شخصاً عادياً.

وأول عمل هام قام به بعد توليه منصب الدكتاتور، كان عملاً دينياً منسجماً تماماً مع الوضع: فقد أصدر بياناً تأنيبياً للشعب ذكر فيه أن هزيمتهم الأخيرة لم يكن سببها افتقار جنودهم الى الشجاعة بل الى إهمالهم شعائرهم الدينية عموماً. وحثهم على أن يطرحوا كل خوف من العدو ولم يفعل ذلك بقصد اشغال عقولهم بالاهام بل لرفع معنوياتهم واستخدام الشعور الديني لبث الشجاعة في نفوسهم وتقليل خوفهم من العدو، والايحاء اليهم بأن السماء تقف في صفهم وعلى هذا الأساس قرر استخارة النبوءات السريّة المعروفة «بكتب كيبيل»، فوجد فيها على ما قيل مختلف النبوءات التي تشير الى أحداث الزمن وتقلبات حظوظه، المقبلة ولكن يحرم عليه أن يكشفها للناس.

ومن ثم خرج الدكتاتور الى الشعب ونذر أمامهم قرباناً، يقدم فيه كل نتاج الموسم القادم في ايطاليا كلها، من بقرٍ وماعزٍ وغنمٍ وخنازير في الجبال والسهول وتعهد باقامة الاحتفالات والمهرجانات الموسيقية على أن ينفق عليها مبلغ حدّد بـ ٣٣٣ سسترتيا Sestertia و ٣٣٣ ديناربيوس وثلاث ديناربيوس<sup>(١٤)</sup> لا غير، وهو يعادل بعملتنا ٨٣٥٨٣ دراخماً وأبولين. ويصعب علينا معرفة السرّ في تحديد المبلغ بهذا الرقم، إلا اذا كان إكراماً للعدد «٣» لأنه أول الأعداد الوترية، وأول رقم يحوي بذات نفسه مصدراً للاعداد، وبكل الصفات التي تعود للاعداد عموماً.

وبهذه الوسيلة نفخ فابيوس في قلوب الشعب آملاً جديدة في المستقبل أذ جعلهم يوقنون ان الارباب تقف الى صفهم. أما هو فقد وضع ثقته في نفسه فحسب، مؤمناً بأن الآلهة لن تمنح النصر، وتنعم بالسعد إلا لمن يتحلّى بالبسالة وبعد النظر. وعلى هذا الأساس أنطلق فابيوس لمناجزة [هنيبعل] لا بنية التحرش به وجره الى معركة، بل بقصد اضعافه واتعابه بمرور الزمن. وكسب عنصر التفوق العددي والمادّي ومقابلته القلة بالكثرة، فكان يعسكر دائماً في الأراضي المرتفعة لثلاث تظاله خيالة العدو وبلاحقه بدون هواده ولا يدعه يغيب عن نظره، فإن سار لحق به وإن عسكر فعل مثله مع محافظته على مسافة كافية بينهما حتى لا يضطره خصمه الى

(١٤) الديناريوس عملة تساوي الدراخما ويعادل اربعة سيستيرتي Sestertii وبذلك يكون مجموع السيستيرتي ١/٣، ٢٢٢، ٢٢٤، ويتحويلة الى دراخما يصبح ١/٣ ٨٣٥٨٣ وهو ما يتفق مع النص.

خوض معركة. متخيراً دائماً والمرتفعات ليأمن صولة الفرسان. وهكذا لم يدع للعدو لحظة واحدة من الراحة وإبقاه دوماً في حالة انذار.

وأثارت خطة التأخير هذه في معسكر فابيوس شكاً في إقدامه. وكان هذا الشك في معسكر هنيبعل أكثر منه عند الرومان إلا أن [هنيبعل] كان الرجل الوحيد الذي لم تنطل عليه الحيلة ولم تفته براعة الخصم وخطته السوقية ولقد أدرك أن القرطاجينيين لن يتمكنوا من استخدام سلاحهم المتفوق إلا إذا أفلح في استدراج الجيش الروماني أو اضطره الى خوض معركة وان قواهم ستتناقص باطراد وستشع ارزاقهم بالتدريج ولن ينالوا من عدوهم فتياً. فعزم على أن يحبط تدابيره هذه بكل ما أوتي من حيل ومراوغة حربية. وان يستدرجه الى اشتباك، مثل مصارع عظيم الدهاء، يرصد كل فرصة لينال مسكة جيدة والتحاماً وثيقاً من خصمه. فمرة كان يهاجم، ومرة كان يحاول صرف انتباهه، وابعاده الى مختلف الجهات، مجاهداً بكل وسيلة لاغرائه بالتخلي عن خطته المأمونة. ولم يكن لكل هذه الحيل اي تأثير على تصميم الدكتاتور، وأصراره. إلا أن الجندي البسيط لم يكن يرى في خطة فابيوس طعماً أو جدوى. بل تعدى هذا الاستحفاف الى أمر الخيالة نفسه، فمينيوشيوس التواق الى قتال مبسّر، الجريء الوثاق من نفسه كان قبلة انظار الجنود، وقد عمل هو نفسه الى بث الحماسة الهوجاء في نفوسهم وملئها بالأمال الجوفاء التي كانوا ينفسون عنها بتوجيه قارص اللوم الى فابيوس. وأطلقوا عليه لقب «مرافق هنيبعل»<sup>(١٥)</sup> لأنه لم يكن يفعل شيئاً خلا متابعته غدوةً ورواحاً والقيام بانتظاره، ثم راحوا يعلنون قائلين ان [مينيوشيوس] هو القائد الوحيد الذي يليق بقيادة الرومان، وهذا ما ملأه فخراً، وإعجاباً بنفسه حتى أخذ يتناول ساخراً من اختيار فابيوس معسكرات جيشه في شعاب الجبال، قائلاً أنه ليُجلسهم فيها كأنما هم في ملعب مدرج، ليشهدوا منها النيران تأتي على بلادهم والدمار يعمها. وفي بعض الأحيان كان يسأل أصدقاء فابيوس: هل يقصد صاحبهم بنقلهم من جبل الى آخر، أن يرتفع بهم الى السماء بالاخير لعدم وجود أمل لهم في الأرض؟ أم يقصد أخفاءهم في طيات السحب عن جيش هنيبعل؟ فينقل أصحابه الحديث الى الدكتاتور ويحاولون إقناعه بضرورة الاشتباك وبالعدو إجتناً للاستنكار العام. فيجيبهم بقوله: «لأكونن أجبن مما يصورونني لو أنني تخلت عن فكرتي الخاصة خوفاً من ملامتهم التافهة. ولست أجد عيباً في أن يتملك المرء خوف على سلامة بلاده؛ لكن من يحميد عن السبيل الذي أعتزمه نزولاً عند رأي آخر، أو خشية توجيه

---

(١٥) ذلك لأن وظيفة الپيداكوكي منذ القديم وكما يدل عليه الاسم هو رعاية الاطفال في نزهاتهم القصيرة والعودة بهم الى البيت.

اللوم اليه، أو خوف اساءة فهم مقاصده، فهذا غير جدير بمنصب كمنصبي. ويسلوكه هذا يجعل من نفسه عبداً رقيقاً لأولئك الذي كان واجبه تصحيح اخطاءهم وتقويم اعوجاجهم».

ثم سرعان ما ارتكب هنيبعل خطأ كبيراً. أراد ان تستجّم خيول جيشه في اراضٍ جيدة المرعى، والابتعاد بجيشه الى مسافة تخرجه عن رقابة خصمه فأمر ادلاءه بأخذه الى اقليم [كاسينوم Casinum] (١٦) وأوهمهم سوء نطقه بالأسم أنه يريد [كاسيلينوم Casilinum] التي يمر من وسطها نهر [لوثرانوس Lothronus] (يطلق عليه الرومان اسم فلتورنوس Volturnus) وكانت أراضيها تكتنفها الجبال وليس من منفذ فيها غير الوادي الذي يجري فيه هذا النهر الى البحر فيصب في ساحل وعمر جداً غير مأمون - مخلفاً وراءه أراضي سيخة كثيرة المستنقعات وضافاً رملية عميقة الغور. وتمكن فابيوس لمعرفة بالمسالك والطرق - من الاستدارة بجيشه والوصول الى المنطقة قبل هنيبعل، ووضع نخبة من فرقة قوامها أربعة آلاف مقاتل في مدخل الوادي واقفله. ثم تمركزت بقية الجيش في التلال المجاورة، وأتخذت مواقع مستحكمة، وانتقى وحدة تحمل أخف الأسلحة وأرسلها لمهاجمة مؤخرة [هنيبعل]، وكان نجاحها كبيراً فقد عزلت ثمانمائة من رجاله وأوقعت الفوضى في كل جيشه. ولما أدرك هنيبعل غلظته، وتبين الخطر الذي أهدق به أمر بالادلاء فصلبوا حالاً، ونظر فرأى العدو يحتل أفضل المواقع وامنعها وان الأمل باختراق جبهته معدوم، في حين أخذ الرعب واليأس يتسربان الى نفوس جنوده وسرى الاعتقاد فيهم بأنهم محاطون بطوق محكم يصعب جداً الخلاص منه.

إلا أن هنيبعل لم يقنط في حالته هذه، ولجأ الى حيلة بارعة. أمر بشدّ مشاعل، في قرون ألفين من ثيران معسكره شدّاً محكماً ثم أشعلها عند حلول الليل وأمر ان تساق الحيوانات نحو المرتفعات المشرفة على المر في بطن الوادي، ونحو مواقع العدو. وجعل جيشه يسير الهونا في الظلام خلف قطعان الثيران. وكانت الماشية في مبدأ الأمر تسير بخطى منتظمة بطيئة وتبدو والمشاعل في رؤوسها اشبه بجيش يزحف في الليل، وتشير الدهشة والعجب في نفوس الرعاة وأصحاب المواشي في التلول المجاورة. وعندما بلغت النار جذور قرونها جن

(١٦) إجتاح هنيبعل سافينوم وأكتسح إقليم بينيفنتم وهو مستوطنة رومانية والقي الحصار على تيليسيا وهي مدينة تقع على سفح جبال الإپنين. لكنه وجدان عملياته هذه لم تقدر في حمل (فابيوس) على تغيير خطته. فقرر استخدام طعم أكثر اغراء وهو دخول كامبانيا أخصب سهول ايطاليا واجتياحه امام سمعه وبصره لعل ذلك يدفعه الى الاشتباك في معركة. كما أن احتلال كاسينوم سيحول دون ارسال فابيوس نجدات لطفائه. إلا أن الخطأ الذي نوه به بولتارخ في النص. جعل ادلاءه يأخذونه لا الى سهول (كاسينوم) بل الى خانق كاسيلينوم Casilinum الضيق الذي يفصل سافينوم عن كامبانيا. ويخبرنا ليقي (١٣:٢٢) ان رئيس الادلاء جلد وصلب فحسب وهو أكثر احتمالاً لأن هنيبعل لم يؤثر عنه التسرع والاسترسال في الحقن الى حدّ السخف وحرمان نفسه من خدمات الادلاء الآخرين.

جنونها وراحت تعدو هائجة وقد أعماها الالم وتفرقت شذر مذر تهز رؤوسها هزاً عنيفاً فتنشر النار حوالها وتشعل اللهب في الأشجار التي تمرق من بينها. وكان منظرها مفاجئاً لفصائل الحراسة الرومانية على المرتفعات. عندما راؤوا اللهب الذي راؤه كأن مصدره رجال يزحفون بالمشاعل شاع القلق فيهم معتقدين بأن العدو يتقدم نحوهم من عدة جهات وانهم مطوقون. فتركوا مواقعهم وخلفوا الممر وأسرعوا يلوذون بمعسكرهم على التلال. وما أن تم انسحابهم حتى قامت وحدات مشاة هنيبعل الخفيفة حسب أوامره باحتلال المرتفعات، وبعد زمن وجيز وصل الجيش كله باثقاله وسار مجتازاً الممر آمناً.

قبل يمضي الليل كله أكتشفت فابيوس الخدعة اذ وقع بيده واحدٌ من تلك الثيران، وأبقى جنوده طوال الليل مستعدين بسلاحهم خشية من كمينٍ في الظلام. وما أن انبلج الصبح حتى شرع في مهاجمة مؤخرة العدو وكادت الاشتباكات التي حصلت جراء ذلك في الأراضي الوعرة توقع الخلل والفوضى العامة في جيش هنيبعل لو لم يفصل من مقدمة جيشه وحدة اسبانية، أشتهر رجالها بمهارتهم في تسلق الجبال فضلاً عن خفتهم وسرعة حركتهم. فأندفعوا نحو الجنود الرومانيين ذوي السلاح الثقيل وقتلوا منهم عدداً كبيراً وبذلك أعجزوا [فابيوس] عن استمراره في مطاردتهم وأجبروه على التوقف. وهذا ما أرى الى السخط الشديد على الدكتاتور وازدياد السخرية به وقالوا: لقد غذا الآن جلياً أن نقصه عن خصمه لا يقتصر على الشجاعة والأقدام فحسب، بل على بعد النظر واصالة الرأي وحسن القيادة وهي المزايا التي وعد أن ينهي بها الحرب.

وعمد هنيبعل الى رفع سخطهم عليه، بزحفه الى المناطق القريبة من ممتلكات فابيوس الخاصة وأراضيه وأمر فعات جيشه حرقاً وتدميراً بكل ما يحيط بها، محظراً أيهم أن يمسوا أملاك خصمه بأدنى ضرر، بل ووضع حرساً عليها، فكان تأثير عمله على الجمهوري الروماني كما توقع ونُقلت انبأؤه الى روما. فاشاع التريبونات عليه آلاف الحكايات المخزية، بتحريك وتحريض من [ميتيليوس Metilius] خاصة، ولم يقد بهذا مدفوعاً بحقده على فابيوس، قدر ما كان بدافع صداقته لقرينه [مينوشيوس]. اذ كان يعتقد أن الخط من سمعة فابيوس سيرفع من شأن صديقه. وكان مجلس الشيوخ مستاءً من فابيوس أيضاً، الاتفاق الذي عقده مع هنيبعل على تبادل الأسرى، وكانت الشروط تنص على أن الفريق الذي يبقى له عدد من الأسرى بعد عملية تبادل رجل برجل، فانه يفتدى بمبلغ مائتين وخمسين<sup>(١٧)</sup> دراخماً للرأس

(١٧) ليقي (٢٢:٢٢) يصف هذه العملية بـ *Ardenti Pondo bina et Selibras in militem* ومن هذا صرنا نعلم ان الپوندو Pound الروماني يعادل وزناً مائة دراخما يونانية أو (مينا) واحدة. إن عدد فضاله =

الواحد. وعلى هذا بقي مائتان وأربعون رومانياً بعد التصفية ولم يكتف مجلس الشيوخ برفضه المصادقة على مبلغ الفدية، بل وجه اللوم لفابيوس على الاتفاق باعتباره غير لائق بشرف الجمهورية ولا متفقاً مع مصلحتها. لأن هذا من شأنه أفتداء رجال أوقعه جنبيهم في قبضة العدو. وسمع فابيوس كل هذا وأحتمله بصبر لا ينفد ولم يكن في حوزته مال، كما أنه كان مصراً على الإيفاء بعهده لهنيبعل وأستخلاص الأسرى، فبعث بأبنة الى روما لبييع ارضاً له ويأتيه بثمنها الكافي للفدية. ففعل ابنه ما أمر به ودفعت الفدية وسلم الأسرى الذين أبدى معظمهم استعدادة لدفع نصيبه من الفدية الى فابيوس فرفض العروض رفضاً باتاً.

وفي حدود ذلك الزمن استدعاه الكهنة الى روما للمشاركة في قربان معين، بمقتضى واجبات وظيفته، فأضطر الى ابداع قيادة الجيش الى [مينوشوس] وقبل أن يرحل لم يكتف بمعاملته معاملة القائد العام بل أخذ يرجوه متوسلاً بالأ يشتبك في معركة مع هنيبعل اثناء غيابه. لكن أوامره ورجاءه ونصحه ضاعت كلها في [مينوشوس] إذ ما أن ولأه ظهره حتى بدأ يبحث عن فرص لمهاجمة هنيبعل، ووردت اليه ابناء عن إرسال العدو جماعات كبيرة للنهب والسب فلاحق فصيلة منها وأوقع بها مقتلة عظيمة وطرد البقية الى معسكرتها مشيعاً الرعب في الآخرين الذين أحسوا بوطأة العدو حين أخترق صفوفهم. إلا أن هنيبعل عندما سحب كل قواته المتفرقة الى داخل المعسكر قام مينوشوس بتقهقر منظم دون ان تلحقه خسارة<sup>(١٨)</sup>. وكان نجاحاً زاد من خيالاته وتهوره، ملأ جنوده، بثقة عالية مندفعة وانتشرت الانباء في رومه. وقال [فابيوس] عندما أبلغ بذلك: إن أخوف ما يخافه هو نجاح [مينوشوس] إلا أن حماسة الشعب كانت عظيمة، دفعت بهم مسرعين الى [الفورم] ليستمعوا الى خطاب التريبيون [ميتيلوس]، مدح فيه [مينوشوس] واشاد ببسالته، وبلغ بها أعلى عليين وهاجم [فابيوس] هجوماً عنيفاً واتهمه لا بالافتقار الى الشجاعة وحدها، وانما الى الاخلاص. وليس هو وحده بل كثير من الرجال البارزين وعظمائهم. قائلاً هؤلاء هم الذين جاؤا بالقرطاجيين الى ايطاليا، وغايتهم سحق حرية الشعب وأستقلاله، ولهذا السبب بادروا فوراً الى وضع السلطة العليا في يد شخص واحد، قد يُعطى بطنه وتأخره، وقتاً كافياً لهنيبعل، حتى يسيطر على ايطاليا، ويمنح أهل قرطاجنة الوقت والفرص لامداده بنجدات جديدة حتى يكمل فتوحه.

= الأسرى الرومان هو ٢٤٧ بحسب زعم ليثي ومع هذا فإنه يختلف عن بلوتارخ في قول الأخير انه مجلس الشيوخ ابي دفع فديتهم. فيقول انما اجل الدفع فحسب.

(١٨) عن ليثي (٢٤:٢٢) انه خسر خمسة آلاف، بينما لم تكن خسارة العدو تزيد عن هذا بأكثر من ألف.



وتقدم فاييوس الى المنبر وليس في نيته الردّ على التريبيون، وانما ليقول فحسب: بأنه يلزم الاستعجال في تقديم القربان ليسرع في العودة الى الجيش ومعاقبة [مينوشيوس] الذي عمد الى القتال خلافاً لأوامره. فملأت كلماته نفوس السامعين بالاعتقاد بأن حياة [مينوشيوس] هي في خطر لأن الحكم بالموت والسجن هما من سلطات الدكتاتور ولأنهم كانوا يخافون أن يكون فاييوس الوديع الخلق عادةً، صعب التهذئة عند استشارته، قدر ما كان يصعب إثارتة. ولم يجسر أحد على رفع صوته بالإحتجاج. إلا [ميتيليوس] الذي كان منصبه يمنحه الحصانة ليقول ما يشاء (في فترة سيادة الحكم الدكتاتوري، تبقى لهذه الحاكمية سلطتها ولا تُلغى) فقد ابدى للشعب بجرأة مدافعاً عن [مينوشيوس]، مستصرخاً الجمهور بالأعمال التي يعمل فيها قرباناً لعداوة فاييوس، ولا يسمح بالقضاء عليه مثل ابن [مانيليوس توركاتوس Manlius Torquatus] (\*) الذي أحتزّ أبوه رأسه لنصر قاتل في سبيله وريح معركته، خلافاً لأوامره مع انه تكلم بالفار. وأخذ يحثهم على سحب السلطات الدكتاتورية من فاييوس، ووضعها في يد أجدر وأقدر وأكثر استعداداً لاستخدامها في مصلحة البلاد. ومع أن هذه الملاحظات خلفت في النفوس تأثيراً كبيراً إلا أنها لم تبلغ حدّ عزل فاييوس من منصب الدكتاتور، لكنهم رسموا أن يكون [لمينوشيوس] سلطة معادلة لسلطة الدكتاتور في ادارة دفة الحرب. ولم يكن لهذا سابقة في حينه<sup>(١٩)</sup>، إلا انه طبق بعد زمن قليل على الهزيمة في [كاني Cannae] فعندما الدكتاتور ماركوس جونيوس يقود الجيش اختاروا في روما [فابيوس بوتيو Fabius Buteo] دكتاتوراً، ليعين شيوخاً جدداً يأخذون امكنة الشيوخ العديدين الذين قتلوا. ولكن ما أن أكمل املاء الشواغر بالعدد الكافي، وبصورة علنية، حتى أستغنى عن حرسه من [اللكتور] وانسحب مع كل بطانته ومضى في تصريف أعماله في الفورم بكلّ هدوء مختلطاً بالناس كأى فردٍ بسيطٍ.

وظنّ أعداء فاييوس أنهم حقروه وسحقوا كبرياءه سحقاً كافياً برفع [مينوشيوس] الى درجة مساوية له. في السلطان. إلا أنهم أخطأوا وجهلوا خلق الرجل. فثم يعتبر حمتهم هذا خسارة له. بل كان مثل [ديوجينيس] الذي قيل له أن بعضهم «يهزأون له» فأجاب «لكني لست مهزأة» وقصده من هذا أن المهانين حقاً، هم أولئك الذين تحدث الإهانة فيهم أثراً. وهكذا كان الحال بفابيوس فقد رضح بهدوء عظيم وعدم مبالاة لما وقع. وقدم برهاناً للفكرة الفلسفية وهي أن الإنسان الصالح المستقيم غير قابل للتحقير. على أن حنقه الوحيد كان متأتياً من خوفه أن

(\*) خالف الابن الأمر القنصلي واشتبك مع العدو الاثيني في نزال فردي، في المعركة الكبرى على قمة جبل

شيزوفويس ٣٤٠ ق.م.

(١٩) يخبرنا ليفي بان مقترح المرسوم هو ترنتيوس فارو، الذي ساعد سمعته كثيراً بهزيمته في (كاني).

يؤدي هذا القرار الأخرق، الى خسارة قضية البلاد، باتاحة الفرصة لمرض الطموح العسكري المزمع في مرزوسه، ولكيلا يؤدي تهور [مينوشسيوس] الى تورطه في مأزق، عاد الى الجيش بأقصى السرعة واتم السرية.

فوجد [مينوشسيوس] مزهواً مرتفع المعنوية بمنصبه الجديد، حتى انه لم يرض بالسلطة المشتركة وطلب ان تكون قيادة الجيش العامة بالمناوبة، يومٌ له ويوم لفابيوس. فرفض فابيوس طلبه وأقترح قسمة قطعات الجيش وعلته في هذا ان القائد المنفرد أقدر على قيادة قطعاته العسكرية الخاصة وبهذا تسلم الفرقتين الأولى والرابعة. وأختص [مينوشسيوس] بالفرقتين الثانية والثالثة، وقسماً القوات الاحتياطية بينهما بالتساوي.

وبالتعظيم الذي ناله [مينوشسيوس] لم يعد يصبر عن التباهي بنصره، عن طريق الازدراء بالمنصب الرفيع والسلطان القوى أعطي الذي منصب الدكتاتور. وذكره فابيوس بأنةً ولين، أن الخصم الذي يقارعه هو هنيبعل لا فابيوس، ولكن ان قضت الضرورة عليه أن ينافس زميله، فخبر منافسه له هي في مثابرتة واهتمامه بالمحافظة على روما لثلاً يقال: رجل أصفناه الشعب وخصه بثقتة، كانت خدمه أسوء وأقل شأناً من رجل أساء الشعب معاملته واذله.

ولكن القائد الشاب المستخف بهذا التأنيب، المزدري بالنصح باعتباره تواضع الشيخوخة الكاذب، ارتحل بقواته حالاً وعسكر وحده<sup>(٢٠)</sup>. ولم يكن هنيبعل غافلاً عن هذه الأحداث، وانما يرض وأخذ يتحين فرصته منها. واتفق أن كان بين جيشه وبين [مينوشسيوس] نشزٌ من الأرض، بدأ له موقعاً مفيداً يمكن انشاء مواضع فيه، وكانت الحقول المحيطة به تبدو من بعيدٍ مستويةً متطامنة وان ملأتها الوهاد والتضاريس الوعرة والوديان غير الظاهرة للعين وكان من أسهل الأمور على هنيبعل حيازة هذه الأراضي لو شاء، إلا أنه أراد أن يجعلها طعماً، أو فخاً يقتاد به الرومان الى اشتباك في الموسم الملائم. فلما انفصل [مينوشسيوس] عن [فابيوس] رأى الفرصة مواتية لغرضه، ولذلك عمد الى وضع عددٍ كافٍ من جنوده في تلك المغاور والأخاديد ليلاً<sup>(٢١)</sup>، ثم أرسل في الصباح الباكر وحدة صغيرة، تقدمت حتى أصبحت على مرأى من [مينوشسيوس] وبدأت تحتل نشز الأرض، فابتلع مينوشسيوس الطعم كما توقع، ودفع أولاً بوحداته الخفيفة، ثم اتبعها ببعض الخيالة لطرد العدو، وأخيراً لما شاهد هنيبعل بشخصه يزحف لمعاونة رجاله، تقدم بنسق المعركة، بكلّ قواته والتحم بالقوات المسيطرة على المرتفع

(٢٠) هنا يختلف ليقي مع بلوتارخ احتلافاً جوهرياً بقوله ان الفرقتين الأولى والرابعة كانتا مناطتين بـ(مينوشسيوس) في حين اودعت قيادة الثانية والثالثة الى (فابيوس). على ان (بوليبوس) يخالف الاثنتين هذا وقد كانت المسافة بين المعسكرين حوالي الف وخمسمائة خطوة.  
(٢١) خمسمائة فارس راجل (بوليبوس ٣).

وصد لمقدوفاتهم، وظلت المعركة زمناً متوازنة، ولكن ما أن تأكد هنيبعل أن الجيش العدو كله قد تقدم مسافة كافية في تلك السهول الوعرة المتعادية ودخل في الفخاخ التي نصبها بحيث أصبح ظهره مكشوفاً لرجاله الكامنين في المغاور والأخاديد، حتى أعطى الإشارة فبرزوا من مخابئهم واندفعوا يهاجمون مؤخرة مينوشيوس من كل جهة وهم يصيحون صيحات مرعبة. وكانت المفاجأة عظيمة والمقتلة أعظم، وأصاب الجيش الروماني فوضى عامة وأختلت صفوفه. وفقد [مينوشيوس] ثقته بنفسه وأخذ ينقل ابصاره من ضابط الى آخر. فوجد الجميع غير مستعدين لمواجهة الخطر على السواء. يميلون الى الفرار، ولم يكن الفرار مأموناً كذلك، لأن الخيالة النوميديين Numidia كانوا قد أنتشروا في ارجاء السهل يجرون اذبال النصر، وهم يعقبون المنهزمين ويمزقونهم تمزيقاً.

لم يكن فابيوس يجهد الخطر المحدق ببني قومه. وقد أدرك ماذا سيحدث جراء تهور [مينوشيوس] ومكر هنيبعل لذلك أبقى رجاله في حالة الإنذار وسلاحهم بأيديهم متأهبين لتعاقب الأحداث. كما أنه لم يضع ثقته في تقارير الآخرين وإنما راح يستطلع هو بنفسه كل ما حدث على رأس جيشه، فلما وجد جيش [مينوشيوس] يحيط به العدو وإن التنقلات الأرضية ومظاهر القتال تدل على أنهم أقرب الى الهزيمة منهم للصدود ضرب منكبه بكفه<sup>(٢٢)</sup> وأطلق تنهيدة عميقة وقال لمن حوله «ايه يا هرقل! لكم كان [مينوشيوس] أسرع الى تدمير نفسه مما توقعتم وإن بدأ الأمر أبطاً مما اراد هو!». ثم أمر حامل الراية بالتقدم الى الامام وسار الجيش خلفه، وهو في الطليعة يحثهم قائلاً «علينا أن نسرع لانقاذ مينوشيوس الباسل المحب لوطنه وإذا كان قد تعجل في قتال الاعداء، فسنحدث اليه عن هذا في وقت آخر».

وهكذا صال فابيوس على العدو وهو في الطليعة وطهر السهل من النوميديين بالأول، ثم انقض على الوحدات التي تهاجم مؤخرة الرومان وأباد كل من وقف في سبيله واجبر فلولها على التقهقر السريع انقاذاً لحياتها ولثلاث تكون حالها حال الرومان المطوقين. ولما رأى هنيبعل رجحان الكفة السريع، وفابيوس يشق طريقه صعداً، نحو المرتفع بين صفوف الجند، غير مبال بالجهد الذي تتحمله سنه المتقدمة، وأنه قد يتمكن من الانضمام الى [مينوشيوس]، نكص على أعقابها وأطلق بوق التقهقر وسحب قواته الى معسكرهم، ولم يكن الرومان بأقل رغبة منهم في الارتداد سالمين. وقيل أن هنيبعل قال لأصدقائه مستندراً بهذه المناسبة: «ألم أقل لكم أن هذه السحابة<sup>(٢٣)</sup> التي كانت تحوم دائماً فوق الجبل ستنقض علينا بعاصفة، إن عاجلاً أو آجلاً؟»

(٢٢) ينوه هوميروس بعادة ضرب الفخذ بالكف في ساعة الخطر أو المفاجأة ويضرب الجبين بالكف بدلاً من الفخذ أحياناً.

(٢٣) يورد ليفي قول فابيوس بهذا النص: =

وَأَب فاببيوس الى معسكره بعد أن جمع رجاله الأسلاب من ميدان القتال. دون أن يوجه كلمة لوم، أو عبارة قاسية لزميله. وجمع [مينوشيوس] أفراد جيشه معاً وخاطبهم بقوله:  
- قيادة جيش عظيم بلا خطأ، أمرٌ يفوق طاقة البشر، لكن التعلم من الاخطاء والاعتاض بها، هو مما يليق بالرجل العاقل الصالح. قد تحملني اسبابٌ معينة على الشكوى من الأقدار لكن لدي أسباباً أكثر منها تحملني على شكرها، ففي ساعات معدودات أصلحت خطأً طويل اللبث مزمناً، وعلمتني بانني غير جدير بقيادة الآخرين، بل محتاجٌ الى ان يقودني الآخرون. كما علمتني بالأ نحاول التفوق على من كان العمل برأيهم فائدة لنا. لذلك سيكون الدكتاتور قائداً لكم في كل الأمور، أما أنا فيقائي علي رأسكم الآن، يحدوني اليه اظهار امتناني له ليس الأ، ولأكون أول من يطيع أمره».

وبعد أن فرغ من كلامه أصدر أمراً بتقدم كل النسور الرومانية وان يتبعه كل رجال جيشه الى معسكر [فاببيوس]. وجمد الجنود ذاهلين لطرافة المنظر عندما دخل، وعلتهم الحيرة والشك في الغرض من هذه المظاهرة، ولما دنا من خيمة الدكتاتور خرج هذا لاستقباله، فأسرع [مينوشيوس] وألقى براياته تحت قدميه ونادياً آياه بيا أبي! بصوت مرتفع. بينما حياً جنوده، زملاءهم في المعسكر كما يحيون الأسياد المحسنين وهي التحية الواجبة على العبيد المعتوقين لأولئك الذين انالوهم حريتهم. وبعد ان هدأت الضجة وساد الصمت انشأ [مينوشيوس] يقول:  
- لقد أحرزت أيها الدكتاتور نصرين في هذا اليوم، أحدهما نصر على هنيبعل وكان سبيلك اليه بسألتك وحنكك، والنصر الثاني على زميلك، وكان سبيلك اليه حكمتك وطيبتك بالنصر الأول انقذتنا وبالنصر الثاني ثقفتنا. وعندما كان يجللنا عار الهزيمة على يد هنيبعل جاءت هزيمة أخرى له على يدك فاعادت الينا شرفنا وسلمت ارواحنا. واني لا أجد أسماً اناديك به أعزّ وانبل من اسم الأب المشفق. وان كانت بركة الأب لا تداني ما حبوتني به. من أب ظفرت وحدي بنعمة الحياة. واليك انا مدين ليس بها وحدها، بل بحياة كل من هم تحت أمرتي.

ثم أنه ألقى نفسه بين ذراعي الدكتاتور. وفعل افراد الجيش كذلك بعضهم ببعض وهم مسرورون والدموع تجول في أعينهم.

لم يمرّ طويل زمن على هذا، حتى أعتزل فاببيوس منصب الدكتاتور وأعاد الحكم للقناصل<sup>(٢٤)</sup>. وطبق من خلفه أسلوبه في ادارة الحرب. وأجتنبوا كلّ التحام بهنيبعل في

. Non Celerius Quam Timui, Depehemit Fortun a Temeritatem =

(٢٤) ليقي (٢٢:٢٢) استعفى (فاببيوس) من منصب الدكتاتور بعد انقضاء الأشهر الستة وسلم القيادة الى =

معركة فاصلة. وقصروا مجهودهم على أمداد حلفائهم بالمساعدات، والمحافظة على المدن والحيلولة دون سقوطها بيد الأعداء. ثم تولى القنصلية [تيرنيتوس فارو - Terntius Varro] (٢٥) بعد زمن، وهو رجلٌ مجهول النسب خامله، إلا أنه جري، مقدام يتمتع بشعبية كبيرة، وبدأ واضحاً أنه مزعم على توريط البلاد كلها في مخاطر جسيمة بتهوره وجهله. فقد راح يوالي الخطب في المجالس قائلاً: مادامت روما تعهد بقيادة جيوشها الى امثال فابيوس فلن تكون للحرب نهاية. وأخذ يتبجح بقوله أنه سيحرر أرض إيطاليا من قبضة الأجنبي في اليوم الذي يقع نظرة على العدو. وبهذه الوعود التي بذلها ونادى بها، إمكنه ان يعييء أعظم جيشٍ جردته روما لقتال. فقد جند فيه ثمانية وثمانين ألف مقاتل (٢٦). إلا أن ما كان يوحى بالثقة لعامة الشعب، كان من جهة أخرى يصيب العقلاء المجرمين بالعرب وليس فيهم أكثر خوفاً من فابيوس. فلو قُدِّر لهذا العدد الضخم من زهرة شباب الرومان أن يباد في القتال، لضاع كل أمل في سلامة روما، إذ لا احتياطي آخر لها غيره. وعلى هذا الأساس راجعوا القنصل الثاني [إيميلوس پاولوس Aemilius Paulus] وهو رجل ذو تجارب عظيمة في الشؤون الحربية إلا أنه لا يتمتع بشعبية، فضلاً عن شدة خوف فيه من الجماهير، تولد عن إدانتها له لمخالفة ما أرتكبها (٢٧). فحكم ولذلك كان بحاجة الى التشجيع ليحد من اندفاع زميله الأهورج. قال له فابيوس؛!

- إن شئت أن تؤدي الى بلادك خدمة نصوحاً وتكون نافعا لها، فعليك أن لا تكون أقل معارضة لاندفاع [فارو] الأحق من يقظة هنيئيل المستوفزة. لأن كلاهما اتفقا على تقرير مصير روما بمعركة حربية. والأجدر بك والأقرب الى العقل أن تصدقني أكثر مما تصدق [فارو] في كل ما يتعلق بهنيئيل، عندما أقول لك: انه اذا أمتنعت خلال هذا العام عن قتاله. فيما سيهلك جيشه من تلقاء نفسه، وأما سيكون مسروراً للرحيل بمحض

---

= قنصلي تلك السنة [سرفيوس] و[اتيلوس] والآخر حل محل [فلامينيوس] الذي صرع في ثراسيمي. وبلوتارخ يقتضي خطي [پوليبيوس] في سرد هذه الاحداث.

(٢٥) ابن قصاب، ورث مهنة ابيه في شبابه لكنه أغتنى فعاف حرفته الحقيمة واستجلب قلوب الجمهور بدعم أكثر التريبونات فوضويةً وحباً للشغب وبهذا الاسلوب وصل الى منصب القنصلية (ليفي ٢٢:٢٦).

(٢٦) جرى العرف الروماني على تجنيد اربع فرق عسكرية كل سنة. في الاوقات العصيبة والازمات تؤلف الفرقة الواحدة من خمسة آلاف راجل روماني وثلاثمائة فارس وكتيبة لاتينية واحدة بعدد متساو من المشاة وضعف العدد من الخيالة. ويبلغ المجمع الكلي لقوة هذه الفرق البشرية ٤٣.٠٠٠ مقاتل. إلا أنهم جندوا بهذه المناسبة ثمانتي فرق بدلاً من أربعة. أما ليفي فيكتفي بالقول ان القوات المجددة كانت ضخمة جداً.

(٢٧) كان هو واخوه قد حققا نصراً على الليرييين واخضاهم لكنهما اتهما بالتحيز في تقسيم الغنائم، أو كما يقول [اوريليوس فكتور] باختلاس الأموال العامة. وثبت عليهما ذلك وفرضت عليهما غرامة كبيرة وكانت غرامة اميلوس أقل (ليفي ٢٢:٢٥).

اختياره. ويظهر هذا بجلاء من نفور البلاد والمدن الايطالية كلها من محالفته، وان جيشه الآن يكاد لا يبلغ ثلث ما كان عند أول مجيئه، ودعك من كل الانتصارات التي أحرزها. فأجاب [پاولوس] على هذا [كما ذكر بعضهم]:

- لو اني أخذت شخصي فحسب بنظر الإعتبار لفضلت تعريض صدري لاسلحة هنيبعل عن تعريضه مرة أخرى لقضاء بني قومي الذين هم شديد والرغبة فيما لا توافقون عليه. ومع هذا، ومادام مصير روما في كفة القدر، فالأحرى بشخصي وخلقي أن أرضي وأطيع [فابيوس] ولو أجمع علي الثقلان والعالم كله.

هذه التدابير السديده، هزمتها لاجاة [فارو] وتسرعته فعندما خرج القنصلان معاً لتسلم قيادة الجيش لم يتوصل الى حل غير القيادة المنفصلة اي أن كل قنصل يتناوب القيادة يوماً<sup>(٢٨)</sup>.

وبحلول يوم [فارو] في القيادة أختار موضع الجيش بمواجهة هنيبعل في قرية تدعى [كاني] Cannae<sup>(٢٩)</sup> بالقرب من نهر [اوفيدس Aufidus]. وانتهاز أول يوم آخر لقيادته فنشر العباءة القرمزية فوق خيمته وهي اشارة المعركة. وأفزعت القرطاجيين تلك الجرأة، وتفوق العدو العددي الذي ناهز الضعف. إلا أن هنيبعل أمر بالتأهب واعتداد السلاح وخرج مع بطانة قليلة للإستطلاع ومتابعة تحركات العدو وهو ينظم صفوفه للمعركة من مرتفع لا يبعد كثيراً عنهم. وانبرى [غيسكو Gisco] القرطاجني (وهو من اتباعه المساوين له في المقام) يقول: إن عدد جيش العدو مدهش فأجابه هنيبعل بلهجة جد لا أثر منها للمزاح: «هناك يا غيسكو شيء واحد إدعى الى الدهشة، غاب عن ملاحظتك» ولما سأله غيسكو عمًا هو؟ قال: «في كل هذه الجموع الزاخرة أمامنا لا يوجد شخص واحد اسمه غيسكو» وأغرقت السرية كلها في الضحك لهذه المزحة غير المنتظرة من قائدهم. وعندما هبطوا من المرتفع ونقلوها لمن لقوه فكان الضحك عاماً متواصلاً، لا قبل لهم بوقفه، ولما شاهد الجيش حاشية هنيبعل تعود من مهمة الاستطلاع وهي مغرقة في الضحك والمزاح، استنتج أنه دليل على الازدراء العميق بالعدو. وأن ضعفه هو الذي جعل قائدهم في تلك الساعة منشرج المزاج.

(٢٨) يقع بلوتارخ في خطأ. فقد كانت القاعدة الأصولية عند الرومان ان القناصل يتناوبون قيادة الجيش اثناء ما يكون الاثنان في الواجب عينه (بوليبوس: ٣).

(٢٩) يقول [ليفي واپيان وفلورس] ان [كاني] هي قرية حقيرة خاملة اشتهرت للمعركة التي جرت قريباً منها. إلا أن بوليبوس الذي عاصر الحروب الفيونيه يصفها بالمدينة قائلاً انها دمرت قبل سنة واحدة من اندحار الجيش الروماني. وفي هذا يوافقه سيليوس ايتالكوس، بعد ذلك اعيد بناؤها اذ ان [بليني] يصفها بين مدن [ابوليا]. وما تزال خرائبها شاخصة حتى يومنا هذا بالقرب من مدينة [باري].

وكعادة هنيبعل، لجأ إلى الحيلة والستراتيج للفادة من الموقف. ففي المقام الأولى، نظم صفوف رجاله بحيث يكون مهبّ الريح<sup>(٣٠)</sup> من خلفهم وكان اتجاهاها في ذلك الوقت نحو الانقلاب إلى عاصفة هوجاء تامة تكتسح السهول الرملية العظيمة وتحمل باندفاعها سحابة من الغبار فوق الجيش القرطاجني وتلقى بحملها في وجه الرومان، فتلحق بهم أذى عظيماً وتعوقهم في القتال كثيراً، وعمد في المقام الثاني إلى وضع خيرة رجاله في الجناحين. أما القلب فقد وضع فيه اسوء وحدات جيشه واضعفها. وأوصى الجناحين بتطبيق الخطة التالية: عندما يقوم العدو بهجوم كاسح على قلب الوحدات المتقدمة التي يعلم انها ستتهقر لعجزها عن احتمال الصدمة وعندما يتقدم الرومان في مطاردتهم ويكونون مشتبهين بالقتال على مسافة كافية ما بين الجناحين. فعلى الميمنة والمسيرة أن تطبقا من الجانبين عليهم، وتحاولا تطويقهم<sup>(٣١)</sup>. ويظهر أن هذا هو السبب الرئيس في خسران الرومان. فقد القوا كامل ثقلهم على قلب هنيبعل فتتهقر، فاستحال شكل جيشه إلى هلال كامل، ومنحوا فرصة زردة لضباط القوات المختارة للهجوم عليهم من اليمين واليسار على الجناحين. وأوقعوا تفتيلاً وإبادةً بكل من لم يرتد إلى الخلف قبل أن يتصل جناحاً القرطاجنيين في مؤخرتهم. وإلى هذه الكارثة العامة قيل أن خطأ غريباً حصل عند قوات الخيالة قد ساهم فيها. فقد أصيب جواد إيميلوس بأذى فرمغ سيده. فترجل عدد من الفرسان المحيطين به حالاً لمعاونته. ولما رأى الجنود الرومان قادتهم يتركون خيلهم، ظنوها إبعازاً لهم بالترجل هم أيضاً والهجوم على العدو راجلين. وسمع هنيبعل يقول وهو ينظر إلى المشهد: «إني لأعظم سروراً بهذا، مما لو جئ بهم إلي مقيدين أيادي وأرجلاً»<sup>(\*)</sup>. وعن تفاصيل هذه الواقعة نحيل قارئنا إلى أولئك الكتاب الذين كتبوا عنها بتوسع<sup>(٣٢)</sup>.

وفراً القنصل [فارو] إلى [فينوسيا Venusi] بشرذمة من الاتباع أما [إيميلوس پاولوس]، فبعد أن عجز تماماً عن إيقاف هزيمة رجاله، جلس على صخرة وجسمه كله تغطيه الجراح، وروحه لا تقل عن جسمه جراحاً متوقعاً أن يُرحم بضربة قاضية. وبلغ تشويه وجهه وكثره الدماء

(٣٠) هذه الريح الحارة التي تهب من الشرق والجنوب. يسميها ليفي ٤٦:٢٢ [قولتورنوس] واسمها الحديث [سيروكو]. ولما كان الجيش الروماني يواجه الجنوب فقد عانى منها الكثير وساعت حاله بها. والتأثير المعروف الذي تحدثه هو الخمول والضعف بدرجة كبيرة.

(٣١) يذكر ليفي خطة أخرى لجأ إليها هنيبعل. فقد تظاهر خمسمائة من أفاقرته النوميديين بالانضمام إلى صفوف الرومان إلا أنهم انقلبوا عليهم عند احتدام المعركة وهاجموا الجنود الرومان من الخلف.

(\*) النص في ليفي ٤٩:٢: Quam Mallem vinetod mihi trodeset.

(٣٢) لاسيما پوليبوس وليفي (٤٧:٢٢-٤٩) الذي كان پلوتارخ يعتمد على رئيساً. على انهما لم ينجحا قط في اعطاء فكرة دقيقة واضحة عن الخطة التي اعتمدها هنيبعل في المعركة بصورة عامة.

التي تلتطخه مبلغاً لم يعد معه معروفاً من أقرب أصدقائه وخدمه أثناء مرورهم به. وأخيراً عرفه الشاب الباتريشي [كورنيليوس لينتولوس Cornelius Lentulus] فترجل عن حصانه وعرضه عليه طالباً فيه أن ينهض وينجو بحياته الضرورية لسلامة البلاد. التي هي الآن في أمس الحاجة الى قائد عظيم مثله. ولكن لم يثنه شيء عن عزمه أو يقنعه بقبول العرض ورجا الفتى [لينتولوس] والدموع تجول في عينيه أن يمتطي حصانه. ثم أستوى قائماً ومد اليه يده مصافحاً وأمره أن يبلغ [فابيوس ماكسيموس] بأن [اميليوس پاولوس] قد أتبع توصياته الى النهاية ولم يحد قيد أغلّة عن تلك الآراء التي تمّ التفاهم عليها بينهما. ولكن سوء حظّة جعل [فارو] يتغلّب عليه بالدرجة الأولى وهنيبعل بالدرجة الثانية. وبعد أن زوّد [لينتولوس] بتوصيته وصرفه، توجه الى مثار النقع حيث المعركة حامية الوطيس والقى بنفسه على سيوف العدو. وقيل أن الرومان خسروا في هذه الموقعة خمسين ألف قتيل<sup>(٣٣)</sup>، وأربعة آلاف أسير، أستسلموا في ميدان القتال وعشرة آلاف أخذوا في معسكري القنصلين.

والح أصحاب هنيبعل لإقناعه باستثمار فوزه، ومطاردة الرومان المهزيمين حتى ابواب روما، مؤكداً له أن لن تمرّ عليه خمسة ايام الأ ويكون في الكاڤيتول يتناول عشاءه. وليس من السهل التكهن بالاعتبارات التي منعت من ذلك. وقد يبدو أن التدخل الرباني هو الذي سبب التردد والاحجام الذي ابداه الآن، وحمل [باركاس Barcas] القرطاجني على أن يقول له ساخظاً: «إنك يا هنيبعل تعرف كيف تحرز النصر، إلا أنك لا تعرف كيف تفيد منه<sup>(٣٤)</sup>» على أن هذه الموقعة أحدثت تبديلاً عجبياً في أمره. فقد أصبح فهو السيد المطلق على أفضل الأقاليم والمدن في ايطاليا<sup>(٣٥)</sup>، وسيطر على [كابوا Capua] نفسها التي تلي روما بالأهمية

(٣٣) ليقي في المرجع السالف يذكر ان الرومان خسروا عشرين ألفاً وان حلفاهم خسروا مثل هذا العدد فضلاً عن (٢٧٠٠) خيال بينهم كويستوران وواحد وعشرون تربيوناً وعدد ممن كان قد تولى مناصب القنصلية والپريتورية والايديلية ويخصّ منهم بالذكر سرفيليوس جمينوس، ومينوشيويس قائد الفرسان. فضلاً عن ثمانين شيخاً من الاعضاء الحاليين في المجلس أو المنتخبين للدورة القادمة وكانوا قد تطوعوا للقتال. ووقع ثلاثة آلاف راجل في الأسر وثلاثمائة من الخيالة، يقول أيضاً ان هذا النصر كلف القرطاجيين ثمانية آلاف من اشجع مقاتلهم. ويزع (پوليبيوس) ان سبعين ألفاً قد قتلوا وان أكثر من عشرة آلاف. من غرائب ما وقع انه وجدوا نوميدياً حياً تحت روماني ميت. كان الروماني قد بترت يده فعجز عن استخدام سلاحه للقضاء على النوميدي فالقى بثقله عليه وبأسنانه قطع اذنيه وانفه قبل أن يفارق الحياة (ليقي المرجع نفسه ٥١).

(٣٤) يصور ليقي (مهربال) هكذا: Hannibal victoria ati nesas. ومهربال هو قائد الخيالة الرومانية. ولعله ذلك الذي كان يلقب بـ(باركاس) مثل هملقار. أن زوموراس يحدثنا بأن هنيبعل ادرك غلظه فيما بعد حين أمسك عن تعقيب فلول العدو بعد انتصاره. وقد اعتاد أن يهتف متحسراً في أحيان كثيرة: أه لي من كاني! أه لي من كاني.  
(٣٥) الايوليون، والسامنييت، والتارنت وغيرهم.



والغنيّة الزاهرة، كل ذلك وقع بيده وخضع لحكمه، وهو الذي لم يكن قبلها - يملك مدينة واحدة أو سوقاً أو ميناءً، خالي الوفاض معدماً لا يجد ما يطعم به رجاله إلا ما يأتيه عن طريق النهب من يوم إلى يوم، ولا موضع ينسحب إليه ويتحصن فيه أو يتخذة قاعدة لعملياته، وإنما كان يطوّف على غير هدى كأنما يقود عصابة ضخمة من الأفاكين.

هناك قول ليوبريدس «يكون المرء في وضع سيء حين يتوجب عليه أن يمتحن صديقاً كذلك يبدو أن وضع دولة ما لن يكون فضل عندما ترى نفسها بحاجة الى قائد كفوء». وهذا ما كان عليه الرومان في ذلك الحين. فنصائح فابيوس، واعماله التي نعتوها قبل الموقعة بالجبن والخوف، صاروا ينظرون اليها الآن من الزاوية المعاكسة القصوى ووجدوا فيها ما فاق حكمة البشر السوي. حتى لكأن للقدرة الالهية يداً في هذه النظرة البعيدة، وانها التي تكهنت بغم فابيوس بنتيجة صعب تصديقها حتى بعد وقوعها خلافاً لحكم الآخرين جميعاً. ولهذا بادروا الى وضع كل ما بقي لديهم من أمل فيه. وكانت حكمته الهيكل المقدس والمعبد الذي لا ذوا بحماه بغية النجاة. ولقد منعتهم نصائحه أكثر من أي شيء آخر، من التشرّد وترك مدينتهم، كما كان الوضع عندما أستولى الغاليون على روما. وهذا الذي كانوا يعتبرونه خائر القلب رعديداً عندما كانوا - حسيماً توهّموا - في أمان ومنعة، صار الآن الرجل الوحيد الذي لم يظهر أثراً لخوف في هذا الإضطراب والشقاء العام غير المحدود. وإنما كان يسير في الشوارع بهدوء وثقة يكلم ابناء قومهم ويبادلهم الحديث ويضع حداً لانتحاب النساء، ويكبح الاجتماعات العامة التي يتولى عقدها من يريد التنفيس منهم عن كربه واحزانه. ويسعي منه عقد الشيوخ اجتماعاً، أو شاع روح الأمل في الحكام وكان هو نفسه روح كل دائرة وحياتها.

ووضع حرساً على أبواب المدينة لمنع الأهالي الخائفين من مغادرتها ونظم واختصر مراسيم الحداد على القتلى زماناً ومكاناً. وأمر أن تقوم كل أسرة بما يقتضى من هذه الشعائر داخل المنازل وان لا تزيد مدة ممارستها عن شهر واحد، يقوم أهل المدينة كلهم بالتطهر وفك الحداد بعد نهايته مباشرة، وقرر الغاء الاحتفال بعيد [چيرس Ceres] <sup>(٣٦)</sup> الذي وقع في تلك الاثناء لثلا تنكشف قلة المحتفلين به، ومظاهر حزنهم ويؤسهم، عظم الخسارة التي وقعت. فضلاً عن أن العبادة الأكثر قبولاً عند الآلهة هي التي تنبع من قلوب منشرحة. على الشعائر المتعلقة بتهدئة غضبها وأطلاب إشارات سماوية ومع ذلك فقد أقيمت بخير ما امكن تحت

(٣٦) لم يكن هذا السبب الحقيقي المؤدي الى الغاء العيد ويقع عادة في الثاني عشر من شهر نيسان. بل لأنه يحرم على الذين يقضون ايام الحداد ان يُعيدوا فيه. وانك لاتجد وقتذاك امرأة في روما إلا وهي في حداد. والواقع هو ان الاحتفال بالعيد أجل حتى نهاية فترة الحداد التي أختصرت الى ثلاثين يوماً كي لا تتأخر المراسيم الدينية الخاصة والعامة أكثر مما تأخرت.

اشراف الكهنة والعرافين وارسل [فابيوس پكتور F. Pictor] وهو قريب لفابيوس ماكسيموس الى دلفي ليستوحي نبوءةً من العرافة. وفي ذلك الزمن تحقق زنى [فستالتين] فقتلت واحدة نفسها، ودفنت الثانية حيةً كما جرى به العرف<sup>(٣٧)</sup>.

دعنا قبل كل شيء نبدي أعجابنا بالمعنوية العالية والتماسك الشديد اللذين تتمتع بها هذه الجمهورية الرومانية. فعندما جاء [قارو] مدحوراً مهزوماً يجلله الذل والعار، وبعد أن آل أسلوب تصريفه الأمور الى النكبة والخزي خرج الشيوخ والعامّة جميعاً لاستقباله عند أبواب المدينة، وأضفوا عليه كل مظاهر التكريم والاحترام. وبعد ان ساد السكون أخذ الحكام ورؤوس الشيوخ ومنهم فابيوس، يثنون عليه امام الشعب لأنه لم ييأس من سلامة الجمهورية بعد هذه الخسارة الفادحة وانما جاء ليتسلم مقاليد الحكم بيده وينفذ أحكام القوانين ويعاون ابناؤه قومه في جهودهم لأجل نصرٍ مقبل<sup>(٣٨)</sup>.

وبدأت قلوب الرومان تنبض بالحياة وتنتعش عندما وصلت الى روما ابناؤه تشير الى ان هنيبعل زحف بجيشه الى انحاء أخرى من ايطاليا على أثر المعركة، وطفقوا يبعثون بالقادة والجيوش لمناجرتهم. وأختص بأعلى القيادتين [فابيوس ماكسيموس] و[كلودديوس مارچلوس Claudius Marcellus] وكلاهما من المشاهير، ولكن على أسسٍ مختلفة. فمارچلوس كان كما ذكرنا في سيرته. رجل أعمال وإقدام، سريعاً جريئاً بشخصه - وكما وصف هوميروس ابطاله: غنيف يعشق القتال. وكان تاكتيه الحربي الذي واجه به هنيبعل الاقدام والجرأة وحب المغامرة، وهو الطابع الذي اتسمت به معاركه. إلا أن فابيوس ظلّ مقيماً على مبدئه الأول وما زال مقتنعاً بأن متابعة هنيبعل دون قتاله كفيل على الأقل بانهاكه والقضاء عليه مثل مصارع بلغ نهاية طاقته. وباستعمال كل قواه، غالباً ما تراه يستنفدها فجأةً فيتهاوى منهوكاً ويخسر الشوط. ويذكر لنا [پوسيدونيوس] أن الرومان يسمون مارچلوس سيفهم، وفابيوس درعهم. ومن قوة الأول وثبات الثاني، يخرج مزيج يكون فيه خلاص روما. ووجد هنيبعل بالتجربة إن اصطدامه بأولهما يشبه التقاء بنهر ثرثار سريع المجرى يدفع به الى الخلف إلا أنه لايعدم أن

(٣٧) يضيف ليقي [المرجع السالف ٥٧] ان [كانتيلديوس] عشيق احداهن جلد حتى فاضت روحه. وان الديكاميثر راجعوا كتب الكليل فأمروا بابع ضحايا بشرية «تدفن أحياء في سوق الحيوانات: نكر وانثى اغريقيان. واثنان من أهالي اليونان.

(٣٨) من تعليق [ليقي] على هذا قوله «ولو كان جنرالاً قرطاجياً للقي شرّ ميته. ويحدثنا فاليريوس ماكسيموس [٤:٣ و ٥:٤] قائلاً أن الشيوخ والعامّة حزموا عن طورهم بأن عرضوا عليه منصب الدكتور، إلا انه رفضه بكل تواضع. ويخبرنا فرونتينوس [٤: ٥-٦] انه ظلّ بقية حياته مرسلأ شعر نقتنه ورأسه لا ياكل على اريكه كغيره من الرومان ويقول عندما يقابل بمظاهر التكريم ان على الرومان أن يحظوا بحكام أوفر خطاً منه.

يعمل كسراً في ضفافه، وأما الثاني، فمع أنه يمرّ بالقرب منه هادئاً ساكناً، فهو يجرفه ويلتهمه التهاماً. وأخيراً أستقر رأيه على هذا: انه يخشى [مارچلوس] عندما يتحرك. ويخشى [فابيوس] عندما يكون ساكناً. وكان عليه طوال تلك الحرب أن يواجه أحدهما أو كليهما. فكلّ من هذين القائدين تولى منصب القنصلية خمس مرات، وبقيا جزءاً دائماً في جهاز القيادة العسكرية إما بصفة قنصل أو برو قنصل أو پريتور، حتى وقع [مارچلوس] في الفخ الذي نصبه له هنيبعل وقتل وهو قنصل للمرة الخامسة. إلا أن كلّ مكره وبراعته لم يفلح مع [فابيوس] فلم يتعرض هذا للخطر إلا مرة واحدة. وذلك عندما وردته رسائل مزورة عن لسان أعيان مدينة [ميتاپونتوم Metapontum] يعدونه فيها بتسليم مدينتهم إن قدم إليها بجيشه، وبالصدقة والتحالف الذي ينتظره. وكاد يقع فريسة لهذه المؤامرة، إلا انه قرّر التقدم نحوها بجزءٍ من قواته. بعد استطلاع الحظ من مسرى الطير فوجدها تشير سوء العقبى فعدل عن مسيره. ومالبث أن علم بأن الرسائل من صنع هنيبعل الذي أعد لاستقباله كميناً محكماً، وحرّى بنا أن نعزو هذا الحظ الى بركة الآلهة أكثر مما نعزوه الى بُعد نظر [فابيوس].

كان مسلكه رائعاً في اجتناب تمرد المدن وثورة الحلفاء بالمعاملة الرقيقة العادلة، وعدم استخدام الشدة أو اظهار الشكّ عند أقل اشتباه. وذكر عنه أنه أبلغ عن شخص يدعى [مارسيان Marsian] <sup>(٣٩)</sup> مشهور بالبسالة معروف بشرف النسب، بأنه كان يكلم بعض الجنود سراً، عن الهروب من الجيش. فلم يلجأ فابيوس الى استخدام أي شدةٍ معه، بل بعث في طلبه وقال له إنه ليعلم بالأهمال الذي أصاب مؤهلاته وخدماته الممتازة، وهو خطأٌ عظيم من الضباط الذين يمنحون مكافأتهم لا على أساس الكفاءة والمؤهلات، بل على غلطة منك إن شعرت بغبنٍ وراجعت أحداً غيري». ثم أنه خلع عليه جواداً مطهماً وهدايا أخرى، ومنذ ذلك الحين وهذا الرجل مثلٌ يضرب في الاخلاص والتفاني، في سائر الجيش. فقد ادرك بعمق بصيرته انه اذا كان سانسو الخيل ومدربا الكلاب يستخدمون أساليب لينة رقيقة لتذليل طباع هذه الحيوانات الشرسة، ولا يلجأون الى خربها أو معاملتها بالشدة. فأولى بأولئك الذين يقودون الرجال أن يحاولوا غرس حبّ النظام والضبط بأسوء مما يعامل البستانيون النبت البري الذي يفقد بالتشذيب والعناية طباعه الوحشية بالتدرج، ليؤتي أفضل الثمر.

وفي مناسبة أخرى أبلغه بعض ضباطه أن رجلاً من رجالهم يتغيب كثيراً من موقعه ويخرج

(٣٩) ليثي [١٥:٢٣] يعزو هذه الحكاية الى [مارچلوس] لا الى [فابيوس] ويقول ان الاسم الوارد هو (بانيتوس) أو Bandius بانديوس في سيرة مارچلوس. وهو مواطن من (نولا) وجل نصف ميت بين أكداس القتلى بعد معركة (كاني) وقد خصّ بامتياز الدخول على الجنرال متى شاء.

ليلاً، فسألهم أي نوع من الرجال هو ؟ فأجمعوا كلهم بأنه لا يوجد في سائر الجيش من هو أفضل منه، وأنه مواطن من [لوكانيا Lucania]، ثم طفقوا يروون مآثر عدة رواه يقوم بها. فأمر فابيوس بتحقيق دقيق عنه، وعلم أخيراً إن الغياب الكثير الذي لوحظ منه كان لزيارة فتاة وقع في حبها. وعندها أمر بعض رجاله أن يبحثوا عن الحبيبة سرّاً، وإن يأتوا بها إلى خيمته، ففعلوا، ثم أنه أحضر [اللوكاني] وانفرد به وقال له أنه يعرف جيداً بكثرة غيابه عن المعسكر ليلاً، وهو أخطر جريمة ضدّ النظام العسكرية والقوانين الرومانية، لكنه يعلم كذلك مبلغ شجاعته، ولا يجهل أيضاً الخدمات الجليلة التي قدمها، وهو لأجلها يرغب في العفو عنه والتفاضي عن خطأه لكنه وسعياً وراء ابقائه في حدود النظام - قرراً أن يضع حارساً عليه يكون مسؤولاً عن حسن سلوكه. وبعد ان قال هذا، أخرج له الفتاة وخاطب الجندي المرتعب المذهول بالمفاجأة: «هذا هو الشخص الذي سيكون ضامناً لك. وسنرى حسن سلوكك المقبل هل أن تجوالك الليلي كان بسبب الحب أم لغرض أسوأ منه!».

وثم واقعة أخرى تشابه هذه، كانت عاملاً على دخوله مدينة تارنتوم (\*) واحتلالها. بعد أن خسروها بدسياسة:

يوجد فتى [تارنتي] في الجيش له أخت تسكن [تارنتوم] التي كانت في قبضة العدو، هذه الاخت كانت شديدة الحب لأخيها، متعلقة به للغاية، وعلم الأخ أن بروتيّاً [Bruttian] نصبه هنيئيل قائداً لحامية المدينة، قد توله حبباً أخته. وخيل له أن علاقة كهذه قد تثمر ما فيه خير للرومان، وأتصل بفابيوس وانهى إليه بخطته ثم ترك الجيش كمن فرّ منه ظاهرياً، وذهب إلى تارنتوم. ومرت الايام الأولى و[البروتي] ممتنع عن زيارة الأخت لأنها ما كان يعرفان ان الأخ على بينة مما يقوم بينهما من حب. على أن الفتى [التارنتي] أنتهز فرصة ليخبر أخته بكيفية سماعه عن تعلق رجل كبير المقام والسلطة بها وطلب منها أن تكشف له عن هويته. «فاذا كان شجاعاً حسن السمعة فلا يهّم أصله وقوميته، مادام السيف في هذا العصر يمزج كلّ الشعوب ويجعلهم متساوين والاضطرار يجعل كلّ عمل شريفاً حيث الحقّ ضعيف، فعلينا أن نحمد الله إذا أخذ شكل الرقة». وعندئذ بعثت الفتاة تدعو صديقها. وعرفته بأخيها وأظهرت بعدها تجاوباً معه أكثر من الماضي. وزاد عطفها عليه بالنسبة التي توثقت بها صداقته بأخيها. إلى أن أعتقد [التارنتي] بأن الضابط البروتي أصبح مهيناً لقبول العروض التي أعدها له، وأنه وهو الجندي المرتزق الواقع في اسر الحب، سيكون على اتم استعداد للرضا بالمكافآت السخوية التي وعده بها فابيوس، حسب الشروط التي سيتفق عليها.

(\*) خسرها الرومان في ٢١٢ واستعادوها في ٢٠٩ ق.م.

والنتيجة تم عقد الصفقة، بتسليم المدينة للرومان. وهذه هي الحكاية الشائعة إلا أن بعضهم يرونها بشكل آخر. فيقول أن هذه المرأة التي أتخذت آلة لحمل [البروتي] على تسليم المدينة لم تكن [تارنتية] بل [بروتية] وانها جارية لفابيوس. ولكونها بروتية، وعلى سابق معرفة بحاكم المدينة البروتي فقد بعث بها سراً لإغرائه وإيقاعه في الشرك.

وعمد فابيوس الى تغطية مساعيه هذه - صرفاً لانتباه هنيبعل الى خطته - باصداره أمراً الى الحامية الرومانية في [ريغيوم Rhegium] بأن تحتاح البلاد البروتية وتعيث فيها سلباً ونهباً وان تلقي حصاراً على [كاولونيا Caulonia] وتكتسح الموقع بكل شدة وزخم. وكان قوام تلك الحامية ثمانية آلاف رجل هم أسوء ما في الجيش الروماني ومعظمهم من الهاربين استاقهم مارچلوس<sup>(٤٠)</sup> في صقلية بحالة غير مشرفة، ولم تكن خسارة هؤلاء بالأمر المزعج أو الاليم للرومان ولذلك القى بهم فابيوس طعماً لهنيبعل، لصرف انتباهه عن [تارنتوم] فابتلعه حالاً وساق قواته الى كاولونيا. وفي الوقت نفسه كان فابيوس قد عسكر في طاهر تارنتوم والقى عليها الحصار وفي اليوم السادس منه تسلل الفتى التارنتي ليلاً من المدينة. بعد أن تفحص بدقة الموضوع الذي كان مقرراً أن يدخل منه الرومان المدينة حسب الاتفاق مع القائد البروتي، وقدم تقريراً بالموضوع كله الى فابيوس. الذي لم يجد من السلامة في شيء أن يعتمد اعتماداً تاماً على المؤامرة، بل أعطى الأمر بالهجوم العام برأ وبحراً من الجهة الأخرى بينما كان يتقدم بقواته سراً الى الموضوع المتفق عليه - وفي الوقت الذي هرع التارنتيون لصد الهجوم عن المدينة، تسلّم فابيوس الاشارة في البروتي فتسلق الأسوار ودخل المدينة دون مقاومة.

وعلينا الإقرار هنا أن الطموح الجرمي تغلب عليه فيما يبدو. اذ اراد أن يظهر للعالم بأنه فتح تارنتون بالحرب، وبمجهوده العسكري لا بالخيانة والخدعة، فأمر رجاله بقتل [البروتيين] قبل الآخرين، إلا انه لم ينجح في تثبيت هذا الانطباع كما رغب، ولم يحصل من جراه إلا على صفة القسوة والغدر. وقُتل عدد كبير من التارنتيين أيضاً وبيع ثلاثون ألفاً منهم في أسواق العبيد، وأعطى الجيش أسلاب المدينة، وجيء الى الخزينة العامة بثلاثة آلاف تالنت من النقد. وفيما كانوا ينقلون الأموال المنهوبة سأل الضابط المتسلّم ما الذي ينبغي عمله بألتهتهم؟ يقصد صورها وتمثيلها فأجاب [فابيوس]: «فلندع للتارنتيين ألتهتهم الغاضبة» ومع هذا فقد حمل

(٤٠) لم يستقدم مارچلوس هذه القطعات العسكرية. والمسؤول عن استقدامها هو زميله [ليقنيوس]. الأول غادر صقلية قبل الاستيلاء على سيراقوز في [ليفي ٢٦: ٤٠] العدد يخفض الى اربعة آلاف كانوا يعيشون على كل انواع السرقات طوال اقامتهم في المدينة الصقليّة «انما ترنا».

تمثال هرقل الضخم. ووضعه في الكابتول الى جانب تمثال له على ظهر جواد، مصبوب من النحاس<sup>(٤١)</sup>. وهي أعمال تختلف كثيراً عن أعمال مارچيلوس في مناسبة مماثلة، أظهرت في الواقع انسانيته وطيبة للعالم، كما أوضحناها في سيرة حياته<sup>(\*)</sup>.

قيل أن هنيبعل كان على بعد خمسة أميال عندما بلغه نبأ سقوط [تارنتوم] فأعلن قائلاً «لقد ظفرت روما أيضاً بهنيبعل، خسرنا تارنتوم مثلما كسبناها» وأسراً الى خاصته للمرأة الأولى بأنه كان دوماً يرى السيطرة على ايطاليا أمراً عسيراً أما الآن والقوات التي لديه، فهو يرى الأمر مستحيلاً.

وبهذا الفوز منح فابيوس امتياز موكب النصر في روما، وفاق بفخامته وروعته موكبه الأول<sup>(٤٢)</sup> وأخذ الرومان ينظرون اليه كبطل مغوار تعلم كيف يقارع خصمه، ويحبط مكائده بسهولة ويصيب حذقه ومهارته بالعمق. والواقع هو أن جيش هنيبعل كان في هذا الزمن قد أصيب من جهة بالانهك لدوام خوضه الحروب، ومن جهة بالضعف والتفسخ الخلقي لإفراطه في الترف والشهوات. وقد ازعج [ماركوس ليفيوس Marcus Livius] التكريم والشرف الذي خُلع على فابيوس. وكان هذا حاكم [تارنتوم] عندما سلمت غدرأ الى هنيبعل، فأنسحب متحصناً في قلعتها وظل ممتنعاً فيها حتى استعادها الرومان.

وفي احدى المناسبات صرح علنا امام مجلس الشيوخ إن الفضل في استعادة تارنتوم<sup>(٤٣)</sup> يعود الى مقاومته أكثر مما يعود الى مجهود [فابيوس] فرداً عليه ضاحكاً «لقد أصبت كبد الحقيقة. فلو لم يخسر [ماركوس ليفيوس] [تارنتوم]، لما استعادها فابيوس ماكسيموس». ومن آيات التكريم والاعتراف بالجميل التي أضفاها عليه الشعب، انتخاب ابنه<sup>(٤٤)</sup> متصلاً لندوة السنوية التالية<sup>(\*\*)</sup>. وبعد تسلمه مهام منصبه بفترة وجيزة، عرضت أمور تتعلق

(٤١) من صنع ليسبوس [سترابو ٦].

(\*) أغنى مارچيلوس روما بالتحف الفنية الاغريقية التي أخذها من سيراقوسة في ٢١٢ ق.م ويختلف راي ليقى عن المؤلف فيقول ان فابيوس فتك بالأهالي وحافظ على الآلهة أما مارچيلوس فقد حافظ على الارواح ولكنه نهب الآلهة.

(٤٢) بعد انتصاره على الليغوريين - انظر ما سبق.

(٤٣) ليقي، يبدو هنا أقرب الى المنطق والمعقول. فالفخر المعزى الى ليقينوس هنا وهو يكاد يحال الى المحاكمة، يظهر بعيداً عن الواقع. انظر كذلك شيشرون: الخطب ٢: ٦٧.

(٤٤) بجانب پلوتارخ هنا الدقة الزمنية احياناً. فمن (ليقي) يبدو أن ابنه وكان يحمل اسمه بالضبط، قد انتخب قنصلاً قبل استيلاء الأب على تارنتوم بربع سنين، ويحفظ لنا [قاليريوس ماكسيموس] بهذه المناسبة دليلاً دامغاً على تواضع الأب فابيوس ووطنيته. فقد علق على دوام انحصار المنصب القنصلي في أعضاء أسرته قائلاً أن هذا خطر قد يهدد كيان البلاد.

(\*\*) في السنة ٢١٣ ق.م.

بشؤون الحرب يقتضى تصريفها فجاء الأب للقاء الأبن ممتطياً جواده إما بداعي الشيخوخة والضعف أو ربّما متقصداً بذلك لاختبار ابنه، ولحظ الابن ذلك وهو ما يزال بعيداً عنه بمسافة، فأمر واحداً من حرس اللكتور أن يطلب من أبيه الترحل وأن يقول له، إن كان لديه عملٌ مع القنصل فعليه أن يدخل ماشياً. وبدأ على الحاضرين الاستنكار لصفافة الابن وتحاسره على أب يتمتع ببالغ الاحترام لسنة وسلطانه وتحولوا بانظارهم الى [فابيوس] وهم صامتون، فما كان منه إلا أن ترحل بسرعة وتوجه الى ابنه يمثل الركض وذراعا ميسوطتان وعانقه قائلاً:

- أجل يا بني! ونعم ما فعلت. لقد أحسنت فهم السلطة التي أودعت اليك، وعرفت حق المعرفة على من تمارسها. فتلك هي السبيل التي استخدمها أجدادنا الأولون لرفع شأن روما. مفضلين دوماً شرفها وحنقها على إباثهم وأولادهم<sup>(٤٥)</sup>.

والواقع أنه قبيل عن والد جدّ فابيوسنا هذا<sup>(٤٦)</sup> ما يشبه ذلك. فقد كان بلاشك أعظم الرومان في عصره سمعةً وسلطاناً، نصب قنصلاً خمس مرات، وشُرف بالعديد من مواكب الظفر للاتصارات التي حازها. لم يراي بأس في أن يخدم برتبة ضابط تحت إمرة ابنه<sup>(٤٧)</sup> عندما ذهب بوصفه قنصلاً الى تسلم القيادة<sup>(\*)</sup>. وعندما منح الابن فيما بعد<sup>(\*\*)</sup> شرف الدخول في موكب النصر لحسن خدماته ركب الأب جواده خلف عجلة النصر كواحد من بطانته. فجعل من هذا مجدداً له، إذ كان فعلاً أعظم الرومان على الاطلاق باقرار الجميع. كما انه يمارس سلطة الأب الكاملة على ابنه، ومع هذا خضع لحكم القوانين ولسلطة الحاكم.

على أن حمدنا ومديحنا بفابيوس لا يُحدّ بهذا. فقد ابنه بعد زمن وكان مشار الاعجاب في تحمله الخسارة العظمى بوداعة تليق بأب فاضل وانسان حكيم. ومن عادة الرومان عند موت شخص كبير المقام أن يلقي أحد أقربائه الأذنين خطبة تأبين، فقبل أن يقوم بهذا الواجب والقى خطبة في [الفورم] سجّلها كتابةً فيما بعد.

بعد أن أرسل [كورنيليوس سكيبيو] الى اسبانيا وانتصر على القرطاجيين في عدة معارك

(٤٥) يقول ليقي [٢٤:٢٦] بعد أن مرّ بأحد عشر لكتوراً وهو على صهوة جواده. أمر ابنه اللكتور الثاني عشر بان يقوم بواجبه. إلا أن فابيوس الأب أسرع يترحل وهو يقول «اني لأرغب يا بني أن أعرف هل تدري بانك قنصل؟ أم أنت لا تدري؟

(٤٦) يقصد به فابيوس رولوس الذي ورد ذكره في أول السيرة. [ليقي ٢٨:٨].

(٤٧) هو كوينتس كوركيوس فابيوس هزمه السافيت. وكاد يعزل من منصب القنصلية لو لم يعد ابوه أن يقوم برعايته وتسديد خطاه في حملته الثانية وان يستخدمه مساعداً له [انظر ليقي ٥:٩، وقاليريوس ماكسيموس ٧:٥].

(\*) في ٢٩٢ ق.م.

(\*\*) في ٢٠٥ ق.م.

وطردهم من تلك البلاد وحصل لروما على مدن وأراض ذات موارد عظيمة، عاد الى الوطن فاستقبله الشعب باعظم مظاهر الغبطة والحبور وكانت حماستهم به لا نظير لها وأنتخبوه فُصلاً للدورة السنوية التالية برهاناً على امتنانهم. وكان يدرك انهم يأملون منه أعمالاً جساماً، ولقد رأى بعد تفكير أن قضية المنازعة على ايطاليا مع هنيبعل، هي مهنة الشيخ العاجز، فأقترح لنفسه مهمة في غاية الخطورة وهي جعل قرطاجنة نفسها مرشح جرب، وملء وملء افريقيبا بالجيش والسلاح ونشر الخراب في ارجائها. وبهذا يُرغم هنيبعل على الانسحاب للدفاع عن بلاده بدلاً من غزو بلاد الآخرين، وسعياً وراء هذه الغاية بدأ يستخدم كل نفوذه وتأثيره على الشعب. إلا أن [فابيوس] عارض الفكرة بكل قوته، واقام المدينة وأعدّها قائلاً للرومان: لاشيء يوحى اليهم بهذه الآراء إلاّ الخطة إلاّ تهوّر وطيش فتى أهوج حارّ الرأس. ولم يدخر وسعاً للحيلولة دون تبنيّ هذه الخطة بالقول والفعل. ونجح في اقناع الشيوخ<sup>(٤٨)</sup> بالانحياز الى رأيه إلاّ أن العامة أعتقدت أنه يغار من شهرة (سكيبيو) ويخاف أن ينجز الفاتح الشاب مآثرة عظيمة جلييلة وربما يحرز شرف طرد هنيبعل من ايطاليا أو حتى انهاء الحرب التي ظلّت مستعرة عدة سنوات وكانت تحت ادارته تتعثّر وتتلكأ.

وإن شئت الحقيقة، فإن [فابيوس] عارض مشروع [سكيبيو] في مبدأ الأمر، بدافع الحذر والفتنة، جاعلاً نصب عينه سلامة المواطنين ليس غير والخطر الذي قد تتعرض له الجمهورية بالنتيجة. ولكنه أندفع أكثر فأكثر في معارضته بعامل المنافسة والطموح عندما وجد مكانته ترتفع عند الشعب يوماً بعد يوم، فأنقلب في معارضته عنيفاً جارحاً، شخصياً حتى بلغ الأمر به الى الإتصال بكراسوس Crassus القنصل زميل [سكيبيو] وحثه على التمسك بالقيادة في ذلك الاقليم وعدم النزول عنه لزميله<sup>(٤٩)</sup>، بل عليه أن يقود الجيش بنفسه الى قرطاجنة إن أستقر رأيه على ذلك. كذلك أوقف دفع المال [لسكيبيو] لانفاقه على الحرب ولذلك أرغم على استدانته بكفالاته وضمائنه من مدن [اتروريا Etruria] التي كانت متعلقة به للغاية. وكان [كراسوس] من الجهة الأخرى لا يرغب أن ينبرى لمعارضته ولا مغادرة ايطاليا، فهو بطبعه يكره كل أنواع الخصام والمعارضة كما وأنه يقوم باعباء وظيفته الكاهن الأعظم ومن شأنها أن تبقيه دائماً في البلاد.

(٤٨) بحسب المناقشات في مجلس الشيوخ بهذه المناسبة [انظر ليقي ٢٨: ٤٠-٤٤] تجد كذلك خطبتي سكيبيو وفابيوس. وهما من أطرف ما يمكن.

(٤٩) لم يكن (كراسوس) يستطيع قيادة الجيش خارج ايطاليا بحكم منصبه الديني اذ كان يتقلد وظيفة (الكاهن الأعلى) وعليه أن يبقى (تاكيتوس الحوليات ٤٣: ٧١). لذلك لم يكن من المحتمل ان يصير فابيوس على طلبه ويصل به الى هذا الحد. وان بدا السبب هو حيس الضروري من الارزاق عنه. ويفصل ليقي في العون الذي ساهمت به المدن الصديقة: كيري، پوپيولونيا، تاركويني، قولاترا، أربسيوم وغيرها وغيرها.



فحاول فابيوس وسائل أخرى لمعارضة المشروع وعرقل عملية النفي والتطوع وصرح في مجلس الشيوخ وأمام العامة أن [سكيبيو] فضلاً عن هروبه من وجه هنيبعل، يعمل على تجريد إيطاليا من كل قواها، وأختلاس شباب البلاد لزوجهم في حرب خارجية تاركين وراءهم آباءهم وأولادهم وزوجاتهم والمدينة نفسها دون دفاع تحت رحمة عدو فاتح منتصر على ابوابهم. بهذا كله أثار قلق الجمهور، الى حد لم يسمحوا لسكيبيو أخيراً إلا باستخدام الفرق العسكرية في صقلية للحرب، مع ثلاثمائة محارب يثق بهم ثقة خاصة كانوا قد خدموا تحت امرته في اسبانيا. ويظهر أن [فابيوس] إتبع في هذه الإجراءات ما أملاه عليه طبعه الحذر.

ولكن؛ ما ان نزل سكيبيو البر الافريقي، حتى بدأت (\*) الأنباء ترد الى روما عن الانتصارات العجيبة والأعمال الرائعة التي يأتيها. وقد أيدت وصفها الغنائم التي ارسلها الى الوطن، ووقوع ملك نوميدي (٥٠) في الأسر، والمقاتل العظيمة في رجالهم. وحرقت وتدمير معسكرين للعدو بما فيهما من كميات كبيرة من الأسلحة والخيول، وعندما اضطرت هذه الكوارث القرطاجينين، الى ارسال وفد لهنيبعل تطلب منه العودة الى الوطن وصرف النظر عن أماله العقيمة في إيطاليا ورحل منها (\*\*)، لأجل الدفاع عن قرطاجنة، هللت روما وكبرت وعظمت اعمال [سكيبيو] وخدماته الجليلة. ولم يكن لهذا كله تأثير على موقف [فابيوس] حتى أنه ارتأى أن يستبدل [سكيبيو] بخلف يحل محله، متخذاً من «تقلبات الخط» وهو السبب القديم سنداً لادعائه، حتى لكأن آله الخط سيدركها الملل في ايثارها الشخص نفسه ببركتها! بهذه اللهجة بدأ عدد كبير من الناس يرتابون في اقواله ويستنكرونها منه. وبدت وكأنها سوء نية وتشاؤم، وخور نفس متأت من كبر السن أو خوف من ذكاء هنيبعل مبالغ فيه. بله عندما عبأ هنيبعل جيشه في السفن وغادر إيطاليا، لم يستطع أن يمك نفسه عن المعارضة وتعكير فرح روما العام، مصرحاً بمخاوفه، وشكوكه قائلاً لهم أن الجمهورية لم تقع في خطرٍ مثلما هي فيه الآن وأن هنيبعل أقوى حراساً داخل اسوار قرطاجنة مما كان في إيطاليا. وان [سكيبيو] سيقضى عليه القضاء المبرم إذا ما أشتبك بمعركة مع جيوشه المنتصرة التي ما زالت تشعر بحرارة دماء العدد العديد من جنرالات الرومان ودكتاتورهم وقناصلهم

(\*) في السنة ٢٠٤ ق.م.

(٥٠) وقع سيفاكس في الأسر [لبيفي ٥:٣٠ و ١١] بعد حرق معسكره ومعسكر هسدروبال. وهلك اربعون الفاً من الاعداء بالنار وبعث السيف وأسر أكثر من خمسة آلاف بينهم عدد كبير من نبلاء قرطاجنة. مع أحد عشر شيخاً، وغنمت مائة واربع وسبعون راية وأكثر من الفين وسبعمائة حصان نوميدي. وستة من الفيلة وقتل ثمانية. مع مقادير كبيرة من الأسلحة.

(\*\*) في السنة ٢٠٢ ق.م.

الصرعى. وأجفل الشعب الى حد ما، بهذه التصريحات حتى بدأوا يعتقدون أن الخطر أقرب اليهم كلما كان هنيبعل. أبعد عنهم. على أن [سكيبيو] لم يعتم أن قاتل هنيبعل والحق به هزيمة نكراء، وسحق عظمة قرطاجنة تحت قدميه<sup>(٥١)</sup>، وسمح بني قومه ما صبوا اليه من غبطة وسعادة فاقت آمالهم وثبتت قواعد امبراطوريتهم التي أضحت مهزوزة مضعضعة بكثير من العواصف.

على أن فابيوس ماكسيموس لم يعيش ليرى نهاية هذه الحرب السعيدة وسقوط هنيبعل النهائي، ولا ليفرح لعودة الحياة المطمئنة السعيدة الى الجمهورية. ففي حوالي الزمن الذي غادر هنيبعل إيطاليا<sup>(٥٢)</sup>، سقط مريضاً وتوفي<sup>(\*)</sup>. في [تبيه] قضى [إپامنداس] نحبه فقيراً لا يملك شروى نقيير حتى انه دفن على نفقة العامة. وقيل انه لم يعثر في داره إلا على قطعة نقد واحدة صغيرة القيمة. ولكن فابيوس لم يكن بحاجة الى هذا فالشعب نفسه تكفل بنفقات تشييعه باكتتاب خاص ساهم فيه كل مواطن باصفر قطعة نقد كدليل على حبهم له<sup>(٥٣)</sup> وبهذا أعتبروه والدهم العام وجعلوا مماته لا يقل شرفاً عن حياته.

## اهم الاحداث العالمية في زمنه

٢٠٧ ق.م: اسد روبال في طريقه لنجدة هنيبعل - يهزم ويقتله كلوديوس نيرو.

٢٠٢ ق.م: يتغلب سكيبيو افريقانوس (الأكبر) على هنيبعل في موقعة زاما Zama بافريقيا.

٢٠٠ ق.م: بدأت الحرب المقدونية الأولى وأستمرت اربع سنين تقريباً.

---

(٥١) لاشك ان بلوتارخ يشير الى السفراء الشيوخ الذين ارسلوا الى سكيبيو عارضين عليه الصلح. اذا ما ان بلغوا خيمة الجنرال حتى انبطحوا على الأرض أمام قدميه جرياً على ما اعتادوه في بلادهم (لثقي المرجع السالف) وثم حادثة اذلال مشابهاة لزعماء المدينة العشرة الذين ارسلوا بعد معركة زاما الكبرى، لعقد الصلح. [انظر أيضاً پوليبوس ١٥].

(٥٢) بعد ذلك بقليل اتم هنيبعل انسحابه من ايطاليا وكان ذلك في ٢٠٤ ق.م. لابد وان (فابيوس) اصبح الآن شيخاً هرماً. فقد قال لثقي معتمداً على من الكتاب انه ظلّ في منصب الكهانة اثنتين وستين سنة متوالية.

(\*) في السنة ٢٠٢ ق.م.

(٥٣) يجب أن يكون المبلغ ضخماً جداً. فقد بلغ تعداد المواطنين الرومان في السنة التالية (٢١٤٠٠٠).



## أوجه المقارنة بين فابيو س وبيركليس

لدينا هنا سيرتان غنيان بالأمثلة، كلاهما ضربتا بالقدح المعلى في الحنكة السياسية والعسكرية، ولتقم الآن أولاً بمقارنتهما من جهة الكفاءة الحربية... ترأس بيركليس جمهوريته عندما كانت في أرفع درجة من الازدهار والرخاء، عظيمة السلطان منيعة الجانب، لذلك قد يتوهم ان نجاحه هو نجاح اعتيادي وحسن طالع حفظه من كل عثار أو كارثة.

إلا أن مهمة فابيو س الذي اضطلع باعباء الحكم في أرح الأوقات وأصعبها لم يكن ملزماً بمحافظه وترصين دولة ثابتة الاركان مزدهرة الأحوال يرفل سكانها في بحبوحة من العيش. فضلاً عن أن انتصارات [كيمون] وغنائم النصر التي جاء بها [ميرونيدس وليوقريطس] مع العديد من مآثر [توليدس] الشهيرة، إستخدمها بيركليس أساساً في ملء المدينة بمظاهر الانفراح واللهو والحفلات الدينية أكثر من أستخدامه لها في توسيع وتوطيد دعائم امبراطوريتها. في حين وجد فابيو س أمامه عند توليه الحكم حالة ترتعد لها الفرائص. من جيوش رومانية ابيدت. وجنرالات وقناصل لها قتلوا، وبحيرات وسهول وغابات مملوءة بجثث القتلى. وأنهار أختلط ماؤها بدماء بني قومه. ومع هذا، فبأحكامه الناضجة الرصينة وبقوة ارادة فيه لا تتزعزع. كان كمثل من أسند بكتفه جدار الجمهورية المتقوض ومنعه من الإنهيار، بسبب ضعف واخفاق الآخرين وربما كان أسهل على المرء أن يحكم مدينة روضها الزمان واناخ عليها بكوارثه وبلاياه، وأرغمها الخطر المحدق على الاصغاء لصوت العقل، من أن يسرح سرجاً على الطيش والجموح، وحكم شعب نعموا بعهد طويل من الاستقرار والرخاء كالأثينيين عندما أمسك بيركليس بأعنة الحكم. ولكن الشجاعة في فابيو س، وقوة ارادته الفائقة للعادة لم تقف حائرة خائرة امام مخلفات الكوارث المكدسة التي كان أهالي روما يومئذ يرزحون وئنون تحتها.

ويجوز لنا أن نضع استعادة تارنتوم أمام عمل بيركليس بجزيرة [ساموس]. وان نعاذل فتح [ايوبيا]، بفتح مدن [كامپانيا]، وان كان إخضاع [كاپوا] بالذات قد تم على يد القنصلين

[فولفيوس Fulvius وأبيوس Appius]. ولم أجد معركة فاصلة واحدة أنتصر منها فابيوس، استثناء معركة مع [الليغوريين Ligurians] التي كوفيء عنها بموكب ظفر. في حين نجد بيركليس قد أقام تسعة أنصاب لتسعة أنتصارات نالها براً وبحراً. إلا أننا لا نجد عملاً لبيركليس يمكن مضاهاته بمآثرة انقاذ [مينوشيوس] الخالدة. عندما انتشل فابيوس جيشه وشخصه من هلاك محقق، انه لعمل جليل أمتزج فيه الاقدام بالحكمة والانسانية. ويبدو من جهة أخرى أن بيركليس لم يعان ما عاناه [فابيوس] من هنيئيل بشيرانه الملتهية. فقد وقع عدوه تحت رحمته دون مجهود منه وبمحض الصدفة، ومع ذلك فقد تركه ينسل انسلالاً من قبضته في جنح الليل، وعندما انبلج الصبح تعرض لأذاه واستبقه في ساعة النصر، وسيطر عليه أسيره بالأمس. وإذا كان من صفات القائد الجيد أن لا تقتصر نظراته على الحاضر، وإنما أن يتصف ببعد نظر فيما يستقبل من الزمان، فلا شك أن بيركليس يتفوق على فابيوس من هذه الناحية. لأنه حذر الآتئين وأنذرهم مسبقاً، بويلات الحرب وبما سيُجر عليهم طمعهم في ما يزيد عن مقدرتهم على ادارته. ولم يكن [فابيوس] بهذه المقدرة على التنبؤ عندما أخذ على الرومان تهمسهم لخطة [سكيبيو] ووجد فيها خراب الجمهورية. ولهذا كان بيركليس متنبئاً حسناً لنجاح سيء، وكان فابيوس متنبئاً سيئاً لنجاح حسن، والواقع أن خسارة منفعة بسبب فقدان الثقة في النفس ليست بأقل لوماً، من الوقوع في خطر بسبب الافتقار الى بعد النظر، على العموم. فكلما النقيصتين مع اختلاف طبيعتيهما تبععان من جذر واحد، هو الافتقار الى الخبرة واصالة الفكر.

وأما من الناحية السياسية فقد عزي الى بيركليس اثاره الحرب، عندما لم يقنع بالشروط التي عرضها اللقيديميونيون عليه. الحق يقال ان فابيوس أيضاً لم يكن بالذي يتنازل للقرطاجيين عن أية نقطة بل كان مستعداً للمجازفة بالكل ولا يرضى باقتطاع جزء من الامبراطورية الرومانية. إن طيبة فابيوس وحسن معاملته لزميله [مينوشيوس] تدين - بطريق المقارنة محاولات بيركليس لنفي [سيمون وتوكديدس] الرجلين النبيلين الارستقراطيين، اللذين حكم عليهما بالنفي والتشريد بمسعى منه. ولقد كانت سلطة بيركليس في أثينا أوسع وأعظم من سلطة فابيوس في روما. ولذلك كان أسهل عليه أن يحول دون الارهاصات الناجحة عن اخطاء ضباط آخرين وقلة كفاءاتهم، ولم يخرج أحد عن أمره غير [توليدس]، فقد قاتل [البويوتيين] خلافاً لرغبة بيركليس ونصحه، فقتل. إن قوة نفوذه جعل الآخرين يخضعون لحكمه ويطيعون أوامره. في حين ان فابيوس الواثق من حجته وصحة حكمه لافتقاره الى السلطان الواسع - لم يملك الوسائل الكفيلة باصلاح هفوات الآخرين. ولقد كان من حسن حظ

الرومان لو أعطى سلطة أوسع، عندئذ ستقل الكوارث التي حلت بهم - على ما نعتقد. أما عن الجود والبذل العام فقد أشتهر بيركليس بعدم قبوله اي هدية، وأشتهر فاببوس بافتداء الجنود الأسرى بماله الخاص وان لم يزد المبلغ عن ستة تالنتات. وفي الوقت نفسه لم يكن أحد كبيركليس بملك الفرص للثراء فقد عرض عليه الملوك والأمراء والحلفاء الهدايا الثمينة، ومع هذا لم يكن هناك أعف منه وأبعد عن الفساد، ويجب الأقرار هنا أن جمال المعابد والمباني العامة الفخمة التي زين بها بيركليس بلده لا تضاهيها في الرواء والهندسة كل ما بني وأقيم في روما من تأسيسها حتى أيام القياصرة وهو واحدٌ وهم كثيرون.



الكليبيادس

**ALCIBIADES**

450 \_ 404





المعروف عن [الكيببidas] أنه منحدر بالأصل من نسل<sup>(١)</sup> [ايقرسكي Evrysaces] (\*) ابن [أجاس] من جهة الأب، ومن [الكيمون] من ناحية الأم. ووالدته [دينوماخي -Dinomache] هي بنت [ميغالس] وابو [كلينياس Clinias] الذي جهز سفينة على نفقته الخاصة، نال أعظم الشرف في المعركة البحرية بالقرب من [ارتميسيوم]<sup>(٢)</sup> وقتل فيما في موقعة [كورونيا Coronea]\*\*) ضد [البوتيين].

وكان [بيريكليس] و[اريفرون Areiphron] ابنا [كزانتيپوس] يتصلان به بنوع من القرابة من ناحية أوصيائه، وفي رواية لا أراها تخلو من الحقيقة، ان شعور الوُد الذي كان يحمله له [سقراط] يرجع غالباً الى ما ذاع عنه ومع أننا لا نجد كاتباً واحداً بين الكاتبين يذكر لنا خبراً عن والده [نقياس Nicias] أو [ديموستينس] اللامأخسي، أو [فورميون Phormion] الثراسيبولي [Thrasylbulus] وكلهم رجال ذاع صيتهم في تلك الفترة، فاننا نعلم أشياء حتى عن مرضع الكيببidas، فأسمها [أميكلأ Amycla] وهي من لقيديمون. ونعلم أيضاً أن [زوبيروس Zopyrus]<sup>(٣)</sup> كان معلماً ومرافقاً له والخبر الأول جاءنا من [انتستينس] والثاني أورده [أفلاطون].

ومن النوافل هنا أن نتحدث عن جمال الكيببidas، ويكفي القول في هذا الصدد أن هذا

(\*) افلاطون: الكيببidas: ١.

(\*\*) في السنة ٤٨٠ ق.م.

(١) شهد عدد كبير من أفاضل المؤرخين بعراقة أسرته ونبل محتده، وكادوا يجمعون كافة في الاتفاق على الخطوط العامة لسيرته مع أختلاف طفيف في الجزئيات. ان جد ميغالس المذكور في المتن، كما قد تزوج [اغارستي] بنت [كلستينس] طاغية سيكيون. وانحدر من [الكيميون] الذي أشتهر اسلافه منذ عهد [نقيسفسن] مع العلم ان [خزانتيوس] والد [بيركلس] تزوج اغارستي ثانية هي بنت عم للأولى.

(٢) انظر هيرودوتس [٨:١٧] إن معركة (كورونيا) التي قتل فيها. انما وقعت في السنة الثانية من الاوليباد الثالث والثمانين [ديودورس المرجع السالف ١٢:٦]. وكانت من أعظم النكبات التي حلت بالاثينين. فالقسم الأعظم منهم بات بين قتيل أو أسير. وصرع جنرالهم [توليدس] وقامت المدن البويوتية المستسلمة العديدة بافتداء الأسرى.

(٣) يحدثنا افلاطون في رسالته [الكيببidas: ١] أن [زوبيروس] هذا، هو عبد تراقي أبق طاعن في السن.

الجمال بقي زاهراً طوال حياته ولازمه منذ حدثته وشبابه حتى رجولته، منسجماً مع كل مرحلة من مراحل عمره انسجماً عجيباً، ومكسباً شخصه جلالاً وسحراً ومع أن قول [يورپيدس]: «جمال الخريف، جميل أيضاً»

لا يصدق بشكل عام، إلا أنه حقيقة واقعة في [الكيببidas] من بين القلة التي انطبق عليها القول. وهذا يعود الى جمال تكوينه وممتانة بنيته الطبيعية. ولقد قيل ان لثغة لسانه كانت تزيد من حلاوة نطقه، وتضفي على حديثه المتسارع طابعاً جذاباً، وشعوراً بالثقة والافتناع. وقد اثبت [ارسطوفانس] ذلك في الأبيات التي نظمها بالتندر على [ثيوروس Theorus] قال: «قال الكيببidas: لكم هو شبيهه (بكولاكس Colax) قاصداً [كوراكس Corax = الغراب]، ثم يعلق الشاعر على هذا قائلاً: «ما أجمل ما يلثغ بالحقيقة!»

كذلك يشير [ارخيبيوس<sup>(٤)</sup>] الى هذه اللثغة في قصيدة يسخر بها من ابن الكيببidas: «ولكي يتوهمه الناس صنو أبيه وشبهه تراه يمشي وكأنه مجبول بالنغمة غارق في الترف تاركاً أهداب ثوبه تجرجر على الأرض خلفه. ويحني رأسه بقلة أكثرثا ويتصنع اللثغة في حديثه.

وبدا في سلوكه مفارقات ومتناقضات بحسب تقلبات الزمن العجيبة المتعددة له. على أن الطموح ورغبة الاستعلاء كانت من أبرز النوازع التي تدمغ شخصيته بطابع قوي، وبدت منها لمحات في أقواله وتصرفاته أيام كان صيباً. فمرة ضايقه خصمه في مباراة مصارعة، ولما تبين أنه سيطر أرضاً عضاً يد خصمه بكل قوته فأرخی في الحال قبضته عنه وقال «اراك يا الكيببidas تعض المرأة» فردّ عليه «لا بل كأسد!» وفي مناسبة أخرى كان يلعب الزهر مع اتراب في عرض الشارع وهو بعد صبي يافع، فأقبلت عربية حمل نحوهم، وكان قد حان دوره لالقاء الزهر فأهاب بالسائق أن يقف لأن رميته ستكون في طريق مرور العربية، فلم يكثرث الرجل بقوله وواصل السير فأفسح بقية الصبيان للعجلة وانسحبوا إلا [الكيببidas] فقد انبطح على الأرض امام العربية ووجهه الى أسفل متحدياً السائق ان يمرّ ان استطاع. ففزع الرجل وبادر الى شدّ أعنه الخيل وايقافها، وشاع الخوف في نفوس المستطرقين وأخذوا يتصايحون وهرعوا لإقالة الصبي.

وتميزت معاملته لمعلميه بالطاعة - عندما بدأ يتلقى أصول العلم. إلا أنه أبى ممارسة النفخ بالناي<sup>(٥)</sup>، وعده مهنة وضیعة لا تليق بالمواطن الحرّ. وحجته في هذا ان العزف على العود أو

(٤) أخذ كتاب الكوميديات الأقدمين.

(٥) هذا ما جاء ارسطو الى ذكره في [السياسة] فقد بحث ببعض اسهاب فوائد دراسة الموسيقى ومضارها.

المزهر لا يحدث تشويهاً في جسم المرء أو وجهه بأية حالٍ من الأحوال، لكن النافخ بالناي يكاد لا يعرف حتى من أقرب اصدقائه عندما يقوم بالعزف. زد على هذا أن العازف على المزهر يستطيع ان يغني أو يتكلم أثناء عزفه، لكن استعمال الناي يؤدي الى اطباق الفم وحبس الصوت ومنع اللسان عن النطق...

«فلندع اذن النفخ بالناي لشبّان [ثيبه] الذين لا يعرفون كيف يتكلمون. أما نحن الآثينيين فلدينا - كما قال لنا أجدادنا - الربة [منيرفا] حاميةً والربّ [ابوللو] حامياً، الأولى نبذت الناي وعافته، والثاني سلخ جلد النافخ به<sup>(٦)</sup>» وهكذا عمل [الكيببادس] بين جدّه وهزله على التخلص من ممارسة نفخ الناي، وغرس في الآخرين كرهه أو أن الشبان راحوا يتحدثون عن أحتقار الكيبباديس له وسخريته بمن يتعلمه، فسقط هذا الفنّ وأهمل بصورة عامة.

وفي النقد الشديد الذي ألقه [أنتيفون Antiphon]<sup>(٧)</sup> ضدّ الكيببادس، ذكر انه هرب في حدثه مرةً ولجأ الى منزل [ديموقريطس] وكان هذا ممن أختص به وصاحبه. فعزم انتيفون التشهير به على الملأ، وهم بذلك لو لم يشنه [بيريكليس] بقوله: «إن كان قد مات فالتشهير به لن يعجل بالعثور عليه أكثر من يومٍ واحدٍ. وإن كان حياً سالمًا فسيكون عمك سبّةً له طوال حياته». ويقول [انتيفون] أيضاً، انه قتل واحداً من خدمه بضربة عصا في نادي سبرتيوس Sibyrtyus للمصارعة. لكن ليس من المعقول أن نصدق كل ما يتخرص عدوه عنه، بعد اقراره علناً أنه عازمٌ على تشويه سمعته.

ولم يمر وقت طويل حتى أخذ الكثير من ذوي الحسب والوجاهة يتنافسون دوماً على مصاحبته ووصاله، انما كان يجتذبهم منه أبعيته وجماله الفتان اللذين فاقتا العادة. على أن حبّ [سقراط] العظيم له، يصحّ أن يتخذ شاهداً قوياً على سجايا الفتى النبيلة وخلقه الحميد، وقد تمكن هذا الفيلسوف بنفاذ بصيرته من الكشف عنها في جمال خلقته، وفي مواطن سريرته. فقد وجد أن مقامه وثراه والعدد الكبير من الآثينيين والأجانب يتملقونه ويمتدحونه، أمور قد تؤدي الى افساده، ولذلك قرر أن يتدخل في أمره ما وسعه ذلك للمحافظة على نبتة تبشر بأعظم الخير لثلاث تذبيل وهي ماتزال زهرة لم تنضج ثمرتها. فالحظّ لم يسعد أحداً كما أسعد الكيببادس ولم يحطه كما احاطه بالكثير مما يدعى باللغة الدارجة «أموالاً». أو حماه

(٦) يشير افلاطون الى هذه العقوبة التي انزلت بـ(مارسياس) لكنه يعزو اسبابها الى أمور أخرى. وفضلاً عن هذا فان الربة [أثينا منيرفا] القت بالناي جانباً بعد أن شاهدت خديها المورمين المتقرحين منعكسين على صفحة ماء النبع. وغلب (ابوللو) المسخ (مارسياس) في مباراة على العزف فسلخ المفلوب حياً.  
(٧) سفسطي العقيدة. عاش في أيام سقراط. وورد ذكره عند كزينفون في (اليمواربليا ١) وهو بصدد مناقشة هذا الفيلسوف. ولا وجود لهذه المحاورة وربما عزي ذلك كذباً الى [انتيفون].

من كل سلاح من أسلحة الفلسفة أو حصنه من أي غائلة من غوائل الطعن والتجريح. فقد كان من البداية هدفاً لتملق الذين لا ينددون غاية سوى أراضائه. مما كان يعمل على أضعاف نفسه، ويكرهه بنصيحة اي ناصح أو واعظ صادق النية. ويشاء حظ عبقريته أن يستخلص له [سقراط] صديقاً من دون الجميع. فلصق به وأجتوى الاغنياء وأكابر القوم المتكالبين على صحبته، وما عتم حبل الود أن توثق فيما بين الاثنين بشكل لا انفصام له. وأنقلب حال [الكيببidas] فصار يعير أيضاً صاغية لكل حديث خلا من التهتك وفكرة العشق المخنث ومظاهر التودد السخيفة المتبذلة، وعرف حق المعرفة إنه يعاشر إنساناً هدفه الكشف له عن نواقصه العقلية، وقمع تعاليه الباطل المتبذل فمالث: «عَرَفَهُ أن نام وذهبت كبرياؤه وتهدل جناحه كالديك المغلوب»

ووقعت مجهودات سقراط في نفسه موقع التقدير العظيم بوصفها أصح الوسائل التي تلجأ إليها الآلهة لإصلاح الشباب والعناية بهم. وعاد يحتقر ذاته، ويعجب بسقراط، ويدخله الفرح للعطف الذي يلقاه منه. ويقف موقف الخاشع من فضائله، وبدأ دون أن يشعر، يكون في ضميره صورة انعكاسية متبادلة للحب و «لأنيتروس Anteros» الذي تكلم عنه افلاطون. وكان موضع دهشة عامة إذ رآه الناس يشارك سقراط طعامه ونزهاته ويساكنه خيمته، بينما أخذ يظهر صدوداً وتحفظاً تجاه كل من يحاول انشاء صلة به. ووصل صدوده من هؤلاء حَدَّ الخشونة والمعاملة المهينة القاسية، ويذكر بنوع خاص معاملته لأنتيوس Anytus ابن [انثيميون Anthemion] الذي كان مغرماً به الى حَدِّ الوله. ودعا هذا الى وليمة كان قد أعدّها لبعض الأعراب فرفض [الكيببidas] دعوته. إلا أنه أفرط في الشراب في منزله مع أصحاب له، وخرج ثملاً يقصد محل الوليمة ليلعب لعبة مزاح. ووقف عند باب الغرفة حيث المدعوون في قصفهم ولهوهم ونظر الى الموائد وقد تكدست فوقها اقداح الفضة والذهب، فالتفت الى خدمه وأمرهم أن يجمعوا نصفها ويحملوه الى بيته ثم غادر المنزل<sup>(8)</sup>، مترفعاً حتى عن الدخول الى غرفة الوليمة وعصفت سورة من الغيظ في نفوس الجماعة، وراحوا يندوون بمسلكه الشائن المهين، لكن انتيوس اسكتهم قائلاً انه لا يتفق معهم في هذا، وان الكيببidas أظهر كياسة وحسن تصرف عظيمين إذ أخذ الجزء بينما كان يستطيع أن يأخذ الكل!

وكان سلوكه هذا واحداً مع جميع عاشقيه الذين يريدون وصاله، إلا أجنبياً واحداً كان كما

(8) يقول [أنثيوس] انه لم يأخذها لنفسه. لكنه انتزعها من صديقه الغني ليعطيها [تراسيلوس] الفقير. وهو ما يخفف من وقع الحكاية الى حد ما. كان انتيوس أحد الرؤوس الذين وجهوا الاتهام لسقراط فيما بعد.

تروى الحكاية يملك عقاراً صغيراً ليس له غيره فباعه بمبلغ يناهز مائة (ستاتر)<sup>(٩)</sup>، وقدمه لالكيببىادس ورجا منه قبوله فابتسم الكيببىادس مسروراً بهذه المبادرة ودعا الى العشاء وبعد أن أكرمه وأحتفى به أعاد اليه ذهبه وطلب منه الحرص على الحضور في اليوم الثاني عندما تعرض جباية الضرائب العامة للمزايدة وان يتدخل بين المزايدين ولا يكف عن رفع السعر. فطفق الرجل يعتذر لأن المبلغ المطلوب جسيم للغاية وقد يبلغ كثيراً من التالنتات. إلا أن [الكيببىادس] الذي كان في ذلك الحين يحقد حقداً خاصاً على متعهدي الجباية الحاليين - هدد الرجل بالضرب إن هو رفض طلبه. وفي اليوم التالي حضر الغريب ساحة السوق وزاد تالنتاً واحداً على السعر الحالي. فثار غضب الجباة ثم أخذوا يتشاورون فيما بينهم وتوجهوا نحوه طالبين منه تسمية التأمينات التي ثبت أهلته، مستنتجين بأنه لن يجد أي ضمان. فافزعه هذا الطلب وبدأ يتراجع ولكن الكيببىادس الذي كان واقفاً عن كئيب نادى الحكام قائلاً: «ضعوا أسمي الى جانب اسمه. انه صديق لي وساكون ضامناً له». ولما سمع المزايدون الآخرون ذلك، ادركوا أن محاولتهم هذه قد أخفقت. وكانوا في محنة لأنهم ارادوا بارباح السنة التالية أن يدفعوا بدل تعهد السنة السالفة. ولم يجدوا مخرجاً من ورطتهم هذه إلا بالرجاء من الرجل الغريب وتقديم مبلغ من المال. ولم يرض الكيببىادس له بأقل من [تالنت] واحد، وعندما دفع له ذلك أمره بكف يده عن المزايدة، وبهذه الحيلة أخرجه من ضيقه المالي.

ومع أن [سقراط] كان له كثير من المنافسين الأقوياء. فان سجايا الكيببىادس الخلقية الطيبة أعطت صداقته السيادة على كل المنافسين. كانت كلمات الفيلسوف تؤثر فيه أعظم تأثير حتى تستدر الدموع من عينيه، وتهز نفسه هزاً عنيفاً. على أنه كان في بعض الأحيان يستمريء تملق المتحلقين عندما يزينون له تعاطي مختلف المذات، فيترك [سقراط] إلا أن الفيلسوف يتبع آثاره كأنما يطارد عبداً أبقاً. وكان السيببىادس يحتقر الناس ولم يحترم أو يجل أحداً سواه. ويقول الفيلسوف [كليانثس Cleanthes] في معرض حديث له عن شخص كان لصيقاً به: إن اذنيه هما مجال تأثيره الوحيد فيه، بينما كان منافسوه على صداقته يملكون منه سائر المجالات الأخرى للتأثير فيه. وليس من سبيل للشك في أن (الكيببىادس) كان ضعيفاً للغاية أمام مباحج الحياة سهل الوقوع في حبالها. وان العبارة التي استخدمها ثوكديدس لوصف سبيل العيش المفرط في المذات الذي اختطه الكيببىادس يؤكد هذا الاعتقاد إلا أن الذين حاولوا افساده استفادوا بالدرجة الأولى من نزوعه الى الطموح والغرور ليدفعوا

(٩) عملة (ستاتر) تزن اربع دراخمتات آتيكية. وقد تكون من الذهب أو الفضة. والفضة منه تعادل قيمته دولاراً امريكياً واحداً على وجه التقريب. أما (ستاتر داريكوس) فهو النقد الذهبي الآتيكي ويجب أن يكون أعلى قيمة من هذا بكثير اذا ما حسبت نسبة تحويل الذهب الى فضة بواحد الى عشرة.

به قبل الآوان الى ركوب أعظم المغامرات. وأقنعوه بأنه ما أن ينصرف الى الشؤون العامة حتى تكسف شمسهم شمس كل الساسة والقادة، بل سيفوق بيريكليس شهرة وسلطاناً في بلاد الأغرريق. وكثيراً ما لاحظ سقراط مع هذا - أن مثل الكيبيادس كمثل الحديد تلينه النار وتصلبه البرودة وتشد أجزاءه ثانية. تضله الكبرياء والترف سواء السبيل، ليعود نادماً مصححاً أخطاءه بنصائح الفيلسوف، ويستقيم ويتضح عندما يوضح له النقائص الكثيرة التي فيه، وكم هو بعيد عن كمال الأخلاق.

عندما اجتاز دور الحداثة قصد مرة مدرسة للنحو وطلب من الاستاذ أحد كتب هوميروس. ولما أجابته انه لا يوجد شيء من مؤلفات هوميروس، أهوى عليه بلكمةٍ وخرج. ومرة قال له معلم آخر أنه نقح آثار هوميروس بنفسه. فقال الكيبيادس:

- كيف؟ وهل تصرف وقتك في تعليم الصبيان القراءة؟ أنت الذي تتمكن من تصحيح هوميروس ما أجدر بك أن تثقف الرجال.

ورغب يوماً أن يبادل بيريكليس الحديث فقصد منزله فقيل له أن بيريكليس ليس فارغاً له، لأنه مشغولٌ في التفكير بكيفية تقديم تقرير باعماله للآثينيين فقال الكيبيادس وهو ينصرف خيراً له أن يفكر في كيفية تجنبها بها تقديم أي تقريرٍ ما.»

وفي مطلع شبابه كان جندياً في الحملة التي جردت على [پوتيديا] (\*) وكان سقراط يساكنه في عين الخيمة، ويقف في المعركة الى جانبه. ومرة حصل اشتباك عنيف، أبدى فيه شجاعة عز نظيرها إلا أن الكيبيادس أصيب بجرح ووقف سقراط حاجزاً امامه يحميه، ولم يساور الشك أحداً في أن هذا العمل أنقذ صديقه مع سلاحه من الوقوع في يد العدو وكان العدل يقضي أن يمنح سقراط جائزة البسالة لعمله هذا. إلا أن القادة مالوا الى منح الكيبيادس هذا الشرف بسبب مركزه الطبقي. وكان سقراط يرغب في أن يزيد من تعطشه الى المجد النبيل القصد، فأنبرى أول شاهد له، والح عليهم لضفر أكليل الغار على رأسه وخلع شكة سلاح كاملة عليه. وبعد هذا، لما هُزم الآثينيون في موقعة [دليوم Delium] (١٠) وفيما كان سقراط مع فلولٍ قليلة العدو تتراجع ماشيةً، إذ لمح الكيبيادس وكان على صهوة حصانه، فلوى عنانه ولم يمض عنه بل وقف ليحيمه من الخطر، حتى نقله سليماً معاني رغم أن زخم الهجوم كان شديداً

(\*) في العام ٤٢٢-٤٢١ ق.م.

(١٠) يخبرنا [لاخيس] الذي كان ملازماً سقراط في ذلك الحين ان الآثينيين ما كانوا ليهزموا لو وقف سانزهم الوقفة التي وقفها سقراط وصمدوا وادوا واجيهم مثله [ثوكيديوس ٢:٢، ١٠٤:٤]. ان افلاطون الذي نقلنا عنه هذه الرواية عن حادث (پوتيديا) يزعم اثينيوس بأنه أختلق هذه الرواية على كل ليكرم ذكرى استاذه. وهذه المعركة جرت في الالبياد التاسع والثمانين اي بعد وقعة پونديا بثمانين سنوات.

عليهم والمقتلة فيهم عظيمة. على أن ذلك حصل بعد زمن بعيد.

ومرة صفح [هيپونيكوس Hipponicus] والد كاليباس Callias وهو رجل عظيم الشأن كبير المقام لنسبه العريق وثرائه، فعل ذلك دون سبب أو استفزاز أو سورة غضب مفاجئة، أو خصام نشأ بينهما. بل لأنه تراهن مع صديق له في لحظة مزاح، بان يقدم عليها. وسخط الناس سخطاً شديداً على هذا الاعتداء عندما انتشر خبره في المدينة. إلا أن الكيببىادس قصد منزل هيپونيكوس في صباح اليوم الثاني الباكر وطرق الباب، فسمح له بمواجهة المعتدى عليه، وهناك بادر الى خلع رداءه الخارجي وعرض جسمه العاري له ليجلده ويعاقبه كما يحب ويشتهي فنسي هيپونيكوس كل ما شعر به حتى ولم يكتف بالعفو عنه بل زوجه بعد قليل بابنته [هيپاريتة Hipparete]. ويقول بعضهم أن كاليباس ابنه هو الذي اعطى هيپاريت، وليس اباه. ومهرها بعشرة تالنتات، وان الكيببىادس عندما انجبت له ابناً أرغمه على أعطائه عشرة تالنتات أخرى محتحاً بأن الاتفاق قد تمّ بينهما على ذلك عندما تنجب هيپاريت. ودبّ الخوف في قلب كاليباس من أن يدبر الكيببىادس اغتياله فأعلن في اجتماع عمومي للمواطنين الآثينيين، أن بيته وأمواله كلها وقفٌ للدولة إن توفي بلا عقب. وكانت هيپاريت زوجاً مخلصه رفيعة الخلق، إلا أنها زهقت أخيراً وعيل صبرها للإهانات التي كانت تلقاها من زوجها لمعاشرته المستمرة للعاهرات الآثينيات والاجنبيات، فانفصلت عنه ولجأت الى منزل أخيها ولم يبد الكيببىادس أهتمام بالأمر مطلقاً وواصل حياته الدنسة إلا أن القانون كان يتطلب أن تحضر بنفسها أمام [الأرخون] لا بوكيل ينوب عنها وتقدم الدليل الذي يعطيها حق الادعاء بالطلاق. فتطبيقاً لحكم القانون تقدمت بشخصها للإدعاء، فجاء الكيببىادس ورفعها بيديه وحملها الى منزله ماراً بساحة السوق دون أن يجراً أحدٌ على اعتراض سبيله أو استخلاصها منه. فبقيت في كنفه حتى وفاتها التي حصلت بعد فترة ليست طويلة عندما كان الكيببىادس في [أفسس Ephesus]. ولم تكن هذه الفعلة تعتبر من الكبائر أو مما لا يليق بالرجال. لأن القانون الذي أوجب على طالبه الطلاق أن تحضر في مجلس علني، يبدو أنه قصد بهذا إعطاء زوجها فرصة لاقتاعها والعمل على اعادتها.

كان [الكيببىادس] يملك كلباً اشتراه بسبعين [ميناً] (\*)، ضخم الجسم في غاية الرشاقة والجمال. وكان ذيله أظهر حلية فيه، فعمد الى بتره<sup>(١١)</sup>، وراح كل اصحابه يلومونه على فعلته وقالوا أن آثينا أسفة على ما حل بالكلب ولا حديث لأهلها إلا أستنكارها مضحك

(\*) ما يعادل ٧٠٠٠ دراخما.

(١١) عن لونكهورن: إن التمثال الأثري النفيس الذي يمثل هذا الكلب مقطوع الذيل موجود الآن في دونكومبه پارچ في مقاطعة يوركشاير بانجلترا. الموقعة حصلت في العام ٤٢٤ - انظر افلاطون [المحاورات].



وقال: « ما قصده حصل بالتمام اذن. كانت رغبتني أن يتحدث الآثينيون عن هذا حتى لا يتقولوا بالسوء عني».

وقيل أن أول حضوره مجلس العموم كان مناسبة تقديمه منحة مالية للشعب. ولم يكن عمله هذا نابعاً عن سبق تفكير به، بل صدر منه عفواً بينما كان ماراً في سبيله، إذ سمع صيحة فسأل عن السبب فأعلم أنه تبرع عام للشعب فجاء اليهم وتبرع هو أيضاً. فهتف له الجمع وصفقوا، وأخذ بالمفاجأة، حتى أنه نسي سمانياً quail كان يخفيه تحت عباءته، فأجفله الضجة وأفلت طائراً، وزادت هذه الحادثة من ضجيج الناس وهتافهم وأنطلق كثير منهم وراء الطائر، وتمكن أحدهم، [انطيوخس Antiochus] الملاح من امساكه واعادته له، فجعلته هذه الحادثة من أعزّ اصداق الكيببidas (١٢).

كان لديه كثير من المؤهلات العظيمة للدخول في معترك الحياة السياسية فشرف نسبه، وثراؤه، والبسالة التي ابداهها في مختلف المعارك وكثرة أصدقائه ومشاييعه، فنحت كل الأبواب بوجهه على ما يقال إلا أنه لم يرض أن يدع نفوذه مع الشعب يستند كل شيء غير موهبة الخطابية ومضاحته. أما وانه استاذ من الخطابة فهذا ما يشهد به الشعراء الساخرون. وأعترف له أقدر الخطباء الجماهريين إنه الى جانب مواهبه الأخرى - بلغ الذروة في فن الخطابة، بخطابه الزري ألقاه ضدّ ميدياس [Midias] (\*).

وإذا وثقنا بكلام [ثيوفراستوس] وهو من دون كل الفلاسفة أكثرهم تحقيقاً وتدقيقاً وحباً للتاريخ، فلنا أن نذكر أن الكيببادي كان ذا قدرة عجيبة على استنباط واستخراج كل ما هو صائب وصالح القول لأي غرض ولأي مناسبة، مع وضعه في قالب لفظي بليغ لفظاً وتركيباً. وعندما لا تحضره العبارات المناسبة أو الكلم الدقيق فكثير ما يسكت وهو في وسط حديثه ويظلّ صامتاً حتى يقع على التعبير المنشود وسيطر على نفسه.

وكانت نفقاته الضخمة على خيول الالعاب العامة والعدد الكبير الذي يحتفظ به من العجلات موضع حديث الناس، إذ لم يرسل أحد غيره - ملكاً كان أم شخصاً عادياً - سبع عجلات مرة واحدة الى الالعاب الاولمبية وان يفوز دفعة واحدة بالجوائز الأولى والثانية والرابعة

---

(١٢) في تلك الايام كانت تربية طائر السمانى شائعة. وكان سقراط قد نصح الكيببidas بقوله ان يروزه في الحياة العامة يقتضي منه المزيد من الدراسة يحقق تفوقه على قادة العدو. ثم عقب بمزاح قاس «كلّ كلاً يا الكيببidas، ان الدرس الوحيد الذي انشغلت به هو كيف تتفوق على [فيدياس] في تربية السمانى! [افلاطون: الكيببidas ١] كان اسم الرجل الذي امسك بطائر الكيببidas سيبقى مغموراً لو لم يُنبئ في قيادة الاسطول عند غيابه. وعندما سخت له فرصة أصيب بشرّ هزيمة.

(\* ديوستينس: «ضد ميدياس» ١٤٥٠.

(على قول ثوكديدس) (\*) أو الثالثة (على قول يوربيدس). فيسبق بدرجة عالية جداً كل امتياز عرف أو منح في هذا الباب. وقد حياً يوربيدس فوزه بالابيات التالية:

إن نشيدي هذا واجب لك عليّ يا ابن كلينياس

النصر نبيل ولكن الانبل منه أن تنجز ما لم ينجزه أحد من اليونانيون قبلاً  
أن تفوز في سباق العجلات الكبير، بالدرجة الأولى والثانية، وتخرج من السباق  
دون أن يصيبك التعب.

وتجعل المنادي يطلب ثلاث مرات أكليل زيتون زفس (١٣)

إن التنافس الذي ابداه مختلف وفود الدول - في تقديم الهدايا له زاد من قدر نجاحه. وضرب له وفد [أفسس] خيمة ذات زخارف في نهاية الفخامة، وأهدته مدينة [خيوس] علفاً لحبولة مع كثير من حيوانات الأضاحي. وأرسل له وفد [ليسيوس] خموراً وزاداً للولائم الكبرى التي أقامها (١٤). على أن لم يخلص من الألسن الحادة والنقد رغم كل هذا، وحصدوه إما لسوء طبع أعدائه. أو لسوء سلوكه. فقد قيل أن أثينياً يدعى [ديوميديس] من سراة القوم، وصديق لالكيببيادس، كان شديد الرغبة في الفوز بالسباق الأولي وكان قد سمع الكثير عن العربة التي تملكها الدولة في [أرغوس]، ولعلمه أن الكيببيادس يتمتع بمنزلة ونفوذ كبيرين هناك واصدقاء كثير، رجا منه أن يتوسط لشراء العجلة له، واتباع الكيببيادس العربة فعلاً وأختصها لنفسه، تاركاً وديوميديس يتميز غيظاً منه. ويبتهل الى الآلهة ويدعو الناس ليشهدوا الظلم الذي أصابه. ويبدو أن دعوى أقيمت في المحكمة بهذا الخصوص، كما يوجد لدينا مقولة عن العجلة كتبها [ايسوقريطس Isocrates] دفاعاً عن ابن الكيببيادس. إلا أن المدعى في هذه الدعوى هو [تسياس Tisias] لا [ديوميديس].

وما أن بدأ يدخل معترك السياسة ويتدخل في شؤون الحكم وهو ما يزال فتىً يافعاً، حتى أضعف منزلة جميع أولئك الذين استرحوا الثقة من الشعب، ما عدا [فاياكس] ابن

(\*) هو Epini Kion أو ترتيبه، النصر مثل اناشيد بندار الميسورة.

(١٣) فاز الكيببيادس بالجوائز الأولى والثانية والثالثة بشخصه في حين فازت عربته في غيابه مرتين.

(١٤) يكتب [انتستينوس تلميذ سقراط ان مدينة [خيوس] كانت تقدم العلف لخيوله. وخبزيكوم تؤمن له الأضاحي، هذه العبارة تستحق التأمل فقد علمنا منها ان ذلك لم يقتصر على مناسبة ذهاب الكيببيادس الى الالعب الالبية بل تعداه الى حملاته العسكرية وتنقلاته. فيقول بهذا الصدد: «كلما سافر الكيببيادس قامت اربع مدن على خدمته كما تقوم وصيفات على الخدمة في البيت. و(أفسيس) تمدّه بخيم فاخرة شبيهه بالخيام الفارسية. و[خيوس] تمده بعلن دوابه. و[خبزيكوم] تمدّه بالاضاهي والارزاق موائد طعامه، [ليسيوس] ترسل اليه الخمر وكل ما هو ضروري لادارة بيته».

[ايرسيستراتوس Erasistratus] ابن [نسياس] ابن [نيكيراتوس Niceratus] الذي وقف وحده في حلبة المنافسة خصماً له. كان [نسياس] قد عاد وهو في سن متقدمة، ونصب قائداً أعلى. وكان [فاياكس] كالكيبيادس سياسياً صاعداً. وهو سليل بيت عريق لكنه يقل شرفاً وعراقة عن نسب الكيبيادس كما كان يقل عنه في أمور شتى أخرى في مقدمتها البلاغة. على أنه كان يتمتع بمقدرة نادرة على الاقناع في مجال الأحاديث الخاصة، لا في نقاش عام امام الشعب. وكما قال فيه [يوپوليس Eupolis]:

« هو اخر المتحدثين واعجز الخطباء »

هناك مقالة نقد كتبها [فاياكس] (\*) في الكيبيادس. ذكر فيها بما ذكر. أنه كان يستعمل يومياً على مائدة طعامه أواني الذهب والفضة التي تعود للمواكب والحفلات العامة كأنما هي ملك خاص (١٥) به.

كان ثم رجل اسمه [هيبربولوس Hyperbolus] من مدينة [بيريثودي Perithodae] يذكر عنه (ثوكديدس) (١٦) أيضاً، بأنه رجل سيء الخلق، وموضوع سخريه عامة لكل الكتاب الهزليين في عصره، لايهتم قط بما يقولون عنه مهما بلغت أقوالهم من السوء فيه. وهو عادم الاكتراث بالسمعة، قليل الإحساس بالعار، خلُق ير يعده بعض الناس جراءة وشجاعة. في حين أنه وضاعة وقلة حياء. لم يكن يحبه أحد إلا أن الناس كثيراً ما أستخدموه كلما انصرفت نيتهم الى تحقير شخص في الحكم أو اساءة سمعته. وفي هذا الوقت كان الشعب بناء على تحريض هذا الرجل، مهيناً للأضطلاح باجراءات أصدر حكم بالنفي لمدة عشر سنوات وهو ما يطلق عليه «النفي من دون محاكمة Ostracism». وكانوا يلجأون الى هذه العقوبة لإذلال وطرده المواطنين الذين تفوقوا على غيرهم في في السطان والشهرة وكانت دوافع الحسد والغيرة في عملهم هذا تغلب على دافع التخوف والحذر من خطر المحكومين بها. ولم يكن أنذاك من شك في ان العقوبة ستقع على أحد الثلاثة. وبذل الكيبيادس جهده ليقيم ائتلافاً بين الاحزاب وفتح [فسياساس] بمشروعه، وكانت نتيجته وقوع النفي عن نصيب [هيريوبولس]. ويقول

(\*) هذه المقالة وصلتنا من بين خطب اندوفيدس (الرابعة) وهي واضحة التصنيع نحلاً مؤلف مجهول لسان فاياكس.

(١٥) الظاهر انه كان يستعير هذه الصحاف المكرسة فيبخسها بالاستعمال الديني ولا يعيدها الا قبيل المواسم الدينية للعرض كي يبدو للأغراب وكأنها ملكه وانه أعارها للمدينة. اما (فاياكس) فقد جاء ثوكديدس الى ذكره ووردت مقالاته هذه بين خطب [اندوقيدوس: الخطب ٤] وهي خطبة واضحة الزيف نحلاً كاتبها المجهول لسان [ماياكس].

(١٦) التاريخ الطبيعي ٧٢:٨.

آخرون انه لم يشاور [نسياس] في هذا الأمر بل [فاياكس]، وبمساعدة حزبه ضمن قرار النفي بحق [هيپربوليس] عندما كان أقل الناس توقعاً له، فقبل هذا لم يقع تحت طائلة العقوبة شخص نكرة وضع. وكان الشاعر الساخر افلاطون مصيباً كبد الحقيقة في قوله عن [هيپربوليس]: «مع هذا استحق المصير الجدير بالغابرين، المصير الذين لا يستأهله أمثاله من الرجال لأمثاله، وللعبيد الموسومين بمبسم العبودية.

على أننا أثبتنا في موضع آخر تفاصيل أوفى، مما نأى علمنا في هذا الشأن.

ولم يكن الكيببىداس بأقل همّاً بخصوص المنزلة الرفيعة التي نالها [نيقياس] لدى اعداء اثينا، من التشريف الذي خلعه الاثينيون عليه في الوطن. فمع أن [الكيببىداس] كان الشخص المعين رسمياً لاستقبال كل اللقيديمونيين عند قدومهم الى اثينا، ومع أنه أهتم إهتماماً خاصاً بالأسرى الذين أخذوا في [پيلوس Pylos]<sup>(١٧)</sup> فإنهم خصوصاً [نيقياس] وحده بالتكريم والتجلة بعد أن نالوا سلباً واستعادوا الأسرى بمسعى [نيقياس] بالدرجة الأولى وكان القول المأثور في بلاد الأغرقيق أن بيريكليس بدأ الحرب و[نيقياس] انهاها، وان السلم نُعت رسمياً<sup>(١٨)</sup> بسلم [نيقياس] اظطرب الكيببىداس اضطراباً شديداً لهذا الأمر ولما كان الحسد يملأه فقد راح يعمل على تشتت شمل العصبة المتحالفة. فوجد أولاً أن الأرغوسيين يريدون الحماية من عائلة اللقيديمونيين خوفاً وكرهاً.

فعدد بينهم وبين اثينا حلفاً معززاً بميثاق سري، واتصل بصورة شخصية وبطريق المراسلة مع رؤساء المستشارين في ارغوس مشجعاً أيهم على طرح جانب الخوف من اللقيديمونيين، وعدم التنازل لهم عن شيء ما. ونصحهم بالترث قليلاً وان يبقوا شاخصين بأنظارهم الى الآثينيين الذين أدركهم الندم الشديد للجنوح الى السلم وانهم لن يلبثوا ان ينقضوه.

ووجد [الكيببىداس] أيضاً أن اللقيديمونيين كانوا قد عقدوا صلحاً ومعاهدة تحالف مع البويوتيين، من شروطها أن يسلموا لهم مدينة [پاناكتوم Panactum] سليمة، إلا أنهم لم يسلموها إلا بعد أن دمروها<sup>(١٩)</sup> مما أثار غضب الآثينيين الشديد. ولذلك أسرع الكيببىداس

---

(١٧) في العام ٤٢٥ ق.م وهي تعزى خطأ الى [نيقياس] من قبل پلوتارخ وغيره من المؤرخين. فتوكيديدس يعلمنا ان تسمية (الكيببىداس) جاءت من الجهة اللقيديمية. وان «حقوق الضيافة» المذكورة في النص بدأت بين ابيه [كينياس] وبين الكيببىداس والد افيدوس Eudius أحد الايغوري الذي كان قد حلّ ضيفاً عليه في اثينا، فمنح اسمه لابنه (تكريماً) وعلى سبيل المقابلة بالمثل سمى الكيببىداس أحد ابنايه (بافيدوس) اسم الضيف اللقيديمي:

(١٨) جرى عقده في السنة ٢٤١ ق.م.

(١٩) قلعة على حدود بويوتيا وأتيكا. [انظر توكيديدس ٥: ٢٠، ٤٢].

ينتزه الفرصة، ليسعراً من غيظ مواطنيه مهاجماً [نقياس] هجوماً عنيفاً ومتهماً إياه بأشياء كثيرة لم تكن تخلو من الحقيقة. منها انه لما كان جنرالاً لم تبدر منه بادرة لأسر جماعة من جنود العدو<sup>(٢٠)</sup> كان قد قطع عليها سبيل الهروب في جزيرة [سفاكتيريا Sphacteria]، ولما قام آخرون بأسرهم سعي شخصياً الى إطلاق سراحهم وإعادةهم الى اللقيديميونيين لنيل الخطوة عندهم. ثم انه لم يستخدم نفوذه لديهم، لمنعهم من عقد هذا الحلف مع الكورنثيين والبيوتيين، بينما عمد من الناحية الأخرى الى اعتراض سبيل بعض الدول الأغريقية التي كانت تحبذ عقد معاهدة تحالف وصداقة مع أثينا لأن اللقيديميونيين لا يرغبون في ذلك.

وفي هذا الزمن الذي بدأت منزلة [نقياس] وسمعته تهويان الى الحضيض في عيون الشعب بمساعي الكيبيادس وفنونه، وأتفق أن حضرت سفارة من لقيديميون الى أثينا وصرح اعضاؤها انهم جاؤوا يحملون شروطاً مرضية جداً وانهم مفوضون مطلقو الصلاحية في تسوية كل ما هو موضوع نزاع بشروط مبنية على أسس العدالة والمساواة. ونالت مقترحاتهم قبول مجلس الشورى وأعلن انعقاد مجلس العموم في اليوم التالي لتجرى فيه مناقشة عروضة. فأشتبذ القلق بالكيبيادس لتطور الأمور بما لا يشتهي، وعمل على ان يجتمع بالسفراء سراً فتم له ذلك. ووجه اليهم القول التالي:

- ما الذي تسعون وراءه يا رجال سبارطا؟ أهكذا يغيب عن بالكم أن المجلس اعتاد دائماً أن يتخذ موقف الإحترام والاعتدال من كل السفراء؟ إلا أن جماهير الشعب خلاف ذلك فهي طموحة مندفعة بطبعها وراء المغامرات العظيمة والمطالب الضخمة، وإن علموا بانكم خولتم صلاحيات مطلقة فسيشددو عليكم النكير، ويرغموكم على شروط غير معقولة فيأياكم والسداجة، وحذار من سلامة النية إن كان قصدكم الاتفاق مع الأثينيين على شروط متوازنة فيها. والأ انتزعت منكم امتيازات لا تتفق وخططكم. ابدأوا بالتعامل مع الشعب على أسس ومبادئ، معقولة، واحذروا من القول بانكم مفوضون مطلقو الصلاحية».

(٢٠) بعد أن فقد اللقيديميون قلعة (بيلوس) في ميسينيا. وضعوا حامية جزيرة [سفاكتيريا] المقابلة لها، قواتها (٢٢٠) جندياً مع عدد من الهيلوت بقيادة [إبيتادس ابن بولوبروس] وأعتذر نقياس عن الخروج الى الجزيرة واحتلالها وان يتولى منصب القائد في حينه. إلا أن (كليون) وفق الى استعادتها وقتل عدد من افراد حاميته وسوق البقية أسرى الى أثينا وكان بينهم مائة وعشرون سبارطياً نالوا حريتهم بفضل نقياس. بعد هذا استعاد اللقيديميون القلعة فقد فشل انتيوس الذي قاد النجدة، في الوصول اليها لمعاكسة الريح وعاد الى أثينا فحكم عليه بالموت واستبدل الحكم بغرامة كبيرة. فكان أول من يفتردي حكم موته بالمال على هذا الشكل.

بعد أن أنهى حديثه هذا حلف لهم الأيمان بأنه سينجز ما وعدهم من المساعي لقضيتهم وبهذا الشكل ابعدهم عن نيقياس وجعلهم يعتمدون عليه اعتماداً كلياً. وغادرهم وهم يلهجون بالثناء على حصافته ونفاذ بصيرته. وفي اليوم المضروب اجتمعت العامة، وتقدم السفراء فنهض الكيببidas وسألهم بكل احترام وتوقير: « ما نوع الصلاحيات التي تزودوا بها؟ » فأجابوا أن تفويضهم غير مطلق. وهنا بدأ الكيببidas وكأنه موضوع الإهانة لا فاعلها، وأخذ يندد بهم بصوت داورٍ وينعتهم بالمراوغين والخداعين قائلاً إن هؤلاء لم يأتوا ليقولوا ويعلموا أي شيء يتفق ومباديء الصدق وسلامة القصد. واثارت نائرة مجلس الشورى وضج الجمهور سخطاً عليهم. أما [نيقياس] الذي كان يجهل اللعبة فقد استبدت به الحيرة وكان كغيره مذهولاً خجلاً من التغيير في كلام اعضاء الوفد.

وبهذا رفضت سفارة اللقيديمونيين رفضاً باتاً. وأعقب ذلك انتخاب الكيببidas جنراً. فبادر في الحال الى عقد حلفٍ اثنيي مع الأغوسيين<sup>(٢١)</sup> والأليائيين وأهالي مدينة [مانتينيا Mantinea].

لم يقع عمل الكيببidas موقع رضا أحدٍ من الناس، إلا أنه كان مناورة سياسية بارعة ادت الى شقّ البولويونيسوس كلها تقريباً، وتقويض بناء وحدتها. والى تأليب ذلك العدد الضخم من المحاربين ضد اللقيديمونيين امام [مانتينيا] في يوم واحدٍ فقط. الى ذلك إنها نقلت ميدان الحرب الى مسافة بعيدة جداً عن تخوم الآثينيين. فاذا حدث وأنتصر العدو فإن انتصاره لن يفيد كثيراً. أما اذا هزم فقد لا تسلك سيارطا نفسها على أغلب الاحتمال.

بعد خوض المعركة قرب مانتينيا<sup>(٢٢)</sup>، حاولت فرقة الألف المنتخبة الأغوسية، الإطاحة بحكومة الشعب في أرغوس وبسط سلطانهم عليها، وخفّ اللقيديمونيون الى مساعدتهم، وأزالوا الحكم الديمقراطي. إلا ان الشعب قام بانتفاضة مسلحة واحرزوا بعض النجاح<sup>(\*)</sup>، وعاجلهم الكيببidas بالنجدة فأكمل انتصاره وأعيد الحكم الديمقراطي. وتمكن الكيببidas من إقناعهم ببناء اسوار طويلة<sup>(\*\*)</sup> توصل المدينة بالبحر لتصبح ضمن متناول يد آثينا. وأمدّهم بشغيلة وبنائين من آثينا وأظهر منتهى الإخلاص في معاونتهم وكان المجد والسلطان الذي ناله لا يقل عما نالته جمهورية آثينا.

(٢١) في السنة الرابعة من الاولبياد التاسع والثمانين: ٤٢١ ق.م. عقد صلحاً مع هذه الدول أمده مائة عام.  
(٢٢) وقعت المعركة في السنة الثالثة للالبياد التسعين اي بعد مرور ثلاث سنوات على الاتفاق مع ارغوس.  
[توكيديدس ٦٦:٦ وما بعده] وذلك في العام ٤١٨ ق.م.

(\*) في ٤١٧ ق.م.

(\*\*) في ٤١٩ ق.م.

ثم وجه اهتمامه الى [باتري Patrae] (٢٣) وتمكن من اقناع أهاليها بربط المدينة بالبحر أيضاً ببناء اسوار طويلة. ولما قال أحد الناس لهم على سبيل التحذير أن الآثينيين سيبتلعونهم في نهاية الأمر. ردّ الكيسبيادس بقوله: «ربما كان الأمر كذلك. إلا أن عملية البلع ستتم بالتدريج وسيكون البدء من القدمين، اما اللقيديمونيون فسبيدأون من الرأس ويمزقونكم بطفرة عين.»

لم يهمل حث الآثينيين على الاهتمام بالبرّ وتثبيت مصالحهم فيه وظلّ باستمرار يذكرّ الشبان بالقسم الذي أدّوه في معبد [اغراولوس Agraulos] (٢٤): ويقضي ان يعتبر حقول القمح والشعير والخمر والزيتون حدوداً لآتيكا. وهو كناية عن حقهم بملكية كل الأراضي الزراعية والمثمرة.

إلا أنه مزج كل هذه المآثر السياسية وبعد النظر وذلاقة اللسان، بحبّ الترف، المفرط، والاسراف في الشراب والمأكل، والحياة المتحللة من المباديء الخلقية. وكان يرتدي ثياباً قرمزية سابعة كزّي النساء، ويسحب ذبولها على الأرض خلفه عند مروره في ساحة السوق، وأمر بنزع الألواح الخشبية في سفينة لينعم باستلقاء لِين اذ أن فراشه لايفرش على السطح، بل يعلق بي الهواء بسيور من الجلد وترسه الكثير الوشي والزخرفة، لم ينقش عليه الشعار الآثينويّ الاعتيادي (٢٥). وانما رسم عليه صورة [كيويد] ممسكاً بشرارة صاعقة. هذه المظاهر وأمثارها ملأت نفوس كرام المواطنين بشعور التقزز والإشمئزاز، وسخطوا للحياة الفاجرة التي يحيهاها، ولاستهتاره بالقوانين. ووجدوها تصرفات شنعاء بحد ذاتها تحمل في طياتها بذور السيطرة والطفغان. ولقد اجاد [ارسطوفانس] التعبير عن مشاعر الشعب تجاهه حين قال:

«انهم يحبونه، ويكرهونه ، ولا يطبقون العيش بدونه.»

وبلغ النهاية في الإعجاز ودقة التعبير تحت ستار الكتابة إذ قال:

«من الأفضل أن لا ترَبّي شبلاً تلاففه داخل الأسوار المدينة وان فعلت، فعليك أن

تعامله معاملة الوحش!».

والحق يقال ان كرمه، وأقامته الحفلات واللهو للعامة، وما الى ذلك من ضروب البذل للجمهور، لم يكن يعدله فيها أحد. وأن عراقاة أسلانه، وقوة عارضته، ومهابة شخصه وامتانة

(٢٣) مدينة من مدن أخائيا. هذا المشروع احبطه أهل كورنث وسيكيون وغيرهما من المدن المجاورة.

(٢٤) هيرودوتس وپاوستياس يثبتانها [اغلاوروس]. إلا أن ما اثبتته پلوتارخ هو الصحيح.

(٢٥) للمدن والاشخاص شعارات خاصة ترسم على صفايحهم. وشعاراتينا المعروف هو (البوم) أو (الزيتون).

ولايسمح بحمل الشعار بالنسبة للاشخاص الأ للبارزين من القوم او من قام بعمل مجيد.

تركيبه التي خالطتها شجاعة فائقة، وبراعته في الفنون العسكرية، كل هذا حَكَمَ على الآثينيين أن يتحملوا تهتكه، ويتفاوضوا عن أشياء كثيرة فيه وأن ينعثوا أخطاءه بأخف النعوت كما هي عادتهم، وان يعزوها الى اغترار الشباب وسماحة الطبع. ومن بين المآخذ عنه أنه أبقى الرسام [آغاتاركوس Agatharcus] (٢٦) أسيراً حتى انتهى من زخرفة وطلاء بيته ومن بعدها أطلقه ونفخه بكافأة. كذلك اعتدى على [طورياس Taureas] بالضرب لأنه عرض بعض التمثيليات منافسة له بها، قاصداً منازعته الجائزة. وأختار لنفسه أسيرة ميلانية Melan وانجب منها ولداً أهتم بتربيته وتعليمه، وأعتبر الآثينيون ذلك انسانية عظيمة منه، مع أنه كان السبب الأساس لذبح كل الرجال جزيرة (ميلوس) (٢٧) من البالغين سن الخدمة العسكرية كانت قبضته تقع عليه لانه كان أحد محبذي اصدار البيان وعندما نقش الرسام [ارسطوفون Aristophon] صورة [نيميا Nemea] (\*) العاهرة جالسة والكيبیادس في حضنها، تقاطر الجمهور زرافات لمشاهدتها وابدوا سرورهم بها. إلا أن الناس المتقدمين في السن استكروها واستفزعوها. ووجدوها وامثالها شراً مستطيراً، واتجاهاً نحو الإستبداد. لذلك لم يتعد [ارخستراتوس Archastratus] الحقيقة إذ قال أن الآثينيين لا يستطيعون تحمّل [الكيبیادس] ثانٍ، ومرة عندما بلغ درجة كبيرة من النجاح في خطبة ألقاها. هرع اليه كل المجتمعين يهنئونه ويشنون عليه، ولم يمرّ [تيمون] ذو الطبع الانطوائي، به عرضاً ولم يتجنبه كما فعل غيره، بل توجه نحوه متقصداً، وامسك بيده وقال له:

- امض في سبيلك يا بني ولا تتردد، وزد من رصيدك عند الشعب، لأنك ستجرّ عليهم يوماً من المصائب ما يكفيهم.

وسخر بعض الحاضرين من قوله، وبعضهم اسمعه قارص الكلام. إلا أن عبارته نفذت عميقاً في نفوس بعضهم. وكذا كان أختلاف حكم الناس عليه، مثلما كانت أخلاقه كثيرة الشذوذ.

كان الآثينيون منذ عهد [بيريكليس] ينظرون الى صقلية نظرة طمع واشتها (٢٨). إلا أنهم

(٢٦) كان لهذا الرسام صلة بعشيقه الكيبیادس. انظر [ديوستينس].

(٢٧) إحدى جزر كيكلاوس. وهي مستعمرة لقيديمة حاصرها (الكيبیادس) بست وثلاثين سفينة و(٨٠٠٠) مقاتل صيف العام ٤١٦ ق.م الموافق للالبياد التسعين. وأستولى عليها بعد أن وصلته نجدة في السنة التالية. ويسرد توكيديس تفاصيل المذبحة التي أعقبت فتحها لكنه لا يذكر شيئاً عن الرسوم. ولعله اراد ان ينقل تبعة ما حصل على الحقد الذي ملا الجنود فأهاجهم أنياً. دون ان يهتم به الآثينيون.

(\*) پاوسانياس: (١: ٢٢: ٧) تمثيل لمنطقة نيميا في الالعب التي فاز فيها. الاصل الاغريقي: يشير الى انها عاهرة.

(٢٨) تمكن بيركلس بذكائه وسلطانه القوى من كبح هذه الرغبة العارمة عند الآثينيين. إلا أنهم بعد موته بسنتين أثنتين، ارسلوا بعض السفن الى ريكيوم لنجدة الليونتين الذي كانوا ضحية هجمات الصقليين =



لم يحاولوا شيئاً إلا بعد موته. فقد أرسلوا بدعوى مساعدة حلفائهم، نجدات متوالية في شتى المناسبات لأولئك الذين كانوا موضع اضطهاد [السيراقوزيين] ممهدين بذلك الطريق لإرسال قوات أكبر. إلا أن الكيببسادس هو الذي اضرم نار الرغبة واججها في النفوس، واقنعهم بالأى يمضوا في غايتهم سرّاً بعد الآن ولا أن ينفذوها شيئاً فشيئاً، بل أن يجردوا عليها أسطولاً كبيراً ويبسطوا سلطانهم على الجزيرة كلها. وملأ الجماهير بأمال عريضة مثلما كان هو مفعماً بها بل وأكثر، ففتح صقلية كان عندهم نهاية الطموح، بينما كان عنده مجرد البداية. وحاول [نيقياس] جاهداً أن يثنى الشعب عن تجريد الحملة، بشرحه لهم أن الاستيلاء على [سيراقوز Syracuse] أمر صعب للغاية إلا أن الكيببسادس ما كان ليحلم بأقل من فتح قرطاجنة وليبيا، وبلوغه هذه الغاية التي تجعله حالاً سيّد إيطاليا والبلويونيس. كان يبدو له غزو صقلية مجرد مستودع لتفجير الحرب. وشاعت الحماسة في نفوس الشباب لهذه الآمال الجسام وأخذوا يرفهون آذانهم الى كبار السنّ منهم يحدثونهم عن عجائب البلاد التي سيشاهدون، فيشيع الفرح في نفوسهم. وانك لتلقى العدو الكبير من هؤلاء الفتيان جالسين في ميادين المصارعة والمحلات العامة يخططون على الأرض خريطة الجزيرة، وليبيا وقرطاجنة. وقيل أن [سقراط] الفيلسوف وميتون Meton المنجم لم يكونا يأملان خيراً للجمهورية من هذه الحرب. أولهما متكهنأ بما سيأتي بوساطة جنّه الذي يلازمه - على ما قيل، وثانيهما أظهر المخاوف من نتائجها إمّا بعد تحليل منطقيّ عقليّ للمشروع، أو باستخدامه فن التنجيم والاستخارة. ولهذا تصنع الجنون وأمسك بمشعل موقد وبدأ وكأنا يريد أحراق منزله. وذكر آخرون انه لم يتصنع حالة جنون بل عمد سرّاً في موهن من الليل الى أحراق بيته وفي اليوم التالي انهى بفجيئته الى الجمهور لكي يحملهم على استبقاء ابنه الذاهب للحرب، تخفيفاً عنه وموآسة له. وبهذه الحيلة خذع بني قومه وحصل منهم على بغيته.

وعُين [نيقياس] جنراً مع [الكيببسادس] كرهاً عنه وخلافاً لرغبته وجهد في العزوف عن القيادة أكثر كرهاً بها لوجوده مع الكيببسادس، إلا أن الآثينيين رأوا أن ارسال الكيببسادس وحده، دون وجود من يكبح جماحه مما يضرّ بمجرى الحرب، ولذلك عمدوا الى معالجة تهوره بحذر نيقياس ولم يكن تعيينه ناجحاً عن هذا السبب وحده، فالجنرال الثالث في الحملة [لاماخوس] مع تقدمه في السنّ أبدى في عدة معارك ما برهن انه لايقبل حدةً وتهوراً عن

---

= وبعدها بسنة واحدة أرسلوا عدداً أكبر من السفن. وعقبوها باسطول أكبر بعدها بسنتين آخرين. إلا أن الصقليين اتحدوا فيما بينهم وصدوا هذه الحملات تباعاً. وبلغ الغضب بالآثينيين حدّاً أنهم حكما على الجنرالين بيثودورس وسوفولكس بالابعاد جراء فشلها. كما فرضوا على الجنرال الآخر (أفويميدون) غرامة ثقيلة.

[الكيببىداس] نفسه. وعندما بدأوا يتداولون حول عدد القوات وطرق تجهيزها بالمؤن والعتاد الضرورين قام [نيقياس] بمحاولة أخرى لمعارضة الفكرة ومنع وقوع الحرب إلا أن الكيببىداس خالفه ونقل القضية إلى مجلس العموم<sup>(٢٩)</sup>. وهناك أقترح خطيب يدعى [ديموستراتوس] منح القواد الثلاثة صلاحيات مطلقة بخصوص التأهب للحرب، واتخاذ كل التدابير المتعلقة بها. فصدق على إقتراحه. وعندما تم كل شيء للحملة، ظهرت نبوءات نحس عديدة. ففي ذلك الوقت وقع عيد [أدونيس Adonis]<sup>(٣٠)</sup> وفيه أعتادت النسوة أن يعرضن في كل أنحاء المدينة صوراً وشواخص تمثل رجالاً موتى يحملون إلى المدفن وان يمثلن شعائر الجنازة بالنذب والعيول واناشيد الرثاء. على أن التقطيع الذي أحدث في صور شواخص و[مارس]<sup>(٣١)</sup> أدى بأغلبها إلى تشويه في أوجهها خلال ليلة واحدة. وأفزع ذلك كثيراً من الأشخاص الذين تعودوا الاستخفاف بمعظم ما هو من هذا القبيل. وأشيع أنه من عمل الكورنثيين لأجل السيراقوزيين الذين كانوا مستعمرة لهم<sup>(٣٢)</sup>، أملين أن يعدل الآثينيون عن الحرب أو يؤخروها، كرد فعل لهذه الخوارق. إلا أن النبأ لم يؤثر في الناس أي تأثير، ولم يكن رأي أولئك الذين لم يعتقدوا بوجود أي إشارة نحس في الحادثة، إلا مجرد كونها عملاً فاضحاً مباحاً قام به فتیان طائشون على سبيل المزاح أثناء خروجهم من اجتماع لهُو وشراب. إلا أن مجلس الشورى والجمعية العامة أزعجتهم وأغضبتهم الحادثة ونظروا إليها نظرة شك وعدوها تمهيداً لمؤامرة عدد من الأشخاص لقلب نظام الحكم وواصلت الجمعية والمجلس اجتماعاتهما أياماً، للتحقيق الدقيق في كل ما يستدعي الشك.

وفي أثناء التحقيق أحضر [اندروكلس Androcles] وهو غوغائي - عدداً من الأرقاء والاجانب. ليتهموا الكيببىداس وبعض اصدقائه بتشويه الصور الأخرى بعين الطريقة.

(٢٩) هذه الخطب التي تستحق القراءة للأسلوب الجميل في ايضاح الاجراءات الحكيمة الحذرة التي باشرها نيقياس. والتهور والطيش اللذين باشرهما الثاني. حفظها لنا ثوكديدس، أو ربما قام هو بتدبيجها (٦: ٩-١٨).

(٣٠) في عيد [ادونيس] تبدو كل المدن بمظاهر الحداد. وتعرض الرسوم امام كل باب. وتحمل في المواكب تماثيل قينوس وادونيس مع اوعية معينة فيها تراب انبتوا فيه قمحاً وأعشاباً وخساً وتدعى هذه الأوعية (بحدائق ادونيس). وترمى في البحر بعد ختام الاحتفال. ويحتفل كل بلاد اليونان ومصر به، كذلك كان اليهود يحتفلون به عندما انتقلوا إلى عبادة الاوثان (حزقيال ٨: ١٤) وفي خلال ساعات الاحتفال كثيراً ما ترى النسوة جالسات يندبن ويبيكين من أجل تموز أي أدونيس.

(٣١) كان الآثينيون ينصبون تماثيل (مارس) امام ابواب بيوتهم. وهي على شكل قطع صخر مربعة يوضع فوقها رأس ذلك الرب. ويقول باوسيناس [٤: ٢٣] إن سائر الاغريق استعاروا منهم هذا التقليد. اما التشويه الذي ينوه به بلوتارك فقد جرى قبل هذا التاريخ كما يؤكد [ثوكديدس ٦: ٢٨].

(٣٢) أرسل هؤلاء المستوطنون بقيادة (ارخياس) وهو أحد الهيراقليدي [ثوكديدس ٦: ٢] و[سترابو: ٥].

والتجذيف على الأسرار الآلهية وإتيان أعمال كفرٍ بحقها في مجلس شراب، ومثل [ثيودوروس] دور المنادي، وپوليتيون Polytion تمص شخصية حامل المشعل، وقام [الكيبیادس] بدور رئيس الكهنة. وظهر بقية الجماعة بدور المرشحين للرسامة واقتبلوا درجة التكريس. هذه الوقائع تضمنها بلاغ المعلومات الأولى الذي قدمه (تسالوس ابن سيمون) ضد الكيبیادس حول اتهامه الإستخفاف الإلحادي بالربّتين [سيريس] و[پروسپرين] الأمر الذي اسخط الشعب عليه وأحنقهم للغاية، و[اندروكلس] اخبث اعدائه زاد في الطين بلّة وهوكّ التهمة فأقلق أصدقاءه للغاية. ولكن لما علموا أن البحارة الذاهبين الى صقلية يقفون في صفه وكذلك الجنود. وعندما أعلن الجنود الالف الاحتياط من أرغوس ومانتينيا أنهم ما تكلفوا عناء هذه الحملة العسكرية البحرية البعيدة المدى إلا لأجل الكيبیادس، فإن أُسيئت معاملته فسيعودون الى ديارهم، عادت اليهم شجاعته، وخفواً عجالاً للاستفادة من الفرصة، وتركيتته، وأصيب اعداؤه بالخزي مرةً أخرى نكصوا خوفاً من أن يكون الشعب أكثر رقةً في حكمهم عليه، بسبب ما لديه من خدمات. فلأجل ان يحولوا دون ذلك، سعوا الى دفع خطباء آخرين، ممن لم يعرف عنهم عداوة لالكيبیادس، بينما لا يقل حقدهم عليه عن أولئك الذين صرحوا بعداوتهم له، الى ان يقفوا في الجمعية ويخطبوا بهذا المعنى: «إنه لمن السخف أن يتعرض رجل انتخب قائداً لمثل هذا الجيش، بصلاحيات مطلقة، وبعد أن وصلت القوات الحليفة، وتمّ تحشيد جنوده - لخسارة الفرصة بينما يقوم الشعب بالاعتراع على انتخاب القضاة الذين سيحاكمونه، ويصبون الماء في الأواني لقياس الوقت المخصص لدفاعه (٣٣).» «دعوه يبحر في الحال، وليرافقه السعد، وعندما تضع الحرب أوزارها، يتفرغ الى تنظيم دفاعه شخصياً حسب أحكام القانون». وأدرك الكيبیادس سوء القصد في هذا التأجيل، ووقف في الجمعية قائلاً انه لأمر فظيع أن يعهد اليه بقيادة مثل هذا الجيش العظيم، وهو يرزح تحت عبء تهم وشايات يستحق عليها عقوبة الموت إن لم يفلح في تبرئه نفسه من الجرائم التي الصقت به، ولكن إن فعل ذلك وبرهن على براءته، فاذا ذاك يمكنه التفرغ الى الحرب بكل سرور، اذ لا يعود بعدها في خوف من اي متهم كاذب.

(٣٣) أستخدمت الساعات المائية أثناء المحاكمات الشعبية في اثينا لتحديد اوقات المرافعات. ويتم ايقاف هذه الساعات عند شروع الشهود بالادلاء بشهادتهم ويقوم بهذا ضابط يختار لهذا الغرض من طبقة العامة. ويخبرنا [پولوكس] ان الماء في القضايا الخاصة بالخروج على القوانين - يقسم الى ثلاثة اجزاء. جزءٌ مخصص للمدعي ولتلاوة نصوص القانون ولأقوال الدولة، وجزءٌ مخصص للمتهم وشهوده. وجزءٌ مخصص للقضاة ان لم تعلن برادته بالقرار الاول ذلك لأن القضاة - كما هي العادة الآن عند أكثر المحاكم - يصدرن حكيمين الأول بالادانة أو البراءة، والثانية بتحديد العقوبة في حال التجريم.

إلا أنه لم ينجح في اقناع الشعب برأيه وأمروه بالابحار فوراً<sup>(٣٤)</sup>، فرحل مع الجنرالين الآخرين وكانت الحملة تتألف من ١٤٠ بارجة حربية تقريباً و ٥١٠٠ محارب، وحوالي ١٣٠٠ نابل ورامي مقلع، وجنود خفاف السلاح، وكل ما يتعلق بذلك من تجهيزات ومؤون.

وبلغ ساحل إيطاليا ورسا في [ريجسيوم Rhegium] وهنا أدلى بآرائه عن الأسلوب الذي ينبغي اتباعه في إدارة دفة الحرب. فعارضه [نسياس]، ووافقه [لاماخوس]. وأقلعت الحملة الى صقلية في الحال، وأستولت على [كاتانا Catana]. وهذا كل ما تم تحقيقه أثناء وجود الكيببىادس، إذ استدعى الى اثينا بعدها بقليل لاجراء محاكمته.

كما ذكرنا قبلاً لم يكن يوجد ضد الكيببىادس إلا شك ضئيل، والتهم التي الصقها به بعض العبيد والاجانب. إلا أن أعداءه زادوا في هجومهم عنفاً أثناء غيابه ووجدوا بين كسر التماثيل، والكفر بالأسرار وصورها كأنما أرتكبت معاً تمهيداً لعين المؤامرة التي كانت ترمي الى قلب الحكومة<sup>(٣٥)</sup>. وشرعت الجمعية في زج كل المتهمين في السجن دون تفريق ودون سماع دفاع منهم، وأدركهم الندم بالنظر الى جسامته التهمة - لأنهم لم يجروا محاكمة الكيببىادس وإصدار حكم بحقه في حينه. وعومل كل أصدقائه ومعارفه الذين وقعوا في يد الشعب وهو في سورة غضبه هذه المعاملة فظة وعذب. ولم يذكر [ثوكيديدس] أسماء المخيرين<sup>(٣٦)</sup> إلا أن غيره من الكتاب اوردوا اسم [ديوقليدس Diocliides] و[تيوسر Teuc-er]. ومن هؤلاء الشاعر الساخر [فرينيخوس Phrynichus] الذي نجد في شعره الأبيات التالية:

بريك يا (هرميس) (\*) العزيز! كن على حذر وانتبه لنا يكسر انفك المرمري. فلو  
لحق بك أذى فقد تدرك الحاجة بك الى [ديوقليدس] جديد ليطلق كذبة.

ويرد الشاعر نفسه عن لسان [مارس] بالجواب التالي: «سأفعل ذلك وأكون على حذر ولن

(٣٤) في السنة الثانية من الاولبياد الحادي والتسعين اي في منتصف صيف ٤١٥ ق.م.

(٣٥) قالوا انه دبر مؤامرة لتسليم المدينة للقيديميين وانه أقنع الاركييف بالغدر بهم.

(٣٦) مع هذا ذكر اندركلس [٦٥:٨] باعتباره واحداً من خصوم الكيببىادس الالاء الى جانب شركة بينونيكوس واندوكيدس. اما المخبرون فهم عبد اسمه [اندروماخوس] و[تيفكر] الميفاري الذي أقر على نفسه وليس على الكيببىادس. واغاريسي زوج [الكمايونيدس] و[ليدوس] وهو من عبيد [فيريكوس] ونال [تيفكر] ألف دراهماً من الخزينة العامة مكافأة. وأبرز [ديوقليدس] عبداً من عبيده ليشهد بانه رأى على ضوء القمر أكثر من ثلاثمائة رجل وهم دائبون على تشويه التماثيل. وأشار بالاسم الى أربعين منهم بينهم [اندوقيدس] واعضاء اسرته وابيه إلا ان [اندوقيدس] اتهمه بشهادة الزور وأثبت التهمة عليه فحكم عليه بالموت وجرى تنفيذه به.

(\*) عطارد = مارس.

أدع بعد الآن ذلك الغادر تيفكر، ذلك الاجنبي الخائن يفخر بمكافأة أخرى على شهادة الزور.

في الواقع أن متهمي الكيببلاس لم يسندوا اليه شيئاً معيناً ثابتاً وعندما سئل أحدهم: كيف تسنى له معرفة هويات الاشخاص الذين شوها وجوه التماثيل، قال انه رأى على ضوء القمر، وهذا تزوير وافك واضح لأن القمر في وقت الحادث كان هلالاً في اوكه. وهذا ما أثار الاستنكار وصيحات الاحتجاج من ذوي الفهم والمعرفة، إلا أن جماهير الشعب كانت متعطشة الى سماع المزيد من التهم ضده، فالنار الأولى ما زالت مستعرة في النفوس، وقد ظهرت آثارها في اصدار أمر القبض فوراً على كل المتهمين وزجهم في السجن.

وكان من بين المكلفين والموقوفين المحالين للمحاكمة الخطيب [اندوكيدس Andocides] الذي يُرجع المؤرخ [هيللانيكوس] نسبه الى [بوليسيس]. وهو ممن كان موضع شك دائم في بغض النظام الديمقراطي السائد، ومناصر لحكم القلة. والسبب الأول الذي جعله موضع اتهام بتشويه التماثيل، هو بقاء تمثال مارس الكبير المجاور لبيته سليماً لم تنله يد التشويه، من بين التماثيل الشهيرة القليلة التي ظلت سالمة. وكانت قبيلة [ايجيس Aegeis] قد اقامته نصباً تذكاريّاً، إلا انه سمي منذ الصاق التهمة باندوكيدوس، [بمارس اندوكميدس] مع أن النقش الكتابي في القاعدة يدل على خلاف هذا. واتفق أن هذا الرجل وثق عرى صداقة حميمة مع شخص بين الموقوفين بالتهمة نفسها، يدعى [طيماؤوس Timaeus] وهو أقل منه منزلة وشخصية إلا انه أشهر بسعة الحيلة والجسارة، فأقنع [اندوكيدس] باتهام نفسه مع عدد قليل بهذه الجريمة، وعلل ذلك بقوله له: إن اعترافه هذا سيضمن له العفو حسب احكام الرسوم الشعبي. وفي الوقت نفسه سيكون احتمال الحكم على كل الباقيين المعترف عنهم ضعيفاً في حين أن الاحتمال قوي في الحكم على كبار القوم امثاله. فخير له أن يهتم بنفسه وينقذ حياته بكذبة من أن يتجرع غصص ميتة مخجلة كأنما هو مجرم حقاً. وان كان يهتم بالمصلحة العامة، فالأجدر هو التضحية بمتهمين قليلين بهذه الوسيلة، سعياً لانقاذ الكثير من الأشخاص الممتازين، وحمائهم من غضب الشعب. فراقت الفكرة له واعترف على نفسه وبعض الأفراد الآخرين ونال عفواً بموجب احكام القانون في حين نفذ حكم الموت بجميع من أعترف عنهم ما عدا نفرأ قليلاً نجحوا في الفرار. واتهم [اندوكيدس] خدمه انفسهم لينال المزيد من الحظوة لكن سخط الشعب رغم هذا كله لم يهدأ، ويعد أن لم يعد يشغلهم أمر المشوهين عما هم فيه، توجهوا لصب جام غضبهم كله على الكيببلاس دون ان تأخذهم عجلة. وبعثوا بسفينة اسمها «السلاميسي» لجلبه. إلا أنهم أوصوا الموفدين بالا يستخدموا العنف باية حال، وان لا يلقوا

القبض عليه، بل يتوجهون اليه بكامل الإحترام ويطلبون منه بأدب أن يتبعهم الى اثينا لحضور المحاكمة وتبرئة نفسه امام الشعب. وكانوا يخشون عصيان الجيش وتمرده في بلاد العدو وهو في الواقع من أسهل الأمور عند [الكيببidas] لو رغب فيه. فقد هبطت معنوية الجنود عند رحيله، وأعتقدوا أن الحرب في المستقبل ستنهج نهجاً متباطئاً متعثراً تحت قيادة نسياس. إذا ما سُحب الكيببidas من القيادة لأنه كان بمثابة مهماز لاحتثات القتال. فمع أن لاماخوس كان مثال المعسكري المقدام، إلا أن فقره جرّده من السلطة والاحترام في الجيش.

وكان من أثر رحيل الكيببidas انه اخرج [ميسيلنا] في ايدي الأثينيين<sup>(٣٧)</sup>. اذ كان يوجد لطائفة من سكانها رغبة في تسليمها وعندما ارادوا ذلك أبلغ الكيببidas السيراكوزيين بالأمر وكان يعرف الأشخاص، فأحبط المشروع كله. وعندما بلغ [ثوري] نزل الى الساحل وأخفى نفسه عن أولئك الذين يبحثون عنه. إلا أنه كشف عن نفسه لواحد يعرفه فسأله هذا اليس له ثقة ببلاده؟ فأجابه الكيببidas «أثق بها في أي شيء»، ما خلا الأمور التي تمس حياتي، ففي هذه لا أثق حتى بأمي، اذ ربّما زلت يدها فألقت بالكرية السوداء بدلاً عن الكرية البيضاء» ولما سمع فيما بعد ان الجمعية نظقت بحكم الموت عليه، كان كل ما قاله هو هذا «لأجعلنهم يشعرون بأني حي!».

وكان نص لائحة الاتهام التي رفعت ضده كما يأتي: «ثسالوس ابن كيمون، من مدينة لاشيا Lacia: «يعرض بلاغ اتهام الكيببidas ابن كلينياس من مدينة [سكامبونيدا Scambonida] بأرتكاب جرم ضدّ الرّبة [سيريس] والرّبة [پروسپرين]، بتمثيل الأسرار المقدمة تمثيلاً هزلياً محقراً، وعرض ذلك على اصحابه في منزله حيث ارتدى حلاً لا يلبسها إلا رئيس الكهنة عندما يقوم بعرض الذخائر المقدسة، وأتخذ لنفسه منصب رئيس الكهنة وجعل پوليتيون حاملاً للمشعل وثيودورس من مدينة [فيجيا Phegaea] منادياً. وحيّاً بقية اصحابه باعتبارهم رهباناً ومكرسين مستجدين Myastae، فعل كل ذلك ضد قوانين ودستور [الايومبوليدي Eumolpidae]<sup>(٣٨)</sup> ومنادي وكهنة معيد [اليوميس]».

(٣٧) ركب سفينة خاصة به لا سفينة تعود الى [سلاميس ميسان] وذلك في ايلول في العام ٤١٥ ق.م.  
(٣٨) كلمة Mystae تعني أولئك الذين رشحوا او كرسوا لتلقى الأسرار. وهؤلاء يجب ان يهقوا سنة واحدة تحت الاختبار وليس لهم خلال هذه المرة أن يتقدموا في أكثر من ممر الهيكل. ولا يساهمون الآ في الأسرار الدنيا. وفي آخر السنة تفتح لهم ابواب المذبح ليشاهدوا الرّبة بكامل بهانها. ان يوهيولوس وهو مواطن تراقي سكن [ايليوس] كان أول من رتب وأنشأ هذه الأسرار الخاصّة بالرّبة [كيريس] ولذلك صار نسله سدنة لها. واذا انقرض النسل فمن يخلقه يجب أن يلقب بلقبه [انظر باوستيناس ٣٨:١].

وحكم أيضاً بتهمة الاستخفاف بالمحكمة لعدم حضوره وصدور كل ممتلكاته وأمر كل الكهنة والكاهنات بلعانه رسمياً لأن [ثيانو Theano] بنت [منون Menon] من مدينة [ارغول] عارضت في هذا الجزء من الحكم وعلى ما ذكر - أنها قالت ان واجبها الديني المقدس يحتم عليها ان تقدم الصلاة والدعاء لا اللعنات والشتائم.

وبادر الكيببلاس وهو مثقل بهذه الأحكام والعقوبات القاسية، الى الفرار من [ثوري] أولاً واتجه الى الهيلوبونيسوس مستقراً في [ارغوس] فترة من الزمن. ولما وجد ان لا أمل هناك في العودة الى بلاده ولخوفه من أعدائه، بعث يطلب من حكام سبارطا الأمان وحق اللجوء السياسي مؤكداً لهم بأنه سيعوض لهم بخدماته المقبلة عن كل الأذى الذي لحقهم منه عندما كان عدواً لهم. فمحتة سبارطا الأمان المطلوب فأسرع الرحيل اليها، وأحسنوا استقباله، وتمكن حال وصوله من اقناعهم بلا حذر أو تردد - بأن يرسلوا مساعدات للسيراقوزيين واشتد في حثهم واثارة حماسهم حتى انهم بعثوا فوراً [غيليبوس Gylippus] (٣٩) الى صقلية لسحق القوات التي يملكها الأثينيون هناك. والنقطة الثانية التي أشار بها، هي تجديد الحرب ضد الأثينيين وقتالهم في عقردارهم. أما النصيحة الثالثة وهي الأهم، فكانت تقضى بتحسينهم [ديكيليا Decelea] وهذا من شأنه ان يستنفد ويقضي على موارد الأثينيين وجمهوريتهم (٤٠).

إن الشهرة التي كسبها من هذه الخدمات العامة تعادل الإعجاب الذي أثارته حياته الخاصة في النفوس. فقد أجتذب وسحر كل الناس بتعوده وتخلقه الاخلاق السبارطية. فالناس الذين رأوه يحلق شعر رأسه ويستحم بالماء البارد ويأكل وجبة طعام بدائية ويتعشى بالشورباة السوداء، يشكون، بله لا يصدقون بأنه كان لديه طاه في بيته. أو أنه عرف حلاقاً أو أنه لبس في حياته عباءة من الارجوان الميليزي. وقد لوحظ عنه أنه تميّز بتلك العبقرية العجيبة والبصيرة النفاذة التي مكنته من خطب ودّ الناس، فهو عظيم المقدرة على ترويض نفسه بسرعة، يسهل عليه تبني عادات الناس وطرق عيشهم، وممارستها بلا حرج أو تكلف، ويتلون

(٣٩) لم يضع [ثوكيديدس] اسم هذا الجنرال على لسان الكيببلاس اثناء الخطبة.

(٤٠) هاجن (أغيس) ملك اللقيديمين أتیکا على رأس جيشه والكونثيين وغيرهم من اقوام الهلوبونيسي، وبناء على مشورة الكيببلاس احتل [ديكيليا] وحصنها في السنة الرابعة من الاولبياد الواحد والتسعين = ربيع العام ٤١٣ ق.م. وتقع على منتصف الطريق بين أثينا وحدود بويوتيا. وبهذا حُرّم الأثينيون من مناجم الفضة. ومن بدلات ايجار اراضهم. ونجدات جيرانهم. وعرض قطعان مواشيهم للنهب. وامن ملجأ لعبيدهم الأبقين الذين ترك ما يزيد عن عشرين ألفاً منهم أثينا ومعظمهم صناع ماهرون وفننيون. لكن النكبة الكبرى وقعت في بداية الحرب وفي صقلية فقد خسروا أهدافهم فضلاً عن سمعتهم وأسطولهم وجيشهم وقواده.

بأسرع مما تتلون الحرباء، والقول الشائع ان الحرباء تستطيع أن تتخذ لنفسها اي لون تشاء إلا لوناً واحداً وهو الأبيض، غير ان [الكيببىادس] كان قادراً عن تكييف نفسه والانسجام مع أي جماعة يجد نفسه فيها، أشراراً كانوا أم أحياناً، وبالسهولة نفسها يمكنه أن يتجلبب بثوب الفضيلة أو الرذيلة، حسبما يميله الموقف. ففي سبارطا انصرف انصرافاً تاماً الى الرياضة البدنية، وظهر بمظهر المتحفظ المقتصد. وفي آيونيا كشف عن نفس مرحة خالية البال مترفةٍ خلودٍ الى الكسل والخمول. وفي تراقيا لم يكن يصحو من سكر أو يغادر مجلس شراب. وفي تساليا تراه وكأنه سُمرٌ على صهوات الخيل. وعندما قذف به العيش الى كنف [طيسافرنس Tisaphernes] نائب الملك Satrep الفارسي، ظهر على جميع الفرس وبزهم في معالم الأبهة والفخفة. وما ذلك لأن مزاجه الطبيعي سهل التغيير ولا لأن أخلاقه الحقيقية ذات جوانب متعددة، بل لأنه وهب قابلية فذة في أن يلبس لكل حالة لبوسها، وأن يتخذ الهيئة المناسبة كلما أحس بأن ممارسة ما تعودده ودرج عليه قد يكون مصدر ضيقٍ وازعاجٍ لعشيرته أو جليسه فقد ابى إلا أن يحرص على حسن المعشر عند من يخاطبهم... وان رآه. أحدٌ في لقيديمون وحكم عليه بمظهره الخارجي لما وسعه إلا بالتمثل بماثور القول: «ليس هذا ابن [أخيل]، بل أخيل نفسه» الذي اجتهد [ليكورغوس] في تكوينه أما ميوله وتصرفاته الحقيقية الأصيلة فقد كانت تثير مثل هذه التساؤلات «أظلت المرأة نفسها أم بدلت؟»<sup>(٤١)</sup> فقد أغوى الكيببىادس [تيميا Timaea] زوج [أغيس] الملك اثناء غيابه مع الجيش في الخارج فحبلت منه، ولم تحاول نكران ذلك. ولما وضعت حملها وكان ذكراً سمته رسمياً [ليوتخيدس Leotychides] إلا أنها كانت تسرّ لصديقاتها وخدمها همساً بأن اسمه [الكيببىادس]، الى هذا الحد بلغ بها العشق. أما هو فيقول بلهجة اللامبالي «لم أقدم على ذلك لمجرد الاستمتاع بالإهانة، ولا اشباعاً لعاطفةٍ، بل قدرت أن يكون قومه ملوكاً على اللقيديميين يوماً ما».

وانهى كثير من الناس الى [أغيس] بالقصة، إلا أن صروف الزمان كانت أقوى مؤيدٍ لها. فقد قلقت نفس [أغيس] من هزة ارضية، فابتعد عن زوجه [تيميا] ولما يطأها طوال عشر أشهر، وبما أن وضع [ليوتخيدس] حصل بعد هذه الفترة مباشرة فانه لم يعترف بالبنوة، ولهذا لم يورثه العرش.

على أثر الهزيمة التي حلت بآثينا في صقلية بعثت [خبوس] و[ليسبوس] و[سيزيكوس Cyzicus] بسفراء الى سبارطا لينهوا اليها بعزمهم على شق عصا الطاعة على آثينا.

(٤١) هذا البيت انشدته (الكترا) عن لسان (هيلين) في (اورستس) وهي تمثيلية ليوربيدس. بعد أن أكتشف بها وقد تقدمت بها السن نفس المباهة والاعتزاز بجمالها.





في ذلك الحين كانت آثينا قد حشدت كل قواتها في [ساموس] (\*) وعبأت أسطولها هناك وجعلتها نقطة انطلاق لاختراع من شق عصا الطاعة عليهم من الحليفات، والحماية ما تبقى من ممتلكاتهم. وحاولوا بمختلف الوسائل الصمود لاعدائهم في البحر. وكان أخوف ما يخافونه [طيسافيرنس] والأسطول الفينيقي ببوارجه المائة والخمسين الذي قيل انه أنطلق في عرض البحر. فلو وصل هذا الاسطول، لرجحت كفة الأعداء، وفقدت الجمهورية كل أمل.

أدرك الكيببيادس هذا كله، فبادر في الحال الى الاتصال سراً بزعماء قومه وكانوا في [ساموس] ونفخ فيهم روح الأمل بقوله انه سيسعى الى جعل [طيسافيرنس] صديقاً لهم؛ وانه لايقدم على هذا العمل الطيب حُباً في اوزاع الشعب ودهمائهم، ولا كسباً لهم وتوخياً للاعتماد عليهم، بل لأجل فضلاء المواطنين وأخبارهم إن هم أقدموا على محاولة القضاء على عتو الدهماء، كرجال شجعان. وتسلم أزمة الحكم، والعمل على انقاذ المدينة من الفوضى. فحبذ الجميع اقتراح الكيببيادس، ولم يعارض إلا القائد [فرينيخوس Phrynichus] [الديراديسي Dirades] فقد أبدى شكه -وله الحق في ذلك- بان الكيببيادس لايهتم سواء أظلت الحكومة بيد الشعب أو انتقلت الى طبقة المواطنين العليا، وهو الآن ينشد بكل وسيلة، التوطئة لعودته الى أرض الوطن، فراح يحرض على الشعب ويؤلب ليكسب الآخرين الى صفه، ولأجل أن يأسر عقولهم ويقع عندهم موقفاً حسناً». ولكنه كان كمن يضرب على حديد بارد. وادرك أنه جاهر بعداوة لالسكيببيادس لارجوع له عنها. فخابر في السرّ [أستيوخوس Astyochus] قائد اسطول العدوّ محذراً اياه من السكيببيادس، ومشيراً أن يقبض عليه بتهمة الغش والخيانة. ولم يكن يدري إنه خائن يتعامل مع خائن آخر!

فاستيوخوس كان متلهفاً لنيل الخطوة عند [طيسافيرنس] عن طريق السكيببيادس، فبادر الى نقل كل ما ورده من [فرينيخوس] الى الكيببيادس. فأسرع الى ارسال رسل الى [ساموس] ليفضح خيانة [فرينيخوس]. فبلغ حنق القادة على زميلهم مبلغاً عظيماً وتكالبوا عليه يوبخونه ويهاجمونه. ولم يجد سبيلاً لانقاذ نفسه من المأزق، وكان الخطر يطبق عليه. فحاول إصلاح الشرّ بشرّ أعظم وبعث برسالة أخرى الى [اسطيوخوس] يعاتبه فيها على غيمته والفضيحة التي سببها له. وقدم له في الوقت نفسه عرضاً جديداً، يتم بمقتضاه تسليم كل قطع الاسطول الآثيني مع جيشهم اليه. ولم يصب الآثينيون بضررٍ جسراً ذلك، اذ عاد [اسطيوخوس] ينقل الاقتراح لالكيببيادس. وكان [فرينيخوس] يتوقع ذلك منه وينظر تهمة جديدة يبعث بها الكيببيادس الى بني قومه، فلأجل أن يردّ الكيد عنه ويقلل من أهمية نبأ

(\*) في شتاء ٤١٢-٤١١ ق.م.

الكيببىداس، أنذر وأشار بتحسين المعسكرات والتأهب لركوب السفن. وفيما كان الآثينيون منهمكين في استعدادهم، وصلتهم رسائل أخرى من السيببىداس فيها تحذير لهم من [فرينيخوس] لأنه يريد تسليم اسطولهم الى الأعداء. فلم يهتموا بالخبر هذه المرة، وقدروا أن السيببىداس الذي كان على بينة تامة من خطط العدو واستعداده، يبقى من تلك المعلومات مجرد الفائدة الشخصية، ليحسن في عينهم ويدخل في آذانهم صحة التهمة التي عزاها الى [فرينيخوس] (\*).

لكن عندما هجم [هرمون Hermon] على [فرينيخوس] في ساحة السوق وقضى عليه بطعنة خنجر، بوشر بالتحقيق عن اسباب القتل، وكانت النتيجة اذانة القتل رسمياً بالخيانة، ومكافأة القاتل بصفير أكاليل الغار على رأسه ورؤوس شركائه، عمد اصداق [الكيببىداس] المقيمون في أثينا الى شرح المسألة للزعماء الآثينيين في [ساموس] فبادر هؤلاء الى ارسال [پيساندر Pisander] ليقوم بمحاولة قلب نظام الحكم في العاصمة وليبث الشجاعة في نفوس المواطنين الارستقراطيين، حتى يأخذوا مقاليد الحكم بأيديهم، ويزيلوا النظام الديمقراطي، وان يضع امامهم اقتراح [السكيببىداس] بالسعي لكسب صداقة [طيسافيرنس] ومخالفته، عند وقوع هذا التغير.

هذا هو اللون الذي تلون به، والزعم الذي روج له، أولئك الذين تأمروا على الاطاحة بالنظام الديمقراطي في اثينا واقامة حكومة الاوليغارشية في مكانه. ما أن نجحوا في مسعاهم وسيطروا على الحكم تحت اسم «حكومة الألاف الخمسة» [في حين لم يكونوا غير اربعمائة] (٤٢). حتى نبذوا السكيببىداس وأهملوا أمره. وراحوا يتقاعسون في ادارة دفة الحرب لأنهم من جهة كانوا يوجسون خيفة من الشعب الناقم على هذه الردة والكاره لها ولأنهم من جهة أخرى كانوا يأملون من اللقيديمونيين شروط صلح مناسبة. لأن هؤلاء كانوا دوماً على ونام مع حكومات القلة.

وأرغم أهل المدينة على الخضوع لأساليب القمع والاضطهاد، وأعدم المستبدون عدداً كبيراً

---

(\*) في صيف ٤١١ ق.م بعد أن عزل فرينيخوس من قيادته في ساموس وأظهر نفسه مسانداً متحمساً للثوريين الاربعمائة في أثينا.

(٤٢) اقترح أولاً أن لا يخسر السلطة الا للطبقة السفلى من عامة الشعب وان توضع بيد خمسة آلاف من أغنى المواطنين ومقدميهم لكن عندما اكتشف [بيساندر] وزملاؤه قوة حزبهم اقترحوا اصدار قرار بالغاء نظام الحكم الحالي وأن ينتخب خمسة من الـ(پريتاني) وان لهؤلاء الخمسة الحق في انتخاب مائة. ولكل واحدة من المائة أن ينتخب ثلاثة وان هؤلاء الاربعمائة المنتخبين يكونون مجلس شيوخ تستقر فيه السلطة العليا. ويقوم المجلس باستشارة الخمسة آلاف كلما وجدوا حاجة لذلك. هذا وقد نجح المؤتمرون في سن هذا القرار. [توكيديس ٦٧:٨ و٦٨].

من تجراً على نقد ومعارضة «حكم الاربعمائة» علناً. ولما وردت هذه الانباء الى [ساموس] ثار الغضب بهم وتملكتهم رغبة الابحار فوراً الى [بيريوس]. وبعثوا يطلبون من [الكيببىادس] الحضور، وانتخبوه جنرالاً، وامروه ان يقودهم للقضاء على المستبدين. فكان رد الفعل عنده خلافاً لما يتوقع اي امرءٍ من رجل رفعه تقدير الجمهور على حين غرة الى مركز القيادة لم يجد السكيببىادس نفسه مرتبطاً باي عهدٍ يقضى عليه بتنفيذ مطالب أولئك الذين خلقوا من لاجيء مطرود جنرالاً لمثل هذا الجيش العظيم وقائداً لهذا الاسطول الضخم، ولا مجبراً على الخضوع لمشيئتهم وبادر بحكم منصب القيادة الذي تسلمه الى معارضة تلك القرارات الهوجاء التي ساقهم اليها غيظهم الفجائي. وسعى لمنعهم من اقرار الخطأ الجسيم الذي هموا بالاقدم عليه وأنقذ بذلك الجمهورية من الفناء بحقٍ وحقيق. فلو انهم ابحروا الى اثينا، لتركوا كل آيونيا والجزر وهللسبوننت تقع غنيمة باردة في أيدي العدو دون اي مقاومة. في حين لا يكون للآثينيين المنشغلين في حربهم الأهلية إلا قتال بعضهم بعضاً داخل أسوارهم. كان السيببىادس هو العامل الوحيد أو العامل الرئيس الذي حال دون الكارثة، ولم يقتصر على استخدام وسائل الأتباع مع قادة الجيش، بل نزل الى الجنود بنفسه واتصل بهم فرداً فرداً يرجو بعضهم ويضغط على بعضهم الآخر، وابدى [تراسيبولوس Thrasylbulus] الاستريائي (\*Stiria) صاحب أعلى صوت بين كل الآثينيين، همّةً قعساء في هذا الصدد على ما قيل لنا. فقد ظل ملازماً لالسكيببىادس في جولاته لينادي أولئك الذي استعدوا للإبحار ويطلب منهم العودة.

وأدى السكيببىادس خدمة جليلة أخرى. هي مسعاه لايقاف الاسطول الفينيقي الذي كان اللقيديمونيون يتوقعون ان يبعث به ملك الفرس لمساعدتهم، او لانحيازه الى جانب الآثينيين إن جاء. وبادر الى الأبحار على جناح السرعة لتحقيق ذلك. تقدمت العمارة البحرية حتى شوهدت بالقرب من [آسپيندووس Aspendus] (٤٣). إلا ان [طيسافيرنس] منع تقدمها الى ابعد من هذا نكايّة باللقيديمونيين إلا ان الفريقين اعتقدا انها لم تحرف عن قصدها إلا بمجهود السكيببىادس ومسايعه. واتهمه اللقيديمونيون خاصةً، بأنه نصح البرابرة بالوقوف على الحياد وترك الأغرقيق يدمر بعضهم بعضاً، اذ كان واضحاً ان وصول مثل هذه القوة العظيمة الى أي فريق، سيرجع كفته على الآخر ويمكّنه من الاستيلاء عن كل ممتلكات الآخر البحرية.

لم تمر فترة وجيزة، إلا وتم طرد «الاربعمائة» (٤٤) المستبدين من دست الحكم وراح اعوان

(\* يجب ان يميز هذا الجنرال الشهير عن ثراسيبولوس ثراسو (في الفقرة ٣٦).

(٤٣) مدينة ساحلية في [پامفيلية] بين رودس وقبرص.

(٤٤) اغتصبوا السلطة في حزيران ٤١١ ق.م. وتم القضاء عليهم في ايلول من تلك السنة. وهي السنة الثانية من الاولمبياد الثاني والتسعين، ولنذكر القاري، بوجوب التفريق بين هذا المجلس وبين مجلس الشيوخ =

الكيببidas يدعمون بكل قواهم العناصر التي كانت تعمل على إعادة الحكم الديمقراطي. الجماهير الشعبية لم تكتف الآن بمجرد الرغبة في عودة الكيببidas الى الوطن، بل أصدرت: أمراً له بذلك. إلا أنه لم يشأ أن يكون مديناً بمنة للشعب ولا أن يكون موضع اشفاقه. وحلف أن لا يطيأ أرض الوطن خالي الوفاض، بل مثقلاً بمجدٍ أو خدمة للبلاد. ولذلك ابهر من ساموس بعدد قليل من السفن ومخر عباب بحر [كُنيدوس Cnidos] وحوم حول جزيرة [كوس Cos]. ولما بلغه ان [مينداروس Mindarus] قائد الاسطول السبارطي قد خرج بكل عمارته الى [هللسپونت] وان الآثينيين يجرون في أعقابه. لوى عنانه وأسرع يلحق بالقواد الآثينيين. وشاء حسن الخط أن يكون وصوله في اخرج ساعة بسفنه الثماني عشرة. فقد اشتبك الاسطولان قرب [ابيدوس Abydos] في معركة ضارية وأستمر القتال حتى الليل. سجلاً ولم يستظهر فريق على آخر استظهاراً بيناً. وكان رجحان الكفة موضعياً. هذا متغلب هنا وذاك مستظهر هناك والعكس بالعكس. وخلف ظهور سفنه في نفوس الفريقين اعتقادين خاطئين إذ ارتفعت معنويات العدو. وأدرك الآثينيين الفزع، إلا أنه رفع العلم الآثيني على صاري سفينة القيادة. وحمل حملة صادقة على سفن البلوبونيسوس التي كانت بيدها المبادأة وهي تطارد سفن الآثينيين. فهزمتها ومزقتها وأخذ يطاردها من مسافة قريبة حتى أرغمها على الجنوح الى الساحل فتحطمت عليه، فتركها بحارتها وسبحوا الى البر. رغم وجود [فارنابازوس] الذي خف الى معونتهم برآ، وعمل ما أمكنه لحمايتهم من جهة الساحل. وبالاختصار، غنم الآثينيون من الاعداء ثلاثين سفينة وأستعادوا كل سفنهم الأسيرة. وأقاموا نصباً تذكاريلاً لانتصارهم.

بعد أن ظفر الكيببidas بهذا النصر الكبير، أبى عليه زهو وخيلاؤه إلا أن يُشهد [طيسافيرنس] على حاله الجديدة، فتزود بالهدايا والجوائز، وأعتد بكل ما يتفق ومنزله وأنطلق لزيارته. إلا أن النجاح لم يحالفه في هذا كما تصور [فطيسافيرنس] كان منذ زمن بعيد موضع ريبة اللقيديمونييين، وفيه خوف من سخط الملك لهذا السبب وجد في زيارة الكيببidas فرصة نادرةً فقبض عليه وأرسله سجيناً الى [سارديس] متوهماً بأن عمله الشائن هذا سيرفعه في عين الملك ويكون له صك براءة من اي أيام سابق.

ولكن لم يمض شهرٌ واحدٌ على أعتقاله حتى أفلح في الهروب، ويجواد حصل عليه تمكن من الوصول الى [كلازوميني Glazomenae]، وهناك ألبس أسره [طيسافيرنس] ثوب عارٍ جديد باعلانه أنه كان مسهماً في خطة فراره. ومن هناك رحل الى معسكر الجيش الآثيني (\*).

= الذي ابتدعه صولون ويتكون من عددٍ مساوٍ.

(\* في مبدء ربيع ٤١٠ ق.م. كان الآثينيون في كارديا وهي مدينة بالخرسونيز الشرقية.

حيث علم أن القائدين [منداروس] و[فارنابازوس] موجودان معاً في [سيزيكوس]. فقام بين الجنود خطيباً. ومما قاله «إن القتال برأ والقتال بحرأ - ولعمر الآلهة- القتال ضد المدن المحصنة، يجب أن يكون قتالاً واحداً غير مجزأ بالنسبة إليهم. وإن لم يحققوا نصراً كاملاً في كل مكان فلن يوجد مالٌ لهم». ثم أمر بركوب السفن واتجه مسرعاً الى [پروكونيسوس Pro-conesus]. وأصدر أمره باحتجاز كل ما يعترض الاسطول من المراكب والسفن الصغيرة وايداعها في الوسط لئلا يسبق العدو علم بقدومه، وزاد في سره كتماناً هبوب عاصفة مطرية عظيمة صاحبها رعدٌ وظلام داجن. والحق يقال أن العدو لم يكن الوحيد في جهله، لأن الآثينيين أنفسهم ما كانوا يعرفون وجهة سيرهم فالأمر كان فجائياً غامضاً قاصراً على ركوب السفن واطلاقها في عرض البحر، دون وجود نية مسبقة. وبعد ان انجباب الظلام شوهد الأسطول الپلپونيوسي جاثماً على مقربة من ميناء [سيزيكوس] يختال فوق سطح الماء. وخشي الكيبیادس أن يكتشفوا قوته الحقيقية فيصيبهم الذعر ويحاولون النجاة بالهروب برأ، أمر بقية ضباط السفن ان يخففوا السرعة ويلحقوا به عن كثب. بينما تقدم هو بأربعين بارجة وأظهر نفسه للعدو وأستفزه للمعركة، فانخدع العدو بضالة عدد السفن واستهانوا بها وبأدوه القتال وكل اعتقادهم أن عدوهم لا يملك غير هذه القوة. ولكن ما أن حي الوطيس حتى لاحت طلائع القسم الأكبر من الأسطول واطبقت عليهم فأدركهم الذعر ونزلوا البراً لآثدين بالفرار، إلا أن الكيبیادس أخترق القلب، بعشرين من أفضل سفنه وأسرع الى الساحل وأنزل جنوده وشرع في مطاردة العدو الذي ترك سفنه وهرب برأ، ففتك بعدد كبير منهم، وخف [فارنابازوس] و[منداروس] لمعونتهم ولكنهما هزما شرهزيمة وقتل [منداروس] بعد ان أبلى خيراً بلاءً وفر [فارنابازوس] ناجياً بجلده وغنم الآثينيون عدداً كبيراً من قتلى العدو (٤٥) وأسلاباً كثيرة وأسروا سفنهم وأحتلوا [سيزيكوس] التي جلا عنها [فارنابازوس] وابدوا حاميتها الپلپيونسيّة. وبذلك لم يكن كسبهم قاصراً على [هللسپونت] وإنما طردوا اللقيديمونيين بالقوة من كل البحار الأخرى. وضبطوا عدداً من الرسائل كانت في طريقها الى حكام سپارطا، جاء فيها شرح للهزيمة الساحقة بالأسلوب السپارطي الموجز المقتضب «آمالنا قضي عليها. [منداروس] قتل. الرجال يشكون الجوع. لاندري ما نفعل...».

وبلغ الزهو والغرور بالجنود الذين حاربوا تحت أمرة الكيبیادس في القتال الأخير حداً عظيماً، وثلما بخمرة النصر حتى أنهم راحوا ينظرون الى أنفسهم نظرة صناديد لايشق لهم

(٤٥) ليس هذا التعبير غريباً. فلجئت القتل حرمتها الكبيرة وهي تقتدى كذلك. وما علينا الآ التذكر بان الآثينيين فرضوا عقوبة الموت على قوادهم المنتصرين في معركة [أرغيتس] لإهمالهم دفن القتلى.

غبار ولا يقف دونهم شيء. وترفعوا عن مخالطة الجنود الآخرين الذي عانوا عدداً من الهزائم. اذ حدث قبل فترة غير طويلة(\*) ان [ثراسيللوس Thrasyllus] أصيب بهزيمة قرب [أفسس] وان الأفسسوسيين أقاموا نصباً تذكاريًا من النحاس ازدرأءً بالآثينيين<sup>(٤٦)</sup>. فراح جنود الكيببادس يعيرون الجنود الذين كانوا تحت أمرة [ثراسيللوس] بهذه النكسة معظمين أنفسهم وقائدهم في الوقت نفسه كما انهم رفضوا القيام بالتدريب العسكري معهم أو مساكنتهم معسكراً واحداً. ولكن لم يمرَ طويل زمنٍ إلا وهاجم فارنابازوس بقوات عظيمة من المشاة والخيالة - وحدات تراسيللوس التي كانت منصرفة الى السلب والنهب في ارض [ايبيدوس]. فخفف الكيببادس اليه وتعاونوا على هزيمة [فارنابازوس] وجداً في أثره حتى جن الليل. هذه الحادثة ألقت بين القلوب وعاد الجميع الى المعسكرات جذلين يهنيء بعضهم بعضاً. وفي اليوم التالي أقام الكيببادس نصباً تذكاريًا، وأنطلق لاجتياح كل الاقاليم الذي يسيطر عليها [فارنابازوس] مستخدماً السيف والنار فلم يقف في سبيله أحد. وأسر عدداً كبيراً من طبقة الكهنة والكاهنات، إلا أنه أطلقهم بدون فدية. ثم استعد مهاجمة الخلقيدونيين<sup>(٤٧)</sup> الذين كانوا قد شقوا عصا الطاعة على آثينا، وقبلوا بحاكم وحامية من لقيديمونيا. لكنه استخبر بأنهم نقلوا غلالهم وماشيتهم من حقولهم وادعوها اصدقائهم البيثيين، فوجه حملته نحو تخوم هؤلاء، وبعث رسولاً يتهمهم بهذا العمل. وكان ذعرهم من زحفه عظيم الوقع اذ مالبتوا أن سلّموا له الغنائم ودخلوا معه في حلف.

فانشى الى [خلقيدون] والقى عليها الحصار وأحاطها بسورٍ من البحر الى البحر(\*) لعزلها تماماً، فرحف [فارنابازوس] عليه بقواته لفكّ الحصار، وحشد هيبوقريطس حاكم المدينة كل قواته وحمل على الآثينيين في عين الوقت، فقسم الكيببادس قواته الى قسمين لمقابلة العدوين في آن واحدٍ، وأرغم [فارنابازوس] على فرار مخجل، وكرّ على هيبوقريطس وهزّمه وقتله مع عدد من جنوده. وبعدها أبحر الى [هللسپونت] للتزود بالمال، فأستولى على مدينة [سيلمبريا Selymbria]<sup>(٤٨)</sup>. وهنا تعرض الى خطر جسيم بسبب تهوره وقلة حذره. فقد تعهد. بعض السكان أن يسلموا له المدينة بلا حرب وكان الاتفاق يقضى أن يعطيه المؤقرون الإشارة بالدخول

(\*) في صيف ٤١٠ ق.م بعدنصر كيزكوس.

(٤٦) كانت الانصاب في باديء الأمر تقام من الخشب وتبقى حتى يعفو عنها الزمن ويمسح العدا بين الشعوب مسحاً. إلا ان الأفسسوسيين أقاموا النصب من النحاس تخليداً لذكرى العار لآثيني. ولهذا راح جنود (الكيببادس) يسخرون من جنود (ثراسيللوس).

(٤٧) مدينة على البوسفور الأيمن وأنت تتجه الى البحر الأسود.

(\*) في ربيع ٤٠٩ ق.م.

(٤٨) مدينة في تراقيا على ساحل (پروپونتس). كزينفون يسميها سيامبرايا.

من مشعل مضاء يرفع فوق السور بعد منتصف الليل لكن احد المتأمرين خالجه الندم عن الخيانة، فخشي الآخرون أن يفتضح أمرهم، وأكروهوا على إعطاء الاشارة قبل الموعد المتفق عليه وما ان لمح الكيبيادس المشعل مرتفعاً في الهواء حتى هرع الى الأسوار، ولم يكن جيشه متاهباً بعد، ولذلك كان في رفقته ثلاثون رجلاً تقريباً. بعد أن أمر أن يلحق به الجيش بأسرع ما يمكن. وبلغ السور ليجد الباب مفتوحاً له، فوجه مع رجاله الثلاثين وعشرين آخرين من ذوي السلاح الخفيف لحقوا به في آخر لحظة. وما أن صارت الشزيمة داخل المدينة حتى جوبهوا بأهاليها يحملون عليهم شاكبي السلاح. فبهت وتحير في أمره. اذا بقي وقرر الاشتباك معهم ضاع منه سبيل نجاته. أما النكوص فصعب عليه، إذ انه لم يعرف هزيمة، ولم يفر في معركة. ولهذا طلب السكوت بصوت النفير. ثم أنه أمر أحد رجاله أن يعلن قائلاً: «عيشاً ترفعون أيها السلميريون السلاح في وجه الآثنيين، هذه العبارة خفتت من غلواء الفريق التائق للقتال إذ توهموا ان كل جيش العدو قد صار ضمن اسوار المدينة. ورفعت معنويات الآخرين الذين اختاروا التفاهم على تسوية. وفيما هم يتبادلون الحديث ويتداولون الاقتراحات دخل كل جيش الكيبيادس المدينة. والآن وبعد تخمينه الصحيح بأن السلميريين جانحون الى السلم حقاً، ولخوفه ان يعمد التراقيون من جيشه الى نهب المدينة (وكانوا قد أنضموا الى جيشه بأعداد كبيرة إكراماً له) أمرهم بالانسحاب خارج الأسوار كافة. ولتقديم المدينة الطاعة عفاها من النهب وفرض عليها غرامة مالية فحسب، ثم انسحب منها بعد أن وضع فيها حامية آثينية.

وفي أثناء هذه الوقائع توصل القادة الآثينيون الذين يحاصرون حخلكسيدون[ الى عقد معاهدة صلح مع [فارنابازوس] على الشروط التالية:

أن يدفع لهم مبلغاً معيناً من المال وأن يعود الخلقيدونيون الى حمى جمهورية آثينا. وان لا يقوم الآثينيون بغارات على الأقليم الذي يحكمه [فارنابازوس] وأن يسمح [فارنابازوس] بمرور سفراء آثينا في طريقهم الى ملك الفرس.

ثم لما عاد الكيبيادس طلب [فارنابازوس] أن يصادق هو أيضاً على المعاهدة ويحلف ميثاقاً على التمسك بها. فرفض الكيبيادس أن يفعل ذلك إلا بعد أن يحلف [فارنابازوس]. وعندما تمت المراسيم على هذا النحو، ساق الكيبيادس حملة على البيزنطيين الذين كانوا قد شقوا على آثينا عصا الطاعة، وأقام أطاماً حول المدينة(\*).

إلا أن [انكسلاوس Anxilaus] و[ليكورغوس] وآخرين عرضوا تسليم المدينة غيلةً إذا تعهد الكيبيادس بحفظ ارواح السكان وأموالهم، فنشروا اشاعة عن وجود حركة غير متوقعة

(\*) أثناء شتاء ٤٠٩-٤٠٨ ق.م.



في أيونيا اضطرتة على رفع الحصار والانسحاب. وفي اليوم عينه أظهر علائم الرحيل والإقلاع بجميع الاسطول، إلا أنه عاد ليلاً وانزل الى الساحل كل جنوده وزحف نحو الأسوار بسكون وخفة وفي الوقت عينه أدخل سفنه الى الميناء مفتعلاً أقصى ما يمكن من الحركة والضجيج والصياح والعنف.

فاعتدت البيزنطيين الدهشة وفوجئوا من حيث لا يتوقعون وفيما هم يسرعون للدفاع عن مينائهم وسفنهم، سنحت الفرصة لأنصار الآثينيين بادخال الكيببىادس الى المدينة بكل أمان. ومع ذلك لم تنته المسألة بدون قتال، فقد تصدى الهلوبونسيون والبويوتيين والميغاربيون، الجنود الخارجين من السفن وأرغموهم على ركوبها ثانية، ولما سمعوا أن الآثينيين دخلوا من الجانب الآخر، نظموا صفوفهم وأندفعوا اليهم، على أن الكيببىادس تمكن من النصر بعد قتال ضار، وكان يقود بنفسه الميمنة و[ثيرامينيس Theramenes] يقود الميسرة. وأخذ ثلاثمائة أسير تقريباً، وهم كل ما تبقى من قوات العدو. وبعد انتهاء المعركة لم يقتل بيزنطي واحد أو يطرد خارج المدينة تطبيقاً للشروط المتفق عليها لتسليم المدينة وهيبالاً يضار أحد من سكانها لا بنفسه ولا بماله. ووقف [انكسيلاوس] فيما بعد في لقيديون متهماً بهذه الخيانة فلم يستنكر عمله، ولم يعترف بخطأه. وكانت حجته انه ليس لقيديونياً بل بيزنطياً وان الخطر لم يكن مُحققاً باسبارطا بل ببيزنطة. فقد أحكم الحصار حول المدينة واستحال نقل الارزاق اليها، وكان رجال حامية الهلوبونسيين والبويوتيين يلتهمون كل ما هو مختزن في حين يتضور البيزنطيون جوعاً مع زوجاتهم وأطفالهم. ولذلك فانه لم يخن بلاده وسلمها للعدو وانما انقذها من فواجع الحرب، متأثراً بذلك خطى معظم مشاهير رجال لقيديونيا الذين لا يرون أكثر شرفاً وكرامة من تحقيق كل ما هو نافع لبلادهم. فأحترم اللقيديونيين دفاعه هذا وبرأوا كل المتهمين.

وهز الشوق الكيببىادس الى موطنه أو بالأحرى تاق الى ان يعرض على بني قومه شخصاً ظفر لهم بانتصارات عديدة. فأبحر الى اثينا(\*) وزينت السفن التي رافقته بالعديد من التروس وغيرها من غنائم الحرب وسحبت خلفها كثيراً من البوراج التي أستولي عليها. مع شعارات وزينات الكثير الآخر الذي أغرق وحطم، وبلغ مجموعها الكلي مائتين ولا يُعتد كثيراً بما أورده [دوريس Duris] الساموسي الذي يدعي نسباً بالكيببىادس - من القول أن [خريسونوس Chrysogonus] أحد الفائزين في الالعاب [البيشيشية] كان ينظم حركة مجاذيف السفن بانغام نايه فتتحرك بانسجام الايقاعات الموسيقية، وأن [كالبيديس Callip-

(\*) من ساموس في ربيع ٤٠٨ ق.م.

[pides] الممثل التراجيديّ كان يلقي الكلام الى النوتية وهو مرتد جزمته وطيلسانه الأرجواني وماليها من حلله وحليّه السركسيّة. وان سفينة القيادة رفعت شراعاً أرجوانياً عند دخولها الميناء. كل هذه الوقائع لم يرد ذكرها عند [ثيويومپوس أو ايفوروس أو كزينفون] والحقيقة هي أنه لا يُعقل البتة أن يعود المرء الى موطنه وقومه من نفي طويل الأمد تخلله كثير من المصائب والنواب مثلما يعود نشوانُ طروبُ من مجلسٍ لهو وشراب. وأمّا الواقع فكان بعكس هذا اذ دخل الكيبيداس الميناء متوجساً خيفة مرتعد الفرائض. ولم يجرؤ على النزول الي اليابسة حتى شاهد ابن عمّ له يدعي [يورپطموس Euryptemus] مع آخرين من أصدقائه ومعارفه، وهم وقوف على الرصيف متلهفون لاستقباله ودعوته للنزول. وما أن وطئت البرّ قدمه حتى اندفعت اليه الجماهير مستقبلةً وكأنها لا ترى أحداً من القواد الآخرين غيره. وتزاحمت عليه وتكأأت وحيته بهتافات شقت عنان السماء وراحت تتبعه خطوة خطوة. وأخذ القريبون منه يضفرون الأكاليل على رأسه. أما الذين لم يصلوا اليه فقتعوا بالوقوف بعيداً ومتابعته بانظارهم. وكان كبار السنّ والعجزة يدكون الصغار عليه بالاشارة اليه. إلا أن الفرحة الشعبية ما زجها شيء من الدموع، والسعادة الحاضرة شابتها ذكرى مؤلمة للمصائب التي عانوها. وعاد بهم الفكر الى الماضي وتبينوا أنهم ما كانوا ليصابوا بنكسة صقلية، ولا ليهزموا في اي موقعة حربية لو تركوا تصريف الأمور وقيادة الجيوش للكيبيداس، لما تسلّم مقاليد الأمور قبلها كان حالهم سيئاً فقد قُضي على نفوذهم في البحر أوكاد. وعجزوا عن حماية ضواحي مدينتهم من البرّ، كما كان التناحر الحزبي قد مزقهم وبلغ بهم ضعفاً مشيناً من البؤس. وسرعان ما انتشلهم من هذتهم، وأنقذهم من حالتهم المزرية ولم يكفه أن يستعيد لهم سلطانهم الدائر على البحر بل قلب هزائمهم الى انتصارات في كل برّ.

سبق للشعب ان أصدر مرسوماً بعودة الكيبيداس من المنفى، بناءً على اقتراح [كريتياس Critias]<sup>(٤٩)</sup> ابن [كاليسخروس Callaeschros] كما يظهر من مرثيته التي أراد بها تذكرة الكيبيداس بالخدمة التي قدمها له:

من اقتراحي صدرَ ذلك المرسوم الذي جاء بك الى الوطن من منفك الشاق.  
الاقتراع العام أنا الذي بدأت، وصوتي هو الذي وضع الختم على المرسوم.

(٤٩) صدر هذا المرسوم قبل ثلاث سنوات في آخر خريف العام ٤١١ ق.م. بعد اسقاط مجلس الاربعمائة وكريتياس هو ابن عم افلاطون وهو الذي ذكره في محاوراته وأصبح صديقاً للكيبيداس بعد عدااء مستحکم. ان الشهوة الى السلطة تدمر كل الروابط. فقد كان من الدّ أعدائه عندما أصبح الكيبيداس واحداً من الطغاة الثلاثين. وأرسل يؤكد ليساندر بأن أثينا لن ترتاح وسپارطا لن تأمن الا بتصفية الكيبيداس. قتل [كريتياس] فيما بعد، قتله (ثراسيبولوس) عندما تولى هذا انقاذ أثينا من حكم الطغاة.

ثم دُعي الجمهور الى اجتماع عام (\*)، ووقف الكيبيداس بينهم خطيباً فأسهب في وصف ما عاناه متأسياً متألماً. ثم شكوا بلهجة رقيقة من المعاملة الفظة التي عومل بها، وعزاها جميعاً الى معاندة الاقدار وشرّ الجنّي الذي يلازم روحه. ثم انتقل فأفاض في الكلام عن مستقبلهم وأمانيتهم. وحشهم على التمسك باهداب الشجاعة والأمل الباسم. وقام المواطنون بوضع تيجان الذهب على مفرقه، وانتخبوه قائداً عاماً للبرّ والبحر ومنح صلاحيات مطلقة. كما أصدرُوا قراراً باعادة املاكه المصادرة اليه، واوزوا الى اليومولبيدي Eumolpidae والمناديّ الأقدس، بحلّه من اللعان الديني الذي نطقوا به بموجب الحكم الصادر عليه فاطاع الجميع، ألا أن الكاهن الأعظم [ثيودوروس] أعتذر بقوله «إن هو برئ، فاني ما لعنته مطلقاً».

وبصرف النظر عن سير أمور الكيبيداس سيراً حسناً يتفق مع المجد الذي بلغه. فإن كثيراً من الناس ما زالوا قلقين بعض الشيء، ينظرون الى ظروف تطهير عودته نظرة شؤم. ففي اليوم الذي وصل الميناء كانت اثينا تحتفل بعيد الربّة [منيرفا] (٥٠) التي يطلقون عليها [پلنتيريا Plynteria] ويقع في الخامس والعشرين من شهر [ثارجيليون] عندما يقوم [الپراكيبرغيدي Praxiergidae] باحياء شعائر الطقوس السريّة الخاصة بهم. فينتزعون كل الحلّي والزينات من تماثيل الربّة ويسدلون أغطية وستائر على الجزء الذي تحتله من المعبد لحجبه عن النظر ولذلك يعتبره الآثينيون انحس يوم وأشأمه ولا يأتون عملاً مهماً من أعمالهم فيه. وبموافقة قدم الكيبيداس فيه، تصوروا أن الربّة لم ترحب به ولم ترتح اليه لأنها أخفت وجهها ورفضته. ومع هذا كلّه سار كل شيء وفق رغبته. وعندما تمّ اصلاح السفن المائة التي عادت معه، وهيئت للأبحار، اخرته رغبة شريفة حتى ختام الاحتفال بالأسرار المقدسة، فمنذ احتلال [دسيليا Decelea] وسيطرة العدو على كل الطرق المؤدية الى اليوسيس من آثينا، والموكب يسلك سبيل البحر لا تصاحبه أية شعائر لاثقة. فقد اضطروا الى حذف مراسيم القرايين والرقص وغيرها من الطقوس الأخرى التي جرت العادة بادائها في مراحل من الطريق. عندما يتقدم المركب الى [ياكوسّ Jacchus] (٥١). فوازن الكيبيداس القضية في فكره، ووجد في إعادة جلال هذه الشعائر القديمة عملاً مجيداً فيه تكريمٌ للآلهة وارتفاع جديد لمنزلته بين

(\*) في أوائل صيف ٤٠٨ ق.م.

(٥٠) في هذا اليوم يغسل تمثال منيرفا. وتحاط المعابد بخيط إشارة الى انها مغلقة في وجه المصلين كما جرت العادة في ايام النحس. ويحمل تين مجفف اثناء الموكب لأنه أول فاكهة تؤكل بعد الاكورن. اما الپراكيبرغيدي فهم الكهنة المختصون بـ(منيرفا).

(٥١) يدوم عيد كيريس وپروسپرين تسعة أيام، وفي اليوم السادس يحمل من كيريس تمثال [باخوس] أو [اياخوس] الذي يعتقدون انه ابن جويتر ويطاف به في موكب. ولفظ [اياخوس] يطلق أحياناً على الترتيلة التي تنشد اثناء مسيرة الموكب أو حتى على ايام العيد برمته.

الناس. وقرر مرافقة الموكب في طريق البر، وحمايته بجيشه من العدو. فاذا بقي [أغيس] في موضعه ولم يعترض سبيله فسيكون في هذا اضعافاً لسمعته وصيته. وإذا اضطرت الكيببىداس الى خوض حرب مقدسة في سبيل الآلهة ودفاعاً عن أقدس وأجل شعائر الدين، فسيكون ذلك على مرأى من بلاده وسيثبت بها لبني قومه مدى بسالته. ما أن قرأ رأيه على هذا وابلغها للايومولبيدي والمنادين، حتى بادر الى وضع ربايا عسكرية على رؤوس التلال. وعند انبلاج الصبح أطلق كشافته ترود الطريق. ثم أخذ معه الكهنة والرهبان والمكرسين واضعاً ايهم في وسط رتل جنوده وقادهم بنظام دقيق وهدوء تام. وكان موكباً جليلاً رائعاً وقال أولئك الذين لا يضمرون كرهاً للكيببىداس انه مارس فيه وظيفتي الكاهن الأعظم والقائد العسكري في وقت واحد ولم يجرؤ العدو على القيام باي عمل ضده فوصل المدينة بأمان ولم يكن ارتفاع قدره في عين ذاته بأقل من ارتفاع منزلته في عيون الشعب لهذه المأثرة المجيدة. وسرح بهم الخيال حتى وصل الى حد الايمان بان قيادته تجعل جيوشهم منيعة عن العدو لا يمكن قهرها. وأشدت تعلق أوزاع الشعب ودهماؤه به بحيث راحوا يصرخون برغبتهم في نصب نفسه حاكماً «طاغية» عليهم، ولم ير بعضهم معرفة «في مفاتحته بذلك ونصحه بأن يجعل نفسه في نجوة عن الحسد والبغض، بازالة قوانين الشعب ومراسيمه، وقمع الثرثارين الذين يلحقون الدمار بالدولة، ليكون قادراً على تصريف شؤون الحكم وحده دون خوف من حساب أو اذانة.

وليس في الإمكان معرفة المدى الذي وصله ميله في ضبط السلطة المطلقة، وكل ما نعرفه أن اعيان المدينة وكبراءها كانوا شديدي الخوف من ذلك، حتى انهم استعجلوه في الابحار، وعينوا الزميلين اللذين أختارهما هو، وسمحوا له بكل ما طلب<sup>(٥٢)</sup>. فأنطلق بأسطول قوامه مائة سفينة(\*) فبلغ [اندروس] وهناك قاتل أهلها وقاتل اللقيديمونيين الذين ساعدوهم وتغلب عليهما معاً. على أنه لم يفلح في الاستيلاء على المدينة، وهذا ما أطلق السنة أعدائه بمختلف التهم ضده. والحقيقة هي: اذا كان ثم شخص في الدنيا دمره مجده، فهو الكيببىداس. لأن انتصاراته المستمرة، كونت فكرة معينة عن شجاعته والمعيته، وهي أنه اذا فشل في أمر ما سعى اليه، فالسبب هو إهماله. ولن يعتقد أحد بأن السبب هو إفتقاره للسلطة. إذ كان الظن السائد عنه أن لاشيء يصعب عليه إذا عالج أمره بجد وحزم.

وأخذ الآثينيون يتوقعون يوماً وصول الانبياء عن إخضاع [خيوس] وبقية [أيونيا] وعيل صبرهم لأن الأمور لا تسير بالسرعة التي كانوا يقدرون لها. ولم يفكروا بمبلغ حاجته الى المال،

(٥٢) يخبرنا كزينفون بأنهما [ارسطوقراطس] و[اديمانوس] وقد اقتصرت مشاركتها في القيادة على البر.

(\*) في نهاية تشرين الأول ٤٠٨ ق.م.

وبأن مواصلة الحرب ضدّ عدوّ لا ينقصه شيء من الأعتدة والأرزاق تأتيهم من ملك عظيم، وكثيراً ما لجأ الكيببidas الى النزول عن أسلحته ليؤمن المال والأرزاق لإطعام جنوده. وهذا ما فسح مجالاً لآخر اتهام وجّه اليه. فقد أرسل [ليساندر Lysander] من لقيديمون ليتسلم قيادة أسطولهم ومعه مبلغ كبير من المال نفحه به [كورش] ملك الفرس. فراح يدفع لكلّ بحار اربعة [اوبولات] أجوراً يومية وكانت ثلاثة قبلاً، ولم يكن الكيببidas قادراً حتى على دفع ثلاثة [اوبولات] لرجاله، وحزم أمره أخيراً على دخول [كاريا Caria] للحصول على المال وترك قيادة الاسطول في غيابه [لأنطيوخس] وهو رجل بحر مجرب، إلا أنه متهور متسرع قليل الشعور بالمسؤولية<sup>(٥٣)</sup>. مع أوامر صريحة له بأن لا يشتبك في قتال مع العدو مهما استفز. إلا أنه لم يبال بالأوامر وأستخف بها الى الحد الذي عمد الى سفينة الخاصة وسفينة أخرى فأنطلق بها الى أفسس حيث يرسو اسطول الاعداء وراح يخطر بسفينتيه أمامهم وأقترب منهم متحرشاً حتى قيّاديم السفن واستخدام كل وسائل الاستفزاز الممكنة قولاً وعملاً. فأوسق ليساندر سفناً قليلة بالرجال ولاحقه، فخرجت كل السفن الأثينية لمعاونة انطيوخس، ولم يكن من ليساندر إلا وجرّد الاسطول كلّه وأشتبك الفريقان في المعركة ودارت دائرتها على الأثينيين ونال بها نصراً ساحقاً. وقتل انطيوخس. وأخذ ليساندر أسرى من السفن والرجال. واقام نصباً تذكاريّاً.

وأسرع الكيببidas الى ساموس حال سماعه بالنبأ، ثم خرج منها بكل اسطوله يريد ليساندر، إلا أن هذا القائد لم يخرج اليه وابتى النزال قانعاً بالنصر الذي كسبه.

وكان [ثراسيبولوس] أين ثراسون Thrason أشدّ رجال الجيش حقداً على الكيببidas وكرهاً به، حتى أنه سافر الى أثينا بقصد رفع شكوى عليه، واثارة اعدائه في المدينة ضده. وقام خطيباً في الاجتماع الشعبي ووضح «إن الكيببidas فرط بمصالحهم وأتلف أمورهم وحفر سفنهم بمجرد الإهمال المكابر لواجباته، وأودع قيادة الجيش في غيابه أناساً أصبحوا موضع ثقته من جراء مجالس الشراب والقصف وبذيء الكلام. في حين كان يروح ويغدو على هواه يجمع الأموال، وينغمس في الوان من الترف والبذخ والفجور بين عاهرات [آبيدوس وآيونيا]، واسطول العدو قريب متربص بنا الدوائر مستعد اللأتقراض». واصاخ الأثينيون سمعهم لهذه الشكاوى وأظهروا حنقهم وعدم رضاهم بانتخاب قادة آخرين للجيش<sup>(٥٤)</sup>.

(٥٣) وهو الذي أمسك له بالسماطي. يقول كزينفون ان ليساندر أخذ خمس عشرة سفينة وانسحب بعد المعركة الى (لسيبوس).

(٥٤) وهم بحسب قائمة كزينفون: كونون وذيوميذون وليونتس، پريكس وابراسينيديس وارسطوقراطس وارخستراتوس وپروتوماخوس وثراسيلوس وارسطوغينس.

لما سمع الكيببىداس بما جرى بادر الى ترك الجيش كله<sup>(٥٥)</sup> خشية مما سيعقب، وجمع حوله جيشاً من الجنود المرتزقة وهاجم على حسابه الخاص أولئك الشراقيين الذين يسمون أنفسهم بالأحرار ولا يعترفون بسلطة اي ملك. وبهذه الوسيلة جمع ثروة طائلة وفي الوقت عينه حافظ على الأغرقي الذين يقطنون الحدود من غارات البرابرة.

كان الجنرالات الثلاثة الجدد [تيدوس Tydeus وميناندر Menander وأدمينتوس Adi-mentus] قد أخذوا [ايگوسپوتامي Aegospotami]<sup>(٥٦)</sup> قاعدةً لهم بكل ما بقي للآثينيين من سفن، وكانوا ينطلقون الى البحر صباح كل يوم من هذه القاعدة لاستدراج [ليساندر] الى معركة. بأسطوله الراسي قرب [لامپاسكوس Lampascus] ويعودون بعد كل اشتباك للاستراحة بقية اليوم احتقاراً للعدو وعدم مبالاة به، ودون نظام ولم يكن الكيببىداس الغريب منهم<sup>(\*)</sup>. بمن يتعامى عن الخطر المحدق بهم أو بالذي يقلل من شأنه ولم يهمل التصريح لهم بذلك اذ ركب جواده وإقبل عليهم وشرح لهم أنهم أختاروا قاعدة غير صالحة ابداً، لأنها لا تمتاز بمناعة ولا تمنحهم أماناً من غارة، كما أنها بعيدة عن أية مدينة مما يضطرهم الى جلب تجهيزاتهم وازراقهم الضرورية من [سيستوس Sestos] البعيدة. وأشار أيضاً الى عدم مبالاتهم بوضع الجنود عند نزولهم الى البر، وحذرهم من مغبة تركهم الحبل على الغارب لهم يتفرون دون نظام ويروحون ويغدون كما شاؤوا في حين كان اسطول العدو الذي هو بقيادة جنرال واحد، يقظاً متربصاً بهم، مطيعاً للنظام الى آخر حدّ وعلى مسافة قريبة جداً منهم. ونصحهم بالانتقال بالاسطول الى [سيستوس]<sup>(٥٧)</sup>. فلم يكثرثوا لقلوه، وأمره [تيدوس] بلهجة مهينة أن ينصرف قائلاً انه ليس القائد الآن، وانما هناك آخرون يقودون الجيش. وبادر الكيببىداس الى الانصراف وقد لاحت له نية غدر. وقال لاصحابه الذين رافقوه الى خارج المعسكر: لو احترم الجنرالية رأيه ولم يعاملوه بهذا الاحتقار الذي لا يحتمل، لأفلح خلال أيام معدودات في إرغام اللقيديمونيين مهما كرهوا، إمّا على قتال الآثينيين في البحر،

(٥٥) أخذاً معه بارجة واحدة. انسحب بها الى القلاع التي بناها ربما ليتخذها ملاذاً.

(٥٦) يتخطى بلوتارخ هنا ثلاث سنين في غضونها حلت هزيمة ب(كونون) بعد ان توغل قليلاً في أرض العدو وفي السنة التالية وهي السنة السادسة والعشرين من الحرب البلوپونيسية نال الآثينيون نصر [ارغيتس]. وقاموا باعدام ستة من جنرالاتهم بتهمة بسيطة تقدم بها زميلهم [ثيرامينيس]. وفي السنة الأخيرة ابجر الآثينيون الى [ايغوس - بوتامي] وهو موضع على مقربة من المضائق. مقابل لامپلسكوس كما جاء في المتن - الفترة تبدأ من ربيع ٤٠٧ حتى خريف ٤٠٥ ق.م.

(\*) في قلعة قرب پاکتبي Pactye (كزنيفون الهيلينيون ٢: ٢٥٠).

(٥٧) الضباط الذين يؤمرون على الجيوش الاغريقية واساطيلها يطلق عليهم اسم جنرال أحياناً، ويطلق عليهم اسم اميرال أحياناً. لأنهم عادة يشرفون على الحركات العسكرية في البر والبحر على حدّ سواء.

أو مغادرة سفنهم. وعد بعضهم كلامه هذا مجرد ادعاءٍ فارع، وقال آخرون أن المسألة ممكنة إذ انه قد يأتي بمجموع كبيرة من الخيالة والنبالة التراقيين ليهاجمهم برأ ويشيع الفوضى في معسكرهم<sup>(٥٨)</sup>. وسرعان ما أثبتت الأحداث صحة استنتاجه وحكمه على اخطاء الآثينيين. فقد انقضَّ عليهم [ليساندر] فجأة، وهم أبعد الناس عن الشك في الأمر، وبلغ عنف هجومه حدًا لم يفلت من يده غير [كونون Conon] وحده بثماني سفن فقط<sup>(٥٩)</sup>. أما البقية وكان عددها يناهز المائتين فقد أستولى عليها وساقها خلفه غنيمَةً مع ثلاثة آلاف أسيرٍ أعمل السيف في رقابهم جميعاً، وبعد فترة قصيرة أستولى على آثينا نفسها وأحرق كل ما وجده فيها من السفن وهدم اسوارها الطويلة<sup>(٦٠)</sup>. ودبَّ الخوف في نفس الكيببidas اللقيديميونيين، الذين غدوا سادة البحر والبر من غير منازع، فرحل الى [بيثينيا]، بعد أن بعث اليها بأموال كثيرة، وأخذ معه ما يزيد على ذلك، وترك في الحصن الذي كان يقيم فيه مقداراً يزيد بكثيرٍ على ما سبق ذكره. إلا أنه خسر جزءاً كبيراً من ثروته في [بيثينيا] فقد سطا عليه بعض التراقيين هناك وسرقوه وعندها قرَّر الذهاب الى بلاط [ارتخششتا] وكان واثقاً أن الملك لن يجده أقل مواهب من [تيمستوكليس] عند امتحانها، زد على هذا أنه أما يقصده في قضية أنبل وأشرف مما قصده به تيمستوكليس. فلم تكن غايته عرض خدماته ضد بني قومه ووطنه كما فعل تمستوكليس، بل ضد أعدائهم. أراد أن يحصل على عون من الملك للدفاع عن بلاده. وقدَّر أن [فارنابازوس] لن يبخل عنه بحق اللجوء فقصده في [فريجيا].

وظلَّ يعيش هناك ردحاً من الزمن يتبادلان الودَّ والاحترام والتكريم وكانت حال الآثينيين أثناء ذلك - يرثى لها، اناخ البؤس عليهم بعد خسرانهم كل مستعمراتهم، وزاد في شقائهم حرمانهم الحرية أيضاً، وقيام ليساندر بتعيين ثلاثين حاكماً مطلقاً في المدينة، واذ ذاك وفي وسط خرابهم بدأوا يستعيدون الأفكار التي عرضت عليهم ولم يوافقوا عليها حين كانت السلامة ممكنة. وأقروا باخطائهم الماضية وندموا على حماقاتهم ووجدوا في اساءتهم معاملة الكيببidas الثانية خطيئة لا يمكن اغتفارها. فقد طرده دون أن يرتكب خطأ بنفسه، بل ولمجرد حنقهم على مرؤوس من مرؤوسيه فقد بضع سفن بصورة مخجلة، أرتكبوا هم أنفسهم جريمة أدعى الى الخجل والعار بحرمان الجمهورية من أشجع قوادها وأعظمهم حنكة ودهاء. وكانوا

(٥٨) عندما يُرسي الاسطول مدة معينة. تنزل عادة قوات برية وبحرية وتعسكر في البر على الساحل.  
(٥٩) هربت سفينة تاسعة تعرف باسم (پارالوس) لتحمل انباء الهزيمة الساحقة الى آثينا. ولجأ (كونون) الى قبرص. وكان ايفاكوراس ملكها (انظر سيرة ليساندر).  
(٦٠) حصل ذلك في السنة الرابعة من الاوليبياد الثالث والتسعين اي في السنة الثامنة والعشرين من الحرب الهلوبيونيسية.

يشعرون مع ذلك أن مجرد وجود الكيببىداس في قيد الحياة، يجعلهم يتشبثون بالأمل الواهي، ويمنعهم من اليأس التام بأحياء الجمهورية في آتينا. وكانت أنفسهم قانعة بأنه ان لم يستطع وهو في المنفى أن يجلس عاطلاً غير مكترث فسيكون الآن أقل صبراً على السكوت وتحمل إهانة اللقيديميين لبلاده، وأشد سُخْطاً على استبداد الحكام الثلاثين، إن واته الفرصة. وليس من قبيل السخف أو اضغاث الأحلام ان تخالغ أفراد الشعب مثل هذه الامنيات وها هم «الحكام الثلاثون» أنفسهم شديدو اللهفة الى تسقُط اخباره ومتابعة كل حركاته وسكناته. ويمختصر القول بينَ [كرتياس] لليساندر أن اللقيديميين لن يصفو لهم الجو في بلاد الأغرقي، وليس ثم ضمان لسيادتهم عليها إلا بالقضاء التام على الديمقراطية الآثينية. واذا كانت المظاهر تشير الى خنوع الآثينيين وصبرهم على هذا العدد الضئيل من الحكام فان مجرد علمهم بان الكيببىداس ما زال حياً، لن يدعهم يذعنون أو يرضون بحالتهم الراهنة.

إلا أن ليساندر لم يقتنع بهذه الحجج، حتى بلغته بالأخير أو امر سرية من حكام لقيديمون، تريد منه بصراحة أن يعمل على قتل [الكيببىداس]. ولا يعرف هل أن الدافع الى هذا، كان خوفهم من حيويته وجراءته في الاضطلاع بكل ما هو خطر أو اطفاءً لمحمد [أغيس] عليه. وعندما وصلت الأوامر بذلك الى [ليساندر] بعث رسولاً الى [فارنابازوس] يطلب منه تنفيذ ذلك. فعهد [فارنابازوس] الى [ماجىوس Magaeus] أخيه، و[سوساميثريس Susamith-tes] عمه بالأمر. وكان الكيببىداس في حينه يسكن قرية صغيرة فريجسية مع [تيماندر Timandra] مخطيته. ورأى فيما هو نائم الحلم التالي: وجد نفسه يرتدي ثياب مخطيته وهي تحتضنه بين ذراعيها وتصف شعره وتجمّل وجهه بالمساحيق كأنه امرأته، وزعم آخرون أنه رأى في الحلم [ماجىوس] يحتز رقبتة ويحرق جسده. وعلى أية حال انه شاهد هذه الرؤى قبل مقتله بزمان قصير. وهؤلاء الذين أرسلوا لقتله لم يكن لديهم الشجاعة الكافية لدخول منزله، بل طوقوه أولاً ثم أشعلوا النار فيه. وما ان أدرك الكيببىداس نيتهم حتى جمع مقداراً كبيراً من الثياب والأثاث وغطى بها النيران محاولاً اخمادها ثم لفّ طيلسانه حول ذراعه اليسرى وامسك بسيفه المنتضى بيده اليمنى وقذف بنفسه وسط اللهب وخرج منها سليماً قبل أن تَحترق ثيابه، وتراجع البرابرة الى الخلف حالما رأوه ولم يجرؤ أحد على التقدم منه أو الاشتباك معه بل وقفوا على مسافة وأجهزوا عليه بالسهم والرمح المقدوفة، وأنصرف البرابرة بعد قتله. فرفعت [تيماندر] الجثة وغطتها ولفتها بثيابها<sup>(٦١)</sup>. وقامت على دفنها

(٦١) دفنته في ميليسا. وقد أعلمنا [آثينوس ٤:١٣] أن النصب كان باقياً في عهده وانه شاهده بعينه وقد أمر الامبراطور هادريان تخليداً للرجل العظيم ان يصنع له تمثال من مرمر (باري) وينصب فوق الضريح وأمر بتضحية ثور له، كل سنة... =



دفنة لائقة محترمة على قدر ما سمحت به ظروفها وقيل أن بنت [تيماندر] (٦٢) هذه هي [لايس Lais] الشهيرة، الملقبة بالكورنثية وإن كانت من [هيكارا Hyccara] وهي بلدة صغيرة في صقلية. هناك فريق يتفقون على وقائع موت الكيببidas التي سردناها في كل تفاصيلها، خلا أنهم لا يعزون سببها إلى [فارنابازوس] أو [ليسندر] أو اللقيديونيين. بل يزعمون أنه كان يعاشر في منزله سيدة صغيرة السن من أسرة نبيلة هتك عرضها، ولم يستطع أخوتها احتمال عارها فأشعلوا النار في المنزل الذي يسكنه وقتلوه وهو يحاول النجاة بالشكل الذي فصلناه.



= إلى جانب الروايتين اللتين رواهما بلوتارخ هنا حول كيفية موته، توجد رواية ثالثة [ديودورس ١٤: ١١] الذي يعزو السبب إلى الحسد الذي كان يكنه له [فارنابازوس] السياسي الدنيء. ويقول أرسطو: الطبيعة ٤: ٢٩ كان موته في [الافوس] وهو جبل في فريجيا. (٦٢) [داماساندر] [Damiasandra] كما يسميها [أثينيوس] ويضيف قائلاً: إن [ثيودوتا] مخطيته الأخرى قامت بكل ما في إمكانها لتشجيعه ودفنه دفنة لائقة.

ڪرئولانوس

CORIOŁANUS

(Caius Marcius)

5 Th.c



أنجب البيت الباباتريشي المسمى [مارجيجي Marcii] في روما، كثيراً من عظماء الرجال ومشاهيرهم، ومن بين الغابرين [آنكوس مارشسيوس Ancus Marcius] حفيد [نوما] (١) لابنته، وخلف [تلوس هوستيلوس] في العرش الروماني، ومن الأسرة نفسها نبغ أيضاً [بوليوس Pubbius] وكونيتوس مارشسيوس [الذان أسالا الى روما أفضل وأكبر كمية من الماء عرفها أهلها. ومثلهما [چجنوسوريوس Cecnsorinus] الذي اختاره الشعب مرتين لمنصب أمين بيت المال، وحملهم هو نفسه على إصدار قانون يحرم على المرء ان يتولى هذا المنصب مرتين، على أن [كايوس مارشسيوس] الذي أكتب عنه هنا؛ كان يتيم الأب، نشأ وربى في فترة ترمب أمه. فأثبت لنا بهذا أن فقد الأب لا يمنع أحداً من توقل درجات المجد والشهرة، والتخلي باسمى الفضائل في الحياة، ولا أن يكون عقبة دون التفوق والصلاح الحقيقي. وعلى أية حال، فأشرار الناس مغرمون في القاء تبعه شرهم ورداءتهم على سوء طوالعهم والإهمال الذي عانوا في الصغر. وانه كذلك لشاهد لايقبل قيمة عمّا أسلفنا على صواب رأي أولئك الذين يؤمنون بأن الخلق الكريم الممتاز المتجرد عن الضوابط والقيود الملائمة، هو أشبه بالتربة الخصبة غير المحروثة، فهي أهل لانتاج الكثير من السيء والردى أيضاً. وفي حين تراه يتنقل من نجاح الى نجاح في كل اعماله الشريفة بقوة روح فيه، وفاعلية متأججة واستمرارية عنيدة لازمت كل ما أضطلع به من مهام، كان من جهة أخرى يرخي العنان لجموح عاطفته واطلاق العنان لها. ولقد كان من نتيجة إصراره العنيد على عدم إنزال نفسه الى ارادة الناس المحيطين به أو تكييف به أو تكييف أحاسيسه وأخلاقه لهم أن جعل نفسه عاجزاً عن العمل مع الآخرين. إن أولئك الذين كانوا يرقبون معجبين، كيف كانت طباعه صامدة ازاء كل مناعم الملذات، واغراء الكسب المادي، صابرة على مشاق الخدمة، في حين أتمت صلابة إرادته العامة

(١) تزوجت پوميليا بنت نوما بـ(مارجيسوس) ابن سابيني، عندما أقنع (نوما) بقبول المنصب الملكي وتبعه الى روما، كان يأمل هو أن يخلفه في هذا المنصب. لكنه ما لبث عن بخع نفسه عندما أغفل وتخطوه لينصبوا (تولوس هوستيلوس). ومن زيجة پوميليا ولد (انكوس) ابن مارجيسوس ووصل الى المنصب الذي حرم منه جدّه. ومن هذه الأسرة جاء (كريولانوس). والماء المنوه به في السطر التالي هو أصفى ماء في روما. وقد جيء به بعد شق ساقية له من منبعه طولها ستون ميلاً.

تلك الصفات الملازمة لها مثل ضبط النفس والعزيمة والاستقامة؛ لم يسعهم إلا أن يضيّقوا ذرعاً بصرامته وفظاظته وغطرسته واستبداده التحكيمي. وهي من حياة المواطن ورجل السياسة وان الدراسة والثقافة والتمرس في الفنون لا تنطوي على فوائد لطلابها، أعظم من فوائد الدروس الرامية الى التهذيب البشري، والتحضّر. فهذه تدرب أخلاقنا الطبيعية على الخضوع للحدود التي يرسمها العقل، وتجنينا التطرف الجامع.

في تلك الأزمان كانت هذه المؤهلات تعتبر في روما أرفع ما يمكن أن تسمو اليه النفس، والأعمال الحربية هي ميدان ممارستها الوحيد وخير دليل على ذلك: الكلمة اللاتينية «Vertuten: الفضيلة»<sup>(\*)</sup>. فانها مرادف دقيق لشجاعة الرجل، حتى لكأن البسالة، والفضائل مجتمعة شيء واحد، وانهم يستخدمونها كصفة عامة لتفوق خاص بشخص.

و[مارشوس] الذي كان ميله يندفع به الى بطولات الحرب بحماسة تفوق أي من في سنّه، بدأ بالتدريب على السلاح منذ نعومة أظفاره. ولما كان يدرك ان الأسلحة ما هي إلا أدوات عرضية، مصنوعة لا تأثير لها، ولا قيمة كبيرة فيها عند من لم تزودهم الطبيعة بأسلحة حسنة التركيز معدة إعداداً جيداً للخدمة، فقد انصرف الى تكييف وتدريب كيانه على ضروب الفعاليات وشتى فنون القتال. فجمع فيه خفة العداء، وثقل المصارع الذي يصعب التخلص من قبضته حالما تطبق على الخصم في التحام، وبلغ في ذلك الغاية حتى كره منازلوه من بني قومه ولداته أن يصرحوا بنقص كفاءتهم ازاءه، وأعتادوا أن يعللوا قلة حيلتهم فيه وضعفهم بقوة جسمه، قائلين أنها لا تعرف معنى الانهك ولا التعب، ولا يمكن الوقوف أمامها.

وأول ما دخل معترك الحرب وهو غلامٌ مراهق<sup>(٢)</sup>، كان في آخر معركة [التاركوينيوس سوبريوس] ملك روما الذي طرد من البلاد. فبعد محاولات فاشلة عديدة بذلها للعودة، راح الآن يبذل الجهد الأخير ويتامر بكل شيء في رمية واحدة. ووجد كل اللاتين قواهم وزحفوا معه نحو المدينة لأجل أعادته الى العرش لا لشدة رغبتهم في خدمة تاركوينيوس وارضائه، قدر ما كان يدفعهم الى خوفهم من شوكة الرومان وغيرها من ازدياد نفوذهم الذي ارادوا كبح جماحه وإيقافه عند حد. وتقابل الجيشان واشتبكا في معركة فاصلة ظلت متراوحة<sup>(\*\*)</sup>، وكان [مارشوس] في قلبها وفي مشار نفعها يقاتل ببسالة بمشهد من الدكتاتور، وفي أثناء ذلك لمح جندياً رومانياً يسقط على الأرض بضربة من خصمه فيبرز اليه ووقف دونه وقتله وأنقذ

(\*) معناها الحرفي الرجولة.

(٢) في ٤٩٦ ق.م المعركة المشار اليها وقعت بالقرب من بحيرة (ريغلس) في عهد الدكتاتور [اولوس پوستيموس]. لم يذكر لا ليفي ولا ديون شيناً عن هذه المأثرة اثناء حديثهما عن وقائع ذلك اليوم.

(\*\*) قرب بجدة Regillus في ٤٩٨ ق.م.

الجندي الجريح. وعلى أثر انتصار الجنرال الروماني توجّه لهذا العمل باكليل مصنوع من أغصان البلوط<sup>(٣)</sup>. وهي عادة درج عليها الرومان في تكريم أولئك الذين ينقذون حياة أحد المواطنين وليس من المعروف هل يقصد من العادة تكريم خصوصي للبلوط نفسه على سبيل ذكرى الاركاديين<sup>(\*)</sup> الذين أشتهر أمرهم لنبرءة إبوللو سمتهم بأكله البلوط<sup>(\*\*)</sup>. وإن السبب فيه يعود الى سهولة حصولهم على ثمر البلوط في كل المواضع التي حاربوا فيها، أو لأن أكليل البلوط المقدس عند [جويترا] حامي المدينة، أعتبر لهذا السبب حلية مناسبة لمن ينقذ حياة مواطن. والحق يقال أن شجرة البلوط تحمل أجمل الثمر وأكثره من بين كل الأشجار البرية المثمرة وهي أيضاً أقوى ما يستنبت من الشجر وثمرها كان القوت الأساس للأقدمين من البشر. والعسل الذي يجذونه فيها كان أول ما شربوا. ويحق لي القول أيضاً أن الدبق الذي ينمو عليها يزود المرء بالطيور وغيرها من الحيوانات ذات اللحم الذبذة، لأنه يوقعها في شركه الصمغية.

وكان هذا من بواكر مآثر [مارشيسوس]. ويقال أن [كاستور وبولوكس] ظهرا في هذه الموقعة، وانهما شوهدا بعدها مباشرة في روما بالقرب من النافورة التي يقوم الآن معبدها في مكانها، حصاناهما ينضحان عرقاً، يذيعان انباء النصر على الشعب في [الفورم]. وتعين الخامس من تموز الذي هو يوم النصر، عيداً دينياً مكرساً للأخوين التوأمين.

ومما يلاحظ بصورة عامة إن الشبان عندما تبلغ بهم المقادير مراقي الشهرة والصيت في عُمر مبكر، فانهم يستنيمون لها ويقفون عندها. وهي كفيلة باطفاء غلتهم وأشباع نهمهم المحدود، وإن كان طبعهم يشوبه قليل من روح المباراة والمنافسة. والأمر على العكس عند عظماء الرجال وصناديدهم وأقوياء الأخلاق منهم بأن أول أشتهارهم يحتشهم ويدفعهم كما تدفع الريح الى ملاحقة أمجاد أخرى. وهم لا ينظرون الى ثمرات فضائلهم نظرتهم الى مجرد تعويض نالوه عما فعلوه. بل يعتبرونها بمثابة عهدٍ قطعوها على أنفسهم للقيام بمآثر أخرى في المستقبل، وهم يخجلون ويستنكفون من المجد الرصيد الذي كسبوه. وبكلمة أخرى يترفعون عم جعله حجاباً مسدلاً على ما مرّ من أعمالهم وغطاءً يدفن تحته بهاء الأعمال التي قدر لهم إنجازها في

(٣) «التاج المدني» يرفق به امتيازات كثيرة. فالفائز به الحق في وضعه على رأسه قدر ما شاء ومتى ما شاء. وعلى الشيوخ ان ينهضوا احتراماً له كلما ظهر به للجمهور. وله أن يطالب بوضع معقل له بينهم في الاجتماعات العامة وإن يكون لجده الصلبي وابيه عين امتياز. وهو تشجيع لذوي المواهب والمؤهلات لا يكلف العامة شيئاً. وكان بمنح بالأصل لكل مواطن ينقذ مواطناً آخر من خطر الموت.

(\*) اول مستعمرين لروما بقيادة ايفاندر Evander.

(\*\*) هيروdotس ١: ٦٦.

المستقبل. ولقد كانت روح [مارشيووس] من هذا المعدن النبيل، فهي طموحة أبداً للتفوق على ذاتها دائماً، وهو لم ينجز عملاً فائقاً إلا وكان موقناً أن القدر يريد له عملاً آخر أعظم من سالفه في فرصة تالية. ولازمته الرغبة في تقديم دلائل مستمرة جديدة على بطولته وسيطرت على كيانه تماماً. فراح يضيف مجداً الى مجد ويكدهس النصر فوق النصر. وجعل من ذلك ميدان منافسة بين أمره، ايها يبرز الآخر في تكريمه والثناء عليه؟ ولم يعد من أي حرب أو معركة خاضها في تلكم الأيام الأ وهو متوج باكاليل الغار مشقل بالجوائز والمكافآت وفي الوقت الذي نرى غيره يجعل المجد والمنزلة الرفيعة آخر مظاف بسالته، نجد [مارشيووس] يجعل سعادة أمه نهاية مجده. فالغبطة التي تتملكها عندما تسمع الثناء عليه، وتراه وهو يتوج باكاليل النصر، وبكاؤها فرحاً عندما يعانقها وتضمه الى صدرها، تجعله يشعر بذات نفسه، انه نال أعظم ما يناله بشرٌ من تشريف وسعادة. وقيل أن [إيامنداس] كان يتملكه مثل هذا الشعور تماماً. فأهنا لحظة عنده، هي أن أباه وأمه عاشا ليسمعا بالنجاح الذي حققه في القيادة وبانتصاره الكبير في [ليوكترا Leuctra]، إن الحظ الذي أسعده بمشاهدة ابوه في الاستمتاع بلذة نجاحه، لم يمكن [مارشيووس] إلا من واجب تقديم كل فروض انشكر والامتنان لأمه [قولومنيا Volumnia]<sup>(٤)</sup> وحدها، كما لو كان ابوه جياً ولذلك لم تكن نفسه تشبع من حنانه واحترامه لها. حتى أنه لم يفترق عنها عندما اتخذ زوجاً ورزق بأولاد بناءً على رجائها ورغبتها وظل يعيش معها تحت سقف واحد.

في ذلك الحين، أكسبته استقامته وشجاعته صيتاً كبيراً ونفوذاً طائلاً في روما. وكان مجلس الشيوخ بمحباباته اغنياء المواطنين، في خلاف مستعص مع طبقة العامة التي أخذت تجار بالشكوى المرة من المعاملة الفظة اللإنسانية التي يلاقونها على أيدي المرابين<sup>(٥)</sup>، فكثير منهم أثقل كاهله بالديون، وكثيرون جردوا من كل مقتنياتهم وأملاكهم بطريق البيع أو الرهن تسديداً للدين. أما من بلغ الأمر بهم نهاية الأملاق بسبب المصادر الماضية ولم يعد لديهم ما يصح مصادرته، فقد سيقوا الى السخرة والعمل الشاق دون أي اعتبار للجراح والندوب التي خلفتها في أجسامهم خوضهم شتى المعارك، دليلاً على خدماتهم الوطنية. وكان السابقين آخر من أصمته السهام. فقد وثقوا بعهد قطعه لهم دائنهم الاغنياء أن يحسنوا معاملتهم ويكونوا أكثر رفقا بهم في المستقبل. وأنيب [ماركوس فاليريوس] القنصل، بايعاز من مجلس الشيوخ لمتابعة تطبيق هذا العهد واستنجاهه. لكن، بعد أن حارب السابقين الأعداء

(٤) ومن الكتاب الآخرين الذين ذكروا [قولونيا] أسماً لزوجته، ديون وليفي وفاليريوس.

(٥) أو كما قال الآخرون ان الدكتاتور [ماكسيموس فاليريوس الذي وعد الشعب بقانون الغاء الديون] ديون [٥:٦].

ببسالة، وحققوا النصر، لم يجدوا رفقا من الدائنين ولا سماحةً كذلك صرح المجلس بأنه لا يذكر شيئاً عن وجود عهدٍ كهذا! وجلس ساكتاً غير مكترث، وهو يشاهد افواج المدنيين يساقون كالعبيد، وأموالهم ومقتناهم ينزع منهم قسراً كالسابق. وبدأت الثورة تعتمل في النفوس وذُر قرن التمرد علينا، وعقدت اجتماعات عامة ذات طابعٍ خطير في أنحاء المدينة. ولم يخف أمر هذا الاضطراب الداخلي عن عين العدو، فأغار على البلاد وعاث فيها سلباً ولما أعلن القنصلان النفير وطلباً حضور كل من بلغ سنّ الخدمة العسكرية الى مقرات التجنيد، لم يلبّ أحدٌ من المواطنين الدعوة في بضعة ايام فبادر مجلس الشيوخ الى عقد اجتماع للمداولة في الأمر واتخاذ قرارٍ إلا أن اعضاءه اتقسما على أنفسهم وأختلفت وجهات نظرهم، فبعضهم ارتأى التنازل للفقراء عن القليل وخطب ودهم بالتخفيف من صرامة القانون المتناهية، وارضاء قبضتهم عن حقوقهم المهضومة جداً. وعارض بعضهم الآخر هذه المقترحات وكان [مارشوس] أشدّ الاعضاء الآخرين تحمساً لرأيه وهو أن قضية المال من كلا جانبيها، ليست الموضوع الأساسي. وقال إن أعمال التمرد والعصيان ما هي إلا الخطوة الأولى الوقحة نحو إعلان الثورة الصريحة على أحكام القانون. وان واجب قمعها قبل أن يذر قرننها يقع على عاتق الحكومة، ويتوقف على حكمتها في معالجة الموقف.

وواصل مجلس الشيوخ عقد اجتماعات عديدة في فترة من الزمن قصيرة، لبحث المشكلة ولكنها لم تسفر عن نتيجة أو قرارٍ معين.

وعندئذٍ أقتنع العامة بأن احتمال انصافهم من ضيمهم يكاد يكون منعدماً. فاتفقوا فيما بينهم على رأي واحدٍ وأجمعوا أمرهم على ترك المدينة دفعةً واحدة. فخرجوا واحتلوا المرتفع المسمى «بالجيل الأقدس» وانتشروا في السهل القريب من نهر [آنيو] (\*) دون القيام بأي عملٍ من أعمال الشغب أو العنف. وانما كانوا يرفعون أصواتهم بالشكوى وهم راحلون: بأنهم كانوا في الواقع قد طردوا من المدينة قبل زمن طويل، لقسوة الأغنياء وظلمهم. وان أي جزءٍ من ايطاليا لن يبخل عليهم بالماء والهواء، والمدفن، وهذا كل ما كانوا يحصلون عليه في روما، اللهم إلا إمتياز الموت والجرح في الحرب دفاعاً عن دائنيهم!

وتوجّس المجلس خيفة من نتائج ذلك فأختار من أعضائه شيوخاً من طبقتهم، اكثرتهم استقامة وشعبية وبعث بهم لمفاوضة طبقة العامة. وأسهب رئيس المفاوضين [مينينيوس أغريباً Menenius Agrippa] في النصح والرجاء من الشعب، نيابة عن المجلس، وختم كلامه الصريح بالحكاية المشهورة الآتية:

(\*) يبعد ثلاثة أميال عن المدينة (ليني ٢٠٣٢:٢).



« حدث مرة ان اعضاء الجسم كلها ثارت على المعدة واتهمتھا بأنها العضو العاقل الوحيد، والذي لايقدم اي خدمة للبطن، في حين يتعب سائر الاعضاء ويقوم بأشق الأعمال لإشباع نھما، وسدّ حاجاتها وشهواتھا. فسخرت المعدة من رقاعة الأعضاء التي يظهر انھا لا تعلم شيئاً عن واجب المعدة، حيث انھا لا تتسلّم الغذاء إلا لتوزيعه من قبلھا على بقية الاعضاء، تلك هي القضية بينكم ايھا المواطنين، وبين مجلس الشيوخ. ان الخطط والمقرارات التي تنقل اليكم وتضمن لجميعكم الفائدة والمصلحة، انما تهضم هناك كما ينبغي».

وحلّ الصلح والوثام، ونزل مجلس الشيوخ الى مطالب العامة حول انتخاب خمسة محامين<sup>(٦)</sup>، لأولئك المحتاجين الى المعونة. وهم الذين يقال لهم «مفوضو الشعب: تريبيوني Tribune» في أيامنا هذه. يتمّ انتخابهم سنوياً. وأوّل من تولى هذا المنصب [جونيسوس بروتوس Junius Brutus]<sup>(٧)</sup> و[سيثنيوس فيلوتوس Sicinnius Vellutus]، اللذين تزعما العامّة في خروجهم من المدينة.

وهكذا عادت الوحدة تسود المدينة وفزع العامة الى سلاحهم فوراً وساروا الى الحروب وراء قادتهم، بحميّة ونشاط. واما عن [مارشيوس] فمع أن غيظه لم يكن بالقليل، لتغلب ارادة مجموع الشعب على مجلس الشيوخ وتحقيقهم مطالبهم، ومع أنه وجد عند الكثير من الباتريشيين السخط والاستنكار نفسه للتنازلات الأخيرة، فقد رجاهم مع ذلك أن لا يكونوا أقل حماسة واندفاعاً في خدمة الوطن والبذل له، من العامة على الأقلّ، بل أن يبرهنوا على تفوقهم في الجدارة والكفاءة أكثر من تفوقهم في الغنى والجأه.

كان الرومان وقتذاك يخوضون حرباً مع الفولسيين. الذين اتخذوا [كوربولى Corioli] عاصمةً. ولذلك ضرب القنصل [كومينيوس Cominius] الحصار على هذا الموقع الهام، ولخوف بقية الفولسيين أن تسقط، حشدوا كلّ ما أمكنهم من القوات واستقدموها من كل

(٦) كان عددهم خمسة في الأول. وبعد سنوات قليلة ضمّ اليهم خمسة آخرون. وقيل أن يترك الجمهور [مونس ساچير Mons Sacer] استنوا قانوناً جعلوا فيه شخص التريبيون مصوناً ومقدساً. ورسموا بأن على أن تكون مهمّة التريبيون الوحيدة التدخل لايقاف كلّ اعتداء يقع على افراد الطبقة العامة من جانب الاسياد وهو ما يدعى بـ Intercesso ومؤداه أن يقف التريبيون على قدميه وينطق بكلمة واحدة (Veto: أنا امنع) ذلك. وتوضع للتريبيونات مقاعد عند باب مجلس الشيوخ ولا يدخلون المجلس الا عندما يستدعيهم القناصل لتبادل الرأيء حول مسألة تتعلق بمصالح الشعب.

(٧) اسم هذا التريبيون [لوچيوس جونيوس] وبما أن لوچيوس جونيوس بروتوس قد اشتهر لأنه انقذ البلاد من تحكم الملوك فقد اضاف الى اسمه لقب [بروتوس] مما عرضه الى كثير من السخرية والتعليق الفكه. (الكلمة اللاتينية Butus تعني بالدراج الغبي، وباللغة الأدبية الثقيل).

ناحية لأجل فك الحصار عنها، وكانت خطتهم أن يشتبكوا مع الرومان أمام المدينة، ليتمكن حصرهم من الجانبين. ولكيما يجتنب كومينيدس هذا الموقف الصعب، قسم جيشه الى قسمين وزحف بأحدهما للهجوم على الفولسيين عند اقترابهم من الخارج تاركاً [تيطس لارتوس Titus Lartius] وهو من أشجع الرومان، على رأس القسم الثاني لمواصلة الحصار. وتبينت الحامية الفولسيية في داخل المدينة كم كان عددها قليلاً فدفعتها اليأس الى الهجوم على المحاصرين، ورجحت كفتهم أولاً وطاردوا الرومان حتى خنادقهم. وهنا خرج عليهم [مارشيوس] بسرية قليلة العدد ومزق أول المهاجمين تمزيقاً، وأجبر الباقين على تخفيف وطأة هجومهم ثم أطلق صيحة عظيمة بالرومان وأهاب بهم لتجديد المعركة. فقد كان في إهابه كل ما يتطلب من الجندي ليس قوة الساعد وشدّة الطعن وحدهما بل قوة الصوت وصرامة النظرات التي من شأنها أن تُلقي الرعب في قلوب العدو - كما قال [كاتو Cato]. وأستجمعت طوائف من صحبه قواها، وهرعت لإسناده فأنقلب هجوم العدو الى تقهقر، إلا أن [مارشيوس] لم يقنع بمشاهدتهم يلмон شعنتهم وينسحبون بل شدّ عليهم النكير وصك مؤخرتهم صكاً عنيفاً ودفعهم بما يشبه الهزيمة السريعة الى ابواب مدينتهم. وهنا تبين أن الرومان يريدون النكوص على أعقابهم، مدحورون لفرط ما يظهرون بالرمح من فوق الأسوار. وإن ليس بين من تبعه الشجاعة الكافية للتفكير في الاختلاط بالعدو الهارب والدخول الى المدينة المكتظة بالعدو المستعدّ بسلاحه، على أنه وقف وأخذ يحثهم على المحاولة صارخاً، أن القدر لم يفتح أبواب [كورولي] لا يواء الهاريين قدر ما فتحتها لاستقبال الفاتحين. والتحق به عدد قليل كانوا راغبين في مشاركته في المغامرة، فشقوا طريقهم خلال الحشود المندفعة وأفلح في الوصول الى الباب واقتحمه من وسطهم ولم يجرأ أحد على مقاومته في مبدأ الأمر. إلا أن العدو تشجع عندما تبين قلة عددهم، وحمل عليهم فدارت معركة يقف القلم عن وصفها وفيها تمكن [مارشيوس] من التغلب على كل مهاجم تصدى له بقوة الساعد وخفة القدم وجرأة النفس، ونجح في تشتيت شمل العدو الذي فرّ ناجياً الى داخل المدينة. أما الباقون فقد استسلموا له والقوا سلاحهم. وبهذا اتاحوا [للارتوس] فرصة كبيرة جداً للزحف على المدينة ببقية الرومان واحتلالها بسهولة وإطمئنان.

بعد أن تمّ إحتلال [كورولي] بهذه الصورة المفاجئة، انصرف القسم الأعظم من الجنود الى النهب والسلب، و[مارشيوس] الذي أحقنه هذا العمل راح يؤنبهم ساخطاً، ويصف أعمالهم بالدناءة والضعة، فبينما يخوض القنصل وبنو جلدتهم معركة مع القسم الثاني من جيش الفولسيين، ويخاطرون بارواحهم في القتال، وجدهم يسيئون استخدام وقتهم في الركض وراء

الغنائم هنا وهناك. مبتعدين عن مكامن الخطر بحجة أغتنام الأموال. ولم يعره أذناً صاغية إلا نفر قليل، فما كان منه إلا أن وضع نفسه على رأسهم سالكاً الطريق الذي تحرك منه جيش القنصل قبله وكان وهو يكذب دؤوباً يدعو للآلهة كثيراً أن تسعده بالوصول الى ميدان الحرب قبل نهاية المعركة، وبلوغ [كومينيوس] لمعونه في اللحظة المناسبة، والمشاركة في أخطار القتال. وكان من عادة رومان ذلك العصر، عندما تتحرك قطعاتهم الى خط المعركة، ويكونون على وشك أن يرفعوا تروسهم ويشدون عباءاتهم على خواصرهم، أن يتبادلوا وصاياهم غير المكتوبة أو الشفوية فيما بينهم، وأن يسموا وارثيهم بشهادة ثلاثة أو اربعة شهود. وقد لحق بهم مارشيوس ليجدهم في تلك الحالة والعدو على قيد النظر منهم.

ولم يكن اضطرابهم بالقليل عندما وقع عليه نظرهم وهو يسبح بالعرق والدم وليس معه إلا شرذمة. ولكنه أسرع الى القنصل وعيناه تومضان سروراً ومد اليه يده، وقصّ عليه تفاصيل الاستيلاء على المدينة، ولما رأى الجنود [كومينيوس] يحتضنه ويحيه أيضاً أنتعشت قلوبهم جميعاً وارتفعت معنوياتهم وسمع من كان قريباً منهما ما حصل، وضمنه من كان بعيداً وصاح الكل بصوت واحد يطلبون الأمر بالمعركة وسأل [مارشيوس] منه أولاً عن كيفية تنظيم الفولسيين جيشهم وأين وضعوا خيرة رجالهم فأجابهم أنه يعتقد أن جنود [الانتيات Antiates] في القلب هم خيرة محاربين. وانهم لا نظير لهم في الإقدام والشجاعة. فقال [مارشيوس] «فدعني أطلب منك، ولأحصل على موافقتك في وضعي أمامهم» فحقق القنصل رجاءه وقد أمتلاً أعجاباً ببسالته ولما التحم الجمعان وراح الجنود يصوبون رماحهم بعضهم الى بعض، وسبق مارشيوس سائرهم في الهجوم، عجز الفولسيون المتصددين له عن أن ينالوا منه قتيلاً، وكان يخرق صفوفهم أنى حمل عليهم، ويشقّ فيهم شقاً عميقاً إلا أن الشق يعود ثانية ليطبق عليه من الجانبين ويحصره في وسط السلاح المشرع. واذا أدرك القنصل الخطر الذي يتعرض اليه، دفع بنخبة من المقاتلين اليه لنجدته، وعندئذ حمى الوطيس واستشرى القتال حول [مارشيوس] وسقط عدد كبير من القتلى في رقعة صغيرة من الأرض. وأشدت وطأة الرومان على أعدائهم، واذاقوهم مرّ القتال حتى ارغموهم على الانكفاء وزحزحوهم عن مواقعهم ثم أخرجوهم من ميدان القتال. وطلبوا من [مارشيوس] متوسلين وهم يهمون باستثمار الفوز - أن يعود الى المعسكر ويرتاح بعد ما رأى ما اصابه من الإرهاق وخور القوى لما فقده من دماء. فأجابهم أن التعب لم يخلق للمنتصرين واندفع معهم لمطاردة العدو. وهزمت بقية الجيش الفولسيي على هذه الشاكلة وقتل منهم خلق كثير وأسر ما لا يقل عدده عن القتلى.

وفي اليوم التالي قدم [لارسيوس] نفسه مع أفراد الجيش الى القنصل في سرادقة. فنهض

[كوميينيوس] وبعد أن قدم فروض الشكر الواجبة للآلهة على النصر الذي توجت به تلك الحرب. التفت الى [مارشيسوس] وألقى كلمة ثناء لا نظير لها بحق بلائه النادر المثال وشجاعته الفائقة التي كان شاهداً عياناً لقسم منها في المعركة الثانية. وسامعاً لتفاصيل القسم الأول من فم [لارسيوس]<sup>(٨)</sup> وبشهادته. ثم طلب منه أن يختار لنفسه العُشر من كل الأموال والخيل والأسرى التي في ايديهم قبل اجراء اي توزيع منها على الآخرين. وقدم له هدية شخصية اعترافاً باعماله المجيدة وهي جواد بكامل سرجه وزينته. وهتف له جميع افراد الجيش. على أن [مارشيسوس] برز الى الأمام، وأعلن عن قبوله الجواد مع الشكر وامتنانه للمديح الذي ناله من قائده. وقال: أنه ينبغي له رفض كل ما يراه أميل الى مجرد منافع للجنود المرتزقة من كونه ميزة من إمتيازات الشرف، ولذلك لايسعه قبول العشر ويقنع بالسهم الذي يقع له عادة أسوة بغيره. « ولدي رجاء خاص واحد أطلبه وأملني ان لايرفض. عندي بين الفولسيين صديق كريم، رجل ذو فضيلة واستقامة. وقع اليوم أسيراً وآل الى العبودية بعد الغنى والحرية. فأرجو أن تسمحوا لتدخلني في أمره بأنقاذه من إحدى مصائبه، والحيلولة دون بيعه كعبد من العبيد. » وأثار رفض [مارشيسوس] ورجاؤه هتاف استحسان أشد من السابق وكان الذين أعجبوا باستعلائه الكريم عن الجشع أكثر عدداً من المعجبين العديدين بشجاعة التي ابداهها في القتال. وان عين الأشخاص الذين شعروا بشيء من الحسد والكره عندما رأوه يُخصّ بالتكريم على هذه الشاكلة، لم يسعهم إلا أن يقرروا بأن الرجل الذي لايتردد في رفض مكافأة بهذه الطريقة النبيلة لهو أرفع بكثير من اي مستحق لها. وقد كان أعجابهم واندهالهم أشد بسجيته تلك التي جعلته يحتقر المال والمنفعة المادية، من سجاياه ومآثره الأخرى السابقة التي أنالته لقبه. انه لأسمى عملاً أن يحسن المرء استعمال المال من استعمال السلاح، إلا أن رفضه وعدم استعماله هو انبل من استعماله.

ولما سكتت الهتافات ونداءات الاستحسان استأنف [كوميينيوس] حديثه قائلاً: « من العيب أيتها الرفاق الجنود أن نحاول حمل الرفض المتأبى على قبول هدايانا بالقوة والإلحاح ولذلك فلنعطه هدية من النوع الذي لايمكن رفضه قط. فلنصوت على إقتراح يقضي بتسميته [كريولانوس] من الآن فصاعداً، إلا اذا رأيتم أن مآثرته في [كوريولي] قد سبقت هي نفسها اي قرار بهذا الشأن» وهكذا جاء هذا الاسم الثالث [كريولانوس] موضحاً بأن [كايوس] هو الاسم المجرد الشخصي، والثاني وهو اسم الأسرة أو اللقب [مارشيسوس] الذي يعرف به بيته

(٨) هو الضابط الذي ترك مواصلة حصار (كوريولي). ان شهرة مارجيوس بسبب العمل البطولي كانت تكشف مآثره القنصل كما يخبرنا ليفي [٢٣:٢] ولم يخلد اسم [يوسيتيموس كوتينيوس] إلا لأنه كان حفاراً على النحاس دعت اليه الحاجة عندما عقدت معاهدة الصلح من اللاتين فيما بعد.

وأستره. والثالث هو أضافة تالية، جرت العادة على اتخاذه لصفة عارضة من صفات الحياة لحقت بصاحبه، جسمانية كانت أم خُلقية أو لسجية طيبة في صاحبه. مثلما كان الأغريرق أيضاً يلصقون أسماء اضافة في العهود الأولى بالاسماء الأصلية في بعض الحالات بسبب عملٍ أو مآثرة ما. فتجد مثلاً اسم «سوتر Soter»<sup>(\*)</sup> و«كالينيكوس Callinicus»<sup>(\*\*)</sup> أو لمظهر شخصي كقولهم «فيسكون Physcon (ذو البطن المفتوحة) وغريپوس Gryps (ذو الأنف المعقوف)». أو لميزات طيبة كقولهم «يورغيتس Eurgetes (المحسن) و«فيلادلفوس Phila-delphus (محب الأخ أو الأخت) أو لحسن حظ كقولهم يوديمون Eudaemon (المتنعم) والأمير الثاني من عائلة وهو لقب باتوس<sup>(٩)</sup>.

ولقب عدة ملوك أيضاً باللقاب سخرية مثل انتيغونس الذي اشاع له لقب دوسون Doston (الرجل الكثير المواعيد). وبظليموس الذي لقب لاثيروس Lathimerus (فول العلف) وهذا النوع من الالقاب هو أكثر انتشاراً عند الرومان فقد لقب شخص من أسرة ميتللي Metelli بلقب دياماتوس Diadematus لأنه كان يخرج للناس زمناً طويلاً وقد عصب رأسه بعصابة تغطي ندبةً في جبينه وثم آخر من الأسرة نفسها لقب چلير Celer لسرعته في تهيئة وعرض حفلة مصارعين بمناسبة تشييع جنازة ابيه خلال ايام قليلة. بتلك السرعة والحمية اللتين عُدّا من الخوارق. ويوجد الى يومنا هذا بعض من أنتسب اسمه الى حوادث طائرة حصلت اثناء ولادته. فالطفل الذي يولد وابوه بعيد عن البيت أو هو في سقر يدعي بروكولوس Pruculus أو پوستيموس Postimus اذا ولد بعد موت ابيه وعندما يولد توأمان ويموت أحدهما اثناء الوضع يدعى الحي منها فوبيكوس Vopiucus. ومن ذوي الشواذ جسمانياً لم يقتصروا على اشتقاق اللقبين سيلا Sylla (البقع) ونيجر Niger (أسود) ورفوس Rufus (الأحمر). بل كايكوس Caecus (الأعمى). وكلودي Claudii (الاعرج). يريدون تعويد شعبهم لحكمة فيهم، بالا يكثرثوا لا لفقد البصر، ولا لأي عاهة جسمية أخرى، والأ يدركهم الخجل من تلبية أي نداء بهذا الاسم كما لو كان أسمهم ولا يعدونه نقيصة أو مجلبة للعار. ولنكتف بهذا القدر من الموضوع فسبيلنا اليه موضع آخر.

(\*) الحفيظ.

(\*\*) المنتصر.

(٩) يقول هيرودوتس [١٥٩:٤] انه أعطي للثالث وليس للثاني [ملك كيرينه] ومن قبيل هذه الالقاب والصفات أشتهر ثامن ملك من ملوك البطالمة بلقب (سوتر). كما منح لانطيوخوس وديمتريوس وكالينيكوس لسلقوس الثاني رابع ملك على سورية. (فيكون) لبطليموس سابع ملك على مصر (غريپوس) لانطيوخوس التاسع عشر ملك سورية.

ما أن وضعت حرب الثولسيين أوزارها حتى أحيا زعماء الشعب الخطباء الشعبيون القلائل الداخلية، وأثاروا نزاعاً آخر دون سبب جديد أو شكوى أو ظلم واقع، وإنما جعلوا من المصائب التي تأتي حتماً في أعقاب التناحر السابق، حجةً لمهاجمة الباتريشيين. كان معظم الأراضي الصالحة للزراعة قد ترك دون حراثة أو بذار، فالحرب لم تمنحهم فترة راحة، أو مجالاً لاستيراد الأقوات من بلاد أخرى. فشح الطعام في روما إلى درجة متناهية<sup>(١٠)</sup>. ولاحظ مثيرو الشعب انه لا يوجد من القمح ما يمكن شراؤه، وإن وُجد فلا مال هناك لشراؤه. فراحوا يختلقون الروايات والحكايات على الاغنياء ويذيعونها همساً، وكلها ترمي إلى تصوير المجاعة بأنها نتيجة حقدهم وبتدبير متعمد منهم. وفي ذلك الوقت أقبل وفدٌ من [الفيليتراني Velitran] إلى روما باقتراح تسليم مدينتهم للرومان، وبرغبتهم في أن ترسل مستوطنين جدد ليسكنوها، لأن الوباء الذي اجتاحتها لم يبق من مجموع سكانها إلا ما يناهز العُشر. وأعتبر الرومان البعيدو النظر هذه الضرورة الفيليترانية، فرصة نادرة المثال على ضوء أوضاعهم العصبية الراهنة. لأن المجاعة المتفشية أوجب القيام بالتنفيس عن المدينة وتخليصها من فائض السكان. وكانوا يأملون من هذا أيضاً تبديد سحب الثورة المجتمعة بالتخلص من أكثر المواطنين عنفاً وأحمى المشاغبين رأساً، وتفريغ عناصر الفوضى والمرض خارج جهاز الدولة على ما يقال.

وعلى هذا الأساس قام القنصلان بتسجيل أسماء المواطنين الذين وقع عليهم الإختيار للسكنى في مدينة [فيليتري Velitrae] التي كادت تقفر. كما أخطروا بقية المواطنين بوجود التأهب لحمل السلاح ضد الثولسيين. وكان الهدف من ذلك سياسياً وهو الحيلولة دون فتنة داخلية باشغال جماهير الشعب في أمور خارجية. ورأيهم هو أن يؤدي اختلاط الفقير بالغني الباتريشي بالبليني في صفوف الجيش ومعسكراته وقيامهم معاً بخدمة وطينة واحدة - إلى حلول التصافي ووصل حبال الود فيما بينهم.

إلا أن المفوضين الشعبيين [سيبخيوس] و[بروتوس] تدخلوا في هذه الاجراءات وأعلنوا أن انقصلين بخفيان أشنع وأقسى عملية تحت الاسم البراق اللطيف «الإعمار والإسكان»، وانهما يطوحان بالعدد الكبير من فقراء المواطنين إلى وهدة الدمار والخراب بعرضهما عليهم السكن في مدينة اثقل هواؤها بالوباء، وغطيت أرضها بجثث الموتى. وانهما يدفعان بهم إلى غضب

(١٠) انسحب العامة إلى الجبل المقدس Mins Secer قبل موعد الفلاحة ولم يبرم صلح بينهم وبين الباتريشي حتى انقلاب الشتاء. وهكذا ضاع وقت البذار [ديون ١:٧ و٢] وأرسلت روما وكلاهما لشراء القمح من أقطار أخرى كاتروريا وكامپسانيا وفولسكي حتى بلغوا صقلية. لكنهم عادوا خائبين إلا من اتروريا. [انظر ليفي ٢:٢٤].

آلهة غريبة عنهم. وكان حقدهما لم يكفه القضاء على فريق منهم جوعاً، وتعريض الفريق الآخر الى شرطاعون فتاك، تراهما الآن يباشران أيضاً عملية إقحام المواطنين في حرب لا ضرورة لها، حرب أثارها بتدبير منهما فحسب. وبهذا لا يعود يبقى نائبة أو مصيبة للامتصاص من المواطنين، بسبب رفضهم الاستخداء للأغنياء واستعبادهم، إلا مارسوها بحقهم.

بهذه الأقوال وأمثالها جن جنون الشعب، ولم يلب أحد منهم الأمر القنصلي بالحضور وقيد اسمه في سجل التطوع، وأظهروا عزوفهم التام عن طلب المباشرة بزراعة الموسم الجديد، فأسقط في يد مجلس الشيوخ ولم يدر ما يقول وماذا يفعل إلا أن [مارشسيوس] الشاعر بقوة نفوذه، المعتمد على رصيد مآثره الماضية، والمتأكد من أعجاب ومشايعة خيرة رجال روما وأشرافها ما لبث أن أخذ بيده زعامة معارضة المؤيدين لمطالب الشعب. وتم إرسال المستعمرين الى [قيلتري] من الذين خرجت اسماؤهم بالقرعة، وأرغموا على الرحيل تحت التهديد بانزال أشد العقاب بهم. ولما بقي الآخرون مصرين على رفض الخدمة العسكرية والخروج لحرب الفولسيين، قام [مارشسيوس] بتعبئة اتباعه ومناصره ومن أستطاع أقناعه، وشن بهم غارة على تخوم [الانتيات] وسطا على قدر جسيم من القمح، وغنم كثيراً من الماشية والأسرى، وعاد الى روما منتصراً ولم يحتفظ لنفسه بشيء مما غنمه، إلا أن جنوده عادوا مثقلين بالأسلاب يسوقون انعامهم وأسراهم أمامهم. هذا المشهد أفعم المستنكفين عن القتال أسفاً وقهراً وأدركهم الندم لسوء موقفهم، وأمتلاؤا حسداً وغيره من أخوانهم، وبذلك رسخ في نفوسهم كره عميق لمارشسيوس، وحنقوا عليه وعلى سمعته الداوية ونجم سلطانه الصاعد الذي قد يستخدم ضد مصالح الجماهير.

ولم يمر طویل زمن حتى تقدم [مارشسيوس]<sup>(١١)</sup> مرشحاً لمنصب القنصل، وكانت الظواهر تشير الى ان الجمهور بدأ يميل الى جانبه ويحبذ انتخابه، اذ كان الشعور السائد أنه من المخجل أن ينبذ رجل كمارشسيوس عريق النسب، ذي مؤهلات وكفاءة، بعد قيامه بتلك الخدمات الجليلة الفريدة في بابها.

ولقد جرت العادة أن يمتزج المرشحون لمنصب القنصل بكل طبقات الشعب ويدعون لانتخابهم بالخطب والكلام الرقيق وسائر ضروب التزلف والاستمالة، وان يحضروا الى [الفورم] وليس على أجسامهم من ثياب غير الرداء الفضفاض المسمى «توگا Toga»، ولا يخلو القصد من

(١١) في ٤٩٠ ق.م. لايوه ليفي بموضوع ترشيح. وكان [مارشسيوس] يلح على مجلس الشيوخ للاستفادة من حالة المجاعة وارغام العامة (الپليبيان) على التنازل عن تربيوناتهم. فأحنق العامة حتى أنهم حاكموه غيابياً وأصدروا حكماً بنفيه، فالتحق بالفولسكيين. وتتفق رواية پلوتارخ مع رواية [ديون : ٧-٢١-٦٤] في هذا الصدد.

هذا إما تواضعاً في اللباس أمام الجماهير ليحسنوا في عينه، وإما ليسهل من أصيب منهم بجراح - أمر عرض ندوبها الشاهدة على حسن بلائهم. ومن المؤكد أن الظهور بالشوب الفضفاض من دون مشد أو حزام لا يقصد به إزالة أي شك في نفي مظنة الرشوة والفساد عن صاحبه المرشح الذي يريد أن يخطب ود الشعب. إن صفقات البيع والشراء لم تتسلل في عمليات الانتخاب، والمال لم يصبح من مقومات النجاح الأساسية في الاقتراع العام إلا بعد قرون عديدة من القرن الذي نحن الآن بصدده.

فعندما بدأ الفساد يستشرى استبيحت حرمة مجالس القضاء، وهوجمت حتى المعسكرات. وأصبح المال فهو سيد الدولة بلا منازع عن طريق استئجار الشجاعة وشراء البطولة، واستعباد الفضّة للحديد. وأقلب النظام الجمهوري إلى حكم فردي ملكي. ولله در القائل: إن أول من هدم حريات الشعب هو أول من أغرقهم بالهدايا والأعطيات. وفي روما يظهر أن الفساد تسلل في الداخل سراً وبصورة متدرجة، فلم يظهر للملأ فجأة ولم تلحظه العين في مسراه، وليس يعرف الضبط أول من أستخدم الرشوة مع المواطنين وأول من أفسد دور القضاء والمحاكم. في حين كان المشهور في أثينا إن [أنتيوس ابن انتيميون]<sup>(١٢)</sup> هو أول من رشا القضاة لما حوكم في آخر مرحلة من نهاية حرب البولونيوس، بتهمة تسليمه حصن [بيلوس]<sup>(\*)</sup> إلى العدو، وهو عهد كان يسيطر فيه على (فورم) روما جيل طاهر نقيّ ذهبي من الرجال.

وكعادة المرشحين لمنصب القنصل، كشف مارشيوس عن الندوب والجراح الظاهرة في جسمه، من جراء الوقائع والمعارك العديدة التي أبلى فيها أحسن بلاد خلال سبع عشرة سنة متصلة، فآثر فيهم تأثيراً عميقاً وراح أحدهم يقول للآخر: إن السماح الشعبية تفرض انتخابه قنصلاً. ولكن لما أرف يوم الاقتراع، وظهر [مارشيوس] في الفورم تحفّ به بطانة فخمة من الشيوخ، ويحيط به جميع الپاتريشيين، وسيماؤهم تنطق بعظيم اهتمامهم بالأمر، وحركاتهم تنم عن جهد يبذلونه في سبيل إنجاح [مارشيوس] فاق أي جهد بذلوه في مناسبة مماثلة أخرى، توجس الجمهور خيفة وأصيب بصدود مفاجيء عنه، وارتدوا عن العطف الذي أبدوه له، واستبدلوا النية الطيبة له، بشعور السخط والحنق والتقت هذه العاطفة الأخيرة بالخوف من أن يستخدم الپاتريشيون هذا الرجل الارستوقراطي الخلق، العظيم النفوذ سلطة المنصب الممنوح له لغمط حقوق الشعب وسلبه الحريات التي بقيت له. فعدلوا عن انتخابه ووكوا قنصلين آخرين. وكان

(١٢) تانت شهرته من توجيهه الاتهام لسقراط.

(\*) بقعة على الساحل الغربي من مسينيا في الپلوبيونيس. احتلها الآثينيون في ٤٢٥ ق.م (توكيديديس ٢:٤ - ٤١. في ٤١٠ حاصرها اللقيديميون فسلمت حاميتها المسينية وفشل أسطول اثيني في قهرها.



هذا أشبه بطعنة نجلاء أصابت مجلس الشيوخ في الصميم وشعر اعضاؤه إنهم قُصدوا بالإهانة أكثر مما قصد [مارشوس]، ولم تكن حالته بأفضل منهم، وصعب عليه احتمال العار بأي قدر من الصبر والاحتساب فلقد كان دوماً يطلق العنان لما في نفسه ولا يجعل لمشاعره ضابطاً وكان يعتبر صفتي الكبرياء والتّحدي في الطبع البشري مرادفتين للنبل والشهامة أما النظام والعقل فلم يزرعا فيه صفة الاتزان وضبط النفس وهما من السجايا الأساسية التي تلازم رجل السياسة. انه لم يتعلّم كم هو ضروري وجوهري لمن يتولى الشؤون العامة، ويتعامل مع بني البشر، أن يتجنب غرور النفس والاعتزاز بها، تلك الصفة التي يقول عنها أفلاطون «انها تنتمي الى عائلة العُزلة»<sup>(١٣)</sup>، لم يتعلّم أن يتّصف قبل كل شيء بقابلية الكظم، والسكوت على سوء المعاملة التي كانت موضع احتقار عموماً. إن [مارشوس] الصريح كل الصراحة، والمستقيم الذي كان يؤمن بأن الشجاعة الحقّة هي قهره كل معارضة والقضاء على كل مناجز. لم يكن يستطيع أن يتصور بأن ما انفجر في نفسه هو الضعف والأنوثة في طبعه. أعنى قروح الغيظ هي التي تفجرت من مكان نفسه، فجعلته ينسحب وهو ممتليء حقداً ومرارة ووضغنا على الجمهور. وزاده حنقاً رؤيته الشبان الباتريشيين المعتزين بعراقة أصولهم المخلصين لقضيته، الذين ناصروه باخلاص لم تُجن منه أية فائدة؛ وهم يظهرون الآن علائم سخطهم، ويحاولون تعزيتة والتسرية عنه. ولا عجب فقد كان لهم قائداً ومعلماً متفانياً في فنون الحرب والقتال، وكان نموذجهم المحتذى في مجال المنافسة الحقّة والاستباق الى المجد والبطولات، الذي يجعل المتنافسين ثينين بعضهم على مآثر بعض باخلاص خالٍ من الغيرة والحسد.

وفي وسط هذه الغليان السياسيّ وصلت شحنات كبيرة من القمح الى روما. قسم منها ورد من أنحاء ايطاليا، وقسم معادل له قدمه [غيلو Gelo] ملك سيراكوز هديةً لروما. وداعب الكثيرين الأمل بانفراج الأزمة على أثر ذلك، مُقدّرين ان المدينة ستتحلص من أنياب الفاقة والعسر، ومن مضاعفات النزاع الداخلي. وبادر المجلس الى عقد اجتماع فوريّ وتقاطر الجمهور وأحاط بقاعة المجلس ينتظر بلهفة نتيجة الاجتماع، وكان يتوقع أن يجرى تخفيض من أسعار السوق التي أرتفعت إرتفاعاً جسيماً، وان يتمّ توزيع شحنة القمح المهداة بدون ثمن. وفعلاً نصح بعض أعضاء المجلس باتخاذ قرارٍ بهذا. إلاّ إن [مارشوس] هبّ قائماً وهاجم بكلّ عنفٍ كل من تكلم لمصلحة الجمهور ونعتهم بالمتزلفين للأوشاب، والغادرين بالنبلاء، قائلاً أنهم سيرسخون بهذه المنحة، جذور البنور السيئة من الوقاحة والغطرسة التي غرسوها في نفوس الشعب، خدمةً لأغراضهم الخاصة. وانهم ليفعلوا حسناً لو انتبهوا الى تلك

(١٣) ترجمتها الدقيقة من اليونانية القديمة: «الأنفة تعيش مع العُزلة تحت سقفٍ واحد».

الجدور واجتثوها قبل أن تخرج شطنها، لا أن يدعوا طبقة الپليبيين تزداد قوةً ومناعةً بمنحهم حق تعيين حكام ذوي سلطان عظيم «كمفوضي الشعب: تربيون». وهامم الآن يمارسون نفوذاً واسعاً في دوائر الدولة ما دام يلبى لهم كل طلب، وما دام لا يوجد كايح لاراداتهم وما داموا يرفضون اطاعة أوامر القناصل ويأبون الانصياع لأي قانون أو حكم قضائي ويمنحون لقب القضاة لزعماء احزابهم... و«عندما تؤول الأمور بنا الى هذه النهاية، ونجلس نحن هنا لنقرر لهم منحاً وهبات. مثل الاغريق الذين أودعوا السلطة العليا في أيدي جماهير الشعب، فليس لنا من حيلة إلا أن نسلّم مقاليد أمورنا اليهم طائعين ونقوم على رعايتهم ومداراتهم لأجل خرابنا جميعاً. لاشك في أن هذا الكرم لا يمكن أن يعتبر مكافأة عن خدمات عامة. لطالما أبوا المساهمة فيها، وهم أعرف بذلك من غيرهم، ولا منحةً عن الفوضى والانقسام الذي أحدثوه. فكانوا بها كالمترنين من وطنهم والمتخلفين عنه. ناهيك بالإهانات والشتائم التي كانوا دوماً مستعدين لقتل مجلس الشيوخ بها. وإخال أنهم يرون الدافع الى تقرير المنحة لهم خوفاً منهم وتزلفاً اليهم، لذلك لا يمكن أن يوضع لتمردهم حدّ، ولن يقفوا عن إثارة القلاقل والاضطراب، وأن التنازل لهم، محض جنون، ولو كان لدينا ذرة من العقل، وشيء من العزم فعلينا ألا نهدأ بل نسترجع منهم كل سلطات المفوضين الشعبيين<sup>(١٤)</sup> التي انتزعوها منّا ابتزازاً. لأن بقاءها في ايديهم معناه هدم السلطة القنصلية، وعامل تفرقة مؤيدة في مدينتنا، التي أصابها منه الآن جرح بليغ لم تصب بمثله من قبل وبفتق ليس ثم احتمال في التحامه مرة أخرى، ولا أمل في رأيه والعودة الى الرأي الموحد، والكف عن اذكاء نار الخلاف وصيرورتنا مصدر عذاب أهدنا للآخر»<sup>(١٥)</sup>.

وبدوام ضرب [مارشيسوس] على هذا الوتر الحساس ضرباً بارعاً، نجح في اذكاء المشاعر العنيفة في نفوس الشيوخ الپاتريشيين الأصغر سناً، وحمل كل الأغنياء تقريباً على الانحياز الى صفه، فلهجوا باسمه ووصفوه بالرجل الأوحده في المدينة الذي ارتفع فوق الرّباء، وتحدّى القوة. على أنه لقي معارضةً من بعض كبار السنّ، يدفعهم الخوف من النتائج. والواقع انه لم ينجح عنه إلا الشرّ المستطير. اذ عندما أدرك مفوضو الشعب الهدف الذي يرمي اليه [مارشيسوس]، خرجوا من المجلس مسرعين وأهابوا بالحشود المجتمعة أن يتراصوا ويتكاتفوا ويسرعوا الى معونتهم. ثم عقدوا إجتماعاً جماهيرياً أنقلب الى تظاهرة عاتية. ولخصّ

(١٤) كان التربيون مؤخرأً قد سنوا فقانوناً يجعل مقاطعتهم اثناء الخطاب جريمة معاقباً عليها.  
(١٥) حذف پلوتارخ أخطر وأهم فقرة في خطبة كريبولانوس. فقد أقترح في هذه الفقرة ابقاء سعر القمح كما كان عليه من ارتفاع ليبقى الشعب معتمداً على السلطة خاضعاً لها. [انظر ديون]

للجمهور كلام [مارشوس]، فشارت ثائرتة واجتاحته عاصفة من الحق، وهموا باقتحام المجلس، إلا أن مفوضي الشعب حالوا دون ذلك، بالقائهم التبعة كلها على [كربولانوس]. وعلى أثر ذلك بعث المفوضون بحرسهم الخاص يطلبون حضوره امامهم للدفاع عن نفسه. فردهم عنه باحتقار عندما أبلغوه بأمر الحضور، فدخل التريبونات بأنفسهم عليه ترافقهم ثلة من ضباط [الايديل Aediles] وهم حرس السوق، يريدون أخذه بالقوة، ومدوا ايديهم اليه فأنبىرى الپاتريشيون لانقاذه، ثم طردوا مفوضي الشعب، بل أعتدوا بالضرب على ضباط السوق مناصريهم. لكن الليل وضع حدًا للنزاع، ولما انبلج الصبح وتبين القنصلان مبلغ هياج أفراد الشعب وسخطهم، وشهدوا كيف يتقاطرون من كل حذب وصب إلى [الفوروم]، أدركهما خوف عظيم على المدينة بأسرها. فطلبوا اجتماع مجلس الشيوخ مرة ثانية. لاتخاذ قرار من شأنه تهدئة خواطر الجماهير الساخطة المستنفرة، ومخاطبتهم بلغة السماح واللين، واصدار قرارات تقسم بالتساهل. وانهم اذا فكروا في الوضع الراهن بحكمة، فسيجدون أن الحالة لا تتحمل التمسك بمقاييس الشرف، والتمسدد بالمجد والسؤدد. ومثل هذا الموقف الحرج يتطلب تدابير رفيقة ومعالجة ليئة، ومقررات معتدلة انسانية. وعلى هذا الأساس وافقت أغلبية المجلس وياشر القنصلان في تهدئة هياج الشعب بخير ما استطاعا، وأخذ يجيبان بأناة وصبر. على اتهاماتهم وشكاواهم التي صبوا صبا على مجلس الشيوخ واستخدما نهاية الرقة والاعتدال في لومهم ومعانتبتهم على سلوكهم المندفع. وابلغوههم أنه لن يكون هناك فرق في الأسعار بين الطبقات.

ولما هدأت سورة القسم الأكبر منهم وبدا من مسلكهم الهادي، الوديع إطمئنانهم لما سمعوا. أنتصب مفوضو الشعب وأعلنوا باسم الجمهور قراراً مفاده إنه مادام مجلس الشيوخ قد ثاب الى رشدته وأختار الروية وقرر أن ينصفهم، فهم من جهتهم مستعدون لإطاعة كل ما هو عادل ومنصف، لكنهم على أية حال مصرون على أن يتقدم [مارشوس] باجوبة عن التهم الآتية: فأولاً: أيسعه الإنكار بأنه حمل مجلس الشيوخ على تغيير نظام الحكم والغاء امتيازات الشعب؟

ثم: عندما طلب منه الحضور للإجابة على التهمة، ألم يعصي أمر الاستقدام؟ وأخيراً: ألم يعمل بكل ما في وسعه على اثارة فتنة وحرب أهلية بتسببه في الاعتداء على ضباط (الايديل) وغير ذلك من ضروب الاهانات والاعتداءات العلنية. وإسناد هذه التهم الى [مارشوس] كان يرمي إماً الى إذلاله وارغامه على إظهار خضوعه

للشعب (إن ظلّ راغباً في خطب وده والتزلف اليه خلافاً لطبعه). وإمّا الى احلال القطيعة النهائية بينه وبين الجمهور (إن شاء أن يبقى أميناً على طبيعه، وهو ما توقعوه منه بحكم معرفتهم باخلاقه).

وهكذا حضر [مارشوس] امام جمهور الشعب ليقدّم اعتذاره ويبريء نفسه، وهو ما كان الشعب يتوقعه، فحافظ على الهدوء والسكينة، وانصت اليه دون مقاطعة، إلا أنه راح يستخدم لغة وقحة وأسلوباً تهجيمياً كان فيه متهمها لا معتذراً، لا بل كانت نبرات صوته ومظهره المعتدّ ينمان عن غطرسة واستهانة تقرب من الازدراء والاحتقار للسامعين، بدل الاستخزاء والتواضع المنتظر منه. فتملك الجمهور غضب شديد، وأظهر علامت نفاذ الصبر والاشمئزاز. ونهض [سينيوس] أكثر المفوضين صرامة وعنفاً، وبعد مداولة سرّية مع زملائه الآخرين، أعلن امام الجميع قراراً مفاده أن مفوضي الشعب حكموا على [مارشوس] بعقوبة الموت، ثم انه أمر [الايديل] بأخذه الى الصخرة التاريبة وقذفه من حائق الى الهاوية دون تأخير. فتقدم هؤلاء لتنفيذ الأمر الذي تميز بالقسوة والصرامة حتى في أعين بعض [الپليبيين]. وعندها جنّ جنون الپاتريشيين ألماً واستفظاعاً وهرعوا وهم يضجون ويصيحون لانقاده، واستخدم بعضهم الأيدي فعلاً، لمنع تنفيذ أمر القبض وتحلقوا [مارشوس] وجعلوه في وسطهم، وعمد بعضهم الى مد الأيدي الضارعة لوقف هذا الاجراء العنيف المتطرف لأن الكلام في مثل هذه الضجة لا يفلح عادة. وادرك اصداق مفوضي الشعب ومعارفهم صعوبة أخذ [مارشوس] الى موضع تنفيذ العقوبة وكم سيسفك من الدماء، ويهلك من الناس ويقتل من الپاتريشيين، فاقنعوهم بالعدول عما هو خلاف القانون. والأى يقتلوه قتلة سريعة شنعاء كهذه دون محاكمة اصولية، بل أن يودعوا مصره الى الاقتراع الشعبي العام.

بعد مرور فترة من التأمل، التفت [سيچنيوس] الى الپاتريشيين وسألهم: ماذا يقصدون من انتزاع [مارشوس] عنوة واقتداراً من قبضة الجمهور وهو في سبيل تنفيذ العقوبة به؟ فردّ عليه الپاتريشيون بالسؤال المماثل: «بل قل لنا كيف سوكت لكم أنفسكم أن تجرّوا واحداً في أعظم رجال روما جرّاً الى ساحة الاعدام بطريقة بربرية لا قانونية ومن دون محاكمة؟ وما هو قصدكم من ذلك؟». فقال [سينسيوس]:

- «حسن جداً، لن نترك لكم سبباً للخضام من هذه الجهة... ولن ندع لكم علة للشكوى من الشعب. الشعب الآن يلبي طلبكم وصاحبكم هذا سيحاكم وفق القانون»

ثم وجه القول الى [مارشوس]:

- نعيّن لك يا مارشوس، اليوم الثالث إعتباراً من «يوم السوق» القادم، لتحضر وتدافع عن

نفسك وتحاول ان أمكنك اثبات براءتك امام المواطنين الرومانيين الذين سيفصلون في قضيتك بالتصويت.

ورضي الباتريشيون بهذه الهدنة. وافرخ روعهم وعادوا الى منازلهم مسرورين بنجاحهم في المحافظة على حياة [مارشوس].

في غضون الفترة التي سبقت موعد المحاكمة (إعتاد الرومان أن يعقدوا جلسات المحاكم في كل يوم تاسع ومن هنا جاء الاسم اللاتيني [موندنياي Mundinae] <sup>(١٦)</sup>، نشب القتال بين الرومان والأنتيات <sup>(١٧)</sup>، وتوقع الباتريشيون أن يستمرّ حيناً، وبذلك شاع فيهم الأمل في إمكان التملص من اجراء المحاكمة، وقدروا أن تهدأ أسورة غضب الشعب، ويقبل سخطه حتى يضمحل مرور الزمن عليه، هذا إن لم تصرف الحرب والمشاكل الأخرى اذهانهم عن الموضوع بصورة نهائية. وعندما وصلوا الى عقد صلح عاجلٍ خلافاً لما توقعوا وعاد الجيش الى روما من أنتيوم، عاد القلق والارتباك يسود صفوف الباتريشيين وبادروا الى عقد عدة اجتماعات ليقرروا خطة لا تفرط فيها بمارشوس أو أعطاء فرصة لمثيري الشعب لخلق اضطرابات جديدة. ووقف بينهم [أبيوس كلوديوس Appius Claudius] المعروف بأنه أشدّ الشيوخ نفوراً من الامتيازات الشعبية، وقال منذراً: «إن مجلس الشيوخ سيقضى على نفسه قضاء تاماً، ويخون الحكومة إذا سمح للشعب مرةً واحدةً بتولي سلطة أصدر حكم على اي باتريشي». إلا أن الباتريشيين الأكبر سناً، والأقرب الى افئدة الشعب عارضوا بقولهم «ان جماهير الشعب لن تكون شديدة القسوة والصرامة كما يخيل لبعضهم. ولكنها ستكون أكثر ميلاً للدعة والسكينة عند منحها تلك السلطة، فالذي دفعها الى طلبها لم يكن اذلال مجلس الشيوخ وانما الفكرة التي تكونت عندها وهو أن المجلس هو الذي قصد اذلالها وتحقيرها، ألا فلتمنح لها هذه السلطة مرة واحدة وليكن ذلك دليلاً على الاحترام وشعور التعاطف والود. إن مجرد حيازة الشعب سلطة التصويت في هذا الشأن سيزيل فوراً العداء فيما بيننا».

ولما وجد [مارشوس] محنة المجلس والتوتر الذي يسوده بسببه، وحيرته بين عطفه عليه، وخوفه من الشعب، طلب من مفوضي الشعب أن يعرفوه بالجرائم التي ينون إسنادها اليه، واصل التهم التي ستجرى المرافعة فيها امام الشعب، فأجابوه أنه متهم بمحاولة اغتصاب الحكم. وانهم سيثبتون عليه محاولته وشروعه في اقامة حكم استبدادي <sup>(١٨)</sup>. فنهض

(١٦) يقول [ديون ٧:٨] كان ثم فترة سبعة أيام فقط. بين ايام السوق.

(١٧) ورد نبأ مفاجيء الى روما يفيد بان أهالي (انتيوم) وضعوا ايديهم على سفن سفراء (غيلون) اثناء عودتهم الى صقلية بل انهم صادروا السفن واعتقلوا السفراء. وعندها تهيأ الرومان بسلاحهم لمعاقبة أهالي [انتيوم] لكن هؤلاء ما لبثوا أن عادوا للطاعة وتم الصلح.

مارشسيوس وتقدم قائلاً:

- فلنذهب أذن إلى الشعب، لتبرئة نفسي من هذه التهمة الباطلة امام جمعيتهم العامة. اني أعرض نفسي بملء اختياري الى أي نوع من المحاكمة، ولن اتظلم من أي عقاب يفرض عليّ، وكلّ ما أطلبه هو أن تنحصر تهمتي بما ذكرتموه الآن، وان لا تخذعوا المجلس.

فوافقوا على شروطه، وذهب الى موضع المحاكمة. لكن، عندما اجتمع الشعب تقدم مفوضوه باقتراح مراوغ، وهو أخذ الأصوات لا على أساس [الجنثوري] كما جرت العادة عليه بل على أساس رؤوس القبائل<sup>(١٩)</sup>، وهو تغيير يمكن الغوغاء الحاقدة المشاغبة التي لا قيمة عندها للعدالة والنزاهة من صبّ جام حقدتها فعلاً على رؤوس الاغنياء و اشراف القوم ومن اعتاد بذل الخدمة للدولة اثناء الحرب. وبعد هذا عمد المفوضون الى تغيير مواد الإتهام، في الوقت الذي تم القرار على الأ يحاكم مارشسيوس إلا عن تهمة الاستبداد والاستئثار بالحكم وهي تهمة ضعيفة يتعذر اثباتها عليه. فأسقطوا هذه التهمة واستعاضوا عنها بتهمة تحريضه في مجلس الشيوخ. ومعارضته في تخفيض أسعار القمح، ومطالبته بالقضاء على سلطات مفوضي الشعب. وأضافوا أيضاً تهمة ثالثة جديدة، بخصوص توزيعه الغنائم والأسلاب الحربية التي انتزعها من الأتنيات عند غزوه بلادهم، لأنه خصّ بها من تطوع في جيشه فحسب في حين يقضي القانون السائد بايداعها بيت المال<sup>(٢٠)</sup>. ولقد قيل ان هذه التهمة أخرجت موقف [مارشسيوس] أكثر من أية تهمة أخرى لأنه لم يستعد ولم يكن متوقفاً استجوابه عنها، لذلك

---

(١٨) استناداً الى [ديون] قال مارشسيوس في معرض دفاعه عن نفسه «... فضلاً عن اصابتي بهذه الجراح التي ترونها في سبيل انقاذ المواطنين: الا فلندع التريبيونات يقسرون لنا إن استطاعوا - كيف يمكن ان تنسجم مثل هذه الماتر مع النوايا الغادرة التي يتهموني بها» إلا ان [ديون] لم يذكر بان التريبيونات وافقوا على الشروط التي ذكرها النص.

(١٩) منذ عهد الملك [سرفيوس تولليوس] صارت الأصوات تؤخذ بطريقة الجنثوري اي المئات اذ قدروا حتماً ان مارشسيوس سيبرراً أن أخذت الأصوات بهذه الطريقة. فالفرسان وأغنى المواطنين هم الأغلبية. حيث تؤلف الطبقة الأولى أو العليا ٩٨ صوتاً من أصل ١٩٢ وهي مجموع الطبقات الست. لكن التريبيونات الاذكيا، افتوا بأنه في قضية تتعلق بحقوق المواطنين يجب أن يكون لكل مواطن واحد صوت واحد ولم يرضوا باحصاء للأصوات الأ على اساس القبائل. والى جانب محكمة جميعة المائة Teibuna Comitia Centuriata، توجد أيضاً الكيورياتا Curiata التي أقامها (رومولوس) وتقسم سكان روما الأصليين الى ثلاث قبائل في كل قبيلة عشرة أفخاذ Curiae. [ديون ٢:٢-٥]. بقي هذا النظام ساريا حتى مجيء [سرفيوس تولليوس] الذي ابدله بالطريقتين الأخرين في أحصاء آراء الجمهور.

(٢٠) افاد التريبيون [دجيوس] «إن هذا دليل واضح على نواياه الشريرة فبالأموال العامة ضمن له مخلوقات وحرساً يساندونه في ما أعتزمه من أغتصاب للسلطة. الا دعوه يثبت انه كان حائز السلطة التي تؤهله لتوزيع هذه الغنيمة دون خرق للقانون دعوه يجب مباشرة عن هذه القضية وحدها دون ان يلجأ الى فنون وتعلات أخرى القصد منها تضليل الجمعية...» [ديون ٧:٩].

لم يكن دفاعه قوياً مقنعاً بسبب عامل المفاجأة. ولما بدأ على سبيل الاعتذار والقنصل -  
يعظم من مآثر أولئك الذين شاركوا معه في القتال، وبما أن من تخلف عن الحرب كان أكثر  
عدداً ممن تطوع، فقد قوطع بصيحات الإستنكار والتنديد. وأخيراً جاء دور التصويت، فأدين  
بأغلبية ثلاث قبائل (\*)، وفرضت عليه عقوبة النفي المؤبد.

بعد النطق بالحكم ترك الجمهور محل الاجتماع بتظاهرة صاخبة وهتاف مدوي فاق بكثير أي  
تظاهرة قام بها الشعب بمناسبة نصرٍ على عدوِّ. في حين وجم أعضاء مجلس الشيوخ وأستولى  
عليهم الحزن العميق. وادركهم ندم شديد لأنهم لم يحاولوا شتى الطرق للحيلولة دون طغيان  
إرادة الجمهور، ولسماحهم له بممارسة هذا القدر الكبير من السلطة، فكانت نتيجةها اساءة  
استعمالها والتعسف في تطبيقها. ولم تكن الحاجة تدعو لتفحص ثياب الناس أو استقراء  
علامة مميزة فيهم للتثبت من طبقتهم، فمن كان فرحاً منهم بالنتيجة، فهو يليبي، لاشك فيه،  
ومن بدأ واجماً كثيباً فهو باتريشي.

وكان [مارشوس] الشخص الوحيد الذي لا يشعر بذلةٍ أو صدمة. فمن سيمانه وملامحه  
وتصرفاته كان يبدو مثلاً لضبط النفس وفيما كان الأسى يعمر قلوب اصحابه كافة، ظلَّ  
الرجل الوحيد الذي لم تؤثر فيه مصيبتهم. لا لأن ترويضه العقلي علمه الرضا بحكم القدر، ولا  
لأن رقه طبعه جعلت القناعة خلقاً فيه، فالأمر بعكس ذلك تماماً إذ شاع في كيانه حقد عميق  
متأصل الجذور عنيف، لا يحس له ألماً كثيراً من الناس. الحق يقال أن الألم يتحول بفاعلية  
حرارته اللاهية الى غضب، ويُفقد صاحبه كل مظهر من مظاهر التخاذل والكآبة، وفي الغضب  
حيوية كثيرة، كالمصاب بالحمى المحرقة ففي مرضه حرارة مادية ظاهرة، وفي عمل الروح والحق  
يقال عوارض مرضية ظاهرة من ارتجاف والتهاب وانتفاخ، وكان يبدو مثلها في حالة  
[مارشوس] المضطربة، وتظهر في أعماله وحركاته.

عند وصوله البيت أقرأ التحية والدته وامراته وكانتا تذرغان دموعاً غزيرة وتنتحبان  
وتعولان، فنصحهما بان يقصدا في مشاعرهما والأ يستسلما للحزن جراء مصيبة<sup>(٢١)</sup>، وبعدها  
توجه الى ابواب المدينة فوجد اشراف روما كلهم مُجتمعين لتوديعه. ولم يصحب معه متاعاً  
ولم يطلب شيئاً أو يرجو رجاءً من مشيعيه، وفارقهم وليس في ركابه غير ثلاثة أو أربعة من  
الاتباع وأنطلق الى موضع في الريف حيث مكث يضعه ايام يُطارحه مختلف الأفكار التي

(\*) يقول ديونيسيوس هاليكارناسوس (٦٤:٧) صوت لبراعته ٩ من أصل ٢١ قبيلة.  
(٢١) وضع كريلولانوس ولديه في رعايه امه جدتهما ولأولهما عشر سنين من العمر. والثاني صغير جداً. [ديون  
٩:٧].

يدفعها الغيظ والسخط الى رأسه، ولم يكن فيها فكرة ذات هدف نبيل أو صالح. وكان عقله يدور به باحثاً عن أجدى الوسائل لاطفاء جذوة انتقامه من الرومان. حتى استقر رأيه بالأخير على أن يشنّها حرباً شعواء عليهم، عن طريق أقرب الجيران اليهم، وعزم مبدئياً على جسّ نبض الثولسيين، والتأكد من مدى استعدادهم لذلك. وكان يعلم انهم ما زالوا شديدي القوى كثيري الموارد في المال والرجال. وأن بأسهم لم يضعف بالدرجة التي أشتدّ حنقهم على الرومان وكرههم، بسبب الهزيمة الأخيرة التي ذاقوها منهم.

كان يعيش في [آنتيوم] رجل يُدعى [تولوس اوفيدوس Tullus Aufidius] له بين الثولسيين ما للملك من مكانة واحترام بسبب ثرائه وشجاعته وشرف أسرته. وكان [مارشوس] يعلم أنه يكن له من العداة الشخصي ما لا يئنه لأي روماني آخر، فقد تبادلّا اثناء المعارك عدة تهديدات وتحديات ودعوات للنزال. وبهذه التحرشات المتبادلة التي كان من شأنها أن تثير حماسة صغار الجنود وتدفعهم الى خضمّ المعركة، اضافت العداة الشخصي الى الخصومة الطبيعية بين المتحارِبين. ومع كُُلّ ذلك فقد توقع في [تولوس] سماحة خُلُقٍ، وقدّر ان ليس بين الثولسيين قبله، يرغب في فرصة تتيح له ردّ أذى الرومان صاعاً بصاعٍ، ولذلك أقدم على ما أيدّ قول القائل:

من الصعب ان تقا تل الغضب. فهو يشترى  
كلّ ما يريد. وان كان ثمن ذلك حياتنا

وتنكر بثياب غيرت من هيئته بحيث ينكره كل من يعرفه، مثل ما فعل [بوليسيس] في:  
«انه دخل مدينة اعدائه الألداء (٢٢)».

وكان دخوله [آنتيوم] في حوالي المساء، ومرّ في الشوارع دون أن يعرفه أحد من المارة الكثيرين ووصل منزل [تولوس] ودخلها دون ان يحسّ به أحد وقصد الموقد وجلس اليه دون أن ينطق بكلمة واحدة مغطياً رأسه (٢٣). ولم يسمع افراد الأسرة إلا أن يندهشوا، ولكنهم اجموا عن انهاضه أو طرح سؤال عليه. لما كان يحفّ بصمته وهيئته من جلالٍ ومهابة. إلا أنهم أبلغوا [تولوس] بالحادثة الغريبة وكان يتناول عشاءه فنهض حالاً ودخل عليه وسأله عمّن يكون، وما الذي جاء به الى منزله فكشف [مارشوس] عن هويته وحسر رأسه وبعد فترة صمت قال:

(٢٢) الاوديسي [٢٤٦:٤] إما لأجل قياس جدار طروادة واما لإقناع هيلن بالتعاون مع مواطنيها الأغريق.

(٢٣) يعتبر الموقد مكاناً مقدساً في البيت -، لأن فيه آلهة الأسرة. وكل مستجير يأتيه وكأنه يلوذ بحرم.



- إن كنت لاتذكرني يا توللوس، وان كنت لا تصدق عينيك، فالضرورة نقضي أن أكون المتهم نفسي. أنا [كايوس مارشسيوس] مسبب الأذى الكثير للفولسيين. ولو أنكرت هذا فلقبي [كريولانوس] الذي احملة الآن هو وحده دليل كاف عليّ. التعويض الوحيد الذي نلته عن كل الأخطار التي تعرضت لها، والمصاعب التي خضتها، هو ذلك اللقب الذي يكشف عن عدائي لقومك. وهو الشيء الوحيد الذي بقي لي جردت وحُرمت كل الامتيازات الأخرى، جراء حسد الرومان حقدهم، وبسبب جين وغدر الحكام وأولئك الذين ينتمون الى طبقتي وأخرجتُ من بلادي منفيًا، وصرت مستجدياً متمسكيناً عند موقد نارك. لا باحثاً عن الأمان والحماية قدر ما انا باحث عن الانتقام ممن طردني. ولو كنت خائفاً من الموت لما جئت. وأعتقد اني حصلت على مرادي بوضع نفسي بين يديك. فان كنت تريد حقاً قتال أعدائك فهياً أذن وأستفد من البلية التي تراني فيها. لانهيرص بهذه المهمة، وتحويل سوء حالي الى نعمة عامة للفولسيين. فأنا في الواقع أكثر وائدة في قتال لكم، من القتال عليكم، والأفضلية التي املكها الآن هي وقوفي على كل أسرار العدو الذي سأهاجمه. فإن كنت عازفاً عن القيام باية محاولات أخرى، فلست بالراغب في الحياة هنا، ولا يكون جميلاً منك استضافة شخص طالما كانت خصماً لك ومناساً والآن عندما يعرض عليك خدماته يتضح لك أنه غير صالح لك ولا نافع.

عندما وعى توللوس كل هذا الكلام جُنّ فرحاً ومدّ اليه يده اليمنى وصاح:

- قم يا [مارشسيوس]، وأستجمع شجاعتك. لقد جئت لأنتيوم بأعظم السعد، فيما قدمت نفسك له من فائدة. ولك أن تتوقع كل ما هو حسن من الفولسيين.  
ومن ثم أخذ يظهر له الإكرام والحفاوة وضروب العطف. وقضيا عدة أيام بعدها في التداول معاً بخصوص امكانيات الحرب.

وفيما كانت هذه المخطط تتخذ شكلها المادي، كان الاضطراب والفوضى يعمان روما، بسبب العداء المستحكم بين اعضاء مجلس الشيوخ وقد زاد حدة الآن بإدانة [مارشسيوس]، والى جانب ذلك أخذ العراكون، والسحرة والكهنة وحتى الناس العاديون يتناقلون انباءً عن علامات وخوارق لايمكن الاستهانة بها. ومنها ما اشيع حدوثه على النحو الآتي: هناك رجل يدعى [تيطس لاتينوس] انسان رقيق الحال ذو خلق طيب هادي،، بعيسد كل البعد عن الاوهام والخيال والشعبذة، وأبعد من ذلك عن المبالغة والتفاهة رأى في المنام كأن جويتتر جاءه وطلب منه أن يخبر اعضاء مجلس الشيوخ بأنهم وضعوا على رأس موكبه الديني راقصاً سيناً غير ذي أهلية. ولكنه لم يهتم بالحلم ولم ير فيه أي أهمية لأول وهلة. ولكن بعد أن تكرر مرة

ثانية وثالثة، فقد أبنأ عزيزاً عليه، وأصيب هو نفسه بالفالج وحمل الى مجلس الشيوخ على محفة ليدلي يتفاصيل حلمه، وتقول الحكاية أنه أبل من مرضه وأستوى على قدميه حال ابلاغ الرسالة. وذهب الى بيته دون مساعدة أحد. وتلك المجلس العجب والحيرة، وراحوا يبحثون الأمر بحثاً دقيقاً. أما ما كان يشير اليه الحلم فهو هذا: أحد المواطنين في روما كان يملك عبداً ارتكب جرماً شنيعاً، فسلمه لزملائه الآخرين وأمرهم بجلده في السوق ثم قتله. وفيما هم ينفذون أمره هذا بجلد البائس الذي كان يتمطى ويتقلص ينقلب ظهراً لبطن وعلى كل شكل من الأشكال والحركات الغريبة بسبب الألم الذي يحسه. اتفق أن أقبل في أعقابهم موكب ديني تكريماً لـجوبيتر. فاستنكر عدد من السائرين فيه مشهد الخادم المجلود إلا أنه لم يتدخل أحد منهم أو يقيم بعمل أكثر من مجرد النطق بعبارة اللوم المعتاد والتنديد بالسيد الذي حكم على عبده بهذه العقوبة القاسية. فالرومان كانوا يعاملون عبيدهم في ذلك الزمان، معاملة انسانية للغاية. عندما يشتغلون ويكدحون معهم جنباً الى جنب فمن الطبيعي أن ترتفع الكلفة بينهم، وأن يعاملوهم برقة، ومن أشد العقوبات التي كانت تفرض على العبد المخطيء، أن يحمل قطب الخشب الذي يسند محور العجلة ويدور بها في الجوار، والعبد الذي يحل به هذا العار، فيشاهده الجيران وأهل البيت ينفذ العقوبة، يسقط من عيون الناس، ولا يعودون يثقون به أو يعتمدون عليه، ويطلق عليه اسم فورجيفر Furcifer، من كلمة فوركا Forca اللاتينية ومعناها العمود الخشبي أو الجذع.

عندما قص [لاتينوس] حلمه، وانكفأ الشيوخ يتساءلون عن ذلك الراقص السّيء المكروه، فتذكر بعض الجماعة الذين أستلقت نظرهم غرابة العقوبة التي حلت بالعبد البائس، كيف جلد على طول الشارع ثم ازهقت روحه. وأيد الكهنة هذا التخمين عندما استشيروا. فعوقب صاحب العبد وأمروا باقامة احتفال جديد للموكب الديني تكريماً للرب. وبالمتابعة نذكر [نوما] الحكيم في تنظيمه الوظائف الدينية، فهو يبدو بصورة خاصة شديد الحرص في توجيهه لها. ووضع نصب عينه انتباه الشعب اليها وإحترامه لها. وقد رتب عند قيام الحكام والكهنة بالمراسيم الدينية، أن يسبق موكبهم مناد يخرج للناس وينادي بأعلى صوته: Hogage: أعملوا هذا الذي تهمون به؛ وبهذا ينذر الناس بالتنبيه للشعائر المقدسة التي سيمارسونها، وان لا يدعوا عملاً دنوباً أو مشاغل يومية تشوش المراسيم أو توقع الخلل فيها. ومعظم ما يأتيه الناس. في هذا الصدد مفروض عليهم فرضاً، بكيفية ما. وأعتاد الرومان اقامة الشعائر الدينية، ومواكب صلواتهم لأقل الأسباب واتفه الدواعي. فإن حدث وتعثراً أو كبا حصان من الخيل التي تجر العجلات المسماة « تنسي Tensae » أو إذا جمع السائق أعنتها بيده اليُسرى،

يأمرون باعادة المراسيم كلها من الأول. وفي العصور المتأخرة بلغ الحال بهم الى حد أنهم كرروا شعائر قربان واحدٍ ثلاثين مرةٍ لحصول خطأ أو هفوة أو حادث في اثناء الحفل. هكذا كان مبلغ احترام الرومان وشدة حذرهم في شعائر الدين.

وأخذ [مارشيسوس] و[تولوس] يتداولان في مشروعهما سرّاً مع رؤساء [آنتيوم] ويحثونهم على غزو الرومان بيناهم متناحرون فيما بينهم وكان يظهر أن الخجل يصدهم عن قبول الاقتراح لأنهم عقدوا هدنة يتم بموجبها وقف القتال لمدة سنتين، ولكن ما لبث الرومان أن هياؤا لهم حجةً لنقض الهدنة. باعلانهم في اثناء الالعب بوجوب مغادرة كل من جاء من الفولسيين لمشاهدة الألعاب وعدم بقاء أحدهم في روما قبيل مغرب الشمس. ودفعهم الى ذلك الإحتقار أو خبر ملفق عن الفولسيين. ويؤكد البعض أن هذا العمل هو من تدبير [مارشيسوس]. فقد بعث سرّاً برجل الى القنصلين، ليتهاهم الفولسيين كدباً وبهتاناً، بانهم يدبرون غزوة مفاجئة لرومان اثناء انشغالهم بالألعاب، واشعال النار في روما<sup>(٢٤)</sup>. فألهب هذا التحقير المرزي مشاعر الفولسيين، وملأهم حقناً على الرومان. واهتبل [تولوس] فرصته فراح يعمل على تسعير النار وزيادتها ضراماً، وأخذ يهول الأمر على مواطنيه حتى أقنعهم أخيراً بارسال وفد الى الرومان يطلب منهم اعادة الأراضي والمدن التي أقتطعوها من بلادهم جراء الحرب الأخيرة. فأجاب الرومان حانقين: إن الفولسيين كانوا البادئين في إشهار السلاح، وسيكون الرومان آخر من يضعه. وعاد الوفد بهذا الجواب فدعا تولوس الفولسيين الى اجتماع عام، وجرى التصويت على اعلان الحرب. ثم انه اقترح انه يدعى [مارشيسوس]، ونزع الاحقاد من النفوس وتناسيها، وطلب أن يشقوا بأن الخدمات التي سيقدمها لهم مارشيسوس بوصفه صديقاً لهم وشريكاً، ستزيد كثيراً على جميع الأضرر والخسائر التي ألحقها بهم عندما كان خصماً لهم.

فاستدعي [مارشيسوس]، فحضر ووقف بينهم متكلماً، فأجتذب الجمهور الى صفّه وأقنعه بالثقة في كفاءته وبراعته وحسن مشورته وجرأته، بقوة عارضته أكثر مما أقنعه بسجل بطولاته وأعماله المجيدة السالفة. وانتدب الى جانب [تولوس] ليتولى منصب جنرال في جيشهم، مزوداً بسلطة مطلقة في كل ما يتعلق بادارة الحرب. ولما كان يخشى ان يطول الوقت في تحشيد كل قوات الفولسيين وتعبثها تعبئة تامة، بحيث يفقد عامل المباغتة، فقد ترك

(٢٤) قال تولوس «وحدنا من دون سائر الشعوب لايرونا نستحق الحضور لمشاهدة هذه الالعب. نحن وحدنا نطرد من الأعياد العامة كاحقر الكفرة وارذل الجرمين! اذهبوا الى مدنكم وقراكم وأظهروا الشارة المميزة التي وسعنا بها الرومان». ليقي [٢٧:٢، ١-٧] يقول انه جاء الى مجلس الشيوخ بتدبير سابق مع مارشيسوس. لكن بلوتارخ هنا ينحو منحى [ديون ٢:٨]. على أن كزيولانس كان صاحب اقتراح اعادة الاراضي والمدن التي استلبها الرومان منهم.

أوامر لحكام المدينة بخصوص أمور التعبئة والتأهب وجمع ما تحت يده من المتطوعين الأكثر تحمساً. وزحف بهم غير منتظر أو متريث، ووقع على الحدود الرومانية بغزوة مفاجئة لايتوقعها أحد<sup>(٢٥)</sup>، واستولى نتيجة ذلك على غنائم كثيرة جداً زادت عما استطاع الفولسيون حمله، أو استهلاكه في معسكرهم.

على أن المؤون العظيمة التي غنمها والخراب الذي أحدثه في البلاد كان بالنظر اليه والى ما سيتلوه اصغر النتائج المتوخاة من غارته، فالبلاء العظيم الذي اراده وصبا اليه كان في الواقع توسيع شقّة الخلاف بين الباتريشيين وعامة الشعب في روما، وزيادة الشكوك في نفوسهم. وسعيّاً وراء هذه الغاية عمد أثناء اتلافه المزارع وأملك الناس الآخرين - الى بسط حمايته على املاك رحقول أشخاص معينين منهم وعدم مسّها بسوءٍ ولم يسمح لجنوده بالنهب منها أو سلب ما فيها. وبهذا تجددت الملاحاة ونشب الحصار مجدداً، وأشدتدّ وبلغ درجة لم يبلغها من قبل: الشيوخ يلومون العامة للظلم الذي الحقوه بمارشيسوس، والعامة لايترددون في اتهام الشيوخ بأن حملة [مارشيسوس] هي من مكائدهم وتحريضهم انتقاماً منهم وبغضاً بهم، في حين جلس الآخرون على التلّ خوفاً وضعفاً كمتفرجين غير مكترئين بما يجري في ميدان الحرب. لأن لديهم في شخص عدو بلادهم حارساً وحامياً خارجياً لملكاتهم وثوراتهم.

بعد أن توجت حملة [مارشيسوس] بالنصر وعادت بالفائدة الجليلة على الفولسيين انسحب بهم الى بلادهم سالمين وقد أشتدّ عودهم وارتفعت معنوياتهم وعادوا يستهينون بعدوهم بعد رهبةٍ وتخوفٍ.

عندما تمّ حشد كلّ قوات الفولسيين في ميدان عرض الحرب وظهرت بفيالقها الجسيمة وأستعدادها العظيم، بدت جيشاً جراراً فوجد من المستحسن أن يترك جزءً منه لحماية المدن وحراستها، وان يزحف بالقسم الآخر على الرومان. وطلب [مارشيسوس] من [توللوس] أن يختار القيادة التي يريدها. فقال [توللوس] «لما كان يعلم ان [مارشيسوس] لايقبلّ عنه بسالة وأقداماً، ويفوقه في حسن الطالع، فهو يحبذ أن يراه قائداً للجيش الخارج للحرب. في حين يقوم هو بتدابير الدفاع عن المدن في الداخل، ويضطلع بتأمين حاجة جيش الهجوم من مؤون وتجهيزات». وهكذا تحرك [مارشيسوس] وقد زاد قوة وسلطاناً - نحو مدينة [چيركيوم Cir-caeum] وهي مستعمرة رومانية، وقبل استسلامها ولم يلحق أذىً بسكانها. ثم غادرها ليجتاح بلاد اللاتين وكان يتوقع لقاء الرومان فيها لأنهم اصدقائهم وحلفاؤهم، وكثيراً ما اعانهم وانجدوهم. إلا أن القوم في روما لم يظهروا حماسةً وميلاً الى الخدمة في الجيش،

(٢٥) قام تللوس في الوقت عينه بغارة مماثلة على أراضي اللاتين. وعاد بعين النتائج الطيبة [ديون ٢:٨].

كذلك لم يكن القنصلان يريدان التورط في مخاطرة حربية، لأن فترة وظيفتهما كادت تنتهي. فصرفا سفراء اللاتين خائنين. ولم يجد [مارشوس] أمامه جيشاً يقاتله، فزحف على مدنهم وأستولى عنوةً على [توليريا Toleria] و[لافيجي Lavici] و[بيدا Peda] و[بولا Bola]، وهذه كلها قاومت زحفه فلم يكتف بنهب منازلها بل ساق سكانها عبيداً. وفي الوقت نفسه أظهر رعاية خاصة لكل من انحاز الى صفه. ولما كان يخشى قيام جيشه باعمال تخريب لم يأمر بها فقد أختار موقعاً بعيداً لمعسكره، متعفنأ عن التعرض للأراضي والمزارع.

بعد أن فتح مدينة [بولا] وهي لايتعد أكثر من عشرة اميال عن روما نفسها ونهب منها أموالاً لا تحصى ووضع السيف في رقاب سكانها الذكور البالغين، وردت ابناء نجاحه وفتوحاته الى الفولسيين الذين تخلفوا لحماية المدن، فلم يصبروا على البقاء حيث هم وأسرعوا ساكي السلاح للانضمام اليه، قائلين انه جنرالهم وقائدهم الأوحده الذي لايطيعون غيره. وذاع صيته واسمه في كل أرجاء ايطاليا وكانت الدهشة عامة لانقلاب الخط الفجائي عند شعبين، كانت خسارة أحدهما وريح ثانيهما من عمل شخص واحد.

كانت روما تعج بالفوضى الشديدة، وأهلها زاهدون عن خوض اية حرب. يقضون كل أوقاتهم في النزاع وحك المؤامرات من تحت الستار ولوم أحدهم الآخر. حتى وردت الانباء بأن العدو يضيق الخناق على [لافينيوم Lavinium] التي يوجد فيها تمائيل آلهتهم ابائهم الحارسة<sup>(٢٦)</sup>، والذخائر المقدسة ومنها نشأ شعبهم الروماني بوصفها أول مدينة في ايطاليا بناها [اينياس] هذه الأنباء أحدثت تغييراً عاماً غير عادي في أفكار الشعب وميوله. إلا انها ولدت شعوراً بالصدود عند الهاتريشين أكثر غرابة. فقد مال الشعب الآن الى الغاء الحكم الذي اصدره على [مارشوس]، ودعوته للعودة الى المدينة. فأجتمع مجلس الشيوخ لاعادة النظر في القرار، وعارض الاقتراح أولاً ثم رفضه. إماً لمجرد رغبته في معاكسة الشعب ومناقضته في كل ما يريده أو ربّما لأنهم لا يريدون أن يكون مارشوس مدينا باعادة اعتباره الى عطف الشعب. أو ربّما لادراكهم الآن بوجود شعور سخط ضد [مارشوس] نفسه لأنه يصبّ البلوى على الجميع سواء بسواء مع ان سوء معاملته لم يصدر من الجميع، ولصيرورته عدواً لسائر البلاد مع علمه أن كبار القوم وأخبارهم كانوا الى جانبه، وقد تألموا لما أصابه.

وأعلن الشيوخ قرارهم هذا، وأسقط في يد الشعب لأنه لايملك سلطة في اقرار اي شيء بالاقتراع العام أو سنه قانوناً، إلا اذا سبقه مرسوم من مجلس الشيوخ.

وزاد حنق [مارشوس] عند سماعه بما جرى، وتخلّى عن حصار [لافينيوم]<sup>(٢٧)</sup> وزحف نحو

(٢٦) بالأصل جيء بها من طراودة [انظر سيرة روملوس].

روما بسرعة جنونية. وعسكر على بعد خمسة أميال من المدينة تقريباً، في موضع يدعى «خنادق كلوليا Cluilia» وخلق وجوده القريب رعباً عظيماً وقلقاً، إلا أنه وضع أيضاً حداً لإنقسامهم في حينه، إذ لم يعد أي منهم أقتضلاً كان أم شيخاً - يستطيع معارضة الشعب في دعوة [مارشوس] للعودة. وعلّموا أن الجماهير محقّة في إقتراحها بمصالحة عندما رأوا نساءهم يتراكن جيئةً وذهاباً في الشوارع مرعوبات، والعجز وكبار السن يملأون المعابد كلها يبكون ويرسلون الدعاء والضراعة. وقُصارى القول فقد كل سكان المدينة اسباب الشجاعة والعقل الضرورية لتدبير أمرهم. وأدرك الخاص والعام أن مجلس الشيوخ ارتكب خطأ فاحشاً في استحداث سبب عدا جديد مع [مارشوس] بينما كان الواجب يفرض عليه نسيان الأحقاد والتفكير في جبر الخواطر وتهديتها. وبين هذين، حلّ الوفاق محل الخلاف بين مختلف الفئات، واتحدت الآراء، وتوصلوا بالاجماع الى قرار يقضي بإرسال وفدٍ اليه يعرض عودته الى بلده. ويطلب منه وضع حدٍ لأهوال الحرب وويلاتها، وأختير أعضاء الوفد من أقربائه وأصدقائه<sup>(٢٨)</sup> الذين يتوقعون منه خير ملقى وأحسن استقبال لما تربطه بهم من العلاقات والشائج العديدة القديمة. إلا أنهم كانوا مخطئين جداً في ظنهم. فبعد أن أقتيدوا اليه في المعسكر وجده جالساً تخفّ به مظاهر السلطان ويحيط به عظماء القولسيين، ويبدو عليه التجهّم والصلافة. وطلب منهم أم يفصحوا عن أسباب مجيئهم ففعلوا بأرق عبارة والطف أسلوبٍ وأنسب سلوكٍ للهجتهم. وبعد أن فرغوا من أقوالهم ردّ عليهم بجوابٍ لاذعٍ مفعم بالقسوة الغاضبة والمرارة، بخصوصه وبخصوص اساءتهم معاملته. وأمّا بوصفه جنرالاً للقولسيين فقد طلب إعادة كل المدن والأراضي التي انتزعوها منهم بالحرب الأخيرة وأن يعطوا القولسيين نفس الحقوق وامتيازات المواطنة في روما، التي منحت سابقاً لللاتين، مادام لا يوجد أي ضمان في حلول سلمٍ ثابت دائم دون شروط عادلة متعادلة للجانبين. وأعطاهم ثلاثين يوماً مهلةً للتوصل الى قرار.

بعد أن انصرف الوفد، عمد مارشوس الى سحب قواته خارج الأراضي الرومانية؛ فتذرع مبغضوه وحاسدوه من القولسيين الذين لم يستطيعوا تحمل نفوذه بين الشعب، بهذا العمل واتخذوه حجةً للتنديد به ومن بينهم [تولوس] نفسه. لا لأذى شخصي لحقه من مارشوس بل لضعف في طبيعة النفس البشرية، إذ لم يسعه إلا أن يشعر بالذلة عندما وجد مجده السالف يكسف تماماً، ويغدو هو بالذات شخصاً عادياً في نظر القولسيين، لا يثير الإعجاب ولا

(٢٧) ترك وحدة من الجنود لمواصلة الحصار [ديون ٤:٨].

(٢٨) اورد [ديون: المرجع السالف] اسماءهم هكذا: ماركوس مونيشيوس، پوستيمي، س كومينيوس، سيوريوس لارغيوس، بوبليوس يناريوس، كونيئس سوليشيوس. ويورد ديون خطبه رائعة القاها مونشيوس بالمناسبة، وجواب كريولانوس عليها.

يكثر به أحد، في حين ارتفع عندهم رصيد زعيمهم الجديد بحيث ما عادوا يرون غيره. وفي رأيهم أن القادة الآخرين ينبغي لهم أن يقنعوا بذلك الجزء من السلطة الذي يراه مناسباً لهم. ومن هذا زرعت أولى بذور الشكوى والإتهام وأخذت تنتشر سراً، وتلاقى المشاغبيون وأخذ يعمل الواحد منهم على إلهاب سخط الآخر، بالقول: ان الانسحاب الذي قام به هو في الواقع غدرٌ بالجيش وبالمدن، بل أفدح وانه تغرير وتعمد اضعاءة أخطر فرص وأنسبها للعمل، تلك التي يتوقف عليها الفوز بكل شيء أو خسارة كل شيء. ففي فترة الأيام الثلاثين هذه يمكن أن يحصل أي شيء في الدنيا.

على أن مارشوس لم يضيع لحظة واحدة من هذه الفترة. فقد أستولى خلالها على سبع مدن عظيمة عامرة بالسكان، دون أن يجراً الرومان على مد يد العون اليها. فقد شلهم الخوف شللاً تاماً وأفقدهم الحركة ولم يبد منهم ما يدل على الحياة أو الحس. وبانتهاء فترة الثلاثين يوماً ظهر [مارشوس] مرة أخرى على رأس جيشه، فبعثوا اليه بوقدٍ آخر، يرجوه ان يخفف من حنقه ويسحب جيش الفولسيين، وبعدها يعرض ما يراه مناسباً للطرفين من المقترحات فإن الرومان لا يقبلون باي تنازل تحت التهديد، واذا وجد أن الفولسيين محقون في طلب أي امتياز، فيامكانهم الحصول على ما يريدون ضمن حدود معقولة إن تخلوا عن السلاح.

وكان ردّ [مارشوس] انه لن يجيب بشيء بوصفه قائداً للفولسيين أما بوصفه رومانياً وما يزال يملك صفة الروماني، فهو ينصحهم بله يحضهم - والحالة هذه - على ترك هذا الموقف المتعنت، والتفكير في عقد صلح مناسب، على ان يذهبوا الآن ويعودوا بالموافقة على مطالبه السالفة - بعد انقضاء ثلاثة أيام أخرى. وإلا فليعلموا أنهم لم يعودوا أحراراً في دخول معسكره بسعائيات ووساطات لا طائل تحتها.

لما عاد الوفد وأطلع الشيوخ على جواب [مارشوس]، ادركوا أن بناء الدولة وصرحها يتعرضان الآن الى عاصفة هو جاء وأن الأمواج لن تلبث ان تطغى عليهم وتغييهم في اللجة. فلم يروا مناصاً من «انزال الماساة المقدسة» على حدّ شائع القول، وهو ما كان يلجأون اليه في أشدّ ساعات الضيق. اذ صدر الأمر لطبقات الكهنة جميعاً، أولئك الواقفين على الأسرار أو سدنتها، وأولئك الذين يستوحون النبوءات من حركات الطير حسبما درج عليه الناس؛ أمروا كافة أن يخرجوا ولا يتخلف منهم واحد، بحللمهم وكسوانهم الكهنوتية التي يرتدونها عادةً اثناء ادائهم وظائفهم الدينية وينتظمون بموكب حبري ويسيروا الى [مارشوس] ليطلبوا منه كالسابق - سحب قواته ثم التفاوض عن الفولسكان (الفولسيين) مع بني قومه الرومان. ورضي أن يستقبلهم في معسكره إلا انه لم ينزل لهم عن أي شيء، ولم يرقق لهجته وعباراته،

وطلب منهم بصلافة لايشويها تنازل أو تطامن أن يختاروا بصورة نهائية بين أمرين الطاعة أو القتال. فالشروط الأولى كانت شروط سلم لا غير. وفشلت هذه الوساطة الدينية أيضاً ورجع الكهنة خائبين، واذ ذاك قرر الرومان البقاء داخل المدينة والسهر على اسوارها. وهكذا كانت خطتهم قاصرة على صدّ كل هجوم قد يقوم به العدو. ووضع كل آمالهم في تقلبات الخطّ المفاجئة، وفي عامل الزمن لا غير. فقد كانوا يشعرون بعجز تام في المحافظة على ارواحهم، وأستولى على المدينة المزيد من الرعب والإضطراب، وسرت اشاعات مشؤومة تبنيء كلها بشرّ مستطير. ثم وقع حادث يشبه ما نقرأ عنه كثيراً في آثار [هوميروس] ولولا ذلك لأخذه الجمهور مأخذ الحقيقة الواقعة. فنحن نحده يقول في وصف مناسبة خارقة للعادة.

« ثم [باللاس] نزلت عليه الربة ذات العيون الزرق الحادة بالالهام (اثينا) » (٢٩).  
ويقول في موضع آخر: على أن واحداً من بني البشر وجّه عقله بان دخل في قلبه الى الخوف مما سيقوله الآخرون.

وقال أيضاً: « أكانت تلك فكرته الخاصة، أم أمراً القاه عليه الرب؟ » (٣٠)  
في هذه المواقف يميل الناس الى تكذيب الشاعر وعدم الاعتداد بما يقول، كأنما بعرضه المستحيلات، وتصديه للخيال العايب المجرد، ينكر عمل الفكر الانساني المتروى، وعامل اختياره الحرّ، وليس هذا ما نحده دائماً في صور هوميروس ووصفه. فان الاستنتاجات المألوفة منها والمحتملة والاعتيادية يعزوها دوماً الى قوانا البشرية، وبذلك كثيراً ما يقول  
« ... على أنني لا أركن إلا لنصح نفسي العظيمة » (٣١).

وفي بيت آخر: « ... وأصغى [آخيل] متألماً وأخذ مختلف الأفكار يتزاحم في رأسه العظيم » (٣٢).

وفي ثالث: « ... من رغبات نفسها - لم تنل فتيلاً الشاب النبيل بللروفون Bellerophom المتسلح بدرع الحكمة »

لكن عندما يتسم الحدث بطابع الخروج عن المألوف، والخارق للعادة، ويبدو بشكل مارياني المنشأ، ويتطلب تعليلاً آلهياً من قبيل الالهام المفاجيء، فهنا فحسب تتدخل القوى السماوية لا لإجباط الارادة البشرية، بل لتنشيطها واتبعائها، لا لخلق قوى أخرى فينا، بل لتزويد قوانا

(٢٩) الاوديسي ١٨: ١٥٧ و ١٥٨.

(٣٠) المرجع نفسه ٩: ٢٣٩.

(٣١) المرجع نفسه ٨: ٢٩٩.

(٣٢) الايلاذة ١: ١٨٨.



بصور وبعوامل محرزة، هذه الصور لا تجعل عملنا عملاً لا إرادياً بأي شكل من الأشكال، بل لتفسح المجال بالأحرى للعمل الإرادي التلقائي، يساعده ويؤزره الشعور بالثقة والأمل. إذ ينبغي لنا إما أن ننكر انكاراً باتاً على عامل التأثير الرباني أي شكل من الأشكال السببية والابداع فيما نعمله وإلا، فبأي سبيل تعمل فينا الموزارة والمساعدة الالهية؟ نحن بالتأكيد لانستطيع الافتراض بأن الكائنات الالهية هي التي تسيّر حركة اجسامنا وتوجه ايدينا وأقدامنا الى هذا السبيل أو ذاك لنتنكب طريق الزلل قولاً وعملاً؛ وواضح انها تحرض العنصر العملي والاختياري في طبيعتنا بمحرضات أولية معينة، عن طريق صور ترسمها في مخيلتنا وافكار تودعها في ضميرنا، فإما تشيرها وتوجهها الى السبيل القويمة، أو تحرفها أو تمسكاً عن سلوكها.

وفي الارتباك العام الذي أتيت الى وصفه، قام معظم سريّات الرومان وعقائلمن بالذهاب الى معبد [جويتر كايستولينوس] وبعضهن قصدن معابد أخرى. ومن بين هاته النسوة [فاليريا] بنت [پوليوكولا] الكبير الذي قام بأجل الخدمات للرومان في السلم وفي الحرب. كان پوليوكولا قد قضى نحبه منذ زمن كما أوردنا في سيرة حياته. إلا أن فاليريا ادركت هذا العهد، وكانت تتمتع بمقام كبير واحترام في روما، ولم يشن سلوكها وحياتها نبل مولدها. تملك هذه المرأة فجأة عاطفة أو فكرة من النوع الذي أتيت الى شرحه. ووقعت على السبيل القويمة بهدي رباني. فنهضت وطلبت من الأخريات النهوض ومرافقتها في الحال الى منزل [فولنيا] أم [مارشوس]. ففعلن ودخلن ليجدنها جالسة مع كنتها وقد وضعت احفادها في حُضنها وتكلمت [فاليريا] باسم رفيقاتها اللاتي كن يحطن بها، قالت:

- جنناك يا فولنيا وانت يا فرجيليا كما تأتي نساء الى نساء لا بأمر من مجلس الشيوخ أو بتحريض من أحد الحكام. إن الكائن الالهية نفسه وقد أثرت فيه صلواتنا ودعواتنا ترائ، لي ودفعنا الى زيارتكما لندرجو منكما رجاء واحداً تتوقف عليه سلامتنا وسلامة قومنا، إن قبلناه وحققناه فسترتفعا الى أعلى مقام بلغته النساء السابينيات اللاتي استبدلن العداوة القتالة بين آبائهن وأزواجهن، بالصداقة والسلام فهيّا بنا الى [مارشوس]، وشاركا معنا في رجائنا، واحملا عن امتكما هذه الدعوة العادلة لخيرها. فهي مع الأخطاء والاذيات الكثيرة التي أنتها، لم تصبكما بأذى ولا فكرت هي في الإساءة اليكما بشيء، وهي في ذروة هياج حقدتها، انها الآن تعيدكما اليه سالمين، وان كان الأمل ضعيفاً في نيل شروط عادلة منه.

وأمن جميع النسوة على اقوال [فاليريا] بكلمات الاستحسان والرضا. وأجابت فولنيا على

ذلك بما يلي:

- إن حصتي وحصّة فرجيليا من المصائب العامّة لا تقل عن حصصكّن يا بنات قومنا على أن لدينا مصيبة خاصة انفردنا بها عنكّن. وهي فقدنا كفاءة [مارشوس] وصيته، ومشاهدتنا إياه وهو سجين سلاح الاعداء، لا محروساً به. واني مع هذا اعتبر أعظم بلوى حلت بروما هما الحالة التاعسة، والعجز المخجل اللذان جعلها تعتمد علينا نحن الاثنتين. فعندما لا تَرَيْنَ [مارشوس] يقيم أي وزن واعتبار لوطن كان عليه أن يفضله على أمّه ويضعه فوق زوجه وأولاده. يكون من الصعب جداً أن أمل ببقاء أي منزلة وأعتبر لنا عنده. وعلى كل حال، استفدن من خدمتنا وقدننا إن شئتُنَّ إليه، فبإمكاننا على الأقل أن نلفظ مع التماسنا إليه آخر انفاسنا.

قالت هذا وأمست بيد [فرجيليا] والاولاد<sup>(٣٣)</sup> وذهبن جميعاً الى معسكر الفولسكان. فكان موكبهن منظراً مفرجاً أليماً أثّر كثيراً حتى على العدو الذي راح يتابعه بالنظر وهو صامت صمت الاحترام والمهابة. في تلك الساعة كان [مارشوس] جالساً في مقرة يحفّ به اركان حربه وكبار ضباطه فلما لمح جماعة النسوة يقتربن من مجلسه ادركته الحيرة ولم يفهم للأمر معنى ثم لما تبين أمّه على رأس الجماعة زايله جلده وفارقتة صلابته وغلبت عليه عاطفة الحنان، وأرتبك جداً ولم يقو على البقاء جالساً في دست الحكم، فأسرع لاستقبالهن وحيّاً أمّه وعانقها عنقاً طويلاً، وانشى الى زوجه وأولاده ليفعل كذلك، ولم يدخر دمعة في عينيه، ولا حناناً ولا ملاطفة، بل سمح لعواطفه الجياشة ان تحمله وتنطلق به متحررة ناشطة من إسارها. وبعد أن شفا غليله، ولحظ أن أمّه تريد أن تقول شيئاً له، دعا مجلس الشورى الفولسكاني للاجتماع وجلس الجميع يصفون الى اقوالها التالية:

- يا بني! إن ثيابنا وملامحنا قد تفصح لك دون كلام أو نطق عن شقائنا منذ ان نفيت وغبت عنا. والآن فلتفكر في نفسك ألسنا أشقى امرأتين في العالم؛ حين نجد أشهى وأعذب منظر تميناه ينقلب الى أبشع موقف واشده هولاً؛ فبمعامل من سوء طالع لا أدري كنهه ترى [قولونيا] ابنها، وترى [فرجيليا] زوجها يرفع السلاح لك أسوار روما! حتى الصلاة التي كانت دوماً مصدر سلوى وعزاء للنساء في كل ضيق وبلوى، أمست عندنا مصدر ألم واضطراب. لأن أفضل الدعاء الذي نرفعه الى الآلهة، لا يتفق ودعاء

(٣٣) أخبرت (فاليريا) القنصلين بنيتها في الأول. فأخذوا الاقتراح الى مجلس الشيوخ الذي وافق عليه بعد نقاش طويل. عندها ركبت هي وعقائل روما في مركبات هيئتها لهن القنصلان واتجهن بها الى معسكر الاعداء مشيعه بتحيات وهتافات الشيوخ والعامّة معاً.

الأخريات. ونحن في الوقت عينه لا نستطيع أن نضرع الى الآلهة لتنصر روما ولرعابتك من السوء معاً، بل أن اسوء ما يمكن أن يلحق بنا الاعداء من لعنة، كان موضع نذورنا ودعواتنا. وزوجك وأولادك يعيشون محنة أليمة، فإمّا أن يحرموا منك وإمّا أن يحرموا من تربة الوطن. أمّا انا فقد وطدت العزم على استباق احدى النتيجةين اللتين ستسفر عنها الحرب بالنسبة لي. فان فشلتُ في اقناعك بتفضيل السلام والوئام على الحرب والخصام ونجحت في حملك على الاحسان للفرقيين بدل أن تقضي على احدهما، فخذها مني كلمة صدق وكن على يقين بأنك لن تبلغ بلادك إلا بعد ان تطأ أولاً جثة تلك التي جاءت بك الى النور. من الصعب علي ان انتظر واتسكع في هذه الحياة حتى اليوم الذي أرى ولداً لي إمّا يقاد أسيراً في موكب النصر بزمام بني جلدته، وإما أن يدخل منتصراً عليهم. ولو اني طلبتُ منك انقاذ بلادك باهلاك الفولسكان، فإن الأمر سيصعب عليك حقاً يا بني، من الضعة والعار أن تجلب الدمار لبني قومك، ومن الظلم والشر أن تغدر بمن وضع ثقته فيك. على أن ما نريده هو حلّ مناسب لنا ولهم<sup>(٢٤)</sup>. وانه لما يشرف الفولسكان ويرفع قدرهم كثيراً وهم في تفوقهم العسكري هذا، أن يعمدوا الى أعظم نعمتين في الدنيا: السلم والصدقة، وإن نالوا منهما قدرأ مساوياً لا غير. وإن نلنا هاتين البركتين، فسيكون لك الشكر العام بوضعك العامل الرئيس لوجودهما. فإن لم يتسن ذلك، فلا سبيل لك إلا أن تتحمل وزر الشعبين كليهما. وتستهدف لومهما. إن فرص الحرب غير مؤكدة، على أن ما هو أكيد في هذه الساعة هو أنك لن تنال من فتح روما صيتاً اللهم إلا تقويضك صرح بلادك كلها أنك جلبت البؤس والشقاء لاصدقائك والمحسنين اليك، ارضاء لعاطفة الانتقام فيك.

وكان [مارشيسوس] يصغى الى أقوال أمه صامتاً لا ينطق بكلمة. ولما رأته [قولنينا] يقف برهةً كالأبكم بعد فراغها من الكلام، استطردت تقول:

- يا بني! ما معنى سكوتك هذا؟ اليس هو واجباً أن تغلب ارضاء امك بتحقيق رجائها، على كل شعورك بالأذى والظلم؟ أهو من أخلاق عظماء الرجال ان يتذكروا الأخطاء التي ارتكبتها الناس بحقهم؟ أو ليس من شيم الانسان الصالح الكبير النفس أن يذكر تلك المنافع التي نالها كتلك التي يبذلها الآباء للابناء؟ وان يجازوهم عليها بالاحترام والاكرام؟ وانت، وعهدي بك صلب القنائة لا تلين قط في عقاب ناكري الجميل، يجب ألا تكون أكثر اهمالاً لهذا الواجب من الآخرين فلا تحفظ جميل غيرك. لقد فرضت على

(٢٤) طلبت هدية أمدتها سنة كاملة يتم خلال البحث عن تسوية لعقد صلح ثابت دائم.

بلادك عقاباً، إلا أنك لم تدفع لي ديني بعد، الحق يقال أن الدين والأخلاق اللذين لا إكراه فيهما كانا يجب أن يدفعاك الى اجابة طلب شريف عادل كهذا الذي أعرضه فاذا كان الأمر خلافاً لذلك، فعلياً أن أتوسل بأخر ما لدي من حيلة...».

ما أن أنهت كلامها حتى القت بنفسها على قدميه وكذلك فعلت زوجته وأولاده. وهنا صرخ [مارشوس].

- آه يا امي! ماذا صنعت بي؟

ثم رفعها وهو يضغط يدها اليمنى بشدة غير اعتيادية وقال:

- لقد نلت للرومان نصراً ما بعده نصر، لكنه سيهلك ابنك الذي غلبته أنت وحدك لا سواك! وبعد تبادل أحاديث خصوصية مع أمه وزوجة فترة قصيرة، أعادها الى روما حسب مشيئتهما.

وفي صباح اليوم التالي، قوَّض المعسكر وعاد بالقولسكان الى ديارهم. وفي أنفسهم انطباعات مختلفة من فعله هذا، فبعضهم كان يندد به ويدين تصرفه، وبعض من كان يميل الى السلم وقفوا على الحياد. وفئة ثالثة اسخطهم ذلك جداً، إلا أنهم لم ينظروا اليه نظرتهم الى الغادر المخادع، بل وجدوا ضعفه الأخير واستسلامه تحت هذا الضغط العاطفي، مما يمكن اغتفاره والتغاضي عنه. وعلى أية حال فان أوامره لم تلق معارضة من أحد، وتبعوه بمنتهى الطاعة وان كانت طاعتهم هذه ناجمة عن أعجابهم بخلقه، أكثر من احترامهم لسلطته.

في الوقت عينه، كشف الرومان عن مبلغ الخوف الذي كانوا يشعرون به، وخشيتهم من الحرب، بما بدأ منهم من تصرفات بعد أن انحابت عنهم سحبها. ما ان تأكد حرس الأسوار من تقويض القولسكان معسكرهم وارتحالهم، حتى عمدوا الى فتح ابواب المعابد كافة بطرفة عين. وراحوا يتوجون رؤوسهم الاكاليل ويستعدون لتقديم الأضاحي والقرايين، كعادتهم عندما تردهم انبياء نصرٍ ساحق ولكن فرحة المدينة كانت فريدة بصورة خاصة في تكريمهم النسوة واظهار دلائل الاعتزاز والإكبار لهن من الشيوخ ومن العامة على حدٍ سواء. ولهج الجميع بمأثرتهم وقال أنهم بلا مماراة منقذات الوطن. وأصدر مجلس الشيوخ أمراً باستجابة كل ما يطلبه من تكريم، وان يحقق لهن الحكام كل رغبة، وكانت طلبتهن قاصرة على اقامة معبد للآلهة الانثى [فورتونا: الحظ]. وعرضن أن تسد نفقات اقامته من تبرعاتهم الخاصة، إن تعهدت المدينة بالصرف على القرايين من الخزينة العامة وغير ذلك من مراسيم التكريم الخاصة بالآلهة، فلم يسع مجلس الشيوخ إلا الاعجاب بروحهن الوطنية، وأمر بانشاء المعبد فوراً، واقامة تمثال فيه

للربة على حساب الحزينة العامة<sup>(٣٥)</sup>. إلا أن النسوة اكتتبن فيما بينهن بمبلغ لعمل تمثال آخر لربة الحظ الذي يؤثر عنه الرومان انه نطق بالعبارة التالية عندما كان يجرى نصبه: «بركات الآلهة هي هديتكُن آيتها النساء».

يقولون إن هذه العبارة سمعت مرة أخرى من فم التمثال. مؤكدة بذلك رأينا في امكان وقوع ما يبدو انه قريب من المستحيل.

من المحتمل أن تشاهد التمثال وهي يتضح عرقاً، أو تنحدر من احدقيته الدموع أو أن يتجمع على سطحه قطرات متحلبه ذات لون دموي، لأن المادة التي صنعت منها وهي الخشب أو الرخام كثيراً ما تتقشر أو تدركها عفونة ينجم عنها رطوبة، وقد تنشأ على سطوحها ألوان مختلفة من جراء التفاعل الداخلي أو من تأثير الهواء الخارجي، وبهذه العلامات، لم يكن من الغرابة والسخف أن يتصور المرء ان الآلهة تريد انذارنا بحدث مقبل. ويحدث أيضاً أن يصدر من التماثيل والصور اصوات قريبة الشبه بالأنين أو التاؤه من جراء تشقق فجائي، أو انفصال داخلي قوي بين اجزائها. أما ان تصدر أصوات قولية ذات تعابير واضحة ولغة دقيقة من جمادٍ فهو في رأبي من المستحيلات. اذ لم يعرف قط عن روح انسانية أو الهية انها نطقت بكلمات أو عبارات لغوية من ذات نفسها ومن دون وجودها في جسم ذي اجهزة واعضاء منتظمة العمل، وحاسة نطق. ولكن لما كانت وقائع التاريخ بما تواتر فيها من الشهادات العديدة الموثوقة، ترغمننا على التسليم بهذه الظاهرة، فعلينا ان نعلل ذلك مستنتجين بأن انطباعاً معيناً خلاف الاحساس البشري الاعتيادي يؤثر على الجزء المتخيل من طبيعتنا، فيبتعد بنا عن الحكم الصائب بحيث يحملنا على الاعتقاد بأننا نحس احساساً مادياً لا غبار فيه كما يحدث لنا في النوم. فنحن نتخيل بأننا نسمع ونرى بينما الأمر ليس كذلك. على ان الاشخاص الذين يكونون إحتراماً عميقاً للآلهة. ويتمسكون بالدين أشد تمسك، لا يسمح لهم احترامهم وتمسكهم بما يعتقدون، بانكار أو دحض اي شيء من هذا القبيل، وحجتهم القوية تكمن في ايمانهم بالصفات الأثيرية العجيبة للقوى الالهية التي لا مجال لمقارنتها بقوانا البشرية، لا من حيث طبيعتها ولا من حيث فاعليتها. ولا من أسلوب فعلها أو قوته؛ وليس مما يناقض العقل، انها تفعل أشياء لا نقوى عليها نحن، ونبتدع أموراً غير ممكنة بالنسبة لنا لاختلافها عننا من شتى الوجوه، وفي مقدمة الاختلاف أفعالها الخاصة، وليس لنا الا الاعتقاد

(٣٥) أقدم في الطريق اللاتيني Via Latina، على بعد اربعة اميال من روما في عين المكان الذي وفقت فيه فيثوريا في التغلب على عناد ابنها [فاليريوس ماكسيموس ٨:١] أما فاليريا التي كانت أول من اقترح هذا الوفد الناجح فقد صارت أول كاهنة للهيكل الذي كانت ترتاده الرومانيات كثيراً (ليفي ٤:٢).

بأنها لاتشبهنا قط، وانها بعيدة جداً عَنَّا. يقول (هيراقليدس):

«ان الشك الذي يلازمننا، ضيع علينا معظم المعرفة باللاهوت».

لما عاد [مارشسيوس] الى آيتيوم، بدأ [توللوس] فوراً باعداد الوسائل الكفيلة بالقضاء عليه وكان كرهه العظيم له بقدر خوفه منه - كان يدرك جيداً لو أن، مارشسيوس أفلت من يده الآن فإن احتمال سنوح فرصة أخرى كهذه، بعيد جداً. فبعد تأليبه عدداً من بني قومه عليه، طلب منه اعتزال منصبه وتقديم الحساب للقولسكان عن أعماله. ولخشية [مارشسيوس] من الخطر الذي يتعرض الفرد البسيط الذي سيكونه، بينما سيبقى توللوس في منصب القائد الحائز أعظم السلطة بين المواطنين، أجاب قائلاً انه مستعد لاعتزال منصبه متى ارتأي، سحب سلطته أولئك الذين تسلمها منهم، كما انه مستعد في الوقت ذاته لتقديم الحساب عن تفاصيل أعماله وتصرفاته متى رغب الانتيات.

وعقد اجتماع عام، وتقدم الخطباء الشعبيون للكلام حسب الخطة المرسومة- ومرادهم اثارة حفاظ الشعب واضرام كوامن احقادهم. وعندما حان دور مارشسيوس ونهض للاجابة، سكت فجأة أكثرهم صخباً وهياجاً، إحتراماً له. وترك يتكلم دون ان يقاطعه أحد. وظهر على أخبار الناس كافة وكل من كان يصبو الى السلام أنهم سيصيخون السمع اليه بكل عطف وانهم سيحكمون عليه بما يتفق مع العدل والوجدان.

فدبّ ديبب الخوف في [توللوس] وخشي نتيجة الدفاع الذي كان [مارشسيوس] يهّم بالقائه، فهو خطيب مفوه ساهر اللسان، زد على هذا فان الخدمات الجليلة السالفة التي قدمها للقولسكان حفظت له في قلوبهم وما زالت تحفظ وداً وعطفاً لا يقلل من شأنه أي اعباء أو تنديد بسلوكه الأخير، والحقيقة هي أن الاتهام كان يحد ذاته دليلاً وشاهداً على عظمة نفسه لأن الشعب لاحق له في الشكوى منه أو اعتبار نفسه مخدوعاً ومغبوناً لأن مارشسيوس عدل عن اخضاع روما. فبفضله وحده اصبحوا على قاب قوسين من فتحها لهذا قدر المتأمرون ان الحكمة تقضي عليهم بالاستعجال في الأمر وعدم التأخر، ليتذقوا طعم المشاعر الشعبية في حكمها لصالح مارشسيوس فصاحت الفئة الجريئة من حزبهم ان لا ضرورة تدعو للاصغاء الى غدار خائن والسماح له بالبقاء في منصبه وممارسة سلطة الطاغية المستبد بين ظهرانيهم. قالوا هذا وحملوا على [مارشسيوس] حملة رجل واحد، وفتكوا به في محل الاجتماع<sup>(٣٦)</sup>.

وسرعان ما تبين أن عملهم هذا لم يقع موقع رضى وقبول من غالبية القولسكان، اذ خرجوا

(٣٦) يقول [ديون] انهم رجموه حتى قُضي عليه. ويتفق مع پلوتارخ إلا في قوله ان الاشتباكات التي حصلت بينه وبين تلوس استمرت عدة أيام. أما شيشرون (الخطب ١٠) فيفضل الرأي القائل بأنه بخر نفسه.

زرافات ووحداناً من مدنهم العديدة لاستقبال جثمانه واظهار آيات التكريم والاحلال له. ودفنوه دفنة مشرفة تليق بمقامه<sup>(٣٧)</sup>، وزينوا ضريحهُ بمختلف تهاويل السلاح والشواخص، وجعلوه مثل اي نصب تذكاري لبطل نبيل، وقائد شهير. ولم يظهر من الرومان شيء يدل على تكريمه أو تحقيره عند سماعهم بمقتله. على انهم استجابوا الى طلب النساء الرومانيات في ان يقمن عليه الحداد ويندبنه لمدة عشرة أشهر، بمقتضى العادة التي جرى عليها عند فقدهم اباً أو ابناً أو أخاً. وهذه أطول مدة من مدد الحداد على الميت التي رسمتها قوانين [نوما پومپليوس]، كما ذكرناها بتفصيل في سيرة حياته.

ولم يمرَّ طويل زمن حتى شعر الفولسكان بفداحة خسارتهم فيه، ومدى حاجتهم اليه. فقد اختلفوا بادي، ذي بدء، مع الايكويين Aequians، حلفائهم واصدقائهم حول تعيين جنرال لقواتهم المشتركة، فأقتتلوا فيما بينهم وسفكت الدماء وهلكت ارواح كثيرة. ثم انهم منوا بهزيمة نكراء على يد الرومان، فيها فقد [تولوس] حياته. وابتدت زهرة جيوشهم ابادة تامة وبهذا ارغموا على الخضوع لهم. وقبول سلم وفق شروط غير مشرفة لهم، وصاروا بذلك، تابعين لروما خاضعين لسلطانها.

---

(٣٧) قتل كريلانوس في السنة الأولى من الاولبياد المائة والثالث والعشرين بحسب هذه الرواية. لكن (ليفي) نقلاً عن كاتب قديم جداً يدعي [فابيوس پكتور] يخالفه في الرأي ويقول انه عاش حتى بلغ من العمر عتياً ومات ميتةً طبيعية.

## أوجه المقارنة بين الكيبيادس وكوريولانوس

بعد أن أتينا الى وصف كل أعمالهما التي تستحق الذكر؛ لنا أن نقول عن القسم العسكري منها أن الكفتين فيهما تقفان على مستوى واحد لايميل الثقل بأحدهما دون الأخرى أبداً فبمقياس كاد يكون متساوياً أظهرهما كلاهما في مناسبات عديدة بسالة الجندي وأقدامه، وابدأ براعة القائد وبعده نظره، خلا أن انتصار الكيبيادس ونجاحه في عدة معارك بحرية وبرية، يضي عليه صفة القائد الأكمل. وطالما كان كل منهما في بلاده متسلماً القيادة فقد كسب لها من المجد والرفعة ما يعادل الأذى الذي الحقه بها عند نفيه منها. ولقد شعر عقلاء الناس كلهم الكيبيادس الى استخدامها في حياته السياسية لخطب ودّ الشعب وكسبه الى صفه. ونفروا من التعالي الاوليغارشي والغرور والغطرسة التي استخدمها [مارشوس] في بلاده وكانت موضع كره الجمهور الروماني له. لايمكن أن يكون هذان الموقفان موضع تقرير أو تقدير. على أن الرجل الذي يحب نفسه للآخرين بالمداهنة والرياء لايلام بقدر ما يلام من يلجأ الى السبّ والإهانة ليتحاشى الظهور بمظهر المداهنة والرياء. إن إطلاب السلطة عن طريق تحقير النفس، والاستعباد للجمهورلهو الإنحطاط بعينه. إلا أن الوصول الى السلطة بالإرهاب والعنف واضطهاد الناس، هو انحطاط وظلم عظيم.

كان [الكيبيادس] حسب فهمنا لخلقه، رجلاً بسيطاً صريحاً لاشكّ فيه. اما الكيبيادس السياسي ورجل الدولة فكان مراوغاً بعيداً عن الاستقامة. ونال الملام الأعظم من الأسلوب الغادر غير الشريف الذي اتبعه مع سفراء اللقيديمونيين، حسب رواية [ثوكيديدس] - فانهى به عهد السلام والاستقرار. على ان سياسته هذه التي ورطت مدينته في الحرب ثانية واصلتها الى منزلة وطيدة وحققت لها مكانة رفيعة بما ضمنه لها الكيبيادس من تحالف مع [ارغوس] و[مانتينيا]، كذلك [مارشوس]، فهو على حدّ ما روى [ديونيسيوس]، استخدم وسائل غير شريفة لإثارة حرب بين الرومان والفولسكان عندما أفتعل نبأ كاذباً حول سوء نوايا مشاهدي الالعب، إن الدافع لهذا العمل، لهو اقبح من دافع الكيبيادس الى عمله، حسب



رأيي لأن سببه لم يكن الحسد السياسي ولا روح المنافسة والمباراة، بل لمجرد ارضاء عاطفة حقدٍ «لم ينل عنها أحدٌ عوضاً على الاطلاق» كما يقول [إيون]، فقذف باقاليم كاملة من إيطاليا في لجة الفوضى، وضخى بكثير من المدن البرينة على مذبح عاطفة كرهه بلاده. الحق يقال، ان الكيببىداس سبب أيضاً نكبات عظيمة لبني قومه، لكنه أمسك عن ذلك حالما تغير شعورهم نحوه، وبعد أن طرد من البلاد للمرة الثانية؛ لا نجده يتشفى بالاختفاء التي ارتكبتها قوادها، ولا أعتبط بعثراتهم. ولم يجلس على التلّ غير مكترث بالخطر الذي يداهمهم، بل قام بشبيه العمل الذي قام به [ارستيديس] [الشموستوكليس] واستحق عليه الثناء الأعظم. أقبل على القيادة وهم أعداء له، وبين لهم ما يجب أن يعملوه. أمّا [كربولانوس] فقد هاجم في مبدأ الأمر كل قومه، وان كان جزءٌ منه فقط اساء معاملته في حين وقف القسم الآخر في صفه وتحمل معه الإساءة - في الواقع وعطف عليه، وهو أنبل الجزئين وافضلهما وثانياً؛ إن العناد الذي ركبه في مقاومة السفارات العديدة والرجاءات والتوسلات التي استهدفت تهدئة غضبه الشديد وشعوره بالإهانة، أظهرت أن أثارته الحرب الزبون على بلاده وتأليب الاعداء ضدها كان الغرض منه القضاء عليها وتدميرها لا استعادتها ونوالها. على أن هناك فرقاً واحداً قد نستخلصه، فقد يقال أن [الكيببىداس] لم يُعده الى احضان اثينا إلا الخطر الذي كان يحدق به وهو بين السبارطيين، فكان عامل الميل لهذا الخوف والكره معاً. في حين لم يكن [مارشوس] يستطيع ترك الفولسكان بصورة شريفة بعد أن أكرموا وفادته، وأمرؤه على جيوشهم وجعلوه موضعاً لشقتهم التامة، فكان موقفه يختلف اختلافاً بيناً عن موقف [الكيببىداس] الذي لم يرغب للقيديميون حتى في استخدامه عارية، أي استعماله ثم نبذه. فكان ينقلب من منزل الى منزل في المدينة ومن جنرال الى جنرال في المعسكر حتى اضطر أخيراً الى وضع نفسه تحت رحمة [طيسافيرنس]. إلا اذا وجب علينا الافتراض بأنه لم يلبجأ اليه ويستمنح رضاه إلا للحيلولة دون القضاء التام على مسقط رأسه. المدينة التي كان يصبو للعودة اليها. أمّا من ناحية المال فلقد قيل لنا أن [الكيببىداس] أهتم كثيراً باطلاه وجمعه عن طريق الرشاوى وانفاقه بأسوء ما يمكن في البذخ والتبذير. لكن [كوربولانوس] ترفع عنه، حتى عندما أرغمه على قبوله قواده، على سبيل التكريم. وان السبب الأساسي الذي ابتلاه بيبغض العامة عند المناقشات حول ديونهم، كان وطنه الفقراء بقدمه لا لأجل المال، بل قحةً منه واعتداداً بنفسه.

ذكر [انتىپاطر Antipater] في رسالة له كتبها عن موت [ارسطو] الفيلسوف العبارة التالية «من بين الصفات التي تخلّى بها، قوة العقيدة». وافتقار خلق [مارشوس] الى هذه

المزينة جعل كل أعماله المجيدة، وفضائله الحميدة غير مقبولة من المنتفعين بها و«الكبرياء والاعتداد بالنفس صنوان للعزلة» كما يقول [افلاطون]، وهذا ما جعله مكروهاً. أما الكيبيادس، فالبراعة التي حازها في معاملة كل أمرء بأحب أسلوب اليه خلافاً لما رثيوس، لم يكن عجباً أن يلقي كل انتصاراته اعظم التكريم وخالص الامتنان، حتى غلطاته نفسهابين آن وآخر، تجد فيها نوعاً من البركة، واللطف. ولذلك تراه رغم الأذى الكثير الذي احدثه بالمدينة، يعاد انتخابه للسلطة والقيادة تكراراً، في حين فشل [كوربولانوس] في سعيه لنيل المنصب الذي استحقه بخدمة العظيمة الأول، رغم ما أحدثه من ضرر بقي محبوباً ولم يكره. والثاني لم ينجح في نيل محبة بني قومه بكل الأعجاب الذي ناله.

زد على هذا، ما يجب قوله وهو أن [كوربولانوس] لم يحز لبلاده نجاحاً ونصراً عندما تولى القيادة العسكرية. وانما كانت انتصاراته كلها لعدوه ضد بلاده. واما [الكيبيادس] فخدماته لآثينا كثيرة، قائداً وجندياً. وطالما يكون موجوداً فهو المتفوق أبدأ على خصومه السياسيين ولا يفلح الدس عليه الا في غيابه. وأدين [كوربولانوس] حضورياً في روما وبالشكل نفسه قتله الثولسكان، ولم تكن ادانته أو قتله بأي وجه حق أو تطبيقاً لبدأ العدالة، إلا أنهما لا تخلوان من أسباب وحجج نشأت عن أعماله نفسها. مادام فرط في فرص عسكرية موآتية، بعد رفضه كل المقترحات السليمة علناً، ونزوله عند وساطة النساء سراً، دون اللجوء الى عقد صلح وتثبيت دعائم سلم. كان يجب عليه أن يحصل على موافقة أولئك الذين وضعوا ثقتهم فيه قبل أن يعتزم الانسحاب، هذا اذا كان حقاً يعتبر مصلحتهم فيه هي الأقوى أو أن قلنا بأنه لم يكتث بمصلحة الثولسكان وانه ما شن الحرب (التي عافها الآن) إلا ليشفي غليله ويرضي عاطفة حقه، فان العمل النبيل لن يكون الصفح عن بلاده بسبب أمه، ولكنه عمل أمه لوطنها. ما دامت أمه وزوجه جزء لا يتجزأ من البلاد التي أحرق بها الخطر. لقد رفض رفضاً قاسياً شفاعة الجمهور، ووساطة السفراء، وضراعة الكهنة، وبتنازله عن كل شيء، كفضل خاص حابي به أمه، فقد أكرمها إكراماً أقل وقعاً من تحقيره المدينة التي ما نجت إلا بوساطة امرأة واحدة على ما يبدو، ورغم الاخطاء التي ارتكبتها. فضل كهذا هو الواقع فضل مقيت مر المذاق، غير معقول في أعين الطرفين. لقد انسحب دون يلبى طلب خصومه، أو يطلب الموافقة على انسحابه من أصدقائه. والعلة كلها تكمن في خلقه المتعالي المعتد والستوحش الغطريس، وهو خلق مكروه من معظم الناس في كل الحالات، وتكون الطامة الكبرى أن اقترن هذا الطبع بطموح الى الرفعة والامتياز، فإنه يتقلب الى قسوة ووحشية صرفة.

يأبى بعض الناس أن يستمنحوا الشعب فضلاً لزعمهم بأنهم ليسوا بحاجة إلى أي تكريم منه، ويتميزون غيظاً عندما لا يظفرون به. ومن المؤكد أن [ميتسيللوس وأريستيديس وإپامنداس] لم يطلبوا فضلاً من الجمهور، وكان ذلك لأنهم والحق يقال، لم يقيموا أو يقدروا قيمة الهبات التي يحبسها الشعب بمجموعه أو يمنحها. كذلك لم يظهروا حقداً أو يستولدوا ضغنا لبني قومهم عندما أبعادوا إلى المنفى أكثر من مرة، بل لم تزايلهم الرغبة في العودة قط، وكانوا يعملون لها وللمصافاة مع الشعب عند تحول الشعور العام نحوه ومن كان ازهد الناس في طلب المنّة والفضل ولا يُعطاءه. والشعور بالكرامة الجريحة لما يحبس عن المرء ما يهفو إليه من الرفعة والمكانة، لا ينشأ إلا عن الشهوة العارمة اليهما. ولم يؤثر عن [الكيببidas] أنه أخفى سروره واغتباطه بأي تكريم ناله. كما كان يتألم من الإهمال وعدم الاكتراث، لذلك حرص دوماً أن تكون علاقاته طيبة مع بكلّ من عرفه. وكبرياء [كوربولانوس] حالت بينه وبين اظهار اللطف والرعاية لمن كان بيدهم رفعة واعلاء شأنه. ومع هذا فان غرامه الشديد بالمعالي جعله يشعر بالكرامة الجريحة والغيظ لما أهمل الشعب أمره. وتلك ناحية النقص في طبعه. وطبعه فيما عدا هذا نبيلٌ فرقتة وعفته وامانته تجعله في مصاف عظماء الأغربق وأطهارهم، وهو على كلّ ليس من الفئة التي ينتمى إليها [الكيببidas] أقل الناس تمسكاً بهذه السجايا، وأكثرهم إهمالاً لها.

تموليون

**TIMOLEON**

410 - 336



بدأت بكتابة السير لأجل الآخرين، إلا أنني وجدت نفسي أباشرها وأعكف عليها لأجل نفسي. فأخلاق وطبائع هؤلاء العظماء، صارت عندي أشبه بالمرأة التي ألحظُ فيها كيفية تقويم حياتي وتعديل سيرها. هذه الكتابة في الواقع لا تخرج عن وصف الحياة اليومية واللقاءات والمخالطات البشرية، ونحن في تحقيقاتنا عنها نلتقي ونرحب بضيوف متعاقبين فنظر إلى:

«... منزلتهم والى خلقهم وطبعهم»

ونختار من أعمالهم الأنبل، والأجدر بالذكر:

«فآه! واية لذة عظيمة تلك التي ينال المرء منها»

وأية وسيلة أقوى أثراً منها في رفع مستوى اخلاق المرء!

يقول لنا [ديموقريطس] «ينبغي لنا ان نتمنى لأنفسنا لقاء السمع الكريم من جمهرة الأطياف التي تسبح في الأثير المحيط بنا، والأخلق بنا أن نختار منها الأقرب الى اذواقنا وطباعنا، أي الاطياف الصالحة الخيرة، لا الطالحة الشريرة.»

هذا القول إنما يقحم في الفلسفة مبدأ غير صحيح في ذاته، يؤدي بالمرء الى معتقدات خرافية لا نهاية لها، وهذا مخالف لطريقتي؛ فبدراستي التاريخ، وبالعادة التي الفتها في الكتابة روضت ذاكرتي على إقتبال واستيقاء صور أفضل الشخصيات وبرزها في الحياة. وهذا ما مكّني من معالجة نفسي وتحريرها من الانطباعات الخسيسة الوضيعة الفاسدة المنتقلة اليّ بعدوى سوء العشرة المفروضة على نفسي رغم أنني - بدواء تحويل افكاري نحو الأمثلة الرفيعة الشريفة، بمزاج هاديء مبهج. وقد أخترت الآن لكتابتي من هذه الطائفة مثلين هم [تيموليون الكورنثي] و[پاولوس اميلوس] رجلان وقفا على درجة واحدة من سلّم الشهرة لا باخلاقهما بل بالنجاح الذي أصاباه في الحياة. حتى بات من المشكوك فيه أن يدينا بأعظم أعمالها الى حسن حفظهما، ام الى سعيهما وألمعيتهما.

كانت أحوال السيراكوزيين قبل إرسال [تيموليون] الى صقلية، قد آلت الى الوضع الآتي:

بعد أن عمد [ديون Dion] الى طرد [ديونيسيوس] الطاغية، قُتل غيلةً وخيانةً، وأنقسم أعوانه الذين ساعدوه في تحرير سيراقوز، على أنفسهم. وكادت المدينة تقفر من سكانها لكثرة تبدل يد الحكام عليها. ولتعاقب سلسلة من المصائب والويلات فيها<sup>(١)</sup>. وبات قسم من صقلية بلقياً يباباً خالياً من السكان لاستمرار الحروب مدة طويلة، ووقع معظم المدن التي نجت من التدمير في ايدي البرابرة والجنود العاطلين غير المرتبطين بخدمة، المستعدين لمصانعة اي شكل من الاشكال الحكم. تلك هي الحال عندما اهتبل [نيسيسيوس Nysaeus]<sup>(٢)</sup> سيد [سيراقوز] في السنة العاشرة لنفيه. وليستعيد مجدداً سلطانه ويستقر في ملكه. لقد كان غريباً أن يفلح حزبٌ صغير جداً خلال الفترة الأولى من حكمه، في تجريده من أعظم سلطاته وأشدّها استبداداً. على أن الأغرّب منه نجاحه في استعادة تلك السلطة وهو في المنفى لا حول له ولا طول، وفرض نفسه حاكماً مطلقاً على من طردوه. ووجد من بقي في سيراقوز أنفسهم مرغمين على طاعة طاغيةٍ وخدمته. طاغيةٍ مستبدٌ، فظّ الطبع (ان استخدمنا أخف وصف له). أمتلاً غيظاً الآن الى درجة الوحشية بما اصابه من بلايا ونكبات. ولجأ سراة القوم وأخبارهم الى [هيكيتس Hicetes] حاكم [الليوتينيين]<sup>(٣)</sup> في الوقت المناسب، ووضعوا أنفسهم في حمايته وأختاروه قائداً لهم في الحرب لا لأنه يفضّل في شيء، أي طاغيةٍ مستبدٍ عنيد، بل لأنه الملجأ الوحيد الذي وجدوه في حينه وما منحهم شيئاً من الثقة منه: إنه من أسرة سيراقوزية، ويملك القوات التي تمكّنه من منازلة قوات [ديونيسيوس].

في هذا الوقت ظهر القرطاجيون على ساحل صقلية بأسطول عظيم، وراح سكان الجزيرة يرصدون المكان والزمان الذي يختاره الغزاة للنزول الى بلادهم. ودفعهم الرعب من الاسطول الى ارسال وفد الى بلاد اليونان لطلب العون من الكورنثيين الذين كانوا محلّ ثقتهم أكثر من غيرهم<sup>(٤)</sup> لا للقرابة التي تصل فيما بينها ولا للفوائد العظيمة التي طالما جنوها من وضع

(١) قُتل ديون الذي طرد ديونيسيوس الأب من سيراقوز في ٣٥٧ ق.م وقام قاتله [كاليبوس] باغتصاب السلطة لنفسه لكنه طرد منها بعد عشرة اشهر. وقتل بعين الخنجر الذي غيبه في صدر صديقه. وأقبل هيبارينوس Hipparinus أخو ديونيسيوس يقود اسطولاً كبيراً احتل المدينة وابقاها تحت حكمه زهاء سنتين وأنقسمت صقلية الى شيع واحزاب وكتل حاكمة.

(٢) كان رجلاً عسكرياً لامعاً. وقائداً عاماً بأمر ديونيسيوس.

(٣) هؤلاء القوم كانوا يسكنون مدينة اسمها ليونتيني كما يثبتها هيرودوتس وهي لا تبعد كثيراً عن شمال سيراقوز بين نهري ليسوس وفيويوس. يعزى بناؤها الى الخلقيديين. ويطلق على الريف المحيط بها ليوستريكوني أو مخيم ليونتيني وأشتهر بخصوصيته.

(٤) أوجد أرخياس الكورنثي المستعمرة السيراقوزية في ٧٣٢ ق.م. كان الفينيقيون قد غزوا صقلية قبل ذلك بثلاثمائة عام وانشأوا فيها مستعمراتهم.

ثقتهم فيهم بل كذلك لما أظهرته كورنث دوماً من شدة تعلق بالحرية، ونفرة من الطفيان ودخولها في عدة حروب لا سعيّاً وراء الكسب والعظمة بل، دفاعاً عن حرية الأغريق ليس إلاً. إلا أن [هيكتيس] الذي جعل هدف قيادته تحرير السيراكوزيين من ظلم طاغية، لإستعبادهم بطغيانه؛ كان قد اتصل سراً بالغزاة القرطاجنيين وفاوضهم وتوصل الى اتفاق معهم، بينما كان يمتدح جهراً غايات اتباعه السيراكوزيين، حتى انه ارفق بوفدهم الى الپيلوپونيس وفداً من لدنه لا لرغبته في نيل أية معونة أو نجدة تأتي منهم. بل كان أمل أن يرفض الكورنثيون بذل العون وهو أمر قريب الإحتمال بسبب الاضطراب الذي كان يسود بلاد الاغريق وانشغال هؤلاء فيه، واذا ذلك يكون أقدر على تحقيق مصالح القرطاجنيين بسهولة، وتنفيذ ما تعهد لهم به، وبهذا الأسلوب يتمكن من استعمال الغزاة الأجانب اداة لتحقيق اغراضه، وقوة احتياطية له يوجهها ضد السيراكوزيين أو ضد [ديونيسيوس] حسبما تدعو اليه الظروف وقد أنكشفت خطته هذه فيما بعد.

وصلت السفارة الى الكورنثيين، وعرضت مهمتها. وكان هؤلاء القوم دوماً شديدي الرعاية والإهتمام بكلّ جالياتهم وزراعتهم في الخارج. إلا أنهم خصّوا [سيراكوزا] بأعظم اهتمامهم وكان الوضع في كورنث مستقرّاً اذ ذاك، والقوم يتمتعون بظّل السلام الوارف والراحة فصوتوا بالإجماع على تقديم العون لهم. وفي اثناء ما كانوا يتداولون في أختيار قائد للحملة، والحكام يجاولون في طلبات مختلفة من أولئك الطمّاحين الى المجد. نهض واحدٌ من الجمع الحاشد ونطق باسم [تيموليون] ابن [تيموديموس Timodemus] الذي كان قد توارى منذ زمن طويل عن ميدان الشؤون العامّة ولم تكن لديه اية فكرة أو دعوى لهذا النوع من المناصب. ويبدو وكأنّ إلهها من الآلهة أوحى الى قلب هذا الرجل بذكر اسمه، وظهرت محاباة آلهة الخطّ، وحسن نواياها في انتخابه، وفي مرافقتها كلّ أعماله التالية حتى لكانها أوصت بجدارته وأضاف السموّ والشهوة الى اخلاقه الشخصية لغاية في نفسها. كان [تيموديموس] أبوه و[ديمارست Demariste] أمّه من الطبقة العليا في المدينة. واما عنه فقد أشتهر بحبّ وطنه، ورقّة طبعه، خلا مقتته الشديد للطغاة واشرار الناس وكانت قابلياته الطبيعية في الحرب والقتال حسنة التكوين فيه بحيث أنه ظل يظهر شجاعةً وأقداماً نادرين في آخر مآثره ووقائعهم عندما بلغ من العمر اراذله، لا يقلانّ ابدأ عن الكفاءة والألعيّة التي بدأت في كلّ مشاريع شبابه. وكان أخوه الأكبر [طيموفانس Timophanes] لا يشبهه في شيءٍ، فهو حادّ الطبع متهور أحمق، أفسده بعض اصدقائه، والجنود الاجانب الذي كانوا يلازمونه وأغوا في نفسه حب النزوع الى السلطان المطلق، ويبدو انه كان قد كسب اسماً وتبريزاً في كل فنون الحرب، بل



كان ركّاب اخطارها وفارسها المجلّي، ولهذا وقع حُبه في قلوب الناس، ورفعوه الى مناصب هامة لحسن بلاته وجسارته وكان فضل تيموليون عليه في وصوله الى مركزه كبيراً، فقد دأب على اخفاء هفواته أو التقليل من شأنها على الأقل، يكسو بثنائه العاطر كلّ ما يستأهل الثناء من أعمال اخيه، ويدفع الجانب الطيب من شمائله مشجعاً لتنتلق بما فيها من فوائد وحسنات.

حدث مرّة في معركة خاضها الكورنثيون ضدّ قوات [ارغوس] و[كليوني Cleonae] (٥)، أن كان تيموليون جندياً في صنف المشاة، و[طيموفانس] يقود خيالتهم، فاستهدفت حياته الى خطر جسيم اذ جُرح حصانه وكبابه ورمحه الى أواسط العدو في حين تفرقت عنه كتيبته وولت الأدبار فزعاً، وكانت الشرذمة الباقية القليلة العدو التي تواجه قوات عدوه متفوقة قد دبّت فيها الفوضى وعجزت عن الصمود ولو لساعة. وما أن علم [تيموليون] بالخطر المحدق قد هرع لانقاذه وستر بترسه جسده الذي أصيب هو ودروعه بكثير من طعنات الرماح والسيوف. وقاتل العدو حتى أرغمه على التقهقر بعد لأي وحمل أخاه وعاد به حياً سالماً.

وعندما خشي الكورنثيون على حرية مدينتهم بالسماح لحلفائهم بدخولها، اصدروا مرسوماً يقضي بتجنيد اربعمائة جندي اجنبي مرتزق للمحافظة عليها، وسلمت قيادتهم [لطيموفانس] فما لبث ان تجبّر ولم يرع مبدء من مباديء الشرف، وجعل نفسه حاكماً مطلقاً واخضع البلد الى سلطانه الفرد. وبعد ان فتك بالعديد من رؤساء القوم ممن خشي صولتهم ومقاومتهم نواياه دون إدانة ولا محاكمة؛ اعلن نفسه طاغيةً لكورنث. ووقع هذا على [تيموليون] وقعاً أليماً، معتبراً شرور أخيه مصدر خزي له وبلوى. وحاول اقناعه بالمنطق والعقل بالعدول عن سبيل الغواية والطموح السيء النقيبة. وان يبحث عن وسيلة لاصلاح ومعالجة الشرور التي الحقها بيني قومه. فازدرى [طيموفانس] تحذيره المخلص ورفضه. وكرر [تيموليون] محاولته وأخذ معه [اسخيلوس] قريبه شقيق امرأة طيموفانس، وكاهناً نبياً صديقاً يطلق عليه ثيوموپوبوس في تاريخه اسم [ساتيروس Satyrus]، ويسميه [ايفوروس Ephorus] وطيمماؤوس في تاريخهما [اورثاغوراس Orthagores]. عاد اذن الى أخيه برفقة هؤلاء، وتحوطوه وأخذوا يلحفون عليه بالرجاء في الموضوع نفسه وينصحونه باخلاص الى الاصغاء لصوت العقل وأبدال طرائقه. لكن [طيموفانس] راح يضحك ساخراً من سذاجة الرجال ثم انفجر بهم محقناً ساخطاً فما كان من [تيموليون] إلا أن انتحى جانباً عنه ووقف يبكي بوجه مستور في حين انتضى الآخران سيفيهما ووثبا على الطاغية وقتلاه في الحال (٦).

(٥) آخر قرية ارغولية من جهة كورنث.

(٦) لديدورس الصقلي (١٠:١٥) رواية أخرى مختلفة، قال: بعد أن قام تيموليون بقتل أخيه بيده في ميدان =

وسرعان ما شاع النبأ. وأشاد سراة الكورنثيين وكرامهم بتيموليون كثيراً، وقدرُوا فيه بغضه الجور وسَمُو نفسه التي جعلت التزاماته تجاه وطنه أقوى من وشائج القربى، رغم كونه رقيق الطبع، شديد الحب والعطف على أسرته، وهكذا قدّم ما هو عدل وخير على الربح والفائدة والمصلحة الشخصية. فأخوه الذي أنقذ حياته بشجاعة خارقة عندما كان يحارب في سبيل كورنث ببسالة وأخلاص، قام الآن بقتله لأنه استعبدها فيما بعد باستبداده القذر. فكانت تضحية منه في غاية الثُبُل. على أن أولئك الذين لا يعرفون كيف يعيشون في ظلّ الديمقراطية، ممن تعودَ حطّة التزلف للوضع للحكام ورجال السلطة، راحوا سرّاً يسلقون [تيموليون] بالسنتهم الحداد، ويشيرون اليه بالرجل الذي أقترف عملاً لا أشنع منه ولا اقبح، مع انهم أظهروا في العلن شدة اغتباطهم بمقتل الطاغية. فانتاب [تيموليون] الغم والكآبة الشديدة. ولما علم كم كان وقع الأمر شديداً على أمّه، وكيف أنها جارت بالشكوى الأليمة وصبّت عليه أقسى اللعنات وأهولها كأولئك الآخرين. قصّدها ليشرح لها ما وقع ويبرّر عمله لها، فوجد أنها لا تريد حتى النظر اليه اذ أغلقت ابوابها دونه لئلا يجد سبيله اليها. فنال منه الهمّ كثيراً وطاش صوابه وبلغ به اليأس حدّاً أن قرر معه وضع نهاية لقلقه بقتل نفسه بالاضراب عن تناول الطعام حتى الموت. إلا أن عناية اصدقائه وسهرهم المتواصل والشدّ عليه بين الالحاح والتوسّل، الى استخدام القوة والارغام ادى في نهاية الأمر الى أن يقرر ويعد باحتمال العيش شريطة أن تحترم عزلته التامة، وابتعاده عن اي عشرة. وهكذا تقطعت الاسباب بينه وبين الحياة العامة وحلت بينه وبين المجتمع جفوة تامة وخرج من كورنث وظلّ بعيداً عنها مدة طويلة يهيم على وجهه في الحقول والفيافي تعذبّه افكاره وتقضّ عليه مضجعه. ينفر أشدّ النفرة من اي صلة بالناس أو علاقة بالحياة الاجتماعية.

حقيقة لا جدال فيها: وهي انه ليس ثم أسهل من هزّ عقول الناس وافقاداتها التوازن والصواب بكلمة مدح أو قذح تقال لها. إلا اذا كانت الأحكام المتخذة والغايات المنشودة مبنية على قاعدة الفلسفة والوعي، فتحوز صفتي الثبات والمتانة. وليس يكفي في العمل أن يكون عادلاً ومدوحاً بحدّ ذاته. بل يجب أن ينشأ من دوافع مكيّنة ومبدأ راسخ، وسيظلّ اذ ذاك جميلاً في اعيننا. ونبقى راضين عنه رضاً تاماً لا يتزعزع. فإن لم يكن العمل كذلك، فسيسلمنا ضعفنا الى القلق والاضطراب عندما يدبّ في مظهري الصلاح والجمال اللذين زينا

= السوق، ثارت ثائرة المواطنين وهاج هائجهم فلاجل تهدئة الخواطر التأمّت الجمعية العامة وفي حمى النقاش وصل سفراء صقلية وطلبوا جنراً. فصار الإجماع على تيموليون إلا أنهم حذروه قائلين: «إن أديت واجبك بنجاح فستعامل معاملة من قضى على طاغية. وإن أخفقت فستعامل كمجرم قتل اخاه. إلا ان رواية بلوتارخ قد تكون ارجح وقد ايدتها مراجع أخرى.

لنا العمل، ديببَ البلى وتُخلق جدته في خيالنا، كالناس النهمين، فهم يتهافتون على أذم ما في الصفحة من اللقم، ثم ما يلبثون أن يعافوها عندما تتخم بطونهم بالأكل فيحسون بالضيق والتعب مما كانوا شديدي الاشتهااء له،

إن الكره الذي يعقب الحب، يفسد خير الأعمال، والندم يجعل اروع الأعمال وأحسنها تأديةً، وضيعاً حافلاً بالاخطاء. في حين لايتغير الاختيار المبني على أسس المعرفة والتحكيم العقلي، بعوامل الخيبة والإخفاق، ولا يُسلمنا الى الندامة. وقد يتفق أن يكون عملنا عند انحازه، أقل نجاحاً من المأمول، وفي هذا الصدد أذكر قولاً مأثوراً [لفوكيون Phocion]. كان هذا قد وقف من تدابير [لوسثينيس Leosthenes] موقف المعارضة الشديدة المستمرة. وعندما رأى علام النجاح تتوالى وقومه مغتبطين بها، يقدمون القرابين بمناسبة الانتصار، قال لهم:

- إن السرور الذي قد ينتابني فيما لو كنت أنا الذي حقق لكم انتصار ليوسثينيس بدلاً منه، يعادل سروري لكوني أنا الذي أدلى برأي ضده.

ولدينا جوابٌ آخر أشد من هذا وأوقع. عندما طلب [ديونييسيوس] الأكبر الزواج من إحدى بنات [ارستيدس] اللوكري Locria صاحب افلاطون. رد عليه بما يأتي:

- أفضل أن أرى العذراء تدرج في قبرها، على أن اراها في قصر طاغية!

وفي سورة غضب [ديونييسيوس] لهذه الإهانة، عمد الى قتل ابناء [ارستيدس]، ثم عاد يسأله بوقاحة: أما زال مصرأ على رأيه السابق في مصائر بناته، فأجابه ارستيدس:

- لايسعني إلا أن أتالم، لوحشية اعمالك، إلا اني لست بأسف على حرية كلماتي.

على أن الآلام التي استولت على [تيموليون] لما فعله، حطمت عزيمته وسحقت روحه، وسواء كان ماتها تعاسة مصير أخيه، أو الأحرام الذي يكنه لأمه فقد بقي زهاء عشرين عاماً عازفاً عن شرف المساهمة في حياة بلاده السياسية، ولما قُدم اسمه مرشحاً لمنصب الجنرال وأيد الترشيح إقبال الجمهور بكل سرور على الاقتراع له، قصده [تيلكليدس Teleclides] وكان في حينه أقوى وأبرز رجل في كورنث وبدأ يحضه على القبول بقوله، أن الواجب يحتم عليه الآن أن يتصرف كما يتصرف الرجل الشجاع الجدير بالاحترام...

- لأنك إن أظهرت في مهمتك هذه تفانياً وبطولة فسنجمع على أنك أنقذتنا من طاغية حقاً. وإلا كنت قاتل أخيك في نظرنا.

وفيما كان يستعد للإبحار، ويجند المحاربين، وصلت الكورنثيين رسائل من [هيسستيس] توضح تمرده وخيانتته. إذ ما أن توجه سفرأه الى كورنث حتى ألقى بحظه الى جانب

القرطاجنيين، وفاوضهم في معاونته على ازاحة [ديونيسيوس] وحلوله محلّه في [سيراقوزا]. ولما كان يخشى على خطته الفشل في حالة وصول جيش وقائد من كورنث قبل تنفيذها، فقد بعث بكتاب على جناح السرعة ليحول دون ذلك، قائلاً بالأحاجة تدعوهم الى تكبيدهم العناء والنفقات والتعرض لأخطار حملة الى صقلية، فقد اضطره تباطؤهم في ارسال النجدة الى قبول التحالف مع القرطاجنيين ضدّ [ديونيسيوس]، وان هؤلاء سيترصون بحملتهم، ويهاجمونها في عرض البحر باسطول ضخم. وازالت تلاوة هذا الخطاب على الجمهور كلّ تردد في النفوس، حتى الباراد غير المكترث بالحملة منهم، وثارت كوامن سخطهم على [هيسيتيس] وأضطرت نفوسهم غيظاً وأقبلوا جميعاً على تجهيز حملة تيموليون بحماسة واخذوا يستعجلونه في الرحيل.

لما جهزت السفن، وكملت أهبة الجنود من كل النواحي. حدث أن حملت كاهنة الربّة [پروسپرنا: ربة الخصب] حلاًماً أو نزلت عليها رؤيا، خلاصتها إنّ هذه الربّة وأمّها [سيريس: آلهة الزراعة] ظهرنا في عدة السّفَر، وقالتا للكورنثيين انهما ستبحران الى صقلية مع [تيموليون]. وعندما قام الكورنثيون ببناء سفينة مقدسة اسموها «سفينة الربّات» وكرسوها لهما. ثم أن تيموليون رحل الى [دلفي] بنفسه وضحّى لاپوللو، ثم نزل الى موضع الوحي من المعبد، ليفجأ بالرؤى الخارقة الآتية: انزلت عصابة رأس مطرزة بالتيجان وصور النصر من بين الهدايا المقدمة وطارت في فضاء المعبد ثم سقطت مباشرة على رأسه، وهكذا بدأ وكان ابوللو يتوجّه بالنجاح مقدماً ويرسله الى هناك للفتح والنصر. وأنطلق في عرض البحر بعشر سفن فقط: سبع منها كورنثية، واثنتان من [كوركيريا]<sup>(٧)</sup> وواحدة تبرع بها الليوكاديون Leuca-dia، ودخل أحشاء البحر ليلاً تدفعه ربح رخاء وعلى حين غرة انشقت السماء وخرج منها لهب ساطع منتشر واخذ يحوم فوق سفينته، ثم تجمعّ اللهب ليغدو مشعلاً شبيهاً بالمشاعل ملازماً جانبها، ليديها بنوره الى الجزء الايطالي الذي قرروا النزول فيه وايدّ السحرة أن هذه المعجزة تؤيد حلم الكاهنة، لأن الربتين ترافقان الحملة فعلاً. وقد ارسلنا هذا النور من السماء ليتقدمهما: ذلك لأن صقلية مكرّسة [لپروسپرنا] لزعم الشعراء أن حادثة الخطف وقعت هناك وان الجزيرة أعطيت مهرأ لها<sup>(٨)</sup> عندما تزوجت [پلوتو]: آله الموتى وجهنم.

شجعت هذه الخوارق الآلهية أفراد الحملة كثيراً. فانطلقوا باقصى سرعتهم في رحلتهم

(٧) هي كورفو وقد عرفت ايام هوميروس موطناً للفياكين. وليكاديا هي شبه جزيرة مجاورة. اشتهرت بلسانها المشهور باسم «قفزة الحب».

(٨) في اليوم الثالث من الزفاف أعطت العروس هدية للعريس عند ظهورها لأول مرة دون برقع بحسب عادات ذلك الزمان. ولهذا السبب يطلق عليها اليونان كلمة «أناكالويسوريون».

يشقون عباب الاوقيانوس حتى وجدوا أنفسهم بعد زمن قصير يجرون على طول الساحل الايطالي. إلا أن الانباء التي وردت تيموليون من صقلية أقلقته كثيراً وثبتت عزائم جنوده. فقد تغلب [أكيتيس]<sup>(٩)</sup> على [ديونيسيوس] في ساحة القتال وأخضع لسلطانه معظم أحياء مدينة سيراكوز نفسها، وهو في تلك اللحظة يطوقه ويحاصره في قلعتها وفي ما يسمى بالجزيرة حيث هرب وجعلها ملجأه الأخيرة. في حين كان على القرطاجيين حسب الاتفاق، ان يحولوا دون نزول [تيموليون] في أي ثغر من ثغور صقلية. فبطرده وطرده اتباعه، يمكنهم على هونهم وهواهم تقسيم الجزيرة فيما بينهما. وعلى هذا الأساس بعث القرطاجيون بعشرين من بوارجهم الى [ريجيموم]<sup>(١٠)</sup> ومعها سفراء من [هيسيتيس] الى تيموليون، وقد حملهم تعليمات مناسبة لخطة هذه ومقترحات خادعة للإلهاء وحكايات ظاهرها معقول، لستر وتزويق غايات غير شريفة. أمروا أن يقدموا اقتراحاً يتضمن الطلب من تيموليون ان يحضر الى [هيسيتيس] ان شاء وبشاركه كل فتوحاته بعد ارساله السفن والجنود الى كورنث لأن الحرب تكاد تكون في حكم المنتهية. والقرطاجيون قد أغلقوا المدخل وعزموا على صدّهم اذا حاولوا اقتحام سبيلهم عنوة الى الساحل، وعندما التقى الكورنثيون بالوفد في [ريجيموم] ووعوا رسالتهم وشاهدوا السفن الفينيقية راسية في الخليج ثارت كرامتهم للاهانة وسادهم سخط عام على [هيسيتيس] وقلّكهم خوف شديد على جيرانهم الصقليين Sicaliotes، الذين سيكونون ثمناً وتعبيراً [لهيسيتيس] على غدره من جهة، وغنيمة للقرطاجيين بسبب ما يمارسونه من سلطان على [هيسيتيس] من جهة أخرى.

كان أشبه بالمستحيل هزم السفن القرطاجية التي تقع عليهم الطريق وعددها ضعف عدد سفنهم. كذلك كانت مسألة دحر الجنود الظافرة التي يقودها [هيسيتيس] في سيراكوز وأخذ زمام المبادرة منه بأولئك الجنود الذين ابحروا في الحملة.

ذلكم هو الموقف برمته. فبعد أن تحدث [تيموليون] برهة مع وفد [هيسيتيس] ورؤساء القرطاجيين قال لهم: إنه موافق بكل سرور على مقترحهم (وأي جدوى في رفضه؟) لكنه يرغب قبل عودته الى [كورنث] أن يكون أهالي [ريجيموم] على بينة تامة بكل ما دار من مفاوضات بينهما وان تذاع لهم بشكل علني لأن المدينة اغريقية، وتربطها بالجانبين صلة الصداقة، وهذا

(٩) وجد اكيثيس نفسه بحاجة الى ارزاق فانسحب كم حصار سيراكوز متجهاً الى بلاده فخرج عليه (ديونيسيوس) وهاجم مؤخرته إلا ان (إكيتيس) استدار وواجهه وقتل ثلاثة آلاف من رجاله ثم تعقبه الى داخل المدينة وأحتل جزءاً منها. ويذكر بلوتارخ أن المدينة التي قُسمت بأسوار قوية بدت وكأنها مجموعة من المدن.

(١٠) (من أعمال كالابريا) تقع في مضيق مسينا.

التدبير سيكون ذا أثر كبير على سلامة عودته، كما سيجعلهم متمسكين وملتمزين بشروط الاتفاق لمصلحة أهالي سيراكوز حيث كانوا أشهدوا على أنفسهم علناً بمساعدتهم.

كان هدف [تيموليون] من كل هذا تحويل الأنظار عمّا بيته، وهو اهتبال فرصة للإنسلاط باسطوله من بين سفنهم، ولم يكن سراة المدينة واعيانها يجهلون غرضه، بل عمدوا الى مساعدته في تنفيذه، تحذوهم رغبتهم الشديدة في تولي الكورنثيين زمام الأمور في صقلية، ويدفعهم خوفهم العظيم من مغبة مجاورة البرابرة لهم. ولذلك دُعي الى عقد اجتماع عام وأغلقت ابواب المدينة لئلا ينشغل المواطنون عنه بشؤونهم الخاصة، وتعاقب الخطباء على المنبر كل بدوره لشرح الموضوع للشعب، ينتهى واحد ليبتديء آخر وهكذا دون التوصل الى نتيجة، يتعمدون تبديد الوقت بالكلام الفارغ حتى تخرج السفن الكورنثية من المرفأ. وكان رابنة السفن القرطاجنية قد عوّقوا في المدينة لهذا الغرض، ولم ينتبهم اي شك، لأن [تيموليون] بقي معهم، وكان يبدي اشارات من يحاول التهيؤ للقاء خطاب. ثم وردته اشارة سرية تعلمه بخروج بوارجه كلها الى عرض البحر<sup>(١١)</sup>، خلا سفينة التي كانت بانتظاره، وتمكن بالتخفي ومساعدة [الريجيين القربين في المنصة، من النزول عنها سراً والتسلل بين الحشود وأسرع الى الميناء ليبحر فوراً ويدرك باقي السفن؛ ووصل الاسطول كله الى [تارومينيوم - Tauromeni- um] المدينة الصقلية. وكان حاكمها المدعو [أندروماخوس Andromachus] قد دعاهم قبلاً، فاستقبلهم ورحب بهم أحسن ترحيب. كان اندروماخوس هذا، والد المؤرخ [طيمائوس]، وهو بلا جدال أو مقارنة خير حكام صقلية آنذاك. فقد نشر العدل في المدينة. وجعل الكلمة العليا للقانون، وكان يمقت الطغاة مقتاً شديداً، ويعاديهم عداً صريحاً. لذلك سمح [لتيموليون] بانزال جنوده هناك، واتخاذ مدينته مقراً لادارة دفة الحرب، وأقنع السكان بالانضواء الى صفوف الحملة الكورنثية ومساعدة [تيموليون] في أنجاز مهمته.

بعيد إرفضاض اجتماع [ريجسيوم] أدرك القرطاجنيون المتخلفون هناك ان تيموليون أفلت منهم، فثار ثائرمهم. وسخطوا لانطلاء الحيلة عليهم<sup>(١٢)</sup>. قدر ما أفعم الريجيون سروراً. ولم يسعهم الا الابتسام والضحك عندما راح الفينيقيون يتشاكون الغش والخديعة. ثم انهم بعثوا برسول الى [تاورومينيوم] على ظهر إحدى سفنهم. وهناك أخذ يتوعد ويستفز بأسلوبه البربري الوقح، ثم التفت الى [اندروماخوس] وصار يتهدده بالويل والثبور إن لم يبادر الى

(١١) خيل القرطاجيين ان اقلاع السفن التسع الى كورنث انما هو نتيجة انفاق تم بين قادة الفريقين وان

السفينة العاشرة انما اقيت لنقل [تيموليون] الى [اكيثيس].

(١٢) اي «الحيلة الفينيقيّة» وقد جرت مثلاً: Fraus Punica.

اخراج الكورنثيين من مدينته فوراً. ثم مد يده مقلوبة الكفّ وقلبيها الى فوق قائلاً انه سيعمل هكذا بمدينته، أي يقلب عاليها سافلها في غمضة عين ويكلّ سهولة، فقلّد [اندروماخوس] حركة يده ساخراً وأمره بالانصراف حالاً إلا اذا اراد ان تُطبقَ لعبته هذه البارعة على السفينة التي أقلّته.

وبلغ [ايكيتيس] نجاح تيموليون في خرق الحصار ونزوله البرّ، فأستولى عليه خوف عظيم من النتائج، وأرسل يطلب من القرطاجنيين تخصيص عدد كبير من سفنهم لحفارة الساحل والسهر عليه، وينس السيراكوزيون من سلامة ارواحهم. فالقرطاجنيون سادة الميناء<sup>(١٣)</sup>، و[ايكيتيس] مطلق السلطان على المدينة. و[ديونيسيوس] متحصن في القلعة. بينما لايسيطر تيموليون في صقلية إلا على هامش أو حافة منها وهي بلدة [تاورومينيوم] الصغيرة. وقواته لا تذكر، وأمله ضعيف. كان تحت أمرته ألف جندي على اكثر تقدير. ولا يملك من القمح ما بقيته به، ولا من المال لدفع المرتبات حتى لهذا العدد الضئيل. ولم تسعفه المدن الأخرى بشيء من الإمداد، اذ لم تكن لها ثقة به، بعد الارهاب والإضطهاد الذي ذاقتة على ايدي قادة الجيش سابقين، وخصوصاً غدر [كاليپوس Callipus] الاثيني، واللقيديموني [فاراكس Pharakx]. فبعد أن أوضحا أن مجيئها يهدف الى استنقاذ حريتهما من يد الطغيان والقضاء على المستبدين، وضمنا العون من أهاليها؛ بلغ طغيانهما حدّاً عدّ معه العهد المباد عسراً ذهبياً، وأعتبر الصقليون من مات في عهد الطغيان السالف أسعد حظاً ممن عاش ليرى تلك الحرية المزهقة للأنفاس. ولهذا ما كانوا يتوقعون خيراً من القائد الكورنثي وتصوّروا انها المهزلة عينها يعاد تمثيلها ثانية، ورأوا فيه سيداً جديداً مليوناً بالادعاءات الخادعة، والعهود الكاذبة يعمل على اجتذابهم الآمال العراض، والأمانى البراقة. فأعلنوا شكهم في اقواله، ورفضوا العروض التي قدمت اليهم باسمه، إلا أهالي [دارانوم Adranum]. وهي مدينة صغيرة مكرّسة للربّ [ادرانوس]<sup>(١٤)</sup> الذي يُجَلّ كثيراً في صقلية. فهؤلاء دبّ فيهم الخلاف وأنقسموا حزبين أحدهما اتصل [بهسييتيس] وحلفائه القرطاجنيين لإرسال نجدة له. والآخر فاوض [تيموليون]. وحكمت الصدق أن تصل النجدتان في وقت واحد، رغم الجهود العظيمة التي بذلها الجانبان لاستباق الوصول. زحف [ايكيتيس] على رأس جيش قوامه خمسة آلاف بينما خرج [تيموليون] من [تاورومينيوم] وليس معه أكثر من ألفٍ ومائتين. وتاورومينيوم

(١٣) عبأ القرطاجيون مائة وخمسين سفينة حرب، وستين ألف رجل وثلاثمائة مركبة حربية [ديودوروس ١٦:٦٧].

(١٤) من الشعار الذي جاء في النصّ بعدئذ يجب أن يكون مارس وهيكله محروساً بمائة كلب. والمدينة نفسها تقع في أسفل جبل (إتنا) على نهر بعين الأسم يصدر من الجبل.

تبعد من ادرانوم بحوالي ٣٤٠ فرلنغ [٩٣ ميلاً حديثاً تقريباً] وكانت مسيرته في اليوم الأول تتماز بالبطء، وبكثرة التعسك في غضون مراحل سير قصيرة. إلا أنه غدَّ السير في اليوم التالي وبعد أن أجتاز أرضاً شديدة الوعورة بلغه وقت المساء أن [هسيتيس] وصل [ادرانوم] وهو يقوم بضرب خيامه امامه، واذ ذاك هرع ضباطه ورؤساء عسكره الى وقف تقدم حرس المقدمة ليرتاح الجيش ويكون في حالة نشاط واستجمام عند التحامه بالعدو. إلا أن تيموليون خرج اليهم مسرعاً وأوقفهم عند حدِّهم وامرهم باستيناف التقدم واستخدام كل همّة ممكنة لمفاجأة العدو الذي سيكون في حالة فوضى واضطراب، لأنه باشر بضرب خيامه واعداد وجبة عشائه حال انتهاء مسيرته. ثم ان تيموليون حمل ترسه ووضع نفسه في مقدمة الرتل، وبهذا قادهم الى نصرٍ أكيدٍ. ان بسالته ارغمت كل جنوده على السير خلفه بالشجاعة والعزيمة نفسها حتى باتوا على بُعد لايزيد عن ثلاثين فرلنغ [١٦٠٠ يارد] وقطعوا هذه المسافة بسرعة خاطفة وحملوا على العدو الذي كانت الفوضى تسوده فتقهقر في أوكل التحام. ثم وبعد مقاومة ضعيفة ومناوشة قصيرة أنقلب التقهقر الى هزيمة عامة خسر فيها العدو ما لايزيد عن ثلاثمائة قتيل وضعف العدد من الأسرى. ووقع معسكره وكل ما فيه من عفش غنيمةً في يد تيموليون. وكان من أثر هذا الهجوم أنه فتحت [ادرانوم] ابوابها لاستقبال المنتصر والانضواء تحت رايته وحدثوه بمزيج من الإعجاب والذعر كيف انفتحت ابواب معبدهم من تلقاء ذاتها ساعة بدء الهجوم. كما لوحظ أيضاً أن الرمح الذي يمسكه تمثال الآله راح يهتز في يده، وشوهدت حبات من العرق تنحدر على وجهه. والظاهر ان هذه الخوارق لم تكن قاصرة على التنبؤ بالنصر المنجز بل هي البشير بانتصارات [تيموليون] المقبلة ايضاً. وكان النصر الأول هو السبب لظهورها.

وبادرت المدن المجاورة والحكّام بارسال موفدين اليه يلتمسون صداقته، ويعرضون عليه الخدمات. ومنهم [مامارقوس Mamerqus] <sup>(١٥)</sup> طاغية [كاتانا Catana] وهو محارب ذو مراسٍ، وامير ثري، عرض عليه التحالف. علن أن الأهم من كلِّ هذا هو ان [ديونيسيوس] الذي ركبه اليأس وبلغ شفا الاستسلام، ويدافع من أحتقاره [لهسيتيس] على اثر هزيمته النكراء المخزية، وأعجابه بشجاعة [تيموليون]. حقق الاتصال بالقائد الكورنشي وببني قومه، وأعلن لهم رغبته في تسليم نفسه والنزول عن القلعة اليهم، فسرَّ [تيموليون] وقبل فوراً بهذه العروض غير المتوقعة وبعث بالقائدين الكورنشين [اقليدس، وتيليماخوس] على رأس فوج من جيشه قوامه اربعمائة مقاتل لاحتلال القلعة والاحتفاظ بها. وأمرهم بالأدخلا بكلِّ

(١٥) يثبته «ماركوس» [ديودورس: المرجع السالف].



جنودهما حالاً أو على مرأى من الناس لما في ذلك من محذور ومادامت حراسة العدو يقظة، بل أن يتسللوا الى الداخل بفصائل قليلة العدد. وهكذا تم احتلال القلعة وقصر [ديونيسيوس] ووضعوا ايديهم على كل الارزاق والمؤون التي كان قد استحضرها وأدخرها لتمكينه من مواصلة الحرب. كما وجدوا عدداً لا بأس به من الخيل ومختلف الآت الحرب والحصار ومقادير لا تحصى من الأسلحة والأسنة تكفي لتسليح جيش قوامه سبعون ألفاً، في مستودع أعد لأختزانها منذ عصر سحيق. كذلك وجدوا ألفي جندي من اتباع ديونيسيوس فضموا الى قوات [تيموليون]. أما الطاغية فقد نقل كنوزه ونفائسه الى سفينة ابحت به سراً مع قليل من اصحابه دون أن يظن اليها [هيسيتيس]، حتى بلغت به معسكر [تيموليون] فدخل بشباب عادية مما يرتديه عامة الناس لأول مرة في حياته<sup>(١٦)</sup>. وبعد ذلك بقليل أرسل الى كورنث في سفينة واحدة، ومعه مبلغ يسير من المال.

ولد [ديونيسيوس] ورُبي في افخم بلاط ملكي. وكان أشدّ الحكام استبداداً وطغياناً. قبض على ناصية السلطان وظلّ يمارسه عشر سنين بعد وفاة ابيه وقضى بعد حملة [ديون] اثنتي عشرة سنة أخرى في حروب طاحنة، وفتن دائمة وتقلبت به حظوظه فيها ولبست ازياء شتى. وجوزي في اثنائها بنكبات ومصائب تزيد كثيراً على ما اقترفه من آثام وزرعه من شرور خلال فترة ملكه الأولى. وعاش ليشهد بعينه موت ابنائه وهم في عزّ رجولتهم. وهتك اعراض بناته وهن في زهرة عُذرتهن ورأى الانتهاك الشنيع لستر اخته التي هي امرأته<sup>(١٧)</sup>، فبعد أن تعرضت هذه لشتى الإهانات الوقحة من الجنود قتلت مع أولادها والقيت جثتها في البحر.

بنزول [ديونيسيوس] برّ كورنث تقاطر الاغريق من كل انحاء البلاد لمشاهدة ذلك الطاغية الرهيب الأسبق يدفعهم حبّ الاستطلاع، ولتوجيه بعض القول له. أمّا الفريق الذي دفعه خالص الكره والإحتقار للتشفي بمصيبته فقد جازوا ليطاؤا انقراض حظه المحطم الزائل على حدّ شائع القول، إلا ان الفريق الذي كان إهتمامه وعطفه منصرفاً الى التأمّل في تقلبات حياته والزعازع التي عصفت بها، فلم يسعهم إلا ان يجدوا فيها دليلاً على قوة وجبروت العالم الألهي غير المنظور على الضعف البشري والأشياء المنظورة.

لم تضع يد الطبيعة أو يد الفن<sup>(١٨)</sup> في ذلك الحين، أمراً يمكن مضاهاته بما عملته الاقدار

(١٦) كان الوحيد الذي ولد وهو طاغية. في حين أن جميع الطغاة الآخرين ولدوا من أصولٍ خاملة ليرتقوا ان هذا المنصب.

(١٧) سوفراسينه بنت ابيه من زوجه ارسطوماخه.

(١٨) باضافة عبارة «يد الفن يريد پلوتارخ القول ان الشعراء التراجيدين الذين يعالجون على الأغلب موضوع سوء طوابع الملوك والأمراء لم يصوروا مثيلاً لمصيبة فرد كهذه المصيبة.

وإبدعه الحظّ في معجزة [ديونيسيوس]. فهذا الذي كان قبل فترة ليست طويلة حاكم صقلية الأعلى تراه الآن يتسكع في سوق السمك، أو يجلس في دكان عطار، يحتسي شراب الخمرات الرخيص المشعشع بالماء، أو يخاصم امرأة من الإوشاب في قارعة الطريق، أو يتظاهر بارشاد مغنيات المسرح، ويسترسل معهن في جدالٍ عنيف حول هارمونية المقطوعات الغنائية، وإيقاعاتها وسلالها الموسيقية، مما يؤديه هناك. وكان سلوكه هذا موضع انتقاد مختلف الناس. وظنّ كثيرون أن تصرفاته هذه متأتية من ضعف طبعه، ومزاحه الشكس، أما الناس الأبعد منهم نظراً وتفكيراً فقد عللوا ذلك بأنه يؤدي به دوراً سياسياً، القصد منه تعويد الكورنثيين على الإستهانة بشخصه وصرف النظر عن خطورته فلا يعودون يشعرون بأيّ شكّ في نواياه ولا يحاذرون من ردود فعل حظه العائر فيه، أو تبينوا رغبة منه لتغيير حاله. واجتناباً لما يأتي به هذا الشكّ، تعمد الظهور بمظهر يخالف طبعه الحقيقي، بتقمص مظهر الرقاعة والحمق في حياته الخاصة وأوقات فراغه.

مع هذا فقد سجلّ التاريخ له أقوالاً ورودوداً على أسئلة، يبدو منها رجلاً كيف نفسه لوضعه الجديد تكييفاً خسيساً وضيعاً. ويتجلى بعض هذا من اعتراف ادلي به عند وصوله الى [ليوكاديا Leucadia] وهي من مستعمرات كورنث كسيراكوز، إذ قال لسكانها: انه وجد نفسه شبيهاً بالأولاد المذنبين الذين لايتخرجون في الكلام امام إخوتهم، إلا أن الخجل يعرفهم إذ يواجهوا آباءهم، وأنه ليسرّه العيش بينهم في جزيرتهم هذه، بينما يشعر بنوع من التهيب والرهبة، فيه كره وصدود لكورنث التي هي أم لكليها، ويظهر الأمر أكثر وضوحاً في اجابة له على سؤال اجنبيّ لقيه في كورنث، هزأ بأسلوب فظّ مهين وتعرض بالقدهم والزراية للاحاديث التي اعتاد [ديونيسيوس] تبادلها مع الفلاسفة والحكماء، (كانت صحبتهم مصدراً من مصادر سروره) عندما كان ملكاً، وتساءل بالنتيجة ما الذي افاده كلّ هذه الأحاديث الفلسفية الحكيمة من أفلاطون فأجابه: «أو تظنني لم أنتفع بفلسفته، وها أنت تراني اتحمل عثار حظي على خير وجه؟». وعندما رغب منه [ارسطوگزينس Aristoxenus] الموسيقي وعدد آخر أن يفسر لهم كيف اضرت به تعاليم افلاطون، وابن هو موطن استيائه منها، أجابهم:

- من بين الشرور العديدة التي ترافق الحكم الاستبدادي المطلق، يبرز في مقدمتها انه لايعود واحد من الاصدقاء المعتمدين والموثوق بهم، يجرأ على الكلام بحرية، أو قول الحقيقة الصريحة. وبهذا حرمتُ افضال تعاليم افلاطون.

وفي مناسبة أخرى كان من بين أصحاب الفكهين، رجل يريد دوماً أن يظهر بمظهر الفطنة

ودقة النكته، فعلى سبيل التندر [ديونيسيوس] قام بنفض طيات ثيابه عند دخوله الحجره التي كان يوجد فيها [ديونيسيوس] إشارة الى أنه لا يخفى بينها سلاحاً - كأن ديونيسيوس ما زال طاغيةً، فعلق هذا رداً على عمله بقوله: انه يفضل أن يراه وهو يقوم بعمله هذا عند تركه الغرفة اثباتاً بأنه لم يخف حاجةً ويخرج بها...»

وعندما بدأ [فيليب المقدوني] يتحدث في مجلس شرابٍ على سبيل المزاح معه عن القصائد والتمثيلات التراجيدية التي خلفها ابوه [ديونيسيوس الأكبر] وتظاهر بالعجب من توفر الوقت له لتأليف هذه القطع الرائعة الفريدة<sup>(١٩)</sup> رغم اشغاله الكثيرة اجابه ديونيسيوس اجابة مفحمة. - انه الفها في ساعات الفراغ هذه التي نبدها أنا وأنت وأولئك الذين يسمون بالمحظوظين ونحن عاكفون على الرأح والأقداح.

لم يتيسر لأفلاطون الفيلسوف لقاء [ديونيسيوس] في كورنث فقد طواه الردى قبل قدومه. إلا أن [ديوجينس] [السينوبي Sinope] سلم عليه عند أول لقاء معه في الشارع موجهاً اليه هذه العبارة الغامضة:

- هيه يا ديونيسيوس! ما أقل ما تستأهل من عيشك الحالي!

فوقف [ديونيسيوس] وأجاب:

- شكراً لك على التعزية يا ديوجينس.

فقال ديوجينس:

- على تعزيتك؟ ألسنت تظنّ اني أقصد خلاف ذلك. واني لناقم لأنّ عبداً مثلك لو نال ما يستحقّ فعلاً لوجب ان تترك وحيداً تهرم وتموت وانت طاغية كما كان شأن ابيك من قبلك. بينما تستمتع الآن برخاء عيش بسطاء الناس، وتمرح وتعبث في مجتمعنا؟

ولهذا لما أتامل حكايات [فيلستوس Philistus] المحزنة حول بنات [لپتيسنس Lep-

(١٩) عن ديودورس الصقلي [١٤:١٠٩، ١٥:٦] كان ديونيسيوس الكبير يعتز كثيراً بما ينظمه من الشعر وان كان يدرك انه من اسوء الشعر. وحاول الشاعر الملقق [فيلوكزينس] مصارحته بالحقيقة. متحاشياً خداعه بفكرة طيبة يظنها عن قابلياته. لكنه ارسله للعمل في المناجم بسبب ذلك. ثم إعادة في اليوم التالي الى مكانته الأولى التي كان يحتلها ثم راح يردد على مسامعه قصائد بذل مجهوداً كبيراً في نظمها عله يسمع منه اطراءً. إلا ان الشاعر بدلاً من اطرائها نظر الى الحرس وخاطبهما وهو يبتسم «اعيدوني الى المناج الحجرية» ومع ذلك كله فقد شارك ديونيسيوس في مباراة الشعر اثناء الالعاب الاولمبية فسخر السامعون وصفروا له وحطموا السرايق الفخم الذي نصبه تحطيماً تاماً. لكنه نجح في الفوز بجائزة في أثينا نتيجة تحيز واضح من الحكّمين. وقد عبّ كثيراً من الخمر بهذه المناسبة، وفجر وفسق حتى ركتبه آلام عظيمة فاعطاه الأطباء منوماً لم يفيق منه قط.

[tines] (٢٠) حين تجده يطلق الزفرة الاليمة عليهن لسقوطهن من علياء السلطان ونعمائه في هاوية البؤس وحياة الدُّل، لا أرى زفرته تلك أكثر من بكاء امرأة على فقد صندوق ادهانها أو ثيابها الارجوانية، أو حليها الذهبية الزهيدة. وفي اعتقادي أن حكايات كهذه قد لا تُعدّ متقحمة على أهدافي من كتابة السير، أو تعتبر غير مفيدة بحدّ ذاتها في نظر القراء غير المستعجلين كثيراً، أو من تشغلهم عنها أمور أخرى.

وعلى كل، فإذا بدت نكبة [ديونيسيوس] غريبة أو استثنائية، فلا شك في أن حظّ تيموليون أغرب ودهشتنا منه لن تكون بأقل من استغرابنا من الأول. فقد تمكن في ظرف خمسين يوماً لنزوله صقلية من الاستيلاء على قلعة [سيراكوز] وارسال [ديونيسيوس] الى منفاه في الپلپوننيسوس، هذه البداية المحمودة رفعت من معنويات الكورنثيين في بلادهم حتى أمروا له بنجدة قوامها الفان من الرجاله ومائتان من الخيالة. فنزلت في [ثوري Thuri] ومرامها العبور منها الى صقلية. إلا ان البحر كان يعجّ بسفن القرطاجنيين مما جعل عبورها متعذراً فأضطرت الى البقاء فيها متربصة بفرصة. إلا أنها لم تضيع وقتها سدى فقد قامت بعمل نبيل عندما خرج الثوريون لقتال اعدائهم [البروتيين] ودفعوا مدينتهم الى يد الحملة الكورنثية للدفاع عنها والسهر على حراستها ففعلت كأنها مدينتها، ثم سلمتها لأهلها بكلّ امانة.

في اثناء ذلك كان [ايكيتيس] مشابراً على حصار قلعة [سيراكوز] ومنع كل أمداد من الوصول اليها بحراً لإنجاد الكورنثيين الذين يدافعون عنها. وفي الوقت نفسه استأجر اثنين من الأجانب المجهولي الهوية وارسلهما الى [ادرانوم] لاغتيال [تيموليون]، الذي لم يكن قطّ يحيط شخصه باي حرس. وكان في تلك المدينة آمناً مطمئناً على سلامته يختلط بالسكان غير محاذر، والأيام ايام اعياد لألّهمهم. وتشاء الصدفة أن يعلم الرجلان أن [تيموليون] سيقوم بتقديم القربان فأسرعا الى المعبد وقد أخفى كل منهما خنجراً تحت معطفه، وشقا طريقهما خلال الجمع الحاشد مقتربين شيئاً فشيئاً من المذبح. وفيما كان أحدهما يتطلع الى الآخر منتظراً إشارة الثوب على الضحية، هجم رجل ثالث على واحد منهما وضربه بالسيف على رأسه فخرّ صريعاً في الحال. وبرح القاتل وزميل القتل مكانيهما حالاً. الأول شق طريقه شاهراً سيفه الدامي وهرب لايلوى حتى لاذ بقمة صخرية عالية تشرف على هاوية. أما الثاني

(٢٠) طاغية «ابولونيا» وهي مدينة صقلية قرب رأس پاكينوس. كتب فيلپس تاريخ مصر باثني عشر مجلداً، وتاريخ صقلية بأحد عشر وتاريخ الطاغية ديونيسيوس بخمسة. ويفضّل شيشرون (الخطابة ٢:٢) ثالثها على الاثنین الأولین.

فقد تشبث باركان المذبح وراح يتوسل [بتيموليون] ليصفح عنه ويمنحه الحياة، وسيفضي اليه بتفاصيل المؤامرة، فأمنه وغفر له، فاعترف بالمهمة التي كلّف بها هو وزميله، وبينما كانت هذه الحقيقة تنجلي قبض على القاتل وانتزع من ملاذه الصخري واقتيد وهو يصرخ ويحتج قائلاً أنهم يرتكبون ظلماً في القبض عليه، لأنه أخذ بثأر حق عن دم أبيه الذي كان القتل قد فتك به في مدينة [ليوننتيني Leontini]. وأيد قوله هذا عدد كبير من الحاضرين، الذين لم يسعهم الا يبدوا عجبهم من افاعيل الأقدار الغريبة والطرائق المدهشة التي تسلكها والسهولة التي تدفع حدثاً من الأحداث لتحرك به حدثاً آخر يختلف اختلافاً بيّناً عن باعشه وان كان منبثقاً منه فتراها توحد ما بين الحداثين المفترقين، وتجمع الدقائق والتفاصيل المتباعدة وتصل الأعمال المنفصلة واحداً بالآخر تحقيقاً لمآربها. فاذا بالاشياء المتنافرة ظاهراً، والتي لا يربطها رابط، تغدو في كفّ القدر نهاية وبداية بعضها لبعض» على حدّ ما يقال.

وتأكد للكورنثيين أن عمل الرجل لا جناح عليه فضلاً عن وقوعه في أحسن ظرف فأكرموا صاحبه ووصلوه بما يعادل عشرة جنيهاً بعملتهم لقد أعار خدمات حقه العادل للروح الحارسة التي كانت تحمي [تيموليون] وظلّ مدةً طويلة لا يشفي غلة حقه الذي يضطغنه وأجلّ الأخذ بثأره بتدخل الأقدار، حتى يُنقذ به [تيموليون].

إن هذه النجاة التي رسمها حسن الحظّ تعدت آثارها ونتائجها الحاضر الى المستقبل. فقد زرعت أعلى الأماني والآمال في النفوس، ورفعت درجة الاعتماد على [تيموليون] ودفعت الناس الى احترامه وإجلاله قدر إجلالهم لمقدساتهم. وأعتبروه رسولاً بعثت به السماء لتحرير صقلية والانتصاف لها من طغاتها. ولما وجد [هيسيتيس] فشل موأمرته، وانتقاض كثيرين من اتباعه عليه وانحيازهم الى [تيموليون]، بدأ يُنحي على نفسه باللائمة لاقتصاده الأحمق في قواته الكبيرة. فقد كان تحت تصرفه جحافل القرطاجنيين كلها مستعدة للعمل رهن اشارته وهو لا يستخدم منها إلا أقساطاً اقسطاً ووحدات صغيرة بحذرٍ وتوجّس حتى لكأنه يختلسها اختلاساً، أو يخجل من زجّها في القتال. فقرر أن يطرح هذا التردد وبعث يستقدم [ماغو Mago] أمير بحرهم وكل اسطوله، فأقلع هذا القائد بعمارة بحرية جبارة لا يقل عدد بوارجها عن مائة وخمسين، وأستولى على ميناء سيراكوز، وأنزل ستين ألفاً من الرجالة عسكرياً جميعاً داخل المدينة. فصدق ما قيل منذ أقدم العصور وما تناقلته الناس حتى يومها، بأن صقلية ستقع غنيمة في يد البرابرة. وكان هذا الإنزال ختام النبوءة فالقرطاجنيون قبل هذا لم يفلحوا في الاسيلاء عليها طوال حروبهم وصداماتهم الدموية الماضية مع أهاليها وها هوذا [هيسيتيس] يمهّد لهم السبيل ويضع كل شيء في أيديهم، ويجعل المدينة معسكراً للبرابرة.

وبهذا وجد جنود الكورنثيين في القلعة الخطر العظيم يحدق بهم وأشدت بهم الضيق. وأنقلب شع قواتهم الى حاجة ماسة لأن الموانئ محروسة حراسة دقيقة، وقد أقفلها العدو ببوارجه وهو دائم التعرض لهم بالمناوشات وقتال الأسوار، لا يترك لهم سبيلاً للراحة، أو ساعة واحدة لنزع سلاحهم. ويضطرهم الى توزيع قواتهم لصد مختلف انواع الهجمات من جميع الجهات.

وأحتال [تيموليون] على هذه الورطة بارسال كميات من القمح بقوارب صيد وزوارق صغيرة من [كتانا]، وسهل على هذه ان تتسلل عبر السفن القرطاجنية وقت هبوب العاصفة فتمرق مروقاً عندما يُرغم هياج البحر سفن الحصار على الابتعاد أحداها عن الأخرى، ولما اتضح [لهيسيتيس وماغو] تدبير العدو في اغائة قواه المحصورة، قررا مهاجمة [كتانا] قاعدة التموين، وخرجا من [سيراكوز] يقودان خيرة وحدات الجيش، ورأى قائد القلعة الكورنثي [نيون Neon] أن بقية الجيش في [سيراكوز] تتراخى في حصار القلعة وتهمل رصد مزاعلها ومداخلها أعتداداً أمنها بنفسها واطمئناناً الى ضعف المحصورين، فلم يلبث أن فاجأها بهجوم كاسح منتهزاً فرصة تفرق وحداتها فقتل منها وهزم البقية ووفق في الاستيلاء على منطقة [اكرادينا Acradina] وهي منطقة من سيراكوز عرفت بمناعتها وقوة تحصينها. والحقيقة هي أن سيراكوز تألفت من اجتماع واتصال عدة مدن كانت متقاربة<sup>(٢١)</sup>. وقد غنم [نيون] منها مقادير كبيرة من المال والقمح، ولم يجلب عنها الى القلعة بل عمد الى تقوية تحصيناتها، ووصلها بالقلعة بسور محكم رغير ذلك من التحكيمات. وأخذ على عاتقه الدفاع عن الاثنتين.

عندما بلغ [ماغر رابسكيتس] مشارف كتانا، ادركهما فارس مُرسلٌ من سيراكوز لإبلاغهما نبأ سقوط [أكرادينا]. فقفلا عائدين بقواتهما على جناح السرعة، والفوضى والاضطراب يسود صفوفها، وهكذا عجزا عن أخذ المدينة التي خرجا اليها، وخسرا ما كان تحت سيطرتهم.

هذه الانتصارات التي لا يمكن نكران عنصر الشجاعة والمهارة فيها، اسهم الحظ ومحاسن الصدف بدور رئيس فيها، إلا أنه يصعب جداً ان يعزى الحادث التالي الى شيء غير حسن الحظ ومحاباة الأقدار: قلنا أن الاحتياطي من جنود الكورنثيين ظلوا معسكرين في [ثوري]

---

(٢١) هناك رابع منها وهي: الجزيرة أو القلعة التي هي بين المينائين. الاخرادينا وهي على مسافة قصيرة من الأولى. وتبخه وقد أطلق عليها هذا الاسم من هيكل الهة الخط ونياببوليس أو المدينة الجديدة [انظر ليقي ٢٥:٢٤ وقارن بديودورس ٧:١٢] والى هذه المدن يضيف بعض الكتاب ومنهم بلوتارخ مدينة خامسة يسمونها إبيولي.

لا يستطيعون الابحار الى صقلية خوفاً من بوارج القرطاجنيين التي كانت لهم بالمرصاد بقيادة [هانو Hanno]، ومن غوائل البحر الذي اجتاحه النوء واهاجته العواصف أياماً عدة فبات من الخطر ركوبه. ولهذا قرروا الوصول الى مدينة [ريجسيوم] براً فأخترقوا بلاد [البروتين] معتمدين على قوتهم وحذرهم وبلغوا هدفهم والبحر ما يزال هائجاً صحاباً. وفي تلك الاثناء توصل [هانو] الى فكرة خالها مجدية. لم يتوقع أن يغامر الكورنثيون في الابحار، ورأى من العبث الانتظار أكثر مما أنتظر، وكان يتوهم في نفسه أبرع استراتيجي، وأمهر خبير في التمويه على العدو ونصب الفخاخ له. بناء على هذا أمر بحارته بضفر أكاليل الزهر على رؤوسهم، وتزيين السفن بالتروس الاغريقية والقرطاجنية، وأقلع متجهاً الى [سيراكوز] بمظاهر النصر هذه مستخدماً كل المجاذيف عند مروره تحت القلعة وبكثير من الهتاف والضجيج قاصداً بث الهلع في قلوب المحصورين والإيحاء لهم بأنه لم يجيء إلا بعد ان قضى على النجدة الكورنثية وهي في عرض البحر متجهة نحو صقلية. وفيما هو يواصل لعبته هذه امام سيراكوز، كانت النجدة الكورنثية في [ريجسيوم]، وامامها الساحل خالٍ من سفن العدو، والريح ساكنة والبحر هاديء كأنما حدث بمعجزة. فأسرعوا يركبون كل ما وقعوا عليه من زوارق صيد ومراكب خفيفة، وأقلعوا ليلبغوا ساحل صقلية بسلام وهدوء لا مثيل لهما. حتى أنهم انزلوا خيولهم وأخذوا يقودونها من اعنتها سباحةً وزوارقهم متجهة الى الساحل.

نزلت الحملة كلها واستقبلها تيموليون، وبفضلها تمكن من احتلال [مسينا Messina] فوراً، ومنها تقدم بنظام بديع نحو [سيراكوز] واضعاً اعظم ثقته في نجاحه الأخير، لا بما لديه من قوات. اذ لم يكن مجموع جيشه الكلي يزيد عن أربعة آلاف. ومع هذا فقد انتاب [ماغو] القلق والاضطراب عندما ابنيء بمقدم [تيموليون]. وزاد وضعه سوءاً وتعاضم خوفه بالحادثة التالية:

تحيط بسيراكوز مستنقعات مترامية<sup>(٢٢)</sup>، تستمدّ ماءها العذب الكثير من الينابيع فضلاً عن البحيرات والأنهار التي تصب في البحر ويتكاثر في هذه المياه السمك الجري (الحنكليس) حتى لتعج بها، ويتقاطر الناس على صيدها. فكان الجنود المرتزقة الذين يستخدمهم الفريقان يقضون أوقات فراغهم في ممارسة هذه الرياضة معاً، فيجتمعون في كل فترة هدنة او وقف قتال ويتبادلون احاديث الود فيما بينهم، اذ كانوا كلهم من الأغرقيك ليس بينهم عداً شخصياً (على شجاعتهم وبلاتهم في الحرب). وفيما كانوا يوماً يصطادون أخذوا باسباب الحديث

(٢٢) هناك مستنق يدعي ليسمليا [توكيديس ٥٣:٧هـ] وآخر يعرف بـ(سيراكو). ومن هذا الأخير أخذت المدينة اسمها. وهذان المستنقعان يجعلان هواء المدينة فاسداً وغير صحي بالمرّة.

فأعلن هذا عن أعجابه بالبحر القريب، ولهج آخر بالثناء على ما يجده المرء من راحة ورفاهة في بنايات سيراقوز ومحلاتها العامة. فتدخل أحد الكورنثيين قائلاً:

- وانتم الذين جئتم من بلاد الأغر يق كافة<sup>(٢٢)</sup>. الا تشفقون على هذه المدينة الرائعة الجليّة، لتدعوها فريسة للبرابرة، باذلين الجهود، لتثبيت قدم القرطاجيين في بلادٍ قريبة جداً من بلادنا. وهم شرّ الخلق وأشدّهم وحشية، بينما كان جديراً بكم أن تجعلوا بين بلادنا وهؤلاء القرطاجيين، سداً من الأقوام، أمنع وأقوى من هؤلاء الصقليين. ألي هذا الحد بلغت بكم قلة الفطنة لتعتقدوا بأن القرطاجيين جاؤوا من «اعمدة هرقل» والمحيط الاطلنطي متجشمين كل هذه المخاطر لتثبيت ملك [هيسيتيس] فحسب؟ هذا الرجل الذي لو اقام وزناً للاعتبارات واتصف بما يليق بالقائد، لما تنكّر لأرومته وأسلافه وجاء باعداد بلاده في محلهم. في حين كان يستطيع التمتع بالمكانة والقيادة المناسبة برضى من تيموليون وبقية الكورنثيين.»

راح مرتزقة [ايكيتس] من الاغريق يرددون هذه الأقوال في معسكرهم مما زوّد [ماغو] بأسباب للشك في وجود مؤامرة تحاك ضده، فتمسك بها وتعلّل. واتخذها حجة للرحيل الذي كان قد اعتزمه منذ أمدٍ. ولم يعر اذنا صاغية لتوسلات [هيسيتيس] والحاحه عليه بالبقاء لإظهار مدى تفوقهما على العدو. على أن [ماغو] كان يدرك انهما أدنى من تيموليون بكثير لأن البسالة والحظّ الى جانبه ولا قيمة لتفوقهما العددي ازاء هذين العاملين. فأسرع يركب سفنه ويقلع بها الى افريقيا وترك صقلية تفلت من يده بصورة لا تشرفه. ولدوافع موهومة صورتها مخيلته يعيا العقل السويّ عن تبرير اتخاذها سبباً وجيهاً للرحيل.

وبعد إقلاعه بيوم واحد تقدم [تيموليون] نحو المدينة بنسق المعركة. ولما سمع هو واركان حربه بالفرار الفجائي وشاهدوا ارضفة الميناء خالية تماماً لم يسكوا أنفسهم عن الضحك والتندر والتنديد بجن [ماغو] وعلى سبيل السخرية والمزاح اذاعوا في المدينة بياناً يعلن عن استعدادهم لدفع مكافأة لكل من يستطيع ان يأتيهم بنبا مغادرة الاسطول القرطاجني ديارهم! على أن [هيسيتيس] قرر خوض المعركة وحيداً، وعدم ارخاء قبضته عن المدينة بل الصمود في المناطق التي يسيطر عليها والثبات في المواضع الجيدة التحصين الصعبة الاقتحام. وقسم تيموليون قواته الى ثلاثة جحافل. وحمل بنفسه على الجبهة التي يجرى فيها نهر [اناباس Anapas] وهي جبهة منيعة صعبة التحقم وأمر الجحفل الذي يقوده الضابط الكورنثي [ايسياس Isias] بالهجوم من موقع [اكرادينا] في حين يحاول [دينارخوس Dinarchus]

(٢٢) المرتزقة الاغريق في جيش هذا الأخير.



و[ديماريتوس] اللذان جاءا بالنجدات من كورنث، الاستيلاء على منطقة [إبيبولي Epipol-ae] بالجحفل الثالث وحمل الجيش كله حملة شديدة في وقت واحد من جميع الجبهات، فانهارت مقاومة [هيسيتيس] وفرّ جنوده. وعلينا هنا أن نعزو أخذ المدينة عنوة وسقوطها السريع بعد اندحار العدو - إلى بسالة المهاجمين وحنكة قائدهم دون جدال. ولكن الأمر الذي لا يجعلنا ننكر دور حظّ تيموليون هو أن الكورنثيين لم يخسروا رجلاً واحداً أقتيلاً كان أم جريحاً حتى لكأن ثم مباراةً وتحدياً بين حظّه وعمل حظّه اعني وجود نوع من المنافسة في مجالات أعماله نفسهما بحيث جعل الحظّ هدفه أن يتفوق ويطمس على كل ما يُقدم عليه من أعمالٍ. وينبغي لمن يسمع الثناء عليه لمآثره الجليلة أن يعجب بمحاباة الحظّ لها أكثر مما يعجب بالجهد الشخصي فيها. وتعدت انباء نجاحه صقلية وملأت ايطاليا دهشةً. حتى بلاد الاغريق فقد أتهزت من اقصاها الى ادناها حبوراً وفخراً بجلائل أعماله بعد بضعة ايام فقط من وقوعها، حتى ان الكورنثيين الذين لم يعرفوا بنزول نجداتهم في الجزيرة، واذ بانباء نزولها وانتصارها ترددهم في آن واحدٍ. بهذا السبيل المفلح كانت عجلة الأمور تدرج، وبهذه السرعة والنشاط كان الحظّ يطلق سناد الكفاءة الطبيعية، كمفخرة جديدة من مخافرها.

بعد أن سيطر [تيموليون] على القلعة، تجنب الخطأ الذي وقع فيه [ديون] قبله. فلم يَضنّ على البلد بشيء في سبيل فخامة ابنتيتها وجمالها. ولكي يجتنب مظنة السوء التي أدت أولاً الى بغض [ديون] وسببت أخيراً في سقوطه، أمر أن يدور المنادي مُعلنًا لأهالي سيراكوز بأن كلّ من يرغب في المساهمة بالعمل، فعليه أن يأتي ومعه فأس ومجرفة وغيرها من الأدوات ليعاون في هدم التحصينات التي اقامها الطغاة. فتقدموا للعمل جميعاً كرجل واحدٍ معتبرين الإعلان واليوم الذي أذيع فيه، أقوى دعامة لحياتهم، وانقضوا على القلعة فهدموا، وقوضوا القصور والأنصاب التذكارية وكلّ ما يمت الى ذكرى الطغاة السالفين، ونقضوها حجراً على حجر، وبعد أن سوّى ارضها بنى فوقها دوراً للقضاء لتوزيع العدل بين الأهالي وبنى أيضاً دوائر للحكومة الجمهورية التي أقامها على انقاض الحكم المستبد.

وكانت المدينة عندما دخلها خالية من السكان تقريباً. بعضهم قضى نحبه بسبب الحروب الأهلية والفتن والثورات، وآخرون هربوا من الطغيان. وبلغت قلة السكان فيها حدّاً أن ساحة السوق العامة في سيراكوز وكانت تمتاز بسعتها تكاثر فيها العشب ونما وغطاها فأصبحت مرعى للخيل يتطرح سانسوها على العُشب بينما هي ترعى الكلا. كذلك هجرت مدن أخرى تماماً باستثناء القليل. فصارت مرتعاً ومازى للخنازير البرية والإيائل، فكان المتعطلون يرتادونها للصيد فيجدون فرائسهم في مشارفها وبالقرب من أسوارها. وتعذر أقناع من لا ذ

بالريف أو التجأ الى القلاع، بترك مستقره أو قبول دعوة للعودة الى المدينة، فقد بلغت كراحتهم من مجرد اسم المجمع، والاجتماعات وانواع الحكومات والخطب العامة حداً عظيماً لأنها هي التي أنجبت معظم المستبدين الذين تعاقبوا على حكمهم واضطهادهم. وفكر تيموليون مع السيراقوزيين في المعضلة، وتأمل الخراب الشامل، وضعف الأمل في محاولة الاقتناع التي ارتأها. ثم فضل الكتابة الى بلاده، بطلب ارسال جالية أغريقية لتأهيل سيراقوز. والأبقيت اراضيها المتاخمة بوراً. كذلك ذكر انه يتوقع حرباً أعظم من سابقتها مصدرها افريقيا لأن الانبياء التي وصلته تشير الى ان [ماغوا] يخع نفسه وأن القرطاجنيين الساخطين على تصرفه في الحملة الأخيرة، أمروا أن تُسمر جثته على صليب، وهم الآن عاكفون على تهيئة قوات جبارة للهجوم على صقلية في الصيف القادم.

وصلت رسائل تيموليون الى كورنث. وفي الوقت نفسه عرض وفد سيراقوز رجاء اهلها اليها بأن يولوا مدينتهم البائسة رعايتهم وأن يصيروا مرة أخرى مؤسسين لها. ولم يغر الكورنثيين الطمع بفائدة من هذه العروض، ولا كانوا يريدون الاستيلاء على المدينة واستغلالها. لذلك قصدوا بالاول دورة الالعب التي كان الاغريق يضعونها في منزلة القداسة ثم الى مختلف الاجتماعات الدينية المعقودة وأطلقوا المنادين يعلنون قائلين: إن الكورنثيين الذين قضاوا الى الاستبداد في سيراقوز وطردها الطاغية، يدعون بهذا كل المبعدين والمنفيين السيراقوزيين وأيا من الصقليين الى العودة لسكنى المدينة، مع تمتعهم الكامل بالحرية بموجب قوانينهم الخاصة. وان الأراضي ستوزع عليهم بانصبة عادلة متساوية. ثم انهم ارسلوا مبعوثين الى آسيا وعدة جزر يسكنها كثير من اللاجئين المتفرقين، وطلبوا منهم السفر الى كورنث، وهناك سيزودون بسفن وربابنة وقافلة حراسة لتأخذهم الى سيراقوز على نفقة الكورنثيين. وكان من أثر هذه العروض الكريمة التي انتشرت انبأؤها وشاعت، أن أرتفعت مكانة الكورنثيين ونالوا الكثير من الثناء والمديح تعويضاً لسخائهم وشهامتهم وانقاذهم تلك البلاد من جور الظالمين، وتخليصها من يد البرابرة، واعادتها بالاخير الى أصحابها أهل الحق من السكان. فأجتمع هؤلاء في كورنث، ولما وجدوا عددهم قليلاً طلبوا من الكورنثيين أن يزودوهم بعدد آخر منهم ومن سائر بلاد الأغرريق لينضموا اليهم كنازحين مشاركين. فأرتفع عددهم الى عشرة آلاف وابحر الجميع الى [سيراقوز]، وفي غضون هذه الفترة تقاطر على تيموليون من ايطاليا وصقلية حشود عظيمة بلغ رجالها على قول (اثانيس Athanis) ستين ألفاً. فقسم بينهم الأراضي كلها. وباع المنازل بألف تالنت. وبهذه الطريقة مكّن السيراقوزيين الأصليين من استعادة بيوتهم، كما توسّل بها الى جمع المال للمصلحة العامة، واملاء الخزانة التي خلت تماماً

وعجزت عن سدّ أي نفقات، لاسيما مصاريف الحرب، حتى أنهم لجأوا الى عرض تماثيلهم للبيع. واتبعت في هذا طريقة نظامية. وكان يرسو قرار الزيادة على أي منها بأغلبية الاصوات. كأنما تجري مرافعة لعدد كبير من المجرمين. وقيل أن تمثال المستبد القديم [جيلو Gelo] قد استثنى اثناء النطق باللعان على التماثيل الأخرى تكريماً له وأعجاباً به، وبسبب الانتصار<sup>(٢٤)</sup> الذي حازه على القوات القرطاجنية في نهر [هيميرا Himera].

وهكذا تمّ بعث الحياة السعيدة في [سيراكوز] وأكتظت بالسكان لنزوح الناس اليها من كل الأمصار. ورغب [تيموليون] بعدئذ في تحرير مدن أخرى من عبودية ماثلة، والقضاء قضاءً مبرماً على الحكم المستبد وازالته من صقلية. فزحف على البلاد التي كانت تزرع تحتته، وأرغم [هيسيتيس] أولاً على التخلي عن مصالح القرطاجيين وهدم القلاع التي كان يسيطر عليها واعتزل الحكم ليعيش بين [الليونتينين] فرداً عادياً. وحذا حذوه [لپتينس] طاغية [ابولونيا Apollinia] وكثير من المدن الصغيرة الأخرى، بعد ابدائه بعض المقاومة، ورؤيته الخطر الذي يكمن في هزيمة عسكرية، فاستسلم. فأبقى [تيموليون] عليه وارسله الى كورنث، معتبراً قيام المدينة الأم بعرض هؤلاء الطغاة الصقليين على الأغرقي في المنفى وبحالة بانسة، من قبيل الأعمال المجيدة ومن دواعي الفخر. وبعد هذا عاد الى سيراكوز حتى يتفرغ الى سنّ دستورٍ جديد<sup>(٢٥)</sup>، وليساعد [كيفالوس Cephalus] و[ديونيسيوس] اللذين بعثت بهما كورنث لوضع القوانين، في تشيبت أهم موادّه واحكامه. ورغب في الوقت نفسه أن لا يبقى جنوده المأجورون عاطلين، وإن يغنموا لأنفسهم شيئاً من العدو بالأحرى، فبعث بقسم منهم تحت قيادة [دينارخوس] و[ديماريتوس] الى ناحية من الجزيرة ما زالت تحت السيطرة القرطاجيين. فاستنفروا عدة مدن للثورة على البرابرة. وغنموا ما أمّن لهم الحياة الباذخة فضلاً عن توفيرهم من اسلابهم ما يكفي لمواصلة الحرب. في تلك الاثناء نزل القرطاجيون في ساحل [ليليبيوم Lilybaeum] الصخري بجيش قوامه سبعون ألفاً نقلتهم مائتا سفينة ضخمة، فضلاً عن الف سفينة أخرى موسقة بالآلات الحصار والثغر، والعجلات الحربية، والقمح وغير ذلك من المهمات الحربية. وكل هذا يدل على أن نيتهم شنّ حربٍ طاحنة هدفها طرد الاغرقي كافةً وبصورة نهائية من صقلية لا حرباً متقطعة متدرجة كالسابق.

(٢٤) هُزم هملقار الذين انزل قواته في صقلية وكانت تبلغ ثلاثمائة ألف مقاتل في السنة الثانية من الاولبياد الخامس والسبعين [ديودوروس].

(٢٥) من الأنظمة الحكيمة التي قررها انتخاب رئيس قضاة كل سنة يطلق عليه أهالي سيراكوز لقب «امفيپولس جويتر اوليبوس» وبهذا أضفي عليه شخصية مقدسة وكان أول من تولى المنصب (كومينس) ومنها جاءت عادة السيراكوزيين في حساب سنينهم بحكم هؤلاء القضاة.

كانت في الواقع قوة كافية للتغلب على الصقليين حتى ولو كانوا قلباً واحداً متحدين فيما بينهم لم تضعفهم النزاعات الحادة. وبسماح القرطاجنيين ما حلّ من دمار بمستعمرتهم، زحفوا على الكورنثيين ونار الغيظ تأكل افئدتهم، بقيادة الجنرالين [هسدروبيل Asdrubal] و[هميلقار Hamilcar].

ووصلت الانبياء عن عدوهم وقوتهم الى سيراكوز فجأة، فدبّ الفزع في الاهلين حتى انه لم ينضم للجيش من عشرات الألوف فيها غير ثلاثة آلاف أو أقل. أمّا الجنود الاجانب الذين يتقاضون أجراً فكان عددهم اربعة آلاف فقط، دبّ الهلع في قلوب ألفٍ منهم فتحلوا عن [تيموليون] وهو في مسيرته الى العدو وتركوا صفوف الجيش، فبدأ عليه الاحتياج والذهول وذهبت المفاجأة بلبّه وشتتت خاطره وهو أمر لم يكن منتظراً منه في هذه الساعة المخرجة من حياته أن يحاول الاشتباك بجيش قوامه سبعون ألفاً، وليس معه غير خمسة آلاف من الرجالة والف من الخيالة في حين كان المنطق يقضي بابقاء هذه القوات من للدفاع عن المدينة، إختار ان يحركها من [سيراكوز] ويكبدها مسيرة أيام ثمانية. فإن هُزموا في ميدان القتال فلا موضع يتقهقرون اليه ولا قبور تضم رفاتهم أن سقطوا قتلى في المعركة. على ان [تيموليون] وجد في كشف الجبناء عن أنفسهم قبل المعركة فألاً حسناً وحدثاً لا يخلو من فائدة. وانصرف الى تقوية معنوية الباقين وتشجيعهم. وأسرع بهم الى نهر [كريميسوس Crimesus] (٢٦) حيث بلغه ان القرطاجنيين قد حشدوا قواتهم.

وفيما كانت قواته تتوقل مرتفعاً لتستطلع من قمته جيش العدو وقواه المحشودة إذ بها تلتقي بقطارٍ من البغال المحملة بأعشاب البقدونس. فعده الجنود فأل سوءٍ وطالع نحس، فهذا النبات كثيراً ما تزين به اضرحة الموتى. وهناك مثل سائر مشتق من هذه العادة فيقال عن المريض مرضاً عضالاً، انه ليس بحاجة الى شيء غير البقدونس. ولأجل ان بهديء تيموليون من روعهم ويطمئن خواطهم ويحرر اذهانهم من كل الخرافات ونذر الشر؛ توقف وارتجّل خطبة مناسبة للحال قال فيها «ان الحظ اسعدهم الآن بأكاليل النصر التي جاءتهم منقادة من تلقاء نفسها ووقعت في ايديهم كبشير من بشائر الظفر: فهذا النبات يتوجّ به الكورنثيون ابطالهم الفائزين في الالعاب الاستممية. مُعتبرين البقدونس في ذلك العصر شعار الفوز في الالعاب الاستممية كما هو الآن شعار الرياضة [النيمية Nemean] ولم يبدأ استعمال أغصان الصنوبر بديلاً عنه إلا في زمن ليس ببعيد جداً عن عصرنا هذا.

وختم تيموليون كلمته بتناول مقدار من البقدونس وعمل إكليلا منه لنفسه وحذا حذوه

(٢٦) نهير في صقلية يشير اسمه الى عشب البقدونس الذي ينمو على ضفافه بكثرة.

ضباط جيشه وسائر قطعاته. وفي تلك الاثناء لاحظ العرافون عقابين يطيران نحوهم. أحدهما مُنْشَبٌ مخالبه في أفعى. والآخر يطلق وهو طائر صيحة عالية تدل على الجرأة والتحدي. فوجهوا اليهما انظار الجنود الذين جثوا كافةً وتوجهوا الى الآلهة بالصلاة ودعوها الى شدّ ازهره كان الوقت أول الصيف، ونهاية الشهر المسمى [تارجيليون] غير البعيد كثيراً عن الانقلاب الفصلي: Solstic. وكان النهر يُصعدُ ضباباً كثيفاً ينتشر فيسدل على السهل كله ستاراً من الظلام. لذلك تعذر عليهم لفترة من الزمن ان يستوضحوا شيئاً من معسكر العدو. خلا اللفظ والمزيج غير الواضح من الأصوات التي تتناهى الى المرتفع، مما ينشأ عادة من حركات بعيدة وضجيج جموع غفيرة. بعد أن اتمّ الكورنثيون صعود المرتفع وبلغوا القمة، والقوا بتروسهم جانباً ليصيبوا شيئاً من الراحة، أرتفعت الشمس في كبد السماء وأصعدت معها الانجحة من الاسفل وتجمّع الهواء المثقل بالضباب وتكاثف عالياً وكوّن سحباً فوق الجبال وانقشع الضباب عن الأراضي الواطئة فأضت الرؤية واضحة، وبدأ نهر [كريميسوس] لهم ثانية والاعداء يعبرونه اولاً بعجلاتهم الحربية الضخمة التي تجر واحدها اربعة خيول، وتلاها عشرة آلاف مقاتل راجل يحملون اتراساً بيضاً وتدل نفاسة أسلحتهم ويطء مشيتهم وأسلوب خطوهم أنهم قرطاجينيون. ثم جاءت في أعقابهم حشود متدافعة من مختلف الأقوام تتسابق على العبور متزاحمة دون نظام وادرك تيموليون أن النهر يتيح لهم فرصة في الانفراد بقتال اي عدد من الاعداء يقررون الاشتباك معه الاشتباك معه فوراً ووجه انتباه جنوده الى انقسام قواتهم الى قسمين منفصلين بمرعى النهر فبعضهم اتمّ العبور في حين كان بهم الآخرون بعبوره. واعطى اشارة [الديماريتوس] ليهجم بخيالاته على القرطاجيين حتى يوقع الخلل في صفوفهم قبل ان يلمّوا شعشعهم وينتظموا في نسق المعركة. ثم انحدر بنفسه الى السهل واضعاً السيراكوزيين في القلب مع أقوى وأصلب الجنود المرتزقة يحيطون بشخصه ثم أنتظر قليلاً ليرى ما يحققه هجوم خيالاته. وتبين له أن العجلات الحربية التي كانت تجرى ذاهبة آبية امام الجيش، لم يقتصر عملها هذا على منع الخيالة من الالتحام بالقرطاجيين، بل كانت ترغمهم على الدوران لثلاث تخترق صفوفهم وتمزقها، ثم يعودون فيصلون مجدداً. فما كان منه إلا أن قبض على ترسه وصاح بالمشاة أن يتبعوه بثقة وشجاعة وبدا وكأنه يكلمهم بلهجة لا بشرية، وبصوت أقوى من الاصوات الاعتيادية. والأمر سواء أكان صوته قد ارتفع تلقائياً بالحماسة والحمية اللتين ابتعثهما تصميمه على قتال العدو، أو أن ربّما من الأرباب كل تحت لسانه - كما خيل لكثيرين، فإن جنوده روّدوا صدى صيحته وطلبوا أن يدفع بهم الى قلب المعركة فوراً فأعطى الخيالة اشارة الانسحاب من الجبهة الأمامية حيث توجد العجلات وكرّ على الأعداء

من الزاوية ليكون الهجوم من المجنبية. وثبت قدمه جيشه الأمامية برص الرجال ووضع الترس لصق الترس. وأمر بأن ينفخ في النفير وهجم.

تلقى القرطاجنيون الهجمة الأولى وثبتوا لها. فان جسومهم كانت مغطاة بالزرد الحديدية ورؤوسهم محمية بالخوذ النحاسية، فضلاً عن تروسهم الكبيرة التي كانت تردّ عنهم طعنات الرماح اليونانية. لكن لما احتكم الجمعان الى السيوف، والتفوق فيها يعتمد على البراعة لا القوة وحدها. ولما سمع هزم رعود قاصفة مصدرها قمم الجبال، تخللتها ومضات بروق تخطف الأبصار، وأعقبها حلول ظلام داجن حام برهة فوق المرتفعات وذرى الجبال ثم هبط لنشر جناحيه على ميدان القتال حاملاً معه عاصفة مطرٍ وريحٍ وبرّد. اندفعت هذه العاصفة الى الاغريق ومستّ ظهورهم مسّاً ثم مضت واناخت بكلكلها على وجوه البرابرة. وانثال المطر عليها وبهر البرق الاعين، فصعب الأمر على القرطاجنيين وأسقط في يدهم، شأنهم في هذا شأن كل مستجدّ في هذه العوارض لأنهم لم يتعودوها، لاسيّما هزيم الرعد ودويّ زخات المطر، والضجّة التي تنشأ عن اصطدام البرد بالأسلحة والدروع المعدنية مما حال دون سماعهم أوامر ضباطهم والى جانب هذا كان الطين من أصعب العوائق للقرطاجنيين. لأن تجهيزاتهم لم تكن بالخفيفة، فقد أرهقوا أنفسهم كما ذكرتُ بالدروع الثقيلة. ثم أن قمصانهم الداخلية أشبعت بالماء، كما امتلأت به ثنيات صدُرهم فأتقلتهم وأعاقت حركتهم في القتال، وسهلت على الاغريق أن يطرحوهم ارضاً فلا تقوم لهم قائمة اذ يتعذر عليهم القيام وأسلحتهم بأيديهم من فرط ثقل الحديد. وارتفعت مياه [كريميسوس] أيضاً بفعل الأمطار، والحاجز الذي اعترض مجراه من أعداد العابرين الوفيرة. فطغى على الضفاف وانساح في السهول المجاورة التي تشققها الأخاديد والسواقي النازلة من سفوح المرتفعات، وملئت ماءً فأضت مجاري ونهيرات لا مسالك معينة لها، فتعثر فيها القرطاجنيون وتاهوا في شبكتها ووجدوا أنفسهم في أخطر مأزق. وبمختصر القول العاصفة تصبّ عليهم جام غضبها والأغريق أمّوا ابادة اربعمائة مقاتل من خطوطهم المتقدمة. وانكفأ الجيش على الأعقاب وراح ينهزم، فلحق المنتصرون باعداد كبيرة منه واعملوا فيها حدّ السيّف أما البقية فقد أتجهت الى النهر وأخذت تعبر الى الضفة الأخرى فأصطدم جنودها بالوحدات القادمة من وسط النهر فجرفهم التيار وأغرقهم. ولكن القسم الكبير منهم حاولوا الصعود الى المرتفعات والإحتماء بها. فأدركتهم وحدات العدو الخفيفة وقضت عليهم. وقيل أن ثلاثة آلاف<sup>(٢٧)</sup> من بين عشرة آلاف قتيل كانوا من المواطنين القرطاجنيين، خسارة فادحة ونكبة عظيمة لقومهم! فهؤلاء القتلى كانوا من خيرة مواطنيهم

(٢٧) يقول [ديودوروس ٨:١٥] ان عدد القتلى بلغ الفين وخمسمائة.

حسباً وثروةً وجاهاً. ولم يسجل تاريخهم قطّ مثل هذا العدد من القتلى القرطاجيين في اي معركة لهم قبل هذه لأنهم عادةً يستخدمون الأفارقة والاسبان والنوميديين في حروبهم، فاذا هزموا فإن العُرم والأذى يقع على عاتق الأقوام الأخرى.

واتضح للاغريق حالاً مكانة القتلى وحالتهم الاجتماعية من نفاسة الغنائم لأنهم عندما بدأوا بجمعها - لم يأبهوا لا بالحديد ولا بالنحاس، فالمعادن الأكثر نفاسةً كانت كثيرة، وكانت رؤية الفضة والذهب أمراً اعتيادياً. وأمّا عن الأسرى فقد سُرق الجنود عدداً كبيراً منهم وبيع خلصةً، ومع هذا فقد جيء بحوالي خمسة آلاف وسلموا للمسؤولين للمنفعة العامة. وأُغتتم مائتا عربة حربية أيضاً. وبدت خيمة [تيموليون] بأفخم وازهى منظر فقد ملئت بشتى أنواع الأسلاب وعلقت في جوانبها مختلف التذكارات الحربية والزينات منها ألف درعٍ صديريّ ذي صنعة دقيقة وجمالٍ أخذ، وتروس يبلغ عددها عشرة آلاف. ولم يكف عددُ المنتصرين لعملية تجريد القتلى من سلاحهم. ولنفاسة الغنائم وكثرتها تأخرت إقامة النصب التذكاري للمعركة، ثلاثة ايام. وبعث [تيموليون] بابناء انتصاره الى كورنث مع أفضل وابدع الأسلحة المغتنمة، شاهداً واثباتاً. ورفع اسم بلاده عالياً في ارجاء الدنيا. ولهج الناس بالشناء عليها اذ يروا معابدها وحدها دون سائر المدن اليونانية الأخرى. مزدانة مكتظة بما انتزع من البرابرة أعداء الشعب الأغرقي عنوةً واقتداراً لا بغنائم وتقدمات سلبوها من بني الأغرقي الآخرين. نتيجة سفك دماء اخوانهم والاعتزاز عندما يرون امثال هذه الأقوال مكتوبة عليها: لقد انتشل الكورنثيون وقائدهم تيموليون أغريق صقليه من عبودية القرطاجيين، ولهذا فانهم يقدمون الى الأرباب هذه القرايين اعترافاً بجميل فضلهم وامتناناً منهم وهي عبارات تنم عن عدالة الفاتحين فضلاً عن شجاعتهم.

بعد أن أكمل تيموليون عمله هذا، أبقى الجنود المرتزقة في اراضي العدو لمصادرة وحمل كل ما يجدونه في المناطق الخاضعة لقرطاجنة وساق بقية الجيش عائداً الى [سيراكوزا] وأصدر ساعة وصوله أمراً بنفي الجنود المرتزقة الألف الذين تخلوا عنه بدناءة، وانفصلوا عن جيشه قبيل المعركة. وأرغمهم على مغادرة المدينة قبل مغيب الشمس. فاجروا الى ايطاليا وهناك ابادهم [البروتيون] الى آخر نفر رغم عهد الأمان الذي قطعوه لهم. وهكذا لاقوا جزاءهم العادل من القوى الالهية على خستهم وغدرهم. على أن [ماميرقوس] ومن بعده [هيسيتيس] جددا حلفهما مع القرطاجيين ربما بدافع الغيظ من انتصارات تيموليون، أو لتأكدهما بأنه من لا يمكن التفاهم معه ولا المهادنة وان لا وجه للقاء بينه وبين الطغاة. وأشدت الحاحهما على حليفتهما بارسال جيش وقائدٍ جديدين الى صقلية. إلا اذا قاموا بخسارة كل

شيء. أو في حالة تخليهم نهائياً عن الجزيرة. فبعثوا بالقائد [غيسكو Gisco] على رأس عمارة بحرية قوامها سبعون بارجة. تحمل عدداً كبيراً من جنود الأغرقي المرتزقة. وكان هذا اول تطوع لهم في خدمة القرطاجيين. والظاهر أن مستأجرهم كانوا معجبين بهم يعلقون آمالاً جساماً على بأسهم وشدة مراسهم. وتمّ توحيد قوات الحلف في [مسينا]. وفي تلك المناطق تمكنوا من الفتك بارعمانه من مرتزقة تيموليون. ونصبوا كميناً أيضاً لجميع المرتزقة الآخرين الذين كانوا بقيادة [يوثيموس Euthymus] [الليوقادي Leucadian] في موضع من المستعمرة القرطاجية يقال له [هيراى Hierae] (٢٨) وافنوهم. كانت هذه الحادثة أقوى دليل على رعاية الحظ لتيموليون فهؤلاء القتلَى وكانوا من جماعة [فيلومليس Philomelus] وفوكيس Phocis وانومارخوس Onomarchus] الذين أقتحموا معبد ابوللو في دلفي وشاركوه في الكفر والتجديف (٢٩). فجفاهم الكلّ ونبذوهم كما ينبذ الملاعين فأضطروا الى التجوال في أرجاء البلوبونيسوس بلا هدف أو عملٍ حتى ضمهم تيموليون الى حملة صقلية بسبب حاجته الى الجنود وحالفهم النجاح في كل المعارك التي خاضوها تحت أمرته. حتى زالت الأخطار الجسيمة. فاذا بأجالهم تحين عند ارساله اياهم لإسناد قطعاته الأخرى، فيهلكوا جميعاً وتذهب ريحهم بعيداً عن تيموليون، بجماعات وشراذم صغيرة هنا وهناك، وبهذا تحقق الانتقام الالهي الذي كتب عليهم وكان خادماً طبعاً للحظ الذي ما برح يحرس تيموليون مانعاً كل أذى واحجاف عن أخيار الرجال اثر عقاب ينزل بالأشرار، إن حرص الآلهة على رعاية البركات والنعم التي أدرتها لتيموليون كان عظيماً في حالتي النجاح والفشل والسعد والنكد.

كان التحقير والاهانات التي عاناها السيراكوزيون من الطغاة، أشدّ وقعاً عليهم من كل الاضطهادات الأخرى. خذ مثلاً [ماميرقوس]، كان هذا الطاغية الكثير الزهو بنفسه والاعتداد بموهبته في نظم الشعر والتراجيديا انتهز فرصة تقديمه للآلهة تروس الجنود المرتزقة الذين فتك بهم، ليفخر بانتصاره في هذين البيتين البذيئين:

(٢٨) ليس ثم موضع في صقلية بهذا الاسم. وربما كان المقصود (هيتي) وهي قلعة ذكرها الكتاب الاقدمون.  
(٢٩) بدأت في السنة الأولى من الاولبياد المائة والثمانية. وكانت اسباب نشوبها كما يلي: فرض أهالي امفكيتون على أهالي فوكيس غرامة ثقيلة بسبب اجتياحهم ونهبهم أراضي [كيرا الموقوفة على ابوللو. فعجز هؤلاء عن دفعها فصدورت اراضيهم كلها وأوقفت على ابوللو. فجمع [فيلونيلوس] الاهالي وحرصهم على نهب كنوز معبد دلفي واستخدامها لاستئجار جنود للدفاع عن انفسهم. وقد جرّ هذا الى حرب السنوات الست. هلك خلالها معظم من حلّت عليه لعنة ابوللو حسب تعبير ديودورس ١٦:١٥ و ٢٧ و ٦٠. فقد هوى فيلوميلوس من منحدر فهلك. واتومارخوس الذي خلفه في القيادة قتله جنوده وعلقوه على صليب. واخوه فايالوس مات بأكلة داء الصدر. ولم تخلص نسوتهم من العنة لأنهن لبسن الحلى التي نهبت من المعبد.



هذه التروس<sup>(٣٠)</sup> المزدانة بالذهب والأرجوان والعاج

انما غنماناً من حربنا مع أناس فقراء!

ثمَّ عندما زحف تيموليون الى كالاوريا [Calauria]، بادر [ايكيتس] بالاغارة على تخوم سيراقوز فضم مقداراً كبيراً من الأسلاب وعات فيها فساداً وأحدث كثيراً من التخريب ثم قفل عائداً الى [كالاوريا] مستخفاً بتيموليون وقوته الضعيفة التي كانت معه اذ ذلك. فلم يعترضه بل تركه يتقدمه مسافةً، ثم لحق به بفرسانه مشاته الخفيفة، ولما أدرك [هيسيتيس] ان العدو يتابعه بادر الى عبور نهر [داميرياس Damyras]<sup>(٣١)</sup> وتوقف وصَفَّ جنود للقاءه وكانت مواضعه جيدةً منيعة اشاعت في نفسه الثقة فقد أفاد من وعورة الممرِّ وارتفاع الضفتين وشدَّة انحدارهما. وفي تلك الاثناء وقعت مشادة غريبة بين الضباط على اسبقية الهجوم، اذ لم يكن واحد منهم يرغب أن يكون زميله سباقاً عليه والجميع يدعون بحق التقدم على سائرهم في القتال. وكان من المحتمل جداً أن يغدو عبورهم النهر فوضى تامة ويختلَّ حبل النظام بتكالبهم وتزاحمهم. لذلك قرر تيموليون تسوية الأمر بالقرعة وأخذ من كلِّ مطالب بالحق خاتماً وجمعها في ذيل عباءته وهزَّها، وشاء القدر أن يكون أول خاتم أخرجه ذا نقش يمثل نصيباً تذكاريّاً لانتصارٍ على شكل ختم. فهتف الضباط فرحاً ولم ينتظروا حكم الخطِّ في البقية وانما مضى كل منهم لطيبته وعبروا النهر باسرع ما يمكن وحملوا حملة واحدة على العدو الذي لم يحتمل عنف الهجوم وأطلق السيقان للريح تاركاً سلاحه مع ألف قتيل في ميدان القتال.

واستعجل تيموليون الزمن، فزحف على مدينة [الليونتينيين] وأخذ هيسيتيس وابنه [يوبوليموس Eupolemus] وقائد خيالاته [يوثيموس] أحياء. اذ ان جنودهم انفسهم قدموهم الى تيموليون مقيدين بالحبال. وقتل [هيسيتيس] وابنه لكونهما من الطغاة والخونة، ولم يجد [يوثيموس] رحمة ولا غفراناً ولم تشفع له شجاعته الذائعة الصيت. لأنه متهماً بسب الكورنثيين وإهانتهم عند أول نزول لهم في صقلية. فقد أثر عنه انه قال لأهالي [ليونتيين] في خطاب له حول نزول القوات الكورنثية: إن الأنبياء ليست مخيفة. ولا خطر يحسب حسابه من جراء: «خروج نساء الكورنثيات من منازلهن!»

حقاً إن التعريض المهين والكلام البذيء الفاضح أشدَّ وخزاً وأبعث على الحقد في نفوس الرجال من أعتداء اليد واعمال السوء أنَّ الناس لا يعبرون على الإهانة بقدر ما يعبرون على الجراح. والضرر والأذى الفعلي الذي يوقعه الخصم قد يمكن اغتفاره ففي حالة الحرب لا يتوقع

(٣٠) وهي التروس التي أخذت من معبد دلفي.

(٣١) أو «لاميرياس» فالفرق بين نطق A الاغريقية و A اللاتينية خفيف جداً.

أقل من هذا. في حين ان قارص الكلام وفاحشه قد يبدو مظهر كره وحقد لا ضرورة له، نابغ عن الافراط في الحقد والتماذي في الاضطغان.

لما عاد تيموليون الى سيراقوز دفع المواطنون بزوجات هيسيتيس وبناته وابنه الى المحاكمة الشعبية وحكموا على الجميع بالموت. ويبدو أن هذا العمل كان أقل أعمال تيموليون تشريفاً في حياته فلو انه تدخل، لحفظ حياة هؤلاء النسوة التاعسات. وظاهر الحال يؤيد انه لم يقم للأمر وزناً وسلمهم للجماهير التي كانت متحرقة لأخذ ثار [ديون] الذي طرد ديونيسوس، فان [هيسيتيس] قبض على زوجه [أريته Arete] وأخته [أريستوماخه Aristomache] وابنه الذي لم يتعد دور الحداثه والقاهم في اليم وهم أحياء، كما فصلنا ذلك في سيرة [ديون]. ثم توجه الى [كتانا] لقتال [ما ميرقوس] والتحم معه في معركة قرب نهر [ابولوس Abolus] (٣٢) وهزمه فهرب من وجهه بعد أن خلف أكثر من ألفي قتيل منهم عدد كبير من الفينقيين الذين أرسلهم [غيسكو] نجدة له، وعلى أثر ذلك طلب القرطاجيون عقد الصلح فأجيب طلبهم واتفق الجانبان على الشروط التالية: أن يكون نفوذ القرطاجيين قاصراً على الحدود التي يرسمها مجرى نهر [ليكوس Lycus] (٣٣)، وان لا يمنع السكان الراغبون في النزوح الى اراضي سيراقوز من الرحيل مع ذويهم وأموالهم. وان تتعهد قرطاجنة بقطع كل ارتباط والغاء كل اتفاق لها مع الطغاة. ولم يجد [ماميرقوس] اليانس المنبوذ إلا أن يستقل سفينة للابحار الى ايطاليا، مستهدفاً حضّ [اللوكانيين Lucanians] على حرب تيموليون وسيراقوز. إلا ان بحارة السفينة عادوا بها من حيث أتت وسلموا مدينة [كتانا] الى تيموليون، فاضطر [ماميرقوس] الى الفرار خوفاً على حياته واللجوء الى [مسينا] حيث يحكم [هيو Hippo] الطاغية. فتقدم تيموليون والقي الحصار على المدينة من البر والبحر وخشي [هيو] سوء العاقبة وحاول الافلات خلسة من طوق العدو باحد السفن إلا أن أهالي [مسينا] فاجأوها قبل اقلعها وامسكوا بالطاغية، ثم جمعوا أولادهم من المدارس كافة وجاؤوا بهم الى الملعب ليشاهدوا منظر انزال العقوبة بالطاغية المتجبر. ضربه أولاً بالسياط، ثم قتلوه علناً. واستسلم [ماميرقوس] الى تيموليون بعد أن تعهد له هذا بأن تجري محاكمته في سيراقوز، وان لا يشارك تيموليون في الاتهام. فاقتيد الى المحاكمة بناء على ذلك ووقف ليجيب عن التهم امام الشعب المحتشد وياشر في القاء خطبة أعدها من قبل تتضمن الدفاع

(٣٢) بطليموس وأخرون يسمونه Alabus او Alabis او Alabon وهو قريب من [ميبله] بين [كاتاتا] و[سيراقوز].

(٣٣) ربما نقل پلوتارخ الاسم كما وجده عند [ديودورس ١٦: ٨٢] إلا ان المؤرخين الآخرين يطلقون عليه أليكوس أو هاليكوس. ولعل القرطاجيين أضافوا اليه «أل» أو «ها» التعريف الخاصة بلغتهم.

عن نفسه. فقوطع بالضجيج والهتاف العدائي. ولاحظ من سلوك العامة واشكالهم أن لا أمل فيهم فألقى عباءته جانباً وأسرع يعدو في أرجاء الملعب باقصى ما يطيق. ثم نطح صخرة في أسفل المقاعد قاصداً القضاء على حياته، إلا أنه لم يفلح واخطأ الموت الذي اراده، فقبض عليه واذيق ميتة اللصوص وقطاع الطرق.

بهذا قطع [تيموليون] أعصاب الطغيان ووضع حداً للحروب. كانت صقلية في أول نزوله تسبح في بحر من الفوضى، وكانت أمورها قد أختلت الى حدٍ كره أهلها السكنى فيها ونزحوا عنها تخلصاً من الشرّ والبؤس. فما لبث تيموليون أن أصلح من شأنها. وأعاد اليها مظاهر الحضارة والمدنية وجعلها قبلة انظار الجميع، ومطمحهم، وتقاطر اليها الاجانب من شتى الامصار للسكنى في المدن والبلدان التي تركها أهلها فقرا يباباً. وأكتظت مدينتا [اگرىگنتوم Agrigentum وغيلا Gela] الشهيرتان بالسكان ثانية وكان القرطاجنيون قد خربوها وهدموها بعد الحروب الآتيكية. عمّر الأولى منهما [ميجيللوس Megellus وفيريسستوس Phirestus] الاليائيان. وعمر الثانية [غرغس Gorgus] السيوسي. وأجتمع فيهما سكانهما الأصليون الذين أعيد جمعهم من شتى الانحاء، ونازحون جدد من الخارج. ولم تكن مهمة تيموليون قاصرة على تأمين العيش الآمن المستقرّ للجميع بعد هذه الحرب الضروس، وإنما تعداه الى بذل المعونة ومديد المساعدة لهم. ولذلك لُقّب بمؤسس البلاد. وكان هذا الشعور بسود أهل صقلية كافاً. وأستولى عليهم اعتقاد وهو انه لا سبيل للسلم يسلك ولا اصلاح للقوانين ولا توزيع للأراضي الزراعية ولا اعادة لبناء اجهزة للحكم يتم بل ولا اي شيء حسن يتحقق الا اذا كان تيموليون طرفاً فيه أو كان مهندسه الأول. ليقوم على انجازة واحكام صنعه. أو هندمته بلمسات دقيقة أخيرة من يده ليغدو جميلاً في عين الله والانسان.

ان بلاد اليونان أنجبت في ذلك العهد عدداً من عظماء الرجال وعباقرتهم. وأشتهروا كثيراً بجلائل الأعمال من الامثال [تيموتيسوس Timotheus وأغيسيلالوس Agesilaus وپيلوپيداس Pelopidas وپامنداس] (النموذج المحتذى الأول لتيموليون). إلا أن جلال خبير أعمالهم تضاعف بالشدة والجهد العسير الذي بذل فيها (باستثناء الضرورة التي الجأتها الى قتل أخيه) إلا وينطبق عليه شعر [سوفوكليس] كما لاحظ طيماؤوس:

ايتها الآلهة! ماذا فعلت فينوس بل ماذا فعلت النعمة الالهية، باجتماعهما معاً  
في الأعمال البشرية؟!».

فكما يظهر الجهد والتعب والزخرفة في شعر انتيماخوس Antimachus<sup>(٣٤)</sup>، ورسوم

(٣٤) شاعر ملحمي. من كولوفون وهي مدينة أيونية. نبغ أيام سقراط وأفلاطون ونظم قصائد حملت اسم =

[ديونيسيوس]<sup>(٣٥)</sup> وتُحِفُ [كولوفون Colophon] مع انها تزخر بالحركة والقوة، اذا ما قورنت باشعار [هوميروس] ورسوم نيقوماخوس<sup>(٣٦)</sup> التي تتضمن سحراً عجيباً الى جانب قوتها وجمالها العام - ذلك السحر الغريب المتأني من سهولة عملها وبداهته كما يظهر للمتأمل لأول وهلة، كذلك كانت أعمال وحملات [إيامنداس واغيسيلاوس] العسكرية، يظهر فيها الجهد الكبير والمشقة اذا ما قورنت باعمال [تيموليون] السهلة الانجاز المنقادة طبيعياً... والنبيلة الاهداف أخيراً. وهذا ما يُرغم اجتهادنا العادل غير المتحيز على الحكم بأن اعمال [تيموليون] ليس مبعثها الحظ وانما هي نجاحات للمؤهلات المحظوظة، وان كان هو بالذات يعزو ذلك النجاح الى محاباة الآلهة له ليس إلا. ولذلك تجده يقول في رسائله الى اصدقائه الكورنثيين وخطبه في أهالي سيراكوز: انه ليشكر الآله الذي خلص صقلية، وشاءت ارادته أن يشرفه باسم ولقب «المنقذ» الذي تلطف عليه به. ولهذا بنى في منزله هيكلًا يضحى فيه لآلهة الحظ التي حبته بعطفها. وأوقف المنزل نفسه على «الروح القدس».

كان المنزل قد اختاره السيراكوزيون له هديةً وصرحاً تذكاريًا لمآثره وبطولاته. كما منحه قطعة أرض من أفضل وأجمل الاراضي في البلاد. وكان يقضي فيهما جل أيامه مستمتعاً بحياة خاصة هادئة مع زوجته وأولاده الذين استقدمهم من كورنث، لأنه لم يعد الى وطنه قط لعروفه عن اضطرابات بلاد اليونان ونزاعاتها، أو لأنفته من تعريض نفسه للغيرة العامة (وهو أخطر الأذى الذي يتعرض له كبار القادة عادةً ويتأتى من شهوتهم الى الرفعة والسلطان التي لا تقف عند حد)، وكان حكيماً في اختياره قضاء بقية أيامه في صقلية لينعم بقسط من آثار أعماله. وأعظمها طراً مشاهدته ذلك العدد الكبير من المدن تنمو وتزدهر وتعمر بالألوف العديدة من الناس. وهم يحيون حياة رغيدة راضية بجهوده ومساعدته.

وعلى كل حال فان قول [سيمونيدس] «لا مفر من قيام عَرَفٍ على رأس كل قبرة» ليس قاصراً على هذا المثل وحده، بل ينطبق على كل نظام ديمقراطي، فلا بد أن يبرز فيه معارض مزيف ومتهم كذاب. وكذلك كان الأمر في [سيراكوز] اذ انبرى اثنان من الخطباء الجماهيرين

= مدينة ثيبية Thebiad.

(٣٥) كان رسماً. ولذلك سمي بالانثروپوكرافوس (پلين ١٠:٣٥). وبخبرنا ان نيقوماخس كان يرسم بيد سريعة ماهرة وان لوحاته كانت تباع بما يعادل ثمن بلدة! اتفق معه اريستراتوس طاغيه سيراكوز على رسم صورة ولم يكن يبدو أنها ستحتاج الى كثير من الوقت. إلا أن نيقوماخس تباطأ ولم يقدم إلا بعد ايام موافقاً على القيام بالرسم. إلا ان الطاغية نقم عليه لامبالاته وفكر في عقابه. لكن الرسام اكمل عمله خلال المدة المتفق عليها وبلغ فيه الابداع بحيث نال رضى الطاغية.

(٣٦) توفي في العام ٣٢٧ ق.م بعد أن حكم صقلية ثمانين سنوات [ديودورس ١٥:٩٠].

وهما [لافيستيوس Laphystius وديمياتتوس Demaenetus] وأنشأ يفتريان على تيموليون ويشوّهان سمعته وطلب أولهما منه أن يتعهد بالإجابة على التهم التي ستوجه إليه. وأبى تيموليون أن يتدخل الجمهور في الإجراءات القضائية أو يعمل على إيقافها مدفوعاً بسخطه واستنكاره وحجته في ذلك أنه ما خاض هذه الحروب الطاحنة، وتكبد تلك المشاق والأخطار إلا للوصول إلى هذه الغاية أي أن يكون لكل مواطن الحق في الرجوع إلى القانون بكل حرية عندما يشاء. وعرض [رمنيتسوس] للشعب لائحة بعدد من التهم ضده عن أعمال عزاها إليه عندما كان قائداً للجيش. فلم يجب تيموليون بشيء خلا قوله أنه مدين بالكثير للآلهة لأنها حققت له رجاء طالما ناشدها نجاحه. وأعني به أن يعيش ليرى السيراكوزيين وهم يتمتعون بحرية القول، وهي تبدو الآن وكأنها ملك يمينهم.

وهكذا اعترف الجميع أنه قام بأشرف ما قام به أي أغريقي معاصر له وأشتهر وحده وبرز في تلك الأعمال التي أعتاد فلاسفه الأغريق وخطبائهم سردها ليحمسوا ويرفعوا بها معنويات أبناء جلدتهم في سائر خطبتهم وتقاريفهم التي يلقونها في الاجتماعات الدينية القومية. وقدم دليلاً دامغاً على حكمة ادارته وشجاعته بمواجهة البرابرة وبانسحابه المسبق من مصائب الحروب الأهلية التي ما لبثت أن أجتاحت بلاد اليونان، وتجنّب صقلية الدماء دون أن يلحقها عيب أو أن تلوّث سمعته، يقابل ذلك عطفه على الأغريق وعلى اصدقائه بصورة عامة. كذلك تقديمه تلك التذكارات التي غنمها في معارك لم يسفك في أغلبها دم كورنشي أو سيراكوزي واحد. فجنّبهم ذرف الدموع ولبس الحداد، زد على ذلك أنه انتشل صقلية في غضون أقل من ثماني سنوات من عللهم المتأصلة وفسادهم الداخلي ودفع بها حرةً إلى أيدي أهلها.

وطعن في السنّ وبدأ يشعر بضعف في بصره لينتفيء تماماً بعد زمن قصير، لم يحرم الرؤية لازورار الخطّ عنه ولا لإقدامه على عمل كانت نتيجة تلك العاهة، بل هو ضعف وراثي داخليّ ظهر بشكل طبيعي فيه بمرور الزمن. فلقد قيل أن عدداً كبيراً من اقربائه وافراد أسرته تعرضوا لهذا الضعف الذي تفاقم بهم، حتى فقدوا ابصارهم مثله في أواخر حياتهم. ويحدثنا [اثانيس] المؤرخ أن بقعة بيضاء صغيرة نزلت على انسان عينه أيام كان يقود الحرب ضدّ [هيوّ ومامبيرقوس] ومنها أمكن الجميع أن يتكهنوا باقتراب العمى منه. إلا أن ذلك لم يمنعه من مواصلة الحصار وادارة دفة الحرب حتى وقع الطاغيتان في قبضته إلا أنه أعتزل منصب القائد الأعلى حال رجوعه إلى سيراكوز وطلب من المواطنين اعفاءه من أي تكليف آخر. ولاسيّما بعد تحسّن الأحوال وسيادة الأمن والاستقرار. ولم يكن ثم ما يدعو إلى العجب لإحتماله مصيبتة برحابة صدر ودون أن تبدر منه إشارة إلى نفاذ الصبر أو الضيق. إلا أن

الاحترام والاعتراف بالجميل الذي أظهره له السيراكوزيون بعد فقدته بصره - يستحقّ اعجابنا والحق يقال. اذ اتخذوا لهم عادة في زيارته أفواجاً وجماعات وكانوا يصحبون الاجانب من الزائرين الى منزله ومزرعته ليسرّوا أيضاً بمشاهدة منقذهم النبيل. وكان حجّهم هذا مصدراً من مصادر سعادتهم وغبطتهم. لقد تعلق هو الآخر بالأرض التي حررها، وأبى إن يستمتع بعودة الظافر الى اليونان بعد بطولاته وانتصاراته ولم يقم وزناً للاستعدادات الفخمة التي اتخذت في الوطن لاستقباله، وأثر البقاء حيث هو وانهاه حياته فيها. وأسمى ما أكرم به تيموليون وأكبرها دليلاً على منزلته في نفوس السيراكوزيين، أنهم اصدروا قانوناً يحتم عليهم الا يستعيروا الأخدمات جنرال كورنثي في حالة اشتباكهم بحرب مع بلاد أجنبية. ومن مظاهر التشريف النبيلة التي اتبعوها في مجالس ادارتهم العامة مما يقوم شاهداً على مدى احترامهم له، أنهم كانوا ينشدون ابدأ مشورته في الأمور الهامة المعقدة، ولايستغنون عن رأيه في الأزمات، أما المسائل الصغرى فكانوا يعالجونها بأنفسهم. وفي تلك المناسبات كان ينقل الى الملعب محمولاً على محفة وهو جالس. فيمرّ في الساحة العمومية وعندما يستقرّ في الملعب يحييه الجمهور كله باسمه المجرد، فيردّ على تحييتهم ويصمت برهة لتقطع هتافاتهم وتمنياتهم الطيبة له. ثم يرفه اذنه الى مواضيع المناقشة ويدلي برأيه، وبعد أن يوضع في الاقتراع العام وتتم الموافقة يرفعه الخدم الى المحفة ويخترقون به المواطنين المجتمعين خارجاً وهتافهم وتهليلهم تدوي من الجانبين. وبعد انصرافه يعودون الى النظر في الأمور الثانوية. كذا كان حبه متأصلاً في النفوس وهو على حافة قبره. كان حباً مشبعاً بالاحترام والحنان الواجب للأب الذي والد الكلّ.

ثم ان وعكة جدّ بسيطة انتابته إلا انها كانت كافية لانهاه حياته بمعونة الزمن. وأعلن عن تخصيص ايام معينة يتفرغ السيراكوزيون في أثنائها الى تهيئة كل ما هو واجب وضروري لتشيعه، ولافساح المجال أيضاً لمشاركة السكان المجاورين والأجانب في المراسيم. وكان يحفّ بالجنائز كلّ مظاهر العظمة والأبهة والروعة وزين النعش بتذكارات الحرب وغيرها من الحلى وحملته نخبة من الشبان ووضعوه على البقعة التي كان [ديونيسوس] قد شيد فوقها قلعته فجاء هو وقوضهما. وحضرت المراسيم ألوف مؤلفة من الرجال والنساء وقد ضفروا اكاليل الزهر على رؤوسهم وارتدوا الثياب الجديدة النظيفة حتى بدأ التشييع وكأنه عيد شعبي. وكانت كلماتهم ودموعهم التي تمزج بالمدح والدعوات لتيموليون الراحل، تظهر أن ولاهم لم يكن مجالمةً وتكريمهم ليس ارغاماً وجبراً بل هو تعبير عن حزن حقيقي وأظهار لحبهم الصادق. أخيراً وضع النعش فوق كومة من الخشب وأشعلت فيه النار. وفي أثناء ذلك بدأ

[ديميتريوس] أعلى المنادين صوتاً، يقرأ البيان العام التالي:

«أصدر أهل سيراقوز مرسوماً يقضي بدفن [تيموليون ابن تيموديوس الكورنثي] على نفقة الخزينة العامة وخصص مبلغ مائتي مينا لذلك. ووضع جوائز سنوية تخليداً لذكوره، تمنح للفائزين في مباريات الموسيقى وسباق الخيل وغيرها من الرياضات البدنية، لأنه كسر شوكة الطغاة وهزم البرابرة وعمر المدن الرئيسية بسكان جدد بعد أن هجرها أهلها. وأعاد للأغريق الصقليين نعمة الحياة الحرة وميزة العيش وفق شرائعهم الخاصة».

وتنادوا في تكريمه وتخليد ذاكره، فبنوا له ضريحاً في الساحة العامة. وأحاطوه فيما بعد بصفوف من الأعمدة، ثم الحقوا به معاهد رياضية للشباب، يمارسون فيها مختلف الألعاب البدنية، وأطلقوا عليها اسم [تيموليونتيوم Timoleonteum]. وظلوا يحافظون على شكل الإدارة والنظام الحكومي<sup>(٣٧)</sup> والقوانين والدساتير التي وضعها لهم وعاشوا زمناً طويلاً يرفلون في بحبوحة من الرخاء والدعة<sup>(٣٨)</sup>.

---

(٣٧) من قوانينهم التي صاغها ديوقليس، بقي بعضها يمارس وتتعلق بصورة خاصة بالوصايا والعقود. أما بخصوص الواجبات والحقوق المدنية التي غيرها الطغاة أو صادروها فقد صححها أو أعادها. وقد طلب في هذا الصدد معاونة كيفالوس [ديودوروس ١٦: ٨٢].

(٣٨) انقطع هذا الازدهار بعد ٣٠ سنة تقريباً بالفظائع التي ارتكبتها اغاتوكلس الذي نصب نفسه طاغية على سيراقوز.

إيميليوں پاولوس  
AEMILIUS PAULUS

---

في ترجمة لونغهورن وترجمة كولينز وردت المقدمة التي صدرها بلوتارخ لسيرة تيموليون هنا.





أجمع المؤرخون كافةً أن أسرة «إميليي Aemilii» هي أحد الأسر الرومانية البارترشسية العريقة. وبخبرنا أولئك المؤرخون الذين يؤكدون بأن [نوما] الملك كان تلميذاً [الفيثاغورس] أن أوّل من خلف اسماً لذريته هو [ماميرقوس] ابن [فيثاغورس] الفيلسوف الذي كان يلقب «إميليوس» ارشاقته ولياقته في الكلام. وا قبل الحظّ ايضاً على معظم سلالته الذين ارتفعوا الى مصاف العظماء لكفاءتهم وقابلياتهم. حتى سوء الحظّ الذي لازم [لوشيووس پاولوس] في معركة [كايّني]<sup>(١)</sup> فهو دليل على حكمته ويسالته. فبعد أن عجز عن أقتناع زميله بالعدول عن المجازفة في معركة، شارك معه في الهجوم إلا أنه لم يكن زميله في الفرار، بالعكس فقد صمد في الميدان وقتل وهو يحارب في حين تخلّى عنه من كان شديد العزم على الاشتباك، وكان [لاميليوس] هذا، بنت اسمها [اميليا] تزوجت [سكيبيو الكبير]، وابن اسمه [پاولوس] وهو موضوع سيرتي هذه.

في مطلع رجولته التي صادفت عهداً اشتهرت فيه روما بنشاهير الشخصيات، تميز اميليوس، بابتعاده عن العلوم والدراسات التي اعتاد تلقّيها الشبان الوجهاء، ولم يسلك الى الشهرة السبل نفسها. لأنه لم يمارس الخطابة لكي يمتهن المرافعة في قضايا الناس، ولم يؤثّر عنه الانحناء عند التحية أو العناق أو مصاحبة الدهماء تزلفاً لهم. وهذا كلّه من الوسائل المعتادة للتقرب الى الناس وخطب ودهم، لا لأنه قاصرٌ عنها، بل لكونه اختار الاستئثار بمجد البطولة والاستقامة والصلاح وهي اسمى الأمجاد وأكثرها خلوداً وفي هذه الفضائل ما لبث أن بزّ كلّ اقرانه. وكانت وظيفة [الايديل] الكريمة أوّل ما تقلّده. فقد تنافس عليها ضدّ اثني عشر مرشحاً بلغت كفاءاتهم ومؤهلاتهم حدّاً أنهم تسنموا فيما بعد منصب القنصلية كافة بالتعاقب. ثم أنتخب فيما بعد الى صنف الكهنة الذين يعرفون [بالاوغور]<sup>(٢)</sup>. ووظائفهم

(١) إعتباراً من لوشيووس اميليوس الذي كان قنصلاً في ٤٨٣ ق.م وهزم القولسكيين حتى لوشيووس پاولوس والد پاولوس اميليوس الذي قتل في كاني ٢١٥ ق.م كان قد اشتهر عدد كبير من أفراد هذه الأسرة بانتصاراتهم ونجاحهم الاداري.

(٢) كان بإمكان الاوگور (العراف) ان يحبط اي عمل من الاعمال العامة أو ان يجيزه بزعم بزعم ان الاستخارة مواتية أو غير مواتية. وفي معهد الاوگور هذا يدخل معظم البارترشسيين الذين يرغبون في =

عند الرومان أن يراقبوا ويسجلوا النبوءات المستخلصة من مسأَر الطير، أو معجزات الفضاء ولذلك تفرغ الى دراسة عادات بلاده القديمة دراسة دقيقة، وتمكن من أسرار دين اسلافه حتى ارتقى بوظيفته التي كانت مجرد لقب شرف يُطلب لنفسه، الى مرتبة من الصناعة والفن عالية جداً بمجهوده الخاصّ واثبت صحّة التعريف الذي وصفه الفلاسفة للدين بوصفه «علم عبادة الآلهة»<sup>(٣)</sup> وكان يحرص عند قيامه باي واجب ديني على الدقة والمهارة، ويتفانى فيها كأنما لا يشغله في الدنيا غيرها. وهو لا يحذف من الشعائر جزءاً مهماً ضؤل ولا يضيف شيئاً مهماً قلّ بل كان يشدد على زملائه من الطائفة أن يلتزموا حتى بما قد يبدو تافهاً ويشدد في توصيتهم بأن توهمهم بسهولة تهدئة غضب رب من الأرباب واستعداده للصفح عن الأخطاء غير المقصودة، لا ينفى كون اي تراخ واهمال هو خطر شديد على السلامة العامة اذ لم يبدأ أي شخص قط في الاخلال سلامة بلاده بخرق شرائعها خرقاً شنيعاً. وان من يهمل في الجزئيات يوجد سابقة وتعلله للإهمال في الكليات والواجبات الهامة. ولم يكن أقل من هذا تشدداً في تطلبه مراعاة النظام الروماني القديم في الأمور العسكرية. وعندما تولى القيادة لم يبذل اي مجهود في تعزيز مكانته بين الجنود<sup>(٤)</sup> والتحجب اليهم بخطب ودّه ومجاملتهم في حين كان هذا عادة جرى عليها كثير من القادة في ذلك الزمن. ففي فترة قيادتهم الأولى يظهرون المحاباة والتردد للمادون كي يضمّنوا لأنفسهم فترة ثانية. على انه استعاد لبلاده عظمتها الغابرة وسوّدها بتلقين الرومان قوانين الضبط العسكري بالعناية والدقة التي يستخدمها الكاهن في تدريسه اصول الشعائر والأسرار المرعبة. وبصرامته في معالجة أمر كل من يخرق تلك القوانين أو يعتدى عليها مقداراً ان النصر على الأعداء هو بحد ذاته نتيجة لاحقة للتدريب الصحيح، والنظام الدقيق.

بينما كان الرومان مشتبكين في حرب مع أنطيوخوس الأكبر<sup>(٥)</sup>، مستخدمين ضده عدداً من خيرة قادتهم وأكثرهم تجارب، نشبت حرب أخرى في الغرب، وضجت أسبانيا بقعقة السلاح<sup>(٦)</sup>. أرسلوا اليها [اميلوس] برتبة [بريتور] لا بستة فؤوس، وهو العدد الذي يتقدم

= الانصراف الى العمل السياسي.

(٣) انظر افلاطون «افثيرون».

(٤) الجنود الرومان يتمتعون بحقوق المواطنة الرومانية ولهم أن يدلوا باصواتهم في كل الشؤون المدنية والعسكرية ذات الشأن.

(٦) بدأت الحرب مع انطيوخس الكبير ملك سورية في حدود العام ١٩٢ ق.م اي بعد معركة كانى باربع عشرة سنة. وكان يقود الجيوش الرومانية كلابريو ثم الأخوان سكيبيو بعده. وقد ارتضى أكبرهما أن يكون مجرد معاون لأخيه [لبيي ١:٣٧].

اصحاب هذه الرتبة عادة ،إنمَّا بأثني عشر فأساً، لذلك كان في منصبه الپريتوري يتمتّع بمظاهر سلطان القنصل. وهزم البرابرة في معركتين<sup>(٧)</sup> وقتل منهم ثلاثين ألفاً؛ ويعزى نجاحه هذا أساساً الى حكمة القائد وادارته. فبمهارته العظيمة في اختيار أصلح ارضٍ وبمباشرتة الهجوم في معبر أحد الأنهار حقق لجنوده نصراً سهلاً. وبعد ان سيطر على مائتين وخمسين مدينة وبلدة خضع له أهاليها تلقائياً وربطوا أنفسهم بقسم على الطاعة والولاء، غادر الاقليم والسلم يخيم عليه وعاد الى روما دون أن يضيف الى ما يملك درهماً واحداً من الحرب وكان في الواقع وبصورة عامة لا يكثر ث جمع المال وان كان يعيش دوماً عيشة باذخة مسرفة على ما يملك وهو ليس بالكثير، حتى انه لم يخلف حين وفاته ما يكاد يفى بصداق امرأته.

كانت [پاپيريا Papiria] أولى زوجيه. وهي بنت [ماسو Maso] الذي كان قنصلاً فيما مضى. عاش معها زمناً طويلاً في رباط الزوجية ثم طلقها مع أنها انجبت له ابنين من انبل الابناء، فهي أم [سكيبيو] الشهير، و[فابيوس ماكسيموس]. ونحن لا ندري سبب انفصالهما هذا. إلا أن جانب الحق الذي يبدو في حكاية ذلك الروماني الذي طلق زوجته قد يفسر لنا السبب في قضيتنا هنا: كان هذا الروماني موضع لوم شديد من اصدقائه، وراحوا يسائلونه: أليست هي عفيفة؟ أليست هي جميلة أليست هي ولوداً؟ « فرجع نعله وسألهم « أليس هو جديداً؟ أليس هو جيد الصنع؟ ومع هذا فلا أحد منكم يدري اين يؤذيني. » وما هو مؤكد أن الاخطاء الكبيرة والفاضحة لا تؤدي الى انفصال الزوجين في كثير من الأحيان. في حين يكون مجرد المضايقة الخفيفة المتكررة الناجمة عن التنافر في الطبع أو سبباً للفرقة. ففي هذه الحالة يتعذر على الرجل والمرأة العيش معاً في أي درجة من الوتام.

وبعد أن ترك [اميلوس] [پاپيريا] بنى بزوجه الثانية فأنجبت له ولدين رباهما في منزله. وحوك الولدين الآخرين إلى أعظم وأشرف أسرتين في روما. فالأكبر<sup>(٨)</sup> تبناه [فابيوس ماكسيموس] الذي تقلد منصب القنصلية خمس مرات ورباه في بيته. والثاني كفله ابن [سكيبيو افريقانوس] وهو ابن عمته، فسماه [سكيبيو].

وأعن بنيته فأحدها بن تزوجت ابن [كاتو Cato] والثانية تزوجت [ابليوس توييرو Aelius Tubero] وهو رجل فاضلٌ جداً ويعد بين الرومان خبير من جمع بين الجود والفقير. وكان لديه

(٧) يتكلم ليفي (المرجع السالف ٥٧) عن معركة واحدة ناجحة. فيها أخترق ايميلوس پاولوس الاستحكامات الاسبانية وقتك بثمانية عشر ألفاً وأسر ثلاثمائة.

(٨) اتخذ له اسم كوينتس فابيوس اميليانوس. وهو اب الخطيب الشهير [كوينتس فابيوس] وكذلك أخوه افريقانوس الأصغر أو الثاني الذي ازال قرطاجة من الوجود في ١٠٥ ق.م. فقد اتخذ هو الآخر اسم اميليانوس.

سنة عشر قريباً كلهم صلييون من أسرة [إيلي Aelii] لا يملكون غير حقل واحد كان يكيّفهم العيش، ويسكنون في بيت صغير واحد أو كوخ بالأحرى يأويهم مع ذريتهم الكثيرة وزوجاتهم، ومن بينهن بنت [اميلوس] صاحبا. ولم تكن تخجل من فقر زوجها مع ان اباهما تقلد منصب القنصل مرتين، وأستقبل استقبال الفاتحين مرتين. بل كانت تفخر وتعزز بسجاياها التي ابقته فقيراً والأمر يختلف أختلافاً بيناً عند الأخوة والأقارب في مثل سنة. فان لم تفصل ما بين ميراثهم ارض واسعة أو أنهار وجدران على الأقل فتجعلهم بعيدين بعضهم عن بعض، فإن الشجار والخصام لا ينقطع فيما بينهم. إن التاريخ - والشئ بالشئ - يذكر - يقدم نماذج من هذا النوع لأولئك الذين يعتبرون ويرغبون في التعلم والصلاح.

ونعود الى موضوعنا فتقول: بعد أن أختير [اميلوس] قنصلاً خرج الى حرب [الليغورين Ligurians] <sup>(٩)</sup> أو الليغوستيين [Ligustines] وهم قوم يسكنون بالقرب من جبال الألب، أشتهروا بالإقدام وكثرة الحروب بدأ يُكسبهم جوارهم من الرومان مهارة في فنون الحرب. وكانوا يشغلون القسم الأقصى من ايطاليا المنتهي بسفوح الألب وتلك الأجزاء من الألب التي تلامس مياه بحر التوسكان وتواجه افريقيا يساكنهم على الساحل الغاليون والايبيرون. وكانوا في ذلك الزمن قد وجهوا إهتمامهم الى البحار ووصلوا في ملاحظتهم حتى «اعمدة هرقل» - بسفن خفيفة تناسب أغراضهم وهي القرصنة ونهب وتدمير كل ما يمر بهم في تلك الأنحاء. هؤلاء انتظروا قدوم [اميلوس] بجيش قوامه اربعون ألفاً، أي خمسة أضعاف الجيش الروماني الزاحف إلا ان اميلوس تغلب عليهم والجأهم الى الفرار واضطروهم الى الاحتماء بأسوار مدنهم. وعرض عليهم وهم في وضعهم هذا، شروط صلح كريم. اذ كان من سياسة الرومان أن لا يقضوا قضاءً تاماً على الليغورين لأنهم أشبه بحرس أو سدّ يحول دون مختلف محاولات الغاليين التوغل في ايطاليا. وبثقة تامة من [اميلوس] سلموا اليه مدنهم وسفنتهم. فأبقى على الأولى، ولم يتعرض بالهدم إلا لتحصيناتها واعادها اليهم إلا انه صادر السفن ونقلها معه تاركاً فحسب، تلك المراكب التي لا يزيد عدد مجاذيفها عن ثلاثة، وأطلق سراح عدد كبير من الأسرى الذين استولوا عليهم براً وبحراً رومانين وأجانب. تلك هي أجدر أعماله بالذكر في فترة قنصليته الأولى.

وبعد هذا الملح كثيراً الى رغبته في تجديد قنصلية فترة ثانية، ورشح مرة وعندما قوبل ترشيحه بالرفض، وتخطاه الناخبون صرف النظر عن الرغبة بصورة باتة وتفرغ لواجبات كهانته وتثقيف أولاده الذين لم يكتف بتنشئتهم كما نشأ هو على أصول التربية الرومانية القديمة،

(٩) ليني [٢٥:٤٠] كان ذلك في السنة التي تلت انتخابه قنصلاً.

وإنما بتعليمهم على الأصول اليوناني، وأبدى في ذلك إهتماماً فائقاً للعادة. فجاء باساتذة لتعليمهم النحو والمنطق والبلاغة، فضلاً عن معلمين للرسم وضع التماثيل، ومدرسين في الفروسيّة والكلاب، وأساتذة لرياضة الساحة والميدان، كلهم من بلاد اليونان. ولو لم تعقه شؤون الدولة لانضمّ اليهم في دراساتهم وأشرف على انجازهم تمارينهم، لقد كان خير أب في روما وأشدّهم حباً بأولاده.

في المحيط السياسي لتلك الفترة من الزمن كانت الحرب بين الرومان وبين [بيرسيوس Per-seus] <sup>(١١٠)</sup> ملك مقدونيا، تحتل مركز الصدارة. وكانت الأصوات في روما تجأ بالشكوى والتذمر الشديدين من قوادهم <sup>(١١١)</sup>. فهؤلاء كانوا يديرون أمور الحرب بشكل يبعث الأسى والخبجل. لإفتقارهم الى الحنكة والشجاعة حتى أن الخسارة التي يلحقونها بالعدو كانت أقل بكثير مما ينالون منها على يده. أولئك الذين أرغموا منذ زمن غير بعيد - انطيوخوس الأكبر على الجلاء عن بقية آسيا <sup>(١١٢)</sup> والانسحاب الى ما وراء جبال طوروس، والاقتصر على سورية مسروراً لشرائه الصلح بخمسة عشر الف تالنت <sup>(١١٣)</sup>. أولئك الذين لم يمر زمن طويل على انتصارهم على [فيليب] الملك في [ثسالي] وتحرير الاغريق من النير المقدوني <sup>(١١٤)</sup> لا بل انتصارهم على [هنيبل] نفسه ذلك الذي فاق كل الملوك في البأس والسلطان بمدى بعيد، وأعتبر الرومان سبةً وعاراً عليهم أن يجد [بيرسيوس] نفسه نداءً للرومان وقريناً قادراً على شنّ حربٍ ضدهم على قدم المساواة لمدة طويلة بما تبقى فقط من قوات أبيه المدحورة. جاهلين ان فيليب بعد هزيمته قد رفع كثيراً من مستوى الجيش المقدوني قوةً ونظاماً.

أخذ [انتيفونوس Antigonus] <sup>(١١٥)</sup> لنفسه ولعقبه لقب ملك وهو أقوى وأبرز قادة [الاسكندر] وخلفائه. وكان له ابن يدعى [ديميتريوس]، أنجب ابناً سماه [انتيفونوس] عرف بلقب [غوناتاس Gonatas] وخلف هذا بدوره ابناء دعاه [ديميتريوس] مات بعد ان حكم فترة قصيرة واورث الملك لابنه الصغير [فيليب] ولخوف رؤساء المقدونيين من وقوع فوضى عظيمة

(١٠) كانت الحرب المقدونية الثانية مع [بيرسيوس] قد بدأت في العام ١٧١ ق.م.

(١١) هؤلاء القادة هم: پاولوس ليچينيوس كراسوس، تلاه اميليو هو سنتيليوس مانچيتوس، ثم كونيئس مارشيو فيليوس الذي مدّ في أجل الحرب طويلاً. من خلال سنوات قنصلياتهم الثلاثة.

(١٢) قبل ذلك بسبع عشرة سنة.

(١٣) يقول ليفي بل اثنا عشر الفاً تدفع باقساط متساوية خلال اثني عشر عاماً [المرجع السالف ٣٨: ٣٨].

(١٤) نهض فلامينيوس (انظر سيرته) بهذه المهمة. فاهلك ثمانية آلاف من رجال فيليب في ساحة القتال وأسر خمسة آلاف. بعدها أرسل منادياً يبشر بنبا عودة الحرية الى بلاد الاغريق.

(١٥) انتيفونوس هذا فتك بـ[اقمينس] وانتزع (بابل) من يد (سلوقوس) وبعد ان دحر ابنه ديميتريوس اسطول بطليموس كان أول من لبس التاج من بين خلفاء الاسكندر وأخذ لقب ملك.

في البلاد، جرأً حدائته، استدعوا ابن عم لابييه المتوفى يدعى [انتيغونس] أيضاً وزوجوه بالأرملة والدة [فيليب]، وجعلوه أول الأمر وصياً وقائداً للجيش فحسب. ولما وجدوا بالتجربة أنه يحكم المملكة بعدلٍ ويحقق لها الخير منحوه لقب ملك. وهذا هو الذي عُرف بلقب [دوسون Doston] (\*) كأنما كان واعداً جيداً ومُنجزاً سيناً. وخلفه [فيليب] في الملك وكان في شبابه قد أظهر ما يبشر بآمال كبيرة في أنه سيضاهي خير الملوك. وانه سيعيد لمقدونيا يوماً ما منزلتها وعظمتها السالفة. وسيثبت انه الرجل الوحيد القادر على الحدّ من السلطان الروماني الذي قويت شوكتته وارتفع وامتد ليشمل الدنيا. إلا أن نيته خابت عندما حلت به الهزيمة أمام [تيطس فلأمينيوس] في معركة حاسمة بالقرب من [سكوتونيا Scotussa]، ووضع نفسه وكلّ ما يملك تحت رحمة الرومان، مغتطباً لتمكنه من الخلاص بدفع غرامة زهيدة. ولكن ما لبث أن ضاقت نفسه ذرعاً بالأمر ولم يطق عليه صبراً فبعد أن راحت السكره وجاءت الفكرة - وجد نفسه يعيش أكثر شبيهاً بالعبد المستسلم للراحة، من الحرّ الشجاع العاقل، يحكم مملكته وفق إهداء الفاتحين وبحسب مشيئتهم، فترك كل افكاره في الحرب ودفعته الى الاستعداد لها بكلّ ما وسعه من حيلة وخفاء. ولهذا ترك مدنه الواقعة على الطرق الخارجية دون حاميات، وجرّد سواحل بلاده البحرية من الحراسة حتى بدت مهجورة، إظهاراً لعدم اهتمامه بها. بينما راح في الوقت نفسه يحشد قوات كبيرة في المناطق العليا من البلاد، ويمدّد نقاطه العسكرية الداخلية وقلاع ومدنه بالمال والسلاح والرجال القادرين على حمل السلاح يُعدّها عدته للحرب. إلا أنه أبقى استعداداته هذا سراً. وكان قد اختزن في مستودعاته الحربية ما يكفي لتسليح ثلاثين ألفاً. وفي اهرائه ومواقعة الحصينة أحتكر ثمانية ملايين بوشلاً من القمح. والبلاد لمدة عشر سنوات. وقبل أن يضع فكرته هذه موضع التنفيذ أو يفيد من استعداداته العسكرية قضى نحبه حزناً وتأنيباً ضمير، بعد أن أدرك هول ما فعل بقتله ابنه البريء [ديمتريوس] بسبب وشاية شخص أكثر اجراماً، أو أورث ابنه الثاني [بيرسیوس] الذي خلفه على العرش، كرهه للرومان، إلا أنه لم يكن كفوءاً لتحقيق مآربه لافتقاره الى الشجاعة ولسوء طباعه. وكان الطمع في مقدمة امراض نفسه وأخطائها. وهناك أيضاً رواية تتضمن طعناً في نسبه. خلاصتها أن امرأة فيليب الملك أخذته من أمّه الحقيقية [غنائينيون Gna-thaenion] (وهي امرأة أرغوسية تعيش على مهنة الخياطة) فور وضعه، وقدمته لزوجها على أنه ابنه، وربما كان هذا السبب الرئيسي لدسه على [ديمتريوس] وموته إذ كان لا شك

(\*) دوسون معناها ذلك الذي سيعطي.

يخشى أن ينكشف عن ميلاده الوضيع طالما يوجد خلف شرعي في الأسرة.

وبصرف النظر عن هذا، ورغم خلقه الوضيع وطباعه الدنيئة فقد وضع ثقته في قوة موارده وشن حرباً على الرومان واستمر بها سجالاتاً وقتاً طويلاً يصد خلالها الهجمات، بل حتى يهزم بعض القادة من ذوي الرتب القنصلية وبعض الجيوش والاساطيل الكبيرة. وهزم [پوليبوس ليجينوس Publius Licinius] أول من غزا مقدونيا، في معركة خيالة<sup>(١٦)</sup> وقتل الفين وخمسمائة من الجنود المدربين واسر ستمائة. وباغت اسطولهم وهو ملق مراسيه أمام [اوريوم Oreum]<sup>(١٧)</sup> فاستولى على عشرين سفينة حمل موسقة بحملها وحطم ما كان محملاً بالقمح واستولى على أربع بوارج ذوات طبقات مجاذيف أربع. وخاض معركة ثانية ضد هوستيلوس وهو قنصل عسكري، أثناء توغله في البلاد وأجبره على التقهقر بعد قتال ضارٍ بالقرب من [اليميائي Elimiae]. وتحداه مرة أخرى للقتال عندما دبر غارة تسلية على (تسالي) فخاف هوستيلوس النتيجة وأبى القتال. ومضى أبعد من هذا أظهاراً لازدراجه بالرومان ورغبة في اشغال نفسه خلال فترات وقف الحرب معهم، فحمل على الدردانيين Dardanians وقتل من هذا الشعب البربري عشرة آلاف وحمل عنهم غنائم كثيرة. وتمادى، ففاوض الفالين [ويسمون أيضاً باستيرني: Basternae] سراً وعقد معهم حلفاً. وهؤلاء شعب محارب أشتهر بالفروسيّة كان يسكن مشارف الدانوب. واستمال (الألييريين Illyrians) بوساطة ملكهم [گنتيوس Gentius]. للإلتصام اليه في الحرب. وذكرت الأخبار أيضاً أن البرابرة يهيمون بغزو إيطاليا من بلاد الغال الجنوبية القريبة من ساحل الأدرياتي<sup>(١٨)</sup>، باغرائهم بالوعود والمكافآت.

وعند ما أحيط الرومان علماً بهذه الأمور وجدوا أن الضرورة تقضي بالأ يتم اختيار قادتهم بعامل المحاباة والرجاء والتوسط. بل المبادرة إلى انتخاب جنرالٍ ذي كفاءة وحكمة للتصرف في الأمور الجسام. وكذلك كان پاولوس اميلوس. فمع تقدمه في السن ومشارفته على الستين، فقد ظل قوي البدن، غنياً بارالاده وأختانه الشجعان، فضلاً عن العدد الكبير من أقربائه واصدقائه المتنفذين وكلهم اجتمعوا عليه يلحون لكي يستجيب إلى رغبة الشعب الذي

(١٦) قدم لنا ليقي وصفاً لهذه المعركة في آخر كتابه الثاني والرابعين. عرض (پرسوس) الصلح على المنحدرين بشروط سهلة كأنما هو المغلوب. إلا أن الرومان رفضوها. إذ كان من مبادئ الرومان أن لا يعقدوا صلحاً وهم مغلوبون.

(١٧) في اثيوبيا.

(١٨) انظر پوليبوس. وهو كاتب معاصر. يروي عما حصل في السفارة التي بعث بها [پرسوس] لقد حاول أيضاً مع [يومينيس] ملك بثينيا وأرسل وقدأ إلى انطيوخوس ملك سورية قائلاً أن الرومان اعداء جميع الملوك على حد سواء إلا أن يومينيس طلب الفأ وخمسمائة تالنت فتوقفت المفاوضات. وقد أحدثت المفاوضات بحد ذاتها جفوة بين الرومان وبين صديقهم يومينيس ولم يستفد منها پرسوس.



دعاه لقبول منصب القنصل. فأدى في أول الأمر احجاماً وخجلاً من الشعب واران أن يتخلص من الحاحهم مظهراً تردده في تولي المنصب. ولكنهم ظلوا يتوافدون على منزله يومياً ويقفون على بابه طالبين منه الخروج والذهاب الى مقر الانتخاب، ويشتدون في الالحاف عليه بالصياح والهتاف، حتى نزل الى رغبتهم. وعندما بدا بين المرشحين، بدا وكأن ظهوره ليس للدعاء بالمنصب بل ليجيئهم بالنصر والنجاح، هكذا بدا عندما دخل مخيم الاجتماع. فأستقبله الجميع بالأمل والغبطة العظيمة وأختاروه بالأجماع قنصلاً للمرة الثانية ولم بصيروا على اجراء الاقتراح كالعادة حول الاقليم الذي سيكون من نصيبه وانما أعلنوه في الحال، قائداً للحرب المقدونية. وقيل أنه بعد صدور الأمر بتعيينه قائداً ضد [پرسیوس] وتكريم الجمهور العظيم بمرافقته الى منزله وجد بنته الطفلة [تارتيا Tartia] تبكى فجذبها اليه وسألها عن سبب بكائها فطوقت عنقه بذراعيها وقالت وهي تقبله:

- الا تدري يا أبي أن [پرسیوس] مات؟

تقصد كلباً صغيراً بهذا الاسم ربي معها في الدار. فأجاب اميلیوس :

- فأل حسن يا ابنتي، واني لأتقبلها كما أتقبل نبوءة!

لقد ذكر شيشرون Cicero الخطيب هذه الحكاية في كتابه عن «النبوءات»<sup>(١٩)</sup>.

جرت العادة أن يرتقى القناصل الذين تم انتخابهم منصة معدة لذلك الغرض والقاء خطبة على الجمهور يضمونها شكرهم وامتنانهم لما جوههم به من الثقة. وهكذا اجتمع لاميلیوس جمهور لسماعه فكان مما قاله:

- عندما رشحت نفسي لمنصب القنصل أول مرة فاني كنت في حاجة الى التكريم انا نفسي. أما الترشيح للمرة الثانية فلأنكم كنتم فعلاً في حاجة الى جنرال، ولهذا لا أرى ما يدعوني الى تقديم الشكر لكم.

فاذا حكمتم بأن في مقدوري ادارة شؤون الحرب بصورة أكثر فائدة ونجاحاً، بشخص آخر غيري فاني متنازل له عن طيب خاطر. واذا وضعتم ثقتكم الكاملة بي فعليكم ألا تنصبوا من أنفسكم زملاء لي تشاطرونني الوظيفة أو تنتقدون أعمالي أو تقدموا تقارير، بل عليكم أن تعملوا بدون كلام - على إمدادي بالوسائل الضرورية والمعونة الواجبة للاستمرار في الحرب. أو لو كان قصدكم أن تتولوا قيادة قائدكم فان هذه الحملة ستكون أخيب من سالفها.

(١٩) يقول ليثي [١٧:٤٤] بعكس ذلك.

وأشاع بهذه الخطبة إحتراماً عميقاً له في نفوس المواطنين، كما بعث آمالاً عراضاً في النجاح المقبل. وسُرَّ الجميع لأنهم تخطوا الطامحين الى المنصب والباحثين عنه بالتملق والمداهنة، ليستقر قرارهم على قائد له من الحكمة والشجاعة ما يكفل قوله الحقيقة والمصارحة مهما كانت مؤلمة. الى هذا القدر كان الرومان يحنون هاماتهم في طاعة القنصلية والمعقولات، ولولا ذلك لما حكموا الدنيا وغدوا أسياها.

ويم اميلبيوس وجهه شطر الحرب فوراً. وأنطلق مسرعاً الى معسكر جيشه في رحلة موفقة خالية من الأخطار رعاها خلالها طالع سعوده؛ على اني حين أتأمل بحسن نهاية الحرب تحت قيادته، فلا يسعني إلا استبعاد الحظ من تلك الاعمال المجيدة والمآثر السامية. (لا مثلما عزوت اليه أعمال قادة آخرين) وأن كان قد أشتهر للغاية بحسن الحظ. إن انتصاراته كانت حصيلة جرأته الفائقة، واصالة افكاره، وتوجيهه الحازم لأتباعه واصدقائه وحضور بديهته، ومهارته في اختيار أصلح الآراء وأجدر المشورات في اخرج ساعات الضيق والخطر العظيم. هذا ان لم يذهب بي الرأي الى أن جشع [پرسیوس] وحبه الشديد للمال كان بمثابة مطلع يمن لأميلبيوس. والحق يقال أن حرص [پرسیوس] على ماله قضى بالدمار والخراب التام على كل الاستعداد الحربي العظيم الرائع الذي أصدت آمال المقدونيين الى درجة الايمان بكسب الحرب لا محالة. فقد دعا عشرة آلاف من [الباستيرني] وكل واحد منهم يلازمه واحد من المشاة<sup>(٢٠)</sup> وكانوا كلهم جنوداً محترفين لا يعرفون غير القتال صناعة وتجارة، ولا غرض لهم إلا التغلب على من يقاومهم. ولا يفقهون شيئاً من الزراعة أو ملاحاة السفن أو الرعي. وصل هؤلاء مديكا<sup>(٢١)</sup> وضربوا خيامهم فيها وأمتزجوا بجنود الملك. وكانوا ضخام الأجسام يمارسون تمارين عجيبية، كثيري المباهاة، يوقع اصواتهم الجهيرة الرعب في قلوب العدو. وكل هذا رفع معنويات المقدونيين الذين اعتقدوا حالاً بأن الرومان لن يصمدوا أمامهم، وسيصابون بذعر وهلع لمنظرهم الغريب وحركاتهم المتسمة بطابع القوة والعنف. بعد أن بث [پرسیوس] الحماسة في نفوس جنوده وانعش آمالهم. تقدم رؤساء الجيش الحليف يطلبون من [پرسیوس] ألف قطعة ذهبية لكل واحد فذهل وطار صوابه لجسامة المبلغ. وما لبث أن انسحب عنهم وحرّم

(٢٠) وصف ليقي [٢٦:٤٤] هذه الخيالة وصفاً جيداً الى جانب جندي المشاة المرافق أذ يقول «أقبل عشرة آلاف خيالاً ومثلهم من المشاة يسايرون الخيالة خطوة بخطوة. ما ان يفقد احد الخيالة حصانه حتى ينضم الى المشاة» وقد تبني الرومان هذا التنظيم في صنف الوحدات الخفيفة وأطلقوا عليه اسم Velites بناء على اقتراح السنطوريون [كويبتوس نافيوس] اثناء حصار [كاپوا] في الحرب الفينونية الثانية [ليقي ٤:٢٦]. ما ان علم پرسسيوس بقدوم الباسكرناي حتى ارسل انتيفونس لاستقبال ملكهم كلودنديقوس فقال هذا ان الغالين لن يخطوا خطوة واحدة دون ان يدفع لهم المال. فرفض پرسسيوس ذلك لفرط بخله وقصر نظره.

(٢١) منطقة مديكو في تراقيا تقع بين نهري ستريمون ونيسوس (أونستوس).

نفسه من معونتهم. وكان بهذا أشبه شيء بوكيل أملاك الرومان لا عدواً لهم. وكيل عليه أن يقدم حساباً بنفقات الحرب لمن شئ عليهم الحرب، بل وكان خصومه اساتذة يلقن على ايديهم ما يفعل، وهم الذين حشدوا له مائة ألف مقاتل دفعةً واحدة، ناهيك باستعداداتهم الأخرى. لقد كان يواجه هذا الجيش اللجب في حرب عظيمة تضم هذا العدد الضخم من المحاربين، ومع هذا لم يبذل شيئاً من ماله بل ختم على خزائنه. وأستبد به الخوف من مسها حتى لكأنها ملكٌ لغيره. هذا ما فعله رجل لا هو بالليدي ولا بالفنيقي، بل رجل له حق الادعاء بالانتماء الى [الاسكندر] و[فيليب]، وتصله بهما وشائج النسب. إن الرجال الذين فتحوا العالم كانوا يرون أن الامبراطوريات يجب أن تشرى بالمال، لا أن يُشرى المال بالامبراطوريات. ومما جرى مجرى الامثال قولهم: «إن مدن اليونان لم يفتحها [فيليب] بل فتحها المال». ولما زحف الاسكندر بجيشه على الهند، ولاحظ بظنّاً في مسيرة المقدونيين لما أنقلوا به أنفسهم من غنائم الفرس بدأ فأشعل النار في عرباته، وحمل الآخرين على احتذاء حذوه. وبتخلصهم من هذه الأثقال أمكنهم الانطلاق الى المعركة دون عائق. أما [پرسیوس] فلم يدفع الغائلة عن نفسه وأولاده ومملكته بجانب صغير من أمواله وكنوزه الطائلة، وأختار أن يحمل أسيراً مع عدد آخر من مواطنيه بأسم «الأسرى الاغنياء»، ليُري الرومان الأموال الطائلة التي جمعها وأدّخرها لهم. إنه لم يكتف بمخاتلة الغاليين، واعادتهم من حيث أتوا. بل بعد أن أشيع [گنثيوس] ملك الایليرين بالوعود ومناه بثلاثمائة تالنت لقاء مساعدته في الحرب، أمر أن يحصى المبلغ بحضور رسله وان تختتم حقائبها. وعندها ظنّ [گنثيوس] ان المال أصبح ملكاً له، فبادر الى ارتكاب عملٍ قبيح مخجلٍ بقبضه على سفراء روما وحبسهم. فاطمان [پرسیوس] ورأى انه لم يعد بعد بحاجة الى دفع المال [لگنثيوس] لشراء عدائه للرومان بعد أن صنع بسفرائهم ما ولد عداءً ابدياً وورطه في حرب لا مناص منها بهذا الغدر الفاضح. وهكذا احتال على الملك البائس فسلبه التالنتاته الثلاثمائة، دون اي وازع من ضمير. وشاهد طرده هو وزوجه وأولاده من مملكته كما تطرد الطيور من عشها - بالجيش الذي ساقه الرومان عليه تحت قيادة [لوشيوس أنيثيوس] (٢٢).

لم يتهول اميلیوس خصمه بل لم يقم له وزناً في الواقع، الا أنه أعجب باستعداداته وقوته. اذ كان قد عبأ أربعة آلاف من الخيالة وما يناهز أو يكاد اربعين ألف راجل. بشكك سلاح كاملة للكراديس المقدونية المعروفة بالفلانكس Phalanx نشرهم في مواقع تحاذي الساحل

(٢٢) أنظر ليفي [٤٤: ٣٠ و٣١] دامت الحملة ثلاثين يوماً فقط ووصلت انبلاؤها روماً قبل ان عرفت التفاصيل. ومن اسم غيتوس هذا اشتق اسم عشب الجنطيانا لأنه أول من اكتشف مرارته المفيدة [پليني ١٧: ٢٧].

على سفح جبل الأولمب في أرض لا منفذ إليها من كل الجهات، أحكم تحصينها بالمواقع والعواتق الخشبية فأضت منيعة يصعب اقتحامها. وكان [پرسیوس] يأمل أن يغلب خصمه اليأس والتعب بالتأخير. وكثرة الإنفاق. إلا أن إميلیوس كان في هذا الوقت بالذات يعمل الفكر ويزن الآراء ويقلب في ذهنه إمكانات الهجوم ووسائله. ولقد وجد جنوده ناقمين متدمرين من تأخير الهجوم، بسبب إفتقارهم الى الضبط والربط العسكري وهم يهتبلون كل فرصة للتدخل وتعليم قائدهم واجباته! فانحى عليهم تقرعاً وتوبيخاً، وحظر عليهم التدخل فيما لايعنيهم، ونبههم الى الاهتمام فحسب باليقظة والاستعدادهم وسلاحهم بصورة مستمرة. وان لا يستعملوا سيوفهم. بوصفهم رومانيين إلا عندما يرى قائدهم ذلك. كما أنه منع الحرس الليلي من اصطحاب رماحهم الثقيلة عند قيامهم بنوبات خفارتهم، ليكونوا أكثر انتباهاً، وأقوى على مغالبة النوم حين لا يوجد سلاح فعّال في يدهم يدافعون به عن أنفسهم اذا فاجأهم العدو.

وكان شحّ الماء مصدر ضيق الجيش الرئيس. فما توفر منه وهو نزر مجّ يصدر أو بالأحرى ينزل بقطراتٍ من ينبوع قريب للبحر. ورأى اميلیوس أن يعسكر فوق سفح جبل الاولمب الشاهق المشجر. ومن نموّ الغابات الكثيف وازدهارها استنتج وجود مياه جوفية ذات مجارٍ باطنية فحفر عدداً كبيراً من الآبار والحُفَر على طول قدمة الجبل ما لبث الماء أن نبط منها نقياً عذباً وفاض منها الى السواقي التي حفرت لها والاحواض التي رتبت لاستقبالها. في الواقع هناك بعض من ينكر وجود صهاريج ماءٍ ممتلئة في باطن الأرض في المواضع التي تنبثق منها الينابيع وانها عندما تنبثق يسيل ماؤها ويتحدّر ليس إلا. انهم ينكرون ذلك ويزعمون أن هذا المخزون من الماء انما يكون أوّل تكوينه واجتماعه من تجميع المواد المحيطة به وأن هذا التغيير يتمّ بالضغط والبرودة، عندما تتبخر الرطوبة ويشتد الضغط على البخار يصبح مائعاً. مثل اثناء النساء فهي لا تشبه الأوعية المملأ بالحليب معدّ ومهيأ دائماً للسيلان. وإنما يتغير غذاؤهن في اثناءهن، الى حليبٍ ويسيل خارجاً بالضغط. وكذلك الحال في المواضع الباردة الغنيّة بالينابيع، فهي لا تحوي أيّ مياه جوفية أو صهاريج لتزويد كل البحيرات والانهار العميقة الغور كأنما تستمدّ الماء من مصادر لا تنضب قطّ. إلا أنها تكثف الأبخرة والاهوية وتضغطها وتحيلها الى تلك المادة المائعة. ولذلك تجد الماء يندفع بهذا الضغط في الأمكنة التي تحفر وتفتح، وتعطي من الماء بقدر ما يترطب البخار ويتميع (مثل ما تحتلب اثناء النساء عند الضغط عليها) في حين ان الاراضي المهجورة التي لا تحفر، تعجز عن انباط الماء لأنها تحتاج الى الحركة التي هي سبب التميع. إلا أن أصحاب هذا الرأي يتيحون الفرصة للمرتابين بقولهم

- يجب والحالة هذه وللأسباب نفسها ألا يوجد دمٌ في الأجسام الحية وان الدماء يجب أن تتكون بالجراح اي أن نوعاً من الروح أو اللحم يتحول الى مانعٍ أو مادة سائلة؛ زد على ذلك أن تعليلهم تدحضه الوقائع العملية فالناس الذين يحفرون انفاقاً سواء في أوقات الحصار أو بحثاً عن المعادن، قد يصادفون انهاراً لم تجمع ماءها شيئاً فشيئاً (كما يقضي التعليل، أي اذا كان تكوينها يتم في اللحظة التي تثغر الأرض) بل تتدفق فجأة باندفاع كميات عظيمة من الماء بعنف ثم يقف التدفق فجأة كما يُرى كثيراً عند قطع صخرة. ولنترك هذه المسألة.

ظلّ اميلليوس ساكناً عدة أيام. وقيل لم يحدث أن جيشين عظيمين كانا متقاربين بهذه الدرجة، هادئين ساكنين بهذه الدرجة. وعندما استنفذ تجربة كل شيء، وقلب وجوه النظر في كل الانباء والمعلومات. أبلغ بوجود ممر واحدٍ فقط تُرك دون حراسة<sup>(٢٣)</sup> يقع في [بيريبيا Per-rhabia] بالقرب من بثيوم وپترا. وتغلب فيه عامل الأمل بترك العدو هذا الموضع من غير دفاع على عامل التخوف من وعورة الممر وصعوبة اجتيازه فأمر بعقد مجلس حربٍ للتداول في الأمر، وكان من بين الحاضرين [سكيبسيو] الملقب [ناسيكا Nasica] ختن [سكيبسيو افريقانوس]، (نال أعظم النفوذ فيما بعد في مجلس الشيوخ)، وعرض نفسه لقيادة الجيش الذي تقرر إرساله للاحاطة بقوات العدو، وتلاه [فابيوس ماكسيموس] ابن اميلليوس البكر وكان في شرح شبابه، فاشاع اندفاعه وحماسته الشديدين السرور في نفس أبيه، وأمرهما على قطعات عسكرية أختلف في عددها [بوليبوس Polybius] مع ما ذكره لنا [ناسيكا] نفسه. قال هذا في رسالة مقتضبة بعثها الى أحد الملوك<sup>(٢٤)</sup> بخصوص الحملة أن الجيش الذي قاده كان يضم ثلاثة آلاف مقاتل ايطالي غير روماني. وأن ميمنته قوامها خمسة آلاف والحق به مائة وعشرين فارساً مع سرية مختلطة قوامها مائتان من التراقيين والكريتيين ارسلها [هربالوس Harpalus].

اتجه [ناسيكا] بقطعاته نحو البحر وعسكر بالقرب من «هراقليوم»<sup>(٢٥)</sup>، موهماً العدو بأنه يريد ركوب البحر والاقلاع للاحاطة بالعدو من جهة البحر. وعندما انهى الجنود وجبة عشائهم

(٢٣) من تاجرين في پيرينيا في تساليا [ليفي ٣٥:٤٤] وبيثيوم أو بيثوم هي مدينة في مقدونيا، وپترا قلعة في البلاد نفسها.

(٢٤) لا وجود لا لرسالة [ناسيكا] ولا لتقرير [بوليبوس].

(٢٥) اذا ع القنصل أنهم سيستقلون الاسطول الذي كان قد أمر بالارساء بعيداً عن الساحل بقيادة الپريتور أوكتافيوس. موهماً العدو بأنه يقصد اجتياح سواحل مقدونيا. لكن القصد الحقيقي كان اخراج [پرسوس] من معسكره [ليفي ٣٥:٤٤]. وهذه المدينة (هراكليوم) وهي واحدة من أكثر من أربعين مدينة بهذا الاسم منتشرة في ارجاء العالم القديم - تقع في لنسنس وهو من اقاليم مقدونيا لاتبعد كثيراً عن غرب خليج (ثيرما).

وخيم الظلام، جمع الضباط وأبلغهم بالخطة الأصلية. وأنطلق يسري طوال الليل في الاتجاه المضاد مبتعداً عن البحر حتى بلغ به السرى الى موضع يشرف عليه معبد ابوللو وفيه اراح عسكره برهةً.

يرتفع جبل الاولمپ في هذا الموضع الى ما يزيد عن عشرة فُرنلغات (حوالي الف يارد) كما يظهر من ابيات نظمها الشخص الذي قاس ارتفاعه واليك هي:

إن قمة الأولمپ من الموقع الذي يقوم عليه  
معبد ابوللو، يبلغ ارتفاعها عشرة فرلنغات كاملة  
بخط عمودي. وقد تزيد عن عشرة فرلنغات  
بمائة قدم إلا أربع. وإن گزيناغوراس  
Xenagoras ابن يوميوس Eumelus بلغ هذا الموضع  
فالى الملتقى أيها الملك، وقم بحجك المبرور

يقول علماء الهندسة - ليس بين الجبال ما يزيد ارتفاعه عن ألفي ياردٍ وليس بين البحار ما ينزل عمقه الى أكثر من هذه المسافة ومع هذا فيبدو ان [كزيناغوراس] لم يقم بقياساته تلك اعتباراً وانما بحسب قواعد العلم وبآلات وافية بالمرام.

هنا قضى ناسيكا ليلته، وكان أحد الجنود الكريتيين قد فرّ في اثناء المسيرة ولجأ الى العدو، وهناك أفضى الى [پرسیوس] بفحوى الخطة التي رسمها الرومان لتطويقهم. وكان پرسیوس خالي الذهن تماماً من احتمال قيام اميليوس بمثل هذه المحاولة، وهو جاثم لا يحرك ساكناً أمامه. فصعق للنبا، إلا أنه لم يضع جيشه في الإنذار ولم يتم بتحريكه. بل أكتفى بوضع عشرة آلاف من المرتزقة والفين من المقدونيين تحت أمرة [میلو Milo] وأمره بمسك كل الشعب والمسالك وتثبيت اقدامه فيها. ويحدثنا [پوليبیوس] ان الرومان فاجأوا هؤلاء وهم نائمون. لكن [ناسيكا] يقول أن المعركة كانت ضارية والصدام دمويّاً على القمة. وانه هو نفسه نازل تراقياً من المرتزقة واصماه بطعنة رمح نجلاء فأرداه قتيلاً وان العدو أرغم على التقهقر وألقى بمعاطفه وفراراً مخزياً تاركاً سلاحه ودروعه في الميدان. واستأنف [ناسيكا] تقدمه وهبط بالجيش سالماً الى السهل.

وملك الخوف [پرسیوس] بعد هذه الواقعة، وهبطت آماله الى الحضيض فبادر الى نقل معسكره باسرع ما أمكنه. وكان عليه أن يختار أحد أمرين، أما التوقف أمام [پيدنا Pyd-

na] وهذا يؤدي به الى المخاطرة بمعركةٍ حتماً. وأما أن يقوم بتوزيع قطعات جيشه على المدن المقدونية وينتظر قدوم الحرب الى عقر داره. حربٌ إن وجدت سبيلها الى بلاده صعب الخلاص منها دون سفك دماءٍ ثرةٍ وهلاك أنفُس كثيرة. إلا أن ما أحيأ في نفسه الشجاعة هو قول اصدقائه له، بانه متفوق على العدو عددياً. وان عزيمة الرجال تشتد ويسالتهم تتضاعف لما يدافعون عن أولادهم وزوجاتهم، سيّما اذا كانت بمحضر ومرأى من ملكهم المعرض الى الاخطار نفسها. فضرب خيامه حيث هو وأخذ يتأهب للقتال. فأستطلع الأرض ووزع القبادات والأوامر كأنما قرر أن يحمل على الرومان حالما تبدو له طلاتعهم وكان الموقع صالحاً لحركات الفلانتكس التعبوية ومناوراتها، لأنها تتطلب ارضاً مستوية، وميداناً خالياً من العوائق. وكان فيها أيضاً آكام لا تُحصى تتصل أحداها بالأخرى وتفيد في حركات الكرّ والفرّ للقطعاعات الخفيفة والاشتباكات الجانبية، ويخترق وسطها [ايسوت Aeson وليوكس Leucus] وهما نهران قليلا العمق في ذلك الوقت من آخر الصيف. إلا أنه كان المحتمل أن يخلقا للرومان بعض المتاعب.

في اللحظة التي انضمّ اميلبيوس الى [ناسيكا] اتخذ نسق المعركة وتقدماً نحو العدو. واستعرض اميلبيوس صفوفه المنتظمة في أسلوبٍ رائعٍ فلم يسعه إلا الاعجاب والدهشة واصدر امره بالوقوف. وأخذ يفكر في الأمر ملياً. وراح صغار الضباط المتحمسين للقتال يلحون عليه وهم راكبون الى جانبه - ببدء المعركة فوراً وكان ناسيكا المنتشي بخمرة نجاحه الأخير في الأولب أشدهم الحاحاً ولجاجة. فردّ عليه اميلبيوس باسماً

- كذلك كنت أفعل وانا في مثل سنّك يا صديقي، إلا ان الانتصارات المتعددة هدتني الى السبل التي يمكن ان تؤدي بالرجال الى الهزيمة، وهي التي تمنعني من القاء الجنود في خضمّ المعركة وقد اعياهم السير الطويل<sup>(٢٦)</sup> ضد جيش مستعدٍ منتظم الصفوف.

ثم انه أصدر أمراً بأن تنتظم طلائع الجيش وقطعاته التي يشاهدها العدو بنسق المعركة لتبدو وكأنها مستعدة للصولة. أما الباقي فعليه أن يخذق ويقيم التحكيمات لحماية المعسكر. حتى ينفسح مجال للمؤخرة القصوى أن تدور على نفسها شيئاً فشيئاً وتنسحب بالتعاقب وتحلّ صفوفها بحيث لا يشعر بها العدو. وبهذا تتمّ عسكرة الجيش دوغماً ضجّة أو عائق.

عندما جنّ الليل وانهى الجنود وجبة العشاء وتهيأوا للراحة والنوم، زحف الظلام فجأة على وجه القمر وكان بدرأً ثماً، مرتفعاً في كبد السماء، وراح نوره يتضائل بالتدرج متخذاً ألوانا

(٢٦) [٣٦:٤٤ - ٣٨] انظر خطبة (ناسيكا) وجوابي اميلبيوس عنها (احداها أنية، والثانية صدرت في اليوم التالي) فضلاً عن تفاصيل أخرى.

مختلفة، ثم حُجِبَ تماماً بخسوف كليّ. فأنشأ الرومان على جاري عاداتهم يقرعون الأواني النحاسية ويرفعون المشاعل والاختشاب الملتهبة في الهواء. ليحتشوا النور اليه<sup>(٢٧)</sup>، وكان ردّ الفعل عند المقدونيين عكس ذلك تماماً فقد استولى عليهم ذهولٌ ورعب عام، وسرت الشائعة في المعسكر من اقصاه الى ادناه، بأن هذا الخسوف هو نذير سوء حتى للملك نفسه. أمّا [أميلْيوس] فقد كان خبيراً في هذه الظاهرة غير جاهل بأسباب هذا الشذوذ في الطبيعة، فحقيقة الأمر: ان القمر في مسراه يدخل ظلّ الأرض في دورة معينة من دورات الزمن ويظلّ مستتراً حتى يجتاز منطقة الظلام. وبعدها تلقى الشمس عليه نورها فيشع ضياءً. وكان [أميلْيوس] انساناً ورعاً تقياً حريصاً على مراسم القرايين. واقفاً على علوم النبوءات، فما أن لحظ القمر يستعيد نوره حتى قرب له إحدى عشرة بقرة من الأبقار، وعند انبلاج الفجر ضحى بعشرين منها متعاقبة للربّ [هرقل] دون أن يظهر ما يشير الى قبوله الأضحى وعندما قدم القريان الحادي والعشرين وردت الاشارة بأن النصر سيكون حليف من يقف موقف الدفاع. فنذر [أميلْيوس] قرباناً عظيماً عمومياً ل: (هيكاتومب Hecatomb) وألعاباً رسميّة لهرقل. وامر رؤساء المعسكر بالاستعداد للمعركة. وقدر لهم أن تبدأ عندما تتحول الشمس الى الغرب وتميل الى المغرب لئلا تبهر أشعتها عيون الجنود إن دارت رحى المعركة صباحاً. اما هو فقد أمضى تلك الفترة في خيمته التي كانت مفتوحة نحو السهل حيث معسكر العدو.

يذكر بعض المؤرخين أن أميلْيوس أستخدم عند حلول المساء لحمل العدو على المبادأة بالقتال حتى يتخذ هو موقف الدفاع تحقيماً للنبوءة. فأطلق حصاناً بدون سرج نحو العدو وأرسل وراءه بعض الرومان ليتظاهروا بطرده، وهكذا بدأت المعركة. ويقول آخرون أن [الثراقيين] هاجموا بقيادة المدعو [الكساندر] قطار حيوانات نقلية للرومان كانت تحمل علفاً للمعسكر. فدفع أميلْيوس بسبعمائة من الليغوريين لإسناد القافلة. وبدأت النجدات تتوالى تباعاً على الفريقين، حتى آل الأمر الى التحام الجيشين الرئيسيين.

وكالربّان البعيد النظر، استنتج أميلْيوس بفكره الثاقب، مبلغ ما في العاصفة القادمة من هولٍ، لشدة اندفاع الجيشين والموجات التي كانت تتعاقب على الميدان، فخرج من خيمته ليمرّ بين صفوف فرقته مشجعاً ومحمّساً. كما تبين [ناسيكا] الذي اندمج بالمشتبكين وهو على جواده، ان قوات العدو كلها قد دخلت ميدان القتال وهي توشك على الالتحام. برز التراقيون

(٢٧) يخبرنا ليفي أن (سولبيجيوس كاللوس) وهو تربيون روماني قد تنبأ بالخسوف وأخبر القنصل ثم أنهى الأمر للجيش باذن منه ولذلك لم تبد الظاهرة مفاجأة للجيش الروماني ولم تشع الخوف فيهم كما هو شأن الناس ازاء هذه الظاهرة. وبهذا زادت ثقة الجنود الرومان بضباطهم ودخلوا المعركة وهم في أفضل حالٍ نفسيّ.



في المقدمة أولاً، وأوقع منظرهم الهلع في نفسه كما أخبرنا بشخصه. فقد كانوا ضحاماً عتلاً يحملون تروساً صقيلة كالمراة تبرق بريقاً، ويشتملون بمعاطف سوداء، وتكسو سيقانهم طماقات معدنية راقية، وقد اردفوا وهم يتقدمون رماحهم المستقيمة المثقلة بالحديد، على أكتافهم اليمنى. وأعقبهم الجنود المرتزة يحملون مختلف انواع الأسلحة، مختلطين بمحاربي (پايونيا Paonia) ثم تلتهم صفوة من المقدونيين، تم انتقاؤها من عرفوا بالقوة والشجاعة وعنفوان الشباب تلمع أجسامهم بما عليها من الدروع الصقيلة وتبهر العيون معاطفها الارجوانية. وفيما كان هؤلاء يتخذون مواقعهم تحركت من المعسكر على أثرهم القطعات المعروفة باسم «التروس البرونزية» وهي معبأة وفق نظام [الفلانكس] حتى بدأ السهل كله متوهجاً بالنحاس المجلو ساطعاً بالفولاذ المصقول، ورددت الأكام صدى هتافهم يحمسون به بعضهم بعضاً. ويحثونهم على القتال. وصالوا صولة سريعة جريئة بترتيبهم هذا، فوق أول القتلى منهم على مسافة لا تبعد عن معسكر الرومان أكثر من أربعمئة يارد. ونشب القتال حامياً، وبرز أميلبيوس الى الميدان ليجد أن الفصائل المقدونية المتقدمة قد أمت غرز أسنة رماحها في تروس الرومان وسمرتهم وحالت دونهم ودون اعمال سيوفهم فيهم، لما رأى ذلك، ولما شاهد بقية المقدونيين يتناولون درقاتهم المعلقة في أكتافهم اليسرى ويضعونها أمامهم درء ثم يوجهون أسنة حراهم الى تروس أعدائهم، راعته قوة هذا الجدار من التروس المنيعه ومظاهر الإلتحام في تلك الجبهة الزاخرة بالسلاح فانتابه قلقٌ وذهول. لم تقع عينه من قبل على شيء كهذا ولقد ظلَّ المنظر راسخاً في ذهنه بعد المعركة، كثيراً ما تحدث عنه ووصف الشعور الذي تملكه وقتئذ. وعلى أية حالٍ نفّض عن نفسه الوجع، وأطلق على صهوة جواده يجول في صفوف جيشه دون درع يحمي صدره، ولا خوذة تقي رأسه والهدوء والبشاشة تضيئان أساريه.

ويحدثنا [پوليبيوس] أن ما جرى في معسكر المقدونيين كان خلاف ما فعله أميلبيوس. إذ ما أن حمي وطيس المعركة حتى سارع ملك المقدونيين في الابتعاد بدناءة وخسة ميمماً شطر مدينة بيدنا<sup>(٢٨)</sup> بحجة تقديم قربان [لهرقل]، ذلك الآله الذي أنف عن قبول قربان الجبناء التافهة وترفع عن تحقيق شروط النذور التي لاترضى السماء عنها. فالحق يقال انه لضرب من المحال أن يقبل الأرباب بفوز الخائر بالجائزة، أو انتصار المنسل من المعركة أو نجاح من لم يتعبه الوصول الى النجاح، أو أن يظفر الأشرار بما يتمنون. ولقد استجيب دعاء أميلبيوس،

(٢٨) [بيدنا] هي بلدة من مقاطعة پيريا في إقليم مقدونيا قرب رأس شيرما أماً پللاً التي هرب اليها فيما بعد فهي تبعد عنها بمسافة قليلة الى الشمال وقد أشتهرت بكونها مسقط رأس الاسكندر الكبير.

لأنه صلى للنصر والسيف في يده، وقاتل وهو يطلب عون الآلهة.

و ثم مؤرخ ما، يدعى [پوسيدونيوس Posidonius] (٢٩) الذي يزعم انه عاش في ذلك الوقت كان قد دون تاريخاً مفصلاً لپرسیوس، وشهد تلك الأحداث وضرب سهماً فيها، هذا المؤرخ ينفي ترك [پرسیوس] الميدان خوفاً أو بحجة تقديم القرابين ويقول أنه أصيب بضربة من ساق حصان في فخذه قبل المعركة بيوم واحد، وكانت اصابة خطيرة أعجزته تماساً، إلا أنه أمر أن يؤتى له بأحد خيول الركوب وبرز الى الميدان وهو أعزل رغم الحاح اصدقائه جميعاً؛ وبات هدفاً لما يحصى من الحراب يرشق بها من كل جهة، فاخطأته جميعاً إلا واحداً مرق من جنبه الأيسر بقوة عظيمة فمزق ثيابه وأحدث في لحمه جرحاً سطحياً ظلت نديته مدة طويلة. هذا ما أثبتته [پوسيدونوس] في صدد الدفاع عن پرسیوس.

عجز الرومان عن فتح ثغرة في [الفلاتكس]. فما كان من [ساليوس Salius] أحد قواد الپليغنيين Pelignians إلا وأختطف علم كتيبته وقذف به في وسط الأعداء. (عند الابطاليين كان يعتبر التخلي عن الراية عاراً كبيراً وثلماً للشرف مهما كانت الظروف)، فاندفع الپليغنيون بجنون ووحشية لاستعادتها، ووقعت مذبحه مريعة في صفوف الجانبين هؤلاء كانوا ينزلون الضربان بسيوفهم على قنا العدو ليقطعوها تقطيعاً أو يعملون على دفعهم الى الخلف بتروسهم أو إزاحتهم الى جانب بأيديهم وكان المقدونيون قابضين على قنطارياتهم الطويلة بكلتا اليدين يخرقون بأستها اجسام من تعترض سبيلها فتثقب دروعهم. وليس ثم درعٌ اوزرد يصمد لهذا السلاح. لقد سار الپليغنيون والمارسيون Marrucians (٣٠) الى حتوفهم الأكيدة دون اعتبار بشيء وبحالة من الهياج الوحشي لاتوصف فخرؤا صرعى في ساحة الوغى. أبيد اول خط منهم اباده تامة وأضطر من يليهم الى التقهقر بشكل لا يمكن وصفه بالهزيمة. وانسحبوا الى أكمة [أولوكروس Olocrus].

يقول [پوسيدونيوس]، لما شاهد [أميلیوس] ما حصل مزق ثوبه عن جسمه، وهم بعض جنوده بالفرار، واحجم الباقي عن الاشتباك مع الفلاتكس، فقد اصابهم بأس من فتح ثغرة فيه والتوغل في داخله فلقد كان وايم الحق سداً منيعاً لايمكن الدنو منه ولا اقتحامه بخط قنطارياته الطويلة متلاحماً متقارباً يواجه المهاجمين انى تولوا، على أن طبيعة الأرض

(٢٩) قد يكون المقصود [پوسيدونيوس] الأيامي الذي كتب تكلمة لتاريخ پوليبیو. اذ انه كان في روما زمن قنصلية [مارچلوس] وبعد هذه المعركة بمائة وثمانين عاماً. وقد اعتبره پلوتارخ على ما يظهر مؤرخاً متطفلاً أو قليل الأهمية عندما ذكره بعبارة تتم عن ذلك.

(٣٠) من هذه الاقوام الایطالية كان المارسيون أول من سكن هناك وأصلهم من [السابين] وقد عاش هؤلاء في منطقة معينة على ساحل البحر الأدریاتي.

المتعادية لم تكن تسمح للفلاتكس بنشر جبهة طويلة تظلّ فيها التروس متلاحمةً أخذاً بعضها بحُجْزٍ بعضٍ على امتدادها ولاحت لأسيلوس ثغرات وفراغات كثيرة فيه واستفاد مما يحصل عادة في اشتباكات الجيوش الكبيرة حيث يقوم المحاربون بمناورات وجهودٍ متباينة. ففي موضع يشتد ضغطهم على العدو ويستमितون في التقدم. وفي موضع آخر يتقهقرون. إذ أسرع الى حلّ صفوف فرقههم وأعادهم الى تنظيم الكوهورت Cohort الروماني المعتاد، وأصدر اليهم أمراً بأن يحملوا حملات متقطعة وبفترات متتالية هدفهم منها فتح ثغرات في جبهة العدو. وحظر عليهم أن يقوموا بهجوم شامل عليه بكلّ القوات، بل ان يشتبكوا معه في معارك جانبية ثانوية. أبلغ أميلوس هذه الأمر الى قوادّ الفرق، فنشروها بدورهم على الجنود. ثم بدأوا يطبقون الخطة فما يكادون يلجون الثغرات ، ستخللون الفراغات ويفصلون كتائب العدو بعضها عن بعض حتى يبدأوا بهجماتهم الموضعية، بعضهم يتعرض له من الجوانب حيث يكون مكشوفاً لا يستره سلاح. وبعضهم يلتف عليه ليهاجمه من الخلف. وبهذه الخطة نجحوا في تحطيم الفلاتكس المقدوني وكانت قوته تكمن في العمل الموحد والوحدة المتلاحمة. وآلت المعركة العامة بالنتيجة الى قتال الفرد للفرد، أو الفصائل الصغيرة للفصائل الصغيرة حيث ضربات سيوف المقدونيين القصيرة لاتنال مآرباً من تروس الرومان الطويلة، في حين لا تصمد دروعهم الخفيفة لطعنات سيوف الرومان القوية الثقيلة، فكانت تخترقها وتنفذ الى الأبدان. ولا نظيل القول، ما لبث المقدونيون ان انكفأوا على الأعقاب وولوا الأدبار.

في زخم القتال، سقط سيف [ماركوس] ختن أميلوس وابن [كاتو] من يده وكان قد أبلى خير بلاء وأظهر من الشجاعة ما لا زيادة عليه. فحز ذلك في نفسه، ولا غرو فهو شاب فائر الدم وابن رجل شهير، ربي على أسمى المبادئ الخلقية وأشدّها صرامة، فكانت تدفعه دائماً الى ابداء الشجاعة التي تجعله قُدوةً. ولهذا هانت الدنيا في عينه وعَدَّ حياته عبثاً عليه أن عاش ليرى اعداءه يغنمون سلاحه فأخذ يركض هنا وهناك، مستوضحاً الوجه وكلما تبين له في احدهما صديقاً أو زميلاً أنهى اليه بمصيبته ورجا منه العون حتى اجتمع له عدد كبير من الشجعان فشقوا طريقهم كتلة واحدة وهو في مقدمتهم بين صفوف جيشهم وحملوا على الموقع فهزموا من فيه بعد معركة ضارية وكثير من الجرحى وأكثر منهم قتلى واثموا احتلاله وأنطلقوا يبحثون فيه عن سيف [ماركوس] حتى استخلصوه من أكداس الأسلحة والقتلى. فطاروا فرحاً بنجاحهم وارتفعت اصواتهم بنشيد النصر، ثم واصلوا هجومهم وقد تضاعفت حماستهم - على من بقي صامداً في مواقع العدو. أخيراً تمّ القضاء على ثلاثة آلاف مقدوني ثبتوا الى آخر لحظة وواصلوا القتال بشجاعة مذهلة حتى النهاية. ووقعت مقتلة عظيمة بالغارين أيضاً

حتى أمتلاً السهل وسفوح التلال بجثتهم وصبغت الدماء مياه نهر [ليوكوس] الذي لم يعبره الرومان الا في اليوم التالي للمعركة. وقيل أنه قتل ما يزيد عن خمسة وعشرين ألفاً من جنود العدو. في حين يذكر [پوسيدنيوس] أن قتلى الرومان لم يزيد عن المائة ويقول [ناسيكا] انه ثمانون ليس غير. لقد تقرر مصير هذه المعركة في فترة وجيزة جداً على سعتها وأهميتها وضخامة الجيوش التي خاضتها فقد بدأ الاشتباك في الساعة الثالثة بعد الظهر وما أن أزفت الرابعة حتى كان العدو يولى الأدبار. وقضى المنتصرون بقية النهار في مطاردة الفارين فقطعوا في هذا، حوالي ثلاثة عشر وأربعة عشر ميلاً. ولما ثابوا الى المعسكر كان الليل قد تقدم بهم كثيراً. وأستقبلهم خدمهم بالمشاعل وجازوا بهم الى خيامهم التي كانت مضاءة ومزدانة بأكاليل الغار والليلاب<sup>(٣١)</sup>، وهم يهتفون لهم ويهللون فرحين. لكن القائد العام كان حزناً لأن أصغر ابنه للذين جاء معه الى الحرب، لم يعد مع المنتصرين. كان أحبّ ابنائه الى قلبه لعلمه بتفوقه على كل أخوته في الشجاعة والخصال الحميدة فهو جريء، ركاب خطر طمأحاً الى المجد، ما زال في مطلع شبابه يافعاً<sup>(٣٢)</sup>. ولم يكن لاميلوس من سبيل الا ان يعتبره من الهالكين في حين أن قلّة تجرّيته في الحرب جعلته يتوغل كثيراً في صفوف الأعداء ويتأخر. ترك الجنود عشاءهم وحملوا المشاعل والمصابيح وتوجه فريق الى خيمة اميلوس بينما خرج فريق الى الخنادق يبحثون عنه بين قتلى أوّل الهجوم. وران الأسى والرجوم على المعسكر كله وضجّ السهل باصوات الرجال وهي تنادي [سكيبيو]. فهو على يفاعته موضع حبّ وأعجاب الكلّ لأنه بزّ أقرانه باخلاقه الرفيعة التي كانت تؤهله للقيادة والمشورة. وانصرم الليل أغلبه وكاد اليأس يستولى على الباحثين، وإذا به يعود والدماء الجديدة تعلوه لقد افرط في استثماره نصره الأول وقمادى في الاستمتاع بفوزه مثل كلب أصيل. ذلكم هو [سكيبيو] الذي دوّخ قرطاجنة [ونومانتيأ Numantia] وقوضهما، وكان بلا مجارة أعظم من يستحق الاجلال والتعظيم بين كلّ الرومان، وأكبرهم سلطاناً ومكانة بينهم. هكذا أرجأت آلهة الحظّ استيائها وغيرها من النجاح العظيم الى مناسبة أخرى وتركت أميلوس يستمتع بهذا النصر دون أن تشوبه شائبة أو يخالطه اذى.

(٣١) الغار هو النبات المقدس عند ابوللو والليلاب هو النبات المقدس عند باخوس. إن باخوس يخلط أحياناً بينه وبين هراقليوس، كان محارباً. واننا لنقرأ في الاساطير عن حملاته في الهند. الا ان العادة التي درج عليها الرومان بتزيين خيم المنتصرين بنبات اللبلاب - ربما نشأت من سبب أكثر بساطة. يقول يوليوس قيصر انه وجد في معسكر بومبي خيمة لنتولس وغيره من القادة مُزدانة بالليلاب اذ كانوا قد وثّقوا أنفسهم بالنصر.

(٣٢) كان يبلغ السابعة عشرة من العمر اذ ذاك.

أما عن [پرسیوس]، فقد بادر الى الفرار من [پیدنا] بخيالاته التي لم تلحقها خسارة تذكر، وبلغ [پللاً Pella] وهنا أنضمت اليه فلول الرجالة الذين أخذوا ينحون باللائمة والتقرير على الخيالة ويصمونها بالخيانة والجبن وامتدت ايديهم لانتزاعهم من فوق سروجهم وإلقائهم على الأرض فتشابهوا بالأيدي وتضاربوا وخشي [پرسیوس] عاقبة الخلاف فحاد في سيره عن الطريق العام ونزع عنه ثياب الأرجوان لثلا تُعرف هويته، ووضعها امامه ونزع تاجه وحمله بيده ثم نزل عن صهوة جواده ليسهل عليه تبادل الكلام مع اتباعه، وظل يقوده من الزمام ثم توقف أحد الجنود متظاهراً بشد سیر نعله، وتبعه آخر متعللاً بارواء حصانه، وأحتج ثالث بشرب الماء وهكذا بداؤا ينفضون من حوله متباطئين متسكعين بالتدرج. ولم يكن يدفهم الى هذا خوفهم من العدو قدر ما كانوا يخشون بطش [پرسیوس]، فقد دفعه اضطرابه واختلال عقله بسبب ما أصابه، الى محاولة تبرئة نفسه بالقاء وزر الهزيمة على كل شخص. وبلغ مدينة [پللاً] ليلاً فقصده [يوكتوس Euctus] و[يودئوس Edæus] أمينا بيت المال وأثارا سخطه بتعدادهما له اخطاءه الماضية، وبالجراءة التي أظهرها، واللوم الذي أختار له وقتاً غير مناسب فطعنهما بخنجره وقتلها. وبعد هذا تخلى عنه الجميع خلا [ايثاندر] الكريتي، و[ارخيديموس الايتولي] و[نيون] البويوسي. أما من الجنود العاديين فلم يتخلف غير الكريتين لا بدافع من أخلاص بل لطمع في ثروته الطائلة التي حرصوا عليها كما حرص النحل على قفيره. فوزع عليهم منها بعض الاقداح والأواني الذهبية والفضية وغيرها مما بلغت قيمته خمسين تالنتاً<sup>(٣٣)</sup>. لكن عندما خرج من مدينة [امفيپوليس Amphipolis] الى [غاليسوس Galipsus]<sup>(٣٤)</sup> وهدأت مخاوفه بعض الشيء عاد اليه داؤه القديم المعروف «الجشع» فراح يتظلم الى اصدقائه قائلاً انه اضطر بحكم الظروف القاسية الى النزول للكريتين عما يخص الاسكندر الكبير، وأخذ يتوسل الى من كانت في حوزتهم والدموع تجول في عينيه، بأن يسمحوا له بافتدائها بالمال. وأدرك الخبيرون بنفسيته أنه يريد أن يلعب بالكريتي على الكريتي. اما من صدقته واعاد اليه فقد خرج بصفقة المغبون، اذ لم يدفع لهم شيئاً مما وعدهم. بل وتمكن بالحيلة ان يبتز من اصدقائه ثلاثين تالنتاً (كله وقع في يد العدو بعد زمن وجيز). ثم انه ابحر بما معه من أموال الى [ساموثراكي Samothrace] وهناك لجأ الى معبد [كاستور وپوللوکس]<sup>(٣٥)</sup>.

(٣٣) كان يخشى ان يدفع بها اليهم لثلا يثير المقدونيون حقد الآخرين [ليفي المرجع نفسه ٤٥].

(٣٤) في إحدى المخطوطات كتبت Alpsus.

(٣٥) حمل معه مبلغاً قدره (٢٠٠٠) تالنت. كان الخوف مستولياً على پرسسيوس عند وصوله [امفيپولس] لثلا يسلمه الأهلون الى الرومان خرج يحمل فيليب الابن الوحيد الذي صحبه فصعد المنبر وحاول الكلام إلا =

عُرِفَ المقدونيون دائماً بحبهم للوكهم وشدة إخلاصهم لهم. والآن بعد أن أن تحطم قطبهم الرئيس أنهارت معنوياتهم وأعلنوا الطاعة لاميليسوس، ومكنوه من بلادهم في غضون يومين ليس غير. وهذا يزيد الرأي القائل بمخالفة الحظ له على ما يبدو. إن العلامة السماوية التي نزلت عليه في [امفيلوليس] كانت من قبيل الخوارق الطبيعية.

فعندما كان يقرب هناك وقبل بدء الشعائر المقدسة نزل من السماء برق على الهيكل بصورة مباغتة وأشعل النار في الخشب فأكمل حرق القربان وعلى أية حال فإن أجلى المظاهر الخارقة للطبيعة التي حصلت بمشيئة من السماء - يبدو من حكاية الاشاعة التي أنتشرت في روما عن نصره. ففي اليوم الرابع لهزيمة [پرسوس] في [پيدنا] وبينما كان أهالي روما يشاهدون سباق خيل<sup>(٣٦)</sup>. بدأت فجأة اشاعة من مدخل الملعب مؤداها ان [اميليسوس] قد هزم [پرسوس] في معركة عظيمة. وانه يقوم الآن بإخضاع مقدونيا كلها لسلطانه. وسرى هذا النبأ بين الناس ليخلق فرحة عامة فتعالق الهتافات والتهليل، وضجت المدينة به طوال اليوم. وعندما لم يتعين مصدر النبأ وظهر أن كل شخص كان ينقله الى الآخر على علاته، صرف عنه النظر مؤقتاً واسقط من الحساب الى أن وصلت الأخبار المؤيدة بعد أيام قليلة<sup>(٣٧)</sup>. فعدت الاشاعة الأولى من قبيل الخوارق. لاحتوائها على الواقع والحقيقة تحت مظاهر الخيال. وقيل أيضاً ان انباء المعركة التي جرت قرب نهر [سارغا Sarga]<sup>(٣٨)</sup> في إيطاليا، أنتقلت الى الپلوپونيسوس في اليوم بالذات. كذلك معركة الميديين في [ميفال] فقد وصلت انباؤها الى [پلاطيا Plataea] في فترة يوم واحد أيضاً. وعندما هزم الرومان اتباع [تاركوين] وحلفاؤهم اللاتين شوهد في روما بعدها بقليل، شخصان طويلا القامة مهيبا الطلعة زعماً انهما يحملان انباءً من المعسكر، ورجح انهما [كاستور وپولوكس] وكان أول حديث لهما قرب النافورة. فأبدى عجبه لما سمح منهما وقيل انهما ابتسما ومساً لحية الرجل مساً رفيقاً فتحول شعرها

---

= ان العبرة خنقته ولم يساعفه اللسان بعد عدة محاولات فطلب من [ايفاندر] أن يتكلم عنه إلا ان الأهالي الذين كانوا له من الكارمين رفضوا الاستماع اليه وهاثوا «إنه، انه، انه» لندع ان لانعرض أنفسنا وزوجاتنا وأطفالنا للخطر يسببكم، فالهرب الهرب وأتركنا لعلنا ننال أفضل ما يمكن الحصول عليه من شروط الغالب». وكان ايفاندر الشخصية الرئيسة في عملية اغتيال [يومنيوس] وقد فتك برسوس بايفاندر بعد ذلك في [ساموثراكي] خشية أن يكشف دوره في الاغتيال.

(٣٦) فاليريوس ماكسيموس [١، ٨: ١] يقول ان مصدر الاشاعة هو شخص يدعي [فاتينيوس] وهذا نقلها عن شابين يمتطيان جوادين اشبهين [كاستور وپولوكس... طبعاً!].

(٣٧) تأيد الأمر بوصول كوينتوس فابيوس ماكسيموس ابن ايميلوس، ولوكولوس لينتولوس، وكوينتوس ميتلوس الذين أرسلهم [ايلوس] فبلغوا روما في اليوم العشرين الذي عقب المعركة.

(٣٨) في [ماغناغريكيا] وهي ليست بالبعيدة عن [ريحيوم].

من الأسود الفاحم الى الاشقر الذهبي، وهذا ما أيد صحة اخبارهما. وألصق بالرجل لقب [اهينوباريوس Ahenobarbus] (٣٩): اي ذا اللحية الصفراء. وفي زمننا هذا وقع حدث يجعل كل ما اتينا الى ذكره قابلاً للتصديق. فعندما شق [انطونيوس] عصا الطاعة على [دوميتيان] أعتري روما غمّ عظيم اذ توقعت حروباً طاحنة تأيتها من ناحية جرمانيا. وعلى حين غرة سرت اشاعة النصر على افواه الناس دفعة واحدة، دون أن يدري أحد مصدرها، وضجت المدينة كلها بانباء تشير الى مقتل انطونيوس، وابداء عسكره عن بكره ابيه إلا شزيمة (٤٠). وقوي الاعتقاد ورسخ في النفوس حتى عدداً كبيراً من الحكام أخذوا يقدمون القرابين. وعندما حُقق عن المصدر ولم يعثر عليه تضاءلت الاشاعة وأخذ كل أمرء يزيجها عن عاتقه ليلقيها على الآخر، وأخيراً ضاعت في الجَمّ الغفير كأنما غيبها البحر الاوقيانوس ولم يعد أحد يذكرها بكلمة في المدينة لانها لم تجد حقيقة تدعمها. ومع هذا زحف [دوميتيان] بقواته الى ميدان القتال. فالتقى بالسعاة القادمين وسلموه رسائل تنبئه بالنصر وعند التأمل وجد أن ظهور الاشاعة كان يوافق اليوم الذي تحققت فيه الغلبة، مع العلم ان المسافة بين منطلق الاشاعة وميدان المعركة كانت تزيد عن الفين وخمسمائة ميل. في الواقع ان اموراً كهذه لا تجد معاصرنا تعليلاً أو تفسيراً.

ولنعد الآن الى موضوعنا، وصل الى [ساموثراكي]، القائد الروماني [كينيوس أوكثافيوس Cnaeus Octavius] وألقى مراسي اسطوله تحتها. وسمح [لپرسيسيوس] أن يبقى متمتعاً بحق اللجوء إكراماً منه واجلالاً للأرباب (٤١). إلا أنه اتخذ كل الاحتياطات للحيلولة دون هروبه بحراً. على أن [لپرسيسيوس] لم يقم وزناً لهذا وانما أتصل [باورواندس Oroandes] الكريتي وهو صاحب سفينة صغيرة، واقنعه بان ينقله هو وأمواله بحراً. وبرهن هذا على انه نموذج صادق للكريتيين فقد نقل المال الى السفينة وأوصى لپرسيسيوس أن يكون هو وأولاده وأقرب خدمه وأكثرهم ضرورة مجتمعين علي الرصيف القريب من معبد [سيريس] ليركبوا السفينة. لكن اورواندس أقلع بغنيتمه من المال في مساء ذلك اليوم دون أن يأخذ لپرسيسيوس. كان يكفي هذا بؤساً وعاراً أن يضطر الى الهبوط هو وزوجه وأولاده من نافذة ضيقة في الجدار وهم الذين لم يعرفوا في حياتهم معنى الضيق أو الفرار. وها هو الآن يطلق الزفرات من قلبه الذي أثقله الألم والشقاء، عندما استوقفه أحدهم وهو يدور في ارجاء الساحل هائماً يبحث

(٣٩) اسمه [لوشيبوس دوميتيوس] ومن نسله نيرون الامبراطور.

(٤٠) شبت هذه الثورة في جرمانيا العليا في العام ٩٢ ق.م.

(٤١) كانت آلهة ساموثراكي تتعجب باحترام ومهابة خاصين عند سائر الاقدمين ديودورس.

عن السفينة. وأبلغه أن [ارواندس] هو الآن في عرض البحر. كان الوقت فجرًا، فلم يبق له أي أمل بالفرار<sup>(٤٢)</sup> وقفل راجعاً مع زوجه فيلغا الجدار ركضاً وإن كان الرومان قد لمحوهما قبل أن يصلوهما بزمن. وكان هو نفسه قد وضع أولاده وديعةً عند [ايون] أخلص ندمائه في الماضي، واحد الغادرين به في الحاضر. وهذا ما حمله بالدرجة الأولى على تسليم نفسه لأولئك الذين كان أولاده تحت رحمتهم (الحيوانات نفسها قد تقدم على ذلك عندما ينزع منها صغارها). وكان قد وضع أكبر ثقتة في [ناسيكا] فقصده ولم يجده هناك، فلم يسعه إلا أن يندب سوء حظه وإن يسلم نفسه إلى [اوكتافيوس] بعد أن سُدَّتْ أمامه كل السبل. وهنا تبين أنه مبتلى برذيلةٍ أخطَ من الجشع وأعني بها التهالك على الحياة، وكانت سبباً في حرمانه العطف وهو الشيء الوحيد الذي يأبى الحظَّ عن استلابه حتى من أخطَّ الناس وأعظمهم شراً، فقد طلب أن يؤخذ إلى [اميلبيوس]<sup>(٤٣)</sup>، فنهض هذا من مقعده وتقدم لاستقباله يحفُّ به اصداقاه وأدمعت عيناه لمنظر رجل كبير المقام هوى إلى الحضيض عندما غضبت عليه الآلهة وعثر به حظه. وهنا بدأ [پرسبيوس] في أخزى موقف وأدعاه إلى الاشمزاز، إذ ألقى بنفسه تحت قدمي أميلبيوس وأخذ يقبل ركبته ويولول ويصرخ مستجيراً صرخات لا تمت إلى الرجولة بصلة. فلم يحتمل اميلبيوس ذلك ولم يطق سماعه وخزره بنظرات يشيع فيها الأسى والغضب وقال له:

- لماذا تتعب نفسك أيها الشقي في تيرئة الحظِّ من أشدِّ ملامك له بسلوكك هذا الذي يظهره بمظهر المستحق لهذه النكبة ويجعل سعادتك الزائلة تبدو وكأنها أكثر مما تستحق، لاحتلك الحاضرة؟ ثم لماذا تحطُّ من قيمة انتصاري وتجعل فتوحاتي تافهة بالكشف عن جبنك والبرهنة على أن خصومتك تحط من قدر الرومان. إن البسالة المنكوبة تستدرِّ الاحترام العظيم حتى من قلوب الأعداء، لكن الجبن وإن لم يكن كثير النجاح، إلا أن الرومان لا يجابهونه إلا بالاحتقار.

ومع هذا فقد أنهضه ومد إليه يده، وأوصى [توبيروا] أن يبقيه عنده. ثم أنه دعا ولديه وختنيه، وطائفة من وجهاء الرومان الشبان إلى دخول خيمته معه. وظلَّ جالساً مدة طويلة وهو مطرق لا ينطبق بحرفٍ حتى اعجبوا لأمره، وأخيراً راح يحدثهم عن الحظوظ وأحوال البشر فقال:

(٤٢) يقول ليثي انه أخفى نفسه في إحدى زوايا معبد (كاستور وبولوكس) لا تلفت النظر.  
(٤٣) ما أن صار الملك في امفيبولس تحت رحمة (اوكتافيوس) حتى وضعه في سفينة القيادة وحمل كل أمواله وكنوزه ثم أرسل ساعياً سريعاً إلى اميلبيوس يعلمه بالأمر. فإرسل هذا (توبيرو) خنته مع آخرين من عليّة القوم ووجهانهم لاستقبال [پرسبيوس] وكذلك أمر بنحر الذبائح وكناته نال نصراً جديداً. وخرج كل من كان في المعسكر لمشاهدة الملك الأمير الذي توجه وحيداً نحو خيمة اميلبيوس وهو مشتمل بمعطف أسود.



- بما قدر لذلك الذي يعلم جيداً بأنه بشرٌ لا أكثر، أن يعتز بنفسه ويصعّر خده وهي في أحسن حالٍ من الرخاء والرفاه، وان يتيه عجباً وخيلاء عندما يفتح مدينة أو بلداً أو مملكة، لا أن يفكر في تغيير حظه هذا تفكيراً متزنأ. فعلى كل المحاربين أن يجدوا فيه عبرة، ويتخذونه مثالاً لضعفٍ قد ينتابهم، ولاحتمال تعرضهم للخطأ بصورة عامة، وان يتعلموا منه درساً وهو أن لاثبات ولا دوام لحالٍ والى كم يستطيع المرء أن يضمن السلامة لنفسه؟ في حين أن النصر والنجاح هو في مقدمة ما يوجب علينا التخوف من انقلاب حظوظنا. وتأمّلنا القليل في جوهر الأشياء، وملاحظتنا دوران المقادير السريع، وعرضة أحوال المرء الى التبدل أن يشعرنا بالترحم ونحن في وسط الفرع العظيم. عندما ترون سليل الاسكندر نفسه الذي بلغ أعلى درجة من السلطان وحكم أعظم امبراطورية يوطأ بالأقدام في فترة من الزمن وجيزة، لا تزيد عن ساعة واحدة. عندما ترون ملكاً يحيطه جيش جرار وما هي لحظة إلا وهو يتسلم قوت حياته من أيدي المنتصرين عليه. أقول ايسعكم الايمان بثبات وخلود ما ملكه في ايدينا مع وجود ما يدعى بتقلبات الحظ؟ كلاً أيها الشبان، دعوا جانباً كبرياءكم الباطلة وزهوكم الفارغ بالنصر، وأجلسوا جلسة التواضع ولا تحولوا أنظاركم عمّا سيأتي به الزمن، وما كتب لكم في لوح المستقبل يحمل أن يعكس ما قد يجعله غضب الآلهة الأخير نهايةً وختاماً لسعادتنا الحاضرة».

وقيل أن [اميلوس] أسهب في هذا وتلكم كثيراً، وبعدها صرف الشبان فخرجوا وهم يشعرون باتضاع كبير، وان خيلاءهم وزهوهم قد استؤصلا من نفوسهم تماماً.

بعد هذا، وزع [اميلوس] قطعات جيشه على المقرات في المدن ليصيبوا الراحة. وخرج هو في زيارة لبلاد الأغرقي. وقضى هو الآخر فترة راحة مفيدة مشرفة له ذات طابع انساني لا تقل خطراً عن أعماله الحربية، فقد خفف من ضيقة الناس أثناء رحلته وأصلح حكوماتهم ووزع الهبات والعطايا على المحتاجين، من القمح والزيت وما شاكلها مما أكتظت به مستودعات الملك المغلوب. فقد قيل انه أختزن كميات لم تنضب. حتى بعد أن أنتهى تحقيق جميع الطلبات وتوزيع كل الهبات. ووجد في دلفي عموداً عظيم الجرم مربع الشكل من الرخام الأبيض أعد ليكون قاعدةً لتمثال الملك الذهبي فأمر ان ينصب فوقه تمثاله قائلاً أن العدل يقضي بأن يُخلي المغلوب مكانه للغالب وذكر أنه نطق في [اولمبيا Olympia] القول الذي سمعه الجميع : «إن [فيدياس] نحت جويتر [هوميرس]» وعندما وصل المفوضون الرومان العشرة من روما<sup>(٤٤)</sup>، أعاد الى المقدونيين مدنهم وارضيتهم، ومنحهم حق العيش في حرية

(٤٤) هؤلاء المفوضون العشرة كانوا من درجة قنصل. وقد قدموا لمساعدة اميلوس في وضع أسس لحكم =

يمارسون شرائعهم الخاصة دونما تدخل وأكتفى باستيفاء غرامة للرومان قدرها مائة تالنت وهي ضعف ما كانوا يدفعونه للوكهم. ثم احبوا مختلف حفلات التمثيل والالعاب الرياضية، وقدم القرايين للأرباب وأقام الولائم وضروب الملاهي، وقد سددت نفقاتها كلها من خزائن الملك. ولم يبخل بشيء من المال في احيائها. وأظهر فيها مبلغ علمه بالمقامات وأماكن الضيوف في تلك المناسبات، وبأي أسلوب يستقبل كل واحد وفقاً لمنزلته وقيمته. وانجز ذلك بدقة جميلة انتزعت الأعجاب من الأغريق فقد وجدوا أنه قوي الملاحظة في ما يتعلق بأصول الدعوات والحفلات، دقيق الذوق حتى في هذه الصغائر رغم انشغاله في الأمور العظيمة. ولم يكن بما يشينه أن يبدو هو نفسه بين كل هذه المظاهر الفخمة الرائعة أبهى المشاهد وادعاها الى الإعجاب ومصدر أعظم السرور لمذعوبه. ولقد قال لاولئك الذين بدوا مشدوهين من اهتمامه ومواظبته: إن ما يظهره من دقة في تنظيمه وليمة لا يقل عما يظهره في تنظيم وإدارة جيش والثاني منهما يجعله مرهوب الجانب في نظر العدو. والاول يجعل الوليمة مقبولة من الضيفان ولم يكن ثناء الخلق على كرمه وسمو روحه بأقل من ثنائهم على سجاياه وشجاعته. لم يطق صبراً على المقادير العظيمة من الفضة والذهب التي كدست أكداً في قصور الملك، ودفع بها الى أيدي أمراء بيت المال الكويستورية Quæstor لتودع الخزانة العامة. وسمح فحسب لابنيه اللذين عرفا بحبيهما للعلم أن يستأثرا بكتب الملك. وعندما جرى توزيع جوائز البسالة النادرة منح [إيليسوس تويبرو] ختنه، انا ذهبياً وزن خمسة ارطال، وهذا هو [تويبرو] الذي نوهنا سابقاً به، وقلنا أنه كان واحداً من ستة عشر قريباً يعيشون معاً في بيت واحد ولا يملكون إلا حقلاً صغيراً. ولقد قيل أنه الاناء الوحيد الذي دخل منزل آل [إيلي] ليس عن طريق الشراء بل المكافأة للشجاعة وتكريماً ولم يكونوا قبل هذا قد استعملوا ذهباً أو فضة لا هم ولا زوجاتهم.

بعد أن أعاد أميليسوس الأمور الى نصابها<sup>(٤٥)</sup> غادر اليونان. وفي مقدونيا نصح المقدونيين بالأبلا بفرطوا في الحرية التي نالوها بمساعي الرومان وان يحرصوا عليها بطاعتهم القانون والمحافظة على وحدتهم وتماسكهم<sup>(٤٦)</sup>. ثم انه توجه الى [إبيروس]. وكان قد تسلّم أوامر من

= جديد. وعن مهمتهم واسمائهم أنظر ليفي [١٧:٤٥ و١٨] لم يفهم الأغريق المقصود بالحرية التي جامع بها الرومان لاسيما وقد أقررت بغرامة مقدارها مائة تالنت! كما وجدوا تناقضاً في البيان نفسه فقد تحدث عن تركهم يمارسون تطبيق قوانينهم الخاصة في حين فرضت عليهم في الوقت عينه قوانين جديدة وانذروا بغرض المزيد. وما كان يقلقهم أشد القلق هو تقطيع اوصال مملكتهم ووضع نهاية لوحدتهم الوطنية.

(٤٥) بنهاية هذه الاجراءات أمر بتنفيذ حكم الموت بـ[اندرونيكوس] من اتيوليا، وبيـ[نيون] من بويوتيا فقد كانا صديقي (برسيوس) دائماً ولم يتخلى عنه.

(٤٦) هذه الامتيازات التي حُبب بها المقدونيون من الرومان لم تكن بالأمر القاتل العادة. فقد قسمت بلادهم =

مجلس الشيوخ تقضي أن يمكن جنوده الذين حاربوا [پرسیوس] تحت امرته، من نهب مدن تلك البلاد، ولكي ينجز تنفيذ الأمر بصورة مفاجئة وبأخذ السكان على حين غرة، بعث يستقدم عشرة من رؤساء كل مدينة وعند حضورهم أمرهم أن يهيئوا له كل ما يوجد من المنازل الخاصة والمعابد من الذهب والفضة ويأتوا به اليه في يوم حدده لهم. وأرسلهم وبرفقة كل وفد نقيباً [سنتوريون = قائد مائة] مع سرية جنود بحجة التفتيش عن الذهب وتسلمه. ولكن لما حلّ اليوم المتفق عليه هبوا في كل المدن وأنطلقوا لتنفيذ قرار النهب والسلب، وساقوا في ساعة واحدة مائة وخمسين ألف عبد رقيق من أهاليها. ونهبت سبعون مدينة. على أن كل ما أعطي من هذا الخراب الشامل والدمار التام، لم يكن ليزيد عن أحد عشر دراخما للجندي الواحد. وبعد هذا كان الناس يرتعدون من سماع كلمة اعلان حرب بعد أن عادت ثروة أمة بكاملها، بهذه الفائدة التافهة والريح الضئيل على كل فرد عند توزيعها.

بعد أن أنجز أميلIOS هذا العمل الذي كان يتنافى تماماً مع طبعه الرقيق وخلق السمع، أنحدر الى [اوريكوس Oricus] <sup>(٤٧)</sup> ومنها أركب جنوده السفن مبحراً الى ايطاليا، ومخر عباب التبير على ظهر سفينة الملك، وهي ذات ستة عشر رصيف تجذيف. وكانت قد تزينت زينة مفرطة بغنائم الأسلحة وأقمشة الأرجوان والقرمز. حتى أن الرومان المحتشدين على الضفاف لاستقباله أخذوا يتلمضون مسبقاً بحلاوة موكب نصره القادم، وهم يرقبون سفينته تشق الماء متهادية ضد التيار. إلا أن الجنود الذين اثار ت كنوز پرسیوس الجشع في نفوسهم ولم يحصلوا على ما توهموه حقاً لهم، كانوا يبطنون سخطاً وحنقاً على اميلIOS، وظهر سخطهم هذا على شكل شكوى من صرامة قيادته وطغيانه. وأشارت الدلائل الى انهم راغبون عن منحه موكب نصر. وعلم بوجهة نظر الجنود هذه، [سرفيوس غالبا Servius Galba] عدو اميلIOS. وكان يخدم تحت امرته بمنصب [تربيون]، فخرج يعلن بكل جرأة ان اميلIOS لا يستحق موكب نصر، ودخل بين الجنود يبذر الفتنة ويحرض عليه فزاد من صدودهم عن اميلIOS، وتقادى في هجومه بأن طلب من مفوضي (تربيونات) الشعب أن يسمحوا له بارجاء سرد اتهاماته وحججه الى اليوم التالي لأن الساعات الاربع الباقية من النهار لا تكفي. لكنهم ابوا عليه ذلك وأمره بالكلام فوراً دون تأجيل إن كان لديه شيء. فبدأ يلقي خطبة طويلة عريضة ملأها بشتى المفتريات وصنوف الملام حتى أنتهى الوقت وزحف الظلام،

= الى اربعة أقاليم وجرم بحكم القانون على أي شخص أن يتزوج أو يتاجر أو يبيع عقاراً لآخر ليس من سكنه للأجانب وأوجب على كل نبلائهم وأطفال هؤلاء الذين تزيد أعمارهم عن الخامسة عشرة بان ينقلوا فوراً الى ايطاليا كما وضعت السلطة العليا في سائر مقدونيا بأيدي شيوخ رومانيين معينين.  
(٤٧) ميناء في مقدونيا.

ففض التريبيونات الاجتماع. وأشدت ثورة الجنود واحدقوا [بغالبا] وعقدوا الخناصر على مؤامرة، وفي صباح اليوم الباكر حاصروا [الكابتول] وهو الموضع الذي عينه التريبيونات لعقد الاجتماع الثاني.

وفي ساعة الصباح الأولى وضعت قضية موكب النصر في التصويت، وباشرت القبيلة الأولى بالتصويت ضده، فانتشر النبا بين الأهالي حتى بلغ مجلس الشيوخ. كان الجمهور والحق يقال، شديد الألم لما يلاقيه اميلIOS من نكران وسوء معاملة، لكن هذا الألم لن يتعد حد الكلام ولم يخلف أثراً. وأستنكر رؤساء المجلس هذا العمل ووصفوه بالحطة والنذالة وأخذوا يحضون بعضهم بعضاً على وضع حد لتمرّد الجنود ووقاحتهم، والأفلن يلبشوا أن يخرجوا عن طورهم، واذ ذاك يتعذر ضبطهم ويلجأون الى أعمال العنف اذا ما ترك لهم أمر حرمان اميلIOS من موكب النصر.

ثم أنهم ساروا بعدد كبير يشقون لأنفسهم طريقاً بين الجموع الحاشدة الى محل الاجتماع وطلبوا من [مفوضي الشعب] تأجيل التصويت الى أن يتكلموا بما في ضميرهم امام الشعب. فأوقف التصويت وبعد أن ساد الصمت نهض [ماركوس سرفيلIOS Marcus Servilius] الحائز درجة القنصل، وكان قد أشتهر بفتكه بثلاثة وعشرين خصماً تحدّوه كلهم في معركة واحدة، ووجه الكلام الى الجمهور قائلاً:

- لقد وضع لي الآن أكثر من أي وقت مضى، كم كان عزيزنا اميلIOS باولوس قائداً عظيماً، واني لأعجب حقاً اذ أرى كيف استطاع تحقيق هذه الانتصارات العظيمة بجيش ساده التمرّد وركبته الحطة والدناءة. كما اني لا أجد في نفسي قدراً من الدهشة يكفي شعباً فخر بالانتصارات على الاليليريين والليغوريين وأبى الآن، حقداً وحسداً، أن يستمتع بمنظر الملك المقدوني يقاد الى الأسر حباً بقوة الرومان وسؤدهم، ويخفّ به كل تراث فيليب وأمجاد الاسكندر. وانتم الذين تقدمتم الى الأرياب بالقرابين فور سماعكم بأصغر أشاعة نصرٍ أنتشرت في المدينة بمحض الصدفة، وتوجهتم اليها بالدعاء ليكون النبا حقيقياً، أليس غريباً منكم أن تخذعوا الآلهة وتحرموها الاكرام الواجب وتخذعوا انفسكم بحرمانها فرصة النصر، بعد أن عاد القائد يحمل لكم فتوحات لا شك فيها ولا شبهة. وكأني بكم لا تطيقون رؤية ثمرة مجهوده العسكري، أو كأني بكم عازمين على الصفح عن عدوكم! ومن هذين البديلين يجمل بكم أن تحرموه موكب النصر خير لكم من حبسه عنه حسداً له وحقداً! الى هذا الحد بلغ بكم سوء النية، حتى تعيروا أذنأ صاغية لرجل ليس في جسده الأملس الطري من فرط الراحة والعناية البيتيّة الزائدة - أثر ما لنديبة

حين يقف أمامنا هنا منتقصاً من قيمة جزال ومطالباً بالحدّ من حقوقه، جنرال علمته جراحنا كيف يحكم على بسالة القادة وجبنهم».

قال هذا ونضا عنه ثوبه وعرض صدره العاري الذي ازدحمت فيه الندوب ثم دار على عقبيه ليكشف عن أجزاء أخرى من جسمه جرت العادة سترها. قم توجه بالخطاب الى [غالبا] قائلاً: - لعلك تسخر بي لما أفخر به الآن أمام أخواني المواطنين؛ إني ما أصُبت بها إلا في مجال خدمتهم التي اثبتتني على صهوات الخيل ليلاً ونهاراً. ولكن، اذهب فاجمع الأصوات وأنا في أثرك، وكن منتبها الى الوضع وناكر الجميل، والى من أثر الملق والمداهنة على اطاعة أمر قائده.

قيل إن هذه الخطبة افحمت الخصوم والجمت ألسنة الجنود، وقلبت آراءهم رأساً على عقب فبادرت القبائل الى اعلان موكب نصر لاميلوس وقد تمّ تنظيمه على الشكل التالي:

نصبت الجماهير منصات ومنابر في الفورم وفي ملاعب السركس Circus (وهو الأسم الذي يطلقونه على محلات سباق الخيل) وفي كل المواضيع التي يمكن رؤية المواكب منها. وأرتدى المتفرجون ثياباً بيضاء وفتحت ابواب المعابد جميعاً وكانت مزدانة بالاكاليل يفوح منها البخور والعطور. واخليت الطرق ومنع المرور فيها وعين عدد كبير من ضباط الشرطة لحفظ النظام فكان يدفعون الناس الى الخلف ويمنعون احتشادهم في الطرق وعبورهم في الشوارع الرئيسية. ودام الموكب ثلاثة أيام كاملة. ولم يتسع اليوم الأول لكلّ ما خصص له، وقد شاهد المتفرجون التماثيل والصور والمنحوتات الضخمة التي غنمت من العدو وهي تمثل مختلف الآلهة؛ حملت على مائتين وخمسين عربة ومرت تباعاً.

وفي اليوم الثاني شاهد الجمهور رتلأ من عربات النقل أثقلت بأبدع الدروع المقدونية، الفولاذية منها والنحاسية. وكانت قد صقلت بهذه المناسبة فأخذت ترسل بريقاً يخطف البصر. وكانت قطع السلاح مكدسة كدساً ظاهره الاهمال وباطنه تدبير متعمد ينطوي على براعة. والقصد منها أن تبدو مكدسة كيفما أتفق فألقيت اللآمات والخوذ فوق التروس، والبُرْد فوق طماقات الساق وطرحت الدرقاات الكريتيية بعضها على بعض، والقبيت دروع الصدر وكنانات النشاب التراقية بين لجُم الخيل. وبرزت من كل هذا ذبايات السيوف عارية عن اغمادها، مختلطة بالحراب المقدونية الطويلة. كانت هذه الأسلحة قد شدّت وحزمت بقدرٍ من الرخاوة يسمح لها أن تصطقق وتحتك فيخرج منها رنين حادٌ وضجة مزعجة رهيبية، تبعث الخوف والرعدة في أوصال الناظر اليها، وان كانت غنائم من عدو مغلوب.

بعد هذه العربات أقبل ثلاثة آلاف رجل يحملون فضة مصكوكة نقداً، في سبعمائه وخمسين وعاءً كل واحد منها يزن ثلاثة تالنتات. ويحمله أربعة رجال، وتقدم آخرون يحملون آنية وأكواباً من الفضة رتبت بنظام دقيق ليجعل منها منظراً بديعاً، وهي من التحف العجيبة من ناحية احجامها ودقة صنعتها وغرابة نقشها.

وفي الصباح الباكر لليوم الأخير تقدم الموكب نافخو الأبواق، يوقعون اللحن الذي يضره الرومان لتحريض الجنود على القتال، وليس الحان المواكب والاحتفالات الدينية والاستقبالات الرسمية. ثم تلتهم ارهاط من الشباب وعليهم معاطف سوداء مزركشة الحواف يقودون مائة وعشرين ثوراً مسمناً مطلية القرون رؤوسها مزدانة بالشرائط وأكاليل الزهر، ولحق بهم صبيان أيفاع يحملون أوعية ذهبية وفضية، تحوي القرايين السائلة. وأعقبها رتل يحمل العملة الذهبية في أوعية يزن الواحد منها ثلاثة تالنتات وعددها سبعة وسبعون<sup>(٤٨)</sup>. ثم تلاهم حملة الوعاء المكرس للآلهة الذي أمر أميليسوس بصنعه وزنته عشر تالنتات<sup>(٤٩)</sup>، وهو مكفّت بالاحجار الكريمة. ثم مرت أكواب [انتيفغونس] و[سلوقوس Seleucuse]، والاكواب المصنوعة في تراقيا وصحاف الذهب التي كانت تستعمل في مائدة [پرسیوس] وضع فوقها سلاحه ودروعه وعلاها تاجه. ثم انقضت فترة، بعدها أقتيد أولاد الملك الأسرى تحف بهم بطانة من خدمهم وحشمهم ومعلمهم وكلهم منخرطون في البكاء يرفعون الى المتفرجين أيدي الضراعة. وكانوا يحثون الأولاد على أحتذائهم في التوسل لاستدراار العطف وكان بينهم إبنان وبنات. حال صغر سنهم دون شعورهم بمقدار بؤسهم. وعدم الشعور هذا جعل حالهم أذعى الى الألم والرتاء. فشخصت عيون الرومان المشفقة الى الأحداث وسمرت فيهم بحيث لم يشعروا بپرسیوس عندما مرّ، ولم يقو كثيرون على مغالبة دموعهم. تابع الجميع هذا المشهد بمزيج من الأسى والفرح حتى غاب الولدُ عن النظر.

ثم مرّ [پرسیوس] وهو متشح بالسواد وفي قدميه حذاء مقدونيّ. وبدأ ذاهلاً شارد الذهن لظم بلواه، وتبعه رهط كبير من أصدقائه وندمائه وقد قلب الغمّ سحناتهم، وحملوا المتفرجين على الاستنتاج من بكائهم ومن دوام تطلعهم الى [پرسیوس] بأنهم يحملون حظه العاثر معظم شكواهم، وانهم لا يكثرثون بمصائرهم - وكان پرسیوس قد رجا في اميليسوس أن يجنبه هذا

(٤٨) بحسب پلوتارخ كان ثم ما وزنته ٢٢٥٠ تالنت من العملة الفضية، و٢٢١ تالنت من العملة الذهبية. وبحسب ما أورده فاليريوس أنتياس فان الكمية تزيد عن ذلك. ويقول فيليبوس پاتروكولوس أنها ضعف هذا المبلغ. وربما كان قوله أصح من تقديرات غيره. لأن النقود التي جلبت من مقدونيا حررت الرومان من دفع الضرائب لمدة (١٢٥) سنة.

(٤٩) هذا الاناء يزن ستمائة پاوند، لأن زنة التالنت الواحد تساوي ستين پاوند. وقد كُرس ل(چوپتر).

الموقف ولا يدخله في مسيرة الموكب. فبعث اليه اميلIOS الذي سبق له ان أحتقر جنبه وتهالكه على الحياة - بجواب مفاده ان الأمر منوط به الآن كما كان منوطاً به في الماضي - وقصده أن يقول له أن هذا العار يمكن تفاديه بالموت، وهو ما لا قبل لهذا الرجل الخائر القلب به. فظهر مخنئاً جباناً لأمل ما يساوره، وسمح لنفسه أن يعرض كجزء من غنائمه!

بعد هذا عرض اربعمائة تاج من الذهب الخالص قدمتها لاميلIOS وفود المدن تكريماً لنصره. ثم لاح [اميلIOS] وهو جالس في عجلة حربية فخمة الزينة (رجل قمين بالنظر حتى وهو مجرد عن شارات السلطة) وكان متسربلاً بالأجوان المنسوج بخيوط الذهب. وفي يده اليمنى غصن من الغار، ومرّت خلفه قطعات الجيش كلها يحمل افرادها جميعاً أغصان الغار وهم في نظام الكتائب والسرايا. وكان بعضهم ينشد القصائد التي تتخللها النكات التعليقات اللاذعة جرباً على العادة الرومانية في هذه المناسبات<sup>(٥٠)</sup>، وراح بعضهم ينشد أغاني النصر، ومشيداً ببطولات [اميلIOS] الذي كان محط اعجاب كل الرجال وتقديرهم. وأما الطيبون منهم فما كانوا يشعرون نحوه بأي حسد، إلا قدر ما قد تشاء ارادة أحد الأرباب التقليل من سعادة عظيمة جداً ومفرطة فيعمد الى تعقيد شؤون الحياة البشرية بحيث لا يعود يخلص أحد من النوائب والمصائب. وقد صدق [هوميروس] وأجاد في قوله «إن الذين يعتبرون أنفسهم موضع يمن وبركة، هم كل من كان حظّه من الخير والشر متساوياً»<sup>(٥١)</sup>.

كان لاميلIOS اربعة ابناء، اثنان منهما تبنتهما أسرتان كما أسلفت وهما [سكيبو] و[فابوس] أما الباقيان اللذان انجبهما من قرينته الثانية فقد نشأ في بيته. وتوفياً في مقتبل العمر. الأول مات قبل دخول ابيه ظافراً بخمسة ايام وله من العمر اربعة عشر عاماً ومات الثاني بعد تمام موكب النصر بثلاثة ايام وله من العمر اثنا عشر عاماً. ولم يبق روماني واحد الا وهو عميق الشعور بما اعتلج في نفس اميلIOS من آلام. ولم يبق من لم ترتعد فرائضه من قسوة الحظّ. وعدم ترده في صبّ هذا القدر الكبير من الزح على بيت، كان ممتلئاً بالسعادة والبشر، حافلاً بالقرابين. وفي مزجه الدموع والحسرات بأناشيد النصر والظفر.

واهتدى اميلIOS بتفكيره المجرد الى أن الشجاعة والاقدام ليسا مجرد الثبات امام السلاح والرماح، بل الصمود في وجه صدمات الحظّ ونوائبه. ولهذا ثبت وكيف نفسه لهذه الاضداد والمتناقضات في أحواله، بتوجيهه الخير على الشرّ، وموازنة شؤونه الخاصة بشؤونه العامة،

(٥٠) اورد سوتونيوس في السيرة التي كتبها ليوليوس قيصر نماذج من أناشيد انشدت بمناسبة النصر الذي حققه على الغالين.

(٥١) يشير هنا الى فقرة من خطبة أخيل الموجهة لبريام [الايادة ٢٤:٥٢٦].

ولم يترك اي مجال لاستلاب شيء من عظمة انتصاره، والحظ من شأنه. فما أن فرغ من مواراة ابنه الأول التراب حتى دخل في موكب النصر. وما أن أكمل مراسيم دفن موت الثاني بعد تمام الموكب حتى بادر الى عقد اجتماع عام وخطب في المواطنين خطبة رجل لا يحتاج الى تعزية الآخرين، بل الآخذ على نفسه معونة أخوانه المواطنين في الضراء التي عاناها هو نفسه. قال:

- أنا الذي ما كنت أخشى قط كل ما هو بشري، ظللت دائماً أشعر برهبة وتخوف من تقلبات الحظ وغدره، ولهذا السبب بالذات كان الحظ في هذه الحرب يساير كل أموري مثلما تسيير الريح الرخاء السفينة، وهو ما جعلني اتوقع تغييراً وتحولاً. لقد قطعت البحر الأيوني في يوم واحد وبلغت [كوركسيرا] مبحراً من [برنديزيوم Brundisium]. ومن هناك وصلت [دلفي] بعد خمسة ايام وضحيت فيه. وفي خمسة ايام أخرى كنت بين عساكري في مقدونيا. وبعد أن أنجزت قربان تطهير الجيش المعتاد، باشرت واجباتي فوراً وفي غضون خمسة عشر يوماً وضعت نهاية مشرفة للحرب. لكنني بقيت هدفاً لانقلاب الحظ عليّ، وأنا ماض في سبيل تصريف شؤوني السبيل المهد العظيم اليُسر. كنت أخشى أكثر ما أخشى ربة الحظ عليّ وأنا آمن بعيد عن غائلة اي عدو. وانتابني الشعور نفسه وانا في عرض البحر انقل جيشي المظفر الى ارض الوطن مع غنائم هائلة وملك أسير. والواقع أن الشك لم يبرحني حتى بعد عودتي اليكم سالماً ورؤيتي المدينة ترفل باثواب البهجة وتعمها الفرحة والبشائر وتفرط في تقديم القرابين وبقيت غير مطمئن، وانا العالم الخبير بان ربة الحظ لا تغدق النعم العظيمة إلا اذا ما زجتها النعمة وشابها الترح. ولم أستطع أن احرر ذهني من الخوف. وبقي فكري يكدح ويجاهد كشأنه دوماً ليتكهن بما سيحل من سوء بهذه المدينة، حتى سقطت هذه البلية عليّ بين اسرتي، وحملت الى القبر جثمانني اعز وأغلى ابنين، هما خلفاي الشرعيين واحداً اثر الآخر وليس لي ثالث بعدهما - جرى ذلك في وسط الاحتفالات بالنصر. وانا الآن شخصياً مطمئن، آمن من الخطر على الأقل فيما يحظى عندي بأعظم الاهتمام. واني في الواقع واثق ومقتنع بأن ربة الحظ ستبقى من الآن فصاعداً الى جانبكم ولن تلحق بكم اي أذى بعد أن شفت غليل حسدها كاملاً من نجاحنا الأعظم بما فعلته به وأخذته مني. لقد جعلت الفاتح مضرب المثل في تغيير حال البشر كما جعلت الأسير الذي قاده في موكب النصر، مع فاروق واحد وهو ان [پرسيسوس] وان كان مغلوباً - ما زال يتمتع باولاده، بينما حرم المنصر عليه من هذا.

تلك هي الخطبة القيمة الرفيعة التي قيل ان اميلوس وجَّهها الى الشعب نابغة من قلب



مخلص، ليس فيه تصنع أو افتعال.

ومع اشفاق أميلIOS على حال [پرسیوس] ورغبته في بذل ما يمكنه من عون بما هو في حدود سلطته، إلا أنه لم يفلح في أكثر من العمل على نقله من السجن العمومي [الكورچير Corcer] الى مكان أكثر نظافة وأحفل بالراحة واليق بالبر. وذكروا أن [پرسیوس] أُضرب عن تناول الطعام حتى الموت اثناء ما كان تحت الحراسة. وقال بعضهم أن موته كان من أعجب وأغرب ما حدث: فقد حفظ له حراسه الجنود ضعيفه وبغضاً شديداً لسبب ما، ولم يجدوا طريقة لازعاجه ومضايقته أجدى من حرمانه النوم باقلاقه كلما اراد ان يخلد الى الراحة واستنبطوا حيلاً ووسائل لايقائه مستيقظاً على الدوام، فرق جسمه ونحل حتى مات (٥٢).

ولحق به اثنان من ابنائه بعد زمن قصير، وقيل ان ابناً ثالثاً له اسمه [الاسكندر] أصبح فتناً بارعاً في تحت وحفر التماثيل الصغيرة. واتقن اللغة الرومانية قراءة وكتابة بما أهله الى وظيفة كاتب قضائية كان فيها مثلاً للنزاهة وقدوة في الاخلاص للعمل.

وعزوا الى اميلIOS منفعة طيبة للشعب من جراء فتحة مقدونيا وهي المبالغ الطائلة التي صبها في الخزانة العامة مما جلبه فأعفي الناس من اداء الضرائب الى عهد قنصلية [هريوس Hirtius] و[پانسا Pansa] ويصادف ذلك أول الحرب بين [قيصر] و[انطوني].

ولوحظ أمر غريب عجيب في حياة [اميلIOS] وهو انحيازه الدائم الى طبقة الاشراف رغم تعلق الشعب الشديد به وأجلالهم له ولم يؤثر عنه أنه قال أو عمل شيئاً ينطوي على تودد للجماهير، أو أستجلاب ارضها، بل كان دوماً يقف في صف الأشراف في كل المسائل السياسية. وهذه هي المثلية التي قذف بها اپيوس [Appius] في وجه [سكيبيو افرقانونس] ابنه بعد زمن. كان هذان أقوى رجلين في روما وقتذاك، متنافساً على منصب الرقيب العام Censor أولهما يعضده الاشراف ومجلس الشيوخ وهو الحزب الذي لم يتخل عنه آل آبي Ap-pii مطلقاً. أما الثاني فقد ركن الى نفوذ عامة الشعب وتعلقه وعلى منزلته الرفيعة، وفي ذات يوم لمح [آبيوس] قادماً الى الساحة العامة يحف به أخلاط من الدهماء وعامة الناس ورهط ممن لم يمر على عتقه وحرته زمن طويل. إلا انهم كانوا يمتازون بكفاءةتهم في دخول أي حوار يعمل على جمع كلمة العامة واستخدامهم في تحقيق كل ما يطلبون بالضجيج والالحاف. فناده بصوت جهير قائلاً:

- ايه يا اميلIOS پاولوس! لو عرفت ما يحدث فوق الأرض، لما وسعك الا اطلاق الزفرات في

(٥٢) أورد هذا [ديودورس الصقلي ٢٦]. وقيل ان [فيليب] توفي قبل ابيه، لكن لا يعرف متى كان ذلك واين؟ لان كتب ليثي وديودورس التي تعالج هذه الفقرة - مفقودة.

قبرك! فها هوذا ابنك يطمح الى وظيفة المراقب العام بمعاونة [اميلIOS] الدلال العمومي  
[ليجينIOS فيلونيكوس Licinius Philonicus]!

لقد كان [سكيبو] أبداً موضع ثقة الشعب لأن سيل فضله لم يكن ينقطع عنهم، ولكن  
[اميلIOS] اباه رغم بقاءه في صف الاشراف، كان يتمتع بمنزلة شعبية لا تقل بابة حال عن  
أكثر الناس أطلاقاً لثقة الشعب، وسعياً وراء حبه بمختلف الوسائل. لقد أظهرت الجماهير ذلك  
عندما وجدته لائقاً لمنصب المراقب العام<sup>(٥٣)</sup> فأثرته به دون كل الشخصيات الرفيعة التي  
سعت اليه، وهي ثقة تعدّ في أعلى درجات القدسية لما تتضمن من سلطة عظيمة ناهيك  
بتدخلها في شؤون أخرى. فللمراقب العام سلطة طرد أي عضو في مجلس الشيوخ وتعيين من  
يراه لائقاً، بدلاً منه. وله أن يفرض عقوبة فضح الشبان المتعطلين بمصادرة خيولهم. ومن  
سلطته أن يقوم اموال كل فرد لأغراض دفع الضريبة، وأن يقوم باحصاء النفوس العام [بلغ  
عدد رجال في الاحصاء الذي اجراه اميلIOS عندما كان يمارس الوظيفة: ٤٥٢, ٣٤٧ رجلاً  
بالغاً. وأعلن إسناد زعامة مجلس الشيوخ الى (ماركوس لبيدوس) الذي أكرم بهذا المنصب  
اربع مرات قبلها، ورفع عن مقعد المجلس ثلاثة هم أقلّ الشيوخ منزلة وأهمية وأجرى مثل هذه  
التعديلات في احصاء طبقة فرسان الجيش الروماني بمعاونة زميله في الوظيفة (مارشيوس  
فيلبوس).

فيما كان اميلIOS منشغلاً في كثير من الأمور الخطيرة، ابتلي بداءٍ دلت اعراضه الأولى  
على الخطورة، ثم تبين بعد زمن أنه ليس كذلك، على انه كان مزعجاً مستعصياً. فابحر الى  
[فيلبا Velia]<sup>(٥٤)</sup> في جنوب ايطاليا للاستشفاء نزولاً عند نصح اطبائه، وبقي قريباً من  
البحر مدة طويلة مستمتعاً بكل ما اتيح له من هدوء وراحة. في حين ظلّ الرومان يشناقون  
الى عودته، وكثيراً ما عبروا عن مشاعرهم ورغبتهم في قدومه جهراً في الملاعب والمحلات  
العامة. ثم انه دنا موعد تقديم قربانٍ دينيٍ دعت الضرورة اليه، وخيل لأميلIOS أن جسمه  
يقوى على المشاركة فيه، فعاد الى روما. وأنجز المراسيم الدينية مع بقية الكهنة. وكان الشعب  
في اثناء ذلك يتكالب عليه ويحيط به حشوده لتهنئة بسلامة العودة وطيب المقام، وفي اليوم  
التالي قرب الى الآلهة أعترافاً بفضلها في شفائه. وبعد انتهائه من ذلك عاد الى منزله وجلس  
الى الطاولة ليتناول غداءه واذ بنوبة مفاجئة تعتربه فراح يهذي، ثم غاب عن الوعي تماماً وفي

(٥٣) أنتخب لوظيفة الجنسور مع [كوينتوس مارشيوس فيليبوس] بعد قنصليته الثانية باربع سنوات. ومما  
يذكر ان هذا المنصب استحدث في العام ٤٤١ ق.م.  
(٥٤) يكتب بلوتارخ «إليا Elea» هنا تقريباً لها عن (فيلبا) ويقول انها مدينة ايطالية لثلا يخلط بينها وبين  
سميتها في بلاد الاغريق.

اليوم الثالث<sup>(٥٥)</sup> لفظ انفاسه الأخيرة. وبذلك انتهت حياة لم تجد في اي غمط أو أسلوب من الأشياء سبيلاً قد يؤدي بها الى السعادة، حتى أن روعة جنازته كان فيها من الغرابة ما يستوقف النظر ويدعو الى العجب. فلقد كُرِّمت فضائله وسجاياه بالجليل المهيّب من المراسيم عند مواراته التراب اذ انها خلت من الذهب و      ومظاهر الفخفخة المعتادة في تلك المناسبات وحفلت بالحُب والثقة والاحترام لا من ابناء وطنه وحدهم بل من الاعداء الذين قاتلهم أيضاً فقد تعاون على حمل نعشه والسير به كل الشبان الاشداء من الاسبان والليغوريين والمقدونيين<sup>(٥٦)</sup>، وسار خلفه الطاعنون في السنّ منهم، ينادونه بالمحسن اليهم والمحافظ على أوطانهم. لأنه كان يعامل المغلوبين بالعطف والتسامح، ولا ينفك في كل أدوار حياته يهتم بشؤونهم ويواصل بذل الخير لهم ويقضى لهم حاجاتهم كأنهم من ذويه وأقربائه. وذكروا المؤرخون أن تركته لم تزد عن ثلاثمائة وسبعين ألف دراهماً خلفها لابنائه بالتساوي إلا أن أصغرهما [سكيبيو] نزل عن حصته لأخيه لأن أسرة [افريقانوس] التي تبنته كانت ذات ثراء عريض.

هذا ما جاءنا عن حياة وسيرة أميلبيوس<sup>(٥٧)</sup>.

(٥٥) في ١٥٩ ق.م.

(٥٦) بعض النبلاء المقدونيين الذين كانوا آنذاك في روما. ويقول فاليريوس ماكسيموس [٢:٤:٢] انه كان أشبه

بموكب نصر ثان فقد حمل هؤلاء نعشه وهو مثقل برسوم وأشكال تمثل مناظر من هزيمة بلادهم.

(٥٧) هناك قولة واحدة وجهها لابنه (سكيبيو) تستأمل الذكر هنا: «الجنرال الكفو لا يبدء معركة الا عندما يُدفع اليها كضرورة لا بد منها».

## أوجه المقارنة بين تيموليون وباميليوس پاولوس

تلكما قصتا حياة هذين الرجلين العظيمين، وهما عند المقارنة متشابهتان بدون شك باستثناء اختلاف بسيط للغاية. فقد حارباً عدوين قوين: حارب أحدهما المقدونيين ونازل ثانيهما القرطاجيين. وكان نصرهما مجيداً. الاول انتزع مقدونيا من خليفة [انتيفونس] السادس في الملك. والثاني حرّر صقلية من الطغاة المغتصبين وأعاد الى الجزيرة حريتها السالفة. إلا اذا كان سجننا لاميليوس ميزة على صاحبه، وذلك باشتباكه مع جيش [پرسیوس] الكامل العدة والعدد، المؤلف من رجال كثيراً ما تغلبوا على الرومان في سوح القتال. في حين كان تيموليون قد وجد خصمه [ديونيسيوس] في أسوأ حال، وأكثره بأساً. وبطريق المعادلة تقدّم تيموليون اميليوس لأنه قضى على حكم طغاة عديدين، وسحق جيشاً قرطاجياً جراراً، بعدد تافه لا يذكر من الرجال الذين جمعهم من كل صقع وبلد وليس كجيش اميليوس المتجانس المؤلف من جنود نظاميين حسني الضبط عجم القتال عودهم وتعودوا الطاعة. خلافاً لجيش تيموليون الذي جمعهم اليه أمل الكسب والربح لا خبرة ولا مراس لهم في القتال تحكمت فيهم الفوضى وتعذر قيادهم.

عندما تتكلم خاتمه الحروب بالنجاح، وتكون وسائل بلوغها غير متساوية فان أعظم التقدير هو بالتأكيد، للقائد الذي حقق انتصاره بقوات أقل عدداً.

وكلا الرجلين عرفا برصانة الخلق، وحسن المسلك في معالجتهم كل ما عنّ لهما من مهام وواجبات إلا أن اميليوس انفرد عن صاحبة بأن لشرائع وعادات بلاده التي ربي عليها وثقف منذ نعومة اظفاره يداً في صلاحه لتولى الشؤون العامة وتصريفها، في حين أن تيموليون كوّن شخصية بمجهوده وسعيه الخاص وهذا واضح: لأن الرومان في ذلك العصر كانوا على حد سواء شعباً منظماً طائعاً يحترم القانون، ويتبادل أفراده الخضوع والانصياع بعضهم لبعض، بينما نرى والدهشة تأخذ بلبنا أنه لم يخلص قائد واحد من قواد اليونان في صقلية من الفساد والتفسيح باستثناء [ديون]، ولهذا كان الكثير يحقدون عليه، ويتهمونه كذباً بعمله على اقامة

نظام ملكي هناك، وفق النظام اللقيديموني. ويكتب [طيمماؤوس] أن سوء الحال أدى بالسيراقوزيين حتى الى اخراج [غيليبوس Gylippus] من البلاد بصورة غير مشرفة له بعد أن دَمَرَ سمعته الذي لم يقف عند حدا ما ظهر منه عندما كان قائداً للجيش، ويورد كثير من المؤرخين حكايات عن الاعمال الشريرة القذرة التي ارتكبها [فاراكس] السبارطي، وكاليبوس Callippus الآثيني لغرض نصب نفسيهما ملكين في صقلية. من هما هذا الرجلان؟ ماذا كانا يملكان من قوة ليندفعا الى تحقيق فكرتهما هذه؟ كان أولهما تابعاً لديونسيوس عند طرد الطاغية من صقلية. وكان ثانيهما أمر سرية مشاة مأجور، من مرتزقة [ديون] جاء معه الى صقلية. لكن تيموليون أرسل نزولاً عند رجاء السيراقوزيين والمحاجهم وجاء مزوداً بسلطة قائد ولم يكن بحاجة الى من يؤمره لأن سلطه جاءت منقاداً اليه برجاءٍ وطلب. إلا أنه مع هذا تنازل عن سلطانه بملء رغبته فور اتمامه تحرير صقلية من الغاضبين المضطهدين.

ومما يستحق أعجابنا هو أن اميلبوس فتح مملكة مقدونيا الواسعة الفنية دون أن يلمس أو ينظر الى مال، ولم يفد منها فلساً واحداً في حين عُرف بالكرم وسخاء اليد على الآخرين بكل ما يملك. وليس قصدي أن أضع علامة استفهام على تيموليون لأنه قبل منزلاً ومزرعة ثمينة في الريف، هدية من السيراقوزيين فليس قبولها مما يخلّ بقواعد الشرف، على أنه يكون أعظم شأناً ومجداً في رفضه لها. واسمى ما ترتفع اليه النفس هو عزوفها عن شيء لا غبار على أخذه، وبما أن أقوى الاجسام واصحها هي التي تستطيع احتمال صبارة الشتاء، وحمارة الصيف وقت تغير الفصول الفجائي بكامل اليسر، وبما أن أصح العتود وأشدّها ثباتاً هي التي لا تتورم بالرخاء والعيش الهنيء، ولا تذوي وتضممر بالنوائب والملمات، لذلك نجد خلق اميلبوس بقي ثابتاً بارزاً على سلوكه وتصرفاته، ظلّ سامياً رفيعاً حتى عندما فقد ابنين عزيزين مثلما كان عندما حقق أعظم انتصاراته وفتوحه. في حين أن تيموليون بعد أن أنزل العقاب العادل باخيه وهو عمل بطولي لا جدال فيه، استسلم لحزن لا مبرر له وحط من قدر نفسه بالغم والكآبة وحرّم نفسه عشرين سنة، من الظهور في المحلات العامة أو ممارسة اي عمل سياسي.

والحق يقال أن من الحسن والجميل جداً أن يُشجّب أي عملٍ وضيع، ويقابل بالكره والاحتقار، أما أن يظنّ المرء عرضةً للخوف من اي شكل من أشكال الملام، أو التقريع، فهذا يدل على قلب رقيق سليم الطوية، ولا يدل على قلب باسل شجاع.

پیلوپیداس

**PELOPIDAS**

364 \_ 420 ق.م



سمع [كاتو الأكبر Cato Major] أحدهم يثني على آخر بالاقدام والجرأة التي لا حدود لها في المعركة فقال: «هناك فرق كبير بين التقدير الواجب للبسالة وبين الاستهانة بالحياة». وهو قول في غاية الصواب. فنحن نعلم على أقل تقدير أنه كان [لأنتيغونس] جندي مقدام لا حدّ لجرأته وكان يشكو علّةً وسقم بدنٍ، فسأله عن سبب سوء حاله ولما علم بدائه أمر اطباءه ببذل جهدهم في شفائه. وما أن شفي البطل المغوار، حتى زابلته الجرأة وطلق ركوب الاخطار طلاقاً لا رجعة فيه ولم يعد يظهر ذلك الاندفاع الاهوج في المعارك. فعجب [انتيغونس] لأمره وأخذ يلومه على تبدّل حاله، فلم يخف الجندي عنه السبب إذ قال:

- سبب جبني أنت يا مولاي! بانقاضي من ذلك البؤس والشقاء الذي كان يدفعني الى الاستهانة بالحياة.

وهذا الشعور نفسه كان يحدو السيباريتي Sybarite<sup>(1)</sup> في قولهم عن السبارطين: إن استسهالهم الموت في الحرب، ليس مما يستوجب الاعجاب والتقدير، مادام ذلك يحررهم من عملهم الشاق وحياتهم البائسة. في حين كان الواقع يقضي على [السيباريت] وهم شعبٌ رقيق خانع أن يكرهوا الحياة، لأنهم لم يكونوا يخشون الموت في اطلابهم المجد وشوقهم الى السؤدد. لكن اللقيديونيين وجدوا أن سجايهم تحقق لهم سعادة في الحياة وفي الممات سواءً بسواءٍ. كما نجد في قول القائل:

ماتوا، لا استهانةً منهم بدمائهم وارتخاضاً لارواحهم  
ولا بتوهمهم أن الموت هو شيء حسن بذاته.  
لم يكن من رغبتهم أن يعيشوا لا أن يموتوا،  
بل أن ينهضوا باعبائهما، بصورة تستحق الثناء.

(1) مستعمرة يونانية أسست منذ زمن قديم في خليج تارنتوم. كان موقع المستعمرة الجغرافي وغنى أهلها وقوتهم قد وصل بهم حتى الترف الذي ضرب به المثل. كانت عاصمتهم تدعى أولاً [سيباريس] من اسم النهر الذي يجري قربها. ثم أُبدل الاسم بـ(يثوريوم) أو (يثوري).



والمجاهدة في اجتناب الردى ليس موضع لوم إن لم يكن الغرض من الحياة العيش الدنيء  
الذليل. وليست الرغبة في الموت من الخصال الحميدة إن كان الدافع إليها أحتقار الحياة. ولهذا  
نجد [هوميرس] يحرص دوماً على أن يدفع باشجع ابطاله وأكثرهم أقداماً - الى ميدان  
المعركة وهم مدججون بالسلاح الجيد. ولذلك كان المشترعون اليونانيون ينزلون العقوبات  
بأولئك الذين يتركون دروعهم ولا يعاقبون من يفقد رمحه أو سيفه، ففي عرفهم أن الدفاع عن  
النفس هو أقرب الصفات الى الرجولة من الهجوم في المعركة. وهذا يصدق خصوصاً على حاكم  
المدينة أو القائد العسكري. ويحسب تصنيف [إفيقراطس Iphicrates] (٢) إذا كانت القطعات  
الخفيفة بمثابة اليدين للجيش وإذا كانت الخيالة بمثابة قدميه والمشاة بمثابة صدره، فإن القائد  
هو الرأس. وعندما يقتحم القائد مواطن الخطر، لا يخاطر بحياته وحدها بل بكل من تعتمد  
سلامتهم على سلامته، والعكس بالعكس. لقد كان [كاليكراتيداس Callicratidas] عظيماً  
في كل شيء، سوى الخطأ الذي تضمن جوابه لكاهن نصحه بأن ينتبه لسلامته لما بدأ في قربانه  
من دلائل غير طيبة. فقد قال «في هذه الحالة لن تفقد سبارطاً رجلاً واحداً». الحق يقال أن  
[كاليكراتيداس] ليس غير فردٍ واحدٍ عندما يشارك في معركة برية أو بحرية، أنا بوصفه  
جنرالاً فهو يجمع في حياته حياة الكل، ويصعب أن يعتبر فرداً واحداً إذا أدى موته الى دلاك  
عدد كبير. وخير من هذا الجواب، جواب [انتيفغونس] الشيخ عندما اضطر الى القتال في  
[اندروس]. فقد قال له أحدهم «ان سفن الاعداء تزيد سفننا عدداً» فأجابه قائلاً «وأنا؟ بكم  
من السفن تعدني؟» يقصد بهذا أن القائد المجرب الباسل تقويمه بالكثير. ومن الواجبات  
الأولى التي تحتمها وظيفته هو المحافظة على نفسه فبانقاذاها من الخطر انقاذ من تعتمد  
سلامتهم على سلامته. وانه لا يسعني إلا الاشارة [بتيموثيوس Timotheus] الذي قال  
ل[خاريس Chares] عندما كشف له عن الجراح التي اصابته وترسه المخروق بسنان رمح:

- على أنني كنت أشعر بالخزي والعار في اثناء حصار ساموس عندما سقط رمحٌ بالقرب مني،  
لأنني انكشفت للعدو مثل صبيٍ غريب وانا جنرال أقود جيشاً عرمرماً.

الحق يقال ان مخاطرة الجنرال بحياته لا غبار عليها إن كانت تصل الى حدٍ تقرير نتيجة  
فاصلة. فهنا ينبغي عليه أن يقاتل بنفسه ويقامر بحياته غير مبالٍ بالعواقب الحتمية التي قد  
تجعل قائداً يموت في اراذل الشيوخة على الأقل، إن جعله يموت بسبب الشيوخة. أما اذا  
كانت الفائدة من اقدمه قليلة، والخسارة من سقوطه كبيرة، فمن يرغب في أن يخاطر بحياة  
جنرال، لأجل الحصول على نجاح جزئي يستطيع ان يحرزه اي جندي بسيط؟

(٢) جنرال أثيني شهير. كان مغموراً إلا أن أعماله رفعت في صيته.

هذا، حسب اعتقادي، ما يجدر بي أن أوظي به لسيرة كلّ من [پيلويدياس، ومارچلوس] وكلاهما من عظماء الرجال، وكلاهما سقطا بسبب اقدامهما وبسالتهما. كانا من الشجعان المعدودين وكسباً لبلاديهما انتصارات عظيمة ورفعاً من شأنها لحسن بلاتهما في الحرب ضدّ عدوين رهيبيين. فالتاريخ يذكر عن ثانيهما دحره [لهنيبعل] وهو في أوج قوته. وأولهما هزم اللقيديمونيين في معركة فاصلة حينما كان هؤلاء سادة البحر والبر. إلا أنهما خرقتا كلّ حدفي تهورهما وارتخصا الحياة بطيش لا مثيل له في حين كان الحاجة الى أمثالهما من القادة ماسة جداً. إن الشبه الذي يجمع بين خصالهما، وأتفاق ميّتيهما دفعني الى أن أقرن ما بين سيرتيهما.

انحدر پيلويدياس ابن [هيپوكلس Hippocles] من أسرة شريفة في [ثيبه]، مثل [إيامنداس]. ونشأ في خفض من العيش ورغده وورث وهو صغير مالاً كثيراً. فجعل همّه التفرّج عن ضيق المستحقين الطيبين من الفقراء، مبرهنأ على أنه سيد ماله لا عبداً له. وقد رأى افلاطون « أن من الرجال فريقاً ضاق عقله عن استعمال ثروته. وفريقاً من السفهاء اساء استخدامهما، فالأول يعيشون عبيداً مخلدين لأرباحهم، والأخرون يظنون دوماً عبيداً لملاذهم وشهواتهم». وهناك فريق ثالث من قبيل من سمح لنفسه أن يتنعم بوجود پيلويدياس شاكرأ كرمه وعطفه ألا [إيامنداس] صديقه، فانه لن يستطع اقناعه بشيء مما يملك من دون سائر اصدقائه، فلم يرُبدأ من النزول الى مستوى فقره، وجدان الرضى في لبس الثياب الرثة مثله، وتناول طعامه التافه وأحتمال للمشاق لا يهن، وأبداء جرأة لا تعرف احجاماً في ميدان الحرب. وكان مثل [كپانيوس Capaneus] في يوربيدس: « يملك ثروة طائلة، ولا تراه يفخر بها»

اذ يدركه الخجل ويفضل حياة اياننداس المنفردة وتفلسفه، أصبح فقره العتيد الموروث أخفّ وأسهل حملاً. إلا أن [پوليبيداس] تزوج امرأة من أسرة رفيعة وأنجب أولاداً، ومع هذا فقد بقي لا يفكر في مصالحه الخاصة إلا تفكيراً ثانوياً، وانصرف انصرافاً تاماً الى معالجة المسائل العامة، فضيع ثروته. فلما توجه اصدقاؤه بلومه، والتأكيد على ضرورة المال الذي أهمل شأنه، أجابهم قائلاً:

- أجل، فهو ضروري لنيقوديموس Nicodemus. مشيراً الى رجل مقعدٍ ضريع.

وبدأ كلاهما مؤهلين بطبعهما لكلّ أسباب المعالي والبروز. على أن [پيلويدياس] فضّل الرياضات البدنية بينما شُغِل [إيامنداس] بالدراسة والعلم. وكان أولهما يقضي ساعات فراغه في الصيد والاختلاف الى الهاليسترا Palaestra (مدرسة المصارعة)، والثاني كان

يداوم سماع المحاضرات وممارسة التفلسف؛ ومن آلاف المزايا الجديرة بالثناء فيهما، التقدير المعقول الذي لا يوازيه شيء، لتلك الرغبة الدائمة في عمل الخير والصدقة التي صانها من كل ما يشينها في حملاتهما العسكرية، وأعمالهما العامة، وفي فترة حكمهما الجمهورية. فلو نظر أي شخص الى حكم [اريسستيديس مع تموستوكلس]، و[سيمون مع بيركلس] و[نيسياس مع الكيبيداس] لهالة الفوضى والحقد، والتباغض الذي كان يسود علاقة كل زميلين. ولو تحول بنظره الى [بوليبيداس وإيامنداس] وتأمل العطف والاحترام الذي كان يظهره أولهما للثاني، لما وسعه إلا الاقرار بأنهما أفضل قرينين وأكثرهما انسجاماً في الحكم والقيادة، وأحق وأحفى بالتجلة من الآخرين الذين كانوا أكثر انشغالاً في مناصبة العدا، بعضهم لبعض، من مناجزتهم لاعداء البلاد. ويعود السبب الحقيقي في هذا الى خصالهما الحميدة وأخلاقهما العالية، فهما لم يجعلا الثروة والجاه هدف مساعيهما - وهو هدف لأبد يؤدي الى الشنآن المنطوي على التنافس والخصام - بل كانا من البداية موطني النفس بدافع سامٍ على أن يريا بلادهما تنعم بامجاد أعمالهما. ولهذا الغاية جند الواحد منهما مؤهلات الآخر واستخدم كما لو كان واستخدمها مؤهلاتهما معاً ويرى كثيرون أن جبل الود المتين هذا قد شدّهما منذ معركة [مانتينيا]<sup>(٣)</sup> التي شاركا فيها جنباً الى جنب. إذ كانا بين افراد النجدة التي ارسلتها [ثيبه] لتعزيز صفوف اللقيديمونيين اصدقائها وحلفائها في ذلك الحين. فقد وضعاً في صنف المشاة معاً واشتبكا مع الاركاديين. فانكفاً الجناح اللقيديموني على اعقابه وفرّ عدد كبير. فما كان منهما إلا أن ضمّاً ترسيهما وصمدا في وجه المهاجمين. فأصيب [پيلوبيداس] بسبعة جراح امامية، وخرّ صريعاً فوق كومة من قتلى الجانبين. ومع أن إيامنداس عدّه في حكم الميت، فقد تقدم للدفاع عن سلاحه وجثته، وحارب جمهرة كبيرة من الاعداء بمفرده. مفضلاً موته على التفريط بصديقه البائس. وخارت قواه لاصابته بطعنة رمح في صدره وضربة سيف في ذراعه، فخفّ ملك السبارطين [أغيسيپوليس Agesipolis] من الجناح الثاني الى نجدته وأنقذهما في آخر لحظة.

بقي اللقيديمونيون بعد هذا، يظهران الصداقة (لثيبه)<sup>(٤)</sup>، وهم في الواقع ينظرون نظرات

(٣) علينا أن لا نخلط بين [إيامنداس] فتلك كانت عزمًا على اللقيديميين وهذه كانت غنماً. وربما وقعت المعركة

موضوع حديثنا في السنة الثالثة من الاولبياد الثامن والتسعين [ديودورس ٥:٢٥].

(٤) وجدت سبارطا طوال حروب الپلوبيونيسي حليفاً مخلصاً في الثيبين. وبمساعدة سبارطا استعاد هؤلاء حكمهم على بويوتيا التي كانوا قد فقدوها بسبب هزيمتهم امام الفرس. وبالأخير تعاضلت قوتهم وجبروتهم حتى انهم رفضوا عقد معاهدة سلام مع انتليداس ولم يقبلوا إلا بعد أن ارغموا. وعلمنا من [پوليبيوس] ان اللقيديميين خلال فترة الساعة تلك لم يسحبوا حامياتهم من أية مدينة أغريقية رغم انهم أعلنوا حرية تلك المدن.

الشكّ الحاقدا الى تنظيمات المدينة وقوتهما. وكان بعضهم منصباً بالدرجة الأولى على حزب (ايسمنياس Ismenias) و[اندروقليدس Androclides] الذي ينتمي اليه بيلوپيداس، وهو حزب ينهج منهج التقدم ويعمل على ارساء دعائم الحريات لمواطني المدينة. ولذلك استمر به كلٌّ من [ارخياس Archias] و[نيونتيداس وفيليب] وهم من الاثرياء ذوي المطامع الاشعبية الذين ارادوا إحلال النظام الاوليفارشي، فطلبوا من [فيوپيداس Phoepidas] القائد السپارطي وكان ماراً بالمدينة بقوات كبيرة<sup>(٥)</sup>، أن يفاجي [قادمية Cadmea] ويشتت شمل الحزب المعارض لهم ويبعد اعضاءه عن البلاد لاقامة نظام حكم اوليفارشي، وبهذه الوسيلة يتم اخضاع المدينة لسلطان السپارطيين. فقبل باقتراحهم، وفأجاء الشيبين في عيد [كسيرس]<sup>(٦)</sup> من حيث لايتوقعون واستولى على القلعة. وقبض على [ايسكنياس] وحمل الى سپارطا وهناك قتل بعد زمن وجيز. لكن بليوپيداس، وفيرينيكوس واندروقليدس وعدداً كبيراً آخر تمكنوا من الفرار، فأعلنوا رسمياً بأنهم خارجون على القانون. وبقي ايامنداس في البلاد اذ لم يكن الطلب عليه شديداً فقد جعلته الفلسفة خاملاً، وأحاله الفقر عاجزاً.

وعزل اللقيديمونيون [فيوپيداس] وفرضوا عليه غرامة قدرها مائة وخمسون ألف دراخما، إلا أنهم لم يسحبوا حاميتهم من ألقاديميا وابقوها. فراح كل الأغرقي يعجبون للتناقض بعد أن عاقبوا الفاعل، ووافقوا على الفعل. ومع أن الشيبين الذين فقدوا استقلالهم، وأضوا عبداً لأرخياس وليونتيداس لم يعد لديهم اي أمل في التحرر من هذا الطغيان الذي وجدوا كل قوة سپارطا العسكرية تحرسه، ولا وسيلة عندهم لكسر النير إلا اذا أمكن ازاحة هؤلاء من سيطرتهم على البحر والبر، فإن ليونتيداس وعصابته، علموا أن المبعدين يعيشون في اثينا مقدرين من الأهالي ويحترمهم كل الأخيار والطيبين فبادروا الى الانتمار سراً بحياتهم وأغروا بعض الاشخاص المجهولين فنجحوا في اغتيال [اندروقليدس] إلا أنهم لم يفلحوا في الباقين. وبعثوا ايضاً برسائل من سپارطا الى الآثينيين، حذروهم فيها من ايواء المبعدين أو تشجيعهم باية صورة. بل أن يعمدوا الى طردهم بوصفهم اعداء الداء للإتحاد الاغريقي. إلا أن الآثينيين لم يلحقوا اي أذى بالثيبين اللاجئين تدفعهم الى ذلك ميولهم الطبيعية الموروثة الى العطف ومجازاة الشيبين عن جميلهم في الماضي فقد ساعدهم هؤلاء كثيراً في المحافظة على نظامهم

(٥) كان [فيوپيداس] يزحف على مدينة [اولينثوس] في الوقت الذي أخذه أخوه [أفيدوميداس] يضيق عليها الخناق بجيشه اللقيديمي وبعدها قام ليونتيداس أو ليونتيداس أحد البوليمارخيين - بتسليم مدينة ثيبته وقلعتها [كزينفون: الهلليينيون ٥].

(٦) أو عيد تسموفوريا. يحتفل النساء بهذا العيد في كارميا. وهو أكبر أعياد ٥ التي تقيمها الاغريقيات ويحين فيه أيضاً ذكرى أعظم بركتين خصّ بهما البشر وهما الزراعة وسر ..

الديمقراطي وأصدروا مرسوماً عاماً بما مفاده كلٌّ أثيني يجتاز [بويوسيا] مسلحاً لغرض مقاتلة الطغاة، على أي بويوسي أن يتغاضى عنه كأنه لم يره ولم يسمع به».

ومع أن بيلويداس كان من أصغر أعضاء الحزب سناً، إلا أنه كان من انشطهم، لأيني الاتصال بكلِّ مبعد على حدة سراً فيثير حماسه، وكثيراً ما كان يخطب في اجتماعاتهم قائلاً أنه لمن العار والحقارة إهمال بلادهم المستعبدة المحتلة والقناعة بالعيش هكذا عيشة التعطل والأمان والكسل معتمدين على مراسيم الحكومة الأثينية، متبصبين بدافع الخوف لأي خطيب معسول اللسان، قادر على استمالة الجمهور: كلاً أبداً، بل ينبغي عليهم أن يخاطروا في سبيل هذا الهدف العظيم ويتخذوا لهم مثلاً وقدوة من شجاعة [تراسيبولوس - Thrasybulus] النادرة. وكما أنه زحف من [ثيبه] وكسر شوكة الطغاة الأثينيين، فعليهم أن يزحفوا من أثينا ويحرروا [ثيبه]. ونجح في اقناعهم بهذه الطرائق والأساليب فبعثوا سراً إلى ثيبه ببعض الأشخاص إلى جملة من الأصدقاء ما زالوا في المدينة، وكشفوا لهم عن خططهم، فتمت الموافقة عليها وعرض [خارون Charon] وهو شخصية بارزة جداً - منزله لاستقبال المؤقرين. واحتال أحدهم المدعو [فيليداس Phillidas] على أن يُعين بمنصب كاتم سرِّ لكلِّ من [ارجناس وفيليب] وكانا في ذلك الحين يملآن وظيفة [البوليمارخ] أو القائد العام. وكان إيامنداس قد نجح في إثارة حماسة الشباب. إذ كان يشجعهم في أثناء التمارين الرياضية على تحدي السبارطيين والدخول معهم في حلبة المصارعة. فإذا ما وجدهم يترنحون بنشوة انتصاراتهم وفوزهم. خاطبهم بحدّة وقسوة بقوله أنه لمن العار الكبير أن يصل بهم الجبن إلى الحدِّ الذي لا يتورعون عن خدمة من لا يفوقهم بالقوة.

وحُدِّد يوم التنفيذ وأتفق المبعدون على أن يمكث [فيرينيكوس] في السهل الثرياسي - Thriasian<sup>(٧)</sup>، في حين يتقحم أوَّل الخطر فئة قليلة من الشباب بمحاولة دخول المدينة. فإذا فاجأهم العدو وقضى عليهم فعلى الآخرين أن يُعنوا بأولادهم والأبوين. وعرض بيلويداس نفسه أولاً، وتبعه [ميلون Melon] و[داموقليدس Damocles] و[ثيوبومپوس]، رجال من أسر عريقة المحتد يحبّ ويخلص بعضهم لبعض إلا في اطلاب المجد واطهار الشجاعة فهم خصوم دائمون ينافس أحدهم الآخر. وكانوا اثني عشر فقط، ودعوا أصحابهم الباقين وبعثوا برسول إلى [خارون]، ثم انطلقوا في سبيلهم يرتدون معاطف قصاراً ويحملون عصي صيدٍ ويجروْنَ كلاب صيدٍ ليبدوا بمظهر صيادين يتجولون في الحقول بحثاً وراء صيدٍ، وبذلك يبعدون عنهم شبهة كل من يلقاه. ووصل رسولهم إلى [خارون] وأخبره بأن أصحابه سيصلون وشيكاً فلم يشن

(٧) ثرياسيوم هي مدينة بالقرب من جبل [كيثيرون].

الخطر [خارون] عما اعتزمه وبقي محافظاً على كلمة الشرف التي قطعها مقدماً منزله لايواء المؤتمرين القادمين. على أنه كان يوجد شخص اسمه [هيبوستينيداس Hipposthenidas]. وهو رجل ذو مبادئ قويمة لا غبار عليها، محب لوطنه، صديق للمبعدةين، إلا أنه كان يفتقر الى العزم والارادة التي تتطلبها طبيعة العمل المفروض وقصر الوقت. ولذلك تهوّل المغامرة الوشيكة وبدأ الآن لأول مرة يتحسب للأمر: فوجد القضية تنحصر في الاعتماد على تلك القوة الضعيفة التي سيقدمها المبعدون للقيام بعمل لا يقل عن الاطاحة بالحكومة والتغلب على كل قوة سبارطا، فانسأل الى منزله وبعث بصدق له الى [ميلون وپيلويداس] ينصحهم بالعدول عن المغامرة مؤقتاً والعودة الى ائتنا تربصاً بفرصة أفضل، فعاد الرسول المدعو (خليدون Chlidon) الى بيته مسرعاً وأخرج جواده وسأل عن السرج. ولما كانت زوجه تجهل موضعه، ولم يظهر له أثر منذ أدعت أنها اعارته لصديق فبدأ يتلاومان ثم انتقلا الى التلاعن ودعت عليه زوجته أن تكون سفرته نحسة له ولكل من أرسله وهكذا أمتدّ الخصام بهما حتى وجد [خليدون] أن عاطفته ضيّعت عليه الجزء الأكبر من يومه. وعندها رأى في ذلك نذير شؤم فعدل عن التفكير في الرحلة، وانصرف الى شأن آخر. فتأمل كيف كاد الفشل يحيق بهذه المشاريع المجيدة والعظيمة في ساعة مولدها الأولى.

وأنقسم [پيلويداس] وصحبه الى قسمين، وكانت الدنيا نهاراً عندما دخلا المدينة من طريقين مختلفين وهم مرتدون ثياب الريفيين. وكان اليوم عاصفاً ثم أخذ الثلج يسقط وهذا ما ساعد في اخفائهم كثيراً لأن معظم الناس أووا الى بيوتهم بسبب سوء الطقس. وأستقبلهم شركاؤهم في الداخل، حال وصولهم وقادوهم الى منزل [خارون] فأجتمع فيه من المعبدتين وغيرهم ثمانية واربعون لا غير. وكان خطة القضاء على الطاغية بهذا الشكل: ذكرت قبلاً أن كاتم السرّ [فيلليداس] هو شريك للمبعدةين ومطلع على كل تدابيرهم، وقد دعا ليلة التنفيذ الى داره [ارخياس] وآخرين الى وليمة مجلس وشراب وأستقدم بعض نسوة المدينة لهذا الغرض. حتى اذا لعبت الخمرة بالرؤوس وانصرف المدعوون الى ملاذهم أعطيت الاشارة الى المؤتمرين للايقاع بهم، وتمّ ذلك كما رسم ولكن قبل أن تسري نشوتها في اوصال [ارخياس] تماماً أبلغ بأن المبعدةين قد دخلوا المدينة سرّاً. وكان بلاغاً صحيحاً طبعاً لكنه غامض غير مؤكد تماماً؛ ومع ذلك بذل [فيلليداس] مجهوده في تحويل مجرى الحديث الى موضوع آخر، إلا أن [ارخياس] أرسل أحد حراسه الى [خارون] يطلب حضوره فوراً وكان الوقت ليلاً وپيلويداس واصحابه قد أكملوا التأهب للعمل وهم في المنزل بعد. ودق الباب فجأة بعد أن أمّوا لبس دروع الصدر وشدوا انطقة السيوف، فتقدم أحدهم من الباب ليسأل عن الأمر، ولما علم من

الحرس أن [الپوليمارخ] طلب احضار [خارون] عاد في غاية الاضطراب ليطلع الآخرين، فتوهموا حالاً أن المؤامرة كلها قد افترضت، وانهم سيمزقون إرباً قبل يتمكنوا من تحقيق أي عملٍ يثبت بسالتهم على الأقل: على أنهم اتفقوا جميعاً، بوجوب اطاعة خارون للأمر والذهاب الى [الپوليمارخ] دعاً للشك. وكان [خارون] والحق يقال شجاعاً جميع القلب ثبت الجنان في وجه الخطر، إلا انه كان في هذا الموقف شديد القلق لثلا يظنّ به اصحابه المؤتمرون، ويوصم بالخيانة ويحمل وزر موت هذا العدد الكبير من أبسل المواطنين. لذلك عمد الى احضار ابنه بعد أن استعدّ للرحيل - فجيء به من جناح النساء وكان صبيّاً حدثاً لكنه بدأ أجمل وأقوى كل من هم سنّه. فأخذه ودفع به الى [پيلويداس] قائلاً:

- إن وجدتموني خائناً، فعاملوا هذا الصبيّ معاملة عدوّ لا يستحق اي رحمة!

إن هذا الحرص الذي ابداه [خارون] استدّر الدمع من عيون الكثيرين. واحتجّ الكلّ بشدة على وصول الأمر به الى حدّ افتراض سوء النية والحطة باي واحد منهم عند ظهور الخطر الداني الى درجة اللوم والشكّ في أخلاصه وابوا عليه أن يدخل ابنه في المسألة، وان يبقيه بعيداً عن مكان الأذى: فلعله يخلص من غائلة الطاغية ويعيش ليشار للمدينة واصدقائه؟ على أن [خارون] رفض نقله الى محل أمين وتساءل قائلاً:

- أي حياة وأي سلامة تكون أشرف من الموت مع أبيه ومع مثل هؤلاء الصحب الكرام بشجاعةٍ واقدام؟

وبعد أن دعا الآلهة لحمايته، وحيّاهم جميعاً وشجعهم، انصرف وهو يعمل الفكر ويقلب وجوه النظر، مخفّظاً من صوته وساتراً من سيمائه ما من شأنه ان يفضحه، ومظهراً أقل ما أمكنه مما يضره في نفسه.

وعندما بلغ الباب خرج اليه [ارخياس] مع [فيلليداس]، وقال له:

- سمعت يا خارون بقدوم بعض الرجال الى المدينة قبل قليل، وانهم يتجولون في انحائها وأن بعض الناس ينضمون اليهم.

فانتاب [خارون] الاضطراب، إلا انه سأل:

- من هم؟ من يخفيهم؟

ولما وجد أن [ارخياس] ليس على علم تام بالقضية استنتج أن المؤامرة لم تنكشف، وان المعلومات التي وصلته لم يكن مصدرها أي مساهم مطلع، وعندئذ قال له

- لاتزعج نفسك بهذه الاشاعات الفارغة: وعلى اية حال فسوف اتحقق منها بنفسي إذ ينبغي

الآ يهمل أي خبر من هذا القبيل.

فما كان من [فيلليداس] الواقف إلا وطفق يشني عليه ثم أعاد ارخياس الى مجلسه وسقاه حتى اثمله، ومد من أجل الوليمة ليكون ختامها صحبة النساء. وعندما عاد [خارون] وجد الرجال مستعدين لا كالمؤمل بالسلامة والفلاح، بل كالمتهأب للموت بشجاعة بعد أن يوقع مذبحة بالاعداء. فأبلغ [پيلويداس] والآخرين بجلية الأمر، لكنه ادعى امام آل بيته بأن [ارخياس] طلبه لشأن آخر وأخترع حكاية مناسبة ولكن ما ان أوشكت هذه العاصفة على الختام حتى دفع «الحظ» بأخرى فقد اقبل رسول الى [ارخياس] يحمل اليه رسالة من سميه [ارخياس] كاهن الأسرار [الهيروفانت Hierophant] في اثينا. وكان صديقاً له ومستضيفاً. ولم يكن مضمون الرسالة مجرد شكوك غامضة عابرة، بل حقائق ثابتة كشفت عن تفاصيل الخطة كلها كما تبين ذلك فيما بعد. فجيء بالرسول أمام [ارخياس] الذي كان في حالة سكر شديد فسلمه الخطاب قائلاً:

- يرغب المرسل ان يقرأ خطابه فوراً. إنه يتعلق بموضوع هام جداً.

فأجابه [ارخياس] باسماً:

- الأمور الهامة غداً!

وتناول الخطاب ودسه تحت الفراش، وعاد يستأنف ما انقطع من حديث مع [فيلليداس]. وذهبت كلماته هذه مثلاً عند الأغريق حتى يومنا هذا.

عندما بدت الفرصة مناسبة للعمل انطلق المؤتمرون بفرقتين، واتجه [پيلويداس] وداموقليدس] وجماعتهم المداهمة [ليونتيدياس وهيپاتيس Hypates]<sup>(٨)</sup> وكان منزلاهما متجاورين. وأنطلق [خارون وميلون] الى حيث [ارخياس وفيليب] وقد غطى جميعهم دروع صورهم بثياب النساء ووضعوا قلائد كثنة من الصنوبر والشربين أخفاء لمعالم وجوههم. وما وصلوا الباب حتى أخذ المدعوون يصفقون ويهللون، متصورين انهم النسوة اللاتي كانوا يتوقعونهن. ودخل المؤتمرون وأجالوا بصرهم في الغرفة ليتشبهوا من كل الموجودين، ثم انتضوا سيوفهم وتقدموا من [ارخياس وفيليب] بين الموائد وكشفوا عن هوياتهم. وأقنع [فيلليداس] فئة قليلة من المدعوين بالهدوء. أما الذين حاولوا مساعدة [الپوليمارخ] فقد سهل قتلهم لحالة السكر فيهم إلا أن مهمة [پيلويداس] ورهطه، كانت اصعب من مهمة زملائهم. فقد

(٨) لم يدع هؤلاء للحفل لأن [ارخياس] الذي كان يتوقع لقاء امرأة رفيعة المقام، لم يختار أن يرى ليونتيدياس هناك.



قصودوا [ليونتيدياس] وهو رجل عظيم القوة أريب، ووجدوا باب منزله مغلقاً وقد آوى الى فراشه، فطرقوه زمناً طويلاً دون مجيب وأخيراً سمعهم أحد الخدم فجاء ورفع المزلاج فأندفعوا الى الداخل فور فتحه، وأزاحوا الخادم جانباً وأسرعوا الى حجرة [ليونتيدياس]، وأدرك من الضجة والركض، حقيقة ما يقع فهبّ من فراشه قائماً وأشهر خنجره إلا أنه نسي إطفاء النور ليعرقلهم ويجعل المهاجمين تائهين يقع أحدهم على الآخر في الظلمة. وهكذا استقبلهم في غرفته المضيئة وهو بالباب وطعن اول الداخلين وكان [سكفيسودورس Cephisodorus] وعند سقوطه التحم بالثاني وهو بيلوبيدياس، وكان المر ضيقاً وجسد سفسودورس يعترض السبيل، وتلا ذلك صراع عنيف وحشي، وأخيراً تغلب بيلوبيدياس وبعد أن قتل [ليونتيدياس] خرج وجماعته يريدون هيباتس وأقتحموا بيته بالطريقة نفسها، فعرف بما هو مبيت له وهرب الى الجيران، إلا أنهم لحقوا وادركوه وقتلوه.

وبعد ذلك انضموا الى [ميلون]. وبعثوا يستعجلون المنفيين الذين تركوهم في [آتيكا]. وأعلنوا حرية المواطنين الثيبين<sup>(٩)</sup>، وانزلوا الغنائم من الأروقة. وكسروا ابواب مخازن صانعي الاسلحة القريبة وسلّحوا من جاء لنصرتهم. وأقبل [أپامنداس وغورغيداس Gorgidad] وهما شاكياً السلاح يقودان جمهرة من الشباب المندفع الملتهب حماسة، ومن خيرة كبار السن، وساد المدينة هياج عظيم وضربت الفوضى اطنابها، وامتلاّت ضجيجاً وحركة، وأشعلت الأنوار في كلّ بيت، وراح الناس يتراكمون هنا وهناك، على أن الأهلين لم يجتمعوا كتلةً واحدة فقد صعقوا لما حدث، وجهلوا حقيقة ما يجري بالضبط. وفضلوا التريث وانتظار ما سيأتي به الغد. ولذلك اتجه الاعتقاد بان الضباط السپارطيين أخطأوا بوقوفهم موقف المتردد وعدم مهاجمة المؤقرين بينما كان تحت امرتهم حامية تتألف من الف وخمسمائة مقاتل فضلاً عن كثير من الأهلين الذين لجأوا الى القلعة، إلا أنهم يتحركوا من القلعة وهم قلقون للضجة والحرائق، وتراكمض الناس. وما أن انبلج الصبح حتى كان المبعدون القادمون من آتيكا، داخل المدينة وكلهم شاكو السلاح. وعقد اجتماع شعبي عام بمسعى من [أپامنداس وجورجيداس] وقدموا الى الشعب [بيلوبيدياس] ورهطه يحفّ بهم الكهنة وبايديهم قلاتد الزهر، وانثى هؤلاء يحضون الشعب على القتال في سبيل الوطن والآلهة، فهبّ المجتمعون دفعة واحدة عندما بدوا لهم واستقبلوهم بالهتاف والتهليل، ورحبوا بهم كما يرحبون بالمنقذين.

وما أن تقرّر انتخاب [بيلوبيدياس] قائداً عاماً [لبويوثيا]، حتى باشر بالتعاون مع [خارون

(٩) وكذلك قام بيلوبيدياس بارسال [فيليداس] الى جميع سجون المدينة لاطلاق سراح شجعان الثيبين الذين اعتقلهم الطغاة السپارطيون وكتبوهم بالاغلال.

وميلون] بالقاء الحصار على القلعة ومداهمتها بهجوم من كل الجهات لتحريرها، وكان مستعجلاً في ذلك لئلا يخرج جيش من سپارطا لانجاذ من فيها<sup>(١٠)</sup>. وقد نجح في مسعاة بعد أن كان على قاب قوسين من الفشل، إذ وافق على شروط خروج السبارطيين ورحيلهم عن البلاد، وفيما هم في طريق العودة التقوا عند [ميغارا] بكليومبروتوس Cleombrotus الزاحف على [ثيبة] بقوات كبيرة. وادان السبارطيون كلاً من [هربيداس Herppidas] و[ارسيسوس Arcissus] حاكميهما في [ثيبة] ونفذوا فيهما حكم الموت. أما الحاكم الثالث [ليسانوريداس Lysanoridas] فقد فرضوا عليه غرامة فادحة ففرّ الى [پلپونيسوس]<sup>(١١)</sup>. هذه المأثرة كانت أشبه بمأثرة [ثراسيبولوس Thrasybulus]، من ناحية بأس القائمين بها، وأخطارها، وتطوراتها ونهايتها الناجحة، حتى وصفها الأغرقي بالأخت التوأم لها. أذ يندر أن تجد أمثلة أخرى لها، حيث فئة صغيرة ضعيفة جداً تتغلب باقدامها الخارق على عدوّ وفير العدد عظيم السلطان، وينجم عن انتصارها مثل هذا القدر من النفع والخير للبلاد. إلا أن الأحوال التي طرأت نتيجة هذا، زادت من شهرة النصر ورفعته. فقد بدأت في تلك الليلة بالذات الحرب التي قضت القضاء المبرم على كل ادعاء لسبارطا في الزعامة، وانتهت الى الأبد تلك السيادة التي كانت تمارسها آنذاك على البر والبحر معاً. في تلك الليلة لم يداهم [پيلويداس] قلعة أو حصناً أو مدينة محصنة وإنما كان الرجل الثاني عشر الذي دخل بيتاً خاصاً، فحلّ وكسر سلاسل الحكم السبارطي - (ان عيرنا عن الحقيقة بالمجاز) وكان يبدو قبل ذاك محكماً لا فكاً منه.

وغزا اللقيديمونيون [بويوتيا] بجيش عرم. وتخوف الآثينيون من الأخطار، فأعلنوا انهم ليسوا بحلفاء [الثيبة] وضيقوا على كل منحاز الى قضية البويوتيين. ونفذوا حكم الموت ببعض، ونفوا وغرموا آخرين: وبدت قضية [ثيبة] يائسة لا أمل منها لفقدتها النصير والحليف. على أن پيلويداس وجورجيداس اللذان تسلما زعامة [بويوتيا] دبراً خلق نزاع بين اللقيديمونين والآثينيين فاهتديا الى الحيلة الآتية: كان المدعو [سفودرياس Sphodrias] قد ترك في [ثسپايي Thespieae] على رأس جيش سبارطي لاستقبال ونجدة الثيبين المنشقين.

(١٠) لما لم يكن محتماً احتلال موقع منيع كهذا خلال يوم واحد وبالقوة القليلة العدد التي كان يقودها پيلويداس آنذاك. فعلياً ان نرجع الى ديودورس ١٦:٢٥ وكزينفون: الهلينيون ٥، ليخبرانا بأن الآثينيين في فجر اليوم التالي الذي تم فيه احتلال المدينة. قاموا بارسال خمسة آلاف من الرجال والفين من الخيالة بقيادة كزينفون ووصلت من مدن بويوثيا تعزيزات أخرى قواتها سبعة آلاف أو أكثر فشارك قوات پيلويداس بالحصار. إلا ان المدينة صمدت عدة أيام ثم استسلمت بعد أن نفذت ارزاقها.

(١١) من التقاليد التي درج عليها المقاتلون السبارطيون ان يموتوا والسيف بيدهم دفاعاً عن الموضع الذي أوكل اليهم أمر الدفاع عنه.

وهو في الحقيقة قائد مشهور بشجاعته في ميدان القتال إلا أنه مافون العقل، مليء بآمال خيالية، ومطامح رفيعة. إن هذا الرجل أرسل بيلوبيداس وزملاؤه تاجراً من أصدقائهم يحمل إليه بالسرّ مبلغاً من المال... ونصيحةً - كانت أقوى أثراً من المال. قال له إنه ليجدر برجل في مثل منزلته أن يسعى وراء مغامرة عظيمة، وأنه لن يجد خيراً من غزو الآثينيين وهم في غفلة من أمرهم، وبياعت ميناءهم [بيريوس] إذ ليس ما يسرّ سبارطا أكثر من الاستيلاء على آثينا، كما أن الآثينيين لن ينجروا طبعاً لمساعدة أناس يبغضونهم ويعتبرونهم خونةً في الوقت الحاضر. وظل يضرب فيه على هذا الوتر حتى اقتنعه، فزحف ليلاً عن آتيكا وتوغل بجيشه حتى بلغ [اليوسيس]<sup>(١٢)</sup>، وعند هذه المرحلة من مغامراته أصيبت قلوب رجاله بالتردد فانسحب إلى [تسپايي] ولكن بعد أن أنكشفت زواياهم وورط قومه في حرب خطيرة. بعد هذه الحادثة أخذ الآثينيون يبعثون بالمساعدات إلى ثيبة وهبوا ساخطين إلى البحر مبحرين إلى عدة أمكنة ومقدمين المعونة إلى كل بلد يوناني يرغب التخلص من نفوذ السبارطيين.

وفي تلك الفترة خاض الشيبيون بمفردهم عدة معارك مع السبارطيين في [بوتيا]، وأشتبكوا كثيراً بالعدو، ولم تكن تلك المعارك بالكبيرة لكنها مهمة في تدريبها وتلقيها أيام فنون القتال، وبهذا انصرفت اذهانهم إلى الحرب، وتعدت ابدانهم المشاق فكسبوا الخبرة والشجاعة بهذه الصدامات المتعددة، مما يفصح عنه قول [انتالكيداس Antalcidas] لاغيسيلوس بعد عودته جريحاً من [بوتيا]:

- لقد أجزل لك البوتيون العطاء حقاً، مكافأة لك على تلقيهم فنون الحرب رغماً عنهم وكرهاً بها.

وإن شئت الحقيقة، فإن [اغيسيلوس] لم يكن استأذهم في هذا. بل أولئك الذين أطلقوهم بذكاء وبعد نظر على أعدائهم كما تطلق صفار الكلاب، وعادوا بهم سالمين جميعاً بعد أن اذاقوهم حلاوة النصر، وقوة العزيمة. وبيلوبيداس يستأهل أعظم التكريم من بين كل هؤلاء الزعماء: إذ ما أن أنتخب جنرالاً لأول مرة، حتى بقي يقود الرجال سنة بعد أخرى طوال حياته إماماً بمنصب قائد «الكتيبة المقدسة» أو قائداً عاماً للجيش البوتي وهو أكثر المنصبين لصوقاً به. هُزم السبارطيون بالقرب من [بلاطيا Plataea] و[تسپايي] ولاذوا بالفرار. وقتل [فيوبيداس] الذي أحتل القلعة [قادمية]. وفي [تتاغرا] ابديت قوة كبيرة وقتل قائدها

(١٢) كان أمهم أن يبلغوا [بيريوس] ليلاً، لكنهم وعندما أصبح الصباح وجدوا أنهم لم يتقدموا أكثر من [اليوسيس]. وادرك [سفوردياس] أن أمره انكشف فاجتاح في رجعته ضواحي آثينا. وأستدعى اللقيديميون [سفوردياس] واتخذ الايغوري الاجراءات القضائية ضده. إلا أن [اغيسيلوس] بشفاعة والاح من ابنه الذي كان صديقاً لابن سفوردياس - عمل على انقاذه [كزينفون المرجع السالف ه].

[پانثيودس Panthoides]. إلا أن هذه الإشتباكات وغيرها لم تصب المنهزمين ببأس تام، وان رفعت من معنويات المنتصرين إذ لم تقع بين الفريقين معركة فاصلة، أو قتال منظم، وإنما مجرد غزوات مفاجئة تملئها الفرص والمناسبات ويسودها الكرّ والفرّ، ثم الهجوم ثم الانسحاب وهكذا. إلا أن معركة [تيجيري Tegyrae] التي كانت مقدّمة وتمهيداً [لليكوترا] رفعت من سمعة بيلوييداس كثيراً. إذ لم يكن لأيّ من القادة الآخرين أي فضل فيها، ولم يظهر العدو أي دعوى بنصر بها. كانت مدينة [الاورخومينيين] منحازة الى جانب السبارطيين، وقد عززت الحماية فيها بكتبتين، وكان [بيلوييداس] شاخصاً اليها ينتظر فرضته فلما سمع أن الحامية انتقلت الى [لوكريس Locris] وان [اورخومينيس Orchomenes] <sup>(١٣)</sup> باتت بلا حماية زحف عليها بكتيبته المقدسة وكوكبة من الخيالة، وعند وصوله مشارفها وجد التعزيزات القادمة من سبارطا تتقدم نحوها. فقام بدورة حول قدمات الجبال وانسحب بجيشه الصغير عبر [ميجيري] وهو السبيل الوحيد الذي يمكن مروره منه لأن نهر [ميلاس Melas] تنتشر مياهه حال فيضانه ويكون مستنقعات وبركاً صالحة للملاحة، ويجعل كل الأرض السهلة التي تتخللها غير صالحة للسير. والى اسفل المستنقعات بمسافة قصيرة يقوم معبد ومهبط وحي [اپوللو تيجيريوس] المهجور قبل زمن ليس بالطويل، وكان مزدهراً حتى الحروب الميديه، بكاهنه [ايخيقراطس Echecrates]. ويزعمون أن هذا الرب ولد هناك. والجبل المجاور يسمى [ديلوس Delos]، وهنا أيضاً يعود نهر [ميلاس] الى مجراه، ومن خلف المعبد يجري ماء نبعين عجيب بحلاته وكثرته وبرودته. نبع يسمى [فيونكس Phoenix] ونبع يسمى [ايلويا Elœa] الى يومنا هذا. حتى لكأن [لوجينا Lucina] لم تولد بين شجرتين بل بين ينبوعين. وثم موقع قريب ظاهر يدعى [پتاوم Ptoum] يقال أنها روعت اثناء وجودها فيه بظهور خنزير بري. وتتصل حكايات [پيثون Python] و[تيطيوس Tityus] بهذه المواقع أيضاً على المنوال نفسه. واني لأضرب صفحاً عن كثير من النقاط التي يمكن استخدامها موضع نقاش. لأن اساطيرنا لا تضع هذا الرب في مصاف الأرباب المولودين ثم تحولوا الى آلهة خالدين، مثل [هرقل]، [باخوس] اللذين رفعتهم فضائلهم فوق طبقة البشر وقابلية الفناء إلا أن اپوللو آله خالد غير مولود من بشر <sup>(١٤)</sup>، اذا استندنا في حكمنا هذا على أي حقيقة مما أنحدر البنا من أقدم الواقفين على هذا الموضوع، وأوفرهم حكمة.

(١٣) واحدة من أكبر وأهم مدن بويوثيا. وكان فيها حامية لقيديمية وقتذاك.

(١٤) هذه فقرة تستدعي تأملاً عظيماً: يؤمن الحكماء والفلاسفة القدماء امثال فيثاغوراس وأفلاطون وغيرهما. إن الله ينجب ابناءهم مثله خالدون. وانهم لم يولدوا من رحم امرأة وهم يساويونه في جوهرة ان هذه الفكرة انحدرت اليهم من أقدم العصور وما ورد عنها من مآثر كان ينوّه بآب الله الخالد مع الآب.

وبينما كان [الشيبيون] يتفقهرون من [اورخومينوس] نحو [تيجيري] كان السبارطيون يتقدمون من [لوكرس] في الوقت نفسه. وإذا بهما يلتقيان. ولما بات هؤلاء على مرأى من الشيبيين يتقدمون عبر المضيق قال أحدهم ليلوييداس:

- لقد وقعنا في يد العدو؟

فاجابه:

- ولم لا يكون هم الذين وقعوا في ايدينا؟

وأمر خيالاته فوراً بترك المؤخرة والهجوم. بينما جمع مشاته كتلة واحدة وكانوا ثلاثمائة<sup>(١٥)</sup>، مؤملاً بهذه الطريقة أن يفتح ثغرة لنفسه في تشكيل عدوه الأكثر عدداً منه، من أي جهة يقوم بالهجوم. وكانت قوة السبارطيين تتألف من كتبتين (الكتيبة قوامها خمسمائة على ما يذكر [يفوروس]، أو سبعمائة على ما يقول [كالليستينس- Callis-thenes]، ويزعم آخرون ومنهم [بوليبوس] أنها تسعمائة). بقيادة [جورجوليون- Gorgole on] و[ثيومپوريوس]. فقرر التقدم لمهاجمة الشيبيين وهما واثقان من النصر والتحم الفريقان، وكان زخم القتال على أشده حيث يقف القادة. ووقع القائدان السبارطيان قتيلين أولاً ولحقت بالقوة التي تحيط بهما خسارة فادحة فما لبثت القوة كلها أن خارت معنوياتها وفتحت طريقاً للشيبيين كأنها تريد مرورهم ونجاتهم. لكن بيلوييداس دخل الثغرة دون أن يفكر في الافلات بل استدار نحو الصامدين من الاعداء وأوقع بهم قتلاً وذبحاً، عقبه فرار من صفوف السبارطيين. ولم تستمر المطاردة مسافة طويلة لخوف المنتصرين من الاورخومينين المجاورين، ومن نجدات لقيديمون. مهما يكن فقد نجحوا في شق طريقهم عنوةً بين أعدائهم وتغلبوا على قوتهم كلها. لذلك عمدوا الى اقامة نصب تذكاري لنصرهم ونزعوا أسلحة القتلى ثم قفلوا راجعين الى مقرهم مزهوين بما حققوا. لم يهزم السبارطيون في كل حروبهم العظيمة التي خاضوها ضد الأغريق أو البرابرة أمام قوة أصغر من قوتهم قبل هذا. ولم يندحروا في معركة فاصلة وكان عددهم فيها مساوياً لعدد خصمهم. ومن هذا ساد الاعتقاد بأن شجاعتهم لا يقف أمامها شيء، وان سمعتهم الداوية كانت توقع الرعب في قلوب أعدائهم فيخسروا المعركة قبل دخولها. لأنهم لا يجدون أنفسهم أكفاء لرجال سبارطا حتى عند تساوي الفرص. على أن هذه الموقعة علمت الأغريق في المقام الأول أن الشجاعة والعزيمة وشدة المراس ليست قاصرة على

(١٥) هذا العدد القليل كان زهرة الجيش الشيبى. وقد خلع عليه لقب «الكتيبة المقدسة» أو «عصابة المحبين» تكريماً لأفراد الوحدة وقد عرفوا جميعاً وبلا استثناء، بولائهم وأخلاصهم لدولتهم الشيبية وبمفاداتهم بعضهم لبعض [انظر افلاطون: المحاورات].

رجال [يوروتاس] والبلاد الواقعة ما بين [بابيس Babyce] و[كناصيون Cnacion] بل عندما يثور الشباب خجلاً من الدناءة والحطّة، ويكونون مستعدين للمغامرة في سبيل قضية عادلة، عندما يخشون العار أكثر مما يخشون الخطر، فاذ ذاك تجد أمامك أشجع الخصوم، وأشدّهم بأساً، أيّاً كانت البلاد التي انحبتهم.

كان [غورغيداس] على ما يزعمون، أوّل من ألف الكتيبة المقدسة من ثلاثمائة رجلٍ مختارين. وكانت مهمتهم حراسة القلعة ولذلك كانت الدولة تنفق عليهم وتزودهم بكلّ ما هو ضروريّ لتدريبهم، ومن هنا جاء اسم «كتيبة المدينة». لأنّ الحصون كان يطلق عليها اسم المدينة عادةً، ويقول آخرون أنها تألفت من شبان ارتبط بعضهم ببعض برباط الودّ الخاصّ. وهناك قول فكه شهير [لپومينوس Pommenes] «هو» [إن [نسطور] شاعر هوميروس، لم يكن بارعاً في قيادة الجيش حين نصح الأغرقيق أن يضعوا قبيلة في صف قبيلة وأسرة لصق أسرة حتى «تساعد القبيلة القبيلة، ويعاون القريب قريبه»] بل كان عليه أن يضع المحبّ الى جنب حبيبه». لأنّ الرجال الذين ينتمون الى عشيرة واحدة، وينحدرون من أسرة واحدة، قليلاً ما يهتم احدهم بالآخر عندما يتأزم الموقف. ولكن عصبية شدت عراها الصداقة المبنية على الحبّ، لا يُقلّ غرابها ولا تنفصم أصرتها. لأنّ المحبوبين يدركهم العار اذا أظهروا خسةً وجناً أمام محبوبيهم، فتراهم يندفعون الى ركوب الخطر بكلّ سرور لانجاد بعضهم بعضاً. وليس هذا بالذي يدعو الى العجب مادام إهتمامهم بمحبيهم الغائبين يزيد عن إهتمامهم بالحاضرين منهم. كقصّة ذلك الذي هم عدوه بقتله، فكان رجاؤه الحارّ منه أن يقضي عليه بطعنة في صدره لثلاث يدرك حبيبه الخجل لدن يراه جريحاً في ظهره. ومن الاساطير المتداولة، أن [ايولاؤوس] 10- [laus] الذي عاون [هرقل] في أعماله وقاتل الى جانبه، كان حبيباً له. وذكر [ارسطو] أن تلك المتحابين كانوا يقسمون على الوفاء فوق تربة [ايولاؤوس]. فمن المحتمل والحالة هذه أن تلك الكتيبة سميت «مقدسة» بسبب ذلك، لان [افلاطون] يُسمّي المحبّ «الصديق الملهم الهياً»<sup>(١٦)</sup>، وقيل أنها لم تخسر معركة قطّ، حتى الواقعة التي جرت قرب [خيرونيا]: شخّصَ [فيليب] الى ميدان القتال بعد نهايته ليتنقد جثث القتلى فبلغ الموضع الذي سقط فيه «الثلاثمائة» صرعى معاً. اثناء اشتباكهم مع [فلاتسكه] فادركه عجب شديد، ولما علم انهم «كتيبة المحبين» بكى وقال:

- لا كان ذلك الرجل الذي يشكّ في أن هؤلاء الرجال أقدموا على أي فعل دنيء، أو عانوا منه.

(١٦) افلاطون المحاورات.

لم تكن نكبة [لايوس Laius<sup>(١٧)</sup>] سبب نشوء هذا الشكل من العلاقة ما بين الشيبين كما خيل للشعراء؛ فإن أول نشوئها كان على يد المشترعين وهدفهم منها تطرية الطباع الجامحة اثناء الصغر. فجعلوا للعب بالناي مقاماً جلياً في مناسباتي اللهو والجد على السواء. وأهتموا كثيراً بتشجيع هذا اللون من الصداقة في مدارس المصارعة، لترق امزجة الشباب وتلين طباعهم، وحدهم هذا الى افضل عمل وهو جعل الربة [هارموني Harmony] بنت [مارس] و[فينس] ربتهم المفضلة. لأن التحام القوة والشجاعة، بالركة وحسن السلوك الى «انسجام» يجمع كل عناصر العشرة والاجتماع في نظام تام توافقي.

وزع [غورغيداس] افراد هذه الكتيبة على الصفوف الامامية من المشاة، فتضاءلت بسالتهم، لأن تفرقهم وانفراط عقدهم، واختلاطهم بمن يقل عنهم عزيمه وبأساً حرمهم فرصتهم العادلة لإظهار كفاءتهم كاملة. على أن [پيلوپيداس] الذي عجم بأسهم وخبره فر [تيجري] حيث قاتلوا بمفردهم ملتفين حول شخصه، لم يفرق ما بينهم قط. وأبقى قوام الكتيبة على حاله. وكان يسند اليهم الواجب الأول في أعظم المعارك. اذ كما يكون عدو الجياد المشدودة الى العجلة أشد وأسرع من عدوها منفردة (لا لأن قوتها المتحدة تشق الهواء بسهولة بل لأن مغالبتها بعضها بعضاً وتنافسها على السبق يذكي حماسها، ويلهب روحها بالإقدام) كذلك فكر [پيلوپيداس] أن ذوي البأس والعزم - باستفزازهم أحدهم الآخر الى أشرف الأعمار، سيكون أكثر نفعاً وأشدّ مراساً وأقداماً إن اتحدوا معاً.

بادر اللقيديميونيون الى مسالمة كل الاغريق، ثم وحدوا كل قواتهم ضد الشيبين. وأخترق ملكهم [كليومبروتوس] الحدود بجيش قوامه عشرة الآف راجل وألف فارس. الى ما قبل هذا كانت [بويوتيا] مهددة بالاحتلال فحسب، أما الآن فان شبح الفناء التام والدمار العام يخيم عليهم. واستولى على البلاد رعب لم تعرف له مثيلاً من قبل. وترك [پيلوپيداس] منزله الى الحرب فلحقت به زوجته وتوسلت به باكية أن يكون حذراً على حياته فأجابها قائلاً:  
- الجنود البسطاء يُنصحون بالحذر على حياتهم يا زوجي العزيزة. أما القادة فيُنصحون بالحرص على سلامة الآخرين.

ولما بلغ المعسكر ووجد امراء الجيش منقسمين الى رأيين فبادر ينحاز بدهة الى جانب [پامنداس] الذي كان من رأيه الاشتباك مع العدو. ولم يكن [پيلوپيداس] وقتذاك قائداً عاماً لبويوتيا، بل أمر الكتيبة المقدسة، واهلاً لتلك الثقة التي تناسب مثله رجلاً قدم لبلاده الكثير في مجال حرصه على حريتها واستقلالها. فكان له القول الفصل واتفق على القتال،

(١٧) او لاكوس Lacus.

وعسكروا في [ليوكترا] أمام السبارطيين. وهنا رأى [پيلويداس] رؤيا أسلمته الى قلق عظيم: في السهل الممتد امامه كانت ترقد جثث بنات [سكيداسوس Scedasus]، ويطلق على المرقد [ليوكتريداي Leuctridæ] نسبة الى شهرة الموضع. وقد تمّ دفنهن هناك بعد أن اغتصبهن وقتلهن جماعة من السبارطيين الأغرّاب. بعد ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء راح الأب يطلب الانتصاف في لقيديون فلم يفز بطائل وعاد ليبيع نفسه على قبر بناته وهو يرسل أهول اللعنات والدعوات بالشرّ الى السبارطيين. ومنذ ذلك الحين والنبوءات والعرافة تترى منذرة قوم الجناح بالحذر الشديد من الانتقام الآلهي في [ليوكترا] وأغلق الأمر على الكثيرين ولم يفهموا المقصود بطبيعة الحال، وكان الغموض ناجحاً عن الموقع فهناك بليدة لاكونيا Laconia الواقعة على ساحل البحر، هي الأخرى تدعى [ليوكترون]، ثم موضع قريب من مدينة [ميغابوليس] في [اركاديا] يدعى [ليوكترا]، كما ان هذا الحادث وقع قبل المعركة بزمن سحيق.

خيل لپيلويداس وهو نائم في الخيمة أنه رأى هاته العذارى يبكين على قبرهن ويلعنّ السبارطيين. ورأى [سكيداسوس] يقول: اذا رغبوا في النصر فعليهم أن يضحوا لبناتهن بعذراء ذات شعر كستنائي. وعدّه [پيلويداس] أمراً ينطوي على قسوة والحاد، إلا أنه نهض وقصّ الحلم على العرافين وأمراء الجيش، فكان من رأي بعضهم أن الأمر صحيح واجب الطاعة. وضربوا امثلة من التاريخ القديم تبريراً لوجهة نظرهم. فذكروا [مينيوكيوس Menœceus] ابن [كريون Creon] و[ماركاريا Marcaria] بنت [هرقل]. واوردوا امثلة من الأرمنة المتأخرة فذكروا [فركيديدس Pherecydes] الفيلسوف الذي ضحاه اللقيديميون، وما زال جلده محفوظاً عند ملوكهم تنفيذاً لما قضت به النبوءات. و[ليونيداس] الذي انذرت النبوءة فنفذ ما أمرته وضحّى بنفسه لمصلحة البلاد الاغريقية. و[ثيموستوكلس] الذي قدم اضاحي بشرية الى [باخوس أوميستوس] قبيل خوضه معركة [سلاميس] وكل هؤلاء برهن نجاحهم على صواب أعمالهم. وعلى الضدّ من ذلك فعل [آغيسيلاوس] فقد خرج من الموضع نفسه لقتال الاعداء الذين قاتلهم [اغاسمون] في ما مضى، وأمر في حلم جاءه في [أوليس Aulis] ان يضحى بابنته قرباناً فحال ضعفه دون ذلك، وكانت نتيجة حملته الفشل والخيبة الذليلة<sup>(١٨)</sup>.

(١٨) كزّينفون: الهلينيون ٧: يعلمنا ان پيلويداس في اثناء سفارته الى ملك الفرس شرح له بان الكره الذي حفظه اللقيديميون لأهل ثيبه سببه انهم لم ينضموا الى قوات آغيسيلاوس عند خروجه لحرب الفرس، ولأنهم منعوه من التضحية بابنته في [اوليس] عندما طلبتها [ديانا] ولو فعل ذلك لضمن النجاح في حربه.



على أن الفريق الآخر وجده فريضةً بربريةً لا يمكن أن يكون محل رضى الكائنات العليا، وقالوا أن الجبارة والأعاصير ليست هي التي تحكم العالم، بل هو الأب الكليّ الأسمى، للآلهة وللبشر، ومن السخف أن يتصور سرور آله من الآلهة أو قوة من القوى العليا. بقتل البشر وتضحيتهم وإن وجد بينهم من كانت صفته هذه، فعلينا ألا نعتد بهم، لضعفهم هذا الذي يجعلهم أعجز عن أسداء العون لأحد، فمثل هذه النزوة القاسية اللامعقولة لا تحيا لا تصدر إلا من عقول ضعيفة مأفونة.

وفيما كان امراء الجيش بين أخذٍ وردٍّ، و(پيلوپيداس) يعاني أعظم الحيرة، إذ بمهرة تفتلت من قطيع وتروح تعدو في ارجاء المعسكر، حتى وصلت موضع اجتماعهم فوقعت فجأة بلا حراك. وبينما أخذ بعضهم يبدي عجبه للونها الكسنتائي الفاتح، وبعضهم يعجب برشاقة تكوينها، أو بقوة صهيلها وشدته، أستغرق الكاهن العراف (ثيوقريطس Theocritus) في التفكير، ثم هتف بپيلوپيداس:

- دونك يا صاحبي الطيب فأنظر! ها هي الضحية قد أقبلت فلا تنتظر عذراء أخرى سواها. وخذ ما بعثت به الآلهة لك.

فوثبوا على المهرة واقتادوها الى قبر العذارى بالمراسيم الدينية والصلوات المعتادة، وضحوا بها منشرحي الخاطر، واذاعوا بين صفوف الجيش حكاية رؤيا (پيلوپيداس)، وكيفية تقديمهم القربان المطلوب منه.

وعند بدء المعركة عمل (إپامننداس) على إمالة (فلانكسه) الى جهة اليسار محاولاً قدر استطاعته فصل الميمنة المؤلفة من السپارطيين عن بقية الوحدات الاغريقية، ومبادهة (كليومبروتوس) بهجوم عنيف وفق نظام الرتل ضد ذلك الجناح. فأدرك العدو الخطة، وبدأ بتغيير نظام اصطفاfe بفتح ونشر ميمنته على جبهة واسعة للالتفاف حول (إپامننداس) وتطويره مستفدين من تفوقهم العددي السالح. إلا أن (پيلوپيداس) اسرع يقود كتيبة الثلاثمائة الى الميدان كالريح العاصف قبل أن يفلح (كليومبروتوس) في مد خطه وسد الثلمات فيه، وهكذا وثب عليهم وصفوفهم مختلفة. كان الجنود اللقيديميونيون يعدون أعظم الجنود في الدنيا خبرةً وأحسنهم تدريباً. ولم يتعودوا شيئاً أو يتمزقوا عليه قدر ما تعودوا المحافظة على نظامهم عند انتقالهم من وضع الى وضع في المعركة فلا يقع في صفوفهم أي خلل، ولا يترددون في السير وراء اي قائد أو مساعد قائد، بتشكيلات منتظمة. ويندفعون الى اي موضع يكون الخطر على اشده. وفي هذه المعركة تجاهل (إپامننداس) سائر القوات الاغريقية وحصر همّه بالسپارطيين، فصكهم بفلانكسه وأقبل (پيلوپيداس) باندفاع وسرعة لا

تصدق. فهدّ شجاعته، وأوقع البلبل في خطتهم التعبوية، وبدأ الفرار الأعظم ثم المقتلة الكبرى فيهم مما لم يعرف مثله من قبل<sup>(١٩)</sup>. ونال [پيلويداس] وهو بمنصب قائد كتيبة صغيرة لا جنراً رفيع القيادة، شهرةً ومجداً من هذا النصر لا يقلّ عنا ناله أپامنداس الذي كان يشغل منصب القائد العام لبوتيا.

مهما يكن، فقد تقدم كلاهما نحو الپيلوبونيسوس زميلين في القيادة العليا وحصلوا من الحلف السپارطي على أكبر جزء من البلاد المتحالفة، وهي [إيليس Elis]، و[أرغوس] و[أركاديا]، ومعظم [لاكونيا]. وكان الوقت أفسى الشتاء، ولم يبق من الشهر الأخير غير أيام قلائل. وفي بداية الشهر التالي كان من المقرر أن يعين الضباط الجدد ومن يتأخر من الضباط القدماء في تسليم وحداته يقطع رأسه. فأشار قادة الجيش بالانسحاب خوفاً من حكم القانون، وإجتناً لشدّة برد الشتاء. إلا أن [پيلويداس] انضمّ إلى [أپامنداس] في حث بني قومه وتشجيعهم على القتال، وزحفا بهم على سپارطا وعبروا [يورتاس] واستولوا على مدن عديدة وأجتاحوا البلاد وتوغلوا حتى بلغوا البحر.

كان الجيش الذي جرده الثيبون يبلغ سبعين ألفاً من الأغريق، وتبلغ نسبتهم فيه واحداً إلى اثني عشر إلا أن سمعة الرجال رغبت كل حلفائهم في الانضواء تحت لوائهم واتخاذهم زعماء، بدون اتفاق أو معاهدة تنصّ على هذا، ولا شك في أن أرفع القوانين وأولها هو أن يكون من في حاجة إلى الحماية مطيعاً للقادر على الدفاع عنه. وكالبحارة الذين يظهرون الوقاحة والعنجهيّة في الطقس الهادي، والبحر الساكن وفي اثناء مكوثهم في الميناء يتطاولون حتى على الریان، فاذا ما أقبل النوء وعصفت العاصفة وبات الخطر مائلاً رأيتهم يتصاغرون للريّان ويتسابقون إلى خدمته معلقين عليه كل آمالهم، كذلك كان الأرغوسيون والاليائيون والاركاديون، تراهم في مؤتمراتهم العامة ينازعون الثيبين على القيادة العليا، فاذا جاءت المعركة، أو داهمهم الخطر العظيم، واحتموا بقادتهم الثيبين طوعاً، وتأثروا خطاهم دون تردد. وقد وفق الثيبون في هذه الحملة فوجدوا بلاد [أركاديا] وطرّدوا السپارطيين الذين كانوا قد

(١٩) لم يكن الجيش الثيبي يزيد عن ستة آلاف مقاتل باي حال من الأحوال [ديودورس ٥٥:١٥ وكزينفون: ٦] في حين كان جيش خصمه مع خيالاته التي كانت أفضل تدريباً وكفاءة في حين لم يكن يمتطي الخيل من المحاربين اللقيديمين إلا أغنياعم الأمر الذي جعل هذا الصنف سيء النظام سيء التغذية بفرسان تنقصهم البراعة والدراية. كما أنه سدّ عجزه العددي بترتيب وحداته بعمق خمسين مقاتلاً في حين كان العمق السپارطي اثني عشر. ولما استظهر الثيبون وقتلوا [كليرمربوتس] استمات السپارطيون وهدفهم استنقاذ جثة ملكهم فأشفع الجنرال الثيبي انتصاره الأول بانتصار ثانٍ تسبّب عن مغامرة السپارطيين بهجوم ثانٍ. ولم يصدق حلفاء سپارطا معهم في القتال إذ كانوا يتوقعون نصراً دون أن يسبقه قتال أما الثيبون فقد خاضوا المعركة وحدهم دون حلفاء [ديودورس وكزينفون]. نشبت هذه المعركة في العام ٣٧١ ق.م.

أستعمروا [ميسينيا Messenia] وسكنوها. ثم استدعوا الميسينيين القدماء، وأسكنوهم جميعاً في [ايثوم Ithome] وفي [كنجرايه: Cenchreae] (٢٠) عند رجوعهم، شتتوا شمل القوات الأثينية التي كانت تريد الايقاع بهم اثناء عبور المضيق، لعرقلة سيرهم.

وازداد الحب والاعجاب بشجاعتهما في نفوس سائر الاغريق لما ابدياه من بسالة وحقاقه من انتصارات. في حين زاد حسد مواطنيهم لهما لصعود نجمهما، فاعدوا لهما استقبالاً شائناً مخجلاً. وحوكما بتهمة عقابها الموت، لأنهما لم يسلمتا قيادتهما في أول شهر [بوكاتيوس Buvatius] كما يحتمه القانون، بل احتفظا بها اربعة أشهر أخرى فوق مدتهما، وانجزا خلالها تلك الاعمال الباهرة في [ميسينيا واركايا ولاقونيا] وحوكم [پيلوپيداس] أولاً، وتعرضت حياته لأعظم الخطر، إلا انها برئتا. وتحمل [اپامنداس] الاتهام والمحاكمة بصدر رحب وصبر جميل، وعدّ هذه المحنة جزءاً هاماً من فضيلتي الشجاعة والسماحة اللتين تعلمانه بان الأذى الذي يصيبه في حياته السياسية لا يبرر له أن يحمل موجدة! أما پيلوپيداس فكان حاد الطبع عاطفياً وقد اثاره اصدقاؤه وحثوه على الانتقام للإهانة، فاهبتل المناسبة الآتية: كان [مينيقليداس Meneclidas] الخطيب أحد أولئك الذين وحدوا جهودهم مع [ميلون] و[پيلوپيداس] في منزل [خارون] لتدبير الانقلاب ضدّ الطغاة. إلا انه لم يقم بمآثر توازي ما قاما به، وكان خطيباً مصقلاً ذرب اللسان، إلا انه متحلل الخلق، سيء الطبع. وحصر همه في النيل من پيلوپيداس والخط من قدر مآثره واستمر في ذلك حتى بعد المحاكمة. وهدفه الانتقاص من علوه قدرأ وفضلوه، والصاق الاتهامات بهما. وتمكن من إبعاد [اپامنداس] عن منصب القيادة العامة. وظلّ مدة طويلة صاحب اليد الطولى. إلا أن نفوذه لم يبلغ به حدّ نزع حبّ [پيلوپيداس] من قلوب الشعب وحرمانه عطفهم. فعمد الى خلق خصومة بينه وبين [خارون]. إن الحاسدين من طرازه يجدون لذتهم وراحتهم في الانتقاص من عجزوا عن التفوق عليهم، واطهارهم بمظهر أسوء من الآخرين، لذلك دأب في مبالغته بتعظيم أعمال [خارون] في خطبه العامة، وفعدقا المديح على حملاته وانتصاراته، وحاول تخليد النصر الذي احرزته الخيالة التي قادها في [پلاطيا Plataea] (قبل معركة ليوكترا)، بالشكل التالي: كان [اندروكسيدس Androcydes] الكيزيكيئي Cyzicenan الرّسام قد استؤجر لتصوير معركة سابقة، فانصرف الى العمل بها في ثيبه. ثم قامت الثورة وأستعرت نيران الحرب، فحفظ الثيبيون الصورة وهي تكاد تكمل. فأخذ [مينيقليداس] يعمل على اقناع الثيبيين بتكريسها

(٢٠) حصل هذا بسبب خطأ من ايفيقراطس وهو قائد أشتهر بالحكمة والدهاء فقد نسي ان يضع جنوداً في مركز كنخريسي في حين وضعهم في مركز أقل أهمية وخطراً.

لخارون ونقش اسمه عليها. وقصده من هذا أن يطمس مآثر [پيلوپيداس واپامنداس]. وكانت دعوى سخيفة، واقتراحاً غير معقول، معناه وضع نصر منفرد لم يقتل فيه إلاً سپارطي مغمور الأسمه [جيرانداس Gerandas] مع أربعين من جنوده، في موضع أعلى من كل تلك المعارك الهامة العديدة، ولذلك انبرى [پيلوپيداس] يعارض الاقتراح بوصفه مخالفاً للقانون قائلاً أن العرف الذي جرى الآثيبيون عليه، يقضي بالا يخلد رجلٌ منفرد أياً كان. بل أن تعزى الانتصارات كلها للشعب. غير انه ظلّ طوال المناقشات يثني على خارون أجمل الثناء، وحصر همّه في محاولة الكشف عن خبيثة [مينيقليدس] وأظهاره على حقيقته، شخصاً دساساً حاقداً، وطلب من الثيبين إن ارادوا الاقدام على عمل ممتاز ان يعاملوه بما حقيق به وأقنعهم الى أن فرضوا على [مينيقليدس] غرامة فادحة عجز عن دفعها، وحاول بعد ذلك أن يثير القلاقل في الحكومة. هذه الأمور تنير لنا بعض الجوانب من حياة [پيلوپيداس].

عندما أعلن [الاسكندر] طاغية [فييري Pheræ] (٢١١) الحرب على قسم من مدن التساليين، وبيت السوء للجميع، بعثت المدن بسفارة الى [ثيبه] تطلب عونها. وكان [پيلوپيداس] يعلم أن انشغال [اپامنداس] في شؤون [الپيلوپونيسوس] يمنعه من المساهمة فعرض نفسه لقيادة التساليين في كفاحهم، لأنه لم يكن يريد ان تستسلم شجاعته ومهارته للكسل والبطالة، فضلاً عن ان انسحاب [اپامنداس] من واجبه لا ينطوى على حكمة أو فائدة. وما أن وصل [ثساليا] بجيشه حتى استولى على [لاريسا Larissa]، ثم حاول اصلاح سلوك [الاسكندر] الذي أعلن ولاه - واجتهد في حمله على نبذ أسلوب حكمه المستبد، واحترام القانون والحكم بعدلٍ ورفقٍ، لكنه وجد فيه وحشاً ضارياً عنيداً لا تلين قناته، وبلغته عدة شكاوى عن جوره وبطشه، فضيق عليه الخناق حتى اضطره الى الانسلا سراً من المدينة هو وحرسه.

وعلى أثر ذلك ترك [پيلوپيداس] التساليين آمنين. وقد زال عنهم كل خوف من الطاغية، وحل ما بينهم الصفاء والوثام، وانحدر الى [مقدونيا] (٢٢٢): وكان [بطليموس Ptolmy] اذ ذاك في حرب مع الاسكندر ملكها. وقد بعث الفريران المختصمان بطلبه ليستمع الى خلاقهما وليحكم فيما بينهما ويعاون الجانب المهضوم حقه. فقدم وصالحهما، ودعا المنفيين الى العودة وأخذ [فيليب] أخوا الملك وثلثين من أولاد الأشراف بمشابة رهائن، وجاء بهم الى [ثيبه]،

(٢١) دس لعمه پوليفرون السّم بعد ذلك وجعل نفسه طاغيةً في مكانه. وكان پوليقرون نفسه قد فتك باخيه پوليدوروس والذ الكساندر. لقد غصب هؤلاء تساليا وكانت دولة حرّة [ديودورس ٢٥-٦٦، كزينفون ٦].  
(٢٢) خلف أمنتاس الثاني ثلاثة أولاد شرعيين هم الكساندر، وپردكاس، وفيليب، كما خلف ابنا غير شرعي هو [بطليموس] الذي حارب الكساندر وقتله غدرًا وكان حكمه ثلاث سنوات.

مبرهنا للاغريق على مبلغ الثقة والسمعة التي نالها الشيبليون بفضل نزاهتهم<sup>(٢٣)</sup> وجراءتهم، وفيليب هذا<sup>(٢٤)</sup>، هو الذي حاول فيما بعد أن يستعبد الاغريق، ولم يكن في حينه يتعدى الصبا، يعيش مع [پامينس Pammenes] في [ثيبه]. ومن هنا ظن أنه اقتدى في اعماله التالية بأپامنداس ورجح انه اتخذ من براعته في الحرب وخفته مثلاً يحتذيه. وهذا على كل حال جانب يسير من سجايا [أپامنداس] أمّا عن دماثته ونزاهته وكرمه وطيبة التي برز فيها حقاً، فلم يتصف [فيليب] بوحدة منها لا طبعاً ولا تطبعاً.

وبعد فترة من الزمن عاد الثساليون يشكون [الاسكندر] الفيري لإثارته الفتن في المدن. فخرج [پيلوبيداس] مع [اسميناس Ismenias] في سفارة اليه من [ثيبه] بدون جيش لأنهما ما كانا يتوقعان قتالاً، على أن يستخدموا الثساليين عندما تضطرهما الحاجة. ودب الاضطراب في الوقت نفسه - في احوال مقدونيا مرة ثانية بعد أن عمد [بظليموس] الى اغتيال الملك، وتسلم زمام الحكم. فبعث اصداقء الملك يستدعون [پيلوبيداس] فلم يرفض التدخل في الأمر ألا انه كان مفتقراً الى جيش خاص به، جند بعض المرتزقة من البلد وتقدم بهم لمواجهة [بظليموس]، ولما تقابلت القوات عمد بظليموس الى افساد مرتزقة پيلوبيداس بالمال واغرائهم بعصيانه. ومع هذا فقد كانت اوصاله ترتعد خوفاً من مجرد اسم خصمه وشهرته، فأقبل عليه كما يقبل التابع على متبوعه وأعلن الولاء وطلب الصفح معتذراً بأنه ما مارس الحكم إلا ليحفظه لأخوة الملك الميت، وانه مستعد لتقديم الدليل على كونه صديقاً لأصداق [ثيبه] وعدواً لأعدائها. وضماناً لهذا وضع ابنه [فيلوكزينوس Philoxenus] وثلثين من لداته بمثابة رهائن فارسلم [پيلوبيداس] الى [ثيبه]. على انه حنق بصورة خاصة على مرتزقته لما أظهره من غدر وخيانة. ولما علم أن معظم أموالهم وزوجاتهم وأولادهم في [فارسالوس Pharsalus]، فكر أنه يصيب منه انتقامه كاملاً لو تمكن من الاستيلاء عليها. فجمع حوله عدداً من الثساليين وزحف بهم على [فارسالوس] ولم يكذب يدخلها حتى ظهر [الاسكندر] الطاغية بجيش على أبوابها. وحسب [پيلوبيداس] انه جاء لتبرئة نفسه من الجرائم التي عزيت اليه، فخرجا اليه، متصورين ان سلطة [ثيبه]، ومنزلتهما وسمعتهما تقيهما اي اعتداء، مع علمهما التام بقسوته وتهوره. ولما وجد الطاغية انهما وحيدان اعزلان بادر بالقبض عليهما وأحتلال [فارسالوس]، فاستولى على رعيته خوف عظيم، وساد

(٢٣) في هذا العهد كانت كل دويلات الاغريق قد نسيت إهتمامها بقضية الحرية. ولم يعد من بين كل هذه الحكومات من طبق النظام الجمهوري ويهتم بأمور المستضعفين والمظلومين ويشعر بالوطنية غير جمهورية

ثيبية. ديودورس ١٥: ٦٠.

(٢٤) هو والد الاسكندر الكبير.

الاعتقاد عندهم - بعد هذا الاعتداء الدنيء الصارخ - ان لا أحد سيسلم من بطشه، وان تصرفه ازاء الجميع وفي كل الأمور سيكون كسلوك اليائس من الحياة.

ولما بلغت الشيبين هذه الانباء ثار ثائرهم وتميزوا غيظاً وبعثوا بجيش يقوده آخرون غير [إيامنداس] الذي كان مغضوباً عليه وقتذاك. وكان الطاغية قد سمح للناس كافة ان يتصلوا [ببيلوبيداس]<sup>(٢٥)</sup> أول ما نقله الى [فيري]، متصوراً ان نكبتة هذه ستحطم معنوياته، وتجعله يبدو موضع مهانة واستصغار، ولكن [بيلوبيداس] راح ينصح أهل [فيري] أن يتجملوا بالصبر فبعده فرج حتى لكأنه مطمئن الى أن الطاغية لن يعتم ان يدفع ثمن الإهانات التي الحقها به، وبعث للطاغية بمن يخبره «انه من السخف والعبث أن يعذب يوماً رعاياه الابرياء ويوقع بهم ذبحاً وتقتيلاً ويُبقي عليه وهو يعلم جيداً بأنه سينتقم منه انتقاماً هائلاً لو نال حرته». فبهت الطاغية لجرأته، وحرته في الكلام وأجاب: «لماذا يستعجل [بيلوبيداس] موته الى هذا الحد؟»، فرد بيلوبيداس عليه بما يأتي:

- لكي تكون أسرع الى منيتك. اد ستصبح بعد قتلي ابغض الى الآلهة مما أنت عليه.

وبعد هذا منع الطاغية محادثته منعاً باتاً، إلا أن [ثيبي Thebe] زوجته، التي هي بنت [جاسون Jason] تملكها رغبة شديدة في رؤيته ومكالمته بعد أن سمعت من الحراس عن نبل سلوكه وجرأته، فأقبلت عليه في السجن. ولكونها امرأة، لم تفلح لأول وهلة في ادراك عظمته وهو في وسط نكبتة وانما حكمت بأنه عومل معاملة فظة ذنينة لا تليق بشهرته، من رثاة ثيابه ومظهره العام، فبكت، وكان [بيلوبيداس] يجهل هويتها. فتسمّر في مكانه مبهوتاً، وعندما علم صفتها اقرأها التحية منادياً اياها بلقب ابيها (فقد كان وجاسون صديقين وعشرين ودودين). قالت له

- إنني لأشفق على زوجك يا سيدي.

فأجابها:

-- أمّا أنا فاشفق عليك لأنك تستطيعين احتمال [الاسكندر] مع أنك غير مقيدة به بسلاسل! ودست عبارته من المرأة وتراً حساساً فلطالما ابغضت زوجها لقسوته وظلمه وفجوره الذي فاق كل حد، ولاعتدائه الشنيع على أخيها الاصغر وتعددت زياراتها له وكاشفته بما تجرعت من إهانات على يده، وأظهرت مزيداً من الحقد والكره لزوجها الطاغية.

(٢٥) كانوا قد غضبوا عليه لأنه لم يمض في مطاردة العدو بعد المعركة الأخيرة مع اللقيديميين قرب كورنث، واستثمار نصره هذا بقتله وأسره الكثير من الاعداء. فعزل وتحى عن الحكم في بويوتيا وجعلوه يخدم كجندي بسيط في الجيش [ديودورس ١٥:٧٢].

إن الجرالية الشيبين الذين أرسلوا الى [ثاليا] لم يفعلوا شيئاً، الا قيامهم بانسحاب مخجلٍ منها لقصر باعهم في القيادة، أو لسوء حظوظهم<sup>(٢٦)</sup>. ففرضت المدينة على كل منهم غرامة قدرها عشرة آلاف دراخما، وبعثت باپامنداس على رأس قواتها نفسها. فانتعشت آمال التساليين بشهرة القائد الجديد وانتفضوا ورفعوا حالاً لواء الثورة. وكانت أحوال الطاغية تسير به الى الخراب سيراً حثيثاً. وبلغ الخوف بقادة جيشه وانصاره مبلغاً شديداً وأشدت رغبة الرعية في الانتفاض عليه أملاً في عقابٍ عاجلٍ ينزل به، إلا أن [أپامنداس] كان أكثر إهتماماً بسلامة [پيلويداس] من أي مجدٍ يحزره. ولخوفه من استيلاء القنوط على الاسكندر اذا ضيق عليه الخناق، فيندفع كالوحش الهائج لينهش ويعض. لم يشنها عليه حرباً ضارية وانما ظلَّ يحوم فوقه بجيشه كالباشق المستعد للانفراض حتى اتلف أعصابه وحطم ثقته ولكنه لم يدفعه الى اليأس والهياج. كان [أپامنداس] يعلم مبلغ وحشيته، واستهانته التامة بكل ما هو عدل وحق. فلطالما دفن الناس أحياء والبس الابرياء جلود الدببة والخنازير وأطلق عليهم كلابه الشرسة ينهشونهم، أو جعلهم هدفاً لنباله واسنة حرايه! وفي [ميليبوا Meli-boea] و[سكرتوسا] المدينتين الحليفتين<sup>(٢٧)</sup> له، دعا السكان جميعاً الى اجتماع عام ثم أمر حراسه فأحاطوا بهم وأعملوا السيف فيهم كافةً. وكرس الرمح الذي اردى به عمه [پوليفرون Polyphron]، وزينه بقلائد الزهر بضحي له ويقدم القرابين كما لو كان رباً، مطلقاً عليه اسم [تيخون Tychon]<sup>(٢٨)</sup>، ومرة شاهد ممثلاً تراجيدياً يمثل مسرحية «الطرواديون Troades» ليوربيدس فخرج من الملعب، وأرسل بطلب الممثل فلما حضر طلب منه ألا يتعض من خروجه اثناء التمثيل وان ينصرف الى إكمال دوره لأنه لم يترك الملعب تحقيراً له بل لخلجه من رعاياه إن رأوه يبكي لمشهد ما تعانیه [هيكوبا Hecuba] و[اندروماخه Andromache] في سياق التمثيلية، وهو الذي لم يدركه أسف على اي شخص فتك به! هذا المستبد انتابه القلق لأسم ونبأ وقدم حملة بقيادة أپامنداس وسرعان ما «خفض جناحيه المقهورين، كالديك الجبان» وأرسل وفداً يعرض ويرجو ترضيةً، ورفض [أپامنداس] أن يقبل مثل هذا الرجل ضمن حلفاء [ثيبه] على انه منحه هُدنةً أمدها ثلاثون يوماً، تم خلالها إطلاق سراح [پيلويداس] واسميناس فعدا الى الوطن.

وعلم الشيبيون ان السپارطيين والآثينيين أرسلوا وفداً الى مملكة الفرس، بطلب العون.

(٢٦) عقبهم الكساندر وانزل بهم خسائر جسيمة اثناء المطاردة. ويعود الفضل في سلامة البقية الباقية الى كفاءة [أپامنداس] الذي اجبره الجنود على أن يتسلم القيادة [ديودوروس ١٥:٧١].

(٢٧) هي من مدن مغنيزيا. ومغنيزيا إقليم يقع جنوب مقدونيا.

(٢٨) معنى الكلمة «ذو الحظ السعيد» أو «المحظوظ».

فانتدبوا هم أيضاً [پيلويداس] لسفارة ماثلة، فكانت صدفة ممتازة لرفع مقامه وزيادة شهرته. إذ لم يسبق أن حرّ في بلاد ملك فارس شخصية جلييلة القدر شهيرة الصيت. لأن المجد الذي ناله من انتصاراته على السبارطين لم يزحف كالسلفاة ببطء وخصول بل انتشر كالنار في الهشيم بعد أن ترددّ في البلاد صدى الموقعة الأولى في [ليوكترا] ثم عقبته انبء الانتصارات الجديدة تباعاً. فزادت كثيراً في شهرته وصيته ونشرته على القاصي والداني. وكان موضع أعجاب وتقدير كل جنرال أو قائد أو ساتراب فارسي يلقاه، وموضوع أحاديثهم. فقالوا مشيرين اليه:

- هذا هو الرجل الذي طرد اللقيديمونيين من البحر والبر، وحبس سبارطا بين نهري [تاغيستوس] و[يورتاس]، وكانت قبلها بزمن قصير قد اشتبكت في حرب ضروس مع الملك العظيم تحت قيادة [اغيسيلاوس]، حوالي [صوصه] و[اكتانا].

ولقد أشاع هذا، السرور في أعطاف [ارتخششتا Artaxerxes] وزاد من رغبته في أن يُظهر [لپيلويداس] التفاتاً ورعاية، فقد كان يحبّ أن يرى نفسه كعبة القصاد من عظماء الرجال، وموضع تجيلهم وأرتفعت منزلة السفير الشيبّي عندما لقيه وسمع حديثه الذي كان أكثر رزانة من حديث السبارطين، وأدّى له من الاحترام ما يليق بامثاله الملوك. الامر الذي لم تفت السفراء الآخرين ملاحظته وكان الاعتقاد سائداً أن [انتالسيديس] الاغريق هو من نال أعظم الخظوة لديه من سائر الاغريق<sup>(٢٩)</sup>، فقد بعث اليه بتلك القلادة المغموسة بالزيت التي كان قد أحاط بها عنقه في وليمة من الولائم. والحق يقال انه لم يعامل پيلويداس بمثل هذه المعاملة الرقيقة، على أنه تحفه بأنفس وأعلى الهدايا حسب العادة المتبعة. وحقق سؤله وطلباته (وهي عدم التعرض لحرية الاغريق، واعمار [ميسينيا] بالسكان، ونشوء صداقة متوارثة بين الملك والشيبين). وبعد أن نال ذلك قفل راجعاً معتذراً عن قبول كلّ الهدايا إلا ما اعتبره رمزاً لحسن النية ودليلاً على التعاطف. وكان نجاح [پيلويداس] سبباً من خراب السفراء الآخرين. فقد أدان الآثينيون سفيرهم [تيماغوراس Timagoras] ونفذوا به حكم الموت، ولو أنهم فعلوا ذلك بسبب قبوله مقداراً كبيراً من هدايا الملك<sup>(٣٠)</sup>، فحكمهم هذا عادل

(٢٩) إن كان پلوتارخ يقصد السفير السبارطي فهو يختلف عن كزينفون الذي يثبت اسمه بـ(يوثيكس Euthy-cles) كذلك يعلمنا أن [تيماغوراس] هو الرجل الذي كان الملك يرفع من قدره ويكرمه بعد پيلويداس. وربما كان ذلك في فترة سابقة عندما كان (انتالقيديس) في البلاط الفارسي. ان عادة ارسال العطور والروائح الزكية عنواناً للتقدير والمحبة، ما زالت سائدة في الشرق.

(٣٠) وعن كزينفون (المرجع السالف ٧٠) ان جريمة تيماغوراس الحقيقية هي ما زعمه زميله الموفد معه (ليون من أنه كان على اتصال دائم بـ[پيلويداس] مؤيداً كل شيء أقترحه لمصلحة أهل شيبه.



وصحيح. اذ لم يقبل ذهباً وفضة فحسب بل قبل سريراً فاخراً وعبيداً للعناية به، [كان الاغريق لا يفقهون هذا الفن!] فضلاً عن ثمانين بقرّة مع رعاتها، متعللاً بأنه حليب البقر ضروري لداة ابتلي واخيراً كان قد حمل بمحفة الى ساحل البحر مع هبة لخدمه قدرها أربعة تالنتات. ولكن من المحتمل جداً ان لا يكون جشعه هو السبب في سخط الآثينيين، لأن [ايقريطس Epicrates] ناقل الامتعة، لم يكتف بالاعتراف للجمهور، بأنه تسلّم هدايا من الملك. بل تقدم باقتراح يقضي أن ينتخب بدلاً من «الأراخنة» التسعة، فقراء تسعة من أشدّ المواطنين إملاقاً وان يرسلوا بمثابة سفراء الى الملك ليغنيهم بهداياه. فضحك الجمهور فحسب على هذه النكتة. على انهم في الحقيقة كانوا ساخطين ناقمين لفشل سفرائهم وحصول الشيبين على كلّ ما سعوا اليه، دون أن يحسبوا حساب شهرة [پيلويدياس] التي كانت أقوى أثراً من فصاحة الآثينيين ومقدرتهم الخطابية. مع رجل ما زال قلبه يميل الى المنتصر بقوة السّلاح. إن هذه السفارة التي أعادت ميسينيا الى أهلها الشرعيين وضمنت حرية بلاد الأغرّيق الأخرى. حصلت لپيلويدياس على قدر كبير من حسن الثقة عند عودته.

في ذلك الزمن عاد [الاسكندر] الفيري الى طبعه الأول من العدوان فاستولى على كثير من المدن الشمالية ووضع حاميات في بلاد آخائيي Achaen فيوتيس Phthiotis، والمغنيزين، ولما سمعت المدن بعودة پيلويدياس أرسلت الى ثيبة وفدأ مستنجداً، يطلب معونة بقيادة [پيلويدياس] نفسه. فأجاب الشيبون سؤلهم بطيبة خاطر. وعندما تم تجهيز كل شيء، لما وبدأ الجنرال في مسيرته كسفت الشمس وساد الظلام المدينة ظهراً. فبهت [پيلويدياس] للظاهرة العجيبة ولم ير من اللائق أن يرغم الرجال الخائفين الخائري العزيمة على الرحيل، ولا أن يخاطر بمصائر سبعة آلاف من مواطنيه، ولذلك انطلق بثلاثمائة فقط من الخيالة المتطوعين - في الطريق الى ثساليا خلافاً لرغبة العرافين واخوانه المواطنين عموماً. وكانوا كلّهم يرون في الظاهرة نذير شؤم يستهدف هذا الرجل العظيم إلا أنه كان يتميز غيظاً من الاسكندر وينقم عليه لما اصابه منه. كما كان يأمل أيضاً - مما سمعه قبلاً من حديث [ثيبي]، أن أسرته الآن منقسمة على نفسها وعلى خلاف كبير. إلا أن انتصار الحملة كان أكثر اثاره له من اي دافع آخر، ففي هذا الوقت كان اللقيدمونيون يرسلون الضباط العسكريين لمساعدة [ديونيسيوس] الطاغية الصقليّ. والآثينيون يتقاضون الأموال من الاسكندر ويعظمونه باقامة تمثال برونزي له باعتباره محسناً لهم. فكان شديد الرغبة في أن يظهر الشيبين للناس بأنهم هم وحدهم بين الأغرّيق، يتبنون قضية المستضعفين الذين يضطهدهم الطغاة، ولا يترددون في القضاء على اي شكل من أشكال الحكومات المستبدة غير الشرعية في كل بلاد الاغريق.

عندما وصل بيلوبيداس مدينة [فارسالوس] جمع جيشاً وتقدم به لملاقاة الاسكندر، وعلم هذا ان الثيبين في جيش خصمه قليلون، وأن مشاته ضعف مشاة الثساليين فسعى اليه في [ثيتيديوم Thetidium] وقال أحدهم لبيلوبيداس:

- الطاغية يواجهنا بجيش جرار.

فأجابه:

- وهذا أفضل لنا، اذ سنتغلب والحالة هذه على الكثرة.

وكان يمتد بين الجيشين سلسلة من التلال العالية الشديدة الانحدار بالقرب من مدينة [سينوسكفالي Cynoscephalæ] التي حاول الفريقان الاستيلاء عليها بمشاتهم. وقاد بيلوبيداس خياله الجيدة الكثيرة العدد في هجوم على خيالة العدو فهزموها ولاحقوها في السهل. لكن الاسكندر احتل التلال في تلك الاثناء وهاجم المشاة الثساليين الذين تقدموا بعد ذلك وحاولوا أن يشقوا طريقهم صعوداً في المرتفع الوعر الصخري. فقتل طلائعهم وعجز الآخرون عن الحاق أي ضررٍ بقواته لما أصابهم من انهك شديد، فلما تبين لبيلوبيداس ذلك نفخ بوق التراجع لخيالته وأمرها بمهاجمة وحدات العدو الصامدة في مواقعها. وتناول ترسه والتحق فوراً بالوحدات التي كانت تقا تل حول التلال وتقدم الى الصفوف الأمامية وملأ رحاله بالشجاعة والحماسة حتى خيل للاعداء أنهم يصلون عليهم بأرواح وأجسام أخرى غير تلك التي يملكونها؛ وصدوا هجومين أو ثلاثة لهم ولكنهم وجدوا اندفاعهم كاسحاً عنيفاً، كما أطبقت عليهم الخيالة العائدة من المطاردة فانكفأوا الى الوراء بنظام. وأدرك بيلوبيداس بشاقب نظره ومن الأرض المرتفعة ان جيش العدو تسوده الفوضى ويعمه الاضطراب وان لم تلحق به الهزيمة بعد، فأخذ يبحث عن الاسكندر ولما رآه على الجناح الأيمن يشجع مرتزقته ويصدر اليهم الأوامر، لم يتمالك شعور الغضب الذي اجتاحه لمراه. وانساق وراء عاطفته كالأعمى غير مقيم وزناً لا لحياته ولا لمسؤوليته القيادية فتقدم كثيراً عن جنوده وهو بصرخ متحدياً ويدعو الطاغية للنزال فلم يجب هذا وتقهقر وأخفى نفسه بين حرسه. وصد [بيلوبيداس] طلائع المرتزقة التي التحمت معه عن قرب وقتل بعضها إلا ان كثيراً منهم صوبوا استنهم الى دروعه من بعيد وخرقوها فجرح حتى اذا أسرع الثساليون وقد استبد بهم القلق من النتيجة بهبطون التل لنجدته، وجدوه قد فارق الحياة. ووصلت الخيالة أيضاً ودحروا الفلانس وطاردوا العدو المقهور مسافة طويلة وملأوا الميدان بجثث القتلى الذين انافوا على الثلاثة آلاف.

ما كان لأحدٍ ان يدهش للحزن العميق الذي استولى على الشيبين الحاضرين، لمصرع [پيلويداس]، فقد راحوا بندبونونه وينادونه بالأب والمنقذ والمعلم لكل ما هو حسنٌ وأهل للثناء. ولكن التساليين والحلفاء يزوّهم في ذلك بما اصدروا من مراسيم بتكريمه غاية التكريم الحرّي بالتقديم للشجاعة البشرية. وقدموا شواهد أقوى من هذا، على الودّ الذي يحفظونه له بابداء مشاعرهم الخاصة. وذكر أن الجنود اذ علموا بمصرعه - لم يفكروا في نزع دروعهم أو رفع السروج عن ظهورهم خيولهم أو معالجة جروحهم، بل أسرعوا وهم لاهثون بحرارة القتال وبأيديهم السلاح، الى حيث جثته مسجاة وراحوا يكسدون الغنائم الحربية عليه كأنه ما يزال في قيد الحياة يرى ما يصنعون. ثم قصوا أعراف خيلهم وجزوا نواصيهم<sup>(٣١)</sup>، وامتنع أكثرهم عن ايقاد النار في خيامهم، وعافوا وجبة عشائهم، وران الأسي والصمت على الجيش برمته. كأنهم لم يربحوا أعظم معركة وأخطرها، بل كأن الطاغية هزمهم وأخذهم عبيداً. وما ان علمت المدن بالفاجعة حتى خرج حكامها وشبابها واحداً وكهنتها لاستقبال الجثمان وأخذوا معهم تذكارات حرب وتيجاناً ودروعاً ذهبية. وعندما حان موعد الدفن تقدم شيوخ التساليين طالبين من الشيبين أن يتولوا عنهم مراسيم التشييع وقال واحد منهم:

- ايها الاصدقاء، نحن نطلب منكم فضلاً به تشريف لنا وراحة معاً في فاجعتنا العظمى هذه. إن التساليين لن يتيسر لهم بعد الآن أن يقوموا على خدمة [پيلويداس] الحي، ولن تتاح لهم فرصة تكريمه تكريماً يشعر به. ولو سمحتم لنا بجثمانه، وتزيين جنازته وتشيعه الى مقره الأخير، فاننا نأمل أن نثبت بهذا، الحقيقة الواقعة وهي ان خسارة التساليين به، أعظم من خسارة الشيبين. انكم فقدتم به جنراً حاداً فحسب، اما نحن ففقدنا جنرالنا وحريرتنا. اذ كيف سنتجرأ على طلب قائد آخر منكم مادنا لا نقوى على اعادة پيلويداس؟

وأجابهم الشيبون الى طلبهم. فعملوا له تشييعاً فخماً لا يساويه تشييع، كما كان رأي أولئك الذين لا يرون الفخامة في المواكب التي يزيناها الذهب والعاج والارجوان، كما فعل [فيلستوس Philistus]<sup>(٣٢)</sup> الذي أنفق ببذخ واسراف جنوني على جنازة [ديونيسيوس] فحتم بها طغيانه مثل خاتمة فخمة لمسرحية تراجيدية عظيمة. ولم يكتف [الاسكندر الكبير] عند وفاة [هيفيستيون Hephæstion] بجزّ أعراف خيله ويغاله، بل عمد الى هدم دعائم اسوار المدينة لتظهر أيضاً بمظهر الحداد وتبدو عند تشييعه كاسفة كئيبة عاطلة عن شكلها

(٣١) من تقاليد الحداد عند الاغريق.

(٣٢) هذا الكاتب خدم بالتتابع الديونيسييين جميعاً. وبعد ان هزم ديون آخر طاغية منهم قام بقتل نفسه.

الجميل. إلا أن مثل هذا التكريم الذي يجبر عليه الناس ويؤمنون به، إنما يشاركون فيه بمشاعر الحسد والغيط ممن خصصت لهم وبمشاعر السخط والكراهية لمن فرضها عليهم. فهذه ليست ادلة على الحب والاحترام وإنما مظاهر ترفٍ ومباهاة قوم البرابرة وغطرسة أولئك الذين يغدقون ثرواتهم على هذا العيب المقيت. وهذا رجل من طبقة العامة، يموت في بلاد الغربة ولا زوج أو ولد أو أقرباء بجانبه. تتنافس المدن فيما بينها دون ارغامٍ أو طلب بالخدمة والتشييع والدفن، على استباق أحداها الأخرى في إظهار ما تكنه من حب. إن هذا ليبدو خلاصةً وختاماً لحظّ سعيد. «فموت الرجل السعيد ليس أعظم فاجعة، بل أعظم بركة» كما قال [ايسوب Ae-sop] لأنه يضمن سعادتهم العظمى ويجعلها مبنأى عن تناول يد القدر. وانها وإيم الحق لنعم النصيحة، تلك التي تقدم بها ذلك السبارطي الذي عانق [دياغوراس Diagoras] (٣٣) المتوج بالغار في الالعب الاولمبية، وعاش ليرى أولاده واحفاده يفوزون فيها ويتوجون، قال له:

- ألا مت يا [دياغوراس] لأنك لا تستطيع أن يكون إلها!

ومع هذا لو وضعت انتصارات كل الالعب البيثية والاولمبية معاً، فمن ذا الذي يضاهاها بانتصار واحدٍ من انتصارات بيلوپيداس وكا أكثر ما حققه! لقد انفق حياته كلها في أعمال تقسم بالنبل واليسالة ومات بالأخير وهو القائد العام لقوات [بويوتيا] المسلحة للمرة الثالثة عشرة، وخرّ صريعاً وهو يقاتل ببأس لتقويض حكم طاغية، دفاعاً عن حرية الثساليين.

وكما أن موته أورت حزناً شاملاً، فانه عاد بالنفع أيضاً للحلفاء إذ لم يتأخر البيثيون ساعة عن الثأر له ما أن سمعوا بمصرعه ودفعوا بسبعة آلاف من الرجال وسبعمائة من الخيالة تحت قيادة [مالسيطاس Malcitas] و[ديوجيتون Diogiton]. فوجدا [الاسكندر] ضعيفاً لا يملك قوات، فارغمه على إعادة المدن التي استولى عليها. وسحب حاميته من بلاد المغنيزيين، وأخائي فثيوتيس، وأعطائه عهداً بمساعدة الثيبين ضدّ أي عدوٍ يشاؤون. وقد أرضى هذا التدبير الثيبين إلا أن العقاب ادرك الطاغية للشر الذي عمله، وانتقمت السماء لموت [بيلوپيداس] بالطريقة التالية: كان [بيلوپيداس] قد علم [ثيبي] زوج الطاغية بالأخاف المظهر الخارجي لقوة دفاع الطاغية واحتياطاته ما دامت تعيش هي بينها ولا تمنع من ولوجها. كما أنها كانت تخشى هي الأخرى تقلبات مزاجه، وتكره قسوته ولذلك ائتمرت به مع اخوتها الثلاثة [طيسفونس Tisiphonus] و[بيثولوس Pytholous] و[ليوكوفرون Lycophron]

(٣٣) دياغوراس هذا، انحدر من نسل هيراقليوس من خطّ [تليبوليموس] الذي كان حاكماً لرودس. وقد قتل امام اسوار طروادة. وكان موضوع النشيد الاولمبي السابع الذي نظمه الشاعر [بندار] ونقشه الرودسيون بماء الذهب فوق هيكل منيرفا في ليندوس Lindus.

فقاموا بالمحاولة التالية لقتله: كانت كل الأجنحة تملأ بحرس الطاغية ليلاً. إلا أن غرفة نوعهما كانت في طابق علوي، واما الباب كلب مقيد بسلسلة يقوم على حراستها وهو يهاجم كل انسان إلا الطاغية وزوجه والخادم الذي يطعمه. فلما قررت [ثيبي] اغتيال زوجها، عمدت الى اخفاء أخوتها طوال اليوم المقرر للعملية - في حجرة مجاورة. ودخلت هي على عادتها الى حجرة الاسكندر بمفردها وكان نائماً، وبعد قليل خرجت وطلبت من الخادم المختص أن يأخذ الكلب ويروح به لأن زوجها يريد أن يصيب نوماً هادئاً ثم انها القت صوقاً على الدرج لثلا تصدر اصوات من أقدام أخوتها اثناء صعودهم، ثم قادت أخوتها الى أعلى وهم شاكوا السلاح وتركتهم عند باب الحجرة ودخلت، ثم رجعت اليهم ويدها سيف الطاغية وكان معلقاً فوق رأسه، تأكيداً بأنه مستغرق في نومه. ولكن الخوف بدأ على الشبان، وظهر منهم صدور عن القتل. فتملكتهما سورة من الغيظ وراحت تفرعهم وأقسمت بأنها ستوقظ الاسكندر وتكشف له عن المؤامرة. وهكذا تقدمتهم والمصباح في يدها الى الداخل، وكانوا يشعرون بمزيج من الخوف والعار، وادانتهم من السرير فاسك أحدهم بقدميه وسحبه الآخر من شعره الى الخلف وطعنه الثالث طعنة قاتلة. ربما كان موته أسرع مما يجب. إلا أنه كان أول طاغية يقتل بمؤامرة زوجه. واهينت جثته وطرحت الى الخارج وأصبحت موطن اقدم أهل [فيري].

يبدو أنه تجرع ما تستحقه جرائمه الشنعاء.

مارچلوس

**MARCELLUS**

**(Marcus Claudius)**

268 \_ 208



قالوا أن [ماركوس كلودبوس] الذي تولى منصب قنصل الرومان خمس مرات، كان ابن [ماركوس] وهو الاول الذي لُقّب [مارجلوس] في أسرته وهو من لفظ Martial<sup>(١)</sup> : «عسكري» كما يؤكد [پوسيدونيوس Posidonius] وكان والحق يقال متمرساً في فنون الحرب لخبرته العسكرية الطويلة، قوي البدن، باطش الكف، ميلاً بطبعه الى مزاوله صناعة الحرب. ولا يبدو مزاجه الناري وطبعه العنيف إلا في المعركة وبصورة بارزة، وإلا فهو متواضع رقيق السمائل لين العريكة. واما وقوفه على العلوم اليونانية. والتهديب العقلي، فلا يرتفع الى أكثر من اعجابه وتقديره لمن تمرسوا فيها وبرعوا، ولم يكن هو بالذات قد أصاب منها حظاً يشبع به رغبته اليها، بسبب انصرافه الى مشاغله الأخرى العسكرية - فلو وجد في الدنيا أي من الرجال الذين قال عنهم هوميروس<sup>(٢)</sup> بأن السماء قد -

قدرت عليهم أن يخوضوا حروباً طاحنة ضروراً

منذ شرح الشباب حتى اراذل العمرا!

فهم على وجه التأكيد كبار الرومان في ذلك العصر. ففي مطالع شبابهم خاضوا الحرب ضد القرطاجنيين في صقلية. وفي ابان كهولتهم قاتلوا الغالين دفاعاً عن أراضي ايطاليا الاصلية. وأخيراً لما بلغوا سن الشيخوخة قادوا الكفاح ضد هنيبعل والقرطاجنيين<sup>(٣)</sup>. وازادوا في أواخر سني حياتهم ما كان مضموناً لمعظم الناس - أي الخلاص من متاعب الحرب ومشاقها، إلا أن مراتبهم ومواهبهم العظيمة كانت دوماً تستدعي انتدابهم للقيادة.

(١) الرومان مغرمون باتخاذ أسماء آلهتهم الكبار أسماء لهم ومن هنا جاءت أسماء: ماركوس، مارشيوس، ماميروس، مامركوس الخ...

(٢) الايلاذة ٨٦:١٤.

(٣) سن الخدمة العسكرية عند الرومان بمقتضى قانون [سرفيوس توليوس] يتراوح بين السابعة عشرة والسادسة والاربعين. وبعدها يعفى الروماني من أية خدمة عسكرية ولم يخرق هذا القانون إلا في الحرب الغالية كما ذكر فيما بعد. أما اللقيديمي فيظل خاضعاً للخدمة العسكرية حتى سن الستين. وتبدأ الخدمة العسكرية عند الاثنيين في الثامنة عشرة حتى الاربعين. ويقضي الاثيني السنين الاوليين في الدفاع عن المدينة. والخدمة في حاميات قلاع أتیکا.



وكان [مارجللوس] خبيراً في كل نوع من أنواع القتال، إلا أن تفوقه الأعظم هو في النزال الفردي، ولم يعلم عنه انه رفض تحدياً، أو قتل تحدياً إلا وقتل متحدية. وفي صقلية حمى أخاه [اوتاسيلوس Otacilius] وأنقذ حياته عندما طوقه الاعداء في إحدى المعارك. وقضى على كل من دانه. وبسبب هذه البطولة أهدى اليه قادة الجيش، وهو بعد صغير - تيجاناً وما ليها من جوائز التقدير. وبدأت سجاياه تتكشف أكثر فأكثر، حتى نصبه الشعب رئيس شرطة [كورول ايديل Curule Ædile] (٤) وعينه الكهنة بمنصب [عراف: Augur]، وهي طبقة من الكهانة أودع لها الشرع أساساً مهمة مراقبة دلائل النبوءات. وفي فترة توليه الشرطة الجأته حادثة مؤسفة الى رفع شكوى امام مجلس الشيوخ: كان ابنه [ماركوس] يتمتع بجمالٍ أخاذ، وهو في زهرة شبابه، وكان الاعجاب بذلك منه لا يقل عن الاعجاب بحسن اخلاقه. حاول زميل [مارجللوس] في الوظيفة الاعتداء على الشاب. وكان يدعى [كاپيتولينس Capitoli-nus] وهو رجل سيء الطباع وقح، فصدته الشاب عن نفسه أولاً، فلم يكف وتحرش به ثانية، فأبلغ اباه بالأمر. فأحترم مارجللوس غضباً وسخطاً وشكاه الى مجلس الشيوخ: فأستأنف المتهم الشكوى الى مفوضي [تربيونات] الشعب محاولاً بثسنى الحيل والمساعي أسقاط التهمة عنه. فلم يقبل هؤلاء بسط حمايتهم عليه، وعمد هو الى جب التهمة عن نفسه بالإنكار التام، ولما لم يكن في القضية شاهد عيان فقد وجد الشيوخ من اللازم احضار الشاب أمامهم. ولما رأوا خجله ودموعه، واحساسه بالعار، مقرونة بالسخط والقرف لم يعودوا بحاجة الى دليل آخر لأثبات الواقعة، وادانوا [كابتولينوس] وحكموا عليه بغرامة يدفعها للمشتكي. فصنع مارجللوس بها وعاء تقديم فضي واهداه للألهة.

بعد أن وضعت الحرب الهونية Punie (٥) أوزارها، وكانت قد امتدت عشرين سنة، ذرّ قرن

(٤) تشمل وظيفة الإيديل في عهد الجمهورية واجبات كثيرة وخطيرة فهو فضلاً عن مسؤولية في الاشراف على الالعب العامة، يقوم بوظائف مدير الاشغال العامة كما انه يراقب الأسواق وهو مسؤول عن ثبات الأسعار وتأمين القمح الكافي والمحافظة على المعابد. وتأتي هذه الوظيفة الرابعة في سلم المناصب الكبيرة التنفيذية [قنصل. بريطور. جنصور]. وقد استحدثت في العام ٣٦٦ ق.م كما تنقله التواريخ. وهي نوعان فما يدعى بـ Curulian Aedile. وما يدعى بـ Plebian Aedile ومدة الخدمة هي سنة واحدة.

(٥) يخطيء بـلوتارخ هنا في سرده الوقائع. فالجرب الفيونية الأولى دامت ٢٣ عاماً. اذ بدأت في ٢٦٢ ق.م وأنتهت في ٢٤٩ ق.م. وفي أثناء ذلك بقي الغاليون ساكنين لا يأتون بحركة ثم تحركوا بعد اربع سنوات وزحفوا نحو [ارمينيوم] إلا ان البوئي Boii الذين تمردوا على زعمائهم، أقدموا على قتل الملكين آتيس وGalates. وعلى أثر ذلك انقضّ الغاليون بعضهم على بعض فهلك عدد كبير، وقفل الباقون عائدنين الى بلادهم. وبعد خمس سنوات بدأوا يعدون لحرب جديدة بسبب التقسيم الذي أحدثه فلامينيوس في أراضي البيجنتس Pecintines التي انتزعت الغاليين السنين الذي يقطنون ما وراء الألب وقد استمرت الاستعدادات مدة طويلة. وبدأت الحرب بعد التقسيم بثماني سنين. وكان يقود الغاليين كل من =

الخطر الغاليي، وبدأ يقلق روما ثانية. وكان الاينسوريون Insubrians<sup>(٦)</sup> الأقوياء الذين يسكنون اصقاع الألب الدنيا من ايطاليا قد جندوا من الغاليين مرتزقة عرفوا باسم [غيساتي Gaesatae]<sup>(٧)</sup>، وكان من قبيل المعجزة وحسن الحظ النادر لروما، ان الحروب الغالية لم تتفق زمنياً والحرب اليونية. وان يظلّ الغاليون ساكنين بكلّ اخلاص. يقفون كالمترجمين بينما كانت نار الحرب اليونية مستعرة. كأنما تعهدوا لروما بالألّا يحركوا ساكناً، وان ينتظروا المنتصرين لمهاجمتهم! ولأنّ وبعد ختام تلك الحرب لم يعد ثم ما ينعمهم من الظهور على المسرح. على أنّ الوضع السياسي السائد، وشهرة الغاليين السالفة، أشاعت خوفاً ليس بالقليل في نفوس الرومان. لأنهم كانوا في سبيل خوض حرب قريبة الميدان من أرض الوطن، بل ضمن حدود البلاد. كما كانوا ينظرون الى القوم نظرة حذرٍ وتوجسٍ يفوق توجسهم من أي قوم آخرين، فذكرى استيلائهم مرة على عاصمتهم ما زالت ماثلة لأذهانهم. وبدأ خوفهم هذا واضحاً من القانون الذي استنوه وقتذاك وهو ينصّ على اعفاء الكهنة من كلّ الواجبات العسكرية إلا عندما تهدد البلاد بغزوات [غالية].

وبلغت الاستعدادات الرومان لهذه الحرب أقصى درجة (لم يؤثر سابقاً أو لاحقاً أن عبأ الرومان مثل هذا العدد من الفرق الكاملة السلاح كما عبأوا الآن). وكان هذا وقرباينهم الفاتكة للعادة دلائل واضحة على مبلغ خوفهم. فمع أنهم كالاغريق يمقتون الطقوس البربرية القاسية مقتاً شديداً، ويمتازون على سائر الشعوب الأخرى بمشاعرهم الوادعة المفضحة عن احترامهم للآلهة، لم يترددوا عندما داهمتهم هذه الحرب - في تطبيق نبوءات معينة وجدوها في «أسفار كسبيل» فعمدوا الى دفن رجل وامرأة يونانيين وهم أحياء<sup>(٨)</sup>. واتبعوهما بذكر وأنثى غاليين - في سوق يدعى «سوق الوحوش». وأستمروا الى يومنا هذا يقدمون الى هؤلاء الارباب الضحايا الأربع خلال مراسيم دينية معينة في شهر تشرين الثاني من كل سنة.

وكانت الحرب سجلاً بين الفريقين في مبدئها. يحرز الرومان أحياناً انتصارات باهرة، ويصابون أحياناً بهزائم منكرة. ولم يتقرّر النصر التام لأحدٍ في هذا الكفاح حتى نصب [فلامينيوس Flaminius] و[فيرويوس Furius] قنصلين، فساقا جيشاً لجباً على [الانيسوريين]. وشوهد النهر الذي يجري في إقليم [پيسنوم Picenum] عند رحيلهما -

= كونغوليتانس و أنيرويتس اثناء تولي [ايميليوس پاپوس و ايتيلوس ريكولوس منصب القنصلية في العام ١٢٤ ق.م [انظر پوليبوس ٩٠٢ و لفي ٣٥:٢٢].

(٦) اي الميلاتيون.

(٧) ربما لقبوا بهذا من نوع اسلحتهم.

(٨) فعلوا مثل هذا ثانية في الحرب الفونية الثانية [لفي ٥٧:٢٢].

وهو طافح بالدم. وذكر انه شوهدت اقماراً ثلاثة دفعةً واحدةً في [ارمينيوم Ariminum]. وفي اجتماع قنصلي بروما اعلن الكهنة العرافون أن انتخاب القنصلين لم يكن شرعياً، وليس مما يتفق والنبوءات التي تنذر بشؤم تنصيبهما. فعجل مجلس الشيوخ بارسال كتب الى المعسكر باستدعاء القنصلين الى روما بأسرع ما يمكن وأمرهما بالامتناع عن الاشتباك مع العدو، والتنازل عن منصبهما القنصلي وفي أول فرصة جيء بهذه الكتب الى [فلامينيوس] فأرجأ فضها، حتى كسر العدو<sup>(٩)</sup> وطارد قواتهم وتوغل وراء حدودهم وأجتاح بلادهم وعات فيها سلباً. إلا أن الشعب لم يخرج لاستقباله عند عودته مثقلاً بمقادير ضخمة من الغنائم. لأنه لم يُطع في الحال الأمر الذي ورده بالعودة، بل لم يكثرث به وازدراه. وكادوا ينكرون عليه حقه بموكب النصر. ولم نيته الاحتفال به حتى عزلوه هو زميله عن الحكم وانزلوهما الى مرتبة المواطن العادي. هكذا كانت تصرف كل الأمور في روما، بالاعتماد الكلي على الدين. فلا يسمحون بأي استصغار يوجه الى العرافة وطقوس القدماء، مهما كانت تصيب الامور المنهي عنها - من النجاح الكبير. وراح بهم الوهم الى أن احترام الحكام لارادة الآلهة هو أهم واجدى للسلامة الوطنية من قهر الاعداء. كان [طيباريوس سمپرونيوس Tiberius Sempronius] الذي وضع الجمهور سجاياه وأستقامته في أرفع منزلة، قد نصب [سيبيو ناسيكا] و[كايبوس مارشيوس Caius Marcius] قنصلين ليخلفاه، فخرجا كل الى الاقليم الذي عين فيه. ثم أن [طيباريوس] هذا بينما كان ينقّب في كتب الطقوس الدينية اذابه يقع على شيء كان يجله وهو هذا: عندما يريد أي قنصل ان يقوم باستخارة، فانه يجلس في بيت أو خيمة تكترى له خارج المدينة، فاذا استدعاه أمر عاجل الى المدينة قبل ان يشاهد علامة ما، فعليه أن ينتقل الى خيمة أو بناء آخر عند عودته ليتابع منه المراقبة. ويظهر أن [طيباريوس] جهلاً منه، استخدم البيت نفسه مرتين قبل اعلانه تعيين القنصلين الجديدين.

ولما أدرك خطأه فاتح به مجلس الشيوخ، ولم يمرّ المجلس بهذه الهفوة البسيطة مرور الكرام بل عجل بالكتابة عنها لكل من [سيكيبو ناسيكا] و[كايبوس مارشيوس]، فتركا اقليميهما وعادا فوراً الى روما ونزلا عن منصبيهما. حصل هذا في فترة متأخرة<sup>(١٠)</sup>، وفي حدود ذلك الزمن أيضاً سحبت وظيفة الكهنوت من رجلين ذوي مكانة رفيعة جداً هما [كورنيلوس جيتيگوس Cornelius Cethegus] و[كونيتوس سولپيشيوس Quintus Sulpicius]. عزل

(٩) لا يعود الفضل له بالنصر [ليفي ٦٣:٢١] فقد دخل المعركة والنهر وراءه ولم يكن للجنود مهرب غير العمل على دحر العدو. ويعود الفضل بالحقيقة الى التربيونات الذين لجأوا الى فنون عسكرية يشرحها ليفي بتفصيل. لقد اندحر (فلامينيوس) هذا أيام هنييل في معركة تريبييا Trebia العام ٢١٦ ق.م.

(١٠) ستون سنة.

أولهما لأنه لم يرفع احشاء اضحية مذبوحة، بصورة صحيحة. ونُحي الثاني لأن الطاقية المهذبة التي يلبسها كهنة الأرباب أمثاله [فلامين Flamen] سقط من رأسه اثناء قيامه بذبح الأضحية. و[مينوشويس] الدكتاتور الذي كان قد عين [كايوس فلامينوس] أمراً للخيال عزلوه هو ومن عينه عن القيادة لأن صوصأة فأرة سُمعت! وبصرف النظر عن اهتمامهم الشديد بمثل هذه الصغائر التافهة، فإن هذا الحرص لم يؤد بهم الى الشعبذات والاهام لأنهم لم ينحرفوا بها أو يغالوا عن أسلافهم في تطبيقها.

ما أن استقال [فلامينيوس] وصاحبه من منصب القنصلية، حتى قام الضباط المترسبون المعروفون باسم [انترركس Interrex] <sup>(١١)</sup> باعلان [مارجللوس] قنصلاً وما ان تسلم مقاليد السلطة حتى أختار [كنيوس كورنيليوس Cnaeus Cornelius] زميلاً له. وقيل أن الغالين أقتروا عقد صلح، وكان مجلس الشيوخ ميالاً الى السلم كذلك، لكن [مارجللوس] حمس الشعب للحرب. على أن الظواهر تشير الى ان الطرفين أتفقا على الصلح لكن مرتزقة الكيساتي، نقضوه بعبورهم الألب واثارتهم الاينسوريين (كان عدد الكيساتي، ثلاثين ألفاً فقط، بينما تجاوزهم الاينسوريون بكثير) وزحفوا وهم معتدون بقوتهم - نحو [أجيري Acerrae] <sup>(١٢)</sup> وهي مدينة تقع شمال نهر البو، ومنها أندفع ملكهم [بريتومارتوس Brito-martus] عشرة آلاف منهم يجتاح الاراضي المحيطة بها. فبلغت الانباء [مارجللوس] فخلف زميله عند [اسيري] تاركاً معه المشاة وكلّ الأسلحة الثقيلة وثلت وحدات الخيالة وأخذ بقيتها وستماتة من المشاة الخفيفة وراح يغذ السير ليلاً ونهاراً دون استراحة ولم يقف حتى أدرك هؤلاء العشرة آلاف بالقرب من قرية غالية تدعى [كلاستيديوم Clastidium] <sup>(١٣)</sup> كانت قد ضمت الى ملك الرومان منذ وقت قصير. ولم يتسن له فاصل زمني لإراحة، جنوده واستجمامهم الا أن البرابرة انتهبوا اليه حالاً واستخفوا به لقلّة مشاته. وكان الغاليون أحذق من ركب من امتطى الخيل - لذلك ايقنوا بالغلبة ولاسيما وان تفوقهم العددي على مارجللوس كبير جداً فلم يأبها وعاجلوه الهجوم، وملكهم على رأسهم كأنما يريدون وطئه تحت سنايك

(١١) أو [انترريكس Interreges] وهؤلاء هم ضباط يتم تعيينهم في فترة خلو الدولة من الموظفين الاجرائيين كما يدل عليه معنى الكلمة اللاتينية المركبة «بين الحاكمين». ويكون واجبهم دعوة الجمعية العامة لانتخاب الحكام الجدد من قناصل وهلم جراً. وقد استحدث المنصب زمن الملكية وبقي في عهد الجمهورية ولم يلبغ.

(١٢) بلدة ما بين مدينتي ميلان وپلاجنيتيا. قريبة من نقطة اتحاد نهري (ادأ) و(بو) كان الرومان يحاصرونها في حين زحف الغاليون لفق الحصار عنها. لكن ما لبثوا ان تبينوا عجزهم فعبروا نهر البو بجزء من عسكريهم والقوا الحصار على [كلاستيديوم] لتحويل الضغط وتخفيفه عن اجيري. [پوليبيوس، ليقي ٥٢:٢٠].

(١٣) يضعها ليقي في ليكوريا مونتانا.

خيلهم، وهم يهددون بما سيرتكون من الفظائع والوحشية. عمد [مارجللوس] الى نشر جناحي خيالته وركب الى المشاة ومدّ في جناحيهم طولاً حتى بلغ جبهة العدو، وقد لجأ الى هذا بسبب قلة جنوده وخوفاً في حركة التفاف يقوم بها العدو يستهدف بها الهجوم عليهم من سائر الجهات. وفيما هو بهم بالدوران لمواجهة العدو، أجفل حصانه لمنظر الغاليين المرعب وصيحاتهم، ونكص على عقبيه مرغماً راكبه على التنحي الى جانب، وخشي [مارجللوس] أن يفسر جنوده الحادثة تفسيراً سيئاً ويتخذوها فألاً نحساً فتثبط عزائمهم، أسرع يدير حصانه ليواجه العدو.

وأتى بحركة بدأ فيها وكأنه يصلي للشمس وانه لم ينكص دائراً على عقبيه بمحض الصدفة بل لغرض الدعاء. اذ كان من عادة الرومان أن يدوروا على أعقابهم عندما يرفعون الصلاة للآلهة. وفي هذه اللحظة التي كان سيصطدم فيها بالعدو قيل انه نذر خير السلاح [لجوبيتر فيريترىوس Jupiter Fertrius].

تطلع ملك الغال الى [مارجللوس] فخمّن أنه الجنرال، من شعار السلطة الذي يتقلده فتقدم مسافة عن جيشه المهيأ للالتحام وتحده للنزال بصوت عال ملوحاً برمحه وهمز جواده فأطلق به نحوه كالعاصفة، وكان أفرع هامة من سائر الغاليين وبرزهم بدروعه المحلاة بالذهب والفضة ومختلف الألوان وهي تلمع كالبرق الخاطف. وبدت هذه الدروع لمارجللوس وهو يستعرض جيش العدو المصطف للمعركة، خير دروع وأجملها وحسبها تلك التي نذرها لجوبيتر، فأسرع نحو الملك وخرق درع صدره بطعنة رمح ثم أخذ يشدّ عليه بثقل حصانه حتى القاه على الأرض وعاجله بضربتين أو ثلاثٍ أخرى فقتله. وترجل في الحال ووضع يده على سلاح القتيل وشخص ببصره الى السماء وتكلم بالآتي:

- يا [جوبيتر فيريترىوس]، يا حكماً في بطولات القادة، وأعمال الجنرالات في الحرب وفي المعارك، كن شاهداً بأنّي أنا جنرال، قتلت جنرالاً. أنا فنصل قتلت ملكاً بيدي هاتين، فكنت الثالث من الرومان في هذا. واليك أقدم أول وأفضل الغنائم؛ هب لنا القدرة على انها بقية هذه الحرب بهذا الحظّ المواتي نفسه.

ثم زجت الخيالة نفسها في المعركة ضدّ فرسان العدو ومشاتهم الذين هاجموها ونالوا نصراً فريداً لم يسمع بمثله. إذ لم يحدث من قبل ومن بعد ان هزمت فئة قليلة من الخيالة هذا العدد الكبير من المشاة والفرسان معاً. لقد قتل من العدو عدد كثير. وجمعت الغنائم، وعاد [مارجللوس] الى زميله<sup>(١٤)</sup> الذي كان يدير الحرب بدون توفيقٍ ضدّ العدو وبالقرب من

(١٤) في غياب مارجللوس اتّم زميله سكيبيو الاستيلاء على (اجيري) ثم زحف على ميديولانوم والقي عليها =

[ميلان Milan] أعظم مدن الغاليين وأحفلها بالسكان، وكانت عاصمتهم ولذلك راحوا يدافعون عنها باستماتة وبسالة، حتى بدأ وكأنهم يحاصرون [كورنيليوس] أكثر مما يحاصره هو. ويعودة مارچلوس وانسحاب الكيساتي فور سماعهم بمصرع ملكهم واندحار جيشه، انقلبت الآية وتم الاستيلاء على ميلان<sup>(١٥)</sup>. ونزل الغاليون عن بقية بلدانهم وكل ما يملكون طواعيةً. وعقد صلح بين الطرفين بشروط عادلة.

وأعطى [مارچلوس] وحده حق الدخول بموكب النصر بمرسوم صادر من مجلس الشيوخ. وكان الاحتفال فخماً، باذخاً، مدهشاً بغنائم الحرب واجسام الأسرى الجبارة وهم يقادون. إلا أن المنظر الأروع والأندر كان الجنرال نفسه وهو يحمل سلاح الملك البريري إلى الرب الذي نذر لها. أتخذ عموداً خشبياً طويلاً مستقيماً من البلوط وهذبه وشذبه على هيئة نصبٍ وعلق عليه دروع الملك واليسه وسلاحه واضعاً كل قطعة منها في مكانها المناسب، وسار به الموكب مهيباً وهو يحمل النصب وصعد العجلة ودخل المدينة ليبدو صورة لأروع نصر، ومشى خلفه الجيش وفق النظام العسكري وهو مزدان بدروع براقعة صقيلة. ينشد قصائد نظمت بالمناسبة ويترنم بأغاني الظفر أشادة بمدح جويتري، وجزالهم، ثم دخل [مارچلوس] معبد [جويتري فيريتريوس] وقدم هويته وهو على ما نعلم ثالث من فعل هذا وآخرهم. الأول كان [رومولوس] بعد قتله [كرون] ملك [الكينيين] والثاني كان [كورنيليوس كوسوس] الذي قتل [طولميوس] الاتروسكاني، وثالثهم مارچلوس الذي صرع [بريتومارتوس] ملك الغال، وكان فيه مسك الختام، ان الرب الذي قدمت له هذه الغنائم يدعى [جويتري فيريتريوس] ومن الغنائم التي حملت على القطب: Feretrum. وهي إحدى الكلمات اليونانية التي كثر استعمالها في ذلك الزمن في اللغة اللاتينية. أو هي كما يقول بعضهم لقب «جويتري ذي الرعود» مشتقاً من كلمة «Ferire». أي «الضرب» وهناك من يقول أنها مشتقة من «الضربات» التي تكال في القتال. ففي اثناء المعارك حتى يومنا هذا - ينادى المشتبكون في القتال أحدهم الآخر عند ضغطهم على العدو: «أضرب» وهي باللاتينية Feri. وبالغنائم يطلقون عليها عموماً اسم Spolia، وبصورة خصوصية: «Opima»، وان يقولوا أن [نوما بومبيليوس] ينوّه في تعليقاته بصنف أول وثان وثالث من الغنائم التي يسميها Spolia Opima. ويذكر الصنف الأول الذي يتم أغنتامه موقوف على [جويتري فيريتريوس] والثاني مخصص [لمارس] والثالث [لكويرينوس]. وان المكافأة عن الأول ثلاثمائة أسي Asses، وعن الثاني مائتان وعن ثالث

= الحصار [بوليبوس المرجع نفسه، ليقي ٢٠:٥٤].

(١٥) استسلمت كونوم وهي مدينة هامة. وبذلك غدت كل ايطاليا رومانية صرفة من جبال الألب الى البحر الأيوني.

مائة. والمفهوم العام السائد على كل - هو ان تلکم الغنائم لا تكون «أوبيما» إلا اذا وقعت في يد القائد العام أول غنيمة في معركة حاسمة وبشرط أن تسلب من القائد العام للعدو على أن يُصرع بيد قائد العدو.

ارتاح الرومان بالنصر وختام الحرب ايما ارتياح. وبلغ بهم السرور الى حد ارسالهم دليل امتنانهم من [اپوللو دلفي] كأساً ذهبية زمنتها مائة پاوند على سبيل الهدية ووزعوا جانباً كبيراً من الغنائم على حليفاتهم من المدن. وحرصوا على ارسال عدد كبير من الهدايا الى [هيرو Hiroe] ملك السيراكوزيين صديقهم وحليفهم.

لما غزا [هنيبعل] ايطاليا، أرسل [مارچلوس] الى صقلية على رأس عمارة بحرية. ولما هُزم الجيش الروماني البري في كاني Cannæ وهلك من جنوده بضعة آلاف، ونجّت القلة منهم بالفرار الى كاموزيوم Canusium وخشي الجميع أن يقدم هنيبعل على الزحف نحو روما فوراً بعد سحقه الجيش الروماني، وبعث مارچلوس أولاً الفأ وخمسائة من جنوده لحماية البلدة ثم سار الى [كانوزيوم] بأمر صدر اليه من مجلس الشيوخ، بعد أن بلغه تجمّع كثير من الجنود الغارين وقلول الجيش المهزوم داخل تلك المدينة، ونجح في سحبهم خارج الاستحكامات وانقاذهم حائلاً دون قيام العدو بنهب تلك الانحاء. وكان معظم جنرالية الرومان قد صرعوا في ساحة القتال وفي اثناء المعارك، وارتفعت شكوى الأهالي من طريقة ادارة الحرب، قائلين ان حذر [فابيوس ماكسيموس] المتناهي هو أشبه بالجمود والاحجام، وان كان يُعد نظره وصواب احكامه مما رفعه الى اسمى درجة من التقدير عند المواطنين، وكانت ثقتهم في ابعاد الخطر عنهم لأحد لها، إلا أنهم ما كانوا يتوقعون منه أن يرد الكيل بكيل، ولذلك اتجهوا بافكارهم الى مارسلوس، يحدوهم الأمل في أن تقرن جرأته وعزمته وفورية اجراءاته بحذر فابيوس وفطنته، وأن يُطعم أحدهما بالآخر. فراحوا يدفعون بهما الى العدو معاً أحياناً بسلطة القنصل القائد لكليهما، وأحياناً بوظيفة [قنصل] لأحدهما، وبمنصب [پروقنصل] للآخر. وذكر [پوسيدونيوس] أن [فابيوس] لُقّب بدرع روما، ولقّب [مارچلوس] بسيفها. وما هو ثابت أن هنيبعل أقرب بأنه يخشى فابيوس كما يخشى معلماً. ويخشى مارچلوس كما يخشى خصماً، يخاف من الأول لئلا يردعه عن خلق تشويش وفوضى، ويخاف الثاني لئلا يلحق به أذى.

في مبدأ الأمر بينما كان جنود هانيبال ثملين بخمرة انتصاراتهم، لا يقيمون أي وزن لقوة العدو، وقد بلغ اعتدادهم بأنفسهم حداً كبيراً، راح [مارچلوس] يهاجم فصائل السلب المغيرة التي كان يطلقها العدو، ويغير على ساقته في المؤخرة فيبيدها واحدة بعد الأخرى، وبهذا كان يُنقص من قوات خصمه شيئاً فشيئاً. ثم قدّم العون الى [الناپوليين Neapolitans] وأهالي

[نولا Nola]. فاستقرت أحوال الأولين الذين كانوا مخلصين في حلفهم مع الرومان في الواقع، لكنه وجد النولانيين مختلفين منقسمين على أنفسهم ولم يكن الشيوخ قادرين على ممارسة الحكم ومباشرة العامة، لأن هؤلاء كانوا بصورة عامة منحازين الى جانب هنيبعل. وكان في المدينة شخص يُدعى [بانتيوس Bantius] <sup>(١٦)</sup> وهو رجل مشهود له بالأسس وشرف المحتد، أبلى بلاءً مرَّاً في معركة [كاني] وفتك بعدد كبير من الاعداء، ثم وجد مدفوناً تحت اكداس من جثث القتلى تغطي جسده الرماح والأسنة فجيء به الى هنيبعل فأحتفى به واکرامه غاية الإكرام ولم يكتف باخلاء سبيله دون فدية، بل آخاه واستضافه، فأنقلب نصيراً من أقوى انصار [هنيبعل] عرفاناً منه بجميله الكبير. وأنشأ يحرض الناس للانتقاض على الرومان، وراحت المساعي المبذولة لحمل [مارچلوس] على قتله عبثاً نظراً لما يتمتع به من مكانة وشهرة، ولاحتماله شتى الأخطار في القتال الى جانب الروما. وكان مارچلوس شديد الثقة بقدرته على استمالة شخصية كهذه جبلت بمعدن الشرف، بما طبع عليه من مزاج رقيق وسحر وجاذبية في حديثه وفي ذات يوم التقى [بانتيوس] فحيَّاه هذا، فسأله [مارچلوس] متجاهلاً عن من يكون؟ ليس لأنه لا يعرفه، بل ليتخذ من ذلك ذريعة لمجاذبته اطراف الحديث. فأفصح [بانتيوس] عن اسمه وكنيته فافتعل [مارچلوس] الدهشة المشوبة بالسرور والاعجاب <sup>(١٧)</sup> وقال:

- أفانت هو [بانتيوس] الذي لهج الرومان بمديحه، وخصوه بثناء فاق ثناءهم على كل من حارب في [كاني]، بوصفه البطل الذي ظلّ ملازماً [پاولوس اميلیوس] ولم يتخلّ عنه، لا بل تلقى بصدرة الرماح التي كانت موجهة اليه؟

فأقرّ [بانتيوس] بأنه هو بعينه وكشف عن ندوبه. فقال له [مارچلوس]

- فلماذا إذن تشرفني بزيارة عند أول قدومي؛ وتلك هي براهينك على محبتك بنا؟ اترانا نحجم عن ردّ الفضل لمن يستحقونه ولاسيما أولئك الذين أكرمهم اعداؤنا بالذات؟  
واتبع مجاملته هذه باهدائه حصان قتال ومبلغاً قدره خمسمائة دراخما. فانقلب [بانتيوس] لساعتها نصيراً من أخلص انصار مارچلوس. ونشط في الكشف عن كل من يعمل على الدس والفتنة.

وكان هؤلاء الدساسون من الكثرة بحيث دبروا مؤامرة واسعة تهدف الى سلب ائقال الجيش الروماني وامتعته حال قيام هؤلاء بحملة على العدو، لذلك قام [مارچلوس] بتدابير أمن

(١٦) أو بانديوس Bandius.

(١٧) أنظر سيرة [فابيوس ماكسيموس].



وحماية داخل المدينة، ووضع أمتعة الجيش في أمكنة قريبة من ابواب المدينة. وأصدر أمراً رسمياً بحظر اقتراب النولان من الأسوار. وبهذا لم يعد يُرى سلاح في المدينة من الخارج. وهكذا استدرج هنيبعل للتحرك نحو المدينة بجيشه الذي كان يتخلله بعض الفوضى، متوهماً أن المدينة تموج بالاضطراب. وعندئذ أمر مارچلوس بفتح أقرب بابٍ وخرج للهجوم بنخبة من خيالته من الامام، وتبعه المشاة بالهجوم من بابٍ ثانٍ<sup>(١٨)</sup> وهم يصيحون. ثم فتح الباب الثالث اثناء ما كان هنيبعل يصدّ الهجومين بجزء من جيشه، واندفعت منه بقية قوات [مارچلوس]، ووثبوا من جميع الجهات على العدو الذي خارت عزائمه بفعل المباغتة وكانت مقاومتهم ضعيفة لمن هاجمهم بالأول بسبب عنف الهجوم التالي عليهم من القوات الأخيرة. وهنا هُزم جنود هنيبعل وطوردوا حتى معسكرهم بعد أن خسروا كثيراً من القتلى والجرحى وهي أول مرة يولون أديارهم للرومان. وقيل أن أكثر من خمسة آلاف منهم سقطوا صرعى في هذه العملية، بينما لم يتجاوز خسائر الرومان خمسمائة قتيل، على أن المؤرخ ليقي لا يؤيد أن نصر الرومان كان كبيراً ولا الخسارة التي مني بها العدو بلغت هذا المبلغ. ومهما يكن فلا جدال في أن هذه المعركة رفعت كثيراً من منزلة مارچلوس وأنعشت معنويات الرومان بعد النكبات السالفة، وأحييت الثقة في أنفسهم بدرجة كبيرة إذ بدأ الأمل يداعبهم في أن العدو الذي يكافحونه من الممكن أن يغلب، وانه عرضة للهزيمة مثلهم.

ولذلك استدعى الرومان [مارچلوس] إثر وفاة القنصل الآخر<sup>(١٩)</sup> ليعملوا على نصبه في محله، وتمكنوا رغم معارضة الحكام في ارجاء الانتخابات لحين قدومه<sup>(٢٠)</sup>، فعلاً ثم انتخابه باجماع الأصوات، ولكن اتفق أن أرعدت الدنيا في تلك الساعة، فأفتى الكهنة العرافون بأن انتخابه لم يكن شرعياً، فهو باطلٌ ألا أنهم لم يجروا على إعلان قرارهم رسمياً، خوفاً من الشعب<sup>(٢١)</sup>، فنزل [مارچلوس] عن القنصلية من تلقاء نفسه مستقبلياً قيادته على كلِّ، ثم

(١٨) عن هذه الهجمات وأثرها يزودنا ليقي [١٦:٢٢] بمعلومات متواضعة هي أقرب الى المنطق والمعقول.  
(١٩) القنصل المتوفى هو [پوستيموس الينوس] الذي قضى عليه قوم بوئي Boii وكل جيشه البالغ خمسة وعشرين ألفاً داخل غابة واسعة الرياح يطلق عليها الغاليون اسم (ليتانا). ويبدو أنهم قطعوا كلّ الأشجار القريبة من الطريق الذي كان الجيش الروماني سيسلكه، وبشكل يمكنهم معه من مباغتة دون أن يتوقع ذلك (ليقي ٢٤:٢٣). وقد جعل الغاليون من جمجمة القنصل وعاء للشراب يستخدمونها في أعيادهم. وقع نل بعد معركة (كاني) باشهر قليلة.

(٢٠) شك العامة بأنه ازيح عن الطريق عمداً بفعل مجلس الشيوخ.

(٢١) كان مارچلوس من الطبقة العامة (الپليبيان) الذين يقال لهم باللاتينية Terra Pili ابناء الأرض، وكذلك كان القنصل الزامل (سمپرونوس) ولم يكن الپاتريشي مرتاحين لوجود قنصلين من الطبقة العامة انكرت صحة النبوة. لكن مارچلوس أظهر نفسه رجلاً حريصاً على النظام الجمهوري فرفض شرفاً لم يجمع عليه المواطنون كافة.

نُصب [پروقتصلاً] وعاد الى مقر قيادته في [نولا]. وراح يضيق الحناق على المواليين<sup>(٢٢)</sup> للقرطاجيين ولما أقبل هؤلاء مسرعين لنجدتهم أبى مارچلوس قبول تحديهم والدخول في معركة فاصلة، ولكن عندما أرسل هنيبعل جماعات للسلب وزايله كل توقع للقتال<sup>(٢٣)</sup>، باغته [مارچلوس] بجيشه، وكان قد زوّد جنوده المشاة برماح طويلة مما يستعمل عادة في قتال البحر ودرّبهم على قذفها بقوة عظيمة الى مسافات مناسبة نحو العدو الذي لم يكن لديه اية خبرة بهذا الأسلوب في القذف وتعود القتال بسيوف قصيرة، ملتحمًا بعدوه التحام اليد باليد<sup>(٢٤)</sup>. والمعتقد أن هذا هو السبب الذي أدى الى اندحار القرطاجيين المشاركين في المعركة اندحاراً تاماً وفرارهم أثر ذلك وتركهم خمسة آلاف قتيل<sup>(٢٥)</sup>، وموت أربعة فيلة وغنيمة اثنين؛ لكن أعظم انتصار له، كان بعد ثلاثة ايام من هذه المعركة، حين أقبل أكثر من ثلاثمائة فارس إسباني ونوميدي يعلنون انفصالهم<sup>(٢٦)</sup> عن جيش العدو والانضمام اليه، وهي ضربة موجعة لهنيبعل لم يتلق مثلها حتى ذلك اليوم، فقد عرف دوماً بمقدرته الفائقة في تحقيق الانسجام والوثام بين جيشه البربري المؤلف من أقوام مختلفة ذات طبائع متنافرة، وأفاد مارچلوس وخلفاؤه<sup>(٢٧)</sup> في هذه الكتبية خدمات جليلّة مخصصة في الحروب التالية.

وأختير قنصلاً للمرة الثالثة، وأرسل بحراً الى صقلية<sup>(٢٨)</sup> لأن نجاح هنيبعل شجع القرطاجيين على الادعاء بالجزيرة كلها. والسبب الرئيس في ذلك، هو أن الفوضى والاضطراب عمّا سيراكوز بعد قتل [هيرونيموس]<sup>(٢٩)</sup> طاغيتها، فألجأ الرومان في الوقت نفسه الى ارسال قوة برية نحو المدينة بقيادة [أبيوس]<sup>(٣٠)</sup> الپريتور. وبينما كان مارچلوس

(٢٢) وهم الهيريني Hirpini والسامنيّة Samnite. (المرجع السالف ٤٢).

(٢٣) قبل هذا بأربعة ايام كان ثم معركة طاحنة أمام اسوار مدينة (تولا) كادت تكون من الحواسم القواصل لولا أن حالت العاصفة بين الفريقين فانكفأ بعض عن بعض (المرجع نفسه ٤٤).

(٢٤) كانت سيوف المقاتلين الأقدمين قصيرة بصورة عامة ويشمل ذلك سيوف الرومان والسهارطيين والقرطاجيين والغاليين... الخ.

(٢٥) وأكثر من هذا. فضلاً عن اسر ستمائة منهم. وخسارة تسعة عشر لواءً. اما الجانب الروماني فلم تزد خسائره عن الألف [ليقي ٢٣-٤٦].

(٢٦) يجعلهم ليقي ١٢٧٢، لذلك قمن المحتمل اننا نستطيع قراءة هذه العبارة بزيادة لفظة ألف.

(٢٧) هزم مارچلوس [هنيبعل] امام تولا للمرة الثالثة. ولو ان كلوديوس نيرو الذي بعث به لمهاجمة القرطاجيين من الخلف وصل في الوقت المناسب لعوض عن الخسارة التي الحقت به في (كاني).

(٢٨) في ٢١٢ ق.م.

(٢٩) وثب رعية (هيرونيموس) عليه ففتكوا به في [ليونتيوم]. وهذا هو ابن كيلو Gelo وحفيد هيرو. توفي (هيرو) قبل ابيه الذي عمّر تسعين عاماً. وهيرونيموس الذي لم يتم الخامسة عشرة عند وفاة جدّه، قتل بعد بضعة أشهر. وهذه الوفيات الثلاث وقعت في نهاية السنة السابقة لقنصلية مارچلوس الثالثة (ليقي ٢٤، ٤-٧).

(٣٠) ارسل [أبيوس كلوديوس] قبل مقتل هيرونيموس.

يستقبل هذه القوة، بادر عدد من الجنود الرومانيين الى القاء انفسهم على قدميه مستعطفين، هذا العمل كان يمت بصلة الى النكبة التي سنورد وقائعها فيما يلي:

كان من نتائج معركة [كاني] أن عدداً من الجنود نجوا بفرارهم، ووقع عدد آخر في اسر العدو. وكانت الخسارة فادحة والعدد كبيراً حتى ظن أنه لم يبق ما يكفي من الرومان للدفاع عن سور المدينة.

ومع هذا فقد أبت كبرياء المدينة، ورسوخ عزمها أن تفتدي أسرى الرومان من هنيبعل رغم تفاهة مبلغ الفدية، وصدر قرار من مجلس الشيوخ بحظر ذلك مفضلاً أن يقتلهم العدو أو يبيعهم رقيقاً خارج ايطاليا، كما أمر أن ينفى الى صقلية كل من فرّ ناجياً بنفسه ولا يسمح لهم بالعودة الى ايطاليا حتى نهاية الحرب مع هنيبعل، هؤلاء الفارون المبعدون توجهوا الى مارچلوس فور وصوله صقلية والقوا بانفسهم على قدميه، طالبين منه، بكثير من التوسل والبكاء أن يعيد اليهم شرفهم بقبولهم في الخدمة ووعدوه أن يثبتوا باخلاصهم وتفانيهم وحسن بلائهم في المستقبل بأن الهزيمة التي حلت بهم كانت اليد الطولي فيها الى معاندة الحظّ وليس مبعثها جبنهم. وكان عددهم كبيراً، فأشفق عليهم مارچلوس وعرض مسألتهم على مجلس الشيوخ مقترحاً أن يمنح صلاحية غير مشروطة بزمان أو مكان بقبول تطوعهم وتأليف فرقة منهم. وبعد أخذ وردّ طويلين، أصدر المجلس قراراً مفاده أنه لا يرى خيراً للجمهور في خدمة جنود جبناء. أمّا اذا رأى [مارچلوس] خلاف هذا فلا بأس أن يطوعهم، شريطة ألا يحظى أحد منهم بأي تكريم في أية مناسبة، ولا يعطى تاجاً أو جائزة عسكرية أو مكافأة عن اي عمل بطولي أو شجاعة يبديها. وقد حزّ هذا القرار في نفس [مارچلوس] حزاً. حتى انه انبأ مجلس الشيوخ عند عودته الى روما بعد انهاء الحروب الصقلية. وعاتبهم لأنهم انكروا عليه حرية التصرف في التفريج عن كربة المواطنين العظيمة، وهو الرجل الذي يستأهل الكثير من الجمهورية.

واراد [هيپوقريطس] قائد السيراكوزيين أن يقدم برهاناً على ولائه للقرطاجيين، ولينصب من نفسه حاكماً مستبداً على البلاد، فعمد الى قتل عدد من الرومان في مدينة [ليونيتني]. فشارت ثائرة [مارچلوس] وحاصر المدينة واستولى عليها عنوة. ولم يتعرض لأي من سكانها بسوء، إلا أنه قبض على الفارين من الجيش، وأوقع بهم عقوبة «العصي والفأس». فما كان من هيپوقريطس إلا ونشر نبأ كاذباً في سيراكوز، زعم فيه أن مارچلوس أعمل السيف في رقاب كل البالغين من سكان المدينة. ثم انه جاء الى سيراكوز التي كانت تضجّ بالويل والثبور وتتلظى سخطاً لما أشيع عن مارچلوس فبادرت الى نصبه سيّداً لها. فتحرك مارچلوس بكلّ قواته نحو المدينة وعسكر بالقرب من أسوارها وبعث بوفد الى سكانها ليكشفوا لهم عن

حقيقة الأمور في [اليونيتني]، فلم يتوصلوا الى تفاهم لأن السلطة كانت مركزة بيد [هيپوقريطس] (٣١) ولا شأن للأهالي بها. فباشر هجومه على المدينة من البرّ ومن البحر. وكان لواء القوات البرية معقوداً [لأبيوس]، أمّا هو، فشرع يهاجم الأسوار من جهة البحر بستين بارجة من ذوات الاطناف الخمسة. وكانت مجهزة بكل أنواع السلاح والقاذفات ويجسر ضخّم من اللواح مركب على ثماني سفن مشدودة بعضها الى بعض، وقد نُصب فوق هذا الجسر آلة المنجنيق لقتف الحجارة والحراب، إضافة الى استعداده الضخم هذا، كان معتمداً على شهرته وماضيه العسكري؛ إلا أن هذا كله لم يعد شيئاً مذكوراً امام [ارخميدس - Archi-medes] وآلاته، كما سنوضح.

صممت هذه الآلات وركّبت بناءً على طلب ورغبة الملك [هيرو] بوصفها ادوات تسلية وتجريب في علوم الهندسة (جيومطريا)، ولم يقصد بها غايات مهمّة، وتم صنعها قبل زمن وجيز، لأن الملك العالم كان يريد أن يخرج بعض جوانب ابحاثه العلمية العجيبة الى حيز التطبيق العملي. ويخضع الحقائق النظرية الى عالم الحسّ، وينزلها الى ميدان العمل، ليستثار اهتمام الناس بهذا العلم ويرتفع تقديرهم له عموماً. وكان [يدوكسوس Eudoxus] و[آرخيتاس Archtas] (٣٢) أوّل من عالجا هذا العلم الشريف الجليل القدر، علم الخيل و[الميكانيكا]، واستخدماه تفسيراً رائعاً عجيباً للحقائق الهندسة (الجومطرية)، ووسيلة تجريبية لاقتناع الحواس والبرهنة العملية على نتائج الشديدة التعقيد، والصعبة على الفهم بمجرد الرسوم والكلمات التي لاتفي بالغرض مهما كانت واضحة فمثلاً كثيراً ما يتطلب لحلّ مسألة من المسائل فرض اشكال هندسية يتعين فيها ابعاد الحدّين في التناسب لايجاد أقصر خطين وتشبث هؤلاء الهندسيون بادواتهم، واتخذوا لأغراضهم خطوطاً معينة من منحنيات وقطوع. فأنبرى [افلاطون] (٣٣) يندّد بها ويستنكر تعاطيها لأنها «افساد بل قضاء مبرم على علم الهندسة الصالح المجدي، يعزوفها المخجل عن كل ما لا يدخل في عداد المعقولات المجردة حيزاً ومادّة، ولنحوها منحى الحسّ واستنادها التام الى المادة. وهو ما لا يتمّ تحقيقه إلا

(٣١) على أثر اغتيال هيرونيموس عاد الحكم جمهورياً. وتمكن كلّ من [ايپوقريطس] و[بيكيدس] وهما عميلان لهنيئيل من أصول صقلية، أن يصبحا پريتورين. وكان نتيجة ذلك أن لجأ الى وسائل لبذر بذور الشقاق بين صقلية وروما دون القاء بال على معارضة زملائهما الباقيين الحريصين على مصلحة البلاد.

(٣٢) [افدركسيس] فلكي وهندسي شهير من [كيندوس]. ويعزى اليه وضع السنة الاغريقية. كتب سيرته [ديوغينيس لانيريوتوس] اما [ارخيتاس] فقد نبغ في ايام حكم ديونيسيوس الأب قبل حصار سيراقوز بانكثر من مائة وستين عاماً.

(٣٣) لا يجد افلاطون شيئاً ذا جدوى في غير ما هو عامل ثقافة. ولذلك نراه لا يقرّ أن يشغل الفيلسوف نفسه في علوم الطبيعة الأ لتكون مادة للتسلية وتزجية الوقت فحسب.

بخسارة ودناءة». وهذا ما أدى الى انفصال علم (الحيل) الميكانيكا عن الهندسة، فاهمله الفلاسفة وانكروه وأحتقروه، فاحتل مكانة بين الفنون العسكرية. على أن [ارخميدس] ذكر في رسالته التي كتبها لصديقه وقريبه [هيرو] الملك، انه يمكن رفع وتحريك اي ثقلٍ بالغ ما بلغ اذا توفرت قوة معينة. وقيل لنا أن الأمر بلغ به حدّ الفخر اذ قال: انه بالاستناد الى قوة مركزة، وفي حالة وجود ارض أخرى غير ارضنا هذه. فهو يستطيع بالذهاب اليها، أن يرفع هذه الارض من مكانها! فبهت [هيرو] وصُعق وطلب منه أن يبرهن على هذه المسألة بالتجارب، ويثبت كيف يتسنى لآلة صغيرة الجرم أن ترفع ثقلاً عظيماً. فأخذ ارخميدس سفينة نقل من أحواض الملك موضعاً لتجربته، لا يمكن سحبها الى اليابسة دون استخدام مجهود عذد كبيرٍ من الرجال. فأركب فيها المسافرين حتى ضاقت بهم. وملأها بالأمّعة. وابتعد عنها مسافة كبيرة وجلس وامسك برؤوس حبال مشدودة ببيكرات وانشأ يسحب عدداً منها بصورة تدريجية فتحرّكت السفينة اليه وتقدمت سحوية بخطّ مستقيم وبسهولة ويسرٍ كأنما تسيّر على سطح البحر دون أن يستدعي ذلك منه مجهوداً عظيماً. فعجب الملك غاية العجب وواقّنتع بجدوى هذا العلم وسلطانه والح على ارخميدس أن يصنع له الآت تصلح لكل اغراض الحصار الهجومية والدفاعية، فحقق [ارخميدس] طلبه إلا أن الظروف لم تلجئه الى استخدامها لأنه قضى جُلّ حياته في سلام ودعةٍ ورخاءٍ. وبقيت تلكم الآلات مهيأةً لأستعمال السيراكوزيين ومعها مخترعها وصانعها بشخصه.

وأول ما هاجم الرومان الأسوار من جهتين في آن واحد استولى الرعب على السيراكوزيين حتى شلّ حركتهم، إذ خيل لهم الأقبل لهم قط بهذه القوات. وهنا بدأ [ارخميدس] يستخدم آلاته، وراح يطر القوات البرية بكلّ أنواع المقذوفات من الأسلحة وكتل الصخر العظيمة التي كانت تسقط بقوة هائلة وضجيج يصم الأذان، فلا يقف أمامها أحدٌ إلا قضت عليه فصرعت من المهاجمين أكداً مكدسة. وحطمت صفوفهم تحطيماً غير مستثنية ضابطاً من جندي، ثم برزت من الأسوار في الوقت نفسه - اعمدة في غاية الضخامة والطول، أمتدت الى السفن وأخذت تفرقها بنزولها عليها بقوة هائلة وتحطيمها. أو يرفعها في الفضاء بكلاية<sup>(٣٤)</sup> حديدية في رأسها تشبه منقار الكروان تنزل الى السفينة وتقبض عليها من قيدها وترتفع بها

(٣٤) الأذى الأعظم الذي حلّ بالرومان هو آلة حربية على شكل غراب ذي مخليين أو خطافين. مشدود الى سلسلة طويلة تتدلى من أعلى بوساطة عتلة. ان ثقل الحديد يجعلها تهوى بسرعة هائلة فترطم السفن وتحطمها. ويحملها المدافعون رصاصاً من النهاية الثانية ويرفعون الغراب مع القيدوم الذي يمسك به فتميل المؤخرة وتغرق في الماء في عين الوقت ثم يغلب الغراب قنيصته اي السفينة - بصورة مفاجئة فيسقط القيدوم في البحر بقوة عظيمة وتمتليء السفينة بالماء وتغرق.

منكوسة تم تطلعها ليبتلعها البحر. أو كانت تسحب السفن بقوة آلة منصوبة داخل السور فتدور على نفسها ثم تصطدم بصخور الجرف النافرة في أسفل السور، فتتحطم ويهلك من عليها. وكثيراً ما كانت الرافعة ترتفع بالسفينة الى علو كبير في الفضاء (وهو منظر مهول للرائي)، وتهزها الى أمام وخلف، وتؤرجحها حتى تقذف منها بحارتها ثم تطلقها من حالقٍ لتتحطم فوق الصخور.

أما عن الآلة التي جاء بها [مارجللوس] محمولة فوق جسرٍ عائِم، فتدعى [سامبوكا Sam-buca] لوجود وجه شبه بينها وبين آلة من الآت الطرب. وفيما كانت تقترب من السور، سقطت عليها كتلة صخرية وزن عشرة تالنتات<sup>(٣٥)</sup>، ثم ثانية وثالثة تباعاً هوت ظهرها بقوة خارقة وصوت أشبه بهزيم الرعد فقصمت دعائمها وفتتها تفتيتاً، وقلقت الاحزمة التي تربطها بالجسر وفصلتها عنه. وأستولت الحيرة على [مارجللوس] ولم يدر اي سبيل يسلك. ثم عمد الى سحب كل سفنه الى مسافة تكون معها بمنجى من تلك الآلات. وأصدر أمراً بالتقهقر العام لجمع قواته البرية. ثم نفذ خطة أخرى وهو الدنو من الأسوار ليلاً ان امكن، يحده ظنه بأن اقترابهم الشديد من الاسوار سيحمي الجنود من غائلة [ارخميدس] الذي كان يستعمل الاقطاب المحدودة الى مسافات طويلة، في ادارة آلاته. ويكون الجنود في هذه الحالة تحت القاذف وستطير الحراب فوق رؤوسهم ولا تؤثر فيهم، بخروجهم من دائرة التصويب. والظاهر ان [ارخميدس] كان قد احتاط لهذا أيضاً منذ زمن بعيد فصنع آلات توافق اية مسافة. وتناسب المقذوفات ذات المدى القصير. وفتح ما لايحصى من المزاغل الضيقة في الأسوار وراح يوجه منها للمهاجمين ضربات غير متوقعة بالآت ذات مدايات قصيرة. وهكذا بينما كان الأمل يراودهم بنجاح حيلتهم، ما رأوا إلا ورشقات من الحراب تنثال عليهم مع مقذوفات أخرى، وعندما بدأت الصخور تهوي على رؤوسهم عمودياً وانطلقت السهام كالمطر من الأسوار كافةً، لم يروا بدأً من الانسحاب، وفيما هم يتقهقرون عادت الآلات من النوع الأول تمطرهم بوابل من النشاب والرماح ذات المدى البعيد وأوقعت بهم مقتلة عظيمة. وأخذت سفنهم تصدم إحداها الأخرى بفعل آلاته، وهم عاجزون عن الردّ باي شكل كان. فقد ثبت

(٣٥) ليس سهلاً علينا أن نستوعب أو نكوّن فكرة عن عمل آلات ارخميدس وكيف يتم لها قذف كتلة صخرية عظيمة زنتها (١٢٥٠) پاوندا على سفن مارجللوس وهن على مسافة كبيرة من الأسوار. ان الشرح الذي يقدمه [پوليبيوس ٨] أقرب الى المعقول هنا. ان يقرر بان الصخرة التي قذفها آلات أرخميدس تبلغ زنتها خمس پاوندات ويظهر ان (ليني) يتفق معه في هذا. واذا نحن افترضنا بان پلوتارخ إنما يقصد التالنت الصقلي لا الروماني وهو يزن ٢٥ پاونداً على قول بعضهم و ١٠ پاوندات على قول بعض، فإن زعمه يكون أقرب الى الحقيقة والمعقول.

[ارخميدس] معظم آلاته فيما يلي السور مباشرة من الداخل ولذلك لم يكن بمقدور الرومان مشاهدتها ولا معرفة الجهة التي يأتيهم البلاء منها، بلا رفقٍ ولا نهاية حتى خيل اليهم أنهم لا يقاتلون البشر بل الآلهة.

وكتبت السلامة [مارچلوس] في هذه المعمعة. وراح يسخر بمهندسيه وصناعه قائلاً:

- ماذا؟ الا سبيل لنا إلا أن نكف عن قتال هذا الغول الهندسي المتعدد الأيدي [برياروس: Briareus] الذي يلعب بسفنا لعبة «الرفع والقذف»، ويمطرنا بآلاف مؤلفة من الحراب في كل دقيقة! انه لعمرى يفوق جبابرة الأساطير ذوي الأيادي المائة!

وما لا ريب فيه أن السيراقوزيين لم يكونوا غير وعاء لمخترعات [ارخميدس] حلت فيه روح واحدة تحرك الجميع وتحكمهم. فنبذوا جانباً كل اسلحة وراحوا يلقون الرعب في فوس الرومان بهذه الآلات وحدها. وأمنوا لأنفسهم الحماية. ولا نطيل، فقد كان الفرق يستولى على الرومان كلما شاهدوا جبلاً صغيراً أو قطعة خشب تخرج من السور، فيصرخون:

- ها انها تعود ثانية!

متوهمين أن [ارخميدس] يهم باطلاق آلة من آلاته عليهم، فيطلقون سيقانهم للريح لا يلوون على شيء، وكف [مارچلوس] عن القتال والهجمات المتكررة وأودع كل أماله في الحصار الطويل الأمد.

على أن [ارخميدس] كان ذات نفس سامية، وروح عميقة، أودعت كنوزاً لاحصر لها من المعارف العلمية، حتى انه لم ير من المناسب أن يترك مذكرات، أو أي كتابة في هذه المواضيع، رغم أن مخترعاته هذه، وضعته في أعلى درجات الشهرة، وفوقته على كل الحكمة البشرية. فقد انكر صناعة الميكانيكا كلها، وعدّها من العلوم التافهة التي لا جدوى منها وصدت نفسه عن هذا الفن الذي ليس وراءه إلا الريح والاستعمال المادي الرخيص. وأوقف كل مطمح له وحصر همه في الابحاث والتتبعات التي تطهرت من كل علاقة بحاجات الحياة الدنيا. وأنصرف الى الدراسات التي لا مجال لإنكار سموها أو الشك في علو مقامها إلا بدرجة احتواء جمال وعظمة المواضيع المبحوثة على الدقة وقوة الاقتناع من ناحية طرائقها ووسائل برهانها. تلك هي الدراسات الجديرة منا بأكثر الاعجاب والاحترام، وفي عالم الهندسة افي الامكان حلّ مسائل أكثر صعوبة وتعقيداً مما حلّه؟ أو ايجاد تفسيرات أكثر وضوحاً وبساطة من تفسيراته؟ بعضهم يعزو قدرته الفذة الى (جنيّه) الملازم له. في حين يعزوه بعضهم الى الدأب المتواصل والجهود المدهشة التي بذلها ليصل الى نتائج بدأ ظاهر حالها يسيرة سهلة في

حين يتعذر عليك ان تجد لها اي تعليل أو سبب مهما بذلت من جهد للتحري عنها. ومع هذا فما يقع نظرك عليها حتى يستولى عليك أعتقاد بأن لا شيء يحول دون كشفك عن سرّها. وهكذا يستدرجك بسبيل ممهد قصير الى النتيجة المطلوبة، وبهذا لا تعود ترى مخترعاته من قبيل المعجزات أو الخوارق. ولقد شاع قول الناس فيه «إن سحر عروسة بحره [سيرين Siren] الأليفة المحبوبة هذه كانت تنسيه طعامه، وتجعله يهمل نفسه ولا يحسّ لها وجوداً حتى انه كان يحمل الى الحمام قسراً ليُغسل جسمه ويدهن بالزيت وهناك يقوم بمتابعة الاشكال الهندسية في رماد النار، ويرسم مخططات هندسية في الزيت المنتشر على جسمه، وينقلب الى حالة النجذاب تام بصرفه عن عالم الواقع. وبأصدق التعابير يكون في حالة الوحي الآلهي مع حبه وتعلقه بالعلم. وكانت مكتشفاته عديدة وعجيبة، وقيل انه أوصى اصدقائه والأقربين أن يضعوا على القبر الذي يحوى رفاتة، كرة تحتوي على اسطوانة وينقشون هذا «الجسم الذي يغمر في سائل يفقد من وزنه بقدر حجمه فيه»<sup>(٣٦)</sup>.

هكذا كان ارخميدس الذي برز الآن مع مدينته كائنين لا يقهران بسعيه ومجهوده. وأستمر الحصار، إلا أن مارچلوس استولى في غضون ذلك على [ميغارا] وهي من أوائل المدن التي بناها الاغريق في صقلية، كما احتل أيضاً معسكر [هيپوقريطس] في أكيلي [Acilæ] وفتك بما يزيد على ثمانية آلاف من رجاله<sup>(٣٧)</sup>، اذ فاجأهم وهم منصرفون الى اقامة استحكاماتهم. ثم أجتاح قسماً كبيراً من الجزيرة وحقق الغلبة على كل من اشتبك معه. وفي اثناء الحصار وقع بيد الرومان لقيديموني يدعى [داميپوس Damippus]<sup>(٣٨)</sup> كان قد رحل عن سيراكوز في

(٣٦) أكتشف هذا النصب شيشرون عندما كان يشغل وظيفة الكويستور في صقلية وهو بشكل عمود صغير. عرضه على السيراكوزين فلم يفيدوه بشيء عنه. ويقول هو انه وجد أبياتاً شعرية محفورة عليه تكاد أعجازها تكون متاكلة بفعل الزمن. وكان يبدو فيه - وهو ما تؤيده بقايا الإبيات الشعرية - صوراً الاسطوانة والكرة وهما الشكلان الهندسيان اللذان أكتشف ارخميدس النسبة بين مساحتهما [انظر شيشرون ٢٢:٥] ويضيف قائلاً انه قبر ارخميدس كاد يختفي تماماً فلا يلفت النظر بسبب العشب الذي نما حوله فغطاه، لولا الجهود التي بذلها الرجل الايريوني فأدت الى العثور عليه.

(٣٧) دخل همليكو ميناء هراكليا على رأس اسطول ضخم ارسل من قرطاجنة فأنزل عشرين ألف راجل وثلاثة آلاف خيال وأثنى عشر فيلاً. ما ان أكمل الانزال حتى زحف بجيشه هذا على أكركنتم وانتزعها من الرومان مع عدة مدن أخرى كان مارچلوس قد أستولى عليها. عندئذ قررت حامية سيراكوزة التي ظلت سالمة ان تعزز قوات (همليكو) بعشرة آلاف راجل والفي وخمسمائة خيال تحت قيادة [هيپوقريطس]. وعاد مارچلوس الى سيراكوزة بعد ان فشل في استعادة اكركنتوم وفيما هو على مقربة من (اكريللي) انتبه فجأة الى (هيپوقريطس) وهو مشغول في تحكيم معسكره فأنقض عليه دون ان يدع له فرصة تجريد قواته أو تنظيم صفوفه ونثر ثمانية الاف من مرتباته اشلاءً. [ليفي ٣٥:٢٤ و ٣٦].

(٣٨) طالباً نجدة من الملك فيليب [ليفي ٢٣:٢٥].



أحدى السفن، وأظهر السيراكوزيون لهفة شديدة في افتدائه، فجرت لهذا الغرض عدة لقاءات ومداولات بين مارسللوس وبينهم واتيحت له الفرصة خلال ذلك ان يتأمل برجاً من الابراج كان في الامكان ادخال مجموعة من الجنود اليه سرّاً. وفي غفلة عن العيون. لأن الجدار المجاور له لم يكن صعب المرتقى كما كان العدو مهملأ حراسة البرج بشكل يدل على عدم الاهتمام، وتردد الى موقعه كثيراً ودرس ارتفاع السور اثناء المداولات حول فدية [داميپوس] حتى تأكد منه وأمر بتهشية سلالم لتسلقه، وفي يوم ما أحتفل السيراكوزيون بعيد [ديانا] فلما أخذت الخمر مأخذها منهم وانصرفوا تماماً الى اللهو والقصف، تمكن [مارجللوس] من البرج ولكنه لم يكتف بذلك بل ملأ الجدار القريب منه جنوداً قبل أن ينبلع الصيح. ثم شق طريقه الى [الهكساپيلوم Hexapylum]. فاتتبه السيراكوزيون من غفلتهم وأقلقتهم الضجة. وهنا أمر [مارجللوس] بنفخ الأبواق في كل مكان فاستولى عليهم رعب شديد وأطلقوا سيقانهم للريح، وهم يظنون ان الرومان سيطروا على المدينة بأسرها في حين كانت أمنع منطقة فيها واجملها وأكثرها غنى بعيدة عن متناول المهاجم. هذه المنطقة تعرف باسم [اقرادينا Acradina] ويفصلها عن سائر المدينة الخارجية جدار شاهق وهي تتألف من حيين: [نيابوليس Neapo-lis] و[تايا Tycha] استولى مارجللوس على هذين، وعبر فجراً [الهكساپيلوم]، فأقبل عليه ضباطه يهنئونه بالنصر<sup>(٣٩)</sup>، إلا أنه شخص ببصره الى المدينة الجميلة الممتدة تحته وهو واقف على مرتفع. وقيل أن الألم أبكاه<sup>(٤٠)</sup> للفاجعة التي توشك أن تحل بها. اذ تمثلت لذهنه صورة المدينة كيف سينقلب شأنها بعد ساعات معدودات، حين يعيث الجنود بها سلباً ونهباً، لم يكن ثم ضابط واحد من كل ضباطه يجراً على معارضة مطلب الجنود. كان عدد كبير في الواقع بصر على اشعال النار فيها. وهدمها حجراً على حجر وتسويتها بالقاع. لكن [مارجللوس] لم يعر أذناً صاغية لمثل هذا. وسمح بكثير من الاحجام وهو كاره، ان يكون النهب قاصراً على النقود والعبيد. وأصدر أمراً جازماً بخطر الاعتداء على اي مواطن حر أو قتل أو استرقاق أو اذية أي سيراكوزي. ومع كل لينه هذا، فقد ظل يرى ان حالة المدينة تدعو الى الرثاء حقاً. ولم يكتف مشاعره القوية وهو في بحران التهاني والفرح. وعبر عن حزنه واشفاقه عندما شاهد كل تلك النفائس ومظاهر الترف التي جمعت بعضاً على بعض في حقبة طويلة من سنوات الرخاء والاستقرار، تغدو خلال ساعة واحدة فقط فهي أثر بعد عين فقد ذكر

(٣٩) دخل مدينة [ايبپولي] ليلاً، ودخل [تايخه] صباح اليوم التالي وكان يحيط بالأولى سور هو صورة طبق الأصل من سور اورتيكيا والاخرادينا وتايخه ونيابوليس لكنها أمتازت عن البقية بقلعتها المسماة يوريالنوم وهي مقامة على صخرة كبيرة ذات جوانب شديدة الانحدار. لتبدو وكأنها مدينة قائمة بذاتها. (٤٠) ليفي ٢٤:٢٥.

ان ما نهب منها لم يكن باقل مما نهب من قرطاجنة<sup>(٤١)</sup> فيما بعد. اذ ما عتم الجنود ان حصلوا على أمرٍ ينهب الاحياء الأخرى من مدينة التي تم الاستيلاء عليها بالخدیعة. ولم يتركوا شيئاً إلا أخذوه إلا اموال الملك فقد حُملت الى بيت المال، ولم يحزن [مارچلوس] لشئٍ قدر ما احزنه قتل [ارخميدس]. فقد شاءت الأقدار ان يكون منصرفاً وقتئذ، الى الاشتغال بمسألة في شكل هندسي مركزاً ذهنه وعينيه في موضوع شغله فلم ينتبه الى هجوم الرومان واقتحامهم المدينة. وفي حالة لاوعيه هذا دنا منه جندي على غير انتظار وأمره ان يتبعه الى مارچلوس، فأبى إلا بعد اهتدائه الى حلٍّ للمسألة التي يفكر فيها، فثار بالجندي الغضب وانتضى سيفه وعاجله بطعنة نجلاء. وكتب آخرون أن جندياً رومانيا أسرع نحوه مشهراً سيفه يريد قتله فالتفت اليه [ارخميدس] واستأذنه متوسلاً بان يمسه يده عنه ريثما ينتهي بما بين يديه من مسئلة الى حلٍّ ونتيجة. إلا ان الجندي قتله حالاً دون أن ينيله رجاءه. وحدثنا آخرون أن [ارخميدس] وهو يقصد [مارچلوس] التقى ببعض الجنود حاملاً ادوات حاسبة ومزولات، وزوايا وكُرات وهي ما يقاس به حجم الشمس بالنظر المجرد، فظنوه يحمل ذهباً في اوعية فقتلوه. ومن الثابت أن موته كان شديد الوقع على مارسلوس وظلّ يعد الجندي الذي فتك به مجرمًا قاتلاً. وأستدعى اقرباء العالم وذويه وأجزل لهم الهبات ووصلهم بكثير من المال.

كانت الشعوب والحق يقال، تعتبر الرومان من حيزة الجنود في ساحات القتال. لكن لم يشتهر عنهم في ذلك الحين ما يكشف فيهم عن انسانية وتهذيب ورقة قلب، والظاهر ان مارچلوس كان أول روماني أظهر للاغريق حرص بني قومه على العدل والقسط. فقد بات تساهله ولينه مما يضرب به الأمثال تجاه اي من كانت له صلة به وعطفه الكبير على المدن الكثيرة والاشخاص، حتى اذا أصدر أمراً فيه صرامة أو قسوة بحق أهل [امنا Emna] أو [ميغارا] أو [سيراقوز] فيجب ان ينصرف الذهن حتماً الى لوم من هبت عليه العاصفة، لا من ارسلها. وسأورد مثلاً واحداً من عدة أمثلة:

في صقلية بلدة تدعى [انجيوم Engyum] ليست كبيرة ولكنها عتيقة تتمتع بمنزلة محترمة بوجود معبدٍ لربّات يسمين «الأمهات»<sup>(٤٢)</sup> ويقال ان الكريتيين هم الذين بنوه، إلا ان أهلها يعرضون بعض الحراب وخوذ الحرب، نقش عليها اسماً [مريونيس Meriones] (تهجنته اليونانية لا تختلف عن اللاتينية) و[بوليسيس] اللذين قدماها هدية للربّات، ومهما يكن،

(٤١) دام حصار سيراقوزه ثلاث سنوات كوامل. وپلوتارخ لم يورد تفاصيل عما جرى خلال تلك الفترة. وما تلاها اي بعد اقتحام المدينة، ولكن ثم وصفاً دقيقاً مسهباً يقدمه لنا ليفي ٢٥ : ١٣ - ٢١].

(٤٢) المقصود: كيبيله، جونو، كيريس. وينوه شيشرون هم وجود معبد للأولى في انجيوم فحسب [٤٤:٤].

فهذه البلدة انتصرت للقرطاجنيين وعدَّ أهلها من أخلص اشياعهم. ونصحهم [نيسياس] وهو أبرز مواطن فيها أن يعدلوا عن ذلك ويعلنوا ولاءهم للرومان، ويشرَّ برأيه في خطبه وإجتماعاتهم ووصف سبيلهم الأولى بالجنون والخرق. فقرروا القاء القبض عليه وتسليمه للقرطاجنيين موثقاً، خشية نفوذه وتأثيره على النفوس. فادرك نيتهم المبيتة. ولما وجد الرقابة قد أحكمت عليه راح يجذف على [الأمهات] ويقذفهنَّ بهجر القول، وأظهر استحقاقه لهنَّ وبدأ كالناكر الجاحد للرأي المتواتر بوجود هاته الراهبات. فطرب خصومه لما حلَّ به وايقنوا انه كالساعي الى حتفه بظلفه أو كالباحث عن خرابه المعلق فوق رأسه وفيما كانوا في سبيل الامسك به عقد اجتماع عام، فقام [نيسياس] لالقاء خطبة على الناس تتعلق بأحد المواضيع التي يجرى البحث فيها، وفيما هو مسترسل، توقف فجأة والقى بنفسه على الأرض - ثم أسرع بالنهوض والناس مذهولون، لا يأتون حراكاً. (كما يحصل عادة على أثر مثل هذه المفاجآت) ودار برأسه وأستأنف الكلام بصوت راعش ونبرة عميقة أخذ يرفعها بالتدرج حتى وصل حدَّ الزعيق. ولما يقن ان كل من في الملعب قد صعقه الرعب والجمه، ألقى بمعطفه جانباً وشق ثوبه ووثب مسرعاً نحو الباب وهو شبه عارٍ يصرخ قائلاً ان «الأمهات» يدفعنه خارجاً. ولم يجرأ انسان أن يضع يده عليه أو يوقفه، تزمناً وخشوعاً دينياً، بل أفسحوا له الى الباب، فأسرع غير باخلٍ عليهم بأيّ صرخة أو حركة تجعله من صنف المجاذيب أو المجانين. وكانت زوجه على علمٍ بما يفتعله وما هو غرضه. فأخذت أولادها وقصدت أولاً معبد [الربّات] وانظرت متوسّلة، ثم تظاهرت ببحثها زوجها الذي هام على وجهه فلم يعترضها أحد وهكذا خرجت من المدينة بسلام ووصلت الأسرة كلها الى [مارچلوس] في سيراكوز، ولما ازدادت الإهانات من أهل [انجيوم] وكثر تطاولهم على [مارچلوس] القى القبض على رجالها وكبلهم بالاغلال، وأوشك أن ينفذ فيهم القصاص الاكبر أنبرى [نيسياس] ملقياً بنفسه على قدميه والدموع تنحدر من عينيه، راجياً العفو عن بني قومه، وأشتدَّ في رجائه حياتهم لاسيما خصومه منهم حتى رقَّ [مارچلوس] وأطلق الجميع ومنح [نيسياس] ضياعاً واسعة ونفائس من الصلات والجوائز. هذه الرواية اوردها [پوسيدونيوس] الفيلسوف.

أخيراً، أستدعى الشعب [مارچلوس] الى روما<sup>(٤٣)</sup> لادارة دفعة الحرب في أرض الوطن. فحمل معه مقداراً كبيراً من أجمل آثار سيراكوز الفنيّة، يريد أن يزيد من موكب نصره روعة وجلالاً، ويزين عاصمة بلاده بها. كانت روما عاطلة عن مثل هذه الآثار الفنيّة والزخارف

(٤٣) حقق انتصاراً كبيراً على [ايبكيدس وهانوا] قبل عودته الى روما واهلك فيه عدداً كبيراً واستولى على أسرى كثيرين وغنم ثمانية من القبلة [لبيقي ٤٠:٢٥].

الرائعة ولم تكن تتذوق منتوج الفنانين أو تبتهج بالنظر اليه مهما كان صنعه دقيقاً. لقد اتخمت بأسلحة البرابرة والغنائم الحربية التي تلتخطها الدماء، وهي ليست بالمنظر الذي يشرح الحاضر ويسر العين، ويفتح قلب المتفرج المهذب الوديع المسالم، فكما سميّ إپامننداس حقول [بويوتيا] «بمرسح مارس»، وكما أطلق [كزينفون] على [أفسس] اسم «مصنع الحرب»، كذلك يصحّ في رأيي أن تسمي روما ذلك العهد بعبارة الشاعر [پندار] «مقرّ مارس الذي لا يعرف سلاماً»، ولذلك أحبّ الشعب [مارچلوس] لأنه زين المدينة بآثار مؤتلفة أنيقة فيها سحر كلّ التناسق والرشاقة الاغريقية، على أن [فابيوس ماكسيموس] الذي لم يمّ شيئاً من آثار [تارنتوم] عند استيلائه عليها، ولم ينقل منها حجراً الى روما، كان موضع إكبار ورضى من كبار السنّ، أكثر من [مارچلوس]، لقد أكتفى بأخذ النقود والحاجات الثمينة ولم يسمح بنقل التماثيل. متعللاً بقوله [كما قيل لنا]: «الا فلنترك للتارنتيين هذه الآلهة الساخطة».

واعتبوا على [مارچلوس] أولاً لأنه وضع روما موضع المتناول اذ جعلها تبدو وكأنها تحتفل بانتصارات وتحيّ مواكب ظفر نالتها لا من بني البشر وحدهم بل من الآلهة أيضاً بعرضها تماثيلها كالأسرى.

أما اللوم الآخر الموجه له، فهو صرف اتجاه الشعب الى التعطلّ والهاؤه بعثت الكلام حول الفنون الجميلة والفنانين. وهو الذي نشأ على الحرب والفلاحة ولم يتذوق طعم الترف والنعيم كما وصف پوربيدس هرقل:

«انه فظّ خشن، لا يصلح الألعظائم الأمور».

وانقلبوا لبيدوا جُلّ أوقاتهم في تفقدّ وانتقاد التوافه من الأشياء. وبصرف النظر عن لوم [مارچلوس] في هذا المجال، فانه رفع من قدر الاغريق أنفسهم بتعليمه بني قومه الجهلة احترام نتاجهم العجيب الجميل وتقديرهم له.

وعندما عارض خصومه في دخوله بموكب الظفر بحجة وجود بقية حرب في صقلية، ولأن منحه موكباً ثالثاً قد يزيد من الحاقدين عليه، بادر هو الى صرف النظر عنه مكتفياً باحتفاله بالنصر فوق جبل [ألبان Alban]، ثم دخل المدينة «بمهرجان شعبي» وهو ما يطلق عليه باللاتينية «Ovation» وبالليونانية «eua». ولم يركب في هذا المهرجان عجلة ولم يكلل بالغار، ولم يعلن دخوله بنفخ الابواق، وانما دخل ماشياً منتعلاً حذاءه، وانطلقت أصوات عدد كبير من من النايات والسرنايات في وقت واحد، وكان وهو مطوق بقلائد اللبلاب بمظهر سلميّ يشير في النفوس احتراماً وحباً أكثر من الخوف. وهو ما يجعلني استنتج ان الاختلاف بين

«المهرجان الشعبي» وبين موكب النصر لا يعتمد على عظمة العمل بل على أسلوب انجازه. فأولئك الذين خاضوا معركة طاحنة وفتكوا بكثير من الاعداء وعادوا منتصرين، حق لهم ان يتقدموا ذلك الموكب العسكري المرعب. ثم أن العادة المتبعة آنذاك قضت بتطهير الجيش كله عن طريق تقديم القرابين، وبتزيين الجنود وأسلحتهم بكثير من نبات الغار. أما أولئك القادة الذين انجزوا ما كلفوا به عن طريق المفاوضة والمنطق دون استخدام أية قوة فإن العرف كان يقضي بمنحهم شرف «المهرجان الشعبي الحافل» الخالي من المظاهر العسكرية، فالناي هو شعار السلام، والليلاب هو نبتة [فينوس]، تلك الربة التي تبغض القوة والحرب أكثر من كل الآلهة الآخرين. وكلمة Ovation ليست مأخوذة في اللفظة اليونانية «إفاسموس Evasmus» كما تظن الأغلبية بسبب ما يتخلل المهرجان من هتاف وصياح بكلمة «Eua! إيفا» فهذا ما يسمع أيضاً في مواكب النصر. لقد ادخل اليونانيون هذه الكلمة الى لغتهم مصحفةً، لتوهمهم أن هذا التكريم لأبد وان يكون له بعض علاقة هو الآخر [بباخوس] الذي يلقبه اليونانيون [اييوس Euius] و[ثريامبوس Thriambus]. على أن الأمر خلاف ذلك، فقد جرت العادة في مواكب النصر ان يضحي القادة بثور، وفي المهرجانات الشعبية ان يضحوا بشاة ومن هنا جاءت لفظة «Ovation» المأخوذة من الكلمة اللاتينية «أوفيس Ovis». والشيء بالشيء يذكر أن قرابين السيارطين المشرعة قانوناً، كانت بعكس العادة الرومانية، فالعسكري اللقيديموني الذي ينجز ما كلف به بالدهاء والمكر أو بالتفاهم والطيبة يقوم بتضحية ثور عند تنحيه عن قيادته، واما اذا انجز مهمته بطريق القوة والحرب، فانه يضحي بديك. من هذا ترى ان اللقيديمونيين - رغم كونهم شبواً على الحرب وشابوا، يعتبرون المهمة التي تنجز بالحكمة والعقل أليق بمقام الرجل وأشرف له من استخدام قوته وشجاعته المجردتين. وأني لأترك الحكم لغيري في أفضلية هاتين الطريقتين.

وانتخب [مارچلوس] قنصلاً للمرة الرابعة، فقام السيراكوزيون بتحريض خصومه، يلفقون تهمةً عليه ويعرضون شكواهم في روما، وزعموا فيها انهم لاقوا اضطهاداً وأذىً على يده خلافاً للعهد الممنوح لهم<sup>(٤٤)</sup>. وأتفق أن مارچلوس كان وقت تقديم الشكوى، في الكابتول يتقدم قرباناً. فمكث في المجلس ليتيح لهم فرصة عرض الشكوى والظلامة وحاول زميل [مارچلوس] صرفهم ليحمي زميله في غيابه، لكن أقبل حال سماعه بالأمر وجلس على

(٤٤) ما ان أستقر المقام بالسيراكوزيين في روما. حتى بدء القنصلان بسحب القرعة على توزيع الاقاليم بينهما. ووقعت (صقلية) من سهم مارچلوس فكانت ضربة شديدة وقعت على هؤلاء المنذوبين ولم يجرؤا على الاحتجاج والتظلم لو لم يعرض مارچلوس استبدال صقلية باقليم آخر [ليني ٢٦: ٢٩ و ٣٠].

كرسي الرئاسة وبدأ أولاً يعرض على المجلس المسائل العاجلة والشؤون الأخرى لتصرفها. وما انتهى من ذلك حتى ترك معقده ويمّ شطر المحلّ المخصص للمتهمين عند تقديم دفاعهم، كأبي شخصٍ عاديّ. وافسح الحرية التامة للسيراقوزيين حتى يدلّوا بشكاواهم. فوهت عزائمهم من موقفه الجليل ومن فرط ثقته بنفسه وتسمّروا في الأرض مذهولين وبدأ تأثير وجوده في المجلس وهو مرتدّ ثوب السلطة أشدّ مهابة وصرامة وهو في دروعه وشكّة سلاحه على أنهم باشروا بتعداد التهم حين وجدوا تشجيعاً وتحريضاً من خصومه. والقوا خطبةً مزجوا فيها التهم القضائية بظلاماتهم وشكاواهم، قالوا أنهم ذاقوا على يده ما احجم قادة آخرون من ابقاعه باعدانهم، مع كونهم حلفاء وأصدقاء للرومان، فردّ عليهم [مارجللوس] (٤٥) أن السيراكوزيين ارتكبوا أعمال عدوان كثيرة ضد شعب روما. وانهم لم يعانوا شيئاً يزيد عمّا لا مفر للعدو المغلوب الأسير من تذوقه. وانهم جنوا على أنفسهم وأن أعمالهم هي التي جعلتهم يرسفون في أغلال الأسر لأنهم رفضوا الانصياع الى محاولات الاقناع بالحسنى واللين التي بذلها كثيراً، وهذه الحرب التي شنها لم يرغمهم عليها الطغاة أبداً، وأنما عمدوا الى خلق طغاة لغرض اثاره الحرب فحسب. ثم ختمت الخطب. وغادر المشتكون قاعة المجلس كما يقضي به العرف. كما ترك [مارجللوس] زملاءه منسحباً مع السيراكوزيين، وبقي خارج الباب ينتظر قرار الحكم (٤٦). ولم يبد عليه انشغال بال من التهم، ولا سخط من متهميه. بل ظلّ ينتظر النتيجة بهدوء تام ووقار. أخيراً توصل المجلس الى قرار اجماعي صدر بموجبه مرسوم يقضي بجبّ كل التهم عن [مارجللوس] (٤٧) والإشادة بافعاله، وبراءته.

فإلقى السيراكوزيون بأنفسهم على قدميه وعيونهم مخصلة بالدموع، يرجون صفحه وغفرانه عن الحاضرين، وعطفه على شقاء سائر أهل المدينة وسيبقون دائماً أبداً أسرى فضله شاكرين. فرب لهم قلبه ولان لدموعهم وآلامهم ولم يكتف بصفحه عن الوفد بل وعدهم خيراً وظلّ أبداً ينتهز الفرص ليخص السيراكوزيين بالتفاته ويشملهم بعطفه. وايدّ مجلس الشيوخ استقلالهم

(٤٥) عندما فرغ السيراكوزيون من عرض اتهاماتهم ضد مارجللوس أمرهم زميله القنصل ليقتنوس Lavinus بالانسحاب. إلا أن مارجللوس أصرّ على ان يبقوا لسمعوا دفاعه.

(٤٦) في اثناء ما كان القضاة يتداولون في الحكم. خرج هو الى الكابتول لتسجيل اسماء المجندين الجدد [لريقي المرجع نفسه ٣١ و ٣٢].

(٤٧) لم يحض سلوك مارجللوس بالموافقة التامة من مجلس الشيوخ حين استيلائه على سيراكوز. فبعض الاعضاء أخذ يتذكروا التعلق الشديد بالجمهورية الذي عبّر عنه (هيرو) في كثير من المناسبات ولم يسعهم إلا أن ينحوا باللائمة على جنرالهم الذي استباح المدينة. ولم يكن السيراكوزيون في وضع يستطيعون به اظهار شعورهم الحقيقي حيال وجود جيش من المرتزقة بين ظهرانيهم فاضطروا للنزول عند حكم الظروف واطاعة أوامر ضباط (هنييبل) الذين كانوا يسيطرون على سائر قطعات الجيش.

وحريتهم التي أعيدت اليهم، وأقرّ حقوقهم وقوانينهم وثبت لهم ما بقي من ممتلكاتهم الخاصة. ورداً لهذا الجميل أصدر السيراقوزيون قانوناً ينصّ على أن يطوق المواطنون اعناقهم بقلائد الزهر ويقدموا القرابين للآلهة كلما وطئت قدم [مارچلوس] أو واحد من ذريته، فضلاً عن ضروب أخرى من التكريم.

بعد هذا، تحرك [مارچلوس] نحو [هانيبل]. كاد كل قناصل الرومان وجنرالاتهم منذ هزيمة [كاني] يطبقون خطة واحدة ضدّ هنيبعل لم يحددوا عنها أبداً وهي اجتناب الالتحام معه في معركة كيفما كان. ولم يجد أحد منهم شجاعة كافية تدفعه الى الاشتباك معه في قتال، وتحكيم السيف وحده. إلا أن [مارچلوس] تبنى الخطة المعاكسة. فقد رأى ان ايطاليا سيحيق بها اليوار بالتأخير الذي أملوا منه انهاك [هنيبعل]. وكان [فابيوس] الذي تمسكّ بسياسة الحذر، ينتظر أن تنظفيء نار الحرب من تلقاء نفسها في حين كانت حال روما تتردّى وتسوء باطراد. ويأبى الأخذ بهذا السبيل الصحيح لعلاج داء البلاد، فموقفه يشبه موقف الطبيب المتردد الذي يخشى إعطاء الدواء لمريضه، ويبقى منتظراً مؤمناً أن ضعف قوى المريض وانتكاسته هو ضعف المرض وزواله.

وكانت حصيلة خطة [مارچلوس] الأولى، سيطرته على مدن السامنيين Samnites الكبيرة التي انتقضت على العدو، ووجد فيها مقادير كبيرة من القمح والأموال، وثلاثة آلاف جندي قرطاجني تركهم هنيبعل فيها لأغراض الدفاع. ثم على أثر مقتل البروقنصل [كنيوس فلوقيرس Canæus Fluvius] وأحد عشر تربيوناً (مفوضاً) عسكرياً وابداء معظم الجيش الذي يقوده. في [ابوليا Apulia]، بعث [مارچلوس] برسائل الى روما يطلب فيها من الشعب ان يتحلّى بالصبر والشجاعة، لأنه سيزحف فوراً للاصطدام بهنيبعل ليقلب نصره مآتماً<sup>(٤٨)</sup>. ويحدثنا [ليفي] انه عندما قرئت رسائله لم تحدث الأثر المأمول ولم ترفع من معنويات الشعب، وانما هبطت بها كثيراً. فقد تبينوا فراحة الخطب لأن [مارچلوس] كان في نظرهم ائمن من [فلوقيرس]. ولكن هذا ما كان قد قرره وتقدم نحو بلاد اللوكانيين. والتقى بخصمه في [نوميسترو] وكان قد سبقه الى احتلال المرتفعات، فضرب خيامه في السهل المنبسط وفي اليوم التالي وضع فرقه في نسق المعركة فقبل [هنيبعل] التحدي والتحم الجمعان واستمر القتال سجالاتاً بين الفريقين دون أن يستظهر أحدهما، وأقبل الليل ففصلهم مرغمين. ولم تكذب شمس اليوم التالي الا وجيش [مارچلوس] متأهب الاستئناف القتال. وقد خرج من معسكره، ونشر صفوفه بين جثث قتلى الأمس يتحدى هنيبعل لانهاء النزاع بمعركة أخرى،

(٤٨) في الساعة التاسعة صباحاً.

فأبى التحدي وانسحب بجيشه، حتى أسرع الى اللحاق به. وكان في كل الاشتباكات الموضعية، والتعرضات الجانبية التي حصلت اثناء المطاردة، هو الجانب المتفوق ابداً، مما زاد من شهرته كثيراً، حتى انه لما أزم موعده عقد الكوميتيا Comitia في روما فضل مجلس الشيوخ استدعاء القنصل الثاني من صقلية<sup>(٤٩)</sup>، على سحب [مارچلوس] من جبهة القتال. ولما وصل زميله طلب منه أن يعين [كونيتوس فلوقوس] بمنصب الدكتاتور، لأن الدكتاتور لا يعينه الشعب أو مجلس الشيوخ بل القنصل الپريتور بحضور الجمعية العمومية أذ يسمي مرشحه الذي يختار ويقلده المنصب علناً. ومن هنا جاء لقبه «دكتاتور»، فهو من لفظة «ديكيري Decere» اي «تسمية». ويقول آخرون إنه ما سمي دكتاتوراً إلا لأن كلمته هي بحكم القانون، وأن أوامره التي يصدرها لاتوضع في التصويت، ولذلك كان الرومان يسمون قرارات الحكام «اديكٓت Edict».

كان زميل [مارچلوس] القادم من صقلية، يريد تعيين رجل آخر لهذا المنصب<sup>(٥٠)</sup>، ولم يكن ليرضى بالتحول عن رأيه مرغماً، فغادر روما ليلاً عائداً الى صقلية. فما كان من عامة الشعب إلا أن أصدر قراراً إجماعاً باختيار [كونيتوس فلوقوس] وأرسل مجلس الشيوخ رسولاً عاجلاً الى [مارچلوس] بأمره بتسمية مرشح الشعب، فأطاع وأعلنه دكتاتوراً حسب رغبة الشعب، مستبقياً منصب الپروقنصل لنفسه مدة سنة أخرى. ثم أتفق مع [فابيوس ماكسيموس] بأن يضرب الحصار على [تارنتوم] بينما يقوم هو باستدراج هنيبعل ومشاغلته لتعويقه عن نجدة المدينة. وهكذا ادركه في [كانوزيوم] وحاول الالتحام به إلا أن [هنيبعل] راح يروغ منه ويرفض الدخول معه في معركة بكثرة تغييره لمعسكره، الى أن باغته وهو يعسكر فأستفزه باشتباكات خفيفة موضعية حتى جرّه جرأ الى معركة طاحنة، لكن الليل حاجزهما والقتال على أشده. وفي اليوم التالي خرج مارچلوس للقتال ونشر عسكره بنسق الهجوم، وهنا أمر [هنيبعل] باجتماع عام للقوات القرطاجنية وقام يخطب فيهم وقد اثقله الهم، راجياً بحرارة أن يقاتلوا قتالاً جديراً بانتصاراتهم الماضية ومما جاء فيها «انتم ترون كيف تعزّ علينا الراحة، وكيف يحال بيننا وبين الاستجمام بعد كل الانتصارات التي احرزناها. لا سبيل لنا الى ذلك إلا اذا الحقنا الهزيمة بهذا الرجل».

(٤٩) بناء على اقتراح مارچلوس نفسه الذي شرح لهم كتابة أهمية استمراره في الضغط على هنيبعل. ولهذا قام مجلس الشيوخ باستدعاء [ليقينيوس] [ليقي ٤٧:٤].  
(٥٠) كان [ليقينيوس] يرغب في تسمية [ماركوس فاليريوس ميسالا] دكتاتوراً. ولما ترك روما فجأة موصياً نائبه الپرينور بان لا يرشح [فلوقوس] قام تربيونات الشعب بالاضطلاع بالمسؤولية. وحمل المجلس مارچلوس على مصادقة الترشيح [ليقي المرجع نفسه].



ثم التقى الجيشان في قتالٍ مُرّ عنيف. وأتى [مارچلوس] بحركة تعبوية غير مناسبة أدت الى ارتكابه خطأ<sup>(٥١)</sup>: كانت اليمينه ترزح تحت ضغط شديد فأمر إحدى فرقة الاحتياط بأن تتقدم الى خطّ القتال. هذه الحركة أحدثت خللاً في صفوف الفرق المقاتلة وترتيبها الهجومي، ودفعت بالنصر الى يد العدو، وسقط ألفان وسبعمئة من الرومان. فانسحب [مارچلوس] الى معسكره وجمع الجنود وخطب فيهم. ومما قاله:

- اني أرى كثيراً من جثث الرومان وسلاحهم، ولا أرى رومانيا واحداً.

ورفض رفضاً قاطعاً أن يقبل رجاءهم بالصفح عنهم، طالما هم مغلوبون، إلا أنه وعدهم بالصفح عند انتصارهم. وقرر أن يخرج بهم الى الميدان في اليوم التالي، لتصل انباء انتصارهم فيها الى روما قبل وصول انباء هزيمة الأمس. ثم أمرهم بالانصراف، وأشار بتوزيع جراية شعير عوضاً عن القمح<sup>(٥٢)</sup> على كل الوحدات التي أولت ظهرها للعدو. فكان لهذا التقرير وقع أليم في نفوس الجنود، وقيل أنه رغم اصابة أغلبيتهم بجراح بليغة فلم يكن بينهم أحد إلا وشعر أن خطبة الجنرال أشدّ ألماً له من جراحه نفسها.

وانبلج الصبح وارتفع الرشح القرمزي على خيمة القائد، إشارة للقتال الفوري. وطلبت السرايا التي وصمت بالجبن وسوء التصرف أن يكون ترتيبها في الصف الأمامي، فنالت مبتغاها، ثم قدّم التربيون العسكرون بقية القطعات ووضعوها في نسق الهجوم، ولما أبلغ [هنيبل] بتهيؤ العدو هتف قائلاً:

- يا للعجب! ما حيلتنا بهذا الرجل الذي لا قبل له بتحمل حسن الحظّ ولا بسوئه؟ انه الرجل الوحيد الذي لا يدعنا في راحةٍ عندما يكون منتصراً، ولا يدع نفسه ترتاح عندما يصاب بهزيمة. ويبدو إلا مناص لنا من قتاله أبداً. فالثقة التي يبثها نجاحه الباهر في نفسه، تدفعه الى البحث عن مغامرة أخرى كذلك عاره لفشل ذريع اصيب به يدفعه الى مغامرة مماثلة.

ثم اشتبك الجيشان. وظلت النتيجة غامضة. فأمر [هنيبل] بنقل الفيلة الى اللواء الأول المتقدم وأن تساق نحو وحدات الرومان الأمامية، فتم ذلك وأحدث اندفاعها ووطئها كثيراً من الجنود فوضى خطيرة في صفوف الرومان فأسرع التربيون العسكري [فلافيوس] يختطف راية

(٥١) لم تكن الحركة غير معقولة. لكن أسيء تنفيذها. ويقول ليفي ان اليمينه تراجعت باسرع مما كان يجب عليها وان الفرقة الثامنة عشرة التي أمرت بالتقدم من المؤخرة الى الطليعة كانت حركتها بطيئة جداً وهذا ما خلق فوضى.

(٥٢) تلك هي العقوبة الشاملة. والى جانب هذا أمر ضباط السرايا ان يظلوا اليوم بطوله ممتشقي السيوف بدون احزمة [المرجع نفسه ١٢].

من يد حاملها. وتقدم من أحد القبيلة واصابه بجرح من السنان المثبت في عقب قناة الرابية، وحمله على الفرار. وباصابته بطعنة ثانية استدار وانسحب وتبعته القبيلة الأخرى، وبمشاهدة [مارچلوس] ذلك أسرع يدفع خيالاته بهجوم عنيف عليها وعلى العدو خلفها. ففرت وأوقعت الخلل في صفوف القرطاجيين. وأستمرت الخيالة تشد شداً عنيفاً وراحت تطارد العدو حتى دفعت به الى معسكره هارباً. والقبيلة تصول وتجول فيهم وتهلك منهم الكثير. وقيل ان عدد قتلهم أنف على ثمانية آلاف. ووقع من الرومان ثلاثة آلاف قتيل ولم يسلم واحد بلا جراح. وهذا ما اتاح [لهنيبعل] مجالاً للانتسحاب في هدأة الليل، واضعاً بينه وبين خصمه مسافة بعيدة. وكان عدد الجرحى من جنود [مارچلوس] سبباً في عجزه عن مطاردة العدو؛ وانتقل بمسيرات بطيئة هيئة الى [كمپانيا] وقضى فصل الصيف في [سينوسا Sinuessa] (٥٣) منشغلاً في تضييد جراح جيشه واعادة تنظيم فرقه.

لكن ما أن انتزع [هنيبعل] نفسه من مخالِب [مارچلوس] حتى راح يتنقل بجيشه في ارجاء ايطاليا بحيث سالباً غاضباً ناهباً لا يخشى أحداً. وارتفعت الأصوات في روما تهاجم [مارچلوس] وتنتقد سلوكه. وتوصل منتقدوه الى اقناع [پوبليشوس بيبولوس Publicius Bibulus] أحد مفوضي [تريبون] الشعب، وهو رجل عنيف المزاج وخطيب مَقْوَه الى الاضطلاع بتوجيه الاتهام له. فتمكن هذا بخطبه المتواصلة الملحاحه من حمل الشعب على سحب قيادة الجيش من يد [مارچلوس] لأنه «انسحب بعد عملية عسكرية صغيرة، من ميدان القتال، ليستجِم ويتنعض بالحمامات الحارة هناك على حدِّ قوله» (٥٤).

ولما بلغَ مارچلوس بهذا، عيّن عدداً من مساعديه الضباط الادارة معسكره وأسرع الى روما لتفنيذ التهم الملتصقة به. ووجد في انتظاره لائحة تتضمن قائمة كاملة بالتهم. واجتمع الشعب في الملعب الفلاميني، يوم المرافعة، فنهض [بيبولوس] من مجلسه ووجه التهمة اليه، فالقى [مارچلوس] بردود مختصرة بسيطة، وتبعه رؤساء المدينة وافاضلها يتكلمون بقوة عارضة وبلاغة واسهاب، يعيرون على الشعب موقفه ويتحدونه أن يكون أسوأ حكماً على مارچلوس من اعدائه بادانتته بالتردد والجُبْن وهو القائد الوحيد بين كل قادتهم الذي صفع العدو في وجهه، بينما كان هذا يتحاماه ويروغ منه بقدر ما كان يرغب في الاشتباك مع غيره من قادة

(٥٣) ليقي [المرجع السالف ٢٠ يقول «بل من (فينوسيا) فهي أقرب بكثير من كانوسيوم وأسهل سبيلاً لايصال الجرحى.

(٥٤) هناك حمامات حارة بالقرب من سنيوساً. كما يحدثنا سترابو(٥) ولا يوجد في (فينوسيا). فان كان مارچلوس قد قصد المدينة الأخيرة. فالشعر الساخر الذي قيل بحقه لا مبرر له أو مناسبة. لذلك أهمل ليقي ذكره. لكن أورد عين ما قاله (ليبولوس) من «أن مارچلوس قضى الصيف في مقره».

الرومان، وبعد أن أنتهى الخطباء. خُدع المدعي بآماله في الإدانة، ولم يُكتف بتبرئه مارچلوس  
انما أُعيد انتخابه قنصلاً للمرة الخامسة.

وعند أوّل مباشرته الوظيفة زار مدن اتوروريا<sup>(٥٥)</sup> قمع فيها فتنة خطيرة كادت تؤدي الى  
ثورة. وزار مدنها وطيب الخواطر فيها. وعارض الكهنة في شرعية تكريس معبد كان قد نذره  
للربّين «الشرف» و«الفضيلة» من الأموال التي غنمت في صقلية، زاعمين أنه لا يجوز  
تكريس معبد واحدٍ لربّين اثنين<sup>(٥٦)</sup>، فما لبث أن لحقه بثان، وهو شديد السخط لتلك المعارضة  
التي كاد يفسرها بنذير شؤم. والحق يقال أن الخوارق التي تعاقبت حينذاك، اشاعت الخوف في  
نفسه. فقد سقطت صواعق على بعض المعابد. وفي معبد [جويتر] قرضت الفيران الذهب،  
وتنوقل ايضاً ان ثوراً أخذ يتكلم، وان طفلاً ولد برأس يشبه رأس الفيل. لقد عولج أمر هذه  
الخوارق كلها بطبيعة الحال، ولكن الآلهة لم تعلن عن رضاها كما ينبغي. وعلى هذا اضطرت  
استخارة الطير الى البقاء في روما وهو يحرق الإرم غيضاً ويتلهّب شوقاً للقتال، ولم يكن أحد  
مثله يضطرم بالرغبة في خوض معركة مع [هنيبعل] فهي مدار أحلامه في الليل، وهي  
موضوع كل أحاديثه مع أصدقائه واصحابه، وهي رجاؤه الوحيد الذي يتقدم به الى الآلهة.  
كانت امنيته الكبرى ان يلاقي [هنيبعل] في ساحة الوغى، بل يخيل لي أنه سيكون مغتبطاً  
جداً بالهجوم عليه والجيشان ضمن معسكر واحدٍ. ولو لم يكن [مارچلوس] مثقلاً بالتكريم،  
متخماً بالشهرة، ولو لم يقدم البراهين بشتى الطرق على نضوج احكام وبعد نظر لايدانيه  
فيهما أي قائد محنك، لقلنا أن نرق الشباب الذي لا يليق برجل في مثل سنه، هو عامل  
الإثارة والتحمس فيه. وكان قد تجاوز الستين عندما بدأ فترة قنصليته الخامسة.

بعد أن قدمت القرايين، وتمّ كل ما يتعلق بارضاء الآلهة وتهدئة خاطرهما حسبما أوصى به  
العرافون، خرج مع زميله<sup>(٥٧)</sup> لمواصلة الحرب وأخذ يحاول بشتى الوسائل استفزاز [هنيبعل]  
الذي كان وقتذاك قد ضرب معسكره الدائمي في موضع يقع ما بين [بانتييا Bantia]  
و[فينوسيا Venusia]، إلا أنه أبى القتال، على أن استخباراته أعلمته بأن بعض الوحدات

(٥٥) قبل ذلك. بحسب رواية ليقى.

(٥٦) كانت حجّتهم في ذلك انه اذا نزلت بالهيكل صاعقة أو أرعدت الدنيا أو ابرقت أو حلت به أية ظاهرة  
تستدعي تقديم الكفارة فانهم لن يعرفوا لأي من الالهين يجب تقديم الاضحية؟ وعلى هذا الاساس قام  
(مارچلوس) ببناء معبد ثانٍ لالهة الفضيلة Virtue ارضاءً لهم. ولم تطل به الحياة ليقوم بتكريسه إلا ان  
ابنه قام بتكريس المعبد بعد اربع سنوات من وفاته.

(٥٧) انظم اليه زميله قادماً من موضع آخر.

الرومانية تتجه نحو مدينة [الوكري أو ابييفيري الغرب (Locri, Epiyephyrii) (٥٨) فكمز  
لهما تحت جُبيل يدعى [پتليا (Petelia] وقتل منهما ألفين وخمسمائة جندي، فاستشاط  
مارچلوس غيظاً وعصفت بنفسه ربح الانتقام وتحرك مقترباً من هنيبعل. وكان بين المعسكرين  
أكمة ذات مناعة تغطيها الغابات، والمرتقى إليها صعب من الجهتين وفيها ينابيع ينحدر  
ماؤها الى أسفل. وكان الموقع ممتازاً ذا فائدة عسكرية كبيرة، حتى عجب الرومان لأن هنيبعل  
أهمل احتلاله وتركه يقع بيد عدوه مع انه كان اسبق اليه منه. اما الحقيقة في الأمر فلم تكن  
كما تصور الرومان ففائدة الأكمة لم تغب عن [هنيبعل]، إلا أنه وجده أصلح لنصب كمين  
ولهذا تركه في الظاهر وأخفى في غاباته وغاره أعداداً من الرماة بالنشاب والرماح. وكان  
واثقاً أن صلاح الموقع سيُغري به الرومان، ولم يكن مخطئاً في حدسه. فقد أخذ الرومان  
يبحثون في أمره، ويتناقشون حوله فيما بينهم حتى كان الكلّ ضباط وقادة وقَرّ الرأي على  
احتلاله والاستفادة منه للنيل من العدو. ولاسيما اذا نقلوا معسكرهم اليه ومنتوه بحصن.  
فقرر مارچلوس الخروج بسرية خيالة لاستطلاعها وأستدعى عرافاً وياشر في التقريب للآلهة.  
وفي الضحية الأولى أخرج الكاهن [الاروسپكس (Aruspex] الكبد من دون رأس، وفي  
الضحية الثانية ظهر الرأس بحجم اعتيادي. وكانت العلامات الأخرى فيها، مشجعة مبشرة  
بالخير. وبظهور كفاية هذه العلاقات لتبديد الخوف من علامات النحس الأولى، أعلن العرافون  
انهم يخشون الثانية أكثر من الأولى. لأن الاحشاء الحسنة جداً والمبشرة بالخير، اذا تلت أحشاءً  
ضحية أخرى مشوهة مخيفة، يكون التغيير موضع شك، والدليل منذراً بشؤم. لكن...

« لا يفلح في صدّ القدر المحتوم، لا النار ولا جدار من البرونز» كما يقول [پندارا]. وهكذا  
خرج [مارچلوس] الى الأكمة يصحبه زميله [كرسپينوس (Crispinus] وابنه وهو [تريببون]  
عسكري، مع مائتين وعشرين فارساً على أكثر تقدير. ليس بينهم روماني واحد، وهم من  
الأتروسكيين، مع اربعين من [الفريجلائن (Fregellan)]، لطالما قدموا لقائدهم الدليل على  
بأسهم وأخلاصهم في كل الظروف.

كان التلّ مكسوّاً بالغابات تماماً. وعلى قمته جلس أحد كشافة العدو، مستتراً عن اعين  
الرومان، في حين كان معسكرهم مكشوفاً له برّمته. فلما دنا [مارچلوس] وجماعته من  
الكمين أعطى الكشاف اشارة لهم فيرزوا من حفائهم وخبايهم وياغتوه دفعة واحدة وأحاطوا  
به من كل جهة وراحوا يقذفونه بوابل من الرماح فاصابت فريقاً، وأدركت ظهور الفارين. ثم

(٥٨) لم تكن هذه وحدات من وحدات الجيش الروماني المرتبطة بأمره الفصيلين. بل هي قطعات عسكرية  
سحبت من صقلية ومن حامية (تارنتوم) المرجع نفسه.

حملوا بشدة على من صمد وهم الفريجلانيون الأربعون (الذين عملوا حلقة بعد هروب الاتروسكيين عند بدء الهجوم). وأستمروا يدافعون عن القنصلين ببسالة حتى أصيب [كرسپينوس] برمحين فالوى بعنان جواده هارباً. وأصيب مارچلوس في خاصرته بطعنة حربة عريضة السنان، وعندها ترك الاحياء القلة من الفريجلانيين فنصلها صريعاً وهربت [مارچلوس الاصغر] الذي اصيب هو الآخر، حتى بلغت المعسكر. ولم يزد عدد القتلى عن الأربعين، ووقع في الأسر خمسة من [اللكتورا] وثمانية عشر فارساً. وتوفي [كرسپينوس] متأثراً بجراحه بعد بضعة ايام<sup>(٥٩)</sup>. كانت خسارة قنصلين في اشتباك واحد نكبة لم يمن بها الرومان بمثلها من قبل.

ما أن انبىء [هنيبعل] بمصرع مارچلوس حتى ترك كل ما يشغله وهرع الى الأكمة. وهناك وقف ينظر الى الجسد الهامد، ويتأمل طويلاً في شكله ومثانة بنيانه، ولم تخرج من فمه كلمة واحدة تعبر عن زهو أوتباه كما كان يحق لغيره أن يفعل حين يتخلص من عدوٍ عنيدٍ محرر. على أن النهاية اذلهته تماماً. ولم يأخذ من خصمه الصريع غير خاتمه<sup>(٦٠)</sup>. وأمر بكسائه ثياباً لائقة وتزيينه وحرقه بغاية الاحترام ثم وضع بقايا الجثة في دعاء فضي مغطى بتاج ذهبي، وبعث به الى ابنه. إلا أن بعض النوميديين من عسكره، سطوا على حامله وأنتزعوه منهم والقوا بالعظام. فبلغ ذلك هنيبعل فقال:

- اذن فمن المستحيل أن نعاود ارادة الله!

وأنزل بالنوميديين اللصوص عقاباً، إلا أنه لم يتخذ اي اجراء لجمع العظام واعادتها. مدركاً أن القدر المحتوم حكم على مارچلوس أن يخسر صريعاً هكذا، وان يظل ملقى على ظهر الأرض هكذا.

هذا ما دوته لنا [كورنيليوس نپوس Cornelius Nepos] و[فايريوس ماكسيموس Vari-us Maximus] عن الحادث، إلا أن [ليفي]<sup>(٦١)</sup> و[اوغسطس قيصر] يؤكدان أن الوعاء بلغ

(٥٩) لم تدركه الوفاة الا في آخر السنة وذلك بعد ترشيحه [تليوس مانليوس توسكواتوس] دكتاتوراً من أجل عقد الجمعية العامة. ويقوم بعضهم انه توفي في [تارتنتوم] وبعضهم يقول لا بل في كامبانيا (المرجع نفسه ٣٣).

(٦٠) خيل لهنيبعل انه سيفيد كثيراً من خاتم مارچلوس الرسمي الا ان [كرسپينوس] باذر على الفور باذاعة نبا وفاته بين سائر المدن مع التحذير بأن خاتمه الرسمي قد وقع في يد هنيبعل وعليهم ان لا يصدقوا من يعرضه عليهم. وقد انقذ هذا التحذير (سالابيو) في (ابوليا) وان انطلقت الخدعة على رسله الذين جاؤا بالخاتم وأدخلوهم المدينة وذبحوهم عن بكرة ابيهم وكانوا حوالي الستمائة من الرومان الهاربين من الخدمة اما الباقون فقد تمكنوا من الهرب.

(٦١) يحدثنا بان (هنيبعل) قام بدفن [مارچلوس] في التل الذي سقط فيه. اما عن اثر [اغسطس قيصر] =

الإبن، فشيعت رفاتة بجزاة فخمة. وأقيم له نصب تذكاري في روما. وخذ اسمه بميدان مصارعة واسع في [كاتانا] بصقلية. ونصبت تماثيل وصور مما غنمه من سيراكوز، في معبد الآلهة المسماة [كابيري Cabiri] بساموثراس، وفي معبد منيراً بـ [ليندس Lindus] حيث أقيم أيضاً تمثال له. نقشت عليه الابيات التالية (على ما يذكر بوسيدونيوس).

أيها ذا الغريب! كان هذا نجم روما الالهي يوماً. انه «كلوديوس مارچلوس»  
الكريم النسب، الذي حارب حروبها ونصب قنصلاً عليها سبع مرات. وبذراعه  
المرعدة ذبحت الألو!

اضاف ناظم هذه الابيات فترة توليه منصب الپروقنصل مرتين الى قنصلياته الخمس. وظلّ نسله موضع اقبال وأجلال حتى [مارچلوس] ابن [اوكتافيا] شقيقة [اوغسطس قيصر] (٦٢) التي انجبت له زوجها [كايوس مارچلوس]، وتوفي هذا الابن في شرح الشباب عام توليه منصب [ايديل] وهو حديث عهد بالزواج من بنت [قيصر] فأوقفت امه [اوكتافيا] (٦٣) مكتبة على روحه تخليداً لذكراه، وأوقف [قيصر] الملعب الذي يحمل اسمه.



اوغسطس

= فلا وجود له.

(٦٢) استمر النسل على الانجاب بعد موته زهاء مائة وخمس وثمانين سنة. اذ انه قتل في ٢٠٦ ق.م ومات مارچلوس الشاب آخر السلالة في ٢١ ق.م.

(٦٣) يقول (سويتونيوس) ان اغسطس هو الذي أوقف المكتبة باسم اوكتافيا. [اغسطس ٢٩] و [ديون ١٠٥٣].



## أوجه المقارنة بين بيلوبيداس ومارچلوس

ذلكم هو أهم وأبرز ما وجدته عند المؤرخين عن [مارچلوس وبيلوبيداس]، والشبه قريب جداً بين هذين الرجلين العظيمين في طباعهما وأخلاقهما، فكلاهما كان باسلاً مقداماً، حازماً وثاب الروح. إلا أن ثم اختلافاً جزئياً في نقطة واحدة. وهي أن [مارچلوس] فتك بارواح الكثير في المدن العديدة التي استولى عليها، أما [بيلوبيداس وپامنداس] فلم يؤثر عنهما أنهما قتلا أو استرقا شخصاً واحداً عقب أي نصر حازه. وقيل لنا أيضاً أن الثيبين انفسهم ما كانوا ليقدموا على عمل كهذا ضدّ [الاورخمينيين] لو وجد هذان القائدان في حينه. كانت انتصارات [مارچلوس] على الغاليين باهرة رائعة، فقد قهر وهزم عدداً هائلاً من الخيالة والمشاة، بعدد ضئيل من الفرسان - (وهو عمل لا تجد له نظيراً فيما سجله المؤرخون عن قائد آخر غيره) وأخذ ملكهم أسيراً. وكان بيلوبيداس يطمح الى مثل هذا المجد إلا أنه لم يبلغه وقتله الطاغية في اثناء محاولته. على أن في امكانك ان تضع مقابل ذلك معركتي [ليوكترا وتيجري] المجيدتين. ونحن لا نجد في وقائع مارچلوس، واقعة تمتاز بالخيلة والتأمر الخفي، كما فعل [بيلوبيداس] عند عودته من المنفى ففضى على الطغاة في [ثيبه]. مما يمكن اعتباره في مقدمة الأعمال الباهرة التي استعمل فيها المكر والكتمان. ولا نكران في أن [هنيبعل] كان أخطر خصوم روما واقواهم ولكن اللقيديمونيين ما كانوا ليقبلوا عنه خطراً بالنسبة للثيبين ومن المسلم به انهم ذاقوا مرارة الهزيمة والفرار على يد [بيلوبيداس] في [ليوكترا وتيجري] في حين يذكر [پوليبسيوس] ان هنيبعل لم يذق طعم الهزيمة إلا مرة واحدة على يد [مارچلوس]. وبقي النصر معقوداً له في كل المعارك حتى مجيء [سكيبيو] وقد ملّت أنا نفسي الى الأخذ بأقوال [اليثي] و[قيصر] و[كورنيليوس نيبوس]، وبأقوال [يوبا Juba] الملك، من الأغريق، في زعمهم أن جنود هنيبعل، عانوا الاندحار والهزيمة امام [مارچلوس] ذلكم هو أهم وأبرز ما وجدته عند المؤرخين عن [مارچلوس وبيلوبيداس]، والشبه قريب جداً بين هذين الرجلين العظيمين في طباعهما وأخلاقهما، فكلاهما كان باسلاً مقداماً، حازماً



الكثير في المدن العديدة التي استولى عليها، أما [پيلويداس] و[پامنداس] فلم يؤثر عنهما أنهما قتلا أو استرقا شخصاً واحداً عقب أي نصر حازه. وقيل لنا أيضاً أن الثيبين انفسهم ما كانوا ليقدموا على عمل كهذا ضد [الاورخمنين] لو وجد هذان القائدان في حينه. كانت انتصارات [مارجلوس] على الغالين باهرة رائعة. فقد قهر وهزم عدداً هائلاً من الخيالة والمشاة، بعدد ضئيل من الفرسان - (وهو عمل لا تجد له نظيراً فيما سجله المؤرخون عن قائد آخر غيره) وأخذ ملكهم أسيراً. وكان پيلويداس يطمح الى مثل هذا المجد. إلا أنه لم يبلغه وقتله الطاغية في اثناء محاولته. على أن في امكانك ان تضع مقابل ذلك معركتي [ليوكترا] و[تيجري] المجيدتين. ونحن لا نجد في وقائع مارجلوس، واقعةً تمتاز بالحيلة والتآمر الخفي، كما فعل [پيلويداس] عند عودته من المنفى فقتى على الطغاة في [ثيمه]. مما يمكن اعتباره في مقدمة الأعمال الباهرة التي استعمل فيها المكر والكتمان. ولا نكران في أن [هنيبعل] كان أخطر خصوم روما واقواهم ولكن اللقيديمونيين ما كانوا ليقولوا عنه خطأً بالنسبة للثيبين ومن المسلم به انهم ذاقوا مرارة الهزيمة والفرار على يد [پيلويداس] في [ليوكترا] و[تيجري] في حين يذكر [پوليبوس] ان هنيبعل لم يذق طعم الهزيمة إلا مرة واحدة على يد [مارجلوس]. وبقي النصر معقوداً له في كل المعارك حتى محيء [سكيبيو] وقد ملت أنا نفسي الى الأخذ بأقوال [اليثي] و[قيصر] و[كورنيليوس نيبوس]. وأقوال [يوبا]؛ الملك، من الأغريق، في زعمهم أن جنود هنيبعل، عانوا الاندحار والهزيمة امام [مارجلوس] في بعض المعارك. إلا أنها معارك لم تؤثر في مجرى الحرب العام بلا شك، حتى بدت وكأنها مجرد اشتباكات خادعة يقصد بها القرطاجنيون نوعاً من المشاغلة والالهاء. وأروع ما في الأمر هو معنوية الرومان. فبعد اندحار عدد كبير من حشوشهم ومقتل العديد من قوادهم وبمختصر القول - بعد الفوضى التي عمت امبراطوريتهم. ظلوا يظهرون من الشجاعة ما يوازي خسائرهم، ولم تفارقهم رغبتهم في خوض غمرات معارك جديدة، قدر رغبة اعدائهم فيها. وكان [مارجلوس] الوحيد الذي حقق المغلبة على الرهبة والخوف العظيمين المتأصلين. فأحسا معنويات الجنود، ورفع منها، وثبت كيائها، لتتنقلب الى بسالة وحماسة جعلتهم لا يتخلون بسهولة عن النصر، بل يناضلون في سبيله الى آخر رمق. كان هؤلاء الرجال قد عودتهم هرائهم المستمرة على اعتبار أنفسهم سعداء لو نجحوا بالفرار من وجه [هنيبعل]، فجا، مارجلوس ليعلمهم بأن الإقرار بانهم نكصوا خطوة واحدة في مشار النقع وزخم القتال، وان يركبهم الهم الناصب اذا فاتهم النصر.

وبمختصر القول: لم يغلب [بيلوبيداس] قط في اية معركة كان هو قائدها العام، وموجوداً فيها، وفاز [مارچلوس] بمعارك تزيد عن اي عدد فاز به قائد معاصر له. والحق يقضي أن يوضع الشخص الذي يصعب قهره، (مع الأخذ بنظر الاعتبار بطولاته العديدة) على قدم المساواة مع ذلك الذي لم يُقهر قط.

لقد استولى [مارچلوس] على سيراكوز عنوةً، في حين أخفقت آمال [بيلوبيداس] في الاستيلاء على سبارطا. واني لأرى في رفع رايته الى جدران سبارطا وطموحه الى أن يكون أول من يعبر نهر يورتاس بقوة السلاح، عملاً أصعب بكثير من اخضاع صقلية، إلا اذا اعتبرنا [أپامننداس] أحق وأولى بنسبة هذه المأثرة اليه كما كانت معركة ليوكترا أيضاً، في حين بنى مارچلوس شهرته وعظمة أعماله البطولية على معارك تفرد بها وحده ولم يكن لغيره سهمٌ فيها. فهو وحده استولى على سيراكوز ودحر الغاليين دون معونة من زميله وانبرى لملاقاة [هنيبعل] في ساحة القتال بمفرده ودون زميل، عندما أحجم الآخرون عن ذلك. وبتغييره في أسلوب حرب الخصم قدم أول مثلٍ من أمثلة الجرأة على التعرض له.

وليس بوسعي الاشادة بمقتل أي من هذين العظيمين. فعامل الغرابة والفجاءة في نهاية حياتهما يشيع في نفسي شعوراً بالألم والحسرة. ويستأثر هنيبعل باعجابي لأنه لم يصب بخدش واحد في سائر المعارك العديدة الطاحنة التي لا يكفي يوم واحد لإحصائها.

وانني لأجل [خريسانتيس Chrysantes] (الذي ورد ذكره في كيروبيديا Cyropædia كزيفنون) فقد رفع سيفه ليهوى به على خصمه، حين نفخ بنفير الانسحاب فتركه وتقهقر بمل، الطاعة والسكينة، على أنه قد يمكن أعتقار ثورة الغضب التي دفعت [بيلوبيداس] الى ملاحة ثأرة في زخم المعركة، وكما يقول [يوربيدس]:

أولى صفات القائد أن يحرز نصراً مضموناً.

وثاني صفاته، أن يموت ميتة الشرف.»

ففي هذه الحالة لا يمكن القول ان القائد «عاني» موتاً، والحري أن يقال: عاني معركة. إن عزم [بيلوبيداس] على قتل الطاغية وهو مائل امام عينيه، لم يفقده رشاده ويسلمه الى جموع العاطفة الى الحد الذي ينسيه الهدف المتوخى من النصر، على انه ما كان ليتوقع أن تسنح له فرصة ثانية مساوية لهذه الفرصة في يسرها ومجدها وخلودها وبنضال في قضية عادلة شريفة كهذه. لكن مارچلوس أوقع نفسه في الخطر وسقط في كمين ليس الحسبان في سبيل هدف لا يعود عليه بفائدة كبيرة، وعندما لم تستدع اليه ضرورة ماسة أو وجود خطرٍ مائل يسلمه الى

نزف العاطفة، وهو الذي تولى القنصلية خمس مرات، ودخل في مواكب نصر ثلاثة وغنم أسلاب ونفائس ملوك، وأحرز الانتصارات، تراه ينزل الى مرتبة كشّاف أو ديدبان فيعرض كل امجاده لتُداس باقدام المرتزقة الاسپان والنوميديين الذين باعوا أنفسهم للقرطاجيين حتى شعروا هم أنفسهم بأنهم أصغر من ان يستحقوا مثل هذا النجاح، وكادوا ينكرون على أنفسهم هذا النصر غير المنتظر بقتلهم أشجع وأكفأ وأشهر الرومان مع قليل من الفريجلان.

ولا يتوهمن أحد أننا ما قلنا هذا إلا ونحن نقصد انتقاد هذين الرجلين العظيمين أو انتقاصهما، فالحقيقة هي أننا نريد أن نعبر بهذا عن سخطنا الصريح وألمنا لأنهما اضاعاً كلّ فضائلهما على مذبح شجاعتهما وانفقا حياتيهما كأن خسارتها قاصرة على شخصيهما، لا على بلادهما وحلفاء بلادهما واصدقائهما.

بعد مصرع [پيلوپيداس] قام بتشجيعه اصدقاؤه الذين ضحى بحياته في سبيلهم. أمّا [مارچلوس] فإن اعداءه هم الذين قاموا بهذا. وكان حظاً سعيداً كريماً لأولهما. إلا انه كان يوجد شيء، أسمى واروع في التكريم والإجلال الذي ابداه العدو لفضائل وشخصية كانت عقبتهم الكأداء، من اقرار الاصدقاء بالفضل. ففي الواحدة يكون الدافع الى التكريم والتقدير الفضيلة وحدها. وفي الأخرى تكون مصلحة الناس الشخصية وفائدتهم هي الأصل فيما ينتهجون.







# تاريخ أبا طه وفلاسفة المغرب